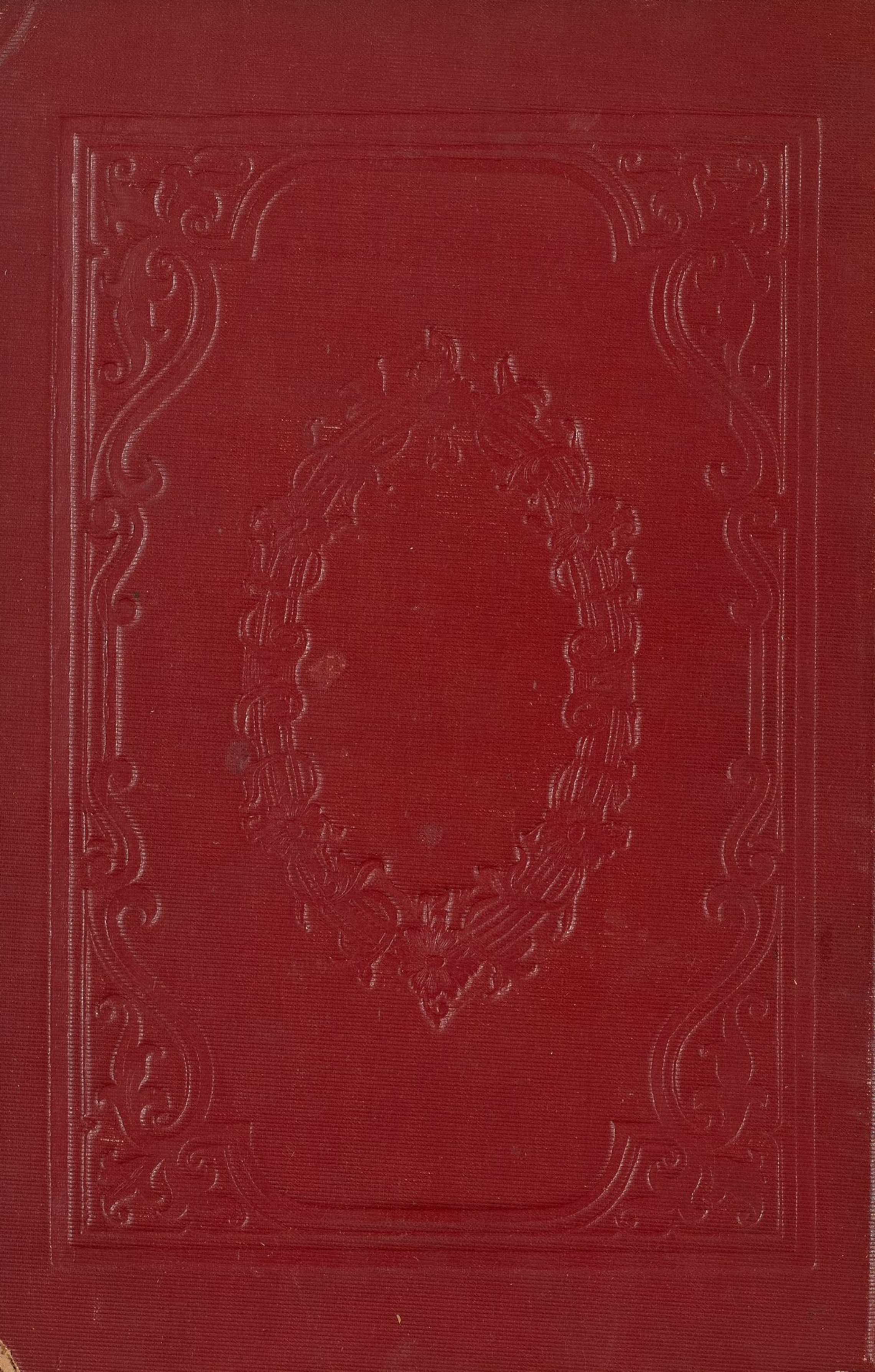
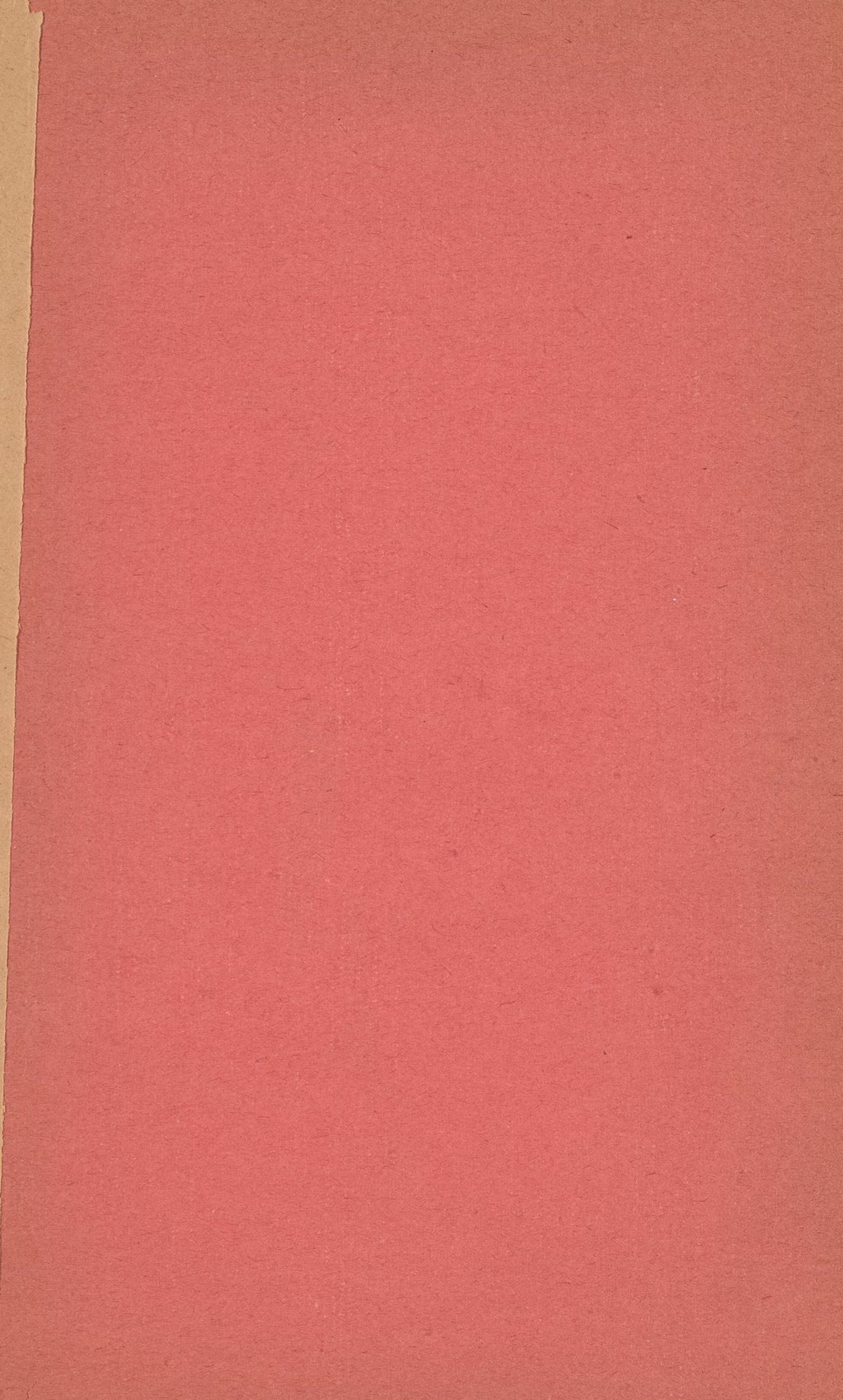
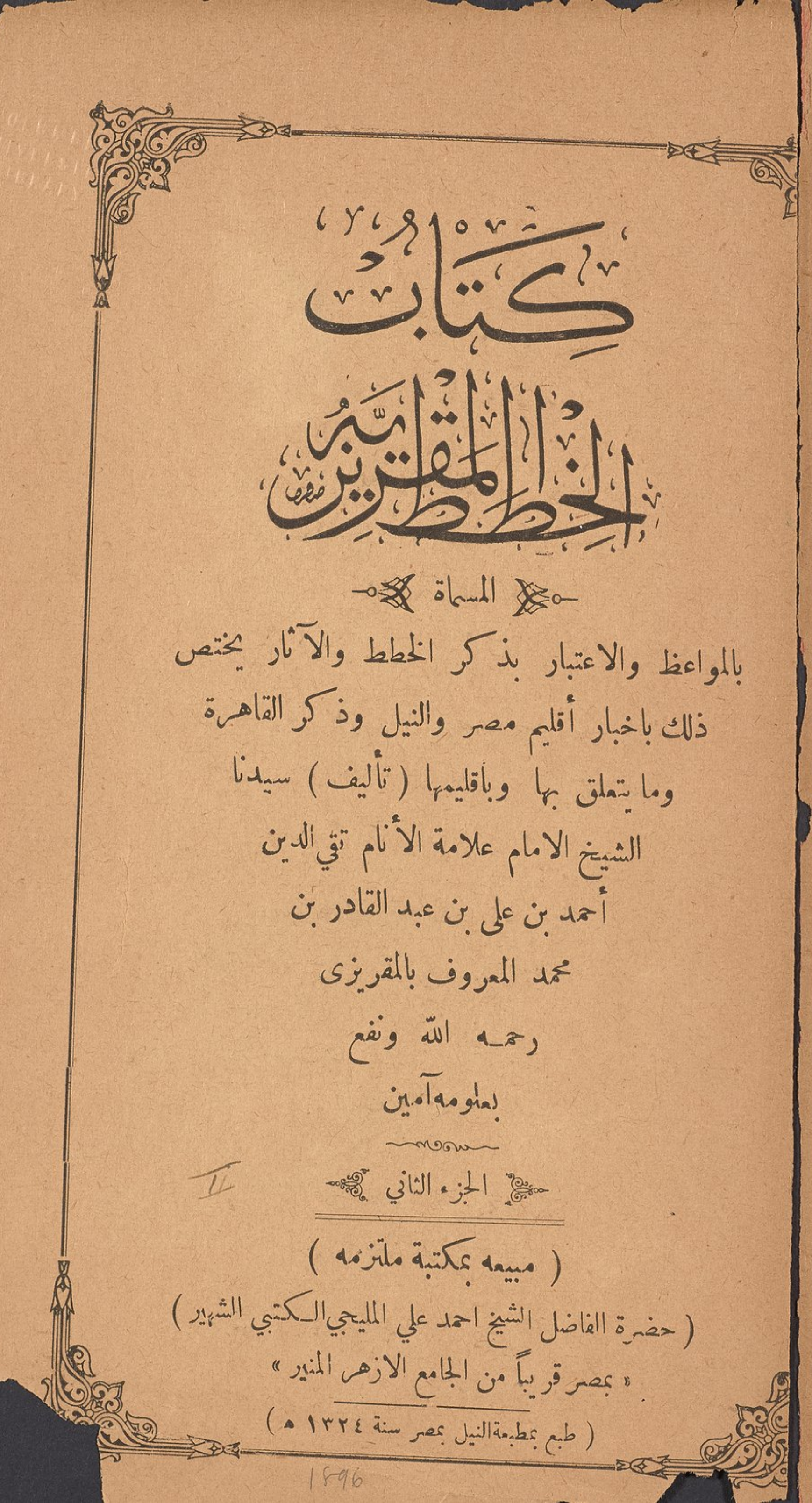








كتاب

الخطط المقريزية

المسماة

بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار يختص
ذلك باخبار أقليم مصر والنيل وذكر القاهرة
وما يتعلق بها وبأقليمها (تأليف) سيدنا
الشيخ الامام علامة الأنام تقي الدين
أحمد بن على بن عبد القادر بن
محمد المعروف بالمقريزى
رحمه الله ونفع
بعلومه آمين

الجزء الثاني

(مبيعه بمكتبة ملتزمه)
(حضرة الفاضل الشيخ احمد علي المليجي الكتبي الشهير)
«بمصر قريباً من الجامع الازهر المنير»

(طبع بمطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ذكر تاريخ الخليقة ﴾

اعلم أنه لما كانت الحوادث لابد من ضبطها وكان لايضبط ما بين العصور وبين
الحوادث الا بالتاريخ المستعمل العام الذى لاينكره الجماعة أو أكثرها وذلك أن التار
عليه لايكون الامن حادث عظيم يملأ ذكره الاسماع وكانت زيادة ماء النيل ونقصان
يعتبرهما أهل مصر ويحسبون أيامهما بأشهر القبط وكذلك خراج أراضى مصرانما
أوقاته بذلك وهكذا زراعات الاراضى انما يعتمدون في أوقاتها أيام الاشهر القبط
وسلكوا فيها سبيل أسلافهم واقتفوا مناهج قدمائهم وما برح الناس من قديم الدهر
العوايد احتيج في هذا الكتاب الى ايراد جملة من تاريخ الخليقة لتعيين موقع تاريخ
منها فان بذكر ذلك يتم الغرض فأقول التاريخ عبارة عن يوم ينسب اليه ما يأتي بعده
أيضا التاريخ عبارة عن مدة معلومة تعد من أول زمن مفروض لتعرف بها الاوقات الم
ولا غني عن التاريخ في جميع الاحوال الدنيوية والامور الدينية ولكل أمة من أمم
تاريخ يحتاج اليه في معاملاتها وفي معرفة أزمنتها تنفرد به دون غيرها من بقية الامم
الاوائل القديمة وأشهرها هو كون مبدأ البشر ولاهل الكتاب من اليهود والنص
والمجوس في كيفيته وسياقة التاريخ منه خلاف لايجوز مثله في التواريخ وكل ما تتعلق
ببدء الخلق وأحوال القرون السالفة فانه مختلط بتزويرات وأساطير لبعد العهد وعجز
به عن حفظه وقد قال الله سبحانه وتعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح
وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله فالاولى أن لايقبل من ذلك الا مايشهد به
أنزل من عند الله يعتمد على صحته لم يرد فيه نسخ ولا طرقه تبديل أو خبر ينقله ال
واذا نظرنا في التاريخ وجدنا فيه بين الامم خلافا كثيرا وسأتلو عليك من ذلك ما لا
تجده مجموعا في كتاب وأقدم بين يدى هذا القول ماقيل في مدة بقاء الدنيا

﴿ ذكر ماقيل في مدة أيام الدنيا ماضيها وباقيها ﴾

اعلم أن الناس قد اختلفوا قديما وحديثا في هذه المسألة فقال قوم من القدماء ال
بالاكوار والادوار وهم الدهرية وهؤلاء هم القائلون بعود العوالم كلها على ما

عليه بعد ألوف من السنين معدودة وهم في ذلك غالطون من جهة طول أدوار النجوم وذلك أنهم وجدوا قوما من الهند والفرس قد عملوا أدوارا للنجوم ليصححوا بها في كل وقت مواضع الكواكب فظنوا أن العدد المشترك لجميعها هو عدد سنى العالم أو أيام العالم وانه كلما مضى ذلك العدد عادت الاشياء الى حالها الاول وقد وقع في هذا الظن ناس كثير مثل أبي معشر وغيره وتبع هؤلاء خلق وانت تقف على فساد هذا الظن ان كنت تخبر من العدد شيئاً ما وذلك انك اذا طلبت عددا مشتركا بعده أعداد معلومة فانك تقدر أن تضع لكل زيج أياما معلومة كالذى وضعه الهند والفرس فهؤلاء حيث جهلوا صورة الحال في هذه الادوار ظنوا انها عدد أيام العالم فتفطن ترشد وعند هؤلاء أن الدور هو أخذ الكواكب من نقطة وهي سائرة حتى تعود الى تلك النقطة وأن الكور هو استئناف الكواكب في أدوارها سيرا آخر الى أن تعود الى مواضعها مرة بعد أخرى وزعم أهل هذه المقالة أن الادوار منحصرة في أنواع خمسة ٠ الاول أدوار الكواكب السيارة في أفلاك تداويرها* الثاني أدوار مراكز أفلاك التدوير في أفلاكها الحاملة * الثالث أدوار أفلاكها الحالة في فلك البروج * الرابع أدوار الكواكب الثابتة في فلك البروج * الخامس أدوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة وهذه الادوار المذكورة منها مايكون في كل زمان طويل مرة واحدة ومنها ما يكون في كل زمان قصير مرة واحدة فأقصر هذه الادوار أدوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة فانه يدور في كل أربع وعشرين ساعة دورة واحدة وباقى الادوار يكون في أزمنة اخر أطول من هذه لا حاجة بنا في هذه المسألة الى ذكرها قالوا وأدوار الكواكب الثابتة فى فلك البروج تكون في كل ستة وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة وحينئذ تنتقل أوجات الكواكب وجوزهراتها الى مواضع حضيضها ونوبهراتها وبالعكس فيوجب ذلك عندهم عود العوالم كلها الى ما كانت عليه من الاحوال في الزمان والمكان والاشخاص والاوضاع بحيث لايتخالف ذرة واحدة وهم مع ذلك مختلفون في كمية مامضي من أيام العالم وما بقى فقال البراهمة من الهند فى ذلك قولا غريبا وهو ماحكاه عنهم الاستاذ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروتي في كتاب القانون المسعودي انهم يسمون الطبيعة باسم ملك يقال له براهيم ويزعمون انه محدث محصور الموت بين مبدأ وانهاء عمره كعمرها مائة سنة برهموية كل سنة منها ثلثمائة وستون يوما زمان النهار منها بقدر مدة دوران الافلاك والكواكب لاثارة الكون والفساد وهذه المدة بقدر مابين كل اجتماعين للكواكب السبعة في أول برج الحمل باوجاتها وجوزهراتها ومقدارها أربعة آلاف ألف سنة وثلثمائة ألف ألف سنة وعشرون ألف ألف سنة شمسية وهو زمان اثنى عشر ألف دورة للكواكب الثابتة على أن زمان الدورة الواحدة ثلثمائة ألف سنة وستون ألف سنة شمسية واسم هذا النهار

بلغتهم الكلية وزمان الليل عندهم كزمان النهار وفي الليل تسكن المتحركات وتستريح الطبيعة من اثارة السكون والفساد ثم يثور في مبدا اليوم الثاني بالحركة والتكون فيكون زمان اليوم بليلته من سنى الناس ثمانية آلاف ألف ألف سنة وستمائة ألف ألف سنة وأربعين ألف ألف سنة فاذا ضربنا ذلك فى ثلثمائة وستين تبلغ سنو أيام السنة البرهموية ثلاثة آلاف ألف ألف ألف سنة وعشرة آلاف ألف ألف سنة وأربعمائة ألف ألف سنة شمسية فاذا ضربناها في مائة يبلغ عمر الملك الطبيعي البرهموى من سنى الناس ثلثمائة ألف ألف ألف ألف سنة وأحد عشر ألف ألف ألف سنة وأربعين ألف ألف سنة شمسية فاذا تمت هذه السنون بطل العالم عن الحركة والتكوين ماشاء الله ثم يستأنف من جديد على الوضع المذكور وقسموا زمان النهار المذكور الى تسع وعشرين قطعة سموا كل أربع عشرة قطعة منها نوبا وسموا الخمس عشرة قطعة الباقيــة فصولا وجعلوا كل نوبة محصورة بين فصلين وكل فصل محصورا بين نوبتين وقدموا زمان الفصل على النوبة الى تمام المدة وزمان الفصل هو خمسا الدور والدور جزء من ألف جزء من المدة فاذا قسمنا المدة على ألف تحصل زمان الدور أربعة آلاف ألف سنة وثلثمائة ألف سنة وعشرين ألف سنة وخمساه أعنى زمان الفصل ألف ألف سنة وسبعمائة ألف سنة وثمانية وعشرون ألف سنة وزمان النوبة عندهم أحد وسبعون دورا مقدارها من السنين ثلثمائة ألف ألف سنة وستة آلاف ألف سنة وسبعمائة ألف سنة وعشرون ألف سنة وقد قسموا الدور أيضا بأربع قطع أولها أعظمها وهى مدة الفصل المذكور وثانيها ثلاثة أرباع الفصل ومدتها ألف ألف سـنة ومائتا ألف سنة وستة وتسعون ألف سـنة وثالثها نصف الفصل ومدته ثمانمائة ألف سنة وأربعة وستون الف سنة ورابعها ربع الفصل وهو عشر الدور المذكور ومدته أربعمائة ألف سنة واثنان وثلاثون ألف سـنة ولـكل واحد من هذه القطع الاربع اسم يعرف به فاسم القطعة الرابعة عندهم كلكال لانهم يزعمون انهم في زمانها وان الذى مضى من عمر الملك الطبيعي على زعم حكيمهم الاعظم المسمى عنـدهم برهمكوت ثمان سنين وخمسة أشهر وأربعة أيام ونحن الآن في نهار اليوم الخامس من الشهر السادس من السنة التاسعة ومضى من النهار الخامس ست نوب وسبعة فصول وسبعة وعشرون دورا من النوبة السابعة وثلاث قطع من الدور المذكور أعنى تسعة أعشاره ومضى من القطعة الرابعـة أعني من أول كلكال الى هلاك شككال عظيم ملوكهم الواقع في آخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة للاسكندر ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وسبعون سنة وقال انما عرفنا هذا الزمان من علم الهى وقع الينا من عظماء انبيائنا المتألهين برواياتهم جيلا بعد جيل على ممر الدهور والازمان وزعموا أن في مبدا كل دور أو فصل أو قطعة أو نوبة تجدد أزمنة العوالم وتنتقل من حال الى حال وأن الماضى من أول كلكال الى شككال ثلاثة آلاف ومائة

وتسع وسبعون سنة والماضي من النهار المذكور الى آخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة للاسكندر
ألف ألف ألف سنة وتسعمائة ألف ألف سنة واثنان وسبعون ألف ألف سنة وتسعمائة ألف
سنة وسبعة وأربعون ألف سنة ومائة سنة وسبع وسبعون سنة فيكون الماضي من عمر الملك
الطبيعي الى آخر هذه السنة ستة وعشرين ألف ألف ألف سنة وثلثمائة ألف ألف ألف
سنة وخمسة عشر ألف ألف سنة وسبعمائة ألف ألف سنة واثنين وثلاثين ألف ألف
سنة وتسعمائة ألف سنة وسبعة وأربعين ألف سنة ومائة سنة وتسعا وسبعين سنة فاذا زدنا
عليها الباقي من تاريخ الاسكندر بعد نقصان السنين المذكورة منه تحصل الماضي من عمر
الملك بالوقت المفروض والله أعلم بحقيقة ذلك وقال الخطاوالايغر في ذلك قولا أعجب من
قول الهند وأغرب على مانقلته من زيج أدوار الانوار وقد لخص هذا القول من كتب أهل
الصين وذلك انهم جعلوا مبادى سنيهم مبنية على ثلاثة أدوار الاول يعرف بالعشرى مدته
عشر سنين لكل سنة منها اسم يعرف به والثاني يعرف بالدور الاثنى عشرى وهو أشهرها
خصوصا فى بلاد الترك يسمون سنيه بأسماء حيوانات بلغتي الخطاوالايغر والثالث مركب
من الدورين جميعا ومدته ستون سنة وبه يؤرخون سنى العالم وأيامه ويقوم عندهم مقام
أيام الاسبوع عند العرب وغيرها واسم كل سنة منها مركب من اسميها في الدورين جميعا
وكذلك كل يوم من أيام السنة ولهذا الدور ثلاثة أسماء وهى شانكون وجونكون وخاون
ويصير بحسبها مرة أعظم ومرة أوسط ومرة أصغر فيقال دورشانكون الاعظم ودورجونكون
الاوسط ودورخاون الاصغر وبهذه الادوار يعتبرون سنى العالم وأيامه وجملتها مائة وثمانون
سنة ثم تدور الادوار الثلاثة عليها مرة أخرى واتفق وقوع مبدا الدور الاعظم فى الشهر
الاول من سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ليزد جرد واسمها بلغتهم كادره وبلغة العرب سنة الفار
وكان دخول أول فرودين هذه السنة من سنى العرب يوم الخميس وهو بلغتهم سن جن ومن
هذا اليوم وعلى هذا التاريخ تترتب مبادى سنيهم وأيامهم في الماضى والمستقبل وشهورهم اثنا
عشر شهرا لكل شهر منها اسم بلغة الخطا وبلغة الايغر لاحاجة بنا هنا الى ذكرها ويقسمون
اليوم الاول بليلته اثنى عشر قسما كل قسم منها يقال له جاغ وكل جاغ ثمانية أقسام كل قسم
منها يقال له كه ويقسمون اليوم بليلته أيضا عشرة آلاف فنك وكل فنك منها مائة ميساو
فيصيب كل جاغ ثمانمائة وثلاثة وثلاثين فنكا وثلث فنك وكل كه مائة وأربعة أفناك وسدس
فنك وينسبون كل جاغ الى صورة من الصور الاثنى عشرة ومبدأ اليوم بليلته عندهم من
نصف الليل وفى منتصف جاغ كسكو يتغير أول النهار وآخره بحسب الطول والقصر من
قبل أن كل جاغ ساعتان مستويتان وفى منتصف النهار ينتصف جاغ يوند وهم يكبسون فى
كل ثلاث سنين قمرية شهرا واحدا يسمونه سيون ليحفظوا بالكبس مبادى سنى الشمس فى

زمان واحد من سنة أخرى ويكبسون أحد عشر شهرا فى كل ثلاثين سنة قمرية ولا يقع عندهم شهر الكبس فى موضع واحد بعينه من السنة بل يقع في كل موضع منها وكل شهر عدة ايامه اما ثلاثون يوما أو تسعة وعشرون يوما ولا يمكن عندهم أكثر من ثلاثة أشهر متوالية تامة ولا أكثر من شهرين ناقصين ومبادى شهورهم يوم الاجتماع ان وقع اجتماع النيرين نهارا فان وقع الاجتماع ليلا كان أول الشهر فى اليوم الذى بعد الاجتماع وزمان السنة الشمسية بحسب أرصادهم ثلثمائة وخمسة وستون يوما وألفان وأربعمائة وستة وثلاثة فنكا والسنة اربعة وعشرون قسما كل قسم منها خمسة عشر يوما وألفان ومائة وأربعة وثمانون فنكا وخمسة اسداس فنك ولكل قسم من هذه الاقسام اسم وكل ستة أقسام منها فصل من فصول السنة فاسم أول قسم من فصولها الحن وأوله أبدا حيث تكون الشمس فى ست عشرة درجة من برج الدلو وهكذا أوائل كل فصل انما تكون في حدود أواسط البروج الثابتة وكان بعد مدخل الحن من أول الدور الستيني في السنة المذكورة احد عشر يوما وسبعة آلاف وستمائة وستين فنكا واسم مدخله بى خايني وكان بعد دخول السنة الفارسية المذكورة بنحو عشرين يوما ويبعد مدخله عن أول الدور في كل سنة بقدر فضل سنة الشمس على سنة الدور وهو خمسة أيام وأربعة وعشرون فنكا فان زادت الايام على ستين يوما كان الباقي بعد الحن في تلك السنة عن أول الدور الستيني ويتفاضل البعد بينهما في كل سنة بقدر فضل سنة الشمس على سنة القمر التي هي ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وثلاثة آلاف وستمائة واثنان وسبعون فنكا ومقدار الفضل بينهما عشرة أيام وثمانية آلاف وسبعمائة وأربعة وستون فنكا فان زادت الايام على زمان الشهر القمرى الاوسط الذي هو تسعة وعشرون يوما وخمسة آلاف وثمانمائة وستة أفناك نقص منها هذا العدد واحتسب بالباقي فاذا عرفت هذا من حسابهم فاعلم أن عمر العالم عندهم ثلثمائة ألف ون وستون ألف ون كل ون عشرة آلاف سنة مضى من ذلك الى أول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ليزدجرد وهى دور شانكون الاعظم ثمانية آلاف ون وثمانمائة ون وثلاثة وستون ونا وتسعة آلاف وسبعمائة وأربعون سنة فتكون المدة العظمي على هذا ثلاثة آلاف ألف ألف ألف سنة وستمائة ألف ألف ألف سنة بهذه الصورة ٣٦٠٠٠٠٠٠٠٠ والماضى منها الى السنة المذكورة ثمانية وثمانون ألف ألف سنة وستمائة ألف سنة وتسعة وثلاثون ألف سنة وسبعمائة سنة وأربعون سنة بهذه الصورة ٨٨٦٣٩٧٤٠ ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله وانما ذكرت طرفا من حساب سني البراهمة وطرفا من حساب سنى الخطا والا يعز المستخرج من حساب الصين ليعلم المنصف أن ذلك لم يضعه حكماؤهم عبثا ولا مرما جدع قصير أنفه وكم من جاهل بالتعالم اذا سمع أقوالهم في مدة سنى العالم يبادر الى تكذيبهم

من غير علم بدليلهم عليه وطريق الحق أن يتوقف فيما لا يعلمه حتى يتبين أحد طرفيه فيرجحه على الآخر والله يعلم وأنتم لا تعلمون * وقال أصحاب السند هند ومعناه الدهر الداهر ان الكواكب وأوجاتها وجوزهراتها تجتمع كلها في أول برج الحمل عند كل أربعة آلاف ألف ألف سنة وثلثمائة ألف ألف سنة وعشرين ألف ألف سنة شمسية وهذه مدة سنى العالم قالوا واذا جمعت برأس الحمل فسدت المكونات الثلاث التي يحويها عالم الكون والفساد المعبر عنه بالحياة الدنيا وهذه المكونات هى المعدن والنبات والحيوان فاذا فسدت بقى العالم السفلى خرابا دهرا طويلا الي أن تتفرق الكواكب والاوجات والجوزهرات في بروج الفلك فاذا تفرقت فيها بدأ الكون بعد الفساد فعادت أحوال العالم السفلى الى الامر الاول وهذا يكون عودا بعد بدء الى غير نهاية قالوا ولكل واحد من الكواكب والاوجات والجو زهرات عدة أدوار فى هذه المدة يدل كل دور منها على شئ من المكونات كما هو مذكور فى كتبهم مما لا حاجة بنا هنا الى ذكره وهذا القول منتزع من قول البراهمة الذى تقدم ذكره * وقال أصحاب الهازروان من قدماء الهند ان كل ثلثمائة ألف سنة وستين ألف سنة شمسية يهلك العالم بأسره ويبقى مثل هذه المدة ثم يعود بعينه ويعقبه البدل وهكذا أبدا يكون الحال لا الى نهاية قالوا ومضى من أيام العالم المذكورة الى طوفان نوح عليه السلام مائة ألف وثمانون ألف سنة شمسية ومضي من الطوفان الى سنة الهجرة المحمدية ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث وعشرون سنة وأربعة أشهر وأيام وبقى من سني العالم حتى يبتدئ ويفنى مائة ألف وبضع وسبعون ألف سنة شمسية أولها تاريخ الهجرة الذى يؤرخ به أهل الاسلام * وقال أصحاب الازجهير مدة العالم التي تجتمع فيها الكواكب برأس الحمل هى وأوجاتها وجوزهراتها جزء من ألف جزء من مدة السند هند وهذا أيضا منتزع من قول البراهمة * وقال أبو معشر وابن بوبخت ان بعض الفرس يرى أن عمر الدنيا اثنا عشر ألف سنة بعدة البروج لكل برج ألف سنة فكان ابتداء أمر الدنيا في أول ألف الحمل لان الحمل والثور والجوزاء تسمي أشرف الشرف وينسب الى الحمل الفصل وفيها تكون الشمس في شرفها وعلوها وطول نهارها ولذلك الدنيا كانت الى ثلاثة آلاف سنة علوية روحانية طاهرة ولان السرطان والاسد والسنبلة منتقصة فان الشمس تنحط من علوها فى أول دقيقة من السرطان وكان قدر الدنيا وأبنائها منحطا فى الثلاثة آلاف الثانية ولان الميزان أهبط الهبوط وبئر الآبار وضد البرج الذي فيه شرف الشمس دل على أنه أصابت الدنيا واكتسب أهلها المعصية والميزان والعقرب والقوس اذا نزلتها الشمس لم تزدد الا انحطاطا والايام الا نقصانا فلذلك دلت على البلايا والضيق والشدة والشر وحيث تبلغ الآلاف الى أول الجدى الذى فيه أول ارتفاع الشمس واشرافها على شرفها

وفيه تزداد الايام طولا والدلو والحوت اللذان تزداد الشمس فيهما صعودا حتى تصل لشرفها فيدل على ظهور الخير وضعف الشر وثبات الدين والعقل والعمل بالحق والعدل ومعرفة فضل العلم والادب فى تلك الثلاثة الآلاف سنة وما يكون فى ذلك فعلى قدر صاحب الالف والمائة والعشرة وعلى حسب اتفاق الكواكب في أول سلطان صاحب الالف فلا يزال ذلك في زيادة حتي يعود أمر الدنيا فى آخرها الي مثل ما كان عليه ابتداؤها وهي في ألف الحمل وكلما تقارب آخر كل ألف من هذه الالوف اشتد الزمان وكثرت البلايا لان أواخر البرج في حدود النحوس وكذلك فى آخر المئين والعشرات فعلى هذا الانقضاء للدنيا اذا كان الزمان يعود الى الحمل كما بدا أول مرة وزعموا أن ابتداء الخلق بالتحرك كان والشمس في ابتداء المسير فدار الفلك وجرت المياه وهبت الرياح واتقدت النيران وتحرك سائر الخلائق بما هم عليه من خير وشر والطالع تلك الساعة تسع عشرة درجة من برج السرطان وفيه المشترى وفى البيت الرابع الذى هو بيت العافية وهو برج الميزان زحل وكان الذنب في القوس والمريخ والجدى والزهرة وعطارد فى الحوت ووسط السماء برج الحمل وفى أول دقيقة منه الشمس وكان القمر فى الثور وفي بيت السعادة وكان الرأس في برج الجوزاء وهو بيت الشقاء وفى تلك الدقيقة من الساعة كان استقبال أمر الدنيا فكان خيرها وشرها وانحطاطها وارتفاعها وسائر ما فيها على قدر مجارى البروج والنجوم وولاية أصحاب الالوف وغير ذلك من احوالها ولان المشترى كان فى السرطان في شرفه وزحل في الميزان فى شرفه والمريخ والشمس والقمر فى اشرافها دلت على كائنة جليلة فكان نشو العالم وانبرز زحل فتولى الالف هو والميزان وكان المشترى فى الطالع مقبولا وكذلك جميع الكواكب كانت مقبولة فدل على نماء العالم وحسن نشوه وكان زحل هو المستولى والعالى فى الفلك والبرج طويل المطالع فطالت اعمار تلك الالف وقويت ابدانهم وكثرت مياههم وكون الميزان تحت الارض دل على خفاء اول حدوث العالم وعلى ان اهل ذلك الزمان ينظرون فى عمارة الارضين وتشييد البنيان ثم ولى الالف الثاني العقرب والمريخ وكان فى الطالع المريخ فدل على القتل في ذلك الالف وسفك الدماء والسبى والظلم والجور والخوف والهم والاحزان والفساد وجور الملوك وولي الالف الثالث القوس وشاركه عطارد والزهرة بطلوعهما وكان الذنب فى القوس فدل المشترى على النجدة فى تلك الالف والشدة والجلد والبأس والرياسة والعدل وتقسيم الملوك الدنيا وسفك الدماء بسبب ذلك ودلت الزهرة على ظهور بيوت العبادة وعلى الانبياء ودل عطارد على ظهور العقل والادب والكلام وكون البرج مجسدا دل على انقلاب الخير والشر فى تلك الالف مرات وعلى ظهور ألوان من آيات الحق والعدل والجور ثم ولى الالف الرابع الجدى وكان فيه المريخ فدل على ما كان

فى تلك الالف من اهراق الدماء ودات الشمس على ظهور الخير والعلم ومعرفة الله تعالى وعبادته وطاعته وطاعة أنبيائه والرغبة فى الدين مع الشجاعة والجلد وكون البرج منقلبا هو والبرج الذى فيه الشمس دل على انقلاب ذلك فى آخرها وظهور الشر والتفرق والقسم والقتل وسفك الدماء والغصب فى اصناف كثيرة وتحول ذلك وتلونه وكون الجدي منحطا دل على انه يظهر فى آخر تلك الالف الحسن الشبيه بصفة زحل والمريخ وانقطاع العظماء والحكماء وبوارهم وارتفاع السفلة وخراب العامر وعمارة الخراب وكثرة تلون الاشياء وولي الالف الخامس الدلو بطلوع القمر وكان القمر في الثور فدل الدلو لبرودته وعسره على سقوط العظماء وعطلة امرهم وارتفاع السفلة والعبيد ومحمدة البخلاء وظهور الجيش الاسود والسواد وعلى كثرة التفتيش والتفكر وظهور الكلام فى الاديان ومحبة الخصومات وكون القمر في شرفه يدل على قهر الملوك وظهور ولاة الحق ونفاذ الخير وظهور بيوت العبادة والكف عن الدماء والراحة والسعادة في العامة وثبات ما يكون من العدل والخير وطول المدة فيه وكون البرج مائيا يدل على كثرة الامطار والغرق وآفة من البرد يهلك فيها الكثير ويلى الالف السادس برج الحوت بطلوع المشترى والرأس فيدل على المحمدة فى الناس عامة وعلى الصلاح والخير والسرور وذهاب الشر وحسن العيش ولكل واحد من الكواكب ولاية ألف سنة فصار عطارد خاتما في برج السنبلة وزعم ابن بوبخت أن من يوم سارت الشمس الى تمام خمس وعشرين من ملك انوشروان ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبع وستون سنة وذلك في ألف الجدي وتدبير الشمس ومنه الى اليوم الاول من الهجرة سبع وثمانون سنة شمسية وستة وعشرون يوما ومن الهجرة الى قيام يزدجرد تسع سنين وثلثمائة وسبعة وثلاثون يوما فذلك الجميع الى أن قام يزدجرد ثلاثة آلاف وتسعمائة وست وستون سنة * وقال ابو معشر وزعم قوم من الفرس أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعدة الكواكب السبعة * وزعم ابو معشر أن عمر الدنيا ثلثمائة ألف سنة وستون ألف سنة وأن الطوفان كان في النصف من ذلك على رأس مائة ألف وثمانين ألف سنة * وقال قوم عمر الدنيا تسعة آلاف سنة لكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة ألف سنة وللرأس ألف سنة وللذنب ألف سنة وشرها ألف الذنب وأن الاعمار طالت في تدبير الآف الثلاثة العلوية وقصرت فى آلاف الكواكب السفلية وقال قوم عمر الدنيا تسعة عشر ألف سنة بعدد البروج الاثنى عشر لكل برج ألف سنة وبعدد الكواكب السبعة السيارة لكل كوكب ألف سنة وقال قوم عمر الدنيا احد وعشرون ألف سنة بزيادة ألف للرأس وألف للذنب وقال قوم عمر الدنيا ثمانية وسبعون ألف سنة فى تدبير برج الحمل اثنا عشر ألف سنة وفى تدبير برج الثور احد عشر ألف

سنة وفى تدبير الجوزاء عشرة آلاف سنة فكانت الاعمار في هذا الربع اطول والزمان أجد ثم تدبير الربع الثانى مدة أربعة وعشرين ألف سنة فتكون الاعمار دون ما كانت في الربع الاول وتدبير الربع الثالث خمسة عشر ألف سنة وتدبير الربع الرابع ستة آلاف سنة وقال قوم كانت المدة من آدم الى الطوفان الفين وثمانين سنة واربعة اشهر وخمسة عشر يوما ومن الطوفان الى ابراهيم عليه السلام تسعمائة واثنتين وأربعين سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما فذلك ثلاثة آلاف ومائتان وثلاث وعشرون سنة وقال قوم من اليهود عمر الدنيا سبعون ألف سنة منحصرة فى ألف جيل ولفقوا ذلك من قول موسى عليه السلام فى صلاته ان الجيل سبعون سنة ومن قوله في الزبور ان ابراهيم عليه السلام قطع معه الله تعالى عهد البقاء البشر ألف جيل فجاء من ذلك أن مدة الدنيا سبعون ألف سنة واستظهروا لقولهم هذا بما فى التوراة من قوله واعلم أن الله الملك هو القادر المهيمن الحافظ العهد والفضل لمحبيه وحافظي وصاياه لالف جيل * وذكر أبو الحسن على بن الحسين المسعودي فى كتاب أخبار الزمان عن الاوائل أنهم قالوا كان في الارض ثمان وعشرون أمة ذات ارواح وأيد وبطش وصور مختلفات بعدد منازل القمر لكل منزلة أمة منفردة تعرف بها تلك الامة ويزعمون أن تلك الامم كانت الكواكب الثابتة تدبرها وكانوا يعبدونها ويقال لما خلق الله تعالى البروج الاثنى عشر قسم دوامها فى سلطانها فجعل للحمل اثنى عشر ألف عام وللثور أحد عشر ألف عام وللجوزاء عشرة آلاف عام وللسرطان تسعة آلاف عام وللاسد ثمانية آلاف عام وللسنبلة سبعة آلاف عام وللميزان ستة آلاف عام وللعقرب خمسة آلاف عام وللقوس أربعة آلاف عام وللجدى ثلاثة آلاف عام وللدلو ألفى عام وللحوت ألف عام فصار الجميع ثمانية وسبعين ألف عام فلم يكن في عالم الحمل والثور والجوزاء حيوان وذلك ثلاثة وثلاثون ألف عام فلما كان عالم السرطان تكونت دواب الماء وهوام الارض فلما كان عالم الاسد تكونت ذوات الاربع من الوحش والبهائم وذلك بعد تسعة آلاف عام من خلق دواب الماء والهوام فلما كان عالم السنبلة تكون الانسانان الاولان وهما أدمانوس وحنوانوس وذلك لتمام سبعة عشر ألف عام لخلق دواب الماء وهوام الارض ولتمام ثمانية آلاف عام من خلق ذوات الاربع وخلقت الارض في عالم الميزان ويقال بل خلقت الارض اولا وأقامت خالية ثلاثة وثلاثين ألف عام ليس فيها حيوان ولا عالم روحانى ثم خلق الله تعالى هوام الماء ودواب الارض وما بعد ذلك على ما تقدم ذكره فلما تم أربعة وعشرون ألف عام لخلق دواب الماء وهوام الارض ولتمام خمسة عشر ألف عام من خلق ذوات الاربع ولتتمة سبعة آلاف عام من لدن تكون الانسانين خلقت الطيور ويقال ان مدة مقام الانسانين ونسلهما في الارض مائة ألف وثلاثة وثلاثون ألف عام منها لزحل ستة وخمسون

ألف عام وللمشترى أربعة وأربعون ألف عام وللمريخ ثلاثة وثلاثون ألف عام ويقال ان الامم المخلوقات قبل آدم هي كانت الجيلة الاولى وهي ثمان وعشرون امة بازاء منازل القمر خلقت من أمزجة مختلفة اصلها الماء والهواء والارض والنار فتباين خلقها فمنها أمة خلقت طوالا زرقا ذوات اجنحة كلامهم قرقعة على صفة الاسود ومنها امة أبدانهم أبدان الاسود ورؤسهم رؤس الطير لهم شعور وآذان طوال وكلامهم دوى ومنها امة لها وجهان وجه أمامها ووجه خلفها ولها أرجل كثيرة وكلامهم كلام الطير ومنها أمة ضعيفة في صور الكلاب لها أذناب وكلامهم همهمة لا يعرف ومنها امة تشبه بني آدم أفواههم فى صدورهم يصفرون اذا تكلموا تصفيرا ومنها امة يشبهون نصف انسان لهم عين واحدة ورجل يقفزون بها قفزا ويصيحون كصياح الطير ومنها أمة لها وجوه كوجوه الناس وأصلاب كاصلاب السلاحف فى رؤسهم قرون طوال لا يفهم كلامهم ومنها أمة مدورة الوجوه لهم شعور بيض وأذنات كاذناب البقر ورؤسهم في صدورهم لهم شعور وثدى وهم اناث كلهن ليس فيهن ذكر يلقحن من الريح ويلدن امثالهن ولهن اصوات مطربة يجتمع اليهن كثير من هذه الامم لحسن اصواتهن ومنها امة على خلق بني آدم سود وجوههم ورؤسهم كرؤس الغربان ومنها امة فى خلق الهوام والحشرات الا انها عظيمة الاجسام تأكل وتشرب مثل الانعام ومنها أمة كوجوه دواب البحر لها أنياب كانياب الخنازير وآذان طوال ويقال ان هذه الثمانية والعشرين أمة تناكحت فصارت مائة وعشرين أمة * وسئل أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه هل كان في الارض خلق قبل آدم يعبدون الله تعالى فقال نعم خلق الله الارض وخلق فيها الجن يسبحون الله ويقدسونه لا يفترون وكانوا يطيرون الى السماء ويلقون الملائكة ويسلمون عليهم ويستعلمون منهم خبر مافى السماء ثم ان طائفة منهم تمردت وعتت عن أمر ربها وبغت فى الارض بغير الحق وعدا بعضهم على بعض وجحدوا الربوبية وكفروا بالله وعبدوا ما سواه وتغايروا على الملك حتى سفكوا الدماء وأظهروا في الارض الفساد وكثر تقاتلهم وعلا بعضهم على بعض وأقام المطيعون لله تعالى على دينهم وكان ابليس من الطائفة المطيعة لله والمسبحين له وكان يصعد الى السماء فلا يحجب عنها لحسن طاعته ويروى أن الجن كانت تفترق على احدى وعشرين قبيلة وأن بعد خمسة آلاف سنة ملكوا عليهم ملكا يقال له شملال بن ارس ثم افترقوا فملكوا عليهم خمسة ملوك وأقاموا على ذلك دهرا طويلا ثم أغار بعضهم على بعض وتحاسدوا فكانت بينهم وقائع كثيرة فأهبط الله تعالى اليهم ابليس وكان اسمه بالعربية الحارث وكنيته ابو مرة ومعه عدد كثير من الملائكة فهزمهم وقتلهم وصار ابليس ملكا على وجه الارض فتكبر وطغى وكان من امتناعه من السجود لآدم ما كان فأهبطه الله تعالى الى الارض فسكن البحر وجعل عرشه على الماء فالقيت

عليه شهوة الجماع وجعل لقاحه لقاح الطير وبيضه ويقال ان قبائل الجن من الشياطين خمس وثلاثون قبيلة خمس عشرة قبيلة تطير في الهواء وعشر قبائل مع لهب النار وثلاثون قبيلة يسترقون السمع من السماء ولكل قبيلة ملك موكل يدفع شرها ومنهم صنف من السعالى يتصورون فى صور النساء الحسان ويتزوجن برجال الانس ويلدن منهم ومنهم صنف على صور الحيات اذا قتل أحد منهم واحدة هلك من وقته فان كانت صغيرة هلك ولده أو عزيز عنده * وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ان الكلاب من الجن فاذا رأوكم تأكلون فألقوا اليهم من طعامكم فان لهم انفسا يعني انهم يأخذون بالعين وقد روى ان الارض كانت معمورة بأمم كثيرة منهم الطم والرم والجن والبن والحسن والبسن وان الله تعالى لما خلق السماء عمرها بالملائكة ولما خلق الله الارض عمرها بالجن فعاثوا وسفكوا الدماء فأنزل الله اليهم جندا من الملائكة فأتوا على اكثرهم قتلا وأسرا فكان ممن اسر ابليس وكان اسمه عزازيل فلما صعد به الى السماء أخذ نفسه بالاجتهاد فى العبادة والطاعة رجاء أن يتوب الله عليه فلما لم يجد ذلك عليه شيئاً خامر الملائكة القنوط فأراد الله أن يظهر لهم خبث طويته وفساد نيته فخلق آدم فامتحنه بالسجود له ليظهر للملائكة تكبره وابانة ماخفى عنهم من مكتوم أنبائه والى عمارة الارض قبل آدم ممن أفسد فيها أشار بقوله تعالى حكاية عن الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء يعنون كما فعل بها من قبل والله أعلم بمراده وقال أبو بكر بن احمد بن على بن وحشية في كتاب الفلاحة انه عرب هذا الكتاب ونقله من لسان الكلدانيين الى اللغة العربية وانه وجده من وضع ثلاثة حكماء قدماء وهم صعريت وسوساد وفوقاى ابتداه الاول وكان ظهوره في الالف السابعة من سبعة آلاف سنى زحل وهي الالف التى يشارك فيها زحل القمر وتممه الثانى وكان ظهوره فى آخر هذه الالف واكمله الثالث وكان ظهوره بعد مضي أربعة آلاف سنة من دور الشمس الذى هو سبعة آلاف سنة وانه نظر الى ما بين زمان الاول والثالث فكان ثمانية عشر ألف سنة شمسية وبعض الالف التاسعة عشر قد اختلف أهل الاسلام في هذه المسألة أيضاً فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال الدنيا جمعة من جمع الآخرة واليوم الف سنة فذلك سبعة آلاف سنة وروى سفيان عن الاعمش عن أبي صالح قال قال كعب الاحبار الدنيا ستة آلاف سنة * وعن وهب بن منبه أنه قال وقد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة انى لاعرف كل زمان منها ومن فيه من الانبياء فقيل له فكم الدنيا قال ستة آلاف سنة وروى عبد الله بن دينار عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أجلكم فى أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وفي حديث أبي هريرة الحقب ثمانون

عاما اليوم منها سدس الدنيا والحقب هنا بكسر الحاء وضمها * قال أبو محمد الحسن بن أحمد ابن يعقوب الهمداني في كتاب الاكليل وكأن الدنيا جزء من أربعة آلاف وسبعمائة وثلاثة وعشرين جزأ وثلث جزء من الحقب على أن السنة القمرية ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم فاذا كانت الدنيا ستة آلاف سنة واليوم ألف سنة تكون سنين قمريه ستة آلاف ألف سنة فاذا جعلناه جزأ وضربناه في أجزاء الحقب وهي أربعة آلاف وسبعمائة سنة وثلاث وعشرون وثلث خرج من السنين ثمانية وعشرون ألف ألف ألف وثلثمائة ألف ألف وأربعون ألف ألف واذا كانت جمعة من جمع الآخرة زدنا مع هذا العدد مثل سدسه وهذا عدد الحقب * وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى الصواب من القول مادل على صحته الخبر الوارد فذكر قوله عليه السلام أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وقوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وقوله عليه السلام بعثت أنا والساعة جميعا ان كادت لتسبقني قال فمعلوم ان كان اليوم أوله طلوع الشمس وآخره غروب الشمس وكان صحيحا عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وقوله بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وكان قدر مابين أوسط أوقات صلاة العصر وذلك اذا صار ظل كل شئ مثليه على التحرى انما يكون قدر نصف سبع اليوم يزيد قليلا أو ينقص قليلا وكذلك فضل مابين الوسطى والسبابة انما يكون نحوا من ذلك وكان صحيحا مع ذلك قوله عليه السلام لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم يعنى نصف اليوم الذى مقداره ألف سنة فأولى القولين اللذين أحدهما عن ابن عباس والآخر عن كعب قول ابن عباس ان الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف واذا كان كذلك وكان قد جاء عنه عليه السلام أن الباقى من ذلك في حياته نصف يوم وذلك خمسمائة عام اذا كان ذلك نصف يوم من الايام التي قدر الواحد منها ألف عام كان معلوما أن الماضى من الدنيا الى وقت قوله عليه السلام ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة أونحو ذلك وقد جاء عنه عليه السلام خبر يدل على صحة قول من قال ان الدنيا كلها ستة آلاف سنة لو كان صحيحا لم يعد القول به الى غيره وهو حديث أبى هريرة يرفعه الحقب ثمانون عاما اليوم منها سدس الدنيا فتبين من هذا الخبر أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة وذلك انه حيث كان اليوم الذى هو من أيام الآخرة مقداره الف سنة من سنى الدنيا وكان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا كان معلوما أن جميعها ستة أيام من أيام الآخرة وذلك ستة آلاف سنة وقال أبو القاسم السهيلي وقد مضت الخمسمائة من وفاته صلى الله عليه وسلم الى اليوم بنيف عليها وليس في قوله لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم ماينفى الزيادة على النصف ولا فى قوله بعثت انا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تأويله يعني الطبرى فقد نقل في

تأويله غير هذا وهو أنه ليس بينه وبين الساعة نبي ولا شرعة غير شرعته مع التقريب لحينها كما قال تعالى اقتربت الساعة وقال أتى أمر الله فلا تستعجلوه ولكن اذا قلنا انه عليه السلام انما بعث فى الالف الآخر بعد ما مضت منه سنون ونظرنا الى الحروف المقطعة فى أوائل السور وجدناها أربعة عشر حرفا يجمعها قولك *(ألم يسطع نص حق كره)* (٣) ثم تأخذ العدد على حساب أبي جاد فيجيء تسعمائة وثلاثة ولم يسم الله تعالى أوائل السور الا هذه الحروف فليس يبعد أن يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدها الاشارة الى هذا العدد من السنين لما قدمناه من حديث الالف السابع الذى بعث عليه السلام فيه غير ان الحساب يحتمل أن يكون من مبعثه أو من وفاته أو من هجرته وكل قريب بعضه من بعض فقد جاء أشراطها ولكن لا تأتيكم الا بغتة وقد روى انه عليه السلام قال ان احسنت امتي فبقاؤها يوم من ايام الآخرة وذلك الف سنة وان اساءت فنصف يوم ففى الحديث تتميم للحديث المتقدم وبيان له اذ قد انقضت الخمسمائة والامة باقية وقال شاد ان البلخي المنجم مدة ملة الاسلام ثلثمائة وعشر سنين وقد ظهر كذب قوله ولله الحمد وقال ابو معشر يظهر بعد المائة والخمسين من سنى الهجرة اختلاف كثير وقال حراس ان المنجمين أخبروا كسرى انوشروان بملك العرب وظهور النبوة فيهم وان دليلهم الزهرة وهي في شرفها والزهرة دليل العرب فتكون مدة ملك نبوتهم الفا وستين سنة ولان طالع القران الدال على ذلك برج الميزان والزهرة صاحبته فى شرفها قال وسأل كسرى وزيره بزرجمهر عن ذلك فأعلمه ان الملك يخرج من فارس وينتقل الى العرب وتكون ولادة القائم بامرة العرب لخمس واربعين سنة من وقت القران وان العرب تملك المشرق والمغرب من اجل ان المشترى دليل فارس قد قبل تدبير الزهرة دليل العرب والقران قد انتقل من المثلثة الهوائيـة الى المثلثة المائية والى برج العقرب منها وهو دليل العرب ايضا وهذه الادلة تقتضى بقاء الملة الاسلامية بقدر دور الزهرة وهو الف وستون سنة شمسية وقال نفيل الرومي وكان فى ايام بني امية تبقى ملة الاسلام قدر مدة القران الكبيرة وهي تسعمائة وستون سنة شمسية فاذا عاد القران بعد هذه المدة الى برج العقرب كما كان فى ابتداء الملة وتغير وضع تشكيل الفلك عن هيئته فى الابتداء فحينئذ يفتر العمل ويجدد مايوجب خلاف الظن * قال واتفقوا على ان خراب العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتى تهلك المكونات بأسرها وذلك اذا قطع قلب الاسد أربعا وعشرين درجة من برج الاسد الذى هو حد المريخ بعد تسعمائة وستين سنة شمسية من قران الملة ويقال ان ملك رابلستان وهي عزبة بعث الى عبد الله أمير المؤمنين المأمون بحكيم اسمه دوبان في جملة هدية فأعجب به المأمون وساله عن مدة ملك بني العباس فاخبره بخروج الملك عن عقبه واتصاله في عقب أخيه وأن العجم تغلبهم على الخلافة فيتغلب الديلم أولا ثم يسوء حالهم حتى يظهر

الترك من شمال المشرق فيملكون الفرات والروم والشام وقال يعقوب بن اسحاق الكندي مدة ملة الاسلام ستمائة وثلاث وتسعون سنة * وقال الفقيه الحافظ أبو محمد على بن أحمد ابن سعيد بن حزم وأما اختلاف الناس في التاريخ فان اليهود يقولون أربعة آلاف سنة والنصارى يقولون الدنيا خمسة آلاف سنة وأما نحن يعنى أهل الاسلام فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا ومن ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة او أكثر أو اقل فقد قال مالم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لفظة تصح بل صح عنه عليه السلام خلافه بل نقطع على أن للدنيا أمدا لا يعلمه الا الله تعالى قال الله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنتم في الامم قبلكم الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود والشعرة السوداء في الثور الابيض وهذه نسبة من تدبرها وعرف مقدار عدد أهل الاسلام ونسبة ما بأيديهم من معمور الارض وانه الاكثر علم أن للدنيا أمدا لا يعلمه الا الله تعالى وكذلك قوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين وضم اصبعيه المقدستين السبابة والوسطى وقد جاء النص بأن الساعة لا يعلم متى تكون الا الله تعالى لا أحد سواه فصح أنه صلى الله عليه وسلم انما عنى شدة القرب لافضل السبابة على السباحة اذ لو أراد ذلك لاخذت نسبة مابين الاصبعين ونسب من طول الاصبع فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة وهذا باطل وأيضا فكان تكون نسبته صلى الله عليه وسلم ايانا الى من قبلنا بأننا كالشعرة فى الثور كذبا ومعاذ الله من ذلك فصح أنه عليه السلام انما أراد شدة القرب وله صلى الله عليه وسلم منذ بعث أربعمائة عام ونيف والله تعالى أعلم بما بقى للدنيا فاذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عند ماسلف لقلته وتفاهته بالاضافة الى مامضى فهو الذى قاله صلى الله عليه وسلم من اننا فيمن مضى كالشعرة في الثور او الرقمة في ذراع الحمار وقد رأيت بخط الامير أبي محمد عبد الله بن الناصر قال حدثني محمد بن معاوية القرشي أنه رأى بالهند بلدا له اثنتان وسبعون ألف سنة وقد وجد محمود بن سبكتكين بالهند مدينة يؤرخون بأربعمائة ألف سنة قال أبو محمد الا أن لكل ذلك أولا ولابد ونهاية لم يكن شئ من العالم موجودا قبله ولله الامر من قبل ومن بعد والله أعلم

﴿ ذكر التواريخ التي كانت للامم قبل تاريخ القبط ﴾

التاريخ كلمة فارسية أصلها ماروز ثم عرب * قال محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف البلخي فى كتاب مفاتيح العلوم وهو كتاب جليل القدر وهذا اشتقاق بعيد لولا أن الرواية جاءت به وقال قدامة بن جعفر في كتاب الخراج تاريخ كل شئ آخره وهو في الوقت غايته يقال فلان تاريخ قومه اى اليه ينتهى شرفهم ويقال ورخت الكتاب توريخا وأرخته تأريخا اللغة الاولى لتميم والثانية لقيس ولكل أهل ملة تاريخ فكانت الامم تؤرخ أولا بتاريخ

الخليقة وهو ابتداء كون النسل من آدم عليه السلام ثم أرخت بالطوفان وأرخت بخت نصر وأرخت بفيلبش وأرخت بالاسكندر ثم بأغشطش ثم بأنطيس ثم بدقلطيانوس وبه تؤرخ القبط ثم لم يكن بعد تاريخ القبط الا تاريخ الهجرة ثم تاريخ يزدجرد فهذه تواريخ الامم المشهورة وللناس تواريخ أخر قد انقطع ذكرها * فأما تاريخ الخليقة ويقال له ابتداء كون النسل وبعضهم يقول بدو التحرك فان لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس في كيفيته وسياقة التاريخ منه خلافا كثيرا قال المجوس والفرس عمر العالم اثنا عشر ألف عام على عدد بروج الفلك وشهور السنة وزعموا أن زرادست صاحب شريعتهم قال ان الماضي من الدنيا الى وقت ظهوره ثلاثة آلاف سنة مكبوسة الارباع وبين ظهور زرادست وأول تاريخ الاسكندر ثلاثة آلاف ومائتا سنة وثمان وخمسون سنة واذا حسبنا من أول يوم كيومرت الذى هو عندهم الانسان الاول وجمعنا مدة كل من ملك بعده فان الملك ملصق فيهم غير منقطع عنهم كان العدد منه الى الاسكندر ثلاثة آلاف وثمانمائة وأربعا وخمسين سنة فاذا لم يتفق التفصيل مع الجملة وقال قوم الثلاثة الآلاف الماضية انما هى من خلق كيومرت فانه مضي قبله ألف سنة والفلك فيها واقف غير متحرك والطبائع غير مستحيلة والامهات غير متمازجة والكون والفساد غير موجود فيها والارض غير عامرة فلما تحرك الفلك حدث الانسان الاول في معدن النهار وتولد الحيوان وتوالد وتناسل الانس فكثروا وامتزجت أجزاء العناصر للكون والفساد فعمرت الدنيا وانتظم العالم * وقال اليهود الماضى من آدم الى الاسكندر ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمان وأربعون سنة وقال النصارى المدة بينهما خمسة آلاف ومائة وثمانون سنة وزعموا أن اليهود نقصوها ليقع خروج عيسي ابن مريم عليه السلام في الالف الرابع وسط السبعة آلاف التي هى مقدار العالم عندهم حتى تخالف ذلك الوقت الذى سبقت البشارة من الانبياء الذين كانوا بعد موسى بن عمران عليه السلام بولادة المسيح عيسى واذا جمع ما في التوراة التي بيد اليهود من المدة التى بين آدم عليه السلام وبين الطوفان كانت ألفاً وستمائة وستاً وخمسين سنة وعند النصارى في انجيلهم ألفان ومائتا سنة واثنتان وأربعون سنة وتزعم اليهود أن توراتهم بعيدة عن التخاليط وتزعم النصارى أن توراة السبعين التي هى بأيديهم لم يقع فيها تحريف ولا تبديل وتقول اليهود فيها خلاف ذلك وتقول السامرية بأن توراتهم هى الحق وما عداها باطل وليس في اختلافهم ما يزيل الشك بل يقوى الجالبة له وهذا الاختلاف بعينه بين النصاري أيضاً في الانجيل وذلك ان له عند النصاري أربع نسخ مجموعة في مصحف واحد أحدها انجيل متي والثانى لمارقوس والثالث للوقا والرابع ليوحنا قد ألف كل من هؤلاء الاربعة انجيلا على حسب دعوته في بلاده وهى مختلفة اختلافا كثيرا حتى فى صفات المسيح عليه السلام

وأيام دعوته ووقت الصلب بزعمهم وفى نسبه أيضاً وهذا الاختلاف لا يحتمل مثله ومع هذا فعند كل من أصحاب مرقيون وأصحاب ابن ديصان انجيل يخالف بعضه هذه الاناجيل ولاصحاب مانى انجيل على حدة يخالف ما عليه النصارى من أوله الى آخره وزعمون أنه هو الصحيح وما عداه باطل ولهم أيضاً انجيل يسمي انجيل السبعين ينسب الى تلامس والنصارى وغيرهم ينكرونه واذا كان الامر من الاختلاف بين أهل الكتاب كما قد رأيت ولم يكن للقياس والرأى مدخل فى تمييز حق ذلك من باطله امتنع الوقوف على حقيقة ذلك من قبلهم ولم يعول على شئ من أقوالهم فيه وأما غير أهل الكتاب فانهم أيضاً مختلفون في ذلك * قال أسوش بين خلق آدم وبين ليلة الجمعة أول الطوفان ألفا سنة ومائتا سنة وست وعشرون سنة وثلاثة وعشرون يوما وأربع ساعات وقال ماشاه واسمه منشا ابن أثرى منجم المنصور والمأمون في كتاب القرانات أول قران وقع بين زحل والمشترى في بدء التحرك يعنى ابتداء النسل من آدم كان على مضى خمسمائة وتسع سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما مضت من ألف المريخ فوقع القران في برج الثور من المثلثة الارضية على سبع درج واثنتين وأربعين دقيقة وكان انتقال الممر من برج الميزان ومثلثته الهوائية الى برج العقرب ومثلثته المائية بعد ذلك بألفى سنة وأربعمائة سنة واثنتى عشرة سنة وستة أشهر وستة وعشرين يوما ووقع الطوفان فى الشهر الخامس من السنة الاولى من القران الثانى من قرانات هذه المثلثة المائية وكان بين وقت القران الاول الكائن في بدء التحرك وبين الشهر الذى كان فيه الطوفان ألفان ألفان وأربعمائة وثلاث وعشرون سنة وستة أشهر واثنا عشر يوما قال وفى كل سبعة آلاف سنة وسنتين وعشرة أشهر وستة أيام يرجع القران الى موضعه من برج الثور الذي كان في بدء التحرك وهذا القول أعزك الله هو الذى اشتهر حتي ظن كثير من الملل أن مدة بقاء الدنيا سبعة آلاف سنة فلا تغتر به وتنبه الي أصله تجده أوهي من بيت العنكبوت فاطرحه وقيل كان بين آدم وبين الطوفان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وقيل كانت بينهما مدة ألفين ومائتين وست وخمسين سنة وقيل ألفان وثمانون سنة * وأما تاريخ الطوفان فانه يتلو تاريخ الخليقة وفيه من الاختلاف ما لا يطمع فى حقيقته من أجل الاختلاف فيما بين آدم وبينه وفيما بينه وبين تاريخ الاسكندر فان اليهود عندهم أن بين الطوفان وبين الاسكندر ألفاً وسبعمائة واثنتين وتسعين سنة وعند النصارى بينهما ألفا سنة وتسعمائة وثمان وثلاثون سنة والفرس وسائر المجوس والكلدانيون أهل بابل والهند وأهل الصين وأصناف الامم المشرقية ينكرون الطوفان وأقر به بعض الفرس لكنهم قالوا لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب ولم يعم العمران كله ولا غرق الا بعض الناس ولم يجاوز عقبة حلوان ولا بلغ الي ممالك المشرق قالوا ووقع

في زمان طمهورث وان أهل المغرب لما أنذر حكماؤهم بالطوفان اتخذوا المباني العظيمة كالهرمين بمصر ونحوهما ليدخلوا فيها عند حدوثه ولما بلغ طمهورث الانذار بالطوفان قبل كونه بمائة واحدى وثلاثين سنة أمر باختيار مواضع في مملكته صحيحة الهواء والتربة فوجد ذلك باصبهان فأمر بتجليد العلوم ودفنها فيها في أسلم المواضع ويشهد لهذا ما وجد بعد الثلثمائة من سني الهجرة في حي من مدينة أصبهان من التلال التي انشقت عن بيوت مملوءة أعدالا عدة كثيرة قد ملئت من لحاء الشجر التي تلبس بها القسي وتسمى التوز مكتوبة بكتابة لم يدر أحد ما هي وأما المنجمون فانهم صححوا هذه السنين من القران الاول من قرانات العلويين زحل والمشترى التى أثبت علماء أهل بابل والكلدانيين مثلها اذا كان الطوفان ظهوره من ناحيتهم فان السفينة استقرت على الجودى وهو غير بعيد من تلك النواحي قالوا وكان هذا القران قبل الطوفان بمائتين وعشرين سنة ومائة وثمانية أيام واعتنوا بامرها وصححوا ما بعدها فوجدوا ما بين الطوفان وبين أول ملك بخت نصر الاول ألفى سنة وستمائة وأربع سنين وبين بخت نصر هذا وبين الاسكندر أربعمائة وست وثلاثون سنة وعلى ذلك بني أبو معشر أوساط الكواكب في زيجه وقال كان الطوفان عند اجتماع الكواكب في آخر برج الحوت وأول برج الحمل وكان بين وقت الطوفان وبين تاريخ الاسكندر قدر ألفي سنة وسبعمائة وتسعين سنة مكبوسة وسبعة أشهر وستة وعشرين يوما وبينه وبين يوم الخميس أول المحرم من السنة الاولى من سني الهجرة النبوية ألف ألف يوم وثلثمائة ألف يوم وتسعة وخمسون ألف يوم وتسعمائة يوم وثلاثة وسبعون يوما يكون من السنين الفارسية المصرية ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة سنة وخمساً وعشرين سنة وثلثمائة يوم وثمانية وأربعين يوما ومنهم من يرى أن الطوفان كان يوم الجمعة وعند أبي معشر أنه كان يوم الخميس ولما تقرر عنده الجملة المذكورة وخرجت له المدة التى تسمى أدوار الكواكب وهي بزعمهم ثلثمائة ألف وستون ألف سنة شمسية وأولها متقدم على وقت الطوفان بمائة ألف وثمانين ألف سنة شمسية حكم بان الطوفان كان في مائة ألف وثمانين ألف سنة وسيكون فيما بعد كذلك ومثل هذا لا يقبل الا بحجة أو من معصوم * وأما تاريخ بخت نصر فانه على سني القبط وعليه يعمل في استخراج مواضع الكواكب من كتاب المجسطى ثم أدوار قالليس وأول أدواره في سنة ثماني عشرة وأربعمائة لبخت نصر وكل دور منها ست وسبعون سنة شمسية وكان قالليس من جلة أصحاب التعاليم وبخت نصر هذا ليس هو الذى خرب بيت المقدس وانما هو آخر كان قبل بخت نصر مخرب بيت المقدس بمائة وثلاث وأربعين سنة وهو اسم فارسى أصله بخت برسى ومعناه كثير البكاء والانين ويقال له بالعبرانية نصار وقيل تفسيره عطارد وهو ينطق وذلك لنحيبه على الحكمة وتغريب أهلها ثم عرب

فقيل بخت نصر * وأما تاريخ فيلبش فانه على سني القبط وكثيرا ما يستعمل هذا التاريخ
من موت الاسكندر البناء المقدوني وكلا الامرين سواء فان القائم بعد البناء هو فيلبش
فسواء كان من موت الاول أو من قيام الآخر فان الحالة المؤرخة هي كالفصل المشترك
بينهما وفيلبش هذا هو أبو الاسكندر المقدوني ويعرف هذا التاريخ بتاريخ الاسكندرانيين
وعليه بني تاون الاسكندراني في تاريخه المعروف بالقانون والله أعلم * وأما تاريخ الاسكندر
فانه على سني الروم وعليه يعمل أكثر الامم الى وقتنا هذا من أهل الشام وأهل بلاد
الروم وأهل المغرب والاندلس والفرنج واليهود وقد تقدم الكلام عليه عند ذكر
الاسكندرية من هذا الكتاب * وأما تاريخ أغشطش فانه لا يعرف اليوم أحد يستعمله
واغشطش هذا هو أول القياصرة ومعني قيصر بالرومية شق عنه فان أغشطش هذا لما
حملت به أمه ماتت في المخاض فشق بطنها حتي أخرج منه فقيل قيصر وبه يلقب من بعده
من ملوك الروم ويزعم النصارى أن المسيح عليه السلام ولد لاربعين سنة من ملكه وفي
هذا القول نظر فانه لا يصح عند سياقة السنين والتواريخ بل يجيء تعديل ولادته عليه
السلام في السنة السابعة عشر من ملكه * وأما تاريخ أنطينس فان بطليموس صحح الكواكب
الثابتة في كتابه المعروف بالمجسطي لاول ملكه على الروم وسنو هذا التاريخ رومية

ذكر تاريخ القبط

اعلم أن السنة الشمسية عبارة عن عود الشمس في فلك البروج اذا تحركت على خلاف
حركة الكل الى أى نقطة فرضت ابتداء حركتها وذلك أنها تستوفى الازمنة الاربعة التى
هى الربيع والصيف والخريف والشتاء وتحوز طبائعها الاربع وتنتهى الى حيث بدأت وفى
هذه المدة يستوفى القمر اثنتي عشرة عودة وأقل من نصف عودة ويستهل اثنتي عشرة
مرة فجعلت المدة التي فيها عودات القمر الاثنتا عشرة في فلك البروج سنة للقمر على جهة
الاصطلاح وأسقط الكسر الذى هو أحد عشر يوما بالتقريب فصارت السنة على قسمين
سنة شمسية وسنة قمرية وجميع من على وجه الارض من الامم أخذوا تواريخ سنيهم من
مسير الشمس والقمر فالآخذون بسير الشمس خمس أمم هم اليونانيون والسريانيون والقبط
والروم والفرس والآخذون بسير القمر خمس أمم هم الهند والعرب واليهود والنصارى
والمسلمون * فأهل قسطنطينية والاسكندرية وسائر الروم والسريانيون والكلدانيون
وأهل مصر ومن يعمل برأي المعتضد أخذوا بالسنة الشمسية التي هي ثلثمائة وخمسة وستون
يوما وربع يوم بالتقريب وصيروا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وألحقوا الارباع بها في كل أربع سنين
يوما حتي انجبرت السنة وسموا تلك السنة كبيسة لانكباس الارباع فيها * وأما قبط مصر
القدماء فانهم كانوا يتركون الارباع حتى يجتمع منها أيام سنة تامة وذلك في كل ألف وأربعمائة

وستين سنة ثم يكبسونها سنة واحدة ويتفقون حينئذ فى أول تلك السنة مع أهل الاسكندرية وقسطنطينية * وأما الفرس فانهم جعلوا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما من غير كبس حتى اجتمع لهم من ربع اليوم فى مائة وعشرين سنة أيام شهر تام ومن خمس الساعة الذى يتبع ربع اليوم عندهم يوم واحد فألحقوا الشهر التام بها فى كل مائة وست عشرة سنة واقتفى أثرهم فى هذا أهل خوارزم القدماء والصغد ومن دان بدين فارس وكانت الملوك البيشدادية منهم وهم الذين ملكوا الدنيا بحذافيرها يعملون السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما كل شهر منها ثلاثون يوما سواء وكانوا يكبسون السنة كل ست سنين بيوم ويسمونها كبيسة وكل مائة وعشرين سنة بشهرين أحدهما بسبب خمسة الايام والثانى بسبب ربع اليوم وكانوا يعظمون تلك السنة ويسمونها المباركة * وأما قدماء القبط وأهل فارس فى الاسلام وأهل خوارزم والصغد فتركوا الكسور أعنى الربع وما يتبعه أصلا * وأما العبرانيون وجميع بني اسرائيل والصابئون والحرانيون فانهم أخذوا السنة من مسير الشمس وشهورها من مسير القمر لتكون أعيادهم وصيامهم على حساب قمرى وتكون مع ذلك حافظة لاوقاتها من السنة فكبسوا كل تسع عشرة سنة قمرية بستة أشهر ووافقهم النصارى فى صومهم وبعض أعيادهم لان مدار أمرهم على نسخ اليهود وخالفوهم في الشهور الى مذهب الروم والسريانيين وكانت العرب في جهالتها تنظر الى فضل ما بين سنتهم وسنة القمر وهو عشرة أيام واحدى وعشرون ساعة وخمس ساعة فيلحقون ذلك بها شهرا كلما تم منها ما يستوفى أيام شهر ولكنهم كانوا يعملون على أنه عشرة أيام وعشرون ساعة وكان يتولى ذلك النساة من بنى كنانة المعروفون بالقلامس واحدهم قلمس وهو البحر الغزير وهو أبو ثمامة جنادة بن عوف بن أمية بن قلع وأول من فعل ذلك منهم حذيفة بن عبد فقيم وآخر من فعله أبو ثمامة وأخذ العرب الكبس من اليهود قبل مجيء دين الاسلام بنحو المائتى سنة وكانوا يكبسون في كل أربع وعشرين سنة تسعة أشهر حتي تبقى أشهر السنة ثابتة مع الازمنة على حالة واحدة لا تتأخر عن أوقاتها ولا تتقدم الى أن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى عليه انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين فخطب صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فبطل النسيء وزالت شهور العرب عما كانت عليه وصارت أسماؤها غير دالة على معانيها * وأما أهل الهند فانهم يستعملون رؤية الاهلة في شهورهم ويكبسون كل تسعمائة سنة وسبعين يوما بشهر قمرى ويجعلون ابتداء تاريخهم اتفاق اجتماع فى أول دقيقة من برج ما وأكثر طلبهم لهذا الاجتماع أن يتفق في احدى

نطق الاعتدالين ويسمون السنة الكبيسة بذمات فهذه آراء الخليقة في السنة * وأما اليوم فانه عبارة عن عود الشمس بدوران الكل الى دائرة قد فرضت وقد اختلف فيه فجمله العرب من غروب الشمس الي غروبها من الغد ومن أجل أن شهور العرب مبنية على مسير القمر وأوائلها مقيدة برؤية الهلال والهلال يري لدن غروب الشمس صارت الليلة عندهم قبل النهار وعند الفرس والروم اليوم بليلته من طلوع الشمس بارزة من أفق المشرق الى وقت طلوعها من الغد فصار النهار عندهم قبل الليل واحتجوا على قولهم بأن النور وجود والظلمة عدم والحركة تغلب على السكون لانها وجود لا عدم وحياة لا موت والسماء أفضل من الارض والعامل الشاب أصح والماء الجارى لا يقبل عفونة كالرا كد واحتج الآخرون بأن الظلمة أقدم من النور والنور طارئ عليها فالاقدم يبدأ به وغلبوا السكون على الحركة باضافة الراحة والدعة اليه وقالوا الحركة انما هي الحاجة والضرورة والتعب تنتجه الحركة والسكون اذا دام في الاستقصا آت مدة لم يولد فسادا فاذا دامت الحركة في الاستقصا آت واستحكمت أفسدت وذلك كالزلازل والعواصف والامواج وشبهها وعند أصحاب التنجيم أن اليوم بليلته من موافاة الشمس فلك نصف النهار الي موافاتها اياه في الغد وذلك من وقت الظهر الى وقت العصر وبنوا على ذلك حساب أزياجهم وبعضهم ابتدأ باليوم من نصف الليل وهو صاحب زيج شهر باراز انساه وهذا هو حد اليوم على الاطلاق اذا اشترط الليلة في التركيب فاما على التفصيل فاليوم بانفراده والنهار بمعني واحد وهو من طلوع جرم الشمس الى غروب جرمها والليل خلاف ذلك وعكسه وحد بعضهم أول النهار بطلوع الفجر وآخره بغروب الشمس لقوله تعالى وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل وقال هذان الحدان هما طرفا النهار وعورض بأن الآية انما فيها بيان طرفي الصوم لا تعريف أول النهار وبأن الشفق من جهة المغرب نظير الفجر من جهة المشرق وهما متساويان في العلة فلو كان طلوع الفجر أول النهار لكان غروب الشفق آخره وقد التزم ذلك بعض الشيعة فاذا تقرر ذلك فنقول تاريخ القبط يعرف عند نصاري مصر الآن بتاريخ الشهداء ويسميه بعضهم تاريخ دقلطيانوس

ذكر دقلطيانوس الذى يعرف تاريخ القبط به

اعلم أن دقلطيانوس هذا أحد ملوك الروم المعروفين بالقياصرة ملك فى منتصف سنة خمس وتسعين وخمسمائة من سنى الاسكندر وكان من غير بيت الملك فلما ملك تجبر وامتد ملكه الى مدائن الاكاسرة ومدينة بابل فاستخلف ابنه على مملكة رومة واتخذ تخت ملكه بمدينة أنطاكية وجعل لنفسه بلاد الشام ومصر الى أقصى المغرب فلما كان في السنة التاسعة

عشر من ملكه وقيل الثانيـة عشر خالف عليه أهل مصر والاسكندرية فبعث اليهم وقتل منهم خلقاً كثيراً وأوقع بالنصارى فاستباح دماءهم وغلق كنائسهم ومنع من دين النصارى وحمـل الناس على عبادة الاصنام وبالغ في الاسراف في قتل النصارى وأقام ملكا احـدى وعشرين سنة وهلك بعـد علل صعبة دود منها بدنه وسقطت أسنانه وهو آخر من عبد الاصنام من ملوك الروم وكل من ملك بعده فانما كان على دين النصرانيـة فان الذى ملك بعده ابنه سنةواحدة وقيل أكثر من ذلك ثم ملك قسطنطين الاكبر فأظهر دين النصرانية ونشره في الارض ويقـال ان رجلا ثار بمصر يقال له أجله وخرج عن طاعة الروم فسار اليه دقلطيانوس وحصر الاسكندرية دار الملك يومئذ ثمانية أشهر حتى أخذ أجله وقتله وعم أرض مصر كلها بالسبي والقتل وبعث قائده لحارب سابور ملك فارس وقتل أكثر عسكره وهزمه وأسر امرأته واخوته وأثخن في بلاده وعاد بأسرى كثيرة من رجال فارس ثم أوقع بعامة بلاد رومة فأكثر في قتلهم وسبيهم فكانت أيامه شنعة قتل فيها من أصناف الامم وهـدم من بيوت العبادات ما لا يدخل تحت حصر وكانت واقعته بالنصارى هى الشدة العاشرة وهى أشنع شدائدهم وأطولها لانها دامت عليهم مدة عشر سنين لايفتر يوما واحدا يحرق فيها كنائسهم ويعذب رجالهم ويطلب من استتر منهم أوهرب ليقتل يريد بذلك قطع أثر النصارى وابطال دين النصرانية من الارض فلهذا اتخذوا ابتداء ملك دقلطيانوس تاريخا وكان ابتداء ملكه يوم الجمعة وبينـه وبين يوم الاثنين أول يوم من توت وهو أول أيام ملك الاسكندر بن فيلبش المقـدوني خمسمائة وأربع وتسعون سـنة وأحد عشر شهرا وثلاثة أيام وبين يوم الجمعة أول يوم من تاريخ دقلطيانوس وبين يوم الخميس أول يوم من سنة الهجرة النبوية ثلثمائة وثمان وثلاثون سنة قمرية وتسعة وثلاثون يوما وجعلوا شهور السنة القبطية اثنى عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما سواء فاذا تمت الاشهر الاثنا عشر أتبعوها بخمسة أيام زيادة على عدد أيامها وسموا هذه الخمسة الايام أبو عمنا وتعرف اليـوم بأيام النسئ فيكون الحال فى النسئ على ذلك ثلاث سنين متواليات فاذا كان في السنة الرابعة جعلوا النسئ ستة أيام فتكون سنوهم ثلاث سنين متواليـات كل سنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما والرابعة يصير عددها ثلثمائة وستة وستين يوما ويرجع حكم سنتهم الى حكم سنة اليونانيين بأن تصير سنتهم الوسطي ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم الا أن الـكبس يختلف فاذا كان كبس القبط في سنة كان كبس اليونانيين في السنة الداخلة * (وأسماء شهور القبط) * توت بابه • هاتور • كيهك • طوبه • أمشير • برمهات • برموده • بشنس • بؤونه • أبيب • مسرى • فهذه اثنا عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما واذا كانت عدة شهر مسرى وهو الشهر الثاني عشر زادوا أيام النسئ بعد ذلك وعملوا النوروز أول يوم من شهر توت

ذكر أسابيع الايام

اعلم أن القدماء من الفرس والصفد وقبط مصر الاول لم يكونوا يستعملون الاسابيع من الايام في الشهور وأول من استعملها أهل الجانب الغربي من الارض لاسيما أهل الشام وما حواليه من أجل ظهور الانبياء عليهم السلام فيما هنالك وأخبارهم عن الاسبوع الاول وبدء العالم فيه وأن الله خلق السموات والارض في ستة أيام من الاسبوع ثم انتشر ذلك منهم في سائر الامم واستعملته العرب العاربة بسبب تجاور ديارهم وديار أهل الشام فانهم كانوا قبل تحولهم الى اليمن ببابل وعندهم أخبار نوح عليه السلام ثم بعث الله تعالى اليهم هودا ثم صالحا عليهما السلام وأنزل فيهم ابراهيم خليل الرحمن ابنه اسمعيل عليهما السلام فتعرب اسمعيل وكانت القبط الاول تستعمل اسماء الايام الثلاثين من كل شهر فتجعل لكل يوم منها اسما كما هو العمل في تاريخ الفرس وما زالت القبط على هذا الى أن ملك مصر اغشطش بن بوحس فأراد أن يحملهم على كبس السنين ليوافقوا الروم أبدا فيها فوجدوا الباقي حينئذ الى تمام السنة الكبيسة الكبرى خمس سنين فانتظر حتى مضى من ملكه خمس سنين ثم حملهم على كبس الشهور في كل أربع سنين يوم كما تفعل الروم فترك القبط من حينئذ استعمال اسماء الايام الثلاثين لاحتياجهم في يوم الكبس الى اسم يخصه وانقرض بعد ذلك مستعملو اسماء الايام الثلاثين من أهل مصر والعارفون بها ولم يبق لها ذكر يعرف في العالم بين الناس بل دثرت كما دثر غيرها من اسماء الرسوم القديمة والعادات الاول سنة الله في الذين خلوا من قبل وكانت اسماء شهور القبط في الزمن القديم توت بؤونى أتور سواق طوبى ماكير فامينوت برموتى باحون باونى افيفي ابيقا وكل شهر منها ثلاثون يوما ولكل يوم اسم يخصه ثم أحدث بعض رؤساء القبط بعد استعمالهم الكبس الاسماء التي هي اليوم متداولة بين الناس بمصر الآن من الناس من يسمي كيهك كياك ويقول في برمهات برمهوط وفى بشنس بشانس وفى مسرى ماسورى ومن الناس من يسمى الخمسة الايام الزائدة أيام النسيء ومنهم من يسميها أبو عمنا ومعنى ذلك الشهر الصغير وهي كما تقدم تلحق فى آخر مسرى وفيه يزاد اليوم الكبيس فيكون أبو عمنا ستة أيام حينئذ ويسمون السنة الكبيسة النقط ومعناه العلامة ومن خرافات القبط أن شهورهم هي شهور سنى نوح وشيث وآدم منذ ابتداء العالم وانها لم تزل على ذلك الى أن خرج موسى ببني اسرائيل من مصر فعملوا أول سنتهم خامس عشر نيسان كما أمروا به في التوراة الى أن نقل الاسكندر رأس سنتهم الى أول تشرين وكذلك المصريون نقل بعض ملوكهم أول سنتهم الى أول يوم من ملكه فصار أول توت عندهم يتقدم أول يوم خلق فيه العالم بمائتين وثمانية أيام أولها يوم الثلاثاء وآخرها يوم السبت وكان توت أوله فى ذلك الوقت يوم الاحد وهو أول يوم خلق الله فيه

العالم الذى يقال له الآن تاسع عشرى برمهات وذلك أن أول من ملك على الارض بعد الطوفان نمرود بن كنعان بن حام بن نوح فعمر بابل وهو أبو الكلدانيين وملك بنو مصرايم ابن حام بن نوح عليه السلام متش فبني منف بمصر على النيل وسماها باسم جده مصرايم وهو ثانى ملك ملك على الارض وهذان الملكان استعملا تاريخ جدهما نوح عليه السلام واستن بسنتهم من جاء بعدهم حتى تغيرت كما تقدم

ذكر أعياد القبط من النصارى بديار مصر

روى يونس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال اجتنبوا عيد اليهود والنصارى فان السخط ينزل عليهم فى مجامعهم ولا تتعلموا رطانتهم فتخلقوا ببعض خلقهم * وعن ابن عباس فى قوله تعالى والذين لايشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما قال أعياد المشركين فقيل له أو ما هذا فى الشهادة بالزور فقال لا انما آية شهادة الزور ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا * اعلم أن نصارى مصر من القبط ينتحلون مذهب اليعقوبية كما تقدم ذكره وأعيادهم الآن التي هي مشهورة بديار مصر أربعة عشر عيدا في كل سنة من سنيهم القبطية منها سبعة أعياد يسمونها أعيادا كبارا وسبعة يسمونها أعيادا صغارا * فالاعياد الكبار عندهم عيد البشارة • وعيد الزيتونة • وعيد الفصح • وعيد خميس الاربعين • وعيد الخميس • وعيد الميلاد • وعيد الغطاس • والاعياد الصغار عيد الختان • وعيد الاربعين • وخميس العهد • وسبت النور • واحد الحدود • والتجلى • وعيد الصليب ولهم مواسم أخر ليست هى عندهم من الاعياد الشرعية لكنها عندهم من المواسم العادية وهو يوم النوروز وسأذكر من خبر هذه الاعياد مالا تجده مجموعا فى غير هذا الكتاب على ما استخرجته من كتب النصارى وتواريخ أهل الاسلام * عيد البشارة هذا العيد عيد النصارى أصله بشارة جبريل مريم بميلاد المسيح عليهما السلام وهم يسمون جبريل غبريال ويقولون مارت مريم ويسمون المسيح ياشوع وربما قالوا السيد يشوع وهذا العيد تعمله نصارى مصر في اليوم التاسع والعشرين من شهر برمهات * عيد الزيتونة * ويعرف عندهم بعيد الشعانين ومعناه التسبيح ويكون في سابع أحد من صومهم وسنتهم في عيد الشعانين أن يخرجوا سعف النخل من الكنيسة ويرون أنه يوم ركوب المسيح العنو وهو الحمار في القدس ودخوله الى صهيون وهو راكب والناس بين يديه يسبحون وهو يأمر بالمعروف ويحث على عمل الخير وينهى عن المنكر ويباعد عنه وكان عيد الشعانين من مواسم النصارى بمصر التي تزين فيها كنائسهم فلما كان لعشر خلون من شهر رجب سنة ثمان وسبعين وثلثمائة كان عيد الشعانين فمنع الحاكم بأمر الله أبو على منصور بن العزيز بالله النصارى من تزيين كنائسهم وحملهم الخوص على ماكانت عادتهم وقبض على عدة ممن وجد معه شيأ من ذلك وأمر بالقبض

على ماهو محبس على الكنائس من الاملاك وأدخلها في الديوان وكتب لسائر الاعمال بذلك وأحرقت عدة من صلبانهم على باب الجامع العتيق والشرطة * عيد الفصح* هذا العيد عندهم هو العيد الكبير ويزعمون أن المسيح عليه السلام لما تمالأ اليهود عليه واجتمعوا على تضليله وقتله قبضوا عليه وأحضروه الى خشبة ليصلب عليها فصلب على خشبة عليها لصان وعندنا وهو الحق أن الله تعالى رفعه اليه ولم يصلب ولم يقتل وأن الذى صلب على الخشبة مع اللصين غير المسيح ألقى الله عليه شبه المسيح قالوا واقتسم الجند ثيابه وغشى الارض ظلمة من الساعة السادسة من النهار الى الساعة التاسعة من يوم الجمعة خامس عشر هلال نيسان للعبرانيين وتاسع عشرى برمهات وخامس عشرى آذار سنة (٣) ودفن الشبيه آخر النهار بقبر وأطبق عليه حجر عظيم وختم عليه رؤساء اليهود وأقاموا عليه الحرس باكر يوم السبت كيلا يسرق فزعموا أن المقبور قام من القبر ليلة الاحد سحرا و مضى بطرس ويوحنا التلميذان الى القبر واذا الثياب التي كانت على المقبور بغير ميت وعلى القبر ملاك الله بثياب بيض فأخبرهما بقيام المقبور من القبر قالوا وفي عشية يوم الاحد هذا دخل المسيح على تلاميذه وسلم عليهم وأكل معهم وكلمهم وأوصاهم وأمرهم بأمور قد تضمنها انجيلهم وهذا العيد عندهم بعد عيد الصلبوت بثلاثة أيام *(خميس الاربعين)* ويعرف عند أهل الشام بالمسلاق ويقال له أيضاً عيد الصعود وهو الثانى والاربعون من الفطر ويزعمون أن المسيح عليه السلام بعد أربعين يوماً من قيامته خرج الى بيت عينا والتلاميذ معه فرفع يديه وبارك عليهم وصعد الى السماء وذلك عند اكماله ثلاثا وثلاثين سنة وثلاثة أشهر فرجع التلامذة الى اوراسليم يعني بيت المقدس وقد وعدهم باشتهار أمرهم وغير ذلك مما هو معروف عندهم فهذا اعتقادهم في كيفية رفع المسيح ومن أصدق من الله حديثا *(عيد الخميس)* وهو العنصرة ويعملونه بعد خمسين يوما من يوم القيام وزعموا أن بعد عشرة أيام من الصعود وخمسين يوما من قيامة المسيح اجتمع التلاميذ في علية صهيون فتجلى لهم روح القدس فى شبه ألسنة من نار فامتلأوا من روح القدس وتكلموا بجميع الالسن وظهرت على أيديهم آيات كثيرة فعاداهم اليهود وحبسوهم فنجاهم الله منهم وخرجوا من السجن فساروا في الارض متفرقين يدعون الناس الى دين المسيح *(عيد الميلاد)* يزعمون أنه اليوم الذى ولد فيه المسيح وهو يوم الاثنين فيحيون عشية ليلة الميلاد وسنتهم فيه كثرة الوقود بالكنائس وتزينها ويعملونه بمصر في التاسع والعشرين من كيهك ولم يزل بديار مصر من المواسم المشهورة فكان يفرق فيه أيام الدولة الفاطمية على أرباب الرسوم من الاستادين المحنكين والامراء المطوقين وسائر الموالى من الكتاب وغيرهم الجامات من الحلاوة القاهرية والمثارد التى فيها السميد وقربات الجلاب وطمافير الزلابية والسمك المعروف بالبورى * ومن رسم النصاري في الميلاد اللعب

بالنار * ومن أحسن ما قيل

ما اللعب بالنار في الميلاد من سفه * وانما فيه للاسلام مقصود
ففيه بهت النصاري ان ربهم * عيسى بن مريم مخلوق ومولود

وأدركنا الميلاد بالقاهرة ومصر وسائر أقليم مصر موسما جليلا يباع فيه من الشموع المزهرة بالاصباغ المليحة والتماثيل البديعة بأموال لا تحصر فلا يبقى أحد من الناس أعلاهم وأدناهم حتي يشترى من ذلك لاولاده وأهله وكانوا يسمونها الفوانيس واحدها فانوس ويعلقون منها في الاسواق بالحوانيت شيئاً يخرج عن الحد في الكثرة والملاحة ويتنافس الناس في المغالات في أثمانها حتى لقد أدركت شمعة عملت فبلغ مصروفها ألف درهم وخمسمائة درهم فضة عنها يومئذ ما ينيف على سبعين مثقالا من الذهب وأعرف السؤال في الطرقات أيام هذه المواسم وهم يسألون الله أن يتصدق عليهم بفانوس فيشترى لهم من صغار الفوانيس ما يبلغ ثمنه الدرهم وما حوله ثم لما اختلت أمور مصر كان من جملة ما بطل من عوايد الترف عمل الفوانيس فى الميلاد الا قليلا *(الغطاس)* ويعمل بمصر في اليوم الحادى عشر من شهر طوبه وأصله عند النصارى أن يحيي بن زكرياء عليهما السلام المعروف عندهم بيوحنا المعمداني عمد المسيح أى غسله فى بحيرة الاردن وعند ما خرج المسيح عليه السلام من الماء اتصل به روح القدس فصار النصارى لذلك يغمسون أولادهم في الماء في هذا اليوم وينزلون فيه بأجمعهم ولا يكون ذلك الا في شدة البرد ويسمونه يوم الغطاس وكان له بمصر موسم عظيم الى الغاية * قال المسعودى ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها وهى ليلة الحادى عشر من طوبه ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طفج أمير مصر فى داره المعروفة بالمختار في الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها وقد أمر فأسرج في جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر بشاطئ النيل في تلك الليلة آلاف من الناس من المسلمين ومن النصارى منهم فى الزواريق ومنهم في الدور الدانية من النيل ومنهم على سائر الشطوط لا يتناكرون كل ما يمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجوهر والملاهى والعزف والقصف وهى أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس أكثرهم في النيل ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ونشزة للداء * وقال المسيحي في تاريخه من حوادث سنة سبع وستين وثلثمائة منع النصارى من اظهار ما كانوا يفعلونه في الغطاس من الاجتماع ونزول الماء واظهار الملاهي ونودى أن من عمل ذلك نفي من الحضرة وقال في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة كان الغطاس فضربت الخيام والمضارب والاسرة في عدة مواضع على شاطئ النيل ونصبت

اسرة للرئيس فهد بن ابراهيم النصراني كاتب الاستاد برجوان وأوقدت له الشموع والمشاعل وحضر المغنون والملهون وجلس مع أهله يشرب الى أن كان وقت الغطاس فغطس وانصرف * وقال في سنة احدى وأربعمائة وفي ثامن عشرى جمادى الاولى وهو عاشر طوبه منع النصارى من الغطاس فلم يغطس أحد منهم فى البحر وقال في حوادث سنة خمس عشرة وأربعمائة وفي ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة كان غطاس النصارى فجرى الرسم من الناس في شراء الفواكه والضأن وغيره ونزل أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله لقصر جده العزيز بالله في مصر لنظر الغطاس ومعه الحرم ونودى أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم في البحر فى النيل وضرب بدر الدولة الخادم الاسود متولى الشرطتين خيمة عند الجسر وجلس فيها وأمر أمير المؤمنين بأن توقد النار والمشاعل في الليل وكان وقيدا كثيرا وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران فقسسوا هناك طويلا الى أن غطسوا * وقال ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمائة وذكر الغطاس ففرق أهل الدولة ما جرت به العادة لاهل الرسوم من الاترج والنارنج والليمون في المراكب وأطنان القصب والبورى بحسب الرسوم المقررة بالديوان لكل واحد *(الختان)* يعمل في سادس شهر بؤونه ويزعمون أن المسيح ختن في هذا اليوم وهو الثامن من الميلاد والقبط من دون النصارى تختن بخلاف غيرهم *(الاربعون)* وهو عندهم دخول المسيح الهيكل ويزعمون أن سمعان الكاهن دخل بالمسيح مع أمه وبارك عليه ويعمل في ثامن شهر أمشير *(خميس العهد)* ويعمل قبل الفصح بثلاثة أيام وسنتهم فيه أن يملؤا اناء من ماء ويزمزمون عليه ثم يغتسل للتبرك به أرجل سائر النصارى ويزعمون أن المسيح فعل هذا بتلامذته في مثل هذا اليوم كى يعلمهم التواضع ثم أخذ عليهم العهد أن لا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض وعوام أهل مصر فى وقتنا يقولون خميس العدس من أجل أن النصارى تطبخ فيه العدس المصفى ويقول أهل الشام خميس الارز وخميس البيض ويقول أهل الاندلس خميس ابريل وابريل اسم شهر من شهورهم وكان في الدولة الفاطمية تضرب في خميس العدس هذا خمسمائة دينار فتعمل خراريب تفرق فى أهل الدولة برسوم مفردة كما ذكر في أخبار القصر من القاهرة عند ذكر دار الضرب من هذا الكتاب وأدركنا خميس العدس هذا فى القاهرة ومصر وأعمالها من جملة المواسم العظيمة فيباع فى أسواق القاهرة من البيض المصبوغ عدة ألوان ما يتجاوز حد الكثرة فيقامر به العبيد والصبيان والغوغاء وينتدب لذلك من جهة المحتسب من يردعهم في بعض الاحيان ويهادى النصارى بعضهم بعضاً ويهدون الى المسلمين أنواع السمك المنوع مع العدس المصفى والبيض وقد بطل ذلك لما حل بالناس وبقيت منه بقية *(سبت النور)* وهو قبل الفصح بيوم ويزعمون أن النور يظهر على

قبر المسيح بزعمهم في هـذا اليوم بكنيسة القمامة من القدس فتشـعل مصابيح الكنيسة كلها وقد وقف أهل الفحص والتفتيش على أن هـذا من جملة مخاريق النصارى لصناعة يعملونها وكان بمصر هذا اليوم من جملة المواسم ويكون ثالث يوم من خميس العدس ومن توابعه *(حد الحدود)* وهو بعد الفصح بثمانيـة أيام فيعمل أول أحد بعد الفطر لان الآحاد قبله مشغولة بالصوم وفيه يجددون الآلات والاثاث واللباس ويأخذون في المعاملات والامور الدنيوية والمعاش *(عيد التجلى)* يعمل في ثالث عشر شهر مسرى يزعمون أن المسيح تجلى لتلاميذه بعد ما رفع وتمنوا عليه أن يحضر لهم ايلياء وموسى عليهما السـلام فأحضرهما اليهم بمصلى بيت المقدس ثم صعد الى السماء وتركهم *(عيد الصليب)* ويعمل في اليوم السابع عشر من شهر توت وهو من الاعياد المحـدثة وسببه ظهور الصليب بزعمهم على يد هيلانة أم قسطنطين وله خبر طويل عندهم ملخصه ما أنت تراه *(ذكر قسطنطين)* وقسطنطين هذا هو ابن قسطنش بن وليطنوش بن ارشميوش بن دقيون بن كلوديش بن عايش بن كتبيان اعسب الاعظم الملقب قيصر وهو أول من ثبت دين النصرانية وأمر بقطع الاوثان وهدم هيا كلها وبنيان البيع وآمن من الملوك بالمسيح وكانت أمه هيلانة من مدينة الرها فنشأ بها مع أمه وتعلم العلوم ولم يزل فى غاية من الظفر والسعادة معانا منصورا على كل من حاربه وكان فى أول أمره على دين المجوس شديدا على النصارى مقتاً لدينهم وكان سبب رجوعه عن ذلك الى دين النصرانية انه ابتلى بجذام ظهر عليه فاغتم لذلك غماً شديدا وجمع الحذاق من الاطباء فاتفقوا على أدوية دبروها له وأوجبوا أن يستنقع بعد أخذ تلك الادوية فى صهريج مملوء من دماء أطفال رضع ساعة يسيل منهم فتقدم أمره بجمع جملة من أطفال النـاس وأمر بذبحهـم فى صهريج ليستنقع في دمائهـم وهى طرية فجمعت الاطفال لذلك وبرز ليمضي فيهم ما تقدم به من ذبحهـم فسمع ضجيـج النساء اللاتى أخـذ أولادهن فرحمهن وأمر فـدفع لكل واحدة ابنها وقال احتمال علتي أولى بي وأوجب من هلاك هذه العـدة العظيمة من البشر فانصرف النساء بأولادهن وقد سررن سرورا كثيرا فلما صار من الليل الى مضجعه رأى فى منامه شيخا يقول له انك رحمت الاطفال وأمهاتهم ورأيت احتمال علتك أولى من ذبحهم فقد رحمك الله ووهبك السلامة من علتك فابعث الى رجل من أهل الايمان يدعى شلبشقر قد فر خوفا منك وقف عندما يأمرك به والتزم ما يحضك عليه تتم لك العافية فانتبه مذعورا وبعث في طلب شلبشقر الاسقف فأتى به اليه وهو يظن أنه يريد قتله لما عهده من غلظته على النصارى ومقته لدينهم فعند ما رآه تلقاه بالبشر وأعلمه بما رآه في منامه فقص عليه دين النصرانية وكانت له معه أخبار طويلة مذكورة عندهم فبعث قسطنطين في جمع الاساقفـة المنفيين والمسيرين والتزم دين النصرانية وشفاه الله من

الجذام فأيد الديانة وأعلن بالايمان بدين المسيح وبينا هو في ذلك اذ توقع وثوب أهل رومة عليه وايقاعهم به فخرج عنها وبني مدينة قسطنطينية بنيانا جليلا فعرفت به وسكنها فصارت موضع تخت الملك من عهده وقد كان النصارى من لدن زمان يرون الملك الذى قبل الحواريين ومن بعده ممن ملك رومة في كل وقت يقتلون ويحبسون ويشردون بالنفى فلما سكن قسطنطين مدينة قسطنطينية جمع الى نفسه أهل المسيح وقوى وجوهم وأذل عباد الاوثان فشق ذلك على أهل رومة وخلعوا طاعته وقدموا عليهم ملكا فأهمه ذلك ومرت له معهم عدة أخبار مذكورة في تاريخ رومة ثم انه خرج من قسطنطينية يريد رومة وقد استعدوا الحربه فلما قاربهم أذعنوا له والتزموا طاعته فدخلها فأقام الى أن رجع لحرب الفرس وخرج اليهم فقهرهم ودانت له أكثر ممالك الدنيا فلما كان في عشرين سنة من دولته خرجت الفرس على بعض اطرافه فغزاهم وأخرجهم عن بلاده ورأى في منامه كأن بنود أشبه الصليب قد رفعت وقائلا يقول له ان أردت أن تظفر بمن خالفك فاجعل هذه العلامات على جميع بركك وسككك فلما انتبه أمر بتجهيز أمه هيلانة الى بيت المقدس في طلب آثار المسيح عليه السلام وبناء الكنائس واقامة شعائر النصرانية فسارت الى بيت المقدس وبنت الكنائس فيقال ان الاسقف مقاريوس دلها على الخشبة التي زعموا أن المسيح صلب عليها وقد قص عليها ما عمل به اليهود فحفرت فاذا قبر وثلاث خشبات على شكل الصليب فزعموا انهم ألقوا الثلاث خشبات على ميت واحدة بعد واحدة فقام حيا عندما وضعت عليه الخشبة الثالثة منها فاتخذوا ذلك اليوم عيدا وسموه عيد الصليب وكان في اليوم الرابع عشر من أيلول والسابع عشر من توت وذلك بعد ولادة المسيح بثلثمائة وثمان وعشرين سنة وجعلت هيلانة لخشبات الصليب غلافا من ذهب وبنت كنيسة القمامة ببيت المقدس على قبر المسيح بزعمهم وكانت لها مع اليهود أخبار كثيرة قد ذكرت عندهم ثم انصرفت بالصليب معها الى ابنها ومازال قسطنطين على ممالك الروم الى أن مات بعد أربع وعشرين سنة من ولايته فقام من بعده بممالك الروم ابنه قسطنطين الاصغر وقد كان لعيد الصليب بمصر موسم عظيم يخرج الناس فيه الى بني وائل بظاهر فسطاط مصر ويتظاهرون في ذلك اليوم بالمنكرات من أنواع المحرمات ويمر لهم فيه مايتجاوز الحد فلما قدمت الدولة الفاطمية الى ديار مصر وبنوا القاهرة واستوطنوها وكانت خلافة أمير المؤمنين العزيز بالله أمر فى رابع شهر رجب فى سنة احدى وثمانين وثلثمائة وهو يوم الصليب فمنع الناس من الخروج الى بني وائل وضبط الطرق والدروب ثم لما كان عيد الصليب فى اليوم الرابع عشر من شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة خرج الناس فيه الى بني وائل وجروا على عادتهم فى الاجتماع واللهو وفى صفر سنة اثنتين وأربعمائة قرئ فى سابعه سجل بالجامع العتيق وفى الطرقات كتب عن الحاكم بأمر الله يشتمل على

منع النصارى من الاجتماع على عمل عيد الصليب وأن لا يظهروا بزينتهم فيه ولا يقربوا كنائسهم وأن يمنعوا منها ثم بطل ذلك حتى لم يكد يعرف اليوم بديار مصر البتة *(النيروز)* هو أول السنة القبطية بمصر وهو أول يوم من توت وسنتهم فيه اشعال النيران والتراش بالماء وكان من مواسم لهو المصريين قديما وحديثا قال وهب بردت النار في الليلة التي ألقى فيها ابراهيم وفي صبيحتها على الارض كلها فلم ينتفع بها أحد في الدنيا تلك الليلة وذلك الصباح فمن أجل ذلك بات الناس على النار في تلك الليلة التي رمي فيها ابراهيم عليه السلام ووثبوا عليها وتبخروا بها وسموا تلك الليلة نيروزا والنيروز في اللسان السرياني العيد وسئل ابن عباس عن النيروز لم اتخذوه عيدا فقال انه أول السنة المستأنفة وآخر السنة المنقطعة فكانوا يستحبون أن يقدموا فيه على ملوكهم بالطرف والهدايا فاتخذته الاعاجم سنة قال الحافظ أبو القاسم علي بن عساكر في تاريخ دمشق من طريق ابن عباس رضي الله عنهما قال ان فرعون لما قال للملأ من قومه ان هذا لساحر عليم قالوا له ابعث الى السحرة فقال فرعون لموسى ياموسى اجعل بيننا وبينك موعدا لانخلفه نحن ولا أنت فتجتمع انت وهرون وتجتمع السحرة فقال موسى موعدكم يوم الزينة قال ووافق ذلك يوم السبت في أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وفي رواية ان السحرة قالوا لفرعون أيها الملك واعد الرجل فقال قد واعدته يوم الزينة وهو عيدكم الاكبر ووافق ذلك يوم السبت فخرج الناس لذلك اليوم قال والنوروز أول سنة الفرس وهو الرابع عشر من آذار وفي شهر برمهات ويقال أول من أحدثه جمشيد من ملوك الفرس وانه ملك الاقاليم السبعة فلما كمل ملكه ولم يبق له عدو اتخذ ذلك اليوم عيدا وسماه نوروزا في اليوم الجديد وقيل ان سليمان بن داود عليهما السلام أول من وضعه في اليوم الذي رجع اليه فيه خاتمه وقيل هو اليوم الذي شفي فيه أيوب عليه السلام وقال الله سبحانه وتعالى له اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فجعل ذلك اليوم عيدا وسنوا فيه رش الماء ويقال كان بالشام سبط من بني اسرائيل اصابهم الطاعون فخرجوا الى العراق فبلغ ملك العجم خبرهم فأمر أن تبني عليهم حظيرة يجعلون فيها فلما صاروا فيها ماتوا وكانوا أربعة آلاف رجل ثم ان الله تعالى أوحي الى نبي ذلك الزمان أرأيت بلاد كذا وكذا فخار بهم بسبط بني فلان فقال يارب كيف أحارب بهم وقد ماتوا فأوحى الله اليه اني أحييهم لك فأمطرهم الله ليلة من الليالي في الحظيرة فأصبحوا أحياء فهم الذين قال الله فيهم ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم فرفع أمرهم الى ملك فارس فقال تبركوا بهذا اليوم وليصب بعضكم على بعض الماء فكان ذلك اليوم يوم النوروز فصارت سنة الى اليوم وسئل الخليفة المأمون عن رش الماء في النوروز فقال قول الله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم

أحياهم هؤلاء قوم أجدبوا تقول مات فلان هزالا فغيثوا في هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا فأخصب بلدهم فلما أحياهم الله بالغيث والغيث يسمى الحيا جعلوا صب الماء في مثل هذا اليوم سنة يتبركون بها الى يومنا هذا * وقد روى أن الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف قوم من بني اسرائيل فروا من الطاعون وقيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتل في الجهاد فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك فأماتهم الله ليعرفهم انه لا ينجيهم من الموت شيء ثم أحياهم على يد حزقيل أحد انبياء بني اسرائيل في خبر طويل قد ذكره أهل التفسير * وقال علي ابن حمزة الاصفهاني في كتاب أعياد الفرس ان أول من اتخذ النيروز جمشيد ويقال جمشاد أحد ملوك الفرس الاول ومعنى النوروز اليوم الجديد والنوروز عند الفرس يكون يوم الاعتدال الربيعي كما أن المهرجان أول الاعتدال الخريفي ويزعمون أن النوروز أقدم من المهرجان فيقولون ان المهرجان كان في أيام أفريدون وانه أول من عمله لما قتل الضحاك وهو بيوراسب فجعل يوم قتله عيدا سماه المهرجان وكان حدوثه بعد النوروز بألفي سنة وعشرين سنة * وقال ابن وصيف شاه في ذكر مناوش بن منقاوش أحد ملوك القبط في الدهر القديم وهو أول من عمل النوروز بمصر فكانوا يقيمون سبعة أيام يأكلون ويشربون اكراما للكواكب * وقال ابن رضوان ولما كان النيل هو السبب الاعظم في عمارة أرض مصر رأى المصريون القدماء وخاصة الذين كانوا في عهد قلديانوس الملك أن يجعلوا أول السنة في أول الخريف عند استكمال النيل الحاجة في الامر الاكثر فجعلوا أول شهورهم توت ثم بابه ثم هاتور وعلى هذا الولاء بحسب المشهور من ترتيب هذه الشهور * وقال ابن زولاق وفي هذه السنة يعني سنة ثلاث وستين وثلثمائة منع أمير المؤمنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز في السكك ومن صب الماء يوم النوروز * وقال في سنة أربع وستين وفي يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف أهل الاسواق وعملوا فيه وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة أيام وأظهروا السماجات والحلى في الاسواق ثم أمر المعز بالنداء بالكف وأن لا توقد نار ولا يصب ماء وأخذ قوم فحبسوا وأخذ قوم فطيف بهم على الجمال * وقال ابن المأمون فى تاريخه وحل موسم النوروز فى اليوم التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة بالنوروز من الطراز وثغر الاسكندرية مع مايتبعها من الآلات المذهبة والحريري والسوادج وأطلق جميع ماهو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها واسماء أربابها واصناف النوروز البطيخ والرمان وعناقيد الموز وأفراد البسر وأقفاص التمر القوصى وأقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ومن لحم الضأن ومن لحم البقر من كل لون بكلة مع خبز مارق قال وأحضر كاتب الدفتر الحسابات بما جرت به العادة من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها في

يوم النوروز وغير ذلك من جميع الاصناف وهو أربعة آلاف دينار ذهبا وخمسة عشر ألف درهم فضة والكسوات عدة كثيرة من شقق ديبقية مذهبات وحريريات ومعاجر وعصائب نسائيات ملونات وسقولاد مذهب وحريري ومسفع وفوط ديبقية حريرية فأما العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عمن تحوزه القصور ودار الوزارة والشيوخ والاصحاب والحواشي والمستخدمين ورؤساء العشاريات وبحاريها ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب * وأما الاصناف من البطيخ والرمان والبسر والموز والسفرجل والعناب والهرائس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشركهم فيه جميع الامراء أرباب الاطواق والانصاف وغيرهم من الاماثل والاعيان ممن له جاه ورسم فى الدولة * وقال القاضى الفاضل في متجددات سنة أربع وثمانين وخمسمائة يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطى وهو مستهل توت وتوت أول سنتهم وقد كان بمصر في الايام الماضية والدولة الخالية من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالاتهم فكانت المنكرات ظاهرة فيه والفواحش صريحة فيه ويركب فيه أمير موسوم بأمير النوروز ومعه جمع كثير ويتسلط على الناس فى طلب رسم رتبه ويرسم على دور الاكابر بالجمل الكبار ويكتب مناشير ويندب مرسمين كل ذلك يخرج مخرج الطير ويقنع بالميسور من الهبات ويجتمع المغنون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة وبأيديهم الملاهى وترتفع الاصوات ويشرب الخمر والمزر شربا ظاهرا بينهم وفي الطرقات ويتراش الناس بالماء وبالماء والخمر وبالماء ممزوجا بالاقذار وان غلط مستور وخرج من بيته لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بحرمته فاما أن يفدى نفسه وأما أن يفضح ولم يجر الحال على هذا ولكن قد رش الماء في الحارات وقد أحيا المنكرات في الدور أرباب الخسارات * وقال في متجددات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وجرى الامر فى النوروز على العادة من رش الماء واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفر به في الطريق رش بمياه نجسة وخرق به وما زال يوم النوروز يعمل فيه ما ذكر من التراش بالماء والتصافع بالجلود وغيرها الى أن كانت أعوام بضع وثمانين وسبعمائة وأمر الدولة بديار مصر وتدبيرها الى الامير الكبير برقوق قبل أن يجلس على سرير الملك ويتسمي بالسلطان فمنع من لعب النوروز وهدد من لعبه بالعقوبة فانكف الناس عن اللعب في القاهرة وصاروا يعملون شيئا من ذلك في الخلجان والبرك ونحوها من مواضع التنزه بعد ما كانت أسواق القاهرة تتعطل فى يوم النوروز من البيع والشراء ويتعاطي الناس فيه من اللهو واللعب ما يخرجون عن حد الحياء والحشمة الى الغاية من الفجور والعهور وقلما انقضي يوم نوروز الا وقتل فيه قتيل أو أكثر ولم يبق الآن للناس من الفراغ ما يقتضي ذلك ولا من الرفه

والبطر ما يوجب لهم عمله وما أحسن قول بعضهم

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سكني * وكل ما فيه يحكيني وأحكيه
فتارة كلهيب النار في كبدى * وتارة كتوالى دمعتي فيه

(وقال آخر)

نورز الناس ونورزت ولكن بدموعي
وذكت نارهم والنار ما بين ضلوعى

(وقال آخر)

ولما أتي النوروز يا غاية المنى * وأنت على الاعراض والهجر والصد
بعثت بنار الشوق ليلا الى الحشا * فنورزت صبحا بالدموع على الخد

(ذكر ما يوافق أيام الشهور القبطية من الاعمال في الزراعات وزيادة النيل وغير ذلك)
(على ما نقله أهل مصر عن قدمائهم واعتمدوا عليه فى أمورهم)

اعلم أن المصريين القدماء اعتمدوا في تاريخهم السنة الشمسية كما تقدم ذكره ليصير الزمان محفوظا وأعمالهم واقعة في أوقات معلومة من كل سنة لا يتغير وقت عمل من أعمالهم بتقديم ولا تأخير البتة *(توت)* بالقبطى هو أيلول وكانت عادة مصر مذ عهد فراعنتها فى استخراج خراجها وجباية أموالها انه لا يستتم استيفاء الخراج من أهلها الا عند تمام الماء وافتراشه على سائر أرضها ويقع اتمامه في شهر توت فاذا كان كذلك وربما كانت زيادة عن ذلك أطلق الماء فى جميع نواحيها من ترعها ثم لا يزال يترجج في الزيادة والنقصان حتي يفرغ توت وفى أوله يكون يوم النوروز ورابعه أول أيلول وسابعه يلقط الزيتون وثانى عشره يطلع الفجر بالصرفة وسابع عشره عيد الصليب فيشرط البلسان ويستخرج دهنه ويفتح ما يتأخر من الابحر والترع وترتب المدامسة لحفظ الجسور وفي ثامن عشره تنقل الشمس الى برج الميزان فيدخل فصل الخريف وفى خامس عشريه يطلع الفجر بالعوا ويكبر صغار السمك وفي هذا الشهر يعم ماء النيل أراضى مصر وفيه تسجل النواحى وتسترفع السجلات والقوانين وتطلق التقاوي من الغلال لتخضير الاراضى وفيه يدرك الرمان و البسر والرطب والزيتون والقطن والسفرجل وفيه يكون هبوب ريح الشمال أقوى من هبوب ريح الجنوب وهبوب الصبا أقوى من الدبور وكان قدماء المصريين لا ينصبون فيه أساسا وفيه يكثر بمصر العنب الشتوي وتبذر المحمضات * (بابه) في أوله يحصد الارز ويزرع الفول والبرسيم وسائر الحبوب التى لا تشق لها الارض وفي رابعه أول تشرين الاول وفي ثامنه طلوع الفجر بالسماك وهو نهاية زيادة النيل وابتداء نقصه وقد لا يتم الماء فيه فيعجز بعض الارض عن أن يركبها الماء فيكون من ذلك نقص الخراج عن الكمال وفى تاسعه يكون

مجئ الكراكي الى أرض مصر وفي عاشره يزرع الكتان وفى ثانى عشره يكون ابتداء شق الارض بصعيد مصر لبذر القمح والشعير وفى ثامن عشره تنقل الشمس الى برج العقرب ويقطع الخشب وفي تاسع عشره يكون ابتداء نقص ماء النيـل ويكثر البعوض وفي حادى عشريه يطلع الفجر بالغفر * وفي هذا الشهر تصرف المياه عن الاراضي ويخرج المزارعون لتخضير الاراضى فيبدؤن ببذر زراعـة القرط ثم بزراعة الغلة البدرية أولا فأولا وفيـه يستخرج دهن الآس ودهن النيلوفر ويدرك التمر والزبيب والسمسم والقلقاس وفيه يكثر صغار السمك ويقل كباره ويسمن الراى والابرميس من السمك خاصة وتستحكم حلاوة الرمان ويكون فيه أطيب منـه فى سائر الشهور التى يكون فيها ويضع الضأن والمعز والبقر الخيسية وفيه يملح السمك المعروف بالبورى ويهزل الضأن والمعز والبقر ولا تطيب لحومها وتدرك المحمضات وفيه يجب كتابة التذاكر بالاعمال القوصية وفيه يغرس المنثور ويزرع السلجم * (هاتور) فى خامسه يكون أول تشرين الثانى ويطلع الفجر بالزبانا فى رابعه وفي سادسه يزرع الخشخاش وفى سابعه يصرف ماء النيل عن أراضى الكتان ويبذر فى النصف منه وبعد تمام شهر يسبخ وفى ثامنه أوان المطر الوسمي وفي حادى عشره تهب ريح الجنوب وفي خامس عشره تبرد المياه بمصر وفي سابع عشره يطلع الفجر بالاكليل وفي ثامن عشره تحل الشمس برج القوس وفي تاسع عشره يغلق البحر الملح وفي سابع عشريه تهب الرياح اللواقح * وفي هذا الشهر يلبس أهل مصر الصوف من سابعه وفيه يكسر ما يحتاج اليه من قصب السكر برسم المعاصر وبراح الغلة في جميع ما يحتاج اليه فيها ويهتم بعلف أبقارهـا وجمالها بعد بيع شارفها وعاجزها والتعويض عنه بغيره وأفراد الاتبان برسم وقود القنود وترتيب القوامصة لعمل الاباليج والقواديس والامطار برسم القنود والاعسال وفيه يدرك البنفسج والنيلوفر والمنثور ومن البقولات الاسباناخ والبلسان واختار قدماء المصريين في هاتور نصب الاساسات وزرع القمح وأطيب حملان السنة حمله وفيه يكثر العنب الذى كان يحمل من قوص * (كيهك) أوله الاربعينات بمصر ويدخل الطـير وكره وفي سادسه بشارة مريم بحمل عيسي عليهما السلام وفي سابعه أول كانون الاول وفي عاشره آخر الليالى البلق وأولها أول هاتور وفي حادى عشره أول الليالى السود ويدخل النمل الاحجرة وفي ثالث عشره يطلع الفجر بالشولة وتظهر البراغيث ويسخن باطن الارض وفي سادس عشره يسقط ورق الشجر وفي سابع عشره تنقل الشمس الى برج الجدى فيدخل فصل الشتاء ويزرع الهليون وفي حادى عشريه يكون آخر الليالى البلق وفي ثانى عشريه عيد البشارة وفي ثالث عشريه تزرع الحلبة والترمس وفي سادس عشريه يطلع الفجر بالنعائم وفي ثامن عشريه يبيض النعام وفى تاسع عشريه الميـلاد * وفي هـذا الشهر يزرع الخيار بعد

اغراق أرضه وفيه يتكامل بذر القمح والشعير والبرسيم الحراثى وفيه يستخرج خراج البرسيم بدار الوجه القبلي وفيه ترتب حراس الطير وفيه كسر قصب السكر واعتصاره واستخدام الطباخين لطبخ القنود وفيه يكون ادراك النرجس والمحمضات والفول الاخضر والكرنب والجزر والكراث الابيض واللفت وفيه يقل هبوب ريح الشمال ويكثر هبوب ريح الجنوب وفيه يجود الجدا ويكون أطيب منها فى جميع الشهور التي يكون فيها وفيه يزرع أكثر حبوب الحرث ولا يزرع بعده فى شي من أرض مصر غير السمسم والمقاثى والقطن *(طوبه)* فى ثالثه ابتداء زراعة الحمص والجلبان والعدس وفى سادسه أول كانون الثانى وفى تاسعه يطلع الفجر بالبلد وعاشره صوم الغطاس وحادى عشره الغطاس وفى ثانى عشره يشتد البرد وفى رابع عشره يرتفع الوباء بمصر ويغرس النخل وفى سابع عشره تحل الشمس أول برج الدلو ويكثر الندى ويكون ابتداء غرس الاشجار وفى العشرين منه يكون آخر الليالي السود وحادى عشريه الليالى البلق الثانية وفى ثانى عشريه يطلع الفجر بسعد الذابح وفى ثالث عشريه تهب الرياح الباردة وفى رابع عشريه تفرخ جوارح الطير وفى خامس عشريه يكون نتاج الابل المحمودة وفى سابع عشريه يصفو ماء النيل وفى ثامن عشريه يتكامل ادراك القرط * وفى هذا الشهر تقلم الكروم وينظف زرع الغلة من اللبسان وغيره وينظف زرع الكتان من الفجل وغيره وفيه تبرش الاراضي أول سكة برسم الصيافى والمقاثى والقطن والسمسم وينتهى برشها في أول أمشير وفيه تسقى أرض القلقاس والقصب وتشق الجسور فى آخره وفيه تستخرج أراضي الخرس ويكثر القصب الراس بعد افراز ما يحتاج اليه من الزريعة وهو لكل فدان طين قيراط طيب قصب راس وفيه يهتم بعمارة السواقي وحفر الآبار وابتياع الابقار وفيه يظهر اللوز الاخضر والنبق والهليون وفيه أيضا يكون هبوب ريح الجنوب أكثر من هبوب الشمال وهبوب الصبا أكثر من هبوب الدبور وفيه يكون الباقلا الاخضر والجزر أطيب منهما في غيره وفيه يتناهى ماء النيل في صفائه ويخزن فلا يتغير في أوانيه ولو طال لبثه فيها وفيه تطيب لحوم الضأن أطيب منها فى سائر الشهور وفيه تربط الخيول والبغال على القرط من أجل ربيعها وبطوبه يطالب الناس بافتتاح الخراج ومحاسبة المتقبلين على الثمن من السجلات من جميع ما بأيديهم من المحلول والمعقود *(أمشير)* في أوله تختلف الرياح وفي خامسه يطلع الفجر بسعد بلع وفى سادسه يكون أول شباط وفي تاسعه يجرى الماء في العود وحادى عشره أول جمرة باردة وسادس عشره تحل الشمس بأول برج الحوت وفى سابع عشره يخرج النمل من الاحجرة وفى ثامن عشره يطلع الفجر بسعد السعود وفى العشرين منه ثانى جمرة فاترة وفى ثالث عشريه تقلم الكروم وخامس عشريه يفرخ النحل وسابع عشريه ثالث جمرة حامية ويورق الشجر وهو آخر غرسها وفى آخره

يكون آخر الليالي البلق * وفي هذا الشهر يقلع السلاجم ويستخرج خراجه وفيه يثنى برش
الصيافي وتبرش أيضا ثالث سكة وفيه يعمل مقاطع الجسور وتمسح الاراضى ويرقد البيض
في المعامل أربعة أشهر آخرها بشنس وفيه يكون ريح الشمال أكثر الرياح هبوبا وفيه ينبغي
أن تعمل أواني الخزف للماء لتستعمل فيه طول السنة فان ما عمل فيه من أواني الخزف يبرد
الماء في الصيف أكثر من تبريد ما يعمل فى غيره من الشهور وفيه يتكامل غرس الشجر
وتقليم الكروم وفيه يدرك النبق واللوز الاخضر ويكثر البنفسج والمنثور * ويقال أمشير
يقول للزرع سير ويلحق بالطويل القصير وفيه يقل البرد ويهب الهواء الذى فيه سخونة ما
وفي أمشير يؤخذ الناس فيه باتمام ربع الخراج من السجلات * (برمهات) * أول يوم منه
يطلع الفجر بالاخبية وفي خامسه يحضن دود القز وسادسه يزرع السمسم وثاني عشره يقلع
الكتان ورابع عشره يكون أول الاعجاز ويطلع الفجر بالفرغ المقدم وفي سادس عشره
تفتح الحيات أعينها وفي سابع عشره تنقل الشمس الى برج الحمل وهو أول فصل الربيع
ورأس سنة الجند ورأس سنة العالم وفي العشرين منه يكون آخر الاعجاز وثاني عشريه نتاج
الخيل المحمودة وثالث عشريه يظهر الذباب الازرق وخامس عشريه تظهر هوام الارض
وسابع عشريه يطلع الفجر بالفرغ المؤخر وفي آخره يتفرق السحاب * وفي هذا الشهر
تجرى المراكب السفرية في البحر الملح الى ديار مصر من المغرب والروم ويهتم فيه بتجريد
الاجناد الى الثغور كالاسكندرية ودمياط وتنيس ورشيد وفيه كانت تجهز الاساطيل
ومراكب الشواني لحفظ الثغور وفيه زرع المقاثى والصيفى ويدرك الفول والعدس ويقلع
الكتان وتزرع اقصاب السكر في الارض المبروشة المختارة لذلك البعيدة العهد عن الزراعة
ويأخذ المقشرون في تنظيف الارض المزروعة من القش في وقت الزراعة ويأخذ القطاعون
في قطع الزريعة ويأخذ المزارعون في رمي قطع القصب وفيه يؤخذ فى تحصيل النطرون
وحمله من وادى هيبت الى الشونة السلطانية وفيه يكون ريح الشمال أكثر الرياح هبوبا
وفيه تزهر الاشجار وينعقد أكثر ثمارها وفيه يكون اللبن الرائب أطيب منه فى جميع
الشهور التي يعمل فيها وفي برمهات يطالب الناس بالربع الثانى والثمن من الخراج * (برموده) *
فى سادسه أول نيسان وفى عاشره يطلع الفجر بالرشاء وفى ثانى عشره يقلع الفجل وفى سابع
عشره تحل الشمس أول برج الثور وفى ثالث عشريه يطلع الفجر بالشرطين وهو رأس
الحمل وأول منازل القمر وفيه ابتداء كسار الفول وحصاد القمح وهو ختام الزرع * وفى
هذا الشهر يهتم بقطع خشب السنط من الخراج الذى كان بمصر فى القديم أيام الدولة
الفاطمية والايوبية ويجر الى السواحل لتيسر حمله فى زمن النيل الى ساحل مصر ليعمل
شوانى وأحطابا برسم الوقود في المطابخ السلطانية وفيه يكثر الورد ويزرع الخيار شنبر

والملوخيا والباذنجان وفيه يقطف أوائل عسل النحل وينفض بزر الكتان وأحسن ما يكون الورد فيه من جميع زمانه وفيه يظهر البطن الاول من الجميز وفيه تقع المساحة على أهل الاعمال ويطالب الناس باغلاق نصف الخراج من سجلاتهم ويحصد بدرى الزرع *(بشنس)* في خامسه تكثر الفاكهة وسادسه أول ايار وفيه طلوع الفجر بالبطين وثامنه عيد الشهيد وتاسعه انفتاح البحر المالح ورابع عشره يزرع الارز وثامن عشره تحل الشمس أول برج الجوزاء وفيه يطيب الحصاد وفى تاسع عشره يطلع الفجر بالثريا وفيه زراعة الارز والسمسم ورابع عشريه يكون عيد البلسان بالمطرية ويزعمون انه اليوم الذى دخلت فيه مريم الى مصر* وفي هذا الشهر يكون دراس الغلة وهدار الكتان ونفض البزر والتقاوى والاتبان وحملها وفيه زراعة البلسان وتقليمه وسقيه وتكريم أراضيه من بؤونة الى آخر هاتور واستخراج دهنه بعد شرطه في نصف توت وان كان فى أوله فهو أصلح الى آخر هاتور وصلاح أيامه أيام الندى ويقيم في الندى سنة كاملة الي أن يشرب أعكاره وأوساخه ويطبخ الدهن فى الفصل الربيعي في شهر برمهات فيعمل لكل رطل مصرى أربعة وأربعون رطلا من مائة فيحصل منه قدر عشرين درهما وما حولها من الدهن * وفي هذا الشهر أكثر ما يهب من الرياح الشمالية وفيه يدرك التفاح القاسمى ويبتدى فيه التفاح المسكي والبطيخ العبدلي ويقال انه أول ما عرف بمصر عندما قدم اليها عبد الله بن طاهر بعد المائتين من سنى الهجرة فنسب اليه وقيل له العبدلى وفيه أيضا يبتدئ البطيخ الجربي والمشمش والخوخ الزهرى ويجني الورد الابيض وفيه تقرر المساحة ويطالب الناس بما يضاف الى المساحة من أبواب وجوه المال كالصرف والجهبذة وحق المراعي والقرط والكتان على رسوم كل ناحية ويستخرج فيه اتمام الربع مما تقررت عليه العقود والمساحة ويطلق الحصاد لجميع الناس *(بؤونه)* فى ثانيه يطلع الفجر بالدبران وفي خامسه يتنفس النيل وفي تاسعه أوان قطف النحل وفى حادى عشره تهب رياح السموم وفي ثانى عشره عيد ميكائيل فيؤخذ قاع النيل وفي ثالث عشره يشتد الحر وفي خامس عشره يطلع الفجر بالهنعة وفى سادس عشريه تحل الشمس أول برج السرطان وهو أول فصل الصيف وفى سابع عشريه ينادى على النيل بما زاده من الاصابع وفى ثامن عشريه يطلع الفجر بالهقعة * وفي هذا الشهر تسفر المراكب لاحضار الغلال والتبن والقنود والاعسال وغير ذلك من الاعمال القوصية ونواحى الوجه البحري وفيه يقطف عسل النحل وتخرص الكروم ويستخرج زكاتها وفيه يندى الكتان ويقاب أربعة أوجه في بؤونة وأبيب وفيه زراعة النيلة بالصعيد الاعلى وتحصد بعد مائة يوم ثم تترك وتحصد في كل مائة يوم حصدة ويحصل في أول كيهك وطوبه وأمشير وبرمهات ويطلع في برمودة وتحصد فى عشرة أيام من أبيب وتقيم في الارض الجيدة ثلاث

سنين وتسقى كل عشرة أيام دفعتين وثاني سنة ثلاث دفعات وثالث سنة أربع دفعات وفي هذا الشهر يكون التين الفيومى والخوخ الزهرى والكمثرى والقراصيا والقثاء والبلح والحصرم ويبتدئ ادراك العصفر وفيه يدخل بعض العنب ويطيب التوت الاسود ويقطف جمهور العسل فتكون رياحه قليلة والتين يكون فيه أطيب منه في سائر الشهور وفيه يطلع النخل وفيه يستخرج تمام نصف الخراج مما بقى بعد المساحة *(أبيب)* في سابعه أول تموز وفى عاشره آخر قطع الخشب وفى حادى عشره يطلع الفجر بالذراع وثاني عشره ابتداء تعطين الكتان وفي خامس عشره يقل ماء الآبار وتدرك الفواكه ويموت الدود وفى حادى عشريه تحل الشمس بأول برج الاسد وتذهب البراغيث ويبرد باطن الارض وتهيج أوجاع العين وفي خامس عشريه يطلع الفجر بالنثرة وفي سادس عشريه تطلع الشعرى العبور اليمانية* وفي هذا الشهر أكثر ما يهب من الرياح الشمال ويكثر فيه العنب ويجود وفيه يطيب التين المقرون بمجيء العنب ويتغير البطيخ العبدلى وتقل حلاوته وتكثر الكمثرى السكرية ويطيب البلح وفيه يقطف بقايا عسل النحل وتقوى زيادة ماء النيل فيقال فى أبيب يدب الماء دبيب وفيه ينقع الكتان بالمبلات ويباع برسيم البذر برسم زراعة القرط والكتان وفيه تدرك ثمرة العنب ويحصد القرطم وفيه تستتم ثلاثة أرباع الخراج * (مسرى) فى سابعه يطلع الفجر بالطرف وفى ثامنه أول آب وفى حادى عشره يجمع القطن وفى رابع عشره يحمى الماء ولا يبرد وفى سابع عشره استكمال الثمار وفي عشريه يطلع الفجر بالجبهة وفى حادي عشريه تحل الشمس برج السنبلة وفى ثالث عشريه يتغير طعم الفاكهة لغلبة ماء النيل على الارض وفي خامس عشريه يكون آخر السموم وفي تاسع عشريه يطلع سهيل بمصر * وفي هذا الشهر يكون وفاء النيل ستة عشر ذراعا فى غالب السنين حتى قيل ان لم يوف النيل فى مسرى فانتظره فى السنة الاخرى وفيه يجرى ماء النيل فى خليج الاسكندرية ويسافر فيه المراكب بالغلال والبهار والسكر وسائر أصناف المتاجر وفيه يكثر البسر وكانوا يخرصون النخل ويخرجون زكاة الثمار فى هذا الشهر عند ما كانت الزكوات يجبيها السلطان من الرعية وأكثر ما يهب فى هذا الشهر ريح الشمال وفيه يعصر قبط مصر الخمر ويعمل الخل من العنب وفيه يدرك الموز وأطيب ما يكون الموز بمصر فى هذا الشهر وفيه يدرك الليمون التفاحى وكان من جملة أصناف الليمون بأرض مصر ليمون يقال له التفاحى يؤكل بغير سكر لقلة حمضه ولذة طعمه وفيه يكون ابتداء ادراك الرمان واذا انقضت أيام مسرى ابتدأت أيام النسيء ففى أولها ابتداء هيج النعام وفى رابعها يطلع الفجر بالخراتان وفى مسرى يغلق الفلاحون خراج أراضي زراعاتهم وكانوا يؤخرون البقايا على دق الكتان فى مسرى وأبيب لان الكتان يبل فى توت ويدق فى بابه

﴿ ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية الى السنة الهلالية العربية ﴾

وكيف عمل ذلك فى الاسلام قد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب التعريف بالسنة الشمسية والسنة القمرية وما للامم في كبس السنين من الآراء فلما جاء الله تعالى بالاسلام تحرز المسلمون من كبس السنين خشية الوقوع في النسئ الذى قال الله سبحانه وتعالى فيه انما النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا ثم لما رأوا تداخل السنين القمرية فى السنين الشمسية أسقطوا عند رأس كل اثنتين وثلاثين سنة قمرية سنة وسموا ذلك الازدلاق لان لكل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنتين وثلاثين سنة شمسية بالتقريب وسأتلو عليك من نبأ ذلك مالم أره مجموعا * قال أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن أبى طاهر في كتاب أخبار أمير المؤمنين المعتضد بالله أبى العباس أحمد بن أبى أحمد طلحة الموفق ابن المتوكل ومنه نقلت وخرج أمر المعتضد في ذى الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين بتصيير النوروز لاحدى عشرة ليلة خلت من حزيران رأفة بالرعية وايثارا لارفاقها وقالوا خرج التوقيع في المحرم سنة اثنتين وثمانين ومائتين بانشاء الكتب الى جميع العمال في النواحى والامصار بترك افتتاح الخراج في النوروز الفارسى الذى يقع يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر وأن يجعل مايفتتح من خراج سنة اثنتين وثمانين ومائتين يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر من هذه السنة. وهو اليوم الحادى عشر من حزيران ويسمى هذا النوروز المعتضدى ترفيها لاهل الخراج ونظرا لهم ونسخة التوقيع الخارج في تصيير افتتاح الخراج فى حزيران (أما بعد) فان الله لما حول أمير المؤمنين للمحل الذى أحله به من أمور عباده وبلاده رأى أن من حق الله عليه أن لا يكلفها الا مابه العدل والانصاف لها والسيرة القاصدة وأن يتولى لها صلاح أمورها ويستقرئ السير والمعاملات التي كانت تعامل بها ويقر منها ماأوجب الحق اقراره ويزيل ماأوجب ازالته غير مستكثر لها كثير ما يسقطه العدل ولا مستقل لها قليل مايلزمه اياها الجور وقد وفق الله أمير المؤمنين لما يرجو أن يكون لحق الله فيها قاضيا ولنصيبها من العدل موازيا وبالله يستعين أمير المؤمنين على حفظ ما استرعاه منها وحياطة ماقلده من أمورها وهو خير موفق ومعين وان أبا القاسم عبيد الله رفع الى أمير المؤمنين فيما أمر أمير المؤمنين به من رد النوروز الذى يفتتح به الخراج بالعراق والمشرق وما يتصل بهما ويجرى مجراهما من الوقت الذي صار فيه من الزمان الى الوقت الذى كان عليه متقدما مع ما أمر به في مستقبل السنين من الكبس حتى يصير العدل عاما في الزمان كله باقيا على غابر الدهر ومر الايام مؤامرة أمير المؤمنين فأمر بتسجيلها لك في آخر كتابه مع ما وقع به فيها لتمثيله فافعل ذلك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة احدى وثمانين

ومائتين * نسخة المؤامرة أنهيت الى أمير المؤمنين أن مما أنعم الله به على رعيته ورزقها اياه من رأفته وحسن نظره واقامته عليها من عدله وانصافه ورفعه عنها في خلافتـه من الظلم الشامل ما كان الاقصى والادنى والصغير والكبير والمسلم والذمي فيه سواء ماحررته من نقل كتب الخراج عن السنة التي كانت تنسب اليها من سنى الهجرة الى السنة التي فيها تدرك الغلات ويستخرج المال وان ذلك ما كان بعض أهل الجهل حاوله وبعض المتغلبين استعمله من تثبيت الخراج على أهله ومطالبتهم به قبل وقت الزراعة واعيائهم بذكر سنة من السنتين اللتين ينسب الخراج لاحداهما وتدرك الغلات ويقع الاستخراج في الاخرى منهما في حساب شهور الفرس التي عليها يجرى العمل في الخراج بالسواد وما يليه والاهواز وفارس والجبل وما يتصل به من جميع نواحى المشرق وما يضاف اليه اذا كان عمل الشأم والجزيرة والموصل جرى على حساب شهور الروم الموافقة للازمنة فليست تختلف أوقاتها مع الكبيسة المستعملة فيها والعمل فى خراج مصر وماوالاها على شهور القبط الموافقة لشهور الروم وكانت من شهور الفرس قد خالفت موافقها من الزمان بما ترك من الكبس منذ أزال الله ملك فارس وفتح للمسلمين بلادهم فصار النوروز الذى كان الخراج يفتتح فيه بالعراق والمشرق قد تقدم فى ترك الكبس شهرين وصارا بينه وبين ادراك الغلة فأمر أمير المؤمنين بما جبل الله عليه رأيه فى التوصل الى كل ما عاد بصلاح رعيته وحسما للاسباب المؤدية الى اعيائها بتأخير النوروز الذى يقع فى شهور سنة اثنتين وثمانين ومائتين من سنى الهجرة عن الوقت الذي يتفق فيه أيام سنة الفرس وهو يوم الجمعة لاحدى عشرة تخلو من صفر مثل عدة أيام الشهرين من شهور الفرس التي ترك كبسها وهى ستون يوما حتى يكون نوروز السنة واقعا يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائتين وهو الحادى عشر من حزيران وهو يتصل بهما ويجرى مجراهما وينسب ويضاف اليهما وبسائر أعمالهم وبما يعمله اصحاب الحساب من التقويمات وجميع الاعمال وما يعده الفرس من شهورهم الى شهوره الكبيسة الاول والآخر ثم يكبس بعد ذلك فى كل أربع سنين من سنى الفرس ولا يقع تفاوت بينه وبينها على مرور الايام وليكن أبدا واقعا في حزيران وغير خارج عنه وأن يلغى ذكر كل سنة من أربع سنين تنسب الى الخراج بالعراق وفي المشرق والمغرب وسائر النواحى والآفاق اذ كان مقدار سنى أيام الهجرة والسنة الجامعة للازمنة التي تتكامل فيها الغلات وأن يخرج التوقيع بذلك تنشأ الكتب به من ديوان الرسائل الى ولاة المعاون والاحكام وتقرأ على المنابر ويحمل أصحاب المعاون الرعية عليه وتأخذها بامتثال ما أمر به أمير المؤمنين وسنة الحكام في ديوان حكمهم لتمثيل الضمان والمقاطعين ذلك على حسبه وأستطلع رأى أمير المؤمنين في ذلك فرأى أمير المؤمنين في ذلك موفق ان شاء الله تعالى وتكتب نسخة التوقيع بتنفيذ

ذلك ان شاء الله تعالى وكتب في شهر ذي الحجة لسنة احدى وثمانين ومائتين * قال وكان السبب في نقل الخراج الى حزيران في أيام المعتضد ماحدثني به أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيي المنجم القديم قال كنت أحدث أمير المؤمنين المعتضد فذكرت خبر المتوكل في تأخير النوروز فاستحسنه وقال لي كيف كان ذلك قلت حدثني أبي قال دخل المتوكل قبل تأخير النوروز بعض بساتينه الخاصة التي كانت في يدي وهو متوكئ على يحادثني وينظر الى ماأحدث في ذلك البستان فمر بزرع فرآه أخضر فقال ياعلى ان الزرع اخضر بعد ماأدرك وقد استأمرني عبيد الله بن يحيي في استفتاح الخراج فكيف كانت الفرس تستفتح الخراج في النوروز والزرع لم يدرك بعد قال فقلت له ليس يجرى الامر اليوم على ماكان يجرى عليه في أيام الفرس ولا النوروز في هذه الايام فى وقته الذى كان في أيامها قال وكيف ذاك فقلت لانها كانت تكبس في كل مائة وعشرين سنة شهرا وكان النوروز اذا تقدم شهرا وصار فى خمس من حزير ان كبست ذلك الشهر فصار فى خمس من ايار وأسقطت شهرا وردته الى خمس من حزيران فكان لا يتجاوز هذا فلما تقلد العراق خالد بن عبد الله القسرى وحضر الوقت الذى تكبس فيه الفرس منعها من ذلك وقال هذا من النسيء الذى نهى الله عنه فقال انما النسيء زيادة فى الكفر وأنا لا أطلقه حتى أستأمر فيه أمير المؤمنين فبذلوا على ذلك مالا جليلا فامتنع عليهم من قبوله وكتب الى هشام بن عبد الملك يعرفه ذلك ويستأمره ويعلمه انه من النسيء الذى نهى الله عنه فأمر بمنعهم من ذلك فلما امتنعوا من الكبس تقدم النوروز تقدما شديدا حتى صار يقع فى نيسان والزرع أخضر فقال له المتوكل فاعمل لهذا ياعلى عملا ترد النوروز فيه الى وقته الذى كان يقع فيه فى أيام الفرس وعرف بذلك عبيدالله ابن يحيي وأد اليه رسالة مني فى أن يجعل استفتاح الخراج فيه قال فصرت الى أبي الحسن عبيد الله بن يحيى وعرفته ماجرى بيني وبين المتوكل وأديت اليه رسالته فقال لي ياأبا الحسن قد والله فرجت عني وعن الناس وعملت عملا كثيرا يعظم ثوابك عليه وكسبت لامير المؤمنين أجرا وشكرا فأحسن الله جزاءك فمثلك من يجالس الخلفاء وأحب أن يتقدم بالعمل الذى أمر به المتوكل وينفذه الى حتى أجرى الامر عليه واتقدم فى كتب الكتب باستفتاح الخراج قال فرجعت وحررت الحساب فوجدت النوروز لم يكن يتقدم في أيام الفرس أكثر من شهر يتقدم من خمس تخلو من حزير ان فيصير فى خمسة أيام تخلو من ايارفتكبس سنتها وترده الى خمسة أيام من حزيران وأنفذته الى عبيد الله بن يحيي فأمر أن يستفتح الخراج فى خمس من حزيران وتقدم الى ابراهيم بن العباس فى أن ينشئ كتابا عن أمير المؤمنين فى ذلك ينفذ نسخته الى النواحي فعمل ابراهيم بن العباس كتابه المشهور فى أيدى الناس* قال أبو أحمد فقال لي المعتضد يايحيي هذا والله فعل حسن وينبغي أن يعمل به فقلت ماأحد

أولى بفعل الحسن واحياء السنن الشريفة من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين لما جمعه الله فيه من المحاسن ووهبه له من الفضائل فدعا بعبيد الله بن سليمان وقال له اسمع من يحيي ما يخبرك به وأمض الامر في استفتاح الخراج عليه قال فصرت مع عبيد الله بن سليمان الى الديوان وعرفته الخبر فأحب تأخيره عن ذلك لئلا يجرى الامر المجرى الاول بعينه فجعله فى أحد عشر من حزيران واستأمر المعتضد فى ذلك فأمضاه فقلت فى ذلك شعرا انشدته للمعتضد فى هذا المعنى

يوم نوروزك يوم * واحد لايتأخر

من حزيران يوافى * أبدا في أحد عشر

قال وأخبرنى بعض مشايخ الكتاب قال وكانت الخلفاء تؤخر النوروز عن وقته عشرين يوما وأقل وأكثر ليكون ذلك سببا لتأخير افتتاح الخراج على أهله * وأما المهرجان فلم تكن تؤخره عن وقته يوما واحدا فكان أول من قدمه عن وقته بيوم المعتمد بمدينة السلام في سنة خمس وستين ومائتين وأمر المعتضد بتأخير النوروز عن وقته ستين يوما وقال أبو الريحان محمد بن أحمد البيروتى في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية ومنه نقلت ما ذكر ابن أبى طاهر وزاد ونفذت الكتب الى الآفاق يعني عن المتوكل في محرم سنة ثلاث وأربعين ومائتين وقتل المتوكل ولم يتم له ما دبر واستمر الامر حتى قام المعتضد فاحتذى ما فعله المتوكل في تأخير النوروز غير أنه نظر فاذا المتوكل أخذ ما بين سنته و بين أول تاريخ يزدجرد فأخذ المعتضد ما بين سنته وبين السنة التي زال فيها ملك الفرس بهلاك يزدجرد ظنا أن اهمالهم أمر الكبس من ذلك الوقت فوجده مائتي سنة وثلاثا وأربعين سنة حصتها من الارباع ستون يوما وكسر فزاد ذلك على النوروز فى سنة وجعله منتهى تلك الايام وهو من خرداد ماه في تلك السنة وكان يوم الاربعاء ويوافقه اليوم الحادى عشر من حزيران ثم وضع النوروز على شهور الروم لتكبس شهوره اذا كبست الروم شهورها وقال القاضى السعيد ثقة الثقات ذو الرياستين أبو الحسن على بن القاضي المؤتمن ثقة الدولة أبي عمر وعثمان بن يوسف المخزومي في كتاب المنهاج في علم الخراج والسنة الخراجية مركبة على حكم السنة الشمسية لان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم ورتب المصريون سنتهم على ذلك ليكون أداء الخراج عند ادراك الغلات من كل سنة ووافقها السنة القبطية لان أيام شهورها ثلثمائة وستون يوما ويتبعها خمسة أيام النسئ وربع يوم بعد تقضى مسرى وفى كل أربع سنين تكون أيام النسئ ستة أيام لينجبر الكسر ويسمون تلك السنة كبيسة وفى كل ثلاث وثلاثين سنة تسقط سنة فيحتاج الى نقلها لاجل الفصل بين السنين الشمسية والسنين الهلالية لان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم والسنة الهلالية ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وكسر ولما

كان كذلك احتيج الى استعمال النقل الذى تطابق به احدى السنتين الأخرى وقد قال أبو الحسن
على بن الحسن الكاتب رحمه الله عهدت جباية أموال الخراج فى سنين قبل سنة احدى
وأربعين ومائتين من خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه تجرى كل سنة فى
السنة التي بعدها بسبب تأخير الشهور الشمسية عن الشهور القمرية في كل سنة أحد عشر يوما
وربع يوم وزيادة الكسر عليه فلما دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين كان قد انقضى من السنين
التي قبلها ثلاث وثلاثون سنة أولهن سنة ثمان ومائتين من خلافة أمير المؤمنين المأمون رحمة الله
عليه واجتمع من هذا المتأخر فيها أيام سنة شمسية كاملة وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما
وربع يوم وزيادة الكسر وبها ادراك غلات وثمار سنة احدى وأربعين ومائتين في صفر
سنة اثنتين وأربعين ومائتين وأمر أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه بالغاء ذكر سنة
احدى وأربعين ومائتين اذ كانت قد انقضت وينسب الخراج الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين
فجرت الاعمال على ذلك سنة بعد سنة الى أن انقضت ثلاث وثلاثون سنة آخرهن انقضاء
سنة أربع وسبعين ومائتين فلم ينبه كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله رحمة الله عليه على
ذلك اذ كان رؤساؤهم في ذلك الوقت اسماعيل بن بلبل وبني الفرات ولم يكونوا عملوا فى
ديوان الخراج والضياع في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه ولا كانت
اسنانهم اسنانا بلغت معرفتهم معها هذا النقل بل كان مولد أحمد بن محمد بن الفرات قبل
هذه السنة بخمس سنين ومولد على أخيه فيها وكان اسماعيل بن بلبل يتعلم في مجلس لم يبلغ
أن ينسخ فلما تقلدت لناصر الدين أبي أحمد طلحة الموفق رحمه الله أعمال الضياع بقزوين
ونواحيها لسنة ست وسبعين ومائتين وكان مقيما بأذربيجان وخليفته بالجبل جرادة بن محمد
وأحمد بن محمد كاتبه واحتجت الى رفع جماعتي اليه ترجمتها بجماعة سنة ست وسبعين ومائتين
التي أدركت غلاتها وثمارها في سنة سبع وسبعين ومائتين ووجب الغاء ذكر سنة ست وسبعين
ومائتين فلما وقفا على هذه الترجمة انكراها وسألاني عن السبب فيها فشرحت لهما واكدت
ذلك بأن عرفتهما اني قد استخرجت حساب السنين الشمسية والسنين القمرية من القرآن
الكريم بعد ماعرضته على أصحاب التفسير فذكروا انه لم يأت فيه شيء من الأثر فكان ذلك
اوكد في لطف استخراجي وهو أن الله تعالى قال في سورة الكهف ولبثوا في كهفهم ثلثمائة
سنين وازدادوا تسعا فلم أجد أحدا من المفسرين عرف معنى قوله وازدادوا تسعا وانما
خاطب الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم بكلام العرب وما تعرفه من الحساب فمعنى هذه
التسع أن الثلثمائة كانت شمسية بحساب العجم ومن كان لايعرف السنين القمرية فاذا أضيف
الى الثلثمائة القمرية زيادة التسع كانت سنين شمسية صحيحة فاستحسناه فلما انصرف جرادة
مع الناصر لدين الله الى مدينة السلام وتوفى الناصر رحمه الله وتقلد القاسم عبيد الله بن

سليمان كتابة أمير المؤمنين المعتضد بالله أجرى له جرادة ذكر هذا النقل وشرح له سببه تقربا اليه وطعنا على أبي القاسم عبيد الله في تأخيره اياه فلما وقف المعتضد على ذلك تقدم الى أبي القاسم بانشاء الكتب بنقل سنة ثمان وسبعين الى سنة تسع وسبعين ومائتين وكان هذا النقل بعد أربع سنين من وجوبه ثم مضت السنون سنة بعد سنة الى أن انقضت الآن ثلاث وثلاثون سنة أولاهن السنة التي كان النقل وجب فيها وهي سنة خمس وسبعين ومائتين وآخرتهن انقضاء سنة سبع وثلثمائة وقد تهيأ ادراك الغلات والثمار في صدر سنة ثمان وثلثمائة ونسبته اليها وقد عملت نسخة هذا النقل نسختها تحت هذا الموضع ليوقف عليها وقد كان اصحاب الدواوين في أيام المتوكل لما نقل سنة احدى وأربعين ومائتين الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين جبوا الجوالى والصدقات لسنتي احدى واثنتين وأربعين ومائتين في وقت واحد لان الجوالى بسر من رأى ومدينة السلام وقصب المدن المشهورة كانت تجبى على شهور الاهلة وما كان من جماجم أهل القرى فى الخراج والضياع والصدقات والمستغلات كان يجبى على شهور الشمس وفي ثلاث وثلاثين سنة اجتمعت أيام سنة شمسية كاملة فألزم أهل الذمة خاصة بالجوالى ورفعها العمال في حساباتهم فمن لم يرفعها ألزموه بجوالى السنة الزائدة فأحفظ انه اجتمع من ذلك ألوف دراهم ثم جددت الكتب الى العمال بأن تكون حساباتهم الجوالى على شهور الاهلة فجرى الامر على ذلك قال القاضى أبو الحسن وقد كان النقل اغفل في الديار المصرية حتى كانت سنة تسع وتسعين وأربعمائة الهلالية تجرى مع سنة سبع وتسعين الخراجية فنقلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة هكذا رأيت في تعليقات أبي رحمه الله وآخر ما نقلت السنة فى وقتنا هذا سنة خمس وستين وخمسمائة الى سنة سبع وستين وخمسمائة الهلالية فتطابقت السنتان وذلك انني لما قلت للقاضي الفاضل أبي على عبد الرحيم بن علي البيسانى انه قد آن نقل السنة فانشأ سجلا بنقلها نسخ الدواوين وحمل الامر على حكمه وما برح الملوك والوزراء يعتنون بنقل السنين في أحيانها * وقال أبو الحسين هلال ابن المحسن الصابى حدثني أبو على قال لما أراد الوزير أبو محمد المهلبي نقل سنة خمس وثلثمائة الهلالية امر أبا اسحاق والدى وغيره من كتابه في الخراج والرسائل بانشاء كتاب عن المطيع لله في هذا المعنى فكتب كل منهم وكتب والدى الكتاب الموجود في رسائله وعرضت النسخ على الوزير فاختاره منها وتقدم بأن يكتب الى أصحاب الاطراف وقال لابى الفرج بن أبي هشام خليفته اكتب الى العمال بذلك كتبا محققة وانسخ في أواخرها هذا الكتاب السلطانى فغاظ أبا الفرج وقوع التفضيل والاختيار لكتاب والدى وقد كان عمل نسخة اطرحت في جملة ما أطرح وكتب قد رأينا نقل سنة خمسين الى احدى وخمسين فاعمل على ذلك ولم ينسخ الكتاب السلطانى وعرف الوزير ما كتب به أبو الفرج فقال له لماذا أغفلت

نسخ الكتاب السلطاني فى آخر الكتب الى العمال واثباته في الديوان فأجاب جوابا علك فيه فقال له ياأبا الفرج ماتركت ذلك الاحسدا لابى اسحاق وهو والله في هذا الفن اكتب أهل زمانه فأعد الآن الكتب وانسخ الكتاب فى أواخرها قال القاضى أبو الحسن وأنا أذكر بمشيئة الله نسخة الكتاب الذى أشار اليه أبو الحسن علي بن الحسن الكاتب وكتاب أبي اسحاق وكتاب القاضى الفاضل ليستبين للناظر طريق نقل السنين الخراجية الى السنين الهلالية فاذا قاربت الموافقة وحسنت فيها المطابقة فالكتاب الفاضلي أكثر نجازا وأعظم اعجازا ولا يخفى على المتأمل قدر ما أورد فيه من البلاغة كما لايخفى على العارف قدر ما تضمنه كتاب الصابى من الصناعة * نسخة الكتاب الذي أشار اليه أبو الحسن الكاتب * ان أولى ماصرف اليه أمير المؤمنين عنايته وأعمل فيه فكره ورويته وشغل فيه تفقده ورعايته أمر الفيء الذي خصه الله به وألزمه جمعه وتوفيره وحياطته وتكثيره وجعله عماد الدين وقوام أمر المسلمين وفيما يصرف منه الى اعطيات الاولياء والجنود ومن يستعان به لتحصين البيضة والذب عن الحريم وحج البيت وجهاد العدو وسد الثغور وأمن السبيل وحقن الدماء واصلاح ذات البين وأمير المؤمنين يسأل الله تعالى راغبا اليه ومتوكلا عليه أن يحسن عونه على ماحمله منه ويديم توفيقه بما أرضاه وارشاده الى أن يقضى عنه وله وقد نظر أمير المؤمنين فيما كان يجري عليه أمر جباية هذا الفيء في خلافة آبائه الراشدين صلوات الله عليهم فوجده على حسب ماكان يدرك من الغلات والثمار فى كل سنة أولا أولا على مجاري شهور سنى الشمس في النجوم التي يحل مال كل صنف منها فيها ووجد شهور السنة الشمسية تتأخر عن شهور السنة الهلالية أحد عشر يوما وربعا وزيادة عليه ويكون ادراك الغلات والثمار في كل سنة بحسب تأخرها فلا تزال السنون تمضى على ذلك سنة بعد سنة حتى تنقضى منها ثلاث وثلاثون سنة وتكون عدة الايام المتأخرة منها أيام سنة شمسية كاملة وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وزيادة عليه فحينئذ يتهيأ بمشيئة الله تعالى وقدرته ادراك الغلات التي تجري عليها الضرائب والطسوق فى استقبال المحرم من سنى الاهلة ويجب مع ذلك الغاء السنة الخارجة اذا كانت قد انقضت ونسبتها الى السنة التي أدركت الغلات والثمار فيها لانه وجد ذلك قد كان وقع فى أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه عند انقضاء ثلاث وثلاثين سنة آخرتهن سنة احدى وأربعين ومائتين فجرت المكاتبات والحسبانات وسائر الاعمال بعد ذلك سنة بعد سنة الى أن مضت ثلاث وثلاثون سنة آخرتهن انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين ووجب انشاء الكتب بالغاء ذكر سنة أربع وسبعين ومائتين ونسبتها الى سنة خمس وسبعين ومائتين فذهب ذلك على كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله وتأخر الامر أربع سنين الى أن أمر أمير المؤمنين المعتضد بالله رحمة الله عليه في سنة سبع وسبعين

ومائتين بنقل خراج سنة ثمان وسبعين الى سنة تسع وسبعين ومائتين فجرى الامر على ذلك
الى أن انقضت فى هذا الوقت ثلاث وثلاثون سنة أولاهن السنة التي كان يجب نقلها فيها
وهي سنة خمس وسبعين ومائتين وآخرتهن انقضاء شهور خراج سنة سبع وثلثمائة ووجب
افتتاح خراج ما يجري على الضرائب والطسوق فى أولها وان من صواب التدبير واستقامة
الاعمال واستعمال ما يخف على الرعية معاملتها به نقل سنة الخراج سنة سبع وثلثمائة الى
سنة ثمان وثلثمائة فرأى أمير المؤمنين لما يلزمه نفسه ويؤاخذها به من العناية بهذا الفيء
وحياطة اسبابه واجرائها مجاريها وسلوك سبيل آبائه الراشدين رحمة الله عليهم أجمعين فيها
أن يكتب اليك والى سائر العمال في النواحي بالعمل على ذلك وأن يكون ما يصدر اليكم
من الكتب وتصدرونه منكم وتجري عليه أعمالكم ورفوعكم وحسباناتكم وسائر مناظراتكم
على هذا النقل فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين واعمل به مستشعرا فيه وفي كل مضنة تقوى
الله وطاعته ومستعملا عليه ثقات الاعوان وكفاتهم ومشرفا عليهم ومقوما لهم واكتب بما
يكون منك في ذلك ان شاء الله تعالى *(نسخة أبي اسحاق الصابي)* أما بعد فان أمير
المؤمنين لازال مجتهدا في مصالح المسلمين وباعثا لهم على مراشد الدنيا والدين ومهيأ لهم
احسن الاختيار فيما يوردون ويصدرون وأصوب الرأى فيما يبرمون وينقضون فلا يلوح له
خلة داخلة على أمورهم الاسدها وتلافاها ولا حال عائدة بحظ عليهم الا اعتمدها وأتاها ولا
سنة عادلة الا أخذهم باقامة رسمها وامضاء حكمها والاقتداء بالسلف الصالح في العمل بها
والاتباع لها واذا عرض من ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور ألبابها وتجهله العامة بقصور أفهامها
وكانت أوامره فيه خارجة اليك والى امثالك من أعيان رجاله وأماثل عماله الذين يكتفون
بالاشارة ويجتزون بيسير الابانة والعبارة لم يدع أن يبالغ من تخليص اللفظ وايضاح المعنى الى
الحد الذي يلحق المتأخر بالمتقدم ويجمع بين العالم والمتعلم ولا سيما اذا كان ذلك فيما يتعلق
بمعاملات الرعية ومن لا يعرف الا الظواهر الجلية دون البواطن الخفية ولا يسهل عليه
الانتقال عن العادات المتكررة الى الرسوم المتغيرة ليكون القول بالمشروح لمن برز في المعرفة
مذكرا ولمن تأخر فيها مبصرا ولانه ليس من الحق أن تمنع هذه الطبقة من برد اليقين في
صدورها ولا أن يقتصر على اللمحة الدالة في مخاطبة جمهورها حتى اذا استوت الاقدام
بطوائف الناس فى فهم ما أمروا به وفقه ما دعوا اليه وصاروا على حكمه سواء لا يعترضهم
شك الشاكين ولا استرابة المسترييين اطمأنت قلوبهم وانشرحت صدورهم وسقط الخلاف
بينهم واستمر الاتفاق بهم واستيقنوا أنهم مؤسسون على استقامة من المنهاج ومحروسون من
حزائز الزيغ والاعوجاج فكان الانقياد منهم وهم دارون عالمون لا مقلدون مسلمون وطائعون
مختارون لا مكرهون ولا مجبرون وأمير المؤمنين يستمد الله تعالى في جميع أغراضه ومراميه

ومطالبه ومغازيه مادة من صنعه يقف بها على سنن الصلاح ويفتح له أبواب النجاح وينهضه
بما أهله لحمله من الأعباء التي لايدعي الاستقلال بها الا بتوفيقه ومعونته ولا يتوجه فيها الا
بدلالته وهدايته وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل يرى أن اولى الاقوال أن يكون
سدادا وأحرى الافعال أن يكون رشادا ما وجد له في السابق من حكم الله أصول وقواعد
وفى النص من كتابه آيات وشواهد وكان منصبا بالامة الى قوام من دين أو دنيا ووفاق فى
آخرة او أولى فذلك هو البناء الذى يثبت ويعلو والغرس الذي ينبت ويزكو والسعى الذي
تنجح مباديه وهواديه وتبهج عواقبه وتواليه وتستنير سبله لسالكيها وتوردهم موارد السعود
في مقاصدهم فيها غير ضالين ولا عادلين ولا منحرفين ولا زائلين وقد جعل الله عزوجل
لعباده من هذه الافلاك الدائرة والنجوم السائرة فيما تتقلب عليه من اتصال وافتراق ويتعاقب
عليها من اختلاف واتفاق منافع تظهر فى كرور الشهور والاعوام ومرور الليالي والايام
وتفاوت الضياء والظلام واعتدال المسالك والاوطان وتغاير الفصول والازمان ونشو النبات
والحيوان مما ليس فى نظام ذلك خلل ولا في صنعه زلل بل هو منوط بعضه ببعض ومحوط
من كل ثلمة ونقض قال الله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل
لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وقال جل من قائل ألم تر أن الله
يولج الليل فى النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى
وان الله بما تعملون خبير وقال تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم
وقال عزت قدرته والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ففضل الله تعالى بهذه
الآيات بين الشمس والقمر وأنبأنا في الباهر من حكمه والمعجز من كلامه أن لكل منهما
طريقا سخر فيها وطبيعة جبل عليها وأن تلك المباينة والمخالفة في المسير يؤديان الى موافقة
وملازمة فى التدبير فمن هنالك زادت السنة الشمسية فصارت ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربعاً
بالتقريب المعمول عليه وهي المدة التي تقطع الشمس فيها الفلك مرة واحدة ونقصت الهلالية فصارت
ثلثمائة وأربعة وخمسين يوما وهى المدة التي يجامع القمر فيها الشمس اثنى عشرة مرة واحتيج اذا
انساق هذا الفضل الى استعمال النقل الذي يطابق احدى السنتين بالاخرى اذا افترقتا ويداني بينهما
اذا تفاوتتا وما زالت الامم السالفة تكبس زيادات السنين على افتنان من طرقها ومذاهبها
وفي كتاب الله عزوجل شهادة بذلك اذ يقول في قصة أهل الكهف ولبثوا في كهفهم ثلثمائة
سنين وازدادوا تسعا فكانت هذه الزيادة بأن الفضل فى السنين المذكورة على تقريب
التقريب فأما الفرس فانهم أجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التي شهورها اثنا عشر شهرا
وأيامها ثلثمائة وستون يوما ولقبوا الشهور باثني عشر لقبا وسموا أيام الشهر منها بثلاثين اسما
وأفردوا الخمسة الايام الزائدة وسموها المسترقة وكبسوا الربع في كل مائة وعشرين سنة

شهرا فلما انقرض ملكهم بطل في كبس هـذا الربع تدبيرهم وزال نوروزهم عن سنته وانفرج ما بينـه وبين حقيقة وقتـه انفراجا هو زائد لا يقف ودائر لا ينقطع حتي ان موضوعهم في النوروز أن يقع في مدخل الصيف وسينتهي الى أن يقع في مدخل الشتـاء ويتجاوز ذلك وموضوعهم في المهرجان أن يقع في مدخل الشتاء وينتهي الى أن يقع في مدخل الصيف ويتجاوز وأما الروم فكانوا أتقن منهم حكمة وأبعد نظراً في العاقبـة لانهم رتبوا شهور السنة على ارصاد شهروها وأنواء عرفوها وفضوا الخمسة الايام على الشهور وساقوها على الدهور وكبسوا الربع في كل أربع سـنين يوما ورسموا أن يكون الى شباط مضافا فقربوا ما بعده غيرهم وسهلوا على الناس أن يقتفوا أثرهم لا جرم ان المعتضد بالله رحمـه الله على أصولهم بنى ولمثالهم احتذى في تصييره نوروزه اليوم الحادي عشر من حزيران حتى سلم ممـا لحق النواريز في سالف الازمان وتلافوا الامر في عجز سني الهلال عن سني الشمس بأن جبروها بالكبس فكلما اجتمع من فصول سني الشمس وما بقي تمام شهر جعلوا السنة الهلالية يتفق ذلك فيها ثلاثة عشر هلالا فربما تم الشهر الثالث عشر في ثلاث سنين وربما تم في سـنتين بحسب ما يوجبه الحساب فتصير سنتا الشمس والهـلال عندهم متقاربتين أبدا لا يتباعد ما بينهما وأما العرب فان الله تعـالى فضلها على الامم الماضية وورثها ثمرات مشاقها المتعبة وأجرى شهر صيامها ومواقيت أعيادها وزكاة أهل ملتها وجزية أهل ذمتها على السنة الهلالية وتعبدها فيها برؤية الاهلة ارادة منه أن تكون مناهجها واضحة وأعلامها لائحة فيتكافأ في معرفة الفرض ودخول الوقت الخاص منها والعـام والنـاقص الفقه والتام والانثى والذكر والصغير والكبير والاكبر فصاروا حينئذ يحسبون في سـنة الشمس حاصل الغلات المقسومة وخراج الارض الممسوحة ويجبون في سنة الهلال الجوالى والصدقات والارجاء والمقاطعات والمستغلات وسائر ما يجري على المشاهرات وحدث من التداخل بين السنين مالو استمر لقبح جدا وازداد بعدا اذ كانت الجباية الخراجية في السنة التي ينتهي اليها تنسب الى الشمسية والى ماقبلها فوجب مع هذا أن تطرح تلك السنة وتلغى ويتجاوز الى مابعدها ويتخطى ولم يجز لهم أن يعتدوا لمخالفتهم فى كبس السنة الهلالية بشهر ثالث عشر ولانهم لو فعلوا ذلك لزحزحت الاشهر الحرم عن موافقها وارتجت المناسك عن حقائقها ونقصت الجباية في سني الاهلة القبطية بقسط ما استغرقه الكبس منها فانتظروا بذلك الفضل الى أن تم السنة وأوجب الحساب المقرب أن يكون كل اثنتين وثلاثين سنة شمسية ثلاثا وثلاثين هلالية فنقلوا المتقدمة الى المتأخرة نقلا لا يتجاوز الشمسية وكانت هذه الكلفة في دنياهم مستسهلة مع تلك النعمة في دينهم وقد رأى أمير المؤمنين نقل سنة خمسين وثلثمائة الخراجية الى سـنة احدى وخمسين وثلثمائة الهلالية جمعا بينهما ولزوما لتلك السنة فيهما فاعمل بما ورد به أمر أمير المؤمنين عليك

وتضمنه كتابه هذا اليك ومن الكتاب قبلك أن يحتذوا رسمه فيما يكتبون به الى عمال نواحيك ويخلدونه في الدواوين من ذكورهم ورفوعهم ويعدونه من خروج الاموال وينظمونه في الدواوين والاعمال ويثبتون عليه الجماعات والحسبانات ويوغرون بكتبه من الروزنامجات والبراآت وليكن المنسوب من ذلك الى سنة خمسين وثلثمائة التي وقع النقل اليها وأقم في نفوس من بحضرتك من اصناف الجند والرعية وأهل الملة والذمة أن هذا النقل لا يغير لهم رسما ولا يلحق بهم ثلما ولا يعود على قابضي العطاء بنقصان ما استحقوا قبضه ولا على مؤدى حق بيت المال باغضاء عما وجب أداؤه فان قرائح أكثرهم فقيرة الى افهام أمير المؤمنين الذى اثر أن تزاح فيه العلة ويسد به سهم الخلة اذ كان هذا الشأن لا يتجدد الا في المدد الطوال التى في مثلها يحتاج الى تعريف الناسي وأجب بما يكون منك جوابا يحسن موقعه لك ان شاء الله تعالى * وقال ابن المأمون في تاريخه من حوادث سنة احدى وخمسمائة وأول ما تحدث فيه نقل السنة الشمسية الى العربية وكان قد حصل بينهما تفاوت أربع سنين فتحدث القائد أبو عبدالله محمد بن فاتك البطائحي مع الافضل بن أمير الجيوش فى ذلك فأجاب اليه وخرج أمره الى الشيخ أبى القاسم بن الصيرفى بانشاء سجل به فأنشأ ما نسخته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى ارتضى أمير المؤمنين أمينه فى أرضه وخليفته • وألهمه أن يعم بحسن التدبير عبيده وخليقته • ووفقه لمصالح يستمد أسبابها • ويفتح بحسن نظره أبوابها • وأورثه مقام آبائه الراشدين الذين اختصهم بشرف المفخر • وجعل اعتقاد موالاتهم سبب النجاة فى المحشر وعناهم بقوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر • وأعلى منار سلطانه بمدبر افلاك دولته ومبيد أعداء مملكته • وأشرف من نصب للجند علما وراية • ووقف على مصلحة البرية نظره ورأيه • وأرشد بهدايته الالباب الحائرة • وأذهب بمعدلته الاحكام الجائرة • السيد الاجل الافضل وتمم النعوت بالدعاء للذى كمل تدبيره نظام الصلاح وتممه • وسدد تقريره الامور فى كل ماقصده ويممه • ونبه فى السياسة على ما أهمله من سبقه • وأغفله من تقدمه • وتتبع احوال المملكة فلم يدع مشكلا الا أوضحه وبين الواجب فيه • ولا خللا الا أصلحه وبادر بتلافيه • ولا مهملا الا استعمله على ما يوافق الصواب ولا ينافيه ايثارا لعمارة الاعمال • وقصدا لما يقضي بتوفير الاموال • وتوخيا لما عاد بضروب الاستغلال • واعتناء برجال الدولة العلوية وأجنادها • واهتماما بمصالحهم التي ضعفت قواهم عن ارتيادها • ورعاية لمن ضمنه أقطار المملكة من الرعايا • وحملا لهم على اعدل السنن وأفضل القضايا • يحمده أمير المؤمنين على ما أعانه عليه من حسن النظر للامة • وادخره لايامه من الفضائل التي صفت بها ملابس النعمة • ووفقه لما يعود على الكافة بشمول الانتفاع حتي صار استبدال الحقوق بواجبات الشريعة الواضحة الادلة • واستيفاؤها بمقتضى المعدلة فيما يجرى على أحكام الخراج وأوضاع الاهلة • ويرغب اليه بالصلاة على محمد

الذى ميزه بالحكمة وفصل الخطاب • وبين به ما استبهم من سبل الصواب • وأنزل عليه في محكم الكتاب • هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب • صلي الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أبينا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب كافيه فيما اعضل لماعدم المساعد • وواقيه بنفسه لما تخاذل الكف والساعد • وعلى الأئمة من ذريتهما العاملين برضى الله تعالى فيما يقولون ويفعلون • والذين يهدون بالحق وبه يعدلون • وان أولى ما أولاه أمير المؤمنين حظا وافياً من تفقده • وأسهم له جزأ وافرا من كريم تعهده • ونظر اليه بعين اهتمامه واختصه بالقسم الاجزل • من استمالة أمر الاموال التي يستعان بها على سد الخلل • وبرجائها يستدفع ما يطرق من الحادث الجلل • وبوفورها تستثبت شؤون المملكة وتستقيم أحوال الدول • وباستخراجها على حكم العدل الشامل • ووصية انصاف المعامل • تكون العمارة التى هى أصل زيادتها • ومادة كثرتها وغزارتها • ولما كانت جباياتها على حكمين أحدهما يجبى هلاليا وذلك مالا يدخله عارض ولا اشكال ولا ابهام • ولا يحتاج فيه الي ايضاح ولا افهام لان شهور الهلال يشترك فى معرفتها الامير والمقصر • ويستوى فى الفهم بها المتقدم فى العلم والمتأخر • اذ كان الناس آلفين لازمنة متعبداتهم السنين مما يحفظ لهم نظام مرسومهم والآخر يجبى خراجيا ويثبت بنسبته الي الخراج لانها تضبط أوقات ما يجرى ذلك لاجله من النيل المبارك والزراعة • وتحفظ أحيانه دون السنة الهلالية وتحرس أوضاعه • ولا يستقل بمعرفته الا من باشره • وعرف موارده ومصادره • فوجب أن يقصر على السنة الخراجية النظر • ويفعل فيها ماتعظم به الفائدة ويحسن فيه الاثر • ويعتمد فى ايضاح أمرها وتقديم حكمها على ماتحلى به التواريخ وتزين به السير • ويكون ذلك شاهدا لمساعى السيد الاجل الافضل الذى لايزال ساهرا ليله في حياطة الهاجعين • شاهرا سيفه في حماية الوادعين • مطلما للدولة بدور السعادة وشموسها • مذللا لها صعب الحوادث وشموسها • ناطقة تارة بأن أمة هو راعيها • قد فضل الله سائسها وأسعد مسوسها • وهذا حين التبصير والارشاد • وأوان التبيين للغرض والمراد • لتتساوى العامة والخاصة فى علمه • وتسعهم الفائدة في معرفة حكمه • وتحقق المنفعة لهم فيما يمنع من تداخل السنين واستقبالها • وتيقن المعدلة عليهم فيما يؤمن من المضار التى يحتاج الى استدراكها ومعلوم أن أيام السنة الخراجية • وهى السنة الشمسية بخلاف السنة الهلالية • لان أيام السنة الخراجية من استقبال النوروز الى آخر النسئ ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وأيام السنة الهلالية لاستقبال المحرم الى آخر ذى الحجة ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما والخلاف في كل سنة بالتقريب أحد عشر يوما وفي كل ثلاث وثلاثين سنة سنة واحدة على حكم التقريب • ويقتضيه ما تقدم من الترتيب • فاذا اتفق أن يكون أول الهلالية • موافقا لمدخل السنة الخراجية • وكانت نسبتهما واحدة استمر اتفاق التسمية فيهما • وبقى ذلك جاريا

عليهما، ولم يزالا متداخلين لكون مدخل الخراجية في أثناء شهور الهلالية الى انقضاء ثلاث وثلاثين سنة فاذا انقضت هذه المدة بطلت المداخلة وخلت السنة الهلالية من نوروز يكون فيها، وبحكم ذلك بطل اتفاق التسمية ويكون التفاوت سنة واحدة للعلة المقدم ذكرها، ومن اين يستمر بينهما ائتلاف، أو يعدم لهما اختلاف، أم كيف يعتقد ذلك أحد من البشر، والله تعالى يقول لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، فقد وضح دليل التباعد بما جاء منصوصا في الكتاب، وظهر برهانه بما اقتضاه موجب الحساب، فيحتاج بحكم ذلك الى نقل السنة الشمسية الى التي تليها، لتكون موافقة للهلالية وجارية معها، وفائدة النقل أن لاتخلو السنة الهلالية من مال خاص ينسب الى السنة الموافقة لها لان واجبات العسكرية على عظمها واتساعها، وأرزاق المرتزقة على اختلاف أجناسها وأوضاعها، جارية على أحكام الهلالية غير معدول بها عن ذلك في حال من الاحوال والمحافظة على ثمرة ارتفاعها متعينة ومنفعة العناية بما تجري عليه واضحة مبينة، ولما أهلت سنة احدى وخمسمائة ودخلت فيها سنة تسع وتسعين. وأربعمائة الخراجية، الموافقة لسنة احدى وخمسمائة الهلالية، كان في ذلك من التباين والتعارض والتفاوت والتنافر بحكم اهمال النقل فيما تقدم ما صارت السنة الهلالية الحاضرة لايجبى خراج ما يوافقها فيها، ولا تدرك غلات السنة المجرى مالها عليها الا في السنة التى تليها، فهي تستهل وتنقضى وليس لها في الخراجي ارتفاع، والاعمال تطيف بالزراعة ولا حظ لها في ذلك ولا انتفاع، وهذه الحال المضرة بها على بيت المال غير خفية والاذية فيها للرجال المقطعين بادية، وأسباب لحوقها اياهم مستمرة متمادية، ولا سيما من وقع له باثبات، وأنعم عليه بزيادات، فانهم يتعجلون الاستقبال، ويتأجلون الاستغلال، ومتى لم تنقل هذه السنة الخراجية كانت متداخلة بين سنين هلالية وهى موافقة لغيرها وما لها يجري على سنة تجري بينهما لان مدخلها في اليوم العاشر من المحرم سنة احدى وخمسمائة وانقضاؤها في العشرين من المحرم سنة اثنتين وخمسمائة وهى متداخلة بين هاتين السنتين وما لهما يجرى على سنة احدى وخمسمائة والحال في ذلك لاينتهي الى أمد، ولا يزال الفساد يتزايد طول الابد وقد رأى أمير المؤمنين وبالله توفيقه ماخرج به أمره الى السيد الاجل الافضل الذى نبه على هذا الامر وكشف غامضه، وأزال بحسن توصله تنافيه وتناقضه، أن يوعز الى ديوان الانشاء بكتب هذا السجل مضمنا ما رآه ودبره، مودعا انفاذ ما أحكمه وقرره، من نقل سنة تسع وتسعين وأربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة لتكون موافقة لها، ويجرى عليها ما لها، ويكون ما يستادونه من أقطاعاتهم ويستخرجونه من واجباتهم جاريا على نظام محروس، ونطاق محيط غير منحوس، وشاهدا بنصيب موفي غير منقوص ويتضح ما أبهم اشكاله التعمية، ويزول الاستكراه في اختلاف التسمية، ويستمر الوفاق بين السنين الهلالية والخراجية الى سنة أربع وثلاثين

وخمسمائة وينسب مال الخراج والمقاسمات • وما يستغل ويجبي من الاقطاعات • مما كان جاريا على ذكر سنة تسع وتسعين وأربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة وتجرى الاضافة اليها مجرى ما يرتفع من الهلالي فيها لتكون سنة احدى من هذه مشتملة على ما يخصها من مالها • وعلى مال السنة الخراجية بما يشرح من انتقالها • وكذلك نقل سنة تسع وتسعين وأربعمائة الخراجية الثابتة بالتسمية الى سنة احدى وخمسمائة المشار اليها ويكون مالها جاريا عليها فليعتمد ذلك في الدواوين بالحضرة وفي سائر اعمال الدولة قاصيها ودانيها وفارسها وشاميها وليتنبه كافة الكتاب والمستخدمين • وجميع العمال والمتصرفين • الى اقتفاء هذا السنن واتباعه • وليحذروا الخروج عن أحكامه المقررة وأوضاعه • وليبادروا الى امتثال المرسوم فيه • وليحذروا من تجاوزه وتعديه • ولينسخ في دواوين الاموال والجيوش المنصورة • وليخلد بعد ذلك في بيوت المال المعمورة • وكتب في محرم سنة احدى وخمسمائة * وقال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة ومن خطه نقلت * مستهل المحرم نسخ منشور بنقل السنة الخراجية الى السنة الهلالية والمطابقة بين اسميهما لموافقة الشهور العربية للشهور القبطية وخلو سنة سبع من نوروز فنقلت سنة خمس وستين وخمسمائة الخراجية الي هذه السنة وكان آخر نقل نقلته هذه السنة في الايام الافضلية فان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وسنة تسع وتسعين الخراجيتين نقلتا الى سنة احدى وخمسمائة الخراجية وسبب هذا الانفراج بينهما زيادة عدد السنة الشمسية على عدد الهلالية أحد عشر يوما واغفال النقل في سنة ثلاث وثلاثين في أيام الوزير الافضل رضوان بن ولخشى وانسحب ذيل هذه الزيادة وتداخل السنين بعضها في بعض الى أن صار التفاوت بينهما سنتين في هذه السنة فنقلت وهو انتقال لا يتعدى التسمية ولا يجاوز اللفظ ولا ينقص مالا لديوان ولا لمقطع وانما يقصد به ازالة الالباس وحل الاشكال * وقال القاضي أبو الحسين ونسخة الكتاب الذى انشأه القاضى الفاضل خرجت الاوامر الملكية الناصرية زاد الله في اعلائها بابداع هذا المنشور انا نؤثر من حسن النظر ما يؤثر أحسن الخبر ولا ينصرف بنا الفكر عما تحلى به السير وتجلى به الغير ولا تزال خواطرنا تعتلى فتطلع الدرارى وتغوص فتخرج الدرر وان أولى ما استحدث به البصائر وحرست فيه المصائر كل أمر يصحح المعاملات ويشرحها ويطلق عقولهم من عقول الاشكال ويسرحها ولما وجب نقل السنة الخراجية والمطابقة بينها وبين الهلالية لانفراجهما بسنتين وموافقة الشهور الخراجية والهلالية في هذه السنة مطلع المستهلين امضينا هذه السنة الخالية في هذه السنة الآتية واستخرنا الله تعالى في نقل سنتى خمس وست وستين وخمسمائة الى سنة سبع وستين وخمسمائة التى سميت بهذا النقل هلالية خراجية نفيا للامور المشتبهة والتسمية المموهة وتنزيها لسنى الاسلام عن التكبيس ولتاريخه عن ملابسة التلبيس واعلاما

بالوفاق الذى استشعرته آباؤها وبنوها واعلانا باتباعه عناية بعوايد السلف التي خلفوها للخلف وبنوها وفي ذلك ما تحمد به العواقب وتنفسح به المذاهب وتتيسر به المطالب ويزول به الاشكال ويؤمن به الاختلال ويحسم به الغلط في الحساب ويؤلف بين السنين المختلفة الانساب ويحفظ على القمر معاملته ويبعد عن التاريخ معاظلته ويقرب على الكاتب محاولته ويصرف عن نعمة الله هجنة كونها مقدمة في التسنية مؤخرة في التسمية وعن معاملة بيت المال وصمة كونها معذوقة بالمطل وقد بالغت في التوفية لان من أعطى في سنة سبع وستين وخمسمائة استحقاق سنة خمس فلا ريب أنه قد مطل بحكم السمع وان كان قد انجز بحكم الشرع فتوسم هذه السنة المباركة بالهلالية الخراجية وترفع الحسبانات بهذا الوضع ويعمل في التقريرات والتسجيلات على هذا فليفعل في ذلك ما يقضى بارتاج هذا الانفراج وجبر هذا الصدع وليعلم في الدواوين عامه ولينفذ فيها حكمه بعد ثبوته الى حيث يثبت مثله ان شاء الله تعالى *(وأما تاريخ العرب)* فانه لم يزل في الجاهلية والاسلام يعمل بشهور الاهلة وعدة شهور السنة عندهم اثنا عشر شهرا الا انهم اختلفوا في اسمائها فكانت العرب العاربة تسميها ناتق • ونقيل • وطليق • واسح • وأنخ • وحلك • وكسح • وزاهر • ونوط • وحرف وبغش • فناتق هو المحرم • ونقيل هو صفر • وهكذا ما بعده على سرد الشهور وكانت ثمود تسميها • موجب • وموجر • ومورد • وملزم • ومصدر • وهوبر • وهوبل • وموها وديمر • ودابر • وحيقل • ومسيل • فموجب هو المحرم • وموجر صفر • الا انهم كانوا يبدؤن بالشهور من ديمر وهو شهر رمضان فيكون أول شهور السنة عندهم ثم كانت العرب تسميها بأسماء أخر وهى • مؤتمر • وناجر • وخوان • وصوان • وحنتم • وزبا • والاصم وعادل • وبايق • ووعل • وهواع • وبرك • و معنى المؤتمر أنه يأتمر بكل شئ مما تأتي به السنة من اقضيتها وناجر من النجر وهو شدة الحر وخوان فعال من الخيانة وصوان بكسر الصاد وضمها فعال من الصيانة والزبا الداهية العظيمة المتكاثفة سمى بذلك لكثرة القتال فيه ومنهم من يقول بعد صوان الزبا وبعد الزبا بائدة وبعد بائدة الاصم ثم واغل وباطل وعادل ورنه وبرك فالبائد من القتال اذ كان فيه يبيد كثير من الناس وجرى المثل بذلك فقيل العجب كل العجب بين جمادى ورجب وكانوا يستعجلون فيه ويتوخون بلوغ الثار والغارات قبل رجب فانه شهر حرام ويقولون له الاصم لانهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح والواغل الداخل على شرب ولم يدعوه وذلك لانه تهجم على شهر رمضان وكان يكثر في شهر رمضان شربهم الخمر لان الذى يتلوه هى شهور الحج وباطل هو مكيال الخمر سمى به لافراطهم فيه في الشرب وكثرة استعمالهم لذلك المكيال وأما العادل فهو من العدل لانه من أشهر الحج وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل وأما الزبا فلان الانعام

كانت ترب فيه لقرب النحر وأما برك فهو لبروك الابل اذا حضرت المنحر وقد روى انهم كانوا يسمون المحرم مؤتمر ٠ وصفر ناجر ٠ وربيع الاول نصار٠ وربيع الآخر خوان وجمادى الاولى حنين ٠ وجمادى الآخرة الرنة٠ ورجب الاصم وهو شهر مضر ٠ وكانت العرب تصومه فى الجاهلية وكانت تمتار فيه وتمير أهلها وكان يأمن بعضهم بعضافيه ويخرجون الى الاسفار ولا يخافون وشعبان عادل٠ ورمضان ناتق ٠ وشوال واغل ٠وذوالقعدةهواع٠ وذو الحجة برك٠ ويقال فيه أيضا أبروك وكانوا يسمونه الميمون ثم سمت العرب أشهرها بالمحرم٠ وصفر ٠وربيع الاول٠ وربيع الآخر٠ وجمادى الاولى٠ وجمادى الآخرة ٠ورجب٠ وشعبان ورمضان ٠ وشوال ٠وذى القعدة٠ وذى الحجة ٠واشتقوا اسماءها من أمور اتفق وقوعها عند تسميتها فالمحرم كانوا يحرمون فيه القتال وصفر كانت تصفر فيه بيوتهم لخروجهم الى الغزو وشهرا ربيع كانا زمن الربيع وشهرا جمادى كانا يجمد فيهما الماء لشدة البرد ورجب الوسط وشعبان يشعب فيه القتال ورمضان من الرمضاء لانه كان يأتي فيه القيظ وشوال تشيل فيه الابل أذنابها وذو القعدة لقعودهم في دورهم وذو الحجة لانه شهر الحج وأنت اذا تأملت اشتقاق أسماء شهور الجاهلية أولا ثم اشتقاقها ثانيا تبين لك أن بين التسميتين زمانا طويلا فان صفر في أحدهما هو صميم الحروب وفي الآخر رمضان ولا يمكن ذلك في وقت واحد أو وقتين متقاربين وكانت العرب أولا تستعمل هذه الشهور على نحو ما يستعمله أهل الاسلام اما بطريق الهى او لان العرب لم يكن لها دراية بمراعاة حساب حركات النيرين فاحتاجت الى استعمال مبادئ الشهور لرؤية الاهلة وجعلت زمان الشهر بحسب ما يقع بين كل هلالين فربما كان بعض الشهور تاما أعني ثلاثين يوما وربما كان ناقصا أعني تسعة وعشرين يوما وربما كانت أشهر متوالية تامة أكثرها أربعة وهذا نادر وربما كانت أشهر متوالية ناقصة أكثرها ثلاثة وكان يقع حج العرب في أزمنة السنة كلها وهو أبدا عاشر ذى الحجة من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فاذا انقضى موسم الحج تفرقت العرب طالبة أما كنها وأقام أهل مكة بها فلم يزالوا على ذلك دهرا طويلا الى أن غيروا دين ابراهيم واسماعيل فأحبوا أن يتوسعوا في معيشتهم ويجعلوا حجهم فى وقت ادراك شغلهم من الادم والجلود والثمار ونحوها وأن يثبت ذلك على حالة واحدة في أطيب الازمنة وأخصبها فتعلموا كبس الشهور من اليهود الذين نزلوا يثرب من عهد شمويل نبى بنى اسرائيل وعملوا النسئ قبل الهجرة بنحو مائتى سنة وكان الذى يلى النسئ يقال له القلمس يعنى الشريف وقد اختلف في أول من أنسأ الشهور منهم فقيل القلمس هو عدي بن زيد وقيل القلمس هو سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة وانه قال أرى شهور الاهلة ثلثمائة وأربعة وخمسين يوما وأرى شهور العجم ثلثمائة وخمسة وستين يوما فبيننا وبينهم احد عشر يوما فى كل ثلاث

سنين ثلاثة وثلاثون يوما ففى كل ثلاث سنين شهر وكان اذا جاءت ثلاث سنين قدم الحج فى ذى القعدة فاذا جاءت ثلاث سنين أخر في المحرم وكانت العرب اذا حجت قلدت الابل النعال وألبستها الجلال وأشعرتها فلا يتعرض لها أحد الا ختعم وكان النسئ في بنى كنانة ثم فى بنى ثعلبة بن مالك بن كنانة وكان الذى يلى ذلك منهم أبو ثمامة المالكي ثم من بني فقيم وبنو فقيم هم النساءة وهو منسئ الشهور وكان يقوم على باب الكعبة فيقول ان آلهتكم العزى قد أنسأت صفر الاول وكان يحله عاما ويحرمه عاما وكان اتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتميم وآخر النساءة جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن حذيفة ابن عبد بن فقيم وقيل القلمس هو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة ابن الحارث بن مالك بن كنانة ثم توارث ذلك منه بنوه من بعده حتي كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام ابو ثمامة جنادة وكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فأحل لهم من الشهور وحرم فأحلوا ما أحل وحرموا ما حرم وكان اذا أراد أن ينسيء منها شيئاً أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفر فحرموه ليواطئوا عدة الاربعة فاذا أرادوا الهدى اجتمعوا اليه فقال اللهم اني لا أجاب ولا أعاب في أمرى والامر لما قضيت اللهم انى قد احللت دماء المحلين من طي وخثم فاقتلوهم حيث ثقفتموهم اي ظفرتم بهم اللهم انى قد احللت احد الصفرين الصفر الاول وانسأت الآخر من العام المقبل وانما احل دم طى وخثم لانهم كانوا يعدون على الناس فى الشهر الحرام من بين جميع العرب * وقيل اول من انسأ سرير بن ثعلبة وانقرض فأنسأ من بعده ابن اخيه القلمس واسمه عدى بن عامر ابن ثعلبة بن الحرث بن كنانة ثم صار النسئ في ولده وكان آخرهم ابو ثمامة جنادة وقيل عوف بن امية بن قلع عن ابيه امية بن قلع عن جده قلع بن عباد عن جد ابيه عباد بن حذيفة عن جد جده حذيفة بن عبد بن فقيم وكان يقال لحذيفة القلمس وهو اول من انسأ الشهور على العرب فأحل منها ما احل وحرم ما حرم ثم كان بعد عوف المذكور ولده ابو ثمامة جنادة بن عوف وعليه قام الاسلام وكان ابعدهم ذكرا واطولهم امدا يقال انه انسأ اربعين سنة وفيهم يقول عمير بن قيس جذل الطعان يفتخر

وأى الناس لم يسبق بوتر * وأى الناس لم يعلك لجاما
السنا الناسئين على معد * شهور الحل نجعلها حراما

وقال آخر

أتزعم انى من فقيم بن مالك * لعمرى لقد غيرت ما كنت اعلم
لهم ناسئ يمشون تحت لوائه * يحل اذا شاء الشهور ويحرم

وقيل كانت العرب تكبس في كل اربع وعشرين سنة قمرية بتسعة اشهر فكانت شهورهم

ثابتة مع الازمنة جارية على سنن واحد لا تتأخر عن اوقاتها ولا تتقدم وكان النسيء الاول للمحرم فسمى صفر باسمه وشهر ربيع الاول باسم صفر ثم والوا بين اسماء الشهور فكان النسيء الثانى بصفر فسمي الذي كان يتلوه بصفر أيضاً وكذلك حتى دار النسيء فى الشهور الاثنى عشر وعاد الى المحرم فأعادوا فعلهم الاول وكانوا يعدون أدوار النسيء ويحدون بها الازمنة فيقولون قد دارت السنون من لدن زمان كذا الى زمان كذا كذا وكذا دورة فان ظهر لهم مع ذلك تقدم شهر عن فصله من الفصول الاربعة لما يجتمع من كسور سنة الشمس بقية فضل ما بينها و بين سنة القمر الذى ألحقوه بها كبسوها كبساً ثانيا وكان يظهر لهم ذلك بطلوع منازل القمر وسقوطها حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وكانت نوبة النسيء بلغت شعبان فسمي محرما وشهر رمضان صفر وقيل ان الناسيء الاول نسأ المحرم وجعله كبساً وأخر المحرم الى صفر وصفر الى ربيع الاول وكذا بقية الشهورفوقع لهم في تلك السنة عاشر المحرم وجعل تلك السنة ثلاثة عشر شهرا ونقل الحج بعد كل ثلاث سنين شهراً فمضى على ذلك مائتان وعشر سنين وكان انقضاؤها سنة حجة الوداع وكان وقوع الحج في السنة التاسعة من الهجرة عاشر ذى القعدة وهى السنة التى حج فيها أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة حجة الوداع لوقوع الحج فيها عاشر ذي الحجة كما كان في عهد ابراهيم واسماعيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في حجته هذه ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض يعني رجوع الحج والشهور الى الوضع وأنزل الله تعالى ابطال النسيء بقوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم فبطل ما أحدثته الجاهلية من النسيء واستمر وقوع الحج والصوم برؤية الاهلة ولله الحمد * وكانت العرب لها تواريخ معروفة عندها قد بادت فمما كانت تؤرخ به ان كنانة أرخت من موت كعب بن لؤى حتى كان عام الفيل فأرخوا به وهو عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين كعب بن لؤى والفيل خمسمائة وعشرون سنة وكان بين الفيل وبين الفجار أربعون سنة ثم عدوا من الفجار الى وفاة هشام بن المغيرة فكان ست سنين ثم عدوا من وفاة هشام بن المغيرة الى بنيان الكعبة فكان تسع سنين ثم كان بين بنائها وبين هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة ثم وقع التاريخ من الهجرة النبوية فعن سعيد بن المسيب قال جمع عمر ابن الخطاب رضى الله عنه الناس فسألهم من أي يوم يكتب التاريخ فقال على بن أبي طالب من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أرض الشرك ففعله عمر وعن سهل ابن سعد الساعدى قال أخطأ الناس فى العدد ما عدوا من مبعثه ولا من وفاته انما عدوا

من مقدمه المدينة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان التاريخ من السنة التي قدم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقال قرة بن خالد عن محمد كان عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه عامل جاء من اليمن فقال لعمر أما تؤرخون تكتبون في سنة كذا وكذا من شهر كذا وكذا فأراد عمر والناس أن يكتبوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا من عند وفاته ثم أرادوا أن يكون ذلك من الهجرة ثم قالوا من أى شهر فأرادوا أن يكون من رمضان ثم بدا لهم فقالوا من المحرم وقال ميمون بن مهران رفع الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه صك محله شعبان فقال أى شعبان هو أشعبان الذى نحن فيه أو الآتي ثم جمع وجوه الصحابة فقال ان الاموال قد كثرت وما قسمنا منها غير موقت فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك فقالوا يجب أن يعرف ذلك من رسوم الفرس فعندها استحضر عمر رضى الله عنه الهرمزان وسأله عن ذلك فقال ان لنا حسابا نسميه ماه روز معناه حساب الشهور والايام فعربوا الكلمة وقالوا مؤرخ ثم جعلوه اسم التاريخ واستعملوه ثم طلبوا وقتاً يجعلونه أولا لتاريخ دولة الاسلام فاتفقوا على أن يكون المبدأ من سنة الهجرة وكانت الهجرة النبوية من مكة الى المدينة وقد تصرم من شهور السنة وأيامها المحرم وصفر وأيام من ربيع الاول فلما عزموا على تأسيس الهجرة رجعوا القهقرى ثمانية وستين يوما وجعلوا التاريخ من أول محرم هذه السنة ثم أحصوا من أول يوم فى المحرم الى آخر عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان عشر سنين وشهرين وأما اذا حسب عمره المقدس من الهجرة حقيقة فيكون قد عاش صلى الله عليه وسلم بعدها تسع سنين وأحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما وكان بين مولده صلى الله عليه وسلم وبين مولد المسيح عليه السلام خمسمائة وثمان وسبعون سنة تنقص شهرين وثمانية أيام وابتداء تاريخ الهجرة يوم الخميس أول شهر الله المحرم وبينه وبين الطوفان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وعشرة أشهر واثنان وعشرون يوما على ما عرفنا من الخلاف فى ذلك وبينه وبين تاريخ الاسكندر بن فيليبش المقدوني الرومي تسعمائة واحدى وستون سنة قمرية وأربعة وخمسون يوما تكون من السنين الشمسية تسعمائة واثنتين وثلاثين سنة ومائتين وتسعة وثمانين يوما عنها تسعة أشهر وتسعة عشر يوما وبينه وبين تاريخ القبط ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وتسعة وثلاثون يوما (١) وقال ابن ما شاالله ان انتقال المر من المثلثة الهوائية التي هى برج الجوزاء دولتها الى برج السرطان ومثلثته المائية التي كانت دولة الاسلام فيها عند تمام ستة آلاف وثلثمائة وخمس وأربعين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوما من وقت القران

---

(١) قوله وقال ابن الخ هكذا هذه العبارة في جميع النسخ التي بيدى ولا تخلو عن تحريف ظاهر ككثير من عبارات هذا الكتاب ولا يعلم الغيب الا الله اه

الاول الواقع في بدء التحرك يعني خلق آدم عليه السلام وان القران من هـذه المثلثة وقع
في أربع درج ودقيقة واحدة من برج العقرب وهو قران الملة الاسـلامية قال وفى السنة
الثانية من هذا القران ولد رسول الله صلى الله عليه وسـلم وكان بين دخول الشمس برج
الحمل في هذه السنة وبين أول يوم من سنة الهجرة سنون فارسية عدتها احدى وخمسون
سنة وثلاثة أشهر وثمانية أيام وست عشرة ساعة فكان من وقت الطوفان الى وقت قران
الملة ثلاثة آلاف وتسعمائة واثنتا عشرة سنة وستة أشهر وأربعة عشر يوما * وزعمت اليهود
أن من آدم عليه السلام الي سنة الهجرة أربعة آلاف واثنتين وأربعين سنة وثلاثة أشهر *
وزعمت النصارى أن بينهما خمسة آلاف وتسعمائة وتسعين سنة وثلاثة أشهر * وزعمت المجوس
أعني الفرس أن بينهما أربعة آلاف ومائة واثنتين وثمانين سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر
يوما وقـد عرفت أن شهور تاريخ الهجرة قمرية وأيام كل سنة منها عدتها ثلثمائة وأربعة
وخمسون يوما وخمس وسدس يوم وجميع الاحكام الشرعية مبنية على رؤية الهـلال عند
جميع فرق الاسلام ما عدا الشيعة فان الاحكام مبنية عندهم على عمل شهور السنة بالحساب
على ما ستراه في ذكر القاهرة وخلفائها ثم لما احتاج منجمو الاسلام الى استخراج مالابد
منه من معرفة الاهلة وسمت القبـلة وغير ذلك بنو أزياجهم على التاريخ العربي وجعلوا
شهور السنة العربية شهرا كاملا وشهرا ناقصا وابتدؤا بالمحرم اقتداء بالصحابة رضي الله عنهم
فجعلوا المحرم ثلاثين يوما وصفر تسعة وعشرين يوما وربيعا الاول ثلاثين يوما وربيعا الآخر
تسعة وعشرين يوما وجمادى الاولى ثلاثين يوما وجمادى الآخرة تسـعة وعشرين يوما
ورجب ثلاثين يوما وشعبان تسعة وعشرين يوما ورمضان ثلاثين يوما وشوالا تسعة وعشرين
يوما وذا القعدة ثلاثين يوما وذا الحجة تسـعة وعشرين يوما وزادوا من أجل كسر اليوم
الذى هو خمس وسدس يوما في ذى الحجة اذا صار هـذا الكسر أكثر من نصف يوم
فيكون شهر ذى الحجة في تلك السنة ثلاثين يوما ويسمون تلك السنة كبيسة ويصير عددها
ثلثمائة وخمسة وخمسين يوما ويجتمع في كل ثلاثين من الكبس أحد عشر يوما والله أعلم *
وأما تاريخ الفرس ويعرف أيضا بتاريخ يزدجرد فانه من ابتداء تملك يزدجرد بن شهريار
ابن كسرى ابرويز أرخ به الفرس من أجل أن يزدجرد قام في المملكة بعد ما تبدد ملك
فارس واستولى عليه النساء والمتغلبون وهو أيضاً آخر ملوك فارس وبقتـله تمزق ملكهم
وأول هذا التاريخ يوم الثلاثاء وبينه وبين تاريخ الهجرة تسع سنين وثلثمائة وثمانية وثلاثون
يوما وأيام سنة هذا التاريخ تنقص عن السنة الشمسية ربع يوم فيكون فى كل مائة وعشرين
سنة شهرا واحدا ولهم في كبس السنة آراء ليس هذا موضع ايرادها وعلى هذا التاريخ
يعتمد في زمننا أهل العراق وبلاد العجم ولله عاقبة الامور

ذكر فسطاط مصر

قال الجوهرى الفسطاط بيت من شعر قال ومنه فسطاط مدينة مصر اعلم أن فسطاط مصر اختط في الاسلام بعدما فتحت أرض مصر وصارت دار اسلام وقد كانت بيد الروم والقبط وهم نصارى ملكانيـة ويعقوبية وميانية وحين اختط المسـلمون الفسطاط انتقل كرسى المملكة من مدينة الاسكندرية بعد ما كانت منزل الملك ودار الامارة زيادة على تسعمائة سنة وصار من حينئذ الفسطاط دار امارة ينزل به أمراء مصر فلم يزل على ذلك حتى بنى العسكر بظاهر الفسطاط فنزل فيه أمراء مصر وسكنوه وربما سكن بعضهم الفسطاط فلما أنشأ الامير أبو العباس أحمد بن طولون القطائع بجانب العسكر سكن فيها واتخذها الامراء من بعده منزلا الى أن انقرضت دولة بني طولون فصار أمراء مصر من بعد ذلك ينزلون بالعسكر خارج الفسطاط وما زالوا على ذلك حتى قدمت عساكر الامام المعز لدين الله أبي تميم معد الفاطمي مع كاتبه جوهر القائد فبنى القاهرة وصارت خلافة واستمر سكنى الرعية بالفسطاط وبلغ من وفور العمارة وكثرة الخلائق ما أربى على عامة مدن المعمور حاشا بغداد وما زال على ذلك حتي تغلب الفرنج على سواحل البـلاد الشامية ونزل مرى ملك الفرنج بجموعه الكثيرة على بركة الحبش يريد الاستيلاء على مملكة مصر وأخذ الفسطاط والقاهرة فعجز الوزير شاور بن مجير السعدى عن حفظ البلدين معاً فأمر الناس باخلاء مدينة الفسطاط واللحاق بالقاهرة للامتناع من الفرنج وكانت القاهرة اذ ذاك من الحصانة والامتناع بحيث لا ترام فارتحل الناس من الفسطاط وساروا بأسرهم الى القاهرة وأمر شاور فألقى العبيد النار في الفسطاط فلم تزل به بضعا وخمسين يوما حتي احترقت أكثر مساكنه فلما رحل مري عن القاهرة واستولى شيركوه على الوزارة تراجع الناس الى الفسطاط ورموا بعض شعثه ولم يزل في نقص وخراب الى يومنا هذا وقد صار الفسطاط يعرف في زمننا بمدينـة مصر والله أعلم

ذكر ما كان عليه موضع الفسطاط قبل الاسلام الى أن اختطه المسلمون مدينة

اعلم أن موضع الفسطاط الذي يقال له اليوم مدينة مصر كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بالجبل المقطم ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بعضه بقصر الشمع وبالمعلقة ينزل به شحنة الروم المتولى على مصر من قبل القياصرة ملوك الروم عند مسيره من مدينة الاسكندرية ويقيم فيه ما شاء ثم يعود الى دار الامارة ومنزل الملك من الاسكندرية وكان هذا الحصن مطلا على النيل وتصل السفن في النيـل الى بابه الغربى الذى كان يعرف بباب الحديد ومنه ركب المقوقس فى السفن فى النيل من بابه الغربي حين غلبه المسلمون على الحصن المذكور وصار فيه الى الجزيرة التي تجاه الحصن

وهي التي تعرف اليوم بالروضة قبالة مصر وكان مقياس النيل بجانب الحصن * وقال ابن المتوج وعمود المقياس موجود في زقاق مسجد ابن النعمان قلت وهو باق الى يومنا هذا أعني سنة عشرين وثمانمائة وكان هذا الحصن لا يزال مشحونا بالمقاتلة وسيرد فى هذا الكتاب خبره ان شاء الله تعالى وكان بجوار هذا الحصن من بحريه وهي الجهة الشمالية أشجار وكروم صار موضعها الجامع العتيق وفيما بين الحصن والجبل عدة كنائس وديارات للنصاري فى الموضع الذى يعرف اليوم براشدة وبجانب الحصن فيما بين الكروم التي كانت بجانبه وبين الجرف الذي يعرف اليوم بجبل يشكر حيث جامع ابن طولون والكبش عدة كنائس وديارات للنصارى فى الموضع الذى كان يعرف في أوائل الاسلام بالحمراء وعرف الآن بخط قناطر السباع والسبع سقايات وبقى بالحمراء عدة من الديارات الى أن هدمت في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون على ما ذكر في هذا الكتاب عند ذكر كنائس النصارى فلما افتتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية الفتح الاول نزل بجوار هذا الحصن واختط الجامع المعروف بالجامع العتيق وبجامع عمرو بن العاص واختطت قبائل العرب من حوله فصارت مدينة عرفت بالفسطاط ونزل الناس بها فانحسر بعد الفتح بأعوام ماء النيل عن أرض تجاه الحصن والجامع العتيق فصار المسلمون يوقفون هناك دوابهم ثم اختطوا فيه المساكن شيئاً بعد شئ وصار ساحل البلد حيث الموضع الذى يقال له اليوم فى مصر المعاريج مارا الى الكوم الذى على يسرة الداخل من باب مصر بحد الكبارة وفى موضع هذا الكوم كانت الدور المطلة على النيل ويمر الساحل من باب مصر المذكور الى حيث بستان بن كيسان الذى يعرف اليوم ببستان الطواشي في أول مراغة مصر وجميع الاماكن التى تعرف اليوم بمراغة مصر وبالجرف الى الخليج عرضاً ومن حيث قنطرة السد الى سوق المعاريج طولا كان غامراً بماء النيل الى أن انحسر عنه ماء النيل بعد سنة ستمائة من سني الهجرة فصار رملة ثم اختط فيه الامراء مما يلى النيل آدرا عندما عمر الملك الصالح نجم الدين أيوب قلعة الروضة واختط بعضه شونا الى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون جامعه المعروف بالجامع الجديد الناصري ظاهر مصر فعمر ماحوله وقد كان عند فتح مصر سائر المواضع التي من منشأة المهراني الى بركة الحبش طولا ومن ساحل النيل بموردة الحلفاء وتجاه الجامع الجديد الى سوق المعاريج وما على سمته الى تجاه المشهد الذي يقال له مشهد الرأس وتسميه العامة اليوم مشهد زين العابدين كلها بحرا لا يحول بين الحصن والجامع وما على سمتهما الى الحمراء الدنيا التي منها اليوم خط قناطر السباع وبين جزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة شئ سوى ماء النيل وجميع مافى هذه المواضع من الابنية انكشف عنه النيل قليلا قليلا واختط على ما يتبين لك في هذا الكتاب

ذكر الحصن الذي يعرف بقصر الشمع

اعلم أن هـذا القصر احدث بعـد خراب مصر على يد بخت نصر وقد اختلف فى الوقت الذي بني فيه ومن أنشاه من الملوك فذكر الواقدى أن الذي بناه اسمه الريان بن الوليـد ابن ارسلاوس وكان هـذا القصر يوقد عليـه الشمع في رأس كل شهر وذلك انه اذاحلت الشمس في برج من البروج اوقد في تلك الليـلة الشمع على رأس ذلك القصر فيعلم الناس بوقود الشمع أن الشمس انتقلت من البرج الذى كانت فيه الى برج آخر غيره ولم يزل القصر على حاله الى أن خربت مصر زمن بخت نصر بن نيروز الـكلداني فأقام خرابا خمسمائة سنة ولم يبق منـه الا أثره فقط فلما غلب الروم على مصر وملكوها من أيدى اليونانيين ولي مصر من قبلهم رجل يقال له ارجاليس بن مقراطيس فبني القصر على ماوجد من أساسه وقال ابن سعيد وصارت مصر والشام بعد بخت نصر في مملكة الفرس فوليها منهم كشرجوش الفارسى باني قصر الشمع وبعده طخارست الطويل الولاية وتوالت بعد نواب الفرس الى ظهور الاسكندر وقال غيره ان الذى بناه طخشاشت أحد ملوك الفرس عنـد ماسار لمحاربة أهل مصر فلما غلب قسطو ملك مصر الذى يعرف بفرعون سابان وفرمنه الى مقدونيـة غلب على ملك مصر واستولى عليها وبنى للفرس قصرا وجعل فيـه بيت نار على شاطئ النيل الشرقي وعرف بقصر الشمع لانه كان له باب يقال له باب الشمع وجعل في القصر بيت نار وهو باق * وقال ابن عبد الحـكم عن الليث بن سعد وكانت الفرس قد أسست بناء الحصن الذى يقال له باب اليون وهو الحصن الذى بفسطاط مصر اليوم فلما انكشفت جموع فارس عن الروم وأخرجتهـم الروم من الشام أتمت بنـاء ذلك الحصن وأقامت به فلم تزل مصر في ملك الروم حتى فتحها الله تعالى على المسلمين قال وكان أبو الاسود نصر بن عبـد الجبار يقولها بالميم يعني باب اليوم ويقال انما سمي كذا لانهم كانوا يقولون من يقاتل اليوم * وقال القضاعي ذكر الحصن المعروف بقصر الشمع يقـال ان فارس لما ظهرت على الروم وملكت عليهم الشـام وملكت مصر بدأت ببناء هـذا القصر وبنت فيـه هيكلا لبيت النار ولم يتم بناؤه على أيديهم الى أن ظهرت الروم عليهم فتممت بناءه وحصنته ولم تزل فيـه الى حين الفتح وهيكل النار هو القبـة المعروفة اليـوم بقبة الدخان وبحضرتها مسجد معلق احدثه المسلمون * وقال أبو عبيد البكرى باب اليون بمصر ان كان عربيا فانه مثل يوم ويوح مما فاؤه ياء وعينه واو وقد يجوز أن يكون فعلا من بين وهو اسم موضع على مذهب أبي الحسن في فعل من البيع بوع قال وليست الالف واللام فيه للتعريف فعلى هذا يجب أن تثبت في الرسم وقال أبو صخر

وحلوانها مى ارضنا وتبدلوا * بمكة باب اليون والربط بالعصب

والرواية في شعر كثير عزة في قوله

جرى بين باب اليون والعصب ✲ دونه رياح اشفت بالنقى واشمت

بالباء وبفتح النون غير مجرور للعجمة على أن همزته مقطوعة وصلها للضرورة وقال الحازمي باب البون بالباء اسم مدينة مصر فتحها المسلمون وسموها الفسطاط وقال عبد الملك بن هشام بابليون المنسوب اليه مصر هو بابليون بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وان من ولده عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن سبا وهو الملك على مصر لما قدم اليها ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه والقبط تسمي عمرا هذا طوطيس ومن ولده حلوان ابن بابليون بن عمرو بن امرئ القيس وبه سميت حلوان * وقال القاضي القضاعي في ظاهر الفسطاط القصر المعروف بباب ليون بالشرف ليون اسم بلد مصر بلغة السودان والروم وقد بقيت من بنائه بقية مبنية بالحجارة على طرف الجبل بالشرف وعليه اليوم مسجد قال المؤلف فهذا كما ترى صريح في أن قصر باب اليون غير قصر الشمع فان قصر الشمع في داخل الفسطاط وقصر باب اليون هذا عند القضاعي على الجبل المعروف بالشرف والشرف خارج الفسطاط وهو خلاف ما قاله ابن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر والله أعلم * ويقال ان في زمن ناحور بن شاروع وهو الثامن عشر من آدم ملك مصر رجل اسمه افطوطس مدة اثنتين وثلاثين سنة وانه أول من اظهر علم الحساب والسحر وحمل كتب ذلك من بلاد الكلدانيين الى مصر وفي ذلك الزمان بنيت بابليون على بحر النيل بمصر وذلك لتمام ثلاثة آلاف وثلثمائة وتسعين للعالم وقال ابن سعيد في كتاب المعرب وأما فسطاط مصر فان مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو بن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه وهذا وهم من ابن سعيد فان فسطاط عمرو انما كان مضروبا عند درب حمام شمول بخط الجامع هكذا هو بخط الشريف محمد بن أسعد الجواني النسابة وهو أقعد بخطط مصر وأعرف من ابن سعيد وأما موضع الجامع فكان كروما وجنانا وحاز موضعه قيسبة التجيبي ثم تصدق به على المسلمين فعمل المسجد وستقف على هذا ان شاء الله تعالى في ذكر جامع عمرو عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب * وقال ابن المتوج خط قصر الشمع هذا الخط يعرف بقصر الشمع وفيه قصر الروم وفيه ازقة ودروب قال وكنيسة المعلقة بمصر بباب القصر وهو قصر الروم * وقال ابن عبد الحكم وأقر عمرو بن العاص القصر لم يقسمه ووقفه * وقال أبو عمرو الكندي في كتاب الامراء وقد ذكر قيام علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن ابن علي بن أبي طالب وطروق المسجد في امارة يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة على مصر وورد كتاب أبي جعفر المنصور على يزيد بن حاتم يأمره بالتحول من

العسكر الى الفسطاط وأن يجعل الديوان في كنائس القصر وذلك في سنة ست وأربعين ومائة والله أعلم

ذكر حصار المسلمين للقصر وفتح مصر

اختلف الناس في فتح مصر فقال محمد بن اسحق وأبو معشر ومحمد بن عمرو الواقدي ويزيد بن أبي حبيب وأبو عمرو الكندي فتحت سنة عشرين وقال سيف بن عمر فتحت سنة ست عشرة وقيل فتحت سنة ست وعشرين وقيل سنة احدى وعشرين وقيل سنة اثنتين وعشرين والاول اصح وأشهر * قال ابن عبد الحكم لما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجابية قام اليه عمرو بن العاص فخلا به فقال ياأمير المؤمنين ائذن لي ان أسير الى مصر وحرضه عليها وقال انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهي أكثر الارض أموالا وأعجز عن القتال والحرب فتخوف عمر بن الخطاب وكره ذلك فلم يزل عمرو يعظم أمرها عند عمر بن الخطاب ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن لذلك فعقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من عك ويقال بل ثلاثة آلاف وخمسمائة وقال له عمر سر وأنا مستخير الله في مسيرك وسيأتيك كتابي سريعا ان شاء الله تعالى فان ادركك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيأ من أرضها فانصرف وان أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس واستخار عمر الله فكأنه تخوف على المسلمين فى وجههم ذلك فكتب الى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين فأدرك عمرا الكتاب اذ هو برفح فتخوف عمرو ان هو أخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد اليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش فسأل عنها فقيل انها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين فقال عمرو لمن معه ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر قالوا بلى قال فان أمير المؤمنين عهد الى وأمرنى ان لحقنى كتابه ولم أدخل أرض مصر أن ارجع ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا أرض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله ويقال بل كان عمرو بفلسطين فتقدم عمرو بأصحابه الى مصر بغير اذن فكتب فيه الى عمر رضى الله عنه فكتب اليه عمر وهو دون العريش فحبس الكتاب فلم يقرأه حتى بلغ العريش فقرأه فاذا فيه من عمر بن الخطاب الى العاصى بن العاصي أما بعد فانك سرت الى مصر ومن معك وبها جموع الروم وانما معك نفر يسير ولعمرى لو نكل بك ماسرت بهم فان لم تكن بلغت مصر فارجع فقال عمرو الحمد لله أية أرض هذه قالوا من مصر فتقدم كما هو ويقال بل كان عمرو في جنده على قيسارية مع من كان بها من اجناد المسلمين وعمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ ذاك بالجابية فكتب سرا فاستأذن أن يسير الى

مصر وأمر أصحابه فتنحوا كالقـوم الذين يريدون أن يتنحوا من منزل الى منزل قريب ثم
سار بهم ليلا فلما فقده امراء الاجناد استنكروا الذى فعل ورأوا أن قد غدر فرفعوا ذلك
الى عمر بن الخطاب فكتب اليـه عمر الى العاصي ابن العاصى أما بعد فانك قد غررت بمن
معك فان ادركك كتابي ولم تدخل مصر فارجع وان ادركك وقد دخلت فامض واعلم أنى
ممدك * ويقال ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى عمرو بن العاص بعد مافتح
الشام أن اندب الناس الى المسير معك الى مصر فمن خف معك فسر به وبعث به مع شريك
ابن عبدة فندبهم عمرو فأسرعوا الى الخروج مع عمرو ثم ان عثمان بن عفان رضى الله عنه
دخل على عمر بن الخطاب فقال عمر كتبت الى عمرو بن العاص يسير الى مصر من الشام
فقال عثمان يا أمير المؤمنين ان عمرا لجرئ وفيه اقدام وحب للامارة فأخشى أن يخرج في
غير ثقة ولا جمـاعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لايدري تكون أم لافندم عمر على
كتابه الى عمرو واشفق مما قال عثمان فكتب اليه أن أدركك كتابي قبل أن تدخل الى مصر
فارجع الى موضعك وان كنت دخلت فامض لوجهك فلما بلغ المقـوقس قدوم عمرو بن
العاص الى مصر توجه الى موضع الفسطاط فكان يجهز على عمرو الجيوش وكان على القصر
رجل من الروم يقال له الاعيرج واليا عليه وكان تحت يد المقوقس وأقبل عمرو حتى اذا كان
بجبل الجلال نفرت معه راشـدة وقبائل من لخم فتوجه عمرو حتى اذا كان بالعريش أدركه
النحر فضحى عن أصحابه يومئذ بكبش وتقدم فكان أول موضع قوتل فيـه الفرما قاتلته
الروم قتالا شديدا نحوا من شهر ثم فتح الله عليه وكان عبد الله بن سعد على ميمنة عمرو
منـذ توجه من قيسارية الى أن فرغ من حربه وكان بالاسكندرية أسقف للقبط يقال له
ابو ميامين فلما بلغه قدوم عمرو الى مصر كتب الى القبط يعلمهم أنه لا يكون للروم دولة
وان ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقي عمرو فيقال ان القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ
لعمرو أعوانا ثم توجه عمرو لا يدافع الا بالامر الخفيف حتي نزل القواصر فسمع رجل
من لخم نفرا من القبط يقول بعضهم لبعض ألا تعجبون من هؤلاء القوم يقـدمون على
جموع الروم وانما هم في قلة من الناس فأجابه رجل منهم فقال ان هؤلاء القوم لا يتوجهون
الى احد الاظهروا عليه حتى يقتلوا خيرهم وتقدم عمرو لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى
اتى بابيس فقاتـلوه بها نحوا من الشهر حتى فتح الله عليه ثم مضى لا يدافع الا بالامر
الخفيف حتى اتى ام دنين فقاتلوه بها قتالا شديدا وأبطأ عليه الفتح فكتب الى عمر يستمده
فأمده بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف وقيل بل أمده باثنى عشر ألفا فوصلوا اليه ارسالا
يتبع بعضهم بعضا فكان فيهم أربعة آلاف عليهم اربعة الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود
وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل ان الرابع خارجة بن حذافة دون مسلمة ثم

احاط المسلمون بالحصن واميره يومئذ المندقور الذي يقال له الاعيرج من قبل المقوقس ابن قرقت اليوناني وكان المقوقس ينزل الاسكندرية وهو في سلطان هرقل غير أنه كان حاضر الحصن حين حاصره المسلمون فقاتل عمرو بن العاص من بالحصن وجاء رجل الى عمرو فقال اندب معي خيلا حتى آتي من ديارتهم عند القتال فأخرج معه خمسمائة فارس عليهم خارجة بن حذافة في قول فساروا من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بني وائل قبل الصبح وكانت الروم قد خندقوا خندقا وجعلوا له أبوابا وبنوا في افنيتها حسك الحديد فالتقى القوم حين أصبحوا وخرج خارجة من ورائهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن وكانوا قد خندقوا حوله فنزل عمرو على الحصن وقاتلهم قتالا شديدا يصبحهم ويمسيهم وقيل انه لما أبطأ الفتح على عمرو كتب الى عمر بن الخطاب يستمده ويعلمه بذلك فأمده بأربعة آلاف رجل على كل الف رجل منهم مقام الألف الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل بل خارجة بن حذافة لايعدون مسلمة وقال عمر اعلم أن معك اثنى عشر ألفا ولا تغلب اثنا عشر ألفا من قلة وقيل قدم الزبير في اثنى عشر ألفا وان عمرا لما قدم من الشام كان في عدة قليلة فكان يفرق اصحابه ليرى العدو أنهم أكثر مما هم فلما انتهى الى الخندق نادوه أن قد رأينا ماصنعت وانما معك من أصحابك كذا وكذا فلم يخطئوا برجل واحد فأقام عمرو على ذلك اياما يغدو في السحر فيصف اصحابه على أفواه الخندق عليهم السلاح فبينا هو على ذلك اذ جاءه خبر الزبير بن العوام انه قدم فى اثنى عشر ألفا فتلقاه عمرو ثم أقبلا يسير ان ثم لم يلبث الزبير أن ركب ثم طاف بالخندق ثم فرق الرجال حول الخندق والح عمرو على القصر ووضع عليه المنجنيق ودخل عمرو الى صاحب الحصن فتناظرا في شيء مما هم فيه فقال عمرو أخرج وأستشير أصحابي وقد كان صاحب الحصن أوصى الذي على الباب اذا مر به عمرو أن يلقي عليه صخرة فيقتله فمر عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب فقال له قد دخلت فانظر كيف تخرج فرجع عمرو الى صاحب الحصن فقال له اني أريد أن آتيك بنفر من أصحابي حتى يسمعوا منك مثل الذي سمعت فقال العلج في نفسه قتل جماعة أحب الى من قتل واحد وأرسل الى الذى كان أمره بما أمره به من قتل عمرو أن لايتعرض له رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم فخرج عمرو وعبادة بن الصامت في ناحية يصلي وفرسه عنده فرآه قوم من الروم فخرجوا اليه وعليهم حلية وبزة فلما دنوا منه سلم من صلاته ووثب على فرسه ثم حمل عليهم فلما رأوه ولوا راجعين فاتبعهم فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم وهو لايلتفت اليه حتى دخلوا الحصن ورمى عبادة من فوق الحصن بالحجارة فرجع ولم يتعرض لشيء مما طرحوا من متاعهم حتى رجع الى موضعه الذى كان به فاستقبل الصلاة وخرج الروم الى متاعهم يجمعونه فلما ابطأ

الفتح على عمر وقال الزبير اني أهب الله نفسي أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين فوضع سلما الى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد فأمرهم اذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا فما شعروا الا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا من أن ينكسر وكبر الزبير فكبرت الناس معه وأجابهم المسلمون من خارج فلم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعا فهربوا وعمد الزبير وأصحابه الى باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن فخاف المقوقس على نفسه ومن معه فحينئذ سأل عمرو بن العاص الصلح ودعاه اليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين على كل رجل منهم فأجابه عمرو الى ذلك وكان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر قال وقد سمعت في فتح القصر وجها آخر هو أن المسلمين لما حصروا باب اليون كان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فقاتلوهم شهرا فلما رأى القوم الجد من العرب على فتحه والحرص ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم فتنحي المقوقس وجماعة من أكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلي ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم وأمروا بقطع الجسر وذلك في جرى النيل ويقال ان الاعيرج تخلف في الحصن بعد المقوقس وقيل خرج معهم فلما خاف فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة فأرسل المقوقس الى عمرو انكم قوم قد ولجتم في بلادنا وألححتم على قتالنا وطال مقامكم في أرضنا وانما أنتم عصبة يسيرة وقد أظلتكم الروم وجهزوا اليكم ومعهم من العدة والسلاح وقد أحاط بكم هذا النيل وانما أنتم أسارى في أيدينا فابعثوا الينا رجالا منكم نسمع من كلامهم فلعله أن يأتي الامر فيما بيننا وبينكم على ماتحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ولعلكم أن تندموا ان كان الامر مخالفا لطلبتكم ورجائكم فابعثوا الينا رجالا من أصحابكم نعاملهم على مانرضى نحن وهم به من شيء فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال لاصحابه أترون انهم يقتلون الرسل ويستحلون ذلك في دينهم وانما اراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين فرد عليهم عمرو مع رسله انه ليس بيني وبينكم الا احدى ثلاث خصال اما أن دخلتم في الاسلام فكنتم اخواننا وكان لكم مالنا وان أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون واما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين فلما جاءت رسل المقوقس اليه قال كيف رأيتم هؤلاء قالوا رأينا قوما الموت أحب الى أحدهم من الحياة والتواضع أحب الى أحدهم من الرفعة ليس لاحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة انما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم

ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد منهم من العبد واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم فقال عند ذلك المقوقس والذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لازالوها وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبوا بعد اليوم اذا أمكنتهم الارض وقووا على الخروج من موضعهم فرد اليهم المقوقس رسله ابعثوا الينا رسلا منكم نعاملهم ونتداعي نحن وهم الى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت وكان طوله عشرة اشبار وأمره أن يكون متكلم القوم ولا يجيبهم الى شيء دعوه اليه الا احدى هذه الثلاث خصال فان أمير المؤمنين قد تقدم الى في ذلك وأمرنى ان لا أقبل شيأ سوى خصلة من هذه الثلاث خصال وكان عبادة اسود فلما ركبوا السفن الى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة فهابه المقوقس لسواده وقال نحوا عنى هذا الاسود وقدموا غيره يكلمني فقالوا جميعا ان هذا الاسود أفضلنا رأيا وعلما وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وانما نرجع جميعا الى قوله ورأيه وقد أمره الامير دوننا بما أمره وأمرنا أن لانخالف رأيه وقوله قال وكيف رضيتم أن يكون هذا الاسود أفضلكم وانما ينبغي أن يكون هو دونكم قالوا كلا انه وان كان اسود كما ترى فانه من افضلنا موضعا وافضلنا سابقة وعقلا ورأيا وليس ينكر السواد فينا فقال المقوقس لعبادة تقدم يا اسود وكلمني برفق فانى اهاب سوادك وان اشتد كلامك على ازددت لك هيبة فتقدم عليه عبادة فقال قد سمعت مقالتك وان فيمن خلفت من اصحابي ألف رجل اسود كلهم أشد سوادا مني وافظع منظرا ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لي وأنا قد وليت وادبر شبابى وانى مع ذلك بحمد الله ما اهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلونى جميعا وكذلك اصحابى وذلك انما رغبتنا وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة في دنيا ولا طلب للاستكثار منها الا أن الله عز وجل قد احل لنا ذلك وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا وما يبالي احدنا ان كان له قنطار من ذهب ام كان لا يملك الا درهما لان غاية احدنا من الدنيا اكلة يأكلها يسد بها جوعه لليله ونهاره وشملة يلتحفها فان كان احدنا لا يملك الا ذلك كفاه . وان كان له قنطار من ذهب انفقه في طاعة الله واقتصر على هذا الذى بيده . ويبلغه ما كان في الدنيا لان نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاها ليس برخاء انما النعيم والرخاء في الآخرة وبذلك امرنا الله وامرنا به نبينا وعهد الينا ان لا تكون همة احدنا من الدنيا الا ما يمسك جوعته ويستر عورته وتكون همته وشغله في رضوانه وجهاد عدوه فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لاهيب عندى من منظره ان هذا واصحابه اخرجهم الله لخراب الارض ما اظن ملكهم الا سيغلب على الارض كلها ثم اقبل

المقوقس على عبادة بن الصامت فقال له ايها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن اصحابك ولعمرى ما بلغتم ما بلغتم الا بما ذكرت وما ظهرتم على من ظهرتم عليه الا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة ما يبالي احدهم من لقي ولا من قاتل وانا لنعلم انكم لم تقدروا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم وقد اقمتم بين اظهرنا اشهرا وانتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بين ايديكم ونحب تطيب انفسنا ان نصالحكم على ان نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولا ميركم مائة دينار ولخليفتكم الف دينار فتقبضونها وتنصرفون الى بلادكم قبل ان يغشاكم مالا قوام لكم به فقال عبادة بن الصامت ياهذا لاتغرن نفسك ولا اصحابك اما ماتخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وانا لانقوى عليهم فلعمرى ماهذا بالذى تخوفنا به ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه وان كان ما قلتم حقا فذلك والله ارغب مايكون في قتالهم واشد لحرصنا عليهم لان ذلك اعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا عليه ان قتلنا من آخرنا كان امكن لنا في رضوانه وجنته وما شئ أقر لاعيننا ولا احب لنا من ذلك وانا منكم حينئذ لعلى احدى الحسنيين اما ان تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفرنا بكم او غنيمة الآخرة ان ظفرتم بنا ولانها احب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا وان الله عزوجل قال لنا في كتابه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وما منا رجل الا وهو يدعو ربه صباحا ومساء ان يرزقه الشهادة وان لايرده الى بلده ولا الى أرضه ولا الى اهله وولده وليس لاحد مناهم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه اهله وولده وانما همنا ما امامنا واما قولك انا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما اردنا منها لانفسنا اكثر مما نحن عليه فانظر الذى تريد فبينه لنا فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك اليها الا خصلة من ثلاث فاختر ايتها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل بذلك امرنى الامير وبها أمره امير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل الينا اما ان أجبتم الى الاسلام الذى هو الدين القيم الذي لا يقبل الله غيره وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته امرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتي يدخل فيه فان فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان أخانا في دين الله فان قبلت ذلك انت وأصحابك فقد سعدتم في الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم وان أبيتم الا الجزية فأدوا الينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون وأن نعاملكم على شئ نرضي به نحن وأنتم في كل عام ابدا ما بقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناواكم وعرض لكم فى شئ من أرضكم ودمائكم وأموالكم ونقوم بذلك عنكم اذ كنتم في ذمتنا

وكان لكم به عهد علينا وان أبيتم فليس بيننا وبينكم الا المحاكمة بالسيف حتي نموت من آخرنا أو نصيب ما نريد منكم هذا ديننا الذي ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره فانظروا لانفسكم فقال المقوقس هذا ما لا يكون ابدا ما تريدون الا أن تتخذونا عبيدا ما كانت الدنيا فقال له عبادة هوذاك فاختر لنفسك ما شئت فقال المقوقس افلا تجيبونا الى خصلة غير هذه الثلاث خصال فرفع عبادة يديه الى السماء فقال لاورب هذه السماء ورب هذه الارض ورب كل شئ مالكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لانفسكم فالتفت المقوقس عند ذلك الى أصحابه فقال قد فرغ القوم فما ترون فقالوا أويرضى أحد بهذا الذل أما ما أرادوا من دخولنا في دينهم فهذا لا يكون ابدا أن نترك دين المسيح بن مريم وندخل في دين غيره لا نعرفه وأما ما ارادوا أن يسبونا ويجعلونا عبيدا فالموت أيسر من ذلك لو رضوا منا أن نضعف لهم ما أعطيناهم مرارا كان أهون علينا فقال المقوقس لعبادة قد أبى القوم فما ترى فراجع صاحبك على أن نعطيكم فى مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون فقال عبادة واصحابه لا فقال المقوقس عند ذلك لاصحابه اطيعوني وأجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله مالكم بهم طاقة ولئن لم تجيبوا اليها طائعين لتجيبنهم الى ما هو أعظم كارهين فقالوا واي خصلة نجيبهم اليها قال اذاً أخبركم أما دخولكم في غير دينكم فلا آمركم به وأما قتالهم فانا أعلم انكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولا بد من الثالثة قالوا فنكون لهم عبيدا ابدا قال نعم تكونون عبيدا مسلطين فى بلادكم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم خير لكم من أن تموتوا من آخركم وتكونوا عبيدا تباعوا وتمزقوا فى البلاد مستعبدين أبدا انتم واهليكم وذراريكم قالوا فالموت أهون علينا وامروا بقطع الجسر من الفسطاط وبالجزيرة وبالقصر من جمع القبط والروم كثير فألح المسلمون عند ذلك بالقتال على من بالقصر حتى ظفروا بهم وأمكن الله منهم فقتل منهم خلق كثير وأسر من أسر وانجرت السفن كلها الى الجزيرة وصار المسلمون يراقبونهم وقد أحدق بهم الماء من كل وجه لا يقدرون على أن ينفذوا نحو الصعيد ولا الى غير ذلك من المدن والقرى والمقوقس يقول لاصحابه ألم اعلمكم وأخافه عليكم ما تنتظرون فوالله لتجيبنهم الى ما أرادوا طوعا أو لتجيبنهم الى ما هو أعظم منه كرها فأطيعوني من قبل أن تندموا فلما رأوا منهم ما رأوا وقال لهم المقوقس ما قال أذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه وأرسل المقوقس الى عمرو بن العاص اني لم ازل حريصا على اجابتكم الى خصلة من تلك الخصال التي ارسلت الي بها فأبى على من حضرني من الروم والقبط فلم يكن لي أن افتات عليهم فى اموالهم وقد عرفوا نصحي لهم وحبي صلاحهم ورجعوا الى قولى فأعطني امانا اجتمع انا وانت انا في نفر من اصحابي وانت في نفر من

اصحابك فان استقام الامر بيننا تم ذلك جميعا وان لم يتم رجعنا الى ما كنا عليه فاستشار عمرو اصحابه في ذلك فقالوا لا نجيبهم الى شئ من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير الارض كلها لنا فيأ وغنيمة كما صار لنا القصر وما فيه فقال عمرو قد علمتم ما عهد الي امير المؤمنين في عهده فان اجابوا الى خصلة من الخصال الثلاث التي عهد الي فيها اجبتهم اليها وقبلت منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على ان يفرض لهم على جميع من بمصر اعلاها واسفلها من القبط ديناران ديناران عن كل نفس شريفهم ووضيعهم ممن بلغ منهم الحلم ليس على الشيخ الفاني ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا على النساء شئ وعلى أن للمسلمين عليهم النزل بجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين او اكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة ايام مفترضة عليهم وان لهم ارضهم واموالهم لا تعرض لهم في شئ منها فشرط ذلك كله على القبط خاصة واحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض عليهم الديناران رفع ذلك عرفاؤهم بالايمان المؤكدة فكان جميع من احصى يومئذ بمصر اعلاها واسفلها من جميع القبط فيما احصوا وكتبوا ورفعوا اكثر من ستة آلاف ألف نفس فكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر ألف ألف دينار في كل سنة * وقال ابن لهيعة عن يحيى ابن ميمون الحضرمى لما فتح عمرو مصر صالح عن جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبي فأحصوا بذلك على دينارين دينارين فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف قال وشرط المقوقس للروم ان يخيروا فمن احب منهم ان يقيم على مثل هذا أقام على ذلك لازما له مفترضا عليه ممن أقام بالاسكندرية وما حولها من ارض مصر كلها ومن اراد الخروج منها الى ارض الروم خرج وعلى ان للمقوقس الخيار فى الروم خاصة حتى يكتب الى ملك الروم ويعلمه ما فعل فان قبل ذلك ورضيه جاز عليهم والا كانوا جميعا على ما كانوا عليه وكتبوا به كتابا وكتب المقوقس الى ملك الروم كتابا يعلمه بالامر كله فكتب اليه ملك الروم يقبح رأيه ويعجزه ويرد عليه ما فعل ويقول فى كتابه انما اتاك من العرب اثنا عشر الفاً وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال واحبوا اداء الجزية الى العرب واختاروهم علينا فان عندك بمصر من الروم وبالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت فعجزت عن قتالهم ورضيت ان تكون انت ومن معك من الروم فى حال القبط اذلاء فقاتلهم انت ومن معك من الروم حتى تموت او تظهر عليهم فانهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة ناهضهم القتال ولا يكن لك رأي غير ذلك وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا الى جماعة الروم

فقال المقوقس لما اتاه كتاب ملك الروم والله اعلم انهم على قلتهم وضعفهم اقوى واشد منا على قوتنا وكثرتنا ان الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا وذلك انهم قوم الموت احب الى احدهم من الحياة يقاتل الرجل منهم وهو مستقبل يتمنى ان لا يرجع الى اهله ولا بلده ولا ولده ويرون ان لهم اجرا عظيما فيمن قتلوه منا ويقولون انهم ان قتلوا دخلوا الجنة وليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذة الا قدر بلغة العيش من الطعام واللباس ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم واعلموا معشر الروم والله اني لا اخرج مما دخلت فيه ولا صالحت العرب عليه واني لاعلم انكم سترجعون غدا الى قولي ورأيي وتتمنون أن لو كنتم أطعتموني وذلك اني قد عاينت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه أما يرضى أحدكم أن يكون آمناً في دهره على نفسه وماله وولده بدينارين فى السنة ثم أقبل المقوقس الى عمرو فقال له ان الملك قد كره ما فعلت وعجزني وكتب الى والى جماعة الروم ان لا نرضى بمصالحتك وامرهم بقتالك حتي يظفروا بك او تظفر بهم ولم اكن لاخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه وانما سلطاني على نفسي ومن أطاعني وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض وأنا متم لك على نفسي والقبط متمون لك علي الصلح الذى صالحتهم عليه وعاقدتهم وأما الروم فأنا منهم بريء وأنا أطلب اليك أن تعطيني ثلاث خصال لا تنقض بالقبط وأدخلني معهم وألزمني ما لزمهم وقد اجتمعت كلمتي وكلمتهم على ما عاقدتك عليه فهم متمون لك على ما تحب وأما الثانية ان سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتي تجعلهم فيأ وعبيداً فانهم أهل ذلك لانى نصحتهم فاستغشوني ونظرت لهم فاتهمونى وأما الثالثة أطلب اليك ان انا مت أن تأمرهم ان يدفنونى بجسر الاسكندرية فأنعم له عمرو بذلك واجابه الي ما طلب على ان يضمنوا له الجسرين جميعا ويقيموا لهم الانزال والضيافة والاسواق والجسور ما بين الفسطاط الى الاسكندرية ففعلوا وصارت لهم القبط اعوانا كما جاء في الحديث وقال ابن وهب في حديثه عن عبد الرحمن بن شريح فسار عمرو بمن معه حتي نزل على الحصن فحاصرهم حتي سألوه أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت ويفتحوا له الحصن ففعل ذلك ففرض عليهم عمرو لكل رجل من اصحابه دينارا وجبة وبرنساً وعمامة وخفين وسألوه ان يأذن لهم ان يهيئوا له ولاصحابه صنيعا ففعل وأمر عمرو اصحابه فتهيئوا ولبسوا البرود ثم اقبلوا فلما فرغوا من طعامهم سألهم عمرو كم انفقتم قالوا عشرين الف دينار قال عمرو لا حاجة لنا بصنيعكم بعد اليوم أدوا الينا عشرين الف دينار فجاءه النفر من القبط فاستأذنوه الى قراهم وأهليهم فقال لهم عمرو كيف رأيتم امرنا قالوا لم نر الا حسنا فقال الرجل الذى قال فى المرة الاولى انكم لن تزالوا تظهرون على كل من لقيتم حتي تقتلوا خيركم رجلا فغضب عمرو وامر به

فطلب اليه اصحابه واخبروه انه لا يدرى ما يقول حتى خلصوه فلما بلغ عمرا قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ارسل فى طلب ذلك القبطى فوجدوه قد هلك فعجب عمرو من قوله ويقال ان عمرو بن العاص قال فلما طعن عمر بن الخطاب قلت هو ما قال القبطى فلما حدثت انه انما قتله ابولؤلؤة رجل نصرانى قلت لم يعن هذا انما عنى من قتله المسلمون فلما قتل عثمان عرفت ان ما قال الرجل حق فلما فرغ القبط من صنيعهم امر عمرو بن العاص بطعام فصنع لهم وأمرهم أن يحضروا لذلك فصنع لهم الثريد والعراق وأمر اصحابه بلباس الاكسية واشتمال الصماء والقعود على الركب فلما حضرت الروم وضعوا كراسي الديباج فجلسوا عليها وجلست العرب الى جوانبهم فجعل الرجل من العرب يلتقم اللقمة العظيمة من الثريد وينهش من ذلك اللحم فيتطاير على من الى جنبه من الروم فبشعت الروم ذلك وقالت اين أولئك الذين كانوا أتونا قبل فقيل لهم أولئك اصحاب المشورة وهؤلاء أصحاب الحرب * وقال الكندى وذكر يزيد بن أبي حبيب أن عدد الجيش الذين كانوا مع عمرو بن العاص خمسة عشر ألفا وخمسمائة وذكر عبد الرحمن بن سعيد بن مقلاص أن الذين جرت سهمانهم في الحصن من المسلمين اثنا عشر ألفا وثلثمائة بعد من أصيب منهم في الحصار بالقتل والموت ويقال ان الذين قتلوا في هذا الحصار من المسلمين دفنوا فى أصل الحصن * وذكر القضاعى أن مصر فتحت يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين وقيل فتحت سنة ست عشرة وهو قول الواقدى وقيل فتحت والاسكندرية سنة خمس وعشرين والاكثر على انها فتحت قبل عام الرمادة وكانت الرمادة في آخر سنة سبع عشرة وأول ثمان عشرة

ذكر ماقيل في مصر هل فتحت بصلح أو عنوة

وقد اختلف في فتح مصر فقال قوم فتحت صلحا وقال آخرون انما فتحت عنوة فأما الذين قالوا كان فتح مصر بصلح فان حسين بن شفى قال لما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية بقى من الاساري بها ممن بلغ الخراج وأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو في قسمهم فكان أكثر المسلمين يريد قسمها فقال عمرو لا أقدر على قسمها حتى اكتب الى أمير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بفتحها وشأنها وأن المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر رضي الله عنه لاتقسمها وذرهم يكون خراجهم فيأ للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر كلها صلحا بفريضة دينارين دينارين الا انه يلزم بقدر مايتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر مايرى من وليهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة * وقال الليث عن يزيد بن أبي حبيب مصر كلها صلح الا الاسكندرية فانها فتحت عنوة * وقال عبد الله بن أبى جعفر حدثني رجل

ممن أدرك عمرو بن العاص قال للقبط عهد عند فلان وعهد عند فلان فسمى ثلاثة نفر وفي رواية ان عهد أهل مصر كان عند كبرائهم وفي رواية سألت شيخا من القدماء عن فتح مصر قلت له فان ناسا يذكرون انه لم يكن لهم عهد فقال مايبالي أن لا يصلي من قال انه ليس لهم عهد فقلت فهل كان لهم كتاب فقال نعم كتب ثلاثة كتاب عند ظلما صاحب اخنا وكتاب عند قرمان صاحب رشيد وكتاب عند يحنس صاحب البرلس قلت كيف كان صلحهم قال ديناربن على كل انسان جزية وأرزاق المسلمين قلت فتعلم ما كان من الشروط قال نعم ستة شروط لا يخرجون من ديارهم ولا تنزع نساؤهم ولا كفورهم ولا أراضيهم ولا يزاد عليهم * وقال يزيد بن أبي حبيب عن أبي جمعة مولى عقبة قال كتب عقبة بن عامر الى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يسأله ارضا يسترفق بها عند قرية عقبة فكتب له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع فقال له مولى له كان عنده أنظر اصلحك الله أرضا صالحة فقال له عقبة ليس لنا ذلك ان في عهدهم شروطا ستة لا يؤخذ من أنفسهم شيء ولا من نسائهم ولا من أولادهم ولا يزاد عليهم ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم وانا شاهد لهم بذلك * وعن يزيد بن أبي حبيب عن عوف بن حطان انه كان لقريات من مصر منهن أم دنين وبلهيت عهد وان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع بذلك كتب الى عمرو يأمره أن يخيرهم فان دخلوا في الاسلام فذاك وان كرهوا فارددهم الى قراهم وقال يحيي بن أيوب وخالد بن حميد ففتح الله أرض مصر كلها بصلح غير الاسكندرية وثلاث قريات ظاهرت الروم على المسلمين سلطيس ومصيل وبلهيت فانه كان للروم جمع فظاهروا الروم على المسلمين فلما ظهر عليها المسلمون استحلوها وقالوا هؤلاء لنا فيء مع الاسكندرية فكتب عمرو بن العاص بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه عمر أن يجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث قريات ذمة للمسلمين ويضربون عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط كله قوة للمسلمين لا يجعلون فيأ ولا عبيدا ففعلوا ذلك الى اليوم * وقال آخرون بل فتحت مصر عنوة بلا عهد ولا عقد قال سفيان بن وهب الخولاني لما افتتحنا مصر بغير عهد ولا عقد قام الزبير بن العوام فقال اقسمها يا عمرو بن العاص فقال عمرو والله لا أقسمها فقال الزبير والله لتقسمنها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال عمرو والله لا أقسمها حتى اكتب الى أمير المؤمنين فكتب الى عمر فكتب اليه عمر أقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة وصولح الزبير على شيء أرضى به وقال ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة ان مصر فتحت عنوة وعن عبد الرحمن بن زياد بن انعم قال سمعت أشياخنا يقولون ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد منهم أبي يحدثنا عن أبيه وكان فيمن شهد فتح مصر وعن أبي الاسود عن عروة ان مصر فتحت عنوة وعن عمرو بن العاص انه قال لقد قعدت مقعدى هذا وما لاحد من قبط

مصر على عهد ولا عقد الا أهل انطابلس كان لهم عهـد يوفى به ان شئت قبلت وان شئت خمست وان شئت بعت وعن ربيعة بن أبى عبد الرحمن أن عمرو بن العاص فتح مصر بغير عهـد ولا عقد وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنـه حبس درها وضرعها أن يخرج منه شئ نظرا للاسلام وأهله * وعن زيد بن أسلم قال كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد ممن عاهده فلم يوجد فيه لاهل مصر عهد فمن أسلم منهم اقامه ومن أقام منهم قومه وكتب حيان بن شريح الى عمر بن عبد العزيز يسأله أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم فسأل عمر عراك ابن مالك فقال عراك ما سمعت لهم بعهد ولا عقد وانما أخذوا عنوة بمنزلة العبيد فكتب عمر الى حيان أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم وقال يحيي ابن عبد الله بن بكير خرج أبو سلمة بن عبد الرحمن يريد الاسكندرية في سفينة فاحتاج الى رجل يجذف فسخر رجلا من القبط فكلم في ذلك فقـال انما هم بمنزلة العبيد ان احتجنا اليهم وقال ابن لهيعة عن الصلت بن أبي عاصم انه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز الى حيان ابن شريح ان مصر فتحت عنوة بغير عهـد ولا عقد وعن عبيد الله بن أبي جعفر أن كاتب حيان حدثه انه احتيج الى خشب لصناعة الجزيرة فكتب حيان الى عمر بن عبـد العزيز يذكر ذلك له وانه وجد خشبا عند بعض أهل الذمة وانه كره أن يأخذها منهم حتي يعلمه فكتب اليه عمر خذها منهم بقيمة عدل فانى لم أجد لاهل مصر عهدا أفي لهم به وقال عمر ابن عبد العزيز لسالم أنت تقول ليس لاهل مصر عهد قال نعم وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان عمرو بن العاص كتب الى عمر بن الخطاب فى رهبان يترهبون بمصر فيموت أحدهم وليس له وارث فكتب اليه عمر أن من كان منهم له عقب فادفع ميراثه الى عقبه فان لم يكن له عقب فاجعل ماله في بيت مال المسلمين فان ولاءه للمسلمين * وقال ابن شهاب كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة فجعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه جميعها ذمة وحملهم على ذلك فمضى ذلك فيهم الى اليوم واشترى الليث بن سعد شيأ من أرض مصر لانه كان يحدث عن يزيد بن أبي حبيب ان مصر صلح وكان مالك بن أنس ينكر على الليث ذلك وانكر عليه أيضا عبد الله بن لهيعة ونافع بن يزيد لان مصر عندهم كانت عنوة

﴿ ذكر من شهد فتح مصر من الصحابة رضى الله عنهم ﴾

قال ابن عبد الحكم وكان من حفظ من الذين شهدوا فتح مصر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم وممن لم يكن له برسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة الزبير ابن العوام وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص وكان امير القوم وعبدالله بن عمرو وخارجة ابن حذافة العدوي وعبد الله بن عمر بن الخطاب وقيس بن ابى العاص السهمي والمقداد بن الاسود وعبد الله بن ابى سعد بن ابى سرح العامرى ونافع بن عبد قيس الفهرى ويقال بل

هو عقبة بن نافع وابو عبـد الرحمن يزيد بن أنيس الفهري وابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عبدة وعبد الرحمن وربيعة ابنا شرحبيل بن حسنة وورد ان مولى عمرو بن العاص وكان حامل لواء عمرو بن العاص وقد اختلف في سعد بن ابى وقاص فقيل انما دخلها بعد الفتح وشهد الفتح من الانصار عبادة بن الصامت وقد شهد بدرا وبيعة العقبة ومحمد بن مسلمة الانصارى وقد شهد بدرا وهو الذى بعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مصر فقاسم عمرو بن العاص ماله وهو أحد من كان صعد الحصن مع الزبير بن العوام ومسلمة بن مخلد الانصارى يقال له صحبة وأبو أيوب خالد بن زيد الانصاري وأبو الدرداء عويمر بن عامر وقيل عويمر بن زيد ومن أحياء القبائل ابو نصرة جميل بن نصرة الغفارى وأبو ذر جندب بن جنادة الغفارى وشهد الفتح مع عمرو بن العاص وهبيب بن معقل واليه ينسب وادى هبيب الذى بالمغرب وعبـد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى وكعب بن ضـبة العبسي ويقال كعب بن يسار بن ضبة وعقبة بن عامر الجهني وهو كان رسول عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص حين كتب اليه يأمره أن يرجع ان لم يكن دخل أرض مصر وأبو زمعة البلوى وبرح بن حسكل ويقال برح بن عسكر وشهد فتح مصر واختط بها وجنادة بن أبى أمية الازدى وسفيان بن وهب الخولانى وله صحبة ومعاوية بن خديج الـكندى وهو كان رسول عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب بفتح الاسكندرية وقد اختلف فيه فقال قوم له صحبة وقال آخرون ليست له صحبة وعامر مولى جمل الذى يقال له عامر جمل شهد الفتح وهو مملوك وعمار بن ياسر ولكن دخل بعد الفتح في أيام عثمان وجهه اليها في بعض أموره قال ابن عبد الحكم منهم من اختط بالبلد فذكرنا خطته ومنهم من لم يذكر له خطة قال فاختط عمرو بن العاص داره التي عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الأخرى اللاصقة الى جنبها وفيها دفن عبد الله بن عمرو فيما زعم بعض مشايخ البلد لحدث كان يومئذ في البلد والحمام الذى يقال له حمام الفار وانما قيل له حمام الفـار لان حمامات الروم كانت ديماسات كبارا فلما بني هذا الحمام ورأوا صغره قالوا من يدخل هذا هذا حمام الفار

(ذكر السبب في تسمية مدينة مصر بالفسطاط)

قال ابن عبـد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب ان عمرو بن العاص لمـا فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها هم أن يسكنها وقال مـا كن قد كفيناها فكتب الى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يستأذنه في ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ماء قال نعم يا أمير المؤمنين اذا جرى النيل فكتب عمر الى عمرو انى لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف فتحول عمرو من الاسكندرية الى الفسطاط. قال وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سعد بن أبى وقاص وهو نازل بمدائن كسرى

والى عامله بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية أن لاتجعلوا بيني وبينكم ماء متى أردت أن اركب اليكم راحلتي حتى أقدم عليكم قدمت فتحول سعد من مدائن كسرى الى الكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان الذى كان فيه فنزل البصرة وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط قال وانما سميت الفسطاط لان عمرو بن العاص لما أراد التوجه الى الاسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع فسطاطه فاذا فيه يمام قد فرخ فقال عمرو لقد تحرم منا بمتحرم فأمر به فأقر كما هو وأوصى به صاحب القصر فلما قفل المسلمون من الاسكندرية قالوا أين ننزل قالوا الفسطاط لفسطاط عمرو الذى كان خلفه وكان مضروبا في موضع الدار التي تعرف اليوم بدار الحصار عند دار عمرو الصغيرة *قال الشريف محمد بن أسعد الجوانى كان فسطاط عمرو عند درب حمام شمول بخط الجامع وقال ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث في حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالجماعة فان يد الله على الفسطاط يرويه سويد بن عبد العزيز عن النعمان بن المنذر عن مكحول عن أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم والفسطاط المدينة وكل مدينة فسطاط ولذلك قيل لمصر فسطاط وقال البكرى الفسطاط بضم أوله وكسره واسكان ثانيه اسم لمصر ويقال فسطاط وبسطاط قال المطرزى وفصطاط وفستاط وبكسر أوائل جميعها فهى عشر لغات وقال ابن قتيبة كل مدينة فسطاط وذكر حديث عليكم بالجماعة فان يد الله على الفسطاط وأخبرنى أبو حاتم عن الاصمعي أنه قال حدثنى رجل من بنى تميم قال قرأت في كتاب رجل من قريش هذا ما اشترى فلان ابن فلان من عجلان مولى زياد اشترى منه خمسمائة جريب حيال الفسطاط يريد البصرة ومنه قول الشعبي في الآبق اذا أخذ في الفسطاط عشرة واذا أخذ خارجا عن الفسطاط أربعون وأراد ان يد الله على أهل الامصار وأن من شذ عنهم وفارقهم في الرأى فقد خرج عن يد الله وفي ذلك آثار والله أعلم

(ذكر الخطط التي كانت بمدينة الفسطاط)

اعلم ان الخطط التي كانت بمدينة فسطاط مصر بمنزلة الحارات التي هى اليوم بالقاهرة فقيل لتلك في مصر خطة وقيل لها في القاهرة حارة *قال القضاعي ولما رجع عمرو من الاسكندرية ونزل موضع فسطاطه انضمت القبائل بعضها الى بعض وتنافسوا في المواضع فولى عمرو على الخطط معاوية بن خديج التجيبي وشريك بن سمى الغطيفى وعمرو بن مخزم الخولاني وحيويل بن ناشرة المغافرى وكانوا هم الذين أنزلوا الناس وفصلوا بين القبائل وذلك في سنة احدى وعشرين* (خطة أهل الراية) أهل الراية جماعة من قريش والانصار وخزاعة وأسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وثقيف ودوس وعبس بن بغيض وحرش من بنى كنانة وليث بن بكر والعتقاء منهم الا أن منزل العتقاء في غير الراية وانما سموا أهل الراية ونسبت الخطة اليهم

لانهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد ما ينفرد بدعوة من الديوان فكره كل
بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته فجعل لهم عمرو بن العاص راية ولم ينسبها الى أحد
فقال يكون موقفكم تحتها فكانت لهم كالنسب الجامع وكان ديوانهم عليها وكان اجتماع هذه
القبائل لما عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاية بينهم وهذه الخطة محيطة بالجامع
من جميع جوانبه ابتدؤا من المصف الذى كانوا عليه في حصارهم الحصن وهو باب الحصن
الذى يقال له باب الشمع ثم مضوا بخطتهم الى حمام الفار وشرعوا بغربيها الى النيل فاذا
بلغت الى النحاسين فالجانبان لاهل الراية الى باب المسجد الجامع المعروف بباب الوراقين
ثم يسلك على حمام شمول وفي هذه الخطة زقاق القناديل الى تربة عفان الي سوق الحمام
الى باب القصر الذى بدأنا بذكره * (خطة مهرة) بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن
قضاعة بن مالك بن حمير * وخطة مهرة هذه قبلي خطة الراية واختطت مهرة أيضاً على
سفح الجبل الذى يقال له جبل يشكر مما يلى الخندق الى شرقي العسكر الى جنان بني مسكين
ومن جملة خطة مهرة الموضع الذى يعرف اليوم بمساطب الطباخ واسمه حمد ويقال ان الخطة
التى لهم قبلي الراية كانت حوزالهم يربطون فيها خيامهم اذا رجعوا الى الجمعة ثم انقطعوا
اليها وتركوا منازلهم بيشكر * (خطة تجيب) وتجيب هم بنو عدى وسعد ابنى الاشرس
ابن شبيب بن السكن بن الاشرس بن كندة فمن كان من ولد عدى وسعد يقال لهم تجيب
وتجيب أمهم وهذه الخطة تلى خطة مهرة وفيها درب المصوصة آخره حائط من الحصن
الشرقي * (وخطط لخم في موضعين) فمنها خطة لخم بن عدى بن مرة بن أدد ومن
خالطها من جذام فابتدأت لخم بخطتها من الذى انتهت اليه خطة الراية وأصعدت ذات الشمال
وفي هذه الخطة سوق بربر وشارعه مختلط فيما بين لخم والراية ولهم خطتان أخريان احداها
منسوبة الى بنى رية بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة من لخم وأولها شرقي الكنيسة
المعروفة بمكائيل التى عند خليج بنى وائل وهذا الموضع اليوم وراقات يعمل فيها الورق
بالقرب من باب القنطرة خارج مصر والخطة الثانية خطة راشدة بن أدب بن جزيلة من لخم
وهى متاخمة للخطة التى قبلها وفي هذه الخطة جامع راشدة وجنان كهمس بن معمر الذى
عرف بالمادرانى ثم عرف بجنان الامير تميم وهو اليوم يقال له المعشوق بجوار الآثار النبوية
ولهم مواضع مع اللفيف وخطط أيضاً بالحمراء * (خطط اللفيف) انما سموا بذلك لالتفاف
بعضهم ببعض وسبب ذلك أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية أخبر ان مراكب الروم
قد توجهت الى الاسكندرية لقتال المسلمين فبعث عمرو بعمرو بن جمالة الازدى الحجرى
ليأتيه بالخبر فمضى وأسرعت هذه القبائل التى تدعى اللفيف وتعاقدوا على اللحاق به واستأذنوا
عمرو بن العاص في ذلك فأذن لهم وهم جمع كثير فلما رآهم عمرو بن جمالة استكثرهم

وقال تالله ما رأيت قوما قد سدوا الافق مثلكم وانكم كما قال الله تعالى فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً فبذلك سموا من يومئذ اللفيف وسألوا عمرو بن العاص أن يفرد لهم دعوة فامتنعت عشائرهم من ذلك فقالوا لعمرو فانا نجتمع في المنزل حيث كنا فأجابهم الى ذلك فكانوا مجتمعين في المنزل متفرقين في الديوان اذا دعي كل بطن منهم انضم الى بنى ابيه قال قتادة ومجاهد والضحاك بن مزاحم في قوله جئنا بكم لفيفا قال جميعا وكان عامتهم من الازد من الحجر ومن غسان ومن شجاعة والنف بهم نفر من جذام ولخم والزحاف وتنوخ من قضاعة فهم مجتمعون فى المنزل متفرقون في الديوان وهذه الخطة أولها مما يلى الراية سالكا ذات الشمال الى نقاشى البلاط وفيها دار ابن عشرات الى نحو من سوق وردان* (خطط أهل الظاهر) انما سمى هذا المنزل بالظاهر لان القبائل التي نزلته كانت بالاسكندرية ثم قفلت بعد قفول عمرو بن العاص وبعد أن اختط الناس خططهم فخاصمت الى عمرو فقال لهم معاوية بن خديج وكان ممن يتولى الخطط يومئذ أرى لكم أن تظهروا على أهل هذه القبائل فتتخذوا منزلا فسمى الظاهر بذلك وكانت القبائل التى نزلت الظاهر العتقاء وهم جماع من القبائل كانوا يقطعون على أيام النبى صلى الله عليه وسلم فبعث اليهم فأتي بهم أسرى فأعتقهم فقيل لهم العتقاء وديوانهم مع أهل الراية وخطتهم بالظاهر متوسطة فيه وكان فيهم طوائف من الازد وفهم واول هذه الخطة من شرقى خطة لخم وتتصل بموضع العسكر ومن هذه الخطة سويقة العراقيين وعرفت بذلك لان زيادا لما ولاه معاوية بن ابى سفيان البصرة غرب جماعة من الازد الى مصر وبها مسلمة بن مخلد في سنة ثلاث وخمسين فنزل منهم هنا نحو من مائة وثلاثين فقيل لموضعهم من خطة الظاهر سويقة العراقيين (خطط غافق)هو غافق بن الحارث بن عك بن عدثان بن عبد الله بن الازد وهذه الخطة تلى خطة لخم الى خطة الظاهر بجوار درب الاعلام * (خطط الصدف) واسمه مالك بن سهل بن عمرو ابن قيس بن حمير ودعوتهم مع كندة * (خطط الفارسيين) واستبد بخطة خولان من حضر فتح مصر من الفارسيين وهم بقايا جند باذان عامل كسرى على اليمن قبل الاسلام اسلموا بالشأم ورغبوا في الجهاد فنفروا مع عمرو بن العاص الى مصر فاختطوا بها وأخذوا في سفح الجبل الذى يقال له جبل باب البون وهذا الجبل اليوم شرقي من وراء خطة جامع ابن طولون تعرف أرضه بالارض الصفراء وهى من جملة العسكر *(خطة مذحج)* بالحاء قبل الجيم وهو مالك بن مرة بن ادد بن زيد بن كهلان (خطة غطيف) بن مراد *(خطة وعلان)* بن قرن بن ناجية بن مراد وكلهم من مذحج فاختطت وعلان من الزقاق الذى فيه الصنم المعروف بسرية فرعون وهذا الزقاق أوله باب السوق الكبير واختطت أيضا بخولان ثم انفردت وعلان بخططها مقابل المسجد المعروف بالدينورى واسندت الى خولان

وهذه الخطة اليوم كيمان تطل على قبر القاضى بكار *(خطة يحصب)* بن مالك بن أسلم بن زيد بن غوث وهذه الخطة موضعها كيمان وهى تتصل بالشرف الذى يعرف اليوم بالرصد المطل على راشدة *(خطة رعين)* بن زيد بن سهل *(خطه ذى الكلاع)* بن شرحبيل ابن سعد من حمير *(خطة المغافر)* بن يعفر بن مرة بن أدد وهذه الخطة من الرصد الى سقاية بن طولون وهى القناطر التي تطل على عفصة وتفصل بين القرافتين والقناطر للمغافر ولهم الى مصلى خولان والى الكوم المشرف على المصلى (خطة سبا وخطة الرجبة) ابن زرعة بن كعب (خطة السلف بن سعد) فيما بين الكوم المطل على القاضى بكار و بين المغافر (خطة بني وائل) بن زيد مناة بن افصى بن اياس بن حرام بن جذام بن عدى وهى من سفح الشرف المعروف بالرصد الى خطة خولان (حطة القبض) بالتحريك بن مرثد وهي بجانب خطة بني وائل الى نحو بركة الحبش قال وكان سبب نزول بني وائل والقبض ورية وراشدة والفارسيين هذه المواضع انهم كانوا في طوالع عمرو بن العاص فنزلوا في مقدمة الناس وحازوا هذه المواضع قبل الفتح *(خطط الحمراوات الثلاث)* قال الكندى وكانت الحمراء على ثلاثة بنونبه وروبيل والازرق وكانوا ممن سار مع عمرو بن العاص من الشام الى مصر من عجم الشام ممن كان رغب في الاسلام من قبل اليرموك ومن أهل قيسارية وغيرهم وقال القضاعى وانما قيل الحمراء لنزول الروم بها وهي خطط بلى بن عمر بن الحاف ابن قضاعة وفهم وعدوان وبعض الازد وهم ثراد وبني بحر وبني سلامان ويشكر بن لخم وهذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وبني نبه وبنى الازرق وهم من الروم وبنى روبيل وكان يهوديا فاسلم * فأول ذلك الحمراء الدنيا خطة بلى بن عمر بن الحاف بن قضاعة ومنها خطة ثراد من الازد وخطة فهم بن عمر بن قيس عيلان ومنها خطة بنى بحر بن سوادة من الازد * ومن ذلك الحمراء الوسطى منها خطة بنى نبه وهم قوم من الروم حضر الفتح منهم مائة رجل ومنها خطة هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ومنها خطة بنى سلامان من الازد ومنها خطه عدوان * ومن ذلك الحمراء القصوى وهي خطة بنى الازرق وكان روميا حضر الفتح منهم أربعمائة وخطة بنى روبيل وكان يهوديا فأسلم وحضر الفتح منهم ألف رجل وخطة بنى يشكر بن جزيلة بن لخم وكانت منازل يشكر مفرقة في الجبل فدثرت قديما وعادت صحراء حتى جاءت المسودة يعنى جيوش بنى العباس فعمروها وهى الآن خراب * وقال ابن المتوج الحمراوات ثلاث أولى ووسطى وقصوى فأما الاولى فتجمع جابر الاور وعقبة العداسين وسوق وردان وخطة الزبير الى نقاشى البلاط طولا وعرضا على قدر ذلك وأما الوسطى فمن درب نقاشى البلاط الى درب معانى طولا وعرضا على قدره وأما القصوى فمن درب معانى الى القناطر الظاهرية يعنى قناطر السباع وهي حد ولاية مصر من القاهرة

وكانت هــذه الحمراوات جل عمارة مصر في زمن الروم فاذا الحمراء الاولى والوسطى هما الآن خراب وموضعهما فيما بين سوق المعاريج وحمام طن من شرقيهما الى ما يقابل المراغة فى الشرق وأما الحمراء الدنيا فهى الآن تعرف بخط قنــاطر السباع وبخط السبع سقايات وبحكر الحليبي وحكر أقبغا والكوم حيث الأسرى ومنها أيضا خط الـكبش وخط الجامع الطولونى والعسكر ومنها حدرة بن قميحة الى حيث قنطرة السد وبستان الطواشى وما في شرقيه الى مشهد الرأس المعروف بزين العابدين وسيأتي لذلك مزيد بيان ان شاء الله تعالى عند ذكر العسكر وكانت مدينة الفسطاط على قسمين هما عمل فوق وعمل أسفل * فعمل فوق له طرفان غربى وشرقي فالغربى من شاطئ النيل في الجهة القبلية وأنت مار في الشرف المعروف اليوم بالرصد الى القرافة الـكبرى والشرقى من القرافة الكبرى الى العسكر * وعمل أسفل ماعدا ذلك الى حد القاهرة

(ذكر امراء الفسطاط من حين فتحت مصر الى ان بنى العسكر)

اعــلم أن عدة من ولي مصر من الامراء في الاسلام منذ فتحت وسكن الفسطاط الى أن بنى العسكر تسعة وعشرون أميرا في مدة مائة وثلاث عشرة ســنة وسبعة أشهر أولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة النبوية وهو يوم فتح مصر وآخرها سلخ شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائة آخر ولاية صالح بن على بن عبد الله بن عباس على مصر وأول ولاية أبي عون عبــد الملك وهو أول من سكن العسكر من أمراء مصر * وأول أمراء الفسطاط بعد الفتح على ماذكر الـكندى وغيره (عمرو بن العاص) بن وائل بن هاشم بن سعيــد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك أبو عبــد الله كان تاجرا في الجاهلية وكان يختلف بتجارته الى مصر وهى الادم والعطر ثم ضرب الدهر ضرباته حتى فتح المسلمون الشأم فخلا بعمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستأذنه في المسير الى مصر فسار في سنة تسع عشرة وأتى الحصن فحاصره ســبعة أشهر الى أن فتحه في يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين وقيل كان فتح مصر في ثاني عشر بؤنة سنة سبع وخمسين وثلثمائة لدقلطيانوس فعلى هــذا يكون فتح مصر في سنة تسع عشرة من الهجرة وتحرير ذلك أن الذى بين يوم الجمعة أول يوم من ملك دقلطيــانوس وبين يوم الخميس أول سنة الهجرة ثمان وثلاثون وثلثمائة سنة فارسية وتسعة وثلاثون يوما فاذا الغينا ذلك من تاريخ مصر في ثانى عشر بؤنة سنة سبع وخمسين وثلثمائة بقى ثمان عشرة سنة وثمانية أشهر وثلاثة أيام وهذه سنون شمسية عنها من سنى القمر تسع عشرة سنة وشهر وثلاثة عشر يوما فيكون ذلك في ثالث عشر ربيــع الاول سنة عشرين فلعل الوهم وقع في الشهر القبطي وحاز الحصن بما فيه وسار الى الاسكندرية في ربيع الاول منها فحاصرها

ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وهو الفتح الاول ويقال بل فتحها مستهل سنة احدى وعشرين ثم سار عنها الى برقة فافتتحها عنوة في سنة اثنتين وعشرين وقيل في سنة ثلاث وعشرين وقدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدمتين استخلف في احداهما زكريا ابن جهم العبدرى وفي الثانية ابنه عبد الله وتوفى عمر رضي الله عنه في ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وبويع أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فوفد عليه عمرو وسأله عزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن صعيد مصر وكان عمر ولاه الصعيد فامتنع من ذلك عثمان وعقد لعبد الله بن سعد على مصر كلها فكانت ولاية عمرو على مصر صلاتها وخراجها منذ افتتحها الى أن صرف عنها أربع سنين وأشهرا * (عبد الله بن سعد) بن أبي سرح واسمه الحسام بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ولى من قبل أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه فجاءه الكتاب بالفيوم فجعل لاهل اطواف جعلا فقدموا به الفسطاط ثم ان منويل الخصى سار الى الاسكندرية في سنة أربع وعشرين فسأل أهل مصر عثمان أن يرد عمرو بن العاص لمحاربته فرده واليا على الاسكندرية فحارب الروم بها حتى افتتحها وعبد الله بن سعد مقيم بالفسطاط حتى فتحت الاسكندرية الفتح الثانى عنوة في سنة خمس وعشرين ثم جمع لعبد الله بن سعد أمير مصر صلاتها وخراجها ومكث أميرا مدة ولاية عثمان رضى الله عنه كلها محمودا في ولايته وغزا ثلاث غزوات كلها لهاشأن غزا افريقية سنة سبع وعشرين وقتل ملكها جرجير وغزا غزوة الاساود حتى بلغ دنقلة في سنة احدى وثلاثين وغزا ذا الصوارى في سنة أربع وثلاثين فلقيهم قسطنطين بن هرقل في ألف مركب وقيل في سبعمائة مركب والمسلمون في مائتي مركب فهزم الله الروم وانما سميت غزوة ذى الصوارى لكثرة صوارى المراكب واجتماعها ووفد على عثمان حين تكلم الناس بالطعن على عثمان واستخلف عقبة بن عامر الجهنى وقيل السائب بن هشام العامرى وجعل على خراجها سليمان بن عتر التجيبي وكان ذلك سنة خمس وثلاثين في رجب * (محمد بن أبي حذيفة) بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أمر في شوال سنة خمس وثلاثين على عقبة بن عامر خليفة عبد الله بن سعد فأخرجه من الفسطاط ودعا الى خلع عثمان واسعر البلاد وحرض على عثمان بكل شر يقدر عليه فاعتزله شيعة عثمان ونابذوه وهم معاوية بن خديج وخارجة بن حذافة وبسر بن ارطاة ومسلمة بن مخلد فى جمع كثير وبعثوا الى عثمان بامرهم وبصنيع ابن أبي حذيفة فبعث سعد بن أبي وقاص ليصلح أمرهم فخرج اليه جماعة فقلبوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه فركب وعاد راجعا ودعا عليهم واقبل عبد الله بن سعد فمنعوه أن يدخل فانصرف الى عسقلان وقتل عثمان رضى الله عنه وابن سعد بعسقلان ثم أجمع ابن أبي حذيفة على بعث جيش الى عثمان فجهز اليه ستمائة رجل

عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى ثم قتل عثمان في ذى الحجة منها فثار شيعة عثمان بمصر
وعقدوا لمعاوية بن خديج وبايعوه على الطلب بدم عثمان وساروا الى الصعيد فبعث اليهم ابن
أبي حذيفة خيلا فهزمت ومضى ابن خديج الى برقة ثم رجع الى الاسكندرية فبعث اليه ابن
أبى حذيفة بجيش آخر فاقتتلوا بخربتا فى أول شهر رمضان سنة ست وثلاثين فانهزم الجيش
وأقامت شيعة عثمان بخربتا وقدم معاوية بن أبى سفيان يريد الفسطاط فنزل سلمنت في
شوال فخرج اليه ابن أبى حذيفة في أهل مصر فمنعوه ثم اتفقا على أن يجعلا رهنا ويتركا
الحرب فاستخلف ابن أبي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت وخرج في الرهن هو وابن
عديس وعدة من قتلة عثمان فلما بلغوا لدا سجنهم معاوية بها وسار الى دمشق فهربوا من
السجن وتبعهم أمير فلسطين فقتلهم فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين * (قيس بن سعد) بن
عبادة الانصارى ولاه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه لما بلغه مصاب بن أبى
حذيفة وجمع له الخراج والصلات فدخل مصر مستهل ربيع الاول سنة سبع وثلاثين فاستمال
الخارجية بخربتا شيعة عثمان وبعث اليهم أعطياتهم ووفد عليه وفدهم فأكرمهم وكان من
ذوى الرأى فجهد عمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان على أن يخرجاه من مصر ليغلبا
على أمرها فانها كانت من جيش على رضي الله عنه فامتنع منهما بالدهاء والمكايدة فلم يقدرا
على مصر حتى كاد معاوية قيسا من قبل على رضى الله عنه فأشاع أن قيسا من شيعته وأنه
يبعث اليه بالكتب والنصيحة سراً فسمع ذلك جواسيس على رضى الله عنه وما زال به محمد
ابن أبى بكر وعبد الله بن جعفر حتى كتب الى قيس بن سعد يأمره بالقدوم اليه فوليها الى
أن عزل أربعة أشهر وخمسة أيام وصرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين فوليها
* (الاشتر مالك بن الحارث) بن خالد النخعي من قبل أمير المؤمنين على بن أبى طالب فلما
قدم القلزم شرب عسلا فمات فبلغ ذلك عمرا ومعاوية فقال عمرو ان لله جنودا من عسل *
ثم وليها (محمد بن أبى بكر الصديق) من قبل على رضى الله عنه وجمع له صلاتها وخراجها
فدخلها للنصف من رمضان سنة سبع وثلاثين فهدم دور شيعة عثمان ونهب اموالهم وسجن
ذراريهم فنصبوا له الحرب ثم صالحهم علي أن يسيرهم الى معاوية فلحقوا بمعاوية بالشام فبعث
معاوية عمرو بن العاص في جيوش أهل الشأم الى الفسطاط وتغيب ابن أبى بكر فظفر به
معاوية بن خديج فقتله ثم جعله في جيفة حمار ميت وأحرقه بالنار لاربع عشرة خلت من
صفر سنة ثمان وثلاثين فكانت ولايته خمسة أشهر * ثم وليها (عمرو بن العاص) ولايته
الثانية من قبل معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فاستقبل بولايته شهر ربيع الاول سنة
ثمان وثلاثين وجعل اليه الصلات والخراج جميعاً وجعلت مصر له طعمة بعد عطاء جندها
والنفقة في مصلحتها ثم خرج عمر وللحكومة واستخلف على مصر ابنه عبد الله وقيل بل

خارجة بن حذافة ورجع الى مصر وتعاقد بنو لخم عبد الرحمن وقيس ويزيد على قتل
على ومعاوية وعمرو وتواعدوا ليلة من رمضان سنة أربعين فمضى كل منهم الى صاحبه وكان
يزيد هو صاحب عمرو فعرضت لعمرو علة منعته من حضور المسجد فصلى خارجة بالناس
فشد عليه يزيد فضربه حتى قتله فدخل به على عمرو فقال أما والله ماأردت غيرك ياعمرو
قال عمرو ولكن الله أراد خارجة ولله در القائل

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شاءت من البشر

وعقد عمرو لشريك بن سمى على غزو لواتة من البربر فغزاهم في سنة أربعين وصالحهم ثم انتقضوا
فبعث اليهم عقبة بن نافع في سنة احدى وأربعين فغزاهم حتى هزمهم وعقد لعقبة أيضاً على
غزو هوارة وعقد لشريك بن سمى على غزو لبدة فغزواهما في سنة ثلاث وأربعين فقفلا وعمرو
شديد الدنف في مرض موته وتوفى ليلة الفطر فغسله عبد الله بن عمرو وأخرجه الى المصلى
وصلى عليه فلم يبق أحد شهد العيد الا صلى عليه ثم صلى بالناس صلاة العيد وكان أبوه استخلفه
وخلف عمرو بن العاص سبعين بهارا دنانير والبهار جلد ثور ومبلغه اردبان بالمصرى فلما
حضرته الوفاة أخرجه وقال من يأخذه بما فيه فأبى ولداه أخذه وقالا حتى ترد الى كل ذي
حق حقه فقال والله ما أجمع بين اثنين منهم فبلغ معاوية فقال نحن نأخذه بما فيه * ثم وليها
(عتبة بن أبي سفيان) من قبل أخيه معاوية بن أبي سفيان على صلاتها فقدم في ذى القعدة
سنة ثلاث وأربعين وأقام شهرا ثم وفد على أخيه واستخلف عبد الله بن قيس بن الحارث
وكان فيه شدة فكره الناس ولايته وامتنعوا منها فبلغ ذلك عتبة فرجع الى مصر وصعد المنبر
فقال يا أهل مصر قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم وقد وليكم من اذا
قال فعل فان أبيتم درأكم بيده فان أبيتم درأكم بسيفه ثم رجا في الآخير ما أدرك في الاول
ان البيعة شائعة لنا عليكم السمع ولكم علينا العدل وأينا غدر فلا ذمة له عند صاحبه فناداه
المصريون من جنبات المسجد سمعا سمعا فناداهم عدلا عدلا ثم نزل ثم جمع له معاوية
الصلات والخراج وعقد عتبة لعلقمة بن يزيد على الاسكندرية في اثنى عشر ألفا من أهل
الديوان تكون لها رابطة ثم خرج اليها مرابطا في ذى الحجة سنة أربع وأربعين فمات بها
واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهني فكانت ولايته ستة أشهر * ثم وليها (عقبة بن
عامر) بن عبس الجهني من قبل معاوية وجعل له صلاتها وخراجها وكان قارئا فقيها مفرضا
شاعرا له الهجرة والصحبة والسابقة ثم وفد مسلمة محمد بن الانصارى على معاوية فولاه
مصر وأمره أن يكتم ذلك عن عقبة بن عامر وجعل عقبة على البحر وأمره أن يسير الى
رودس فقدم مسلمة فلم يعلم بامارته وخرج مع عقبة الى الاسكندرية فلماتوجه سائرا استوى
مسلمة على سرير امارته فبلغ ذلك عقبة فقال اخلعا وغربة وكان صرفه لعشر بقين من ربيع

الاول سنة سبع وأربعين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر * فولى (مسلمة بن مخلد) بن صامت بن نيار الانصارى من قبل معاوية وجمع له الصلات والخراج والغزو فانتظمت غزواته في البر والبحر وفي امارته نزلت الروم البرلس في سنة ثلاث وخمسين فاستشهد يومئذ وردان مولى عمرو بن العاص في جمع من المسلمين وهدم ما كان عمرو بن العاص بناه من المسجد وبناه وأمر بابتناء منارات المساجد كلها الا خولان وتجيب وخرج الى الاسكندرية فى سنة ستين واستخلف عابس بن سعيد ومات معاوية بن أبي سفيان في رجب منها واستخلف ابنه يزيد بن معاوية فأقر مسلمة وكتب اليه بأخذ البيعة فبايعه الجند الا عبد الله بن عمرو ابن العاص فدعا عابس بالنار ليحرق عليه بابه فحينئذ بايع ليزيد وقدم مسلمة من الاسكندرية فجمع لعابس مع الشرط القضاء فى سنة احدى وستين وقال مجاهد صليت خلف مسلمة بن مخلد فقرأ سورة البقرة فما ترك ألفا ولا واوا وقال ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد كان مسلمة ابن مخلد يصلى بنا فيقوم في الظهر فربما قرأ الرجل البقرة وتوفى مسلمة وهو وال لخمس بقين من رجب سنة اثنتين وستين فكانت ولايته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر واستخلف عابس بن سعيد * ثم وليها (سعيد بن يزيد) بن علقمة بن يزيد بن عوف الازدى من أهل فلسطين فقدم مستهل رمضان سنة اثنتين وستين فتلقاه عمرو بن قحزم الخولاني فقال يغفر الله لامير المؤمنين أما كان فينا مائة شاب كلهم مثلك يولى علينا أحدهم ولم تزل أهل مصر على الشنآن له والاعراض عنه والتكبر عليه حتى توفى يزيد بن معاوية ودعا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه الى نفسه فقامت الخوارج الذين بمصر وأظهروا دعوته وسار منهم اليه فبعث لعبد الرحمن بن جحدم فقدم واعتزل سعيدا فكانت ولايته سنتين غير شهر * ثم وليها (عبد الرحمن بن عتبة) بن جحدم من قبل عبد الله بن الزبير فدخل فى شعبان سنة أربع وستين فى جمع كثير من الخوارج فأظهروا التحكيم ودعوا اليه فاستعظم الجند ذلك وبايعه الناس على غل في قلوب شيعة بني أمية ثم بويع مروان بن الحكم بالخلافة فى أهل الشام وأهل مصر معه في الباطن فسار اليها وبعث ابنه عبد العزيز فى جيش الى أيلة ليدخل مصر من هناك وأجمع ابن جحدم على حربه وحفر الخندق فى شهر وهو الذى فى شرقى القرافة وقدم مروان فحاربه ابن جحدم وقتل بينهما كثير من الناس ثم اصطلحا ودخل مروان لعشر من جمادى الاولى سنة خمس وستين فكانت مدة ابن جحدم تسعة أشهر ووضع مروان العطاء فبايعه الناس الا نفرا من المعافر قالوا لانخلع بيعة ابن الزبير فضرب أعناقهم وكانوا ثمانين رجلا وذلك للنصف من جمادى الآخرة ويومئذ مات عبدالله بن عمرو بن العاص فلم يستطع أن يخرج بجنازته الى المقبرة لشغب الجند على مروان وجعل مروان صلات مصر وخراجها الى ابنه عبد العزيز وسار وقد اقام بها شهرين لهلال رمضان (عبد العزيز بن مروان) بن

الحكم بن أبي العاص أبو الاصبغ ولي من قبل أبيه لهلال رجب سنة خمس وستين على
الصلات والخراج ومات أبوه وبويع من بعده عبد الملك بن مروان فأقر أخاه عبد العزيز
ووقع الطاعون بمصر سنة سبعين فخرج عبد العزيز منها ونزل حلوان فاتخذها دارا وسكنها
وجعل بها الاعوان وبنى بها الدور والمساجد وعمرها أحسن عمارة وغرس نخلها وكرمها
وعرف بمصر وهو أول من عرف بها في سنة احدى وسبعين وجهز البعث في البحر لقتال
ابن الزبير في سنة اثنتين وسبعين ثم مات لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ست
وثمانين فكانت ولايته عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما فولي (عبد الله بن عبد
الملك) بن مروان من قبل أبيه على صلاتها وخراجها فدخل يوم الاثنين لاحدى عشرة
خلت من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وهو ابن تسع وعشرين سنة وقد تقدم اليه
أبوه أن يقتفي آثار عمه عبد العزيز فاستبدل بالعمال وبالاصحاب ومات عبد الملك وبويع ابنه
الوليد بن عبد الملك فأقر أخاه عبد الله وأمر عبد الله فنسخت دواوين مصر بالعربية وكانت
بالقبطية وفي ولايته غلت الاسعار فتشاءم الناس به وهي أول شدة رأوها بمصر وكان يرتشي
ثم وفد على أخيه في صفر سنة ثمان وثمانين واستخلف عبد الرحمن بن عمر بن تحزم
الخولانى وأهل مصر في شدة عظيمة ورفع سقف المسجد الجامع فى سنة تسع وثمانين ثم
صرف فكانت ولايته ثلاث سنين وعشرة أشهر * فولي (قرة بن شريك) بن مرثد بن
الحرث العبسي للوليد بن عبد الملك على صلات مصر وخراجها فقدمها يوم الاثنين لثلاث
عشرة خلت من ربيع الاول سنة تسعين وخرج عبد الله بن عبد الملك من مصر بكل
ماملكه فأحيط به في الاردن وأخذ سائر مامعه وحمل الى أخيه وأمر الوليد بهدم ما بناه
عبد العزيز فى المسجد فهدم أول سنة اثنتين وتسعين وبنى واستنبط قرة بن شريك بركة الحبش
من الموات وأحياها وغرس فيها القصب فقيل لها اصطبل قرة واصطبل القاش ثم مات وهو
وال ليلة الخميس لست بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين واستخلف على الجند والخراج
عبد الملك بن رفاعة فكانت ولايته ست سنين واياما * ثم ولي (عبد الملك بن رفاعة) بن
خالد بن ثابت الفهمي من قبل الوليد بن عبد الملك على صلاتها وتوفي الوليد واستخلف
سليمان بن عبد الملك فأقر ابن رفاعة وتوفى سليمان وبويع عمر بن عبد العزيز فعزل ابن
رفاعة فكانت ولايته ثلاث سنين * ثم ولي (أيوب بن شرحبيل) بن اكسوم بن ابرهة
ابن الصباح من قبل عمر بن عبد العزيز على صلاتها فى ربيع الاول سنة تسع وتسعين
فورد كتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بالزيادة فى أعطيات الناس عامة وخمرت الخمر
وكسرت وعطلت حاناتها وقسم للغارمين بخمسة وعشرين ألف دينار ونزعت مواريث القبط
عن الكور واستعمل المسلمون عليها ومنع الناس الحمامات وتوفى عمر بن عبد العزيز

واستخلف يزيد بن عبد الملك فأقر أيوب على الصلات الى أن مات لاحدى عشرة وقيل لسبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة فكانت ولايته سنتين ونصفا * فولي (بشر ابن صفوان) الكلبي من قبل يزيد بن عبد الملك قدمها لسبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة وفي امرته نزل الروم تنيس ثم ولاه يزيد على أفريقية فخرج اليها فى شوال سنة اثنتين ومائة واستخلف اخاه حنظلة * فولى (حنظلة بن صفوان) باستخلاف أخيه فأقره يزيد بن عبد الملك وخرج الى الاسكندرية فى سنة ثلاث ومائة واستخلف عقبة بن مسلمة التجيبي وكتب يزيد بن عبد الملك فى سنة أربع ومائة بكسر الاصنام والتماثيل فكسرت كلها ومحيت التماثيل ومات يزيد بن عبد الملك وبويع هشام بن عبد الملك فصرف حنظلة فى شوال سنة خمس ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين * وولي (محمد بن عبد الملك بن مروان) ابن الحكم من قبل أخيه هشام بن عبد الملك على الصلات فدخل مصر لاحدى عشرة خلت من شوّال سنة خمس ومائة ووقع وباء شديد بمصر فترفع محمد الى الصعيد هاربا من الوباء اياما ثم قدم وخرج عن مصر لم يلها الا نحوا من شهر وانصرف الى الاردن فولى (الحر بن يوسف) بن يحيي بن الحكم من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها فدخل لثلاث خلون من ذى الحجة سنة خمس ومائة وفى امرته كان أول انتقاض القبط فى سنة سبع ومائة ورابط بدمياط ثلاثة أشهر ثم وفد الى هشام بن عبد الملك فاستخلف حفص بن الوليد وقدم في ذى القعدة من سنة سبع وانكشف النيل عن الارض فبني فيها وصرف في ذى القعدة سنة ثمان ومائة باستعفائه لمغاضبة كانت بينه وبين عبد الله بن الحبحاب متولى خراج مصر فكانت ولايته ثلاث سنين سواء * وولى (حفص بن الوليد) ابن سيف بن عبد الله من قبل هشام بن عبد الملك ثم صرف بعد جمعتين يوم الاضحي بشكوى ابن الحبحاب منه وقيل صرف سلخ ثمان ومائة * فولى (عبد الملك بن رفاعة) ثانياً على الصلات فقدم من الشام عليلا لثنتي عشرة بقيت من المحرم سنة تسع ومائة وكان أخوه الوليد يخلفه من أول المحرم وقيل بل ولى أول المحرم ومات للنصف منه وكانت ولايته خمس عشرة ليلة * ثم ولى أخوه (الوليد بن رفاعة) باستخلاف أخيه فأقره هشام بن عبد الملك على الصلات وفي ولايته نقلت قيس الى مصر ولم يكن بها أحد منهم وخرج وهيب اليحصبي شاردا فى سنة سبع عشرة ومائة من أجل ان الوليد اذن للنصارى فى ابتناء كنيسة يومنا بالحمراء وتوفي وهو وال أول جمادى الآخرة سنة سبع عشرة واستخلف عبدالرحمن ابن خالد فكانت امرته تسع سنين وخمسة أشهر * فولى (عبد الرحمن بن خالد) بن مسافر الفهمى أبو الوليد من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها وفي امرته نزل الروم على تروجة فحاصروها ثم اقتتلوا فأسروا فصرفه هشام فكانت ولايته سبعة أشهر * (وولى حنظلة

ابن صفوان ثانياً) فقدم لخمس خلون من المحرم سنة تسع ومائة فانتقض القبط وحاربهم في سنة احدى وعشرين ومائة وقدم رأس زيد بن على الى مصر في سنة اثنتين وعشرين ومائة ثم ولاه هشام افريقية فاستخلف حفص بن الوليد بامرة هشام وخرج لسبع خلون من ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائة فكانت ولايته هذه خمس سنين وثلاثة أشهر * وولى (حفص بن الوليد) الحضرمي ثانيا باستخلاف حنظلة له على صلاتها فأقره هشام بن عبد الملك الى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة أربع وعشرين فجمع له الصلات والخراج جميعاً واستسقى بالناس وخطب ودعا ثم صلى بهم ومات هشام بن عبد الملك واستخلف من بعده الوليد بن يزيد فأقر حفصاً على الصلات والخراج ثم صرف عن الخراج بعيسى ابن أبي عطاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائة وانفرد بالصلات ووفد على الوليد بن يزيد واستخلف عقبة بن نعيم الرعيني وقتل الوليد بن يزيد وحفص بالشام وبويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأمر حفصاً باللحاق بجنده وأمره على ثلاثين ألفا وفرض الفروض وبعث بيعة أهل مصر الى يزيد بن الوليد ثم توفي يزيد وبويع ابراهيم ابن الوليد وخلعه مروان بن محمد الجعدى فكتب حفص يستعفيه من ولاية مصر فأعفاه مروان فكانت ولاية حفص هذه ثلاث سنين الا اشهرا * وولى (حسان بن عتاهية) بن عبد الرحمن التجيبي وهو بالشام فكتب الى خير بن نعيم باستخلافه فسلم حفص الى خير ثم قدم حسان لثنتى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة على الصلات وعيسى ابن أبي عطاء على الخراج فأسقط حسان فروض حفص كلها فوثبوا به وقالوا لا نرضى الا بحفص وركبوا الى المسجد ودعوا الى خلع مروان وحصروا حسان في داره وقالوا له اخرج عنا فانك لا تقيم معنا ببلد وأخرجوا عيسى بن أبي عطاء صاحب الخراج وذلك في آخر جمادي الآخرة وأقاموا حفصا فكانت ولاية حسان ستة عشر يوما * فولى (حفص ابن الوليد) الثالثة كرها أخذه قواد الفروض بذلك فأقام على مصر رجب وشعبان ولحق حسان بمروان وقدم حنظلة بن صفوان من أفريقية وقد أخرجه أهلها فنزل الجيزة وكتب مروان بولايته على مصر فامتنع المصريون من ولاية حنظلة وأظهروا الخلع وأخرجوا حنظلة الى الحوف الشرقي ومنعوه من المقام بالفسطاط وهرب ثابت بن نعيم من فلسطين يريد الفسطاط فحاربوه وهزموه وسكت مروان عن مصر بقية سنة سبع وعشرين ومائة ثم عزل حفصاً مستهل سنة ثمان وعشرين * وولى (الحوثرة بن سهيل) بن العجلان الباهلي فسار اليها في آلاف وقدم أول المحرم وقد اجتمع الجند على منعه فأبى عليهم حفص فخافوا حوثرة وسألوه الامان فأمنهم ونزل ظاهر الفسطاط وقد اطمأنوا اليه فخرج اليه حفص ووجوه الجند فقبض عليهم وقيدهم فانهزم الجند ودخل معه عيسى بن أبي عطاء على الخراج

لثنتي عشرة خلت من المحرم وبعث في طلب رؤساء الفتنة فجمعوا له وضرب أعناقهم وقتل حفص بن الوليد ثم صرف فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين ومائة وبعثه مروان الى العراق فقتل واستخلف على مصر حسان بن عتاهية وقيل أبا الجراح بشر بن اوس وخرج لعشر خلون من رجب وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر * ثم ولى (المغيرة بن عبيد الله) بن المغيرة الفزارى على الصلات من قبل مروان فقدم لست بقين من رجب سنة احدى وثلاثين وخرج الى الاسكندرية واستخلف أبا الجراح الحرشي وتوفى لثنتي عشرة خلت من جمادى الاولى سنة اثنتين وثلاثين ومائة فكانت ولايته عشرة أشهر واستخلف ابنه الوليد بن المغيرة ثم صرف الوليد فى النصف من جمادى الآخرة * وولي (عبد الملك بن مروان) بن موسى بن نصير من قبل مروان على الصلات والخراج وكان واليا على الخراج قبل أن يولى الصلات في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة فأمر باتخاذ المنابر في الكور ولم تكن قبله وانما كانت ولاة الكور يخطبون على العصى الى جانب القبلة وخرج القبط فحاربهم وقتل كثيرا منهم وخالف عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان على مروان واجتمع عليه جمع من قيس في الحوف الشرقي فبعث اليهم عبد الملك بجيش فلم يكن حرب وسار مروان بن محمد الى مصر منهزما من بنى العباس فقدم يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقد سود أهل الحوف الشرقى وأهل الاسكندرية وأهل الصعيد واسوان فعزم مروان على تعدية النيل وأحرق دار آل مروان المذهبة ثم رحل الى الجيزة وخرق الجسرين وبعث بجيش الى الاسكندرية فاقتتلوا بالكريون وخالفت القبط برشيد فبعث اليهم وهزمهم وبعث الى الصعيد فقدم صالح بن على بن عبد الله بن عباس في طلب مروان هو وأبو عون عبد الملك بن يزيد يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة فأدرك صالح مروان ببوصير من الجيزة بعد ما استخلف على الفسطاط معاوية بن بحيرة بن ريسان فحارب مروان حتى قتل ببوصير يوم الجمعة لسبع بقين من ذى الحجة ودخل صالح الى الفسطاط يوم الاحد لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث برأس مروان الى العراق وانقضت أيام بني أمية * فولى (صالح بن على) بن عبد الله بن عباس ولي من قبل أمير المؤمنين أبي العباس عبد الله بن محمد السفاح فاستقبل بولايته المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث بوفد أهل مصر الى أبي العباس السفاح ببيعة أهل مصر وأسر عبد الملك بن موسى بن نصير وجماعة وقتل كثيرا من شيعة بني أمية وحمل طائفة منهم الى العراق فقتلوا بقلنسوة من أرض فلسطين وأمر للناس بأعطياتهم للمقاتلة والعيال وقسمت الصدقات على اليتامى والمساكين وزاد صالح في المسجد وورد عليه كتاب أمير المؤمنين السفاح بامارته على فلسطين والاستخلاف على مصر فاستخلف اباعون مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين وسار ومعه عبد الملك بن نصير

ملزما وعدة من أهل مصر صحابة لامير المؤمنين وأقطع الذين سودوا قطائع منها منية بولاق وقرى اهناس وغيرها ثم من بعد صالح بن على سكن امراء مصر العسكر وأول من سكنه أبو عون والله تعالى اعلم

ذكر العسكر الذى بني بظاهر مدينة فسطاط مصر

اعلم أن موضع العسكر قد كان يعرف في صدر الاسلام بالحمراء القصوى وقد تقدم أن الحمراء القصوى كانت خطة بني الازرق وبني روبيل وبني يشكر بن جزيلة ثم دثرت هذه الخطط بعد العمارة بتلك القبائل حتى صارت صحراء فلما قدم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية الى مصر منهزما من بني العباس نزلت عساكر صالح بن علي وأبي عون عبد الملك بن يزيد في هذه الصحراء حيث جبل يشكر حتى ماؤا الفضاء وأمر أبوعون اصحابه بالبناء فيه فبنوا وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة فلما خرج صالح بن علي من مصر خرب أكثر مابني فيه الى زمن موسى بن عيسى الهاشمي فابتنى فيه دارا أنزل فيها حشمه وعبيده وعمر الناس ثم ولي السرى بن الحكم فاذن للناس في البناء فابتنوا فيه وصار مملوكا بأيديهم واتصل بناؤه ببناء الفسطاط وبنيت فيه دار الامارة ومسجد جامع عرف بجامع العسكر ثم عرف بجامع ساحل الغلة وعملت الشرطة أيضا في العسكر وقيل لها الشرطة العليا والى جانبها بني أحمد ابن طولون جامعه الموجود الآن وسمى من حينئذ ذلك الفضاء بالعسكر وصار أمراء مصر اذا ولوا ينزلون به من بعد أبي عون فقال الناس من يومئذ كنا بالعسكر وخرجنا الى العسكر وكتب من العسكر وصار مدينة ذات محال واسواق ودور عظيمة وفيه بني أحمد بن طولون مارستانه فأنفق عليه وعلى مستغله ستين ألف دينار وكان بالقرب من بركة قارون التي صارت كيمانا وبعضها بركة على يسرة من سار من حدرة ابن قميحة يريد قنطرة السد وعلى بركة قارون هذه كانت جنان بني مسكين وبنى كافور الاخشيدى دارا أنفق عليها مائة ألف دينار وسكنها في رجب سنة ست وأربعين وثلثمائة وانتقل منها بعد أيام لوباء وقع في غلمانه من بخار البركة وعظمت العمارة في العسكر جداً الى أن قدم أحمد بن طولون من العراق الى مصر فنزل بدار الامارة من العسكر وكان لها باب الى جامع العسكر وينزلها الامراء منذ بناها صالح بن على بعد قتله مروان وما زال بها أحمد بن طولون الى أن بنى القصر والميدان بالقطائع فتحول من العسكر وسكن قصره بالقطائع فلما ولي أبو الجيش خمارويه بن أحمد ابن طولون بعد أبيه جعل دار الامارة ديوان الخراج ثم فرقت حجرا بعد دخول محمد بن سليمان الكاتب الى مصر وزوال دولة بنى طولون فسكن محمد بن سليمان بدار الامارة في العسكر عند المصلى القديم وكان المصلى القديم حيث الكوم المطل الآن على قبر القاضي بكار وما زالت الامراء تنزل بالعسكر الى أن قدم القائد جوهر من المغرب وبنى القاهرة المعزية

ولما بنى أحمد بن طولون القطائع اتصلت مبانيها بالعسكر وبنى جامعه على جبل يشكر فعمر ما هنالك عمارة عظيمة تخرج عن الحد في الكثرة وقدم جوهر القائد بعساكر مولاه المعز لدين الله في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة والعسكر عامر الا انه منذ بنيت القطائع هجر اسم العسكر وصار يقال مدينة الفسطاط والقطائع وربما قيل والعسكر أحيانا فلما خرب محمد بن سليمان قصر ابن طولون وميدانه بقى في القطائع مساكن جاليلة حيث كان العسكر وأنزل المعز لدين الله عمه أبا علي في دار الامارة فلم يزل أهله بها الى أن خربت القطائع في الشدة العظمى التي كانت فى خلافة المستنصر أعوام بضع وخمسين وأربعمائة فيقال انه كان هناك زيادة على مائة ألف دار سوى البساتين وما هذا ببعيد فان ذلك كان مابين سفح الشرف الذى عليه الآن قلعة الجبل وبين ساحل مصر القديم حيث الآن الكبارة خارج مصر وما على سمتها الى كوم الجارح ومن كوم الجارح الى جامع ابن طولون وخط قناطر السباع وخط السبع سقايات الى قنطرة السد ومراغة مصر الى المعاريج بمصر والى كوم الجارح فنى هذه المواضع كان العسكر والقطائع ويخص العسكر من ذلك مابين قناطر السباع وحدرة ابن قميحة الى كوم الجارح حيث الفضاء الذى يتوسط مابين قنطرة السد وبين سور القرافة الذى يعرف بباب المجدم فهذا هو العسكر ولما استولى الخراب فى المحنة أمر ببناء حائط يستر الخراب عن نظر الخليفة اذا سار من القاهرة الى مصر فيما بين العسكر والقطائع وبين الطريق وأمر ببناء حائط آخر عند جامع ابن طولون فلما كان في خلافة الآمر بأحكام الله أبي على منصور ابن المستعلى أمر وزيره أبو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالاجل المأمون بن البطايحي فنودى مدة ثلاثة أيام في القاهرة ومصر بأن من كان له دار في الخراب أو مكان فليعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه أو يؤجره من غير نقل شيء من أنقاضه ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق وكان سبب هذا النداء أنه لما قدم أمير الجيوش بدر الجمالي في آخر الشدة العظمى وقام بعمارة أقليم مصر أخذ الناس في نقل ما كان بالقطائع والعسكر من أنقاض المساكن حتى أتى على معظم ماهنالك الهدم فصار موحشا وخرب ما بين القاهرة ومصر من المساكن ولم يبق هنالك الا بعض البساتين فلما نادى الوزير المأمون عمر الناس ما كان من ذلك مما يلى القاهرة من جهة المشهد النفيسى الى ظاهر باب زويلة كما يرد خبر ذلك في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ونقلت أنقاض العسكر كما تقدم فصار هذا الفضاء الذى يتوصل اليه من مشهد السيدة نفيسة ومن الجامع الطولوني ومن قنطرة السد ومن باب المجدم فى سور القرافة ويسلك في هذا الفضاء الى كوم الجارح ولم يبق الآن من العسكر ماهو عامر سوى جبل يشكر الذى عليه جامع ابن طولون وما حوله من الكبش وحدرة ابن قميحة الى خط السبع سقايات وخط قناطر

السباع الى جامع ابن طولون وأما سوق الجامع من قبليه وما وراء ذلك الى المشهد النفيسي والى القبيبات والرميلة تحت القلعة فانما هو من القطائع كما ستقف عليه عند ذكر القطائع وعند ذكر هذه الخطط ان شاء الله تعالى وطالما سلكت هذا الفضاء الذى بين جامع ابن طولون وكوم الجارح حيث كان العسكر وتذكرت ما كان هنالك من الدور الجليلة والمنازل العظيمة والمساجد والاسواق والحمامات والبساتين والبركة البديعة والمارستان العجيب وكيف بادت حتى لم يبق لشئ منها أثر البتة فأنشدت أقول

وبادوا فلا مخبر عنهم * وماتوا جميعا وهذا الخبر
فمن كان ذا عبرة فليكن * فطينا ففي من مضى معتبر
وكان لهم أثر صالح * فأين هم ثم أين الاثر

وسيأتي لذلك مزيد بيان عند ذكر القطائع وعند ذكر خط قناطر السباع وغيره من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

ذكر من نزل العسكر من امراء مصر من حين بنى الى أن بنيت القطائع

اعلم أن امراء مصر مابرحوا ينزلون فسطاط مصر منذ اختط بعد الفتح الى أن بنى أبو عون العسكر فصارت امراء مصر من عهد أبي عون انما ينزلون بالعسكر وما برحوا على ذلك الى أن أنشأ الامير أبو العباس أحمد بن طولون القصر والميدان والقطائع فتحول من العسكر الى القصر وسكن فيه وسكنه الامراء من أولاده بعده الى أن زالت دولتهم فسكن الامراء بعد ذلك العسكر الى أن زالت دولة الاخشيدية بقدوم جوهر القائد من المغرب * وأول من سكن العسكر من امراء مصر (أبو عون) عبد الملك بن يزيد من أهل جرجان ولي صلات مصر وخراجها باستخلاف صالح بن على له في مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة ووقع الوباء بمصر فهرب أبو عون الى يشكر واستخلف صاحب شرطته عكرمة بن عبد الله بن عمرو بن تحزم وخرج الى دمياط في سنة خمس وثلاثين ومائة واستخلف عكرمة وجعل على الخراج عطاء بن شرحبيل وخرج القبط بسمنود فبعث اليهم وقتلهم وورد الكتاب بولاية صالح بن علي على مصر وفلسطين والمغرب جمعت له ووردت الجيوش من قبل أمير المؤمنين السفاح لغزو المغرب فولي (صالح بن على) الثانية على الصلات والخراج فدخل لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ومائة فأقر عكرمة على شرطة الفسطاط وجعل على شرطته بالعسكر يزيد بن هاني الكندى وولى أبا عون جيوش المغرب وقدم أمامه دعاة لاهل أفريقية وخرج أبو عون في جمادي الآخرة وجهزت المراكب من الاسكندرية الى برقة فمات السفاح في ذي الحجة واستخلف أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فأقر صالحا وكتب الى أبي عون بالرجوع ورد الدعاة وقد بلغوا شبرت وبلغ أبو عون برقة فأقام بها

أحد عشر يوما ثم عاد الى مصر في جيشه فجهزه صالح الى فلسطين لحربه فغلب وسير الى مصر ثلاثة آلاف رأس ثم خرج صالح الى فلسطين واستخلف ابنه الفضل فبلغ بلبيس ورجع ثم خرج لاربع خلون من رمضان سنة سبع وثلاثين فلقى أبا عون بالفرما فأمره على مصر صلاتها وخراجها ومضى فدخل أبو عون الفسطاط لاربع بقين من رمضان فولى *(أبو عون) ولايته الثانية من قبل صالح بن على ثم أفرده أبو جعفر بولايتها وقدم أبو جعفر بيت المقدس وكتب الى أبي عون بأن يستخلف على مصر ويخرج اليه فاستخلف عكرمة على الصلات وعطاء على الخراج وخرج للنصف من ربيع الاول سنة احدى وأربعين ومائة فلما صار الى أبي جعفر ببيت المقدس بعث أبو جعفر موسى بن كعب فكانت ولاية أبي عون هذه ثلاث سنين وستة أشهر فوليها (موسى بن كعب) بن عيينة ابن عائشة أبو عيينة من تميم من قبل أبي جعفر المنصور وكان أحد نقباء بنى العباس فدخلها لاربع عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة احدى وأربعين ومائة على صلاتها وخراجها ونزل العسكر وبها الناس من الجند يغدون ويروحون اليه كما كانوا يفعلون بالامراء قبله فانتهوا عنه حتى لم يكن أحد يلزم بابه وكان قدامهم في خراسان بأمر أبي مسلم فأمر به أسد بن عبد الله البجلى والى خراسان فألجم بلجام ثم كسرت أسنانه فكان يقول بمصر كانت لنا أسنان وليس عندنا خبز فلما جاء الخبز ذهبت الأسنان وكتب اليه أبو جعفر اني عزلتك من غير سخطة ولكن بلغني أن غلاما يقتل بمصر يقال له موسى فكرهت أن تكونه فكان ذلك موسى بن مصعب زمن المهدي كما يأتي ان شاء الله تعالى فولى موسى بن كعب سبعة أشهر وصرف في ذي القعدة واستخلف على الجند ابن خاله ابن حبيب وعلى الخراج نوفل بن الفرات وخرج لست بقين منه فولى (محمد بن الاشعث) ابن عقبة الخزاعي من قبل أبي جعفر على الصلات والخراج وقدم لخمس خلون من ذي الحجة سنة احدى وأربعين ومائة وبعث أبو جعفر الى نوفل بن الفرات أن اعرض على محمد بن الاشعث ضمان خراج مصر فان ضمنه فأشهد عليه وأشخص الى وان أبى فاعمل على الخراج فعرض عليه ذلك فأبى فانتقل نوفل الدواوين فافتقد ابن الاشعث الناس فقيل له هم عند صاحب الخراج فندم على تسليمه وعقد على جيش بعث به الى المغرب لحربه فانهزم وخرج ابن الاشعث يوم الاضحي سنة اثنتين وأربعين وتوجه الى الاسكندرية واستخلف محمد بن معاوية بن بجير بن رسان صاحب شرطته ثم صرف ابن الاشعث فكانت ولايته سنة وشهرا وولى (حميد بن قحطبة) بن شبيب بن خالد ابن سعد ان الطائي من قبل أبي جعفر على الصلات والخراج فدخل في عشرين ألفا من الجند لخمس خلون من رمضان سنة ثلاث وأربعين ومائة ثم قدم عسكر آخر في شوال وقدم على ابن محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن داعية لابيه وعمه فدس اليه حميد فتغيب فكتب

بذلك الى أبي جعفر فصرفه في ذي القعدة وخرج لثمان بقين من ذى القعدة سنة أربع وأربعين فولى (يزيد بن حاتم) بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة من قبل أبي جعفر على الصلاة والخراج فقدم على البريد للنصف من ذى القعدة فاستخلف على الخراج معاوية بن مروان ابن موسى بن نصير وفي امرته ظهرت دعوة بنى الحسن بن علي بمصر وتكلم بها الناس وبايع كثير منهم لعلى بن محمد بن عبد الله وطرق المسجد لعشر خلون من شوال سنة خمس وأربعين كما يذكر فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ثم قدمت الخطباء برأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي فى ذى الحجة فنصبت في المسجد وورد كتاب أبي جعفر بأمر يزيد بن حاتم بالتحول من العسكر الى الفسطاط وأن يجعل الديوان فى كنائس القصر وذلك فى سنة ست وأربعين ومائة من أجل ليلة المسجد ومنع يزيد أهل مصر من الحج سنة خمس وأربعين فلم يحج أحد منهم ولا من أهل الشام لما كان بالحجاز من الاضطراب بامر بنى حسن ثم حج يزيد فى سنة سبع وأربعين واستخلف عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج صاحب شرطته وبعث جيشا لغزو الحبشة من أجل خارجي ظهر هناك فظفر به الجيش وقدم رأسه في عدة رؤس فحملت الى بغداد وضم يزيد برقة الى عمل مصر وهو أول من ضمها الى مصر وذلك في سنة ثمان وأربعين وخرج القبط بسخا في سنة خمسين ومائة فبعث اليهم جيشا فشتته القبط ورجع منهزما فصرفه أبو جعفر في ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين ومائة فكانت ولايته سبع سنين وأربعة أشهر وولى (عبد الله بن عبد الرحمن) بن معاوية بن خديج من قبل أبي جعفر على الصلاة لثنتى عشرة بقيت من ربيع الآخر وهو أول من خطب بالسواد وخرج الى أبي جعفر لعشر بقين من رمضان سنة أربع وخمسين ومائة واستخلف أخاه محمدا ورجع في آخرها ومات وهو وال مستهل صفر سنة خمس وخمسين ومائة واستخلف أخاه محمدا فكانت ولايته سنتين وشهرين فولى (محمد بن عبد الرحمن) بن معاوية بن خديج باستخلاف أخيه فأقره أبو جعفر على الصلاة ومات وهو وال للنصف من شوال فكانت ولايته ثمانية أشهر ونصفا واستخلف موسى بن علي فولى (موسى بن علي) بن رباح باستخلاف محمد بن خديج فأقره أبو جعفر على الصلاة وخرج القبط ببيب في سنة ست وخمسين فبعث اليهم وهزمهم وكان يروح الى المسجد ماشيا وصاحب شرطته بين يديه يحمل الحربة واذا أقام صاحب الشرطة الحدود يقول له ارحم أهل البلاد فيقول أيها الامير مايصلح الناس الا مايفعل بهم وكان يحدث فيكتب الناس عنه ومات أبو جعفر لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وبويع ابنه محمد المهدى فأقر موسى بن علي الى سابع عشر ذى الحجة سنة احدى وستين ومائة فكانت ولايته ست سنين وشهرين وولى (عيسى بن لقمان) بن محمد الجمحي من قبل المهدى على الصلاة

والخراج فقدم لثلاث عشرة بقيت من ذى الحجة سنة احدى وستين ومائة وصرف لثنتى عشرة بقيت من جمادى الاولى سنة اثنتين وستين ومائة فوليها أربعة أشهر ثم ولى (واضح مولى أبي جعفر) من قبل المهدى على الصلات والخراج فدخل لست بقين من جمادى الاولى وصرف في رمضان فولى (منصور بن يزيد) بن منصور الرعيني وهو ابن خال المهدى على الصلات فقدم لاحدى عشرة خلت من رمضان سنة اثنتين وستين ومائة وصرف للنصف من ذى الحجة فكان مقامه شهرين وثلاثة أيام ثم ولى (يحيي بن داود) أبو صالح من أهل خراسان من قبل المهدى على الصلات والخراج فقدم في ذى الحجة وكان أبوه تركيا وهو من أشد الناس وأعظمهم هيبة وأقدمهم على الدم وأكثرهم عقوبة فمنع من غلق الدروب بالليل ومن غلق الحوانيت حتى جعلوا عليها شرائح القصب لمنع الكلاب ومنع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها وقال من ضاع له شئ فعلى اداؤه وكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه ويقول يا أبا صالح احرسها فكانت الامور على هذا مدة ولايته وأمر الاشراف والفقهاء وأهل النوبات بلبس القلانس الطوال والدخول بها على السلطان يوم الاثنين والخميس بلا أردية وكان أبو جعفر المنصور اذا ذكره قال هو رجل يخافني ولا يخاف الله فولى الى المحرم سنة أربع وستين وقدم *(سالم بن سوادة)* التميمى من قبل المهدى على الصلات ومعه أبو قطيعة اسماعيل بن ابراهيم على الخراج لثنتى عشرة خلت من المحرم ثم ولى (ابراهيم ابن صالح) بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل المهدى على الصلات والخراج فقدم لاحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وستين وابتنى دارا عظيمة بالموقف من العسكر وخرج دحية بن المعصب بن الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان بالصعيد ونابذ ودعا الى نفسه بالخلافة فتراخى عنه ابراهيم ولم يحفل بأمره حتى ملك عامة الصعيد فسخط المهدي لذلك وعزله عز لاقبيحا لسبع خلون من ذى الحجة سنة سبع وستين فوليها ثلاث سنين ثم ولى (موسى بن مصعب) بن الربيع من أهل الموصل على الصلات والخراج من قبل المهدى فقدم لسبع خلون من ذي الحجة المذكور فرد ابراهيم وأخذ منه وممن عمل له ثلثمائة ألف دينار ثم سيره الى بغداد وشدد موسى في استخراج الخراج وزاد على كل فدان ضعف ما يقبل به وارتشى في الاحكام وجعل خراجا على أهل الاسواق وعلى الدواب فكرهه الجند ونابذوه وثارت قيس واليمانية وكاتبوا أهل الفسطاط فاتفقوا عليه وبعث بجيش الى قتال دحية بالصعيد وخرج فى جند مصر كلهم لقتال أهل الحوف فلما التقوا انهزم عنه أهل مصر بأجمهم وأسلموا فقتل من غير أن يتكلم أحد من أهل مصر لتسع خلون من شوال سنة ثمان وستين ومائة فكانت ولايته عشرة اشهر وكان ظالما غاشما سمعه الليث بن سعد يقرأ في خطبته انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها فقال الليث اللهم لاتمقتنا ثم ولي

(عسامة بن عمرو) باستخلاف موسى بن مصعب وبعث الى دحيـة جيشا مع أخيـه بكار
ابن عمرو فحارب يوسف بن نصير وهو على جيش دحية فتطاعنا ووضع يوسف الرمح
في خاصرة بكار ووضع بكار الرمح في خاصرة يوسف فقتـلا معا ورجع الجيشان
منهزمين وذلك في ذى الحجة وصرف عسامة لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة بكتاب
ورد عليه من الفضـل بن صالح بأنه ولى مصر وقد استخلفه فخلعه الى سلخ المحرم سنة
تسع وستين ومائة ثم قدم (الفضل بن صالح) بن على بن عبد الله بن عباس سلخ المحرم
المذكور في جيوش الشام ومات المهدى في المحرم هذا وبويع موسى الهادى فأقر
الفضـل وقدم مصر يضطرب من أهل الحوف ومن خروج دحيـة فان الناس كانوا قد
كاتبوه ودعوه فسـير العساكر حتى هزم دحية وأسر وسيق الى الفسطاط فضربت عنقه
وصلب في جمادى الآخرة سنة تسع وستين فكان الفضل يقول أنا أولى الناس بولاية مصر
لقيامي في أمر دحية وقد عجز عنه غيري فعزل وندم على قتل دحية والفضل هو الذى بنى
الجامع بالعسكر فى سنة تسع وستين فكانوا يجمعون فيه ثم ولى (على بن سليمان) بن على
ابن عبد الله بن عباس من قبل الهادي على الصلات والخراج فدخل في سنة تسع وستين
ومائة ومات الهـادى للنصف من ربيع الاول سنة سبعين ومائة وبويع هرون بن محمـد
الرشـيد فاقر على بن سليمان وأظهر في ولايتـه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومنع
الملاهى والخمور وهدم الكنائس المحدثة بمصر وبذل له فى تركها خمسون ألف دينار فامتنع
وكان كثير الصـدقة في الليل وأظهر أنه تصلح له الخلافة وطمع فيها فسخط عليه هرون
الرشيد وعزله لاربع بقين من ربيع الاول سنة احدى وسبعين ومائة ثم ولى (موسى
ابن عيسي) بن موسى بن محمد بن على بن عبـد الله بن عباس من قبل الرشـيد على
الصـلات فاذن للنصارى في بنيان الكنائس التى هدمها على بن سليمان فبنيت بمشورة الليث
ابن سعد وعبد الله بن لهيعة ثم صرف لاربع عشرة خلت من رمضان سنة اثنين وسبعين
ومائة فكانت ولايته سنة وخمسة أشهر ونصفا ثم ولى (مسلمة بن يحيي) بن قرة بن عبيد
الله البجلي من أهل جرجان من قبل الرشيد على الصلات ثم صرف فى شعبان سـنة ثلاث
وسبعين فوليها أحد عشر شهرا ثم ولى (محمد بن زهير) الازدى على الصلات والخراج
لخمس خلون من شعبان فبادر الجند لعمر بن غيلان صاحب الخراج فلم يدفع عنه فصرف
بعد خمسة أشهر في سلخ ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة فولى (داود بن يزيد) بن
حاتم بن قبيصـة بن المهلب بن أبى صفرة وقدم هو وابراهيم بن صـالح بن على فولى داود
الصلات وبعث بابراهيم لاخراج الجند الذين ثاروا من مصر فدخل لاربع عشرة خلت من
المحرم سنة أربع وسبعين ومائة فأخرجت الجند العديدة الي المشرق والمغرب في عالم كثير

فساروا في البحر فأسرتهم الروم وصرف لست خلون من المحرم سنة خمس وسبعين فكانت ولايته سنة ونصف شهر ثم ولى (موسى بن عيسى) بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس على الصلات والخراج من قبل الرشيد فدخل لسبع خلون من صفر سنة خمس وسبعين وصرف لليلتين بقيتا من صفر سنة ست وسبعين ومائة فولى سنة واحدة ثم ولي (ابراهيم بن صالح) بن على بن عبد الله بن عباس ثانيا من قبل الرشيد فكتب الى عسامة ابن عمرو فاستخلفه ثم قدم نصر بن كلثوم خليفته على الخراج مستهل ربيع الاول وتوفي عسامة لسبع بقين من ربيع الآخر فقدم روح بن روح بن زنباع خليفة لابراهيم على الصلات والخراج ثم قدم ابراهيم للنصف من جمادى الاولى وتوفي وهو وال لثلاث خلون من شعبان فكان مقامه بمصر شهرين وثمانية عشر يوما وقام بالامر بعده ابنه صالح بن ابراهيم مع صاحب شرطته خالد بن يزيد ثم ولى (عبد الله بن المسيب) بن زهير بن عمرو الضبي من قبل الرشيد على الصلات لاحدى عشرة بقيت من رمضان سنة ست وسبعين ومائة وصرف في رجب سنة سبع وسبعين ومائة فولى (اسحاق بن سليمان) بن على بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات والخراج مستهل رجب فكشف أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة أجحفت بهم فخرج عليه أهل الحوف فحاربهم فقتل كثير من أصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فعقد لهرثمة بن أعين في جيش عظيم وبعث به فنزل الحوف فتلقاه أهله بالطاعة وأذعنوا فقبل منهم واستخرج الخراج كله فكان صرف اسحق في رجب سنة ثمان وسبعين ومائة فولى (هرثمة بن أعين) من قبل الرشيد على الصلات والخراج لليلتين خلتا من شعبان ثم سار الى افريقية لثنتي عشرة خلت من شوال فأقام بمصر شهرين ونصفا ثم ولى (عبد الملك بن صالح) بن على بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات والخراج فلم يدخل مصر واستخلف عبد الله بن المسيب بن زهير الضبي وصرف في سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة فولى (عبيد الله بن المهدى) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات والخراج في يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من المحرم سنة تسع وسبعين ومائة فاستخلف ابن المسيب ثم قدم لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول وصرف في شهر رمضان فولى تسعة أشهر وخرج من مصر لليلتين خلتا من شوال فاعاد الرشيد (موسى ابن عيسى) وولاه مرة ثالثة على الصلات فقدم ابنه يحيي بن موسى خليفة له لثلاث خلون من رمضان ثم قدم آخر ذى القعدة وصرف في جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة فولى الرشيد (عبيد الله بن المهدى) ثانيا على الصلات فقدم داود بن حباش خليفة له لسبع خلون من جمادى الآخرة ثم قدم لاربع خلون من شعبان وصرف لثلاث خلون من رمضان سنة احدى وثمانين ومائة فولى (اسمعيل بن صالح) بن على بن عبد الله بن عباس على

الصلات لسبع خلون من رمضان فاستخلف عون بن وهب الخزاعي ثم قدم لخمس بقين منه قال ابن عفير مارأيت على هذه الاعواد أخطب من اسماعيل بن صالح ثم صرف في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومائة فولى (اسمعيل بن عيسى) بن موسى بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات فقدم لاربع عشرة بقيت من جمادى الآخرة وصرف في رمضان فولى (الليث بن الفضل) البيوردى من أهل بيورد على الصلات والخراج وقدم لخمس خلون من شوال ثم خرج الى الرشيد لسبع بقين من رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائة بالمال والهدايا واستخلف (١) أخاه الفضل بن على ثم عاد في آخر السنة وخرج ثانيا بالمال لتسع بقين من رمضان سنة خمس وثمانين واستخلف هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج وقدم لاربع عشرة خلت من المحرم سنة ست وثمانين فكان كلما غلق خراج سنة وفرغ من حسابها خرج بالمال الى أمير المؤمنين هرون الرشيد ومعه الحساب ثم خرج عليه أهل الحوف وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم في أربعة آلاف ليومين بقيا من شعبان سنة ست وثمانين ومائة واستخلف عبد الرحمن بن موسى بن على بن رباح على الجند والخراج فواقع أهل الحوف وانهزم عنه الجند فبقي في نحو المائتين فحمل بهم وهزم القوم من أرض الجب الى غيفة وبعث الى الفسطاط بثمانين رأسا وقدم فرجع أهل الحوف ومنعوا الخراج فخرج ليث الى الرشيد وسأله أن يبعث معه بالجيوش فانه لايقدر على استخراج الخراج من أهل الاحواف الا بجيش فرفع محفوظ بن سليمان انه يضمن خراج مصر عن آخره بغير سوط ولا عصا فولاه الرشيد الخراج وصرف ليثا عن الصلات والخراج وبعث أحمد بن اسحق على الصلات مع محفوظ وكانت ولاية ليث أربع سنين وسبعة أشهر فولى (أحمد بن اسمعيل) بن على بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات والخراج وقدم لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ثم صرف لثمان عشرة خلت من شعبان سنة تسع وثمانين فولي سنتين وشهرا ونصفا ثم ولى (عبيدالله بن محمد) بن ابراهيم ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس على الصلات واستخلف لهيعة بن عيسى بن لهيعة الحضرمي ثم قدم للنصف من شوال وصرف لاحدي عشرة بقيت من شعبان سنة تسعين ومائة وخرج واستخلف هاشم بن عبدالله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج فولى (الحسين ابن جميل) من قبل الرشيد على الصلات وقدم لعشر خلون من رمضان ثم جمع له الخراج مع الصلات في رجب سنة احدى وتسعين وخرج أهل الحوف وامتنعوا من اداء الخراج وخرج أبو النداء بايلة في نحو ألف رجل فقطع الطريق بايلة وشعيب ومدين وأغار على بعض قرى الشام وضوى اليه من جذام جماعة فبلغ من النهب والقتل مبلغا عظيما فبعث الرشيد من بغداد

(١) قوله أخاه الفضل بن على هكذا في النسخ التي بيدي ولعله أباه الفضل الخ تأمل اه مصححه

جيشا لذلك وبعث الحسين بن جميل من مصر عبد العزيز بن الوزير بن صابى الجروى في عسكر فالتقى العسكران بأيلة فظفر عبد العزيز بأبي النداء وسار جيش الرشيد الى بلبيس في شوال سنة احدى وتسعين ومائة فأذعن أهل الحوف بالخراج وصرف ابن جميل لثنتى عشرة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائة فولى (مالك بن دلهم) بن عمير الكلبي على الصلات والخراج وقدم لسبع بقين من ربيع الآخر وفرغ يحي بن معاذ أمير جيش الرشيد من أمر الحوف وقدم الفسطاط لعشر بقين من جمادى الآخرة فكتب الى أهل الاحواف أن اقدموا حتي أوصى بكم مالك بن دلهم فدخل الرؤساء من اليمانيـة والقيسية فأخذت عليهم الابواب وقيدوا وسار بهم للنصف من رجب وصرف مالك لاربع خلت من صفر سنة ثلاث وتسعين ومائة فولى (الحسن بن التختاح) بن التختشكان على الصلات والخراج فاستخلف العلاء بن عاصم الخولانى وقدم لثلاث خلون من ربيع الاول ثم مات الرشيد واستخلف ابنه محمد الامين فثار الجند بمصر ووقعت فتنة عظيمة قتل فيها عدة وسير الحسن مال مصر فوثب أهل الرملة وأخذوه وبلغ الحسن عزله فسار من طريق الحجاز لفساد طريق الشام لثمان بقين من ربيع الاول سنة أربع وتسعين ومائة واستخلف عوف بن وهب على الصلات ومحمد بن زياد بن طبق القيسي على الخراج فولى (حاتم بن هرثمة) بن أعين من قبل الامين على الصلات والخراج وقدم في ألف من الابناء فنزل بلبيس فصالحه أهـل الاحواف على خراجهم وثار عليه أهل تنو وتمي وعسكروا فبعث اليهم جيشا فانهزموا ودخل حاتم الى الفسطاط ومعه نحو مائة من الرهائن لاربع خلون من شوال وصرف في جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة فولى (جابر بن الاشعث) بن يحي الطائى من قبل الامين على الصلات والخراج لخمس بقين من جمادى الآخرة وكان لينا فلما حـدثت فتنة الامين والمأمون قام السرى بن الحكم غضبا للمأمون ودعا الناس الى خلع الامين فأجابوه وبايعوا المأمون لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وأخرجوا جابر بن الاشعث وكانت ولايته سنة فولى (عباد بن محمد) بن حيان أبو نصر من قبل المأمون على الصلات والخراج لثمان خلون من رجب بكتاب هرثمة بن أعين وكان وكيله على ضياعه بمصر في الثامن من رجب سنة ست وتسعين فبلغ الامين ما كان بمصر فكتب الى ربيعة بن قيس بن الزبير الجرشى رئيس قيس الحوف بولاية مصر وكتب الى جماعة بمعاونته فقاموا ببيعة الامين وخلعوا المأمون وساروا لمحاربة أهل الفسطاط فخندق عباد وكانت حروب فقتل الامين وصرف عباد في صفر سنة ثمان وتسعين ومائة فكانت ولايته سنة وسبعة أشهر فولي (المطلب بن عبـد الله) بن مالك الخزاعي من قبل المأمون على الصلات والخراج فدخل من مكة للنصف من ربيع الاول فكانت في أيامه حروب وصرف في شوال بعد سبعة أشهر فولى (العباس بن موسى)

ابن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس من قبل المأمون على الصلات والخراج فقدم ابنه عبد الله ومعه الحسين بن عبيد بن لوط الانصارى فى آخر شوال فسجنا المطلب فثار الجند مرارا فمنعهم الانصارى اعطياتهم وتهددهم وتحامل على الرعية وعسفها وتهدد الجميع فثاروا واخرجوا المطلب من الحبس وأقاموه لاربع عشرة خلت من المحرم سنة تسع وتسعين ومائة وأقبل العباس فنزل بلبيس ودعا قيسا الى نصرته ومضى الى الجروى بتنيس ثم عاد فمات في بلبيس لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة ويقال ان المطلب دس اليه سما في طعامه فمات منه وكانت حروب وفتن فكانت ولاية المطلب هذه سنة وثمانية أشهر ثم ولى (السرى بن الحكم) بن يوسف من قوم الزط ومن أهل بلخ باجماع الجند عليه عند قيامه على المطلب فى مستهل رمضان سنة مائتين ثم ولى (سليمان بن غالب) بن جبريل البجلى على الصلات والخراج بمبايعة الجند له لاربع خلون من ربيع الاول سنة احدى ومائتين فكانت حروب ثم صرف بعد خمسة أشهر واعيد (السرى بن الحكم) ثانيا من قبل المأمون على الصلات والخراج فذمت ولايته وأخرجه الجند من الحبس لثنتى عشرة خلت من شعبان وتتبع من حاربه وقوى أمره ومات وهو وال لانسلاخ جمادى الاولى سنة خمس ومائتين فكانت ولايته هذه ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما فولى ابنه (محمد بن السرى) أبو نصر أول جمادى الآخرة على الصلات والخراج وكان الجروى قد غلب على أسفل الارض فجرت بينهما حروب ثم مات لثمان خلون من شعبان سنة ست ومائتين وكانت ولايته أربعة عشر شهرا ثم ولى (عبيد الله بن السرى) بن الحكم بمبايعة الجند لتسع خلون من شعبان على الصلات والخراج فكانت بينه وبين الجروى حروب الى أن قدم عبد الله بن طاهر وأذعن له عبيد الله في آخر صفر سنة احدى عشرة ومائتين فولى (عبدالله بن طاهر) ابن الحسين بن مصعب من قبل المأمون على الصلات والخراج فدخل يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة احدى عشرة ومائتين وأقام في معسكره حتي خرج عبد الله بن السرى الى بغداد للنصف من جمادى الاولى ثم سار الى الاسكندرية مستهل صفر سنة اثنتي عشرة واستخلف عيسى بن يزيد الجلودى فحصرها بضع عشرة ليلة ورجع في جمادى الآخرة وأمر بالزيادة فى الجامع العتيق فزيد فيه مثله وركب النيل متوجها الى العراق لخمس بقين من رجب وكان مقامه بمصر واليا سبعة عشر شهرا وعشرة أيام ثم ولى (عيسى بن يزيد) الجلودى باستخلاف ابن طاهر على صلاتها الى سابع عشر ذى القعدة سنة ثلاث عشرة فصرف ابن طاهر وولى الامير أبو اسحق بن هرون الرشيد مصر فأقر عيسى على الصلات فقط وجعل على الخراج صالح بن شيرازاد فظلم الناس وزاد عليهم في خراجهم فانتقض أهل أسفل الارض وعسكروا فبعث عيسى بابنه محمد فى جيش فحاربوه فانهزم وقتل أصحابه في صفر

سنة أربع عشرة فولى (عمير بن الوليد) التميمى باستخلاف أبي اسحاق بن الرشيد على الصلات لسبع عشرة خلت من صفر وخرج ومعه عيسى الجلودى لقتال أهل الحوف فى ربيع الآخر واستخلف ابنه محمد بن عمير فاقتتلوا وكانت بينهم معارك قتل فيها عمير لست عشرة خلت من ربيع الآخر فكانت مدة امرته ستين يوما فولى (عيسى الجلودى) ثانيا لابى اسحاق على الصلات فحارب أهل الحوف بمنية مطر ثم انهزم في رجب وأقبل أبو اسحاق الى مصر فى أربعة آلاف من اتراكه فقاتل أهل الحوف فى شعبان ودخل الى مدينة الفسطاط لثمان بقين منه وقتل أكابر الحوف ثم خرج الى الشام غرة المحرم سنة خمس عشرة ومائتين فى اتراكه ومعه جمع من الاسارى فى ضر وجهد شديد وولى على مصر (عبدويه بن جبلة) من الابناء على الصلات فخرج ناس بالحوف فى شعبان فبعث اليهم وحاربهم حتى ظفر بهم ثم قدم الافشين حيدر بن كاوس الصفدي الى مصر لثلاث خلون من ذى الحجة ومعه على بن عبد العزيز الجروى لاخذ ماله فلم يدفع اليه شيأ فقتله وصرف عبدويه وخرج الى برقة (وولى عيسى بن منصور) بن موسى بن عيسى الرافعى فولى من قبل أبي اسحاق أول سنة ست عشرة على الصلات فانتقضت أسفل الارض عربها وقبطها فى جمادى الاولى وأخرجوا العمال لسوء سيرتهم وخلعوا الطاعة فقدم الافشين من برقة للنصف من جمادى الآخرة ثم خرج هو وعيسى في شوال فأوقعا بالقوم وأسرا منهم وقتلا ومضى الافشين ورجع عيسى فسار الافشين الى الحوف وقتل جماعتهم وكانت حروب الى أن قدم أمير المؤمنين عبد الله المأمون لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فسخط على عيسى وحل لواءه فأخذه بلباس البياض ونسب الحدث اليه والى عماله وسير الجيوش وأوقع بأهل الفساد وسبى القبط وقتل مقاتلتهم ثم رحل لثمان عشرة خلت من صفر بعد تسعة وأربعين يوما وولى (كيدر) وهو نصر بن عبد الله أبو مالك الصفدى فورد كتاب المأمون عليه بأخذ الناس بالمحنة في جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة والقاضى بمصر يومئذ هارون بن عبد الله الزهرى فأجاب وأجاب الشهود ومن وقف منهم سقطت شهادته وأخذ بها القضاة والمحدثون والمؤذنون فكانوا على ذلك من سنة ثمان عشرة الى سنة اثنتين وثلاثين ومات المأمون فى رجب سنة ثمان عشرة وبويع أبو اسحق المعتصم فورد كتابه على كيدر ببيعته ويأمره باسقاط من في الديوان من العرب وقطع العطاء عنهم ففعل ذلك فخرج يحيي بن الوزير الجروى في جمع من لخم وجذام ومات كيدر في ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين فولى ابنه (المظفر بن كيدر) باستخلاف أبيه وخرج الي يحيي بن وزير وقاتله وأسره في جمادى الآخرة ثم صرفت مصر الى أبي جعفر اشناس فدعي له بها وصرف مظفر في شعبان فولى (موسى بن أبي العباس) ثابت من قبل أشناس على الصلات مستهل شهر رمضان سنة تسع عشرة وصرف

في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائتين فكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر فولى
(مالك بن كيدر) بن عبد الله الصفدى من قبل اشناس على الصلات وقدم لسبع بقين من
ربيع الآخر وصرف لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة ست وعشرين فولى سنتين وأحد
عشر يوما وتوفى لعشر خلون من شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائتين فولى (على بن يحيي)
الارمني من قبل اشناس على صلاتها وقدم لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ست وعشرين
ومائتين ومات المعتصم في ربيع الاول سنة سبع وعشرين وبويع الواثق بالله فاقره الى سابع
ذى الحجة سنة ثمان وعشرين ومائتين فكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر ثم ولي (عيسى
ابن منصور) الثانية من قبل اشناس على صلاتها فدخل لسبع خلون من المحرم سنة تسع
وعشرين ومائتين ومات أشناس سنة ثلاثين وجعل مكانه ايتاح فأقر عيسى ومات الواثق
وبويع المتوكل فصرف عيسى للنصف من ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وقدم على
ابن مهرويه خليفة هرثمة بن النضر ثم مات عيسى في قبة الهواء بعد عزله لاحدى عشرة
خلت من ربيع الآخر فولى (هرثمة بن نضر) الجبلى من أهل الجبل لأيتاح على الصلات
وقدم لست خلون من رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائتين فورد كتاب المتوكل بترك الجدال
في القرآن لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين ومائتين ومات هرثمة وهو
وال لسبع بقين من رجب سنة أربع واستخلف ابنه حاتم بن هرثمة فولى (حاتم بن هرثمة)
ابن النضر باستخلاف أبيه له على الصلات وصرف لست خلون من رمضان فولى (على بن
يحيي) بن الارمني الثانية من قبل ايتاح على الصلات لست خلون من رمضان وصرف ايتاح
في المحرم سنة خمس وثلاثين واستصفيت أمواله بمصر وترك الدعاء له ودعى للمنتصر مكانه
وصرف على في ذى الحجة منها فولى (اسحق بن يحيي) بن معاذ بن مسلم الجبلى من قبل
المنتصر ولى عهد أبيه المتوكل على الله على الصلات والخراج فقدم لاحدى عشرة خلت من
ذى الحجة فورد كتاب المتوكل والمنتصر باخراج الطالبيين من مصر الى العراق فأخرجوا
ومات اسحق بعد عزله أول ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين فولى (خوط عبد
الواحد بن يحيي) بن منصور بن طلحة بن زريق من قبل المنتصر على الصلات والخراج
فقدم لتسع بقين من ذى القعدة سنة ست وثلاثين ومائتين وصرف عن الخراج لتسع خلون
من صفر سنة سبع وثلاثين وأقر على الصلات ثم صرف سلخ صفر سنة ثمان وثلاثين بخليفته
عنبسة على الصلات والشركة في الخراج مستهل ربيع الاول فولي (عنبسة بن اسحق)
ابن شمر بن عبس أبو جابر من قبل المنتصر على الصلات وشريكا لاحمد بن خالد الضريفسي
صاحب الخراج فقدم لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين وأخذ العمال
برد المظالم وأقامهم للناس وأنصف منهم وأظهر من العدل مالم يسمع بمثله في زمانه وكان يروح

ماشيا الى المسجد الجامع من العسكر وكان ينادى في شهر رمضان السحور وكان يرمى بمذهب الخوارج وفي ولايته نزل الروم دمياط وملكوها وما فيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من الناس وسبوا النساء والاطفال فنفر اليهم يوم النحر من سنة ثمان وثلاثين فى جيشه وكثير من الناس فلم يدركهم واضيف له الخراج مع الصلات ثم صرف عن الخراج أول جمادى الآخرة سنة احدى واربعين وأفرد بالصلات وورد الكتاب بالدعاء للفتح بن خاقان فى ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين فدعا له وعنبسة هذا آخر من ولي مصر من العرب وآخر أمير صلى بالناس فى المسجد الجامع وصرف أول رجب منها فقدم العباس بن عبد الله بن دينار خليفة يزيد ابن عبد الله بولاية يزيد وكانت ولاية عنبسة أربع سنين وأربعة أشهر وخرج الى العراق فى رمضان سنة أربع وأربعين فولى (يزيد بن عبد الله) بن دينار أبو خالد من الموالى ولاه المنتصر على الصلات فقدم لعشر بقين من رجب سنة اثنتين وأربعين فأخرج المؤنثين من مصر وضربهم وطاف بهم ومنع من النداء على الجنائز وضرب فيه وخرج الى دمياط مرابطا فى المحرم سنة خمس وأربعين ورجع في ربيع الاول فبلغه نزول الروم الفرما فرجع اليها فلم يلقهم وعطل الرهان وباع الخيل التي تتخذ للسلطان فلم تجر الى سنة تسع وأربعين وتتبع الروافض وحملهم الى العراق وبنى مقياس النيل فى سنة سبع وأربعين وجرت على العلويين فى ولايته شدائد ومات المتوكل فى شوال وبويع ابنه محمد المنتصر ومات الفتح بن خاقان فأقر المنتصر يزيد على مصر ثم مات المنتصر فى ربيع الاول سنة ثمان وأربعين وبويع المستعين فورد كتابه بالاستسقاء لقحط كان بالعراق فاستسقوا لسبع عشرة خلت من ذى القعدة واستسقى أهل الآفاق فى يوم واحد وخلع المستعين فى المحرم سنة اثنتين وخمسين وبويع المعتز فخرج جابر بن الوليد بأرض الاسكندرية وكانت هناك حروب ابتدأت من ربيع الآخر فقدم مزاحم ابن خاقان من العراق معينا ليزيد فى جيش كثيف لثلاث عشرة بقيت من رجب فواقعهم حتى ظفر بهم ثم صرف يزيد وكانت مدته عشر سنين وسبعة أشهر وعشرة أيام فولى (مزاحم بن خاقان) بن عرطوج أبو الفوارس التركى لثلاث خلون من ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين ومائتين على الصلات من قبل المعتز وخرج الى الحوف فأوقع بأهله وعاد ثم خرج الى الجيزة فسار الى تروجة فأوقع بأهلها وأسر عدة من أهل البلاد وقتل كثيرا وسار الى الفيوم فطاش سيفه وكثر ايقاعه بسكان النواحي وعاد وولى الشرطة أرجوز فمنع النساء من الحمامات والمقابر وسجن المؤنثين والنوائح ومنع من الجهر بالبسملة في الصلاة بالجامع في رجب سنة ثلاث وخمسين ولم يزل أهل مصر على الجهر بها فى الجامع منذ الاسلام الى أن منع منها أرجوز وأخذ أهل الجامع بتمام الصفوف ووكل بذلك رجلا من العجم يقوم بالسوط من مؤخر المسجد وأمر أهل الحلق بالتحول الى القبلة قبل اقامة الصلاة ومنع من المساند التى يستند

اليها ومن الحصر التى كانت للمجالس في الجامع وأمر أن تصلى التراويح في رمضان خمس تراويح ولم يزل أهل مصر يصلونها ستاً الى شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين ومنع من التثويب وأمر بالاذان يوم الجمعة فى مؤخر المسجد وأن يغلس بصلاة الصبح ونهى أن يشق ثوب على ميت أو يسود وجه أو يحلق شعر أو تصيح امرأة وعاقب فى ذلك وشدد فيه ثم مات مزاحم لخمس مضين من المحرم سنة أربع وخمسين فاستخلف ابنه (احمد بن مزاحم) فولى باستخلاف أبيه على الصلات الى أن مات لسبع خلون من ربيع الآخر فكانت ولايته شهرين ويوما فاستخلف (ارجوز بن اولغ طرخان التركي) على الصلات فولى خمسة أشهر ونصفا وخرج أول ذى القعدة بعد أن صرف بأحمد بن طولون فى شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين واليه كان أمر البلد جميعه من أيام مزاحم وفى أيام ابنه أحمد أيضاً والله تعالى أعلم

ذكر القطائع ودولة بنى طولون

اعلم أن القطائع قد زالت آثارها ولم يبق لها رسم يعرف وكان موضعها من قبة الهواء التى صار مكانها قلعة الجبل الى جامع ابن طولون وهذا أشبه أن يكون طول القطائع وأما عرضها فانه من أول الرميلة تحت القلعة الى الموضع الذى يعرف اليوم بالارض الصفراء عند مشهد الرأس الذى يقال له الآن زين العابدين وكانت مساحة القطائع ميلا في ميل فقبة الهواء كانت في سطح الجرف الذى عليه قلعة الجبل وتحت قبة الهواء قصر ابن طولون وموضع هذا القصر الميدان السلطانى تحت القلعة والرميلة التي تحت القلعة مكان سوق الخيل والحمير والجمال كان البستان ويجاورها الميدان في الموضع الذى يعرف اليوم بالقبيبات فيصير الميدان فيما بين القصر والجامع الذى أنشاه احمد بن طولون وبحذاء الجامع دار الامارة فى جهته القبلية ولها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة المحيطة بمصلى الامير الى جوار المحراب وهناك أيضاً دار الحرم والقطائع عدة قطع تسكن فيها عبيد ابن طولون وعساكره وغلمانه وكل قطيعة لطائفة فيقال قطيعة السودان وقطيعة الروم وقطيعة الفراشين ونحو ذلك فكانت كل قطيعة لسكنى جماعة بمنزلة الحارات التي بالقاهرة وكان ابتداء عمارة هذه القطائع وسببها أن أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا اسحاق محمد بن هارون الرشيد لما اختص بالاتراك ووضع من العرب وأخرجهم من الديوان وأسقط أسماءهم ومنعهم العطاء وجعل الاتراك أنصار دولته وأعلام دعوته كان من عظمت عنده منزلته قلده الاعمال الجليلة الخارجة عن الحضرة فيستخلف على ذلك العمل الذى تقلده من يقوم بأمره ويحمل اليه ماله ويدعى له على منابره كما يدعى للخليفة وكانت مصر عندهم بهذه السبيل وقصد المعتصم ومن بعده من الخلفاء بذلك العمل مع الاتراك محاكاة ما فعله الرشيد بعبد الملك بن صالح والمأمون بطاهر بن الحسين ففعل

المعتصم مثل ذلك بالاتراك فقلد اشناس وقلد الواثق ايتاخ وقلد المتوكل نقا ووصيف وقلد المهتدى ماجور وغير من ذكرنا من أعمال الاقاليم ما قد تضمنته كتب التاريخ فتقلد باكباك مصر وطلب من يخلفه عليها وكان احمد بن طولون قد مات أبوه في سنة أربعين ومائتين ولاحمد عشرون سنة منذ ولد من جارية كانت تدعى قاسم وكان مولده في سنة عشرين ومائتين وولدت أيضاً أخاه موسى وحبسية وسمانة وكان طولون من الطغرغر مما حمله نوح ابن أسد عامل بخارى الى المأمون فيما كان موظفا عليه من المال والرقيق والبراذين وغير ذلك في كل سنة وذلك في سنة مائتين فنشأ أحمد بن طولون نشأ جميلا غير نشء أولاد العجم فوصف بعلو الهمة وحسن الادب والذهاب بنفسه عما كان يترامى اليه أهل طبقته وطلب الحديث وأحب الغزو وخرج الى طرسوس مرات ولقى المحدثين وسمع منهم وكتب العلم وصحب الزهاد وأهل الورع فتأدب بآدابهم وظهر فضله فاشتهر عند الاولياء وتميز على الاتراك وصار في عداد من يوثق به ويؤتمن على الاموال والاسرار فزوجه ماجور ابنته وهى أم ابنه العباس وابنته فاطمة ثم انه سأل الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب له برزقه على الثغر فأجابه وخرج الى طرسوس فأقام بها وشق على أمه مفارقته فكاتبته بما أقلقه فلما قفل الناس الى سر من رأى سار معهم الى لقاء أمه وكان فى القافلة نحو خمسمائة رجل والخليفة اذ ذاك المستعين بالله احمد بن المعتصم وكان قد أنفذ خادما الى بلاد الروم لعمل أشياء نفيسة فلما عاد بها وهى وقر بغل الى طرسوس خرج مع القافلة وكان من رسم الغزاة أن يسيروا متفرقين فطرق الاعراب بعض سوادهم وجاء الصائح فبدر احمد بن طولون لقتالهم وتبعوه فوضع السيف في الاعراب ورمى بنفسه فيهم حتى استنقذ منهم جميع ما أخذوه وفروا منه وكان من جملة ما استنقذ من الاعراب البغل المحمل بمتاع الخليفة فعظم أحمد بما فعل عند الخادم وكبر في أعين القافلة فلما وصلوا الى العراق وشاهد المستعين ما أحضره الخادم أعجب به وعرفه الخادم خروج الاعراب وأخذهم البغل بما عليه وما كان من صنع احمد ابن طولون فأمر له بألف دينار وسلم عليه مع الخادم وأمره أن يعرفه به اذا دخل مع المسلمين ففعل ذلك وتوالت عليه صلات الخليفة حتى حسنت حاله ووهبه جارية اسمها مياس استولدها ابنه خمارويه في النصف من المحرم سنة خمسين ومائتين فلما خلع المستعين وبويع المعتز اخرج المستعين الى واسط واختار الاتراك أحمد بن طولون أن يكون معه فسلم اليه ومضى به فأحسن عشرته وأطلق له التنزه والصيد وخشى أن يلحقه منه احتشام فألزمه كاتبه احمد بن محمد الواسطى وهو اذ ذاك غلام حسن الشاهد حاضر النادرة فأنس به المستعين ثم ان فتيحة أم المعتز كتبت الى أحمد بن طولون بقتل المستعين وقلدته واسط فامتنع من ذلك وكتب الى الاتراك يخبرهم بأنه لا يقتل خليفة له في رقبته بيعة فراد محله عند الاتراك

بذلك ووجهوا سعيد الحاجب وكتبوا الى ابن طولون بتسليم المستعين له فتسلمه منه وقتله وواراه ابن طولون وعاد الى سر من رأى وقد تقلد باكباك مصر وطلب من يوجهه اليها فذكر له احمد بن طولون فقلده خلافته وضم اليه جيشا وسار الى مصر فدخلها يوم الاربعاء لسبع بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين متقلدا للقصبة دون غيرها من الاعمال الخارجة عنها كالاسكندرية ونحوها ودخل معه احمد بن محمد الواسطى وجلس الناس لرؤيته فسأل بعضهم غلام أبي قبيل صاحب الملاحم وكان مكفوفا عما يجده في كتبهم فقال هذا رجل نجد صفته كذا وكذا وانه يتقلد الملك هو وولده قريباً من أربعين سنة فما تم كلامه حتى أقبل أحمد بن طولون واذا هو على النعت الذي قال * ولما تسلم أحمد بن طولون مصر كان على الخراج احمد بن محمد بن المدبر وهو من دهاة الناس وشياطين الكتاب فأهدى الى أحمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار بعد ما خرج الى لقائه هو وشقير الخادم غلام قتيحة أم المعتز وهو يتقلد البريد فرأى ابن طولون بين يدى ابن المدبر مائة غلام من الغور قد انتخبهم وصيرهم عدة وجمالا وكان لهم خلق حسن وطول أجسام وبأس شديد وعليهم أقبية ومناطق ثقال عراض وبأيديهم مقارع غلاظ على طرف كل مقرعة مقمعة من فضة وكانوا يقفون بين يديه في حافتي مجلسه اذا جلس فاذا ركب ركبوا بين يديه فيصير له بهم هيبة عظيمة فى صدور الناس فلما بعث ابن المدبر بهديته الى ابن طولون ردها عليه فقال ابن المدبر ان هذه لهمة عظيمة من كانت هذه همته لايؤمن على طرف من الاطراف فخافه وكره مقامه بمصر معه وسار الى شقير الخادم صاحب البريد واتفقا على مكاتبة الخليفة بازالة ابن طولون فلم يكن غير أيام حتى بعث ابن طولون الى ابن المدبر يقول له قد كنت أعزك الله أهديت لنا هدية وقع الغنى عنها ولم يجز أن يغتنم مالك كثره الله فرددتها توفيرا عليك ونحب أن تجعل العوض منها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك فأنا اليهم أحوج منك فقال ابن المدبر لما بلغته الرسالة هذه أخرى أعظم مما تقدم قد ظهرت من هذا الرجل اذ كان يرد الاعراض والاموال ويستهدى الرجال ويشابر عليهم ولم يجد بدا من أن بعثهم اليه فتحولت هيبة ابن المدبر الى ابن طولون ونقصت مهابة ابن المدبر بمفارقة الغلمان مجلسه فكتب ابن المدبر فيه الى الحضرة يغرى به ويحرض على عزله فبلغ ذلك ابن طولون فكتم في نفسه ولم يبده واتفق موت المعتز في رجب سنة خمس وخمسين وقيام المهتدى بالله محمد بن الواثق وقتل باكباك ورد جميع ما كان بيده الى ماجور التركي حموا بن طولون فكتب اليه تسلم من نفسك لنفسك وزاده الاعمال الخارجة عن قصبة مصر وكتب الى اسحق بن دينار وهو يتقلد الاسكندرية أن يسلمها لاحمد بن طولون فعظمت لذلك منزلته وكثر قلق ابن المدبر وغمه ودعته ضرورة الخوف من ابن طولون الى ملاطفته والتقرب من خاطره وخرج ابن طولون الى

الاسكندرية وتسلمها من اسحق بن دينار وأقره عليها وكان أحمد بن عيسى بن شيخ الشيباني يتقلد جندي فلسطين والاردن فلما مات وثب ابنه على الاعمال واستبد بها فبعث ابن المدبر سبعمائة ألف وخمسين ألف دينار حملا من مال مصر الى بغداد فقبض ابن شيخ عليها وفرقها في أصحابه وكانت الامور قد اضطربت ببغداد فطمع ابن شيخ في التغلب على الشامات واشيع انه يريد مصر فلما قتل المهتدى في رجب سنة ست وخمسين وبويع المعتمد بالله أحمد بن المتوكل لم يدع ابن شيخ له ولا بايع هو ولا أصحابه فبعث اليه بتقليد أرمينية زيادة على ما معه من بلاد الشام وفسح له في الاستخلاف عليها والاقامة على عمله فدعا حينئذ للمعتمد وكتب الى ابن طولون أن يتاهب لحرب ابن شيخ وأن يزيد في عدته وكتب لابن المدبر أن يطاق له من المال مايريد فعرض ابن طولون الرجال وأثبت من يصلح واشترى العبيد من الروم والسودان وعمل سائر مايحتاج اليه وخرج في تجمل كبير وجيش عظيم وبعث الى ابن شيخ يدعوه الى طاعة الخليفة ورد ماأخذ من المال فأجاب بجواب قبيح فصار لست خلون من جمادى الآخرة واستخلف أخاه موسى بن طولون على مصر ثم رجع من الطريق بكتاب ورد عليه من العراق ودخل الفسطاط في شعبان وقدم من العراق ماجور التركي لمحاربة ابن شيخ فلقيه أصحاب ابن شيخ وعليهم ابنه فانهزموا منه وقتل الابن واستولى ماجور على دمشق ولحق ابن شيخ بنواحي أرمينية وتقلد ماجور أعمال الشام كله وصار أحمد بن طولون من كثرة العبيد والرجال والآلات بحال يضيق به داره ولا يتسع له فركب الى سفح الجبل في شعبان وأمر بحرث قبور اليهود والنصارى واختط موضعها فبنى القصر والميدان وتقدم الى أصحابه وغلمانه وأتباعه أن يختطوا لانفسهم حوله فاختطوا وبنوا حتى اتصل البناء بعمارة الفسطاط ثم قطعت القطائع وسميت كل قطعية باسم من سكنها فكانت للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم وللروم قطيعة مفردة تعرف بهم وللفراشين قطيعة مفردة تعرف بهم ولكل صنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم وبنى القواد مواضع متفرقة فعمرت القطائع عمارة حسنة وتفرقت فيها السكك والازقة وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والافران وسميت أسواقها فقيل سوق العيارين وكان يجمع العطارين والبزازين وسوق الفاميين ويجمع الجزارين والبقالين والشوايين فكان في دكاكين الفاميين جميع مافي دكاكين نظرائهم في المدينة وأكثر وأحسن وسوق الطباخين ويجمع الصيارف والخبازين والحلوانيين ولكل من الباعة سوق حسن عامر فصارت القطائع مدينة كبيرة أعمر وأحسن من الشام وبنى ابن طولون قصره ووسعه وحسنه وجعل له ميدانا كبيرا يضرب فيه بالصوالجة فسمى القصر كله الميدان وكان كل من أراد الخروج من صغير وكبير اذا سئل عن ذهابه يقول الى الميدان وعمل للميدان أبوابا لكل باب اسم وهي باب الميدان ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش وباب الصوالجة وباب

الخاصة ولا يدخل منه الا خاصة ابن طولون وباب الجبل لانه مما يلى جبل المقطم وباب الحرم ولا يدخل منه الا خادم خصى أو حرمة وباب الدرمون لانه كان يجلس عنده حاجب اسود عظيم الخلقة يتقلد جنايات الغلمان السودان الرجالة فقط يقال له الدرمون وباب دعناج لانه كان يجلس عنده حاجب يقال له دعناج وباب الساج لانه عمل من خشب الساج وباب الصلاة لانه كان فى الشارع الاعظم ومنه يتوصل الى جامع ابن طولون وعرف هذا الباب أيضاً بباب السباع لانه كان عليه صورة سبعين من جبس وكان الطريق الذى يخرج منه ابن طولون وهو الذى يعرج منه الى القصر طريقا واسعا فقطعه بحائط وعمل فيه ثلاثة أبواب كأكبر مايكون من الابواب وكانت متصلة بعضها ببعض واحدا بجانب الآخر وكان ابن طولون اذا ركب يخرج معه عسكر متكاثف الخروج على ترتيب حسن بغير زحمة ثم يخرج ابن طولون من الباب الاوسط من الابواب الثلاثة بمفرده من غير أن يختلط به أحد من الناس وكانت الابواب المذكورة تفتح كلها في يوم العيد أو يوم عرض الجيش أو يوم صدقة وما عدا هذه الايام لا تفتح الا بترتيب في أوقات معروفة وكان القصر له مجلس يشرف منه ابن طولون يوم العرض ويوم الصدقة لينظر من اعلاه من يدخل ويخرج وكان الناس يدخلون من باب الصوالجة ويخرجون من باب السباع وكان على باب السباع مجلس يشرف منه ابن طولون ليلة العيد على القطائع ليرى حركات الغلمان وتأهبهم وتصرفهم في حوايجهم فاذا رأى فى حال أحد منهم نقصا أو خللا أمر له بما يتسع به ويزيد في تجمله وكان يشرف منه أيضا على البحر وعلى باب مدينة الفسطاط وما يلي ذلك فكان متنزها حسنا وبنى الجامع فعرف بالجامع الجديد وبنى العين والسقاية بالمغافر وبنى تنور فرعون فوق الجبل واتسعت أحواله وكثرت اصطبلاته وكراعه وعظم صيته فخافه ماجور وكتب فيه الى الحضرة يغرى به وكتب فيه ابن المدبر وشقير الخادم وكانت لابن طولون أعين وأصحاب أخبار يطالعونه بسائر مايحدث فلما بلغه ذلك تلطف أصحاب الاخبار له ببغداد عند الوزير حتى سير الى ابن طولون بكتب ابن المدبر وكتب شقير من غير أن يعلما بذلك فاذا فيها ان أحمد بن طولون عزم على التغلب على مصر والعصيان بها فكتم خبر الكتب وما زال بشقير حتى مات وكتب الى الحضرة يسأل صرف ابن المدبر عن الخراج وتقليد هلال فأجيب الى ذلك وقبض على ابن المدبر وحبسه وكانت له معه أمور آلت الى خروج ابن المدبر عن مصر وتقلد ابن طولون خراج مصر مع المعونة والثغور الشامية فأسقط المعاون والمرافق وكانت بمصر خاصة في كل سنة مائة ألف دينار فأظفره الله عقيب ذلك بكنز فيه ألف ألف دينار بنى منه المارستان وخرج الى الشام وقد تقلدها فتسلم دمشق وحمص ونازل انطاكية حتى أخذها وكانت صدقاته على أهل المسكنة والستر وعلى الضعفاء والفقراء وأهل التجمل متواترة وكان راتبه لذلك في

كل شهر ألفي دينار سوى ما يطرأ عليه من النذور وصدقات الشكر على تجديد النعم وسوى مطابخه التى أقيمت في كل يوم للصدقات في داره وغيرها يذبح فيها البقر والكباش ويغرف للناس في القدور الفخار والقصاع على كل قدر أو قصعة لكل مسكين أربعة أرغفة في اثنين منها فالوذج والاثنان الآخران على القدر وكانت تعمل في داره وينادى من أحب أن يحضر دار الامير فليحضر وتفتح الابواب ويدخل الناس الميدان وابن طولون في المجلس الذى تقدم ذكره ينظر الى المساكين ويتأمل فرحهم بما يأكلون ويحملون فيسره ذلك ويحمد الله على نعمته ولقد قال له مرة ابراهيم بن قراطغان وكان على صدقاته أيد الله الامير انا نقف في المواضع التي تفرق فيها الصدقة فتخرج لنا الكف الناعمة المخضوبة نقشا والمعصم الرائع فيه الحديدة والكف فيها الخاتم فقال ياهذا كل من مد يده اليك فأعطه فهذه هى الطيفة المستورة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه فقال يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف فاحذر أن ترد يدا امتدت اليك وأعط كل من يطلب منك فلما مات أحمد بن طولون وقام من بعده ابنه خمارويه أقبل على قصر أبيه وزاد فيه وأخذ الميدان الذى كان لابيه فجعله كله بستانا وزرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر ونقل اليه الودى اللطيف الذى ينال ثمره القائم ومنه مايتناوله الجالس من أصناف خيار النخل وحمل اليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب وأنواع الورد وزرع فيه الزعفران وكسا أجسام النخل نحاسا مذهبا حسن الصنعة وجعل بين النحاس وأجساد النخل مزاريب الرصاص وأجرى فيها الماء المدبر فكان يخرج من تضاعيف قائم النخل عيون الماء فتنحدر الى فساقي معمولة ويفيض منها الماء الى مجار تسقى سائر البستان وغرس فيه من الريحان المزروع على نقوش معمولة وكتابات مكتوبة يتعاهدها البستانى بالمقراض حتي لاتزيد ورقة على ورقة وزرع فيه النيلوفر الاحمر والازرق والاصفر والجنوى العجيب وأهدى اليه من خراسان وغيرها كل أصل عجيب وطعموا له شجر المشمش باللوز وأشباه ذلك من كل مايستظرف ويستحسن وبنى فيه برجا من خشب الساج المنقوش بالنقر النافذ ليقوم مقام الاقفاص وزوقه بأصناف الاصباغ وبلط أرضه وجعل فى تضاعيفه انهارا لطافا جدا ولها يجرى فيها الماء مدبرا من السواقي التي تدور على الآبار العذبة ويسقى منها الاشجار وغيرها وسرح في هذا البرج من أصناف القمارى والدباسى والنونيات وكل طائر مستحسن حسن الصوت فكانت الطير تشرب وتغتسل من تلك الانهار الجارية فى البرج وجعل فيه أوكارا في قواديس لطيفة ممكنة في جوف الحيطان لتفرخ الطيور فيها وعارض لها فيه عيدانا ممكنة في جوانبه لتقف عليها اذا تطايرت حتي يجاوب بعضها بعضا بالصياح وسرح في البستان من الطير العجيب كالطواويس ودجاج الحبش ونحوها شيأ كثيرا وعمل في داره مجلسا برواقه سماه بيت الذهب طلى حيطانه كلها بالذهب المجاول باللازورد المعمول

في أحسن نقش وأظرف تفصيل وجعل فيه على مقدار قامة ونصف صورا في حيطانه بارزة
من خشب معمول على صورته وصور حظاياه والمغنيات اللاتى تغنينه بأحسن تصوير وابهج
تزويق وجعل على رؤسهن الاكاليل من الذهب الخالص الابريز الرزين والكوادن المرصعة
بأصناف الجواهر وفي آذانها الاجراس الثقال الوزن المحكمة الصنعة وهى مسمرة في الحيطان
ولونت أجسامها بأصناف أشباه الثياب من الاصباغ العجيبة فكان هذا البيت من أعجب مباني
الدنيا وجعل بين يدى هذا البيت فسقية مقدرة وملأها زئبقا وذلك انه شكا الى طبيبه كثرة
السهر فأشار عليه بالتغميز فأنف من ذلك وقال لااقدر على وضع يد أحد على فقال له تأمر
بعمل بركة من زئبق فعمل بركة يقال انها خمسون ذراعا طولا فى خمسين ذراعا عرضا
وملأها من الزئبق فأنفق في ذلك أموالا عظيمة وجعل في أركان البركة سككا من الفضة
الخالصة وجعل في السكك زنانير من حرير محكمة الصنعة في حلق من الفضة وعمل فرشا
من ادم يحشى بالريح حتى ينتفخ فيحكم حينئذ شده ويلقى على تلك البركة الزئبق وتشد زنانير
الحرير التى فى حلق الفضة بسكك الفضة وينام على هذا الفرش فلا يزال الفرش يرتج ويتحرك
بحركة الزئبق مادام عليه وكانت هذه البركة من أعظم ماسمع به من الهمم الملوكية فكان يرى
لها في الليالي المقمرة منظر عجيب اذا تألف نور القمر بنور الزئبق ولقد أقام الناس بعد
خراب القصر مدة يحفرون لاخذ الزئبق من شقوق البركة وما عرف ملك قط تقدم خمارويه
فى عمل مثل هذه البركة وبنى أيضا في القصر قبة تضاهى قبة الهواء سماها الدكة فكانت أحسن
شئ بنى وجعل لها الستر التى تقى الحر والبرد فتسبل اذا شاء وترفع اذا أحب وفرش أرضها
بالفرش السرية وعمل لكل فصل فرشا يليق به وكان كثيرا مايجلس في هذه القبة ليشرف
منها على جميع مافي داره من البستان وغيره ويرى الصحراء والنيل والجبل وجميع المدينة
وبنى ميدانا آخر أكبر من ميدان أبيه وكان أحمد بن طولون قد اتخذ حجرة بقربه فيها
رجال سماهم بالمكبرين عدتهم اثنا عشر رجلا يبيت منهم في كل ليلة أربعة يتعاقبون الليل
نوبا يكبرون ويسبحون ويحمدون ويهللون ويقرؤن القرآن تطريبا بألحان ويتوسلون بقصائد
زهدية ويؤذنون أوقات الاذان فلما ولى خمارويه أقرهم على حالهم وأجراهم على رسمهم
وكان يجلس للشرب مع حظاياه فى الليل وقيناته تغنيه فاذا سمع أصوات هؤلاء يذكرون الله
والقدح في يده وضعه بالارض وأسكت مغنياته وذكر الله معهم أبدا حتى يسكت القوم
لايضجره ذلك ولا يغيظه أن قطع عليه ماكان فيه من لذته بالسماع وبنى أيضا فى داره دارا
للسباع عمل فيها بيوتا بآزاج كل بيت يسع سبعا ولبوته وعلى تلك البيوت أبواب تفتح من
اعلاها بحركات ولكل بيت منها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت
يفرشه بالزبل وفي جانب كل بيت حوض من رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء وبين

يدى هذه البيوت قاعة فسيحة متسعة فيها رمل مفروش بها وفي جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من ميزاب كبير فاذا أراد سائس سبع من تلك السباع تنظيف بيته أو وضع وظيفة اللحم التى لغذائه رفع الباب بحيلة من أعلى البيت وصاح بالسبع فيخرج الى القاعة المذكورة ويرد الباب ثم ينزل الى البيت من الطاق فيكنس الزبل ويبدل الرمل بغيره مما هو نظيف ويضع الوظيفة من اللحم في مكان معد لذلك بعد مايخلص مافيه من الغدد ويقطعه لهما ويغسل الحوض ويملأه ماء ثم يخرج ويرفع الباب من اعلاه وقد عرف السبع ذلك فحال مايرفع السائس باب البيت دخل اليه الاسد فأكل ماهيئ له من اللحم حتى يستوفيه ويشرب من الماء كفايته فكانت هذه مملوءة من السباع ولهم أوقات يفتح فيها سائر بيوت السباع فتخرج الى القاعة وتمشى فيها وتمرح وتلعب ويهارش بعضها بعضا فتقيم يوما كاملا الى العشى فيصيح بها السواس فيدخل كل سبع الى بيته لايتخطاه الى غيره وكان من جملة هذه السباع سبع أزرق العينين يقال له زريق قد أنس بخمارويه وصار مطلقا فى الدار لايؤذى أحدا ويقام له بوظيفته من الغذاء فى كل يوم فاذا نصبت مائدة خمارويه أقبل زريق معها وربض بين يديه فرمي اليه بيده الدجاجة بعد الدجاجة والفضلة الصالحة من الجدى ونحو ذلك مما على المائدة فيتفكه به وكانت له لبوة لم تستأنس كما أنس فكانت مقصورة فى بيت ولها وقت معروف يجتمع معها فيه فاذا نام خمارويه جاء زريق ليحرسه فان كان قد نام على سرير ربض بين يدى السرير وجعل يراعيه مادام نائما وان كان انما نام على الارض بقى قريبا منه وتفطن لمن يدخل ويقصد خمارويه لايغفل عن ذلك لحظة واحدة وكان على ذلك دهره قد ألف ذلك ودرب عليه وكان فى عنقه طوق من ذهب فلا يقدر أحد أن يدنو من خمارويه مادام نائما لمراعاة زريق له وحراسته اياه حتى اذا شاء الله انفاذ قضائه في خمارويه كان بدمشق وزريق غائب عنه بمصر ليعلم انه لايغنى حذر من قدر وبنى أيضا دار الحرم ونقل اليها أمهات أولاد أبيه مع أولادهن وجعل معهن المعزولات من أمهات أولاده وأفرد لكل واحدة حجرة واسعة نزل فى كل حجرة منها بعد زوال دولتهم قائد جليل فوسعته وفضل عنه منها شئ وأقام لكل حجرة من الانزال والوظائف الواسعة ما كان يفضل عن أهلها منه شئ كثير فكان الخدم الموكلون بالحرم من الطباخين وغيرهم يفضل لكل منهم مع كثرة عددهم بعد التوسع في قوته الزلة الكبيرة والتى فيها العدة من الدجاج فمنها ماقلع فخذها ومنها ماقد تشعب صدرها ومن الفراخ مثل ذلك مع القطع الكبار من الجدى ولحوم الضأن والعدة من ألوان عديدة والقطع الصالحة من الفالوذج والكثير من اللوز ينج والقطائف والهرائس من العصيدة التى تعرف اليوم في وقتنا هذا بالمامونية وأشباه ذلك مع الارغفة الكبار واشتهر بمصر بيعهم لذلك وعرفوا به فكان الناس يتناوبونهم لذلك وأكثر ما تباع الزلة الكبيرة

منها بدرهمين ومنها ما يباع بدرهم فكان كثير من الناس يتفكهون من هذه الزلات وكان شياه موجودا في كل وقت لكثرته واتساعه بحيث ان الرجل اذا طرقه ضيف خرج من فوره الى باب دار الحرم فيجد ما يشتريه ليتجمل به لضيفه مما لايقدر على عمل مثله ولا يتهيأ له من اللحوم والفراخ والدجاج والحلوى مثل ذلك واتسعت أيضا اصطبلات خمارويه فعمل لكل صنف من الدواب اصطبلا مفردا فكان للخيل الخاص اصطبل مفرد والدواب الغلمان اصطبلات عدة ولبغال القباب اصطبلات ولبغال النقل غير بغال القباب اصطبلات وللنجائب والبخاتي اصطبلات لكل صنف اصطبل مفرد للاتساع في المواضع والتفنن في الأثقال وعمل للنمور دارا مفردة وللفهود دارا مفردة وللفيلة دارا وللزرافات دارا كل ذلك سوى الاصطبلات التى بالجيزة فانه كان له في عدة ضياع من الجيزة اصطبلات مثل نهيا ووسيم وسفط وطهرمس وغيرها وكانت هذه الضياع لا تزرع الا القرط برسم الدواب وكان للخليفة أيضاً بمصر اصطبلات سوى ما ذكر نتنج فيها الخيل لحلبة السباق وللرباط فى سبيل الله تعالى برسم الغزو وكان لكل دار من الدور المذكورة ولكل اصطبل وكلاء لهم الرزق السني والوظائف الكثيرة والاموال المتسعة وبلغ رزق الجيش فى أيام خمارويه تسعمائة ألف دينار في كل سنة وقام مطبخه المعروف بمطبخ العامة بثلاثة وعشرين ألف دينار في كل شهر سوى ما هو موظف لجواريه وأرزاق من يخدمهن ويتصرف في حوائجهن وكان قد اتخذ لنفسه من ولد الحوف وشنارة الضياع قوما معروفين بالشجاعة والبأس لهم خلق عظيم تام وعظم أجسام وأدر عليهم الارزاق ووسع لهم في العطاء وشغلهم عما كانوا فيه من قطع الطريق وأذية الناس بخدمته وألبسهم الاقبية وجواشن الديباج وصاغ لهم المناطق العراض الثقال وقلدهم السيوف المحلاة يضعونها على أكتافهم فاذا مشوا بين يديه وموكبه على ترتيبه ومضت أصناف العسكر وطوائفه تلاهم السودان وعدتهم ألف اسود لهم درق من حديد محكم الصنعة وعليهم أقبية سود وعمائم سود فيخالهم الناظر اليهم بحرا اسود يسير لسواد ألوانهم وسواد ثيابهم ويصير لبريق درقهم وحلى سيوفهم والبيض التي تلمع على رؤسهم من تحت العمائم زى بهج فاذا مضى السودان قدم خمارويه وقد انفرد عن موكبه وصار بينه وبين الموكب نحو نصف غلوة سهم والمختارة تحف به وكان تام الظهر ويركب فرسا تاما فيصير كالكوكب اذا أقبل لا يخفى على أحد كانه قطعة جبل في وسط المختارة وكان مهابا ذا سطوة وقد وقع في قلوب الكافة انه متى أشار اليه أحد بأصبعه أو تكلم أو قرب منه لحقه مكروه عظيم فكان اذا أقبل كما ذكرنا لا يسمع من أحد كلمة ولا سعلة ولا عطسة ولا نحنحة البتة كانما على رؤسهم الطير وكان يتقلد في يوم العيد سيفا بحمائل ولا يزال يتفرج ويتنزه ويخرج الى مواضع لم يكن أبوه يهش اليها كالاهرام ومدينة العقاب ونحو ذلك لاجل الصيد

فانه كان مشغوفا به لا يكاد يسمع بسبع الا قصده ومعـه رجال عليهم لبود فيدخلون الى الاسد ويتناولونه بأيديهم من غابه عنوة وهو سـليم فيضعونه في أقفاص من خشب محكمة الصنعة يسع الواحد منها السبع وهو قائم فاذا قدم خمارويه من الصيدسار القفص وفيه السبع بين يديه وكانت حلبة السباق في أيامهم تقوم مقام الاعياد لكثرة الزينة وركوب سائر الغلمان والعساكر على كثرتهم بالسلاح التام والعدد الكاملة فيجلس الناس لمشاهدة ذلك كما يجلسون في الاعياد وتطلق الخيل من غايتها فتمر متفاوتة يقدم بعضها بعضا حتى يتم السبق قال القضاعى المنظر بناه احمد بن طولون في ولايته لعرض الخيل وكان عرض الخيل من عجائب الاسلام الاربعة التي منها هذا العرض ورمضان بمكة والعيد كان بطرسوس والجمعة ببغداد فبقى من هذه الاربعة شهر رمضان بمكة والجمعة ببغداد وذهبت اثنتان قال كاتبه وقد ذهبت الجمـعة ببغداد أيضا بعد القضاعي بقتل هولا كو للخليفة المستعصم وزوال شعائر الاسلام من العراق وبقيت مكة شرفها الله تعالى وليس في شـهر رمضان الآن بها ما يقال فيه انه من عجائب الاسلام ولما تكامل عز خمارويه وانتهى أمره بدا يسـترجع منه الدهر ما أعطاه فأول ما طرقه موت حظيته بوران التي من أجلها بنى بيت الذهب وصور فيه صورتها وصورته كما تقدم وكان يرى أن الدنيا لا تطيب له الا بسلامتها وبنظره اليها وتمتعه بها فكدر موتها عيشه وانكسر انكسارا بان عليه ثم انه أخذ فى تجهيز ابنته فجهزها جهازا ضاهى به نعم الخلافة فلم يبق خطيرة ولا طرفة من كل لون وجنس الا حمله معها فـكان من جملته دكة أربع قطع من ذهب عليها قبة من ذهب مشبك في كل عين من التشبيك قرط معلق فيـه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة ومائة هون من ذهب * قال القضاعى وعقد المعتضد النكاح على ابنته يعنى ابنة خمارويه قطر الندى فحملها أبو الجيش خمارويه مع عبـد الله بن الجصاص وحمل معها مالم ير مثله ولا يسمع به ولما دخل اليه ابن الجصاص يودعه قال له خمارويه هل بقى بيني وبينك حساب فقال لا فقال انظر حسابك فقال كسر بقي من الجهاز فقـال أحضروه فأخرج ربع طومار فيه سبت ذكر النفقة فاذا هى أربعمائة ألف دينار قال محمـد ابن على المادرانى فنظرت في الطومار فاذا فيه وألف تكة الثمن عنها عشرة آلاف ديـنار فاطلق له الـكل * قال القضاعي وانما ذكرت هذا الخبر لتستدل به على اشياء منها سعة نفس أبي الجيش ومنها كثرة ما كان يملكه ابن الجصاص حتى انه قال كسر بقى من الجهاز وهو أربعمائة ألف دينار ولولم يقتضه ذلك لم يذكره ومنها ميسور ذلك الزمان لما طلب فيه ألف تكة من أثمان عشرة دنانير قدر عليها في أيسر وقت وبأهون سعي ولو طلب اليوم خمسون لم يقدر عليها قال كاتبه ولا يعرف اليوم في أسواق القاهرة ومصر تكة بعشرة دنانير اذا طلبت توجد في الحال ولا بعد شهر الا أن يتعنى بعملها فتعمل ولما فرغ خمارويه من جهاز



ابنته أمر فبنى لها على رأس كل مرحلة تنزل بها قصر فيما بين مصر وبغداد وأخرج معها أخاه شيبان بن أحمد بن طولون في جماعة مع ابن الجصاص فكانوا يسيرون بها سير الطفل في المهد فاذا وافت المنزل وجدت قصرا قد فرش فيه جميع ما يحتاج اليه وعلقت فيه الستور وأعد فيه كل ما يصلح لمثلها في حال الاقامة فكانت في مسيرها من مصر الى بغداد على بعد الشقة كأنها في قصر أبيها تنتقل من مجلس الى مجلس حتى قدمت بغداد أول المحرم سنة اثنتين وثمانين ومائتين فزفت على الخليفة المعتضد وبعد ذلك قتل خمارويه بدمشق وكانت مدة بني طولون بمصر سبعا وثلاثين سنة وستة أشهر واثنين وعشرين يوما وولى منهم خمسة امراء أولهم (أحمد بن طولون) ولى مصر من قبل المعتز على صلاتها فدخل يوم الخميس لسبع بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين وخرج بغا الاصفر وهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا فيما بين برقة والاسكندرية فى جمادى الاولى سنة خمس وخمسين وسار الى الصعيد فقتل في الحرب وحمل رأسه الى الفسطاط لاحدى عشرة بقيت من شعبان وخرج ابن الصوفي العلوى وهو ابراهيم ابن محمد بن يحيي بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ودخل اسنا في ذى القعدة فنهب وقتل فبعث اليه ابن طولون جيشا فهزم الجيش في ربيع الاول سنة ست وخمسين فبعث بجيش آخر فواقعه باخميم في ربيع الآخر فانهزم ابن الصوفي الى الواح فأقام به وخرج أحمد بن طولون يريد حرب عيسى بن الشيخ ثم عاد فابتدأ فى بناء الميدان وقدم العباس وخمارويه ابنا أحمد بن طولون من العراق على طريق مكة سنة سبع وخمسين وورد كتاب ماجور بتسلم أحمد بن طولون الاعمال الخارجة عن يده من أرض مصر فتسلم الاسكندرية وخرج اليها لثمان خلون من شهر رمضان واستخلف طفج صاحب الشرط ثم قدم لاربع عشرة بقيت من شوال وسخط على أخيه موسى وأمره بلباس البياض وخرج الى الاسكندرية ثانيا لثمان بقين من شعبان سنة تسع وخمسين واستخلف ابنه العباس وقدم لثمان خلون من شوال وأمر ببناء المسجد الجامع على الجبل في صفر سنة تسع وخمسين وببناء المارستان للمرضى وورد كتاب المعتمد يستحثه في حمل الاموال فكتب اليه لست أطيق ذلك والخراج بيد غيرى فأنفذ المعتمد نفيسا الخادم بتقليد أحمد ابن طولون الخراج وبولايته على الثغور الشامية فأقر أبا أيوب أحمد بن محمد بن شجاع على الخراج خليفة له عليه وعقد لطخشى بن بلبرد على الثغور فخرج في جمادى الاولى سنة أربع وستين وتقدم أبو أحمد الموفق الى موسى بن بغا في صرف أحمد بن طولون وتقليدها ماجور التركي والى دمشق فكتب اليه بذلك فتوقف لعجزه عن مقاومة ابن طولون فخرج موسى بن بغا ونزل الرقة فبلغ ابن طولون انه سائر اليه فابتدأ في بناء

الحصن بالجزيرة ليكون معقلا لما له وحرمه فى سنة ثلاث وستين واجتهد في عمل المراكب الحربية وأطافها بالجزيرة فأقام موسى بالرقة عشرة أشهر واضطربت أموره ومات في صفر سنة أربع وستين ومات ماجور بدمشق واستخلف ابنه على بن ماجور فحرك ذلك أحمد ابن طولون على المسير وكتب الى ابن ماجور انه سائر اليه وأمره باقامة الانزال والميرة فأجاب بجواب حسن وشكا أهل مصر الى ابن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بجنده وسودانه فأمر ببناء المسجد الجامع بجبل يشكر فابتدأ بنائه في سنة أربع وتم في سنة ست وستين ومائتين وخرج فى جيوشه لثمان بقين من شعبان سنة أربع وستين واستخلف ابنه العباس وضم اليه أحمد بن محمد الواسطي مدبرا ووزيرا فبلغ الرملة وتلقاه محمد بن رافع واليها وأقام له بها الدعوة فأقره ومضى الى دمشق فتلقاه على بن ماجور وأقام له بها الدعوة فأقام بها حتى استوثق له أمرها ومضى الى حمص فتسلمها وبعث الى سيما الطويل وهو بانطاكية يأمره بالدعاء له فأبى فسار اليه في جيش عظيم وحاصره ورماه بالمجانيق حتى دخلها فى المحرم سنة خمس وستين فقتل سيما واستباح أمواله ورجاله ومضى الى طرسوس فدخلها في ربيع الاول فضاقت به وغلا السعر بها فنابذه أهلها فقاتلهم وأمر أصحابه أن ينهزموا عن أهل طرسوس ليبلغ طاغية الروم فيعلم أن جيوش ابن طولون مع كثرتها وشدتها لم تقم لاهل طرسوس فانهزموا وخرج عنهم واستخلف عليها طخشي فورد الخبر عليه بأن ابنه العباس قدخالف عليه فازعجه ذلك وسار نحاف العباس وقيد الواسطى وخرج بطائفته الى الجيزة لثمان خلون من شعبان سنة خمس وستين ومائتين فعسكر بها واستخلف أخاه ربيعة بن أحمد وأظهر أنه يريد الاسكندرية وسار الى برقة فقدم أحمد بن طولون من الشام لاربع خلون من رمضان فأنفذ القاضي بكار ابن قتيبة فى نفر بكتابه الى العباس فسار واليه ببرقة فأبى أن يرجع وعاد بكار في أول ذى الحجة ومضى العباس يريد افريقية في جمادى الاولى سنة ست وستين فنهب لبدة وقتل من أهلها عدة وضجت نساؤهم فاجتمع عليه جيش ابن الاغلب والاباضية فقاتلهم بنفسه وحسن بلاؤه يومئذ وقال

لله درى اذ أعدوا على فرسي * الى الهياج ونار الحرب تستعر
وفي يدى صارم أفرى الرؤس به * في حده الموت لايبقى ولا يذر
ان كنت سائلة عني وعن خبرى * فها أنا الليث والصمصامة الذكر
من آل طولون أصلى ان سألت فما * فوقي لمفتخر بالجود مفتخر
لو كنت شاهدة كرى بلبدة اذ * بالسيف أضرب والهامات تبتدر
اذا لعاينت مني ما تبادره * عني الاحاديث والانباء والخبر

وقتل يومئذ صناديد عسكره ووجوه أصحابه ونهبت أمواله وفر الى برقة في ضر وعقد

أحمد بن طولون على جيش وبعث به الى برقة في رمضان سنة سبع وستين ثم خرج بنفسه في عسكر عظيم يقال انه بلغ مائة ألف لثنتي عشرة خلت من ربيع الاول سنة ثمان وستين فأقام بالاسكندرية وفر اليه أحمد بن محمد الواسطي من عند العباس فصغر عنده أمر العباس فعقد على جيش سيره الى برقة فواقعوا أصحاب العباس وهزموهم وقتلوا منهم كثيرا وأدركوا العباس لاربع خلون من رجب وعاد أحمد الى الفسطاط لثلاث عشرة خلت منه وقدم العباس والاسرى في شوال ثم أخرجوا أول ذى القعدة وقد بنيت لهم دكة عالية فضربوا والقوا من أعلاها ثم بعث بلؤلؤ في جيش الى الشام فخالف على أحمد ومال مع الموفق وصار اليه فخرج أحمد واستخلف ابنه خمارويه في صفر سنة تسع وستين فنزل دمشق ومعه ابنه العباس مقيدا فخالف عليه أهل طرسوس فخرج يريد محاربتهم ثم توقف لورود كتاب المعتمد عليه أنه قادم عليه ليلتجئ اليه فخرج كالمتصيد من بغداد وتوجه نحو الرقة فبلغ أبا أحمد الموفق مسيره وهو محارب لصاحب الزنج فعمل عليه حتى عاد الى سامرا ووكل به جماعة وعقد لاسحق بن كنداج الخزرى على مصر فبلغ ذلك ابن طولون فرجع الى دمشق وأحضر القضاة والفقهاء من الاعمال وكتب الى مصر كتابا قرئ على الناس بأن أبا أحمد الموفق نكث بيعة المعتمد وأسره في دار أحمد بن الخصيب وان المعتمد قد صار من ذلك الى مالا يجوز ذكره وانه بكى بكاء شديدا فلما خطب الخطيب يوم الجمعة ذكر مانيل من المعتمد وقال اللهم فاكفه من حصره وظلمه وخرج من مصر بكار بن قتيبة وجماعة الى دمشق وقد حضر أهل الشامات والثغور فأمر ابن طولون بكتاب فيه خلع الموفق من ولاية العهد لمخالفة المعتمد وحصره اياه وكتب فيه ان أبا أحمد الموفق خلع الطاعة وبرئ من الذمة فوجب جهاده على الامة وشهد على ذلك جميع من حضر الا بكار بن قتيبة وآخرين وقال بكار لم يصح عندى ما فعله أبو أحمد ولم أعلمه وامتنع من الشهادة والخلع وكان ذلك لاحدى عشرة خلت من ذى القعدة فبلغ ذلك الموفق فكتب الى عماله بلعن أحمد بن طولون على المنابر فلعن عليها بما صيغته اللهم العنه لعنا يفل حده ويتعس جده واجعله مثلا للغابرين انك لاتصلح عمل المفسدين ومضى أحمد الى طرسوس فنازلها وكان البرد شديدا ثم رحل عنها الى أذنة وسار الى المصيصة فنزلت به علة الموت فأعد السير يريد مصر حتى بلغ الفرما فركب النيل الى الفسطاط فدخل لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة سبعين فأوقف بكار بن قتيبة وبعث به الى السجن وتزايدت به العلة حتى مات ليلة الاحد لعشر خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين فلما بلغ المعتمد موته اشتد وجده وجزعه عليه وقال يرثيه

الى الله اشكو أنه * عراني كوقع الاسل * على رجل اروع * يرى منه فضل الوجل

شهاب خبا وقده * وعارض غيث أفل * شكت دولتي فقده * وكان يزين الدول
فقام بعده ابنه (أبو الجيش خمارويه) بن أحمد بن طولون وبايعه الجند يوم الاحد لعشر
خلون من ذى القعدة فأمر بقتل أخيه العباس لامتناعه من مبايعته وعقد لابي عبد الله أحمد
الواسطى على جيش الى الشام لست خلون من ذى الحجة وعقد لسعد الاعسر على جيش
آخر وبعث بمراكب في البحر لتقيم على السواحل الشامية فنزل الواسطى فلسطين وهو
خائف من خمارويه أن يوقع به لانه كان أشار عليه بقتل أخيه العباس فكتب الى أبي أحمد
الموفق يصغر أمر خمارويه ويحرضه على المسير اليه فأقبل من بغداد وانضم اليه اسحاق بن
كنداج ومحمد بن أبي الساج ونزل الرقة فتسلم قنسرين والعواصم وسار الى شيرز فقاتل
أصحاب خمارويه وهزمهم ودخل دمشق فخرج خمارويه في جيش عظيم لعشر خلون من
صفر سنة احدى وسبعين فالتقى مع أحمد بن الموفق بنهر أبي بطرس المعروف بالطواحين
من أرض فلسطين واقتتلا فانهزم أصحاب خمارويه وكان في سبعين ألفا وابن الموفق في نحو
أربعة آلاف واحتوى على عسكر خمارويه بما فيه ومضى خمارويه الى الفسطاط وأقبل
كمين له عليه سعد الاعسر ولم يعلم بهزيمة خمارويه فحارب ابن الموفق حتى ازاله عن المعسكر
وهزمه اثنى عشر ميلا ومضى الى دمشق فلم يفتح له ودخل خمارويه الى الفسطاط لثلاث
خلون من ربيع الاول وسار سعد الاعسر والواسطى فملكا دمشق وخرج خمارويه من
مصر لسبع بقين من رمضان فوصل الى فلسطين ثم عاد لاثنتى عشرة بقيت من شوال ثم خرج
في ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين فقتل سعدا الاعسر ودخل دمشق لسبع خلون من المحرم
سنة ثلاث وسبعين وسار لقتال ابن كنداج فكانت على خمارويه فانهزم أصحابه وثبت هو في
طائفة فهزم ابن كنداج واتبعه حتى بلغ أصحابه سر من رأى ثم اصطلحا وتظاهرا وأقبل الى
خمارويه فأقام فى عسكره ودعا له في اعماله التي بيده وكاتب خمارويه أبا أحمد الموفق في الصلح
فأجابه الى ذلك وكتب له بذلك كتابا فورد عليه به فالق الخادم الى مصر في رجب ذكر
فيه أن المعتمد والموفق وابنه كتبوه بأيديهم وبولاية خمارويه وولده ثلاثين سنة على مصر
والشامات ثم قدم خمارويه سلخ رجب فأمر بالدعاء لابى أحمد الموفق وترك الدعاء عليه
وجعل على المظالم بمصر محمد بن عبدة بن حرب وبلغه مسير محمد بن أبي الساج الى أعماله
فخرج اليه في ذى القعدة ولقيه شنية العقاب من دمشق فانهزم أصحاب خمارويه وثبت هو
فحاربه حتى هزمه أقبح هزيمة وعاد الى مصر فدخلها لست بقين من جمادى الآخرة سنة
ست وسبعين ثم خرج الى الاسكندرية لاربع خلون من شوال وورد الخبر أنه دعى له
بطرسوس فى جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وخرج الى الشام لسبع عشرة من ذى
القعدة ومات الموفق فى سنة ثمان وسبعين ثم مات المعتمد في رجب سنة تسع وسبعين وبويع

المعتضد أبو العباس أحمد بن الموفق فبعث اليه خمارويه بالهدايا وقدم من الشام لست خلون من ربيع الاول سنة ثمانين فورد كتاب المعتضد بولاية خمارويه على مصر هو وولده ثلاثين سنة من الفرات الى برقة وجعل له الصلات والخراج والقضاء وجميع الاعمال على أن يحمل في كل عام مائتي ألف دينار عما مضى وثلثمائة ألف للمستقبل ثم قدم رسول المعتضد بالخلع وهي اثنتا عشرة خلعة وسيف وتاج ووشاح مع خادم في رمضان وعقد المعتضد نكاح قطر الندى بنت خمارويه في سنة احدى وثمانين وفيها خرج خمارويه الى نزهته ببربوط في شعبان ومضى الى الصعيد فبلغ سيوط ثم رجع من الشرق الى الفسطاط أول ذي القعدة وخرج الى الشام لثمان خلون من شعبان سنة اثنتين وثمانين فأقام بمنية الاصبغ ومنية مطر ثم رحل حتى أتى دمشق فقتل بها على فراشه ذبحه جواريه وخدمه وحمل في صندوق الى مصر وكان لدخول تابوته يوم عظيم واستقبله جواريه وجواري غلمانه ونساء قواده ونساء القطائع بالصياح وما يصنع في المآتم وخرج الغلمان وقد حلوا أقبيتهم وفيهم من سود ثيابه وشققها وكانت في البلد ضجة عظيمة وصرخة تتعتع القلوب حتى دفن وكانت مدته اثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما ثم ولي (أبو العساكر جيش بن خمارويه) بن أحمد بن طولون لليلة بقيت من ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين بدمشق فسار الى مصر واشتمل على أمور أنكرت عليه فاستوحش من عظماء الجند وتنكر لهم فخافوه ودأبوا في الفساد فخرج متنزها الى منية الاصبغ ففر جماعة من عظماء الدولة الى المعتضد وخلعه أحمد بن طغان وكان على الثغر وخلعه طغج بن جف بدمشق فوثب جيش على عمه مضر بن أحمد بن طولون فقتله فوثب عليه الجيش وخلعوه وجمعوا الفقهاء والقضاة فتبرأ من بيعته وحللهم منها وكان خلعه لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين فولي ستة أشهر واثني عشر يوما ومات في السجن بعد أيام ثم ولي (أبو موسى هرون بن خمارويه) يوم خلع جيش فقام طائفة من الجند وكاتبوا ربيعة بن أحمد بن طولون وكان بالاسكندرية ودعوه ووعدوه بالقيام معه فجمع جمعا كثيرا من أهل البحيرة ومن البربر وغيرهم وسار حتى نزل ظاهر فسطاط مصر فخذله القوم وخرج اليه القواد فقاتلوه وأسروه لاحدى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة أربع وثمانين وضرب ألف سوط ومائتي سوط فمات ومات المعتضد في ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وبويع ابنه محمد المكتفي بالله وخرج القرمطي بالشام في سنة تسعين فخرج القواد من مصر وحاربوه فهزمهم وبعث المكتفي محمد بن سليمان الكاتب فنزل حمص وبعث بالمراكب من الثغر الى سواحل مصر وأقبل الى فلسطين فخرج هارون يوم التروية سنة احدى وتسعين وسير المراكب الحربية فالتقوا بمراكب محمد بن سليمان في تنيس فغلبوا وملك أصحاب محمد ابن سليمان تنيس ودمياط فسار هرون الى العباسة ومعه أهله وأعمامه في ضيق وجهد

فتفرق عنه كثير من أصحابه وبقي في نفر يسير وهو متشاغل باللهو فأجمع عماه شيبان وعدى ابنا أحمد بن طولون على قتله فدخلا عليه وهو ثمل فقتلاه ليلة الاحد لاحدى عشرة بقيت من صفر سنة اثنتين وتسعين وسنه يومئذ اثنان وعشرون سنة فكانت ولايته ثمان سنين وثمانية أشهر وأياما ثم ولى (شيبان بن أحمد بن طولون) أبو المواقيت لعشر بقين من صفر فرجع الى الفسطاط وبلغ طفج بن جف وغيره من القواد قتل هرون فأنكروه وخالفوا على شيبان وبعثوا الى محمد بن سليمان فأمنهم وحركوه على المسير الى مصر فسار حتى نزل العباسة فلقيه طفج في ناس من القواد كثير فساروا به الى الفسطاط وأقبل اليهم عامة أصحاب شيبان فخاف حينئذ شيبان وطلب الامان فأمنه محمد بن سليمان وخرج اليه لليلة خلت من ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكانت ولايته اثنى عشر يوما ودخل محمد بن سليمان يوم الخميس أول ربيع الاول فألقى النار في القطائع ونهب أصحابه الفسطاط وكسروا السجون وأخرجوا من فيها وهجموا الدور واستباحوا الحريم وهتكوا الرعية وافتضوا الابكار وساقوا النساء وفعلوا كل قبيح من اخراج الناس من دورهم وغير ذلك وأخرج ولد أحمد بن طولون وهم عشرون انسانا وأخرج قوادهم فلم يبق بمصر منهم أحد يذكر وخلت منهم الديار وعفت منهم الآثار وتعطلت منهم المنازل وحل بهم الذل بعد العز والتطريد والتشريد بعد اجتماع الشمل ونضرة الملك ومساعدة الايام ثم سيق أصحاب شيبان الى محمد بن سليمان وهو راكب فذبحوا بين يديه كما تذبح الشياه وقتل من السودان سكان القطائع خلقا كثيرا فقال أحمد بن محمد الحبيشي

الحمد لله اقرارا بما وهبا * قد لم بالامن شعب الحق فانشعبا
الله أصدق هذا الفتح لا كذب * فسوء عاقبة المثوى لمن كذبا
فتح به فتح الدنيا محمدها * وفرج الظلم والاظلام والكربا
لاريب رب هياج يقتضى دعة * وفي القصاص حياة تذهب الريبا
رمى الامام به عذراء غادرة * فافتض عذرتها بالسيف واقتضبا
محمد بن سليمان أعزهم * نفسا وأكرمهم في الذاهبين أبا
سرى بأسد الشرى لولم يروا بشرا * اضحى عرينهم الخطى لا القضبا
جم الفضاء على اليحموم حين أتوا * مثل الزبا يتحون الزبية الذابا
أيها علوت على الايام مرتبة * أبا على ترى من دونها الرتبا
لما اطال بنو طولون خطبتهم * من الخطوب وعافت منهم الخطبا
هارت بهارون من ذكراك بقعته * وشيب الرعب شيبانا وقد رعبا
وكم ترى لهم من جنة أنف * ومن نعيم جنى من غدرهم عطبا

فأصبحوا لاترى الا مسا كنهم * كأنها من زمان غابر ذهبا

(وقال أحمد بن يعقوب)

ان كنت تسأل عن جلالة ملكهم * فارتع وعج بمرابع الميدان
وانظر الى تلك القصور وماحوت * واسرح بزهرة ذلك البستان
وان اعتبرت ففيه أيضاً عبرة * تنبيك كيف تصرف العصران
ياقتل هرون اجتثت أصولهم * واشبت رأس أميرهم شيبان
لم يغن عنكم بأس قيس اذ غدا * في جحفل لجب ولا غسان
وعديه البطل الكمي وخزرج * لم ينصرا بأخيهما عدنان
زفت الى آل النبوة والهدى * وتمزقت عن شيعة الشيطان

(وقال اسمعيل بن أبي هاشم)

قف وقفة بقباب باب الساج * والقصر ذي الشرفات والابراج
وربوع قوم أزعجوا عن دارهم * بعد الاقامة أيما ازعاج
كانوا مصابيحا لدي ظلم الدجى * يسري بها السارون في الادلاج
وكأن أوجههم اذا أبصرتها * من فضة بيضاء أو من عاج
كانوا ليوثا لايرام حماهم * في كل ملحمة وكل هياج
فانظر الى آثارهم تلقى لهم * علما بكل ثنية وفجاج
وعليهم ما عشت لا أدع البكا * مع كل ذي نظر وطرف ساجي

(وقال سعيد القاص)

جرى دمعه ما بين سحر الى نحر * ولم يجر حتى أسلمته يد الصبر
وبات وقيذ اللذى خامر الحشا * يئن كما أن الاسير من الاسر
وهل يستطيع الصبر من كان ذا أسى * يبيت على جمر ويضحى على جمر
تتابع أحداث يضيقن صبره * وغدر من الايام والدهر ذو غدر
أصاب على رغم الانوف وجدعها * ذوى الدين والدنيا بقاصمة الظهر
طوى زينة الدنيا ومصباح أهلها * بفقد بنى طولون والأنجم الزهر
وفقد بنى طولون في كل موطن * أمر على الاسلام فقدا من القطر
فبادوا وأضحوا بعد عز ومنعة * أحاديث لاتخفى على كل ذى حجر
وكان أبو العباس أحمد ماجدا * جميل المحيا لايبيت على وتر
كأن ليالي الدهر كانت لحسنها * واشراقها في عصره ليلة القدر
يدل على فضل ابن طولون همة * محلقة بين السماكين والغفر

فان كنت تبغي شاهدا اذا عدالة * يخبر عنه بالجلي من الامر
فبالجيل الغربي خطة يشكر * له مسجد يغنى عن المنطق الهذر
يدل ذوى الالباب أن بناءه * وبانيه لا بالضنين ولا الغمر
بناه بآجر وساج وعرعر * وبالمرمر المسنون والجص والصخر
بعيد مدى الاقطار سام بناؤه * وثيق المباني من عقود ومن جدر
فسيح رحاب يحصر الطرف دونه * رقيق نسيم طيب العرف والنشر
وتنور فرعون الذى فوق قلة * على جبل عال على شاهق وعر
بنى مسجدا فيه يروق بناؤه * ويهدى به في الليل ان ضل من يسري
تخال سنا قنديله وضياءه * سهيلا اذا مالاح في الليل للسفر
وعين معين الشرب عين زكية * وعين اجاج للرواة وللطهر
كأن وفود النيل في جنباتها * تروح وتغدو بين مد الى جزر
فأرك بها مستنبطا لمعينها * من الارض من بطن عميق الى ظهر
بناء لو ان الجن جاءت بمثله * لقيل لقد جاءت بمستفظع نكر
يمر على أرض المغافر كلها * وشعبان والاحمور والحي من بشر
قبائل لانوء السحاب يمدها * ولا النيل يرويها ولا جدول يجري
ولا تنس مارستانه واتساعه * وتوسعة الارزاق للحول والشهر
وما فيه من قوامه وكناته * ورفقهم بالمعتفين ذوى الفقر
فللميت المقبور حسن جهازه * وللحي رفق في علاج وفى جبر
وان جئت رأس الجسر فانظر تأملا * الى الحضن أوفاعبر اليه على الجسر
ترى أثرا لم يبق من يستطيعه * من الناس فى بدو البلاد ولا حضر
مآثر لا تبلى وان باد أهلها * ومجد يوءدى وارثيه الى الفخر
لقد ضمن القبر المقدر ذرعه * أجل اذا ماقيس من قبتي حجر
وقام أبو الجيش ابنه بعد موته * كما قام ليث الغاب فى الاسل السمر
أتته المنايا وهو في أمن داره * فأصبح مسلوبا من النهى والامر
كذاك الليالي من اعارته بهجة * فيالك من ناب حديد ومن ظفر
وورث هرون ابنه تاج ملكه * كذاك أبو الاشبال ذو الناب والهصر
وقد كان جيش قبله في محله * ولكن جيشا كان مستقصر العمر
فقام بأمر الملك هارون مدة * على كظظ من ضيق باع ومن حصر
وما زال حتى زال والدهر كاشح * عقار به من كل ناحية تسرى

تذكرتهم لما مضوا فتتابعوا * كما ارفض سلك من جمان ومن شذر
فمن يبك شيأ ضاع من بعد أهله * لفقدهم فليبك حزنا على مصر
ليبك بنى طولون اذبان عصرهم * فبورك من دهر وبورك من عصر

(وقال أيضا)

من لم ير الهدم للميدان لم يره * تبارك الله ما اعلى واقدره
لوان عين الذى انشاه تبصره * والحادثات تعاديه لاكبره
كانت عيون الورى تعشو الهيبته * اذا أضاف اليه الملك عسكره
أين الملوك التي كانت تحل به * واين من كان بالانفاذ دبره
وأين من كان يحميه ويحرسه * من كل ليث يهاب الليث منظره
صاح الزمان بمن فيه ففرقهم * وحط ريب البلى فيه فد عثره
وأخلق الدهر منه حسن جدته * مثل الكتاب محا العصران اسطره
دكت مناظره واجتث جوسقه * كأنما الخسف فاجاه فدمره
أوهب أعصار نار في جوانبه * فعاد معروفه للعين منكره
كم كان يأوى اليه في مقاصره * احوى أغن غضيض الطرف أحوره
كم كان فيه لهم من مشرب غدق * فعب صرف الردى فيه فكدره
أين ابن طولون بانيه وساكنه * أماته الملك الاعلى فأقبره
ماأوضح الامر لو صحت لنا فكر * طوبى لمن خصه رشد فذكره

(وقال أحمد بن اسحق الجفر)

واذا ماأردت اعجوبة الدهر تراها فانظر الى الميدان
تنظر البين والهموم وانوا عاتوا لت به من الاشجان
يعلم العالم المبصر أن الدهر فيما يراه ذو ألوان
اين ما فيه من نعيم ومن عيش رخى ونضرة وحسان
اين ذاك المسك الذى ديف بالعنبر بحتا وعل بالزعفران
اين ذاك الخز المضاعف والوشي وما استخلصوا من الكتان
اين تلك القيان تشدو على العرس بما استحسنوا من الالحان
حوز الدهر آل طولون في هوة نقر مسكونها غير دان
وأعاض الميدان من بعد أهليه ذئابا تعوى بتلك المغانى

ثم أمر الحسين بن أحمد المادراني متولى خراج مصر بهدم الديوان فابتدئ في هدمه في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائتين وبيعت أنقاضه ودثر كانه لم يكن * فقال محمد بن طسويه

وكأن الميدان ثكلى اصيبت * بحبيب قد ضاع ليلة عرس
تتغشى الرياح منه محلا * كان للصون في ستور الدمقس
وبفرش الاضريج والبسط الديـ * ـباج في نعمة وفي لين لمس
ووجوه من الوجوه حسان * وخدود مثل اللآلئ ملس
كل نجلاء كالغزال وبخلا * ورداح من بين حور ولعس
آل طولون كنتم زينة الار * ض فأضحي الجديد أهدام لبس

(وقال ابن أبي هاشم)

يامنزلا لبنى طولون قد دثرا * سقاك صرف الغوادى القطر والمطرا
يامنزلا صرت اجفوه وأهجره * وكان يعدل عندى السمع والبصرا
بالله عندك علم من احبتنا * أم هل سمعت لهم من بعدنا خبرا

(وقال)

ألا فاسال الميدان ثم اسأل الجبل * عن الملك الماضى ابن طولون ما فعل
وعن ابنه العباس ان كنت سائلا * وأين أبو الجيش الفصافصة البطل
وجيش وهارون الذى قام بعده * وشيبان بالامس الذى خانه الامل
ومن قبله أردى ربيعة يومه * وكان هزبرا لا يطاق اذا حمل
وأين ذراريهم وأين جموعهم * وكيف تقضى عنهم الملك فاضمحل
وأين بناء القصر والجوسق الذى * عهدناه معمور الفناء له زجل
لقد ملكوه برهة من زماننا * بدولتهم ثم انقضوا بانقضا الدول
فما منهم خلق يحس ولا يرى * بذكر طوال الدهر لما انقضى الاجل
وصاروا أحاديثا لمن جاء بعدهم * وكان بهم في ملكهم يضرب المثل

(وقال)

قف وقفة وانظر الى الميدان * والقصر ذى الشرفات والايوان
والجوسق العالي المنيف بناؤه * مابا له قفر من السكان
أين الذين لهوا به وعنوا به * زمنا مع القينات والنسوان
يجبي الخراج اليهم في دارهم * لايرهبون غوائل الحدثان
جمعوا الجموع مع الجموع فأ كثروا * واستأثروا بالروم والسودان
فانظر الى ماشيدوا من بعدهم * هل فيه غير البوم والغربان
أين الاولى حفروا العيون بأرضه * وتأنقوا فيه وفي البنيان
غرسوا صنوف النخل في ساحاته * وغرائب الاعناب والرمان

والزعفران مع البهار بأرضه * والورد بين الآس والريحان
كانوا ملوك الارض في ايامهم * كبراء كل مدينة ومكان
فتمزقوا وتفرقوا فهناك هم * تحت الثرى يبلون فى الاكفان
الا اغيلمة اسارى بعدهم * في دار مضيعة ودار هوان
متلذذين بأسرهم قد شرّدوا * ونفوا عن الاهلين والاوطان
والله وارث كل حي بعدهم * وله البقاء وكل شئ فان

(وقال)

ان في قبة الهواء لذى اللب معتبر * والقصور المشيدات مع الدور والحجر
والبساتين والمجالس والبيت والزهر * والجوارى المغنيات ذوى الدل والخفر
يتبخترن في الحرير وفي الوشى والحبر * وملوك عبيدهم عدد الشوك والشجر
وجيوش مؤيدون لدى البأس بالظفر * من صنوف السودان والترك والروم والخزر
عمروا الارض مدة ثم صاروا الى الحفر * واستبدَّ الزمان من عاش منهم فلم يذر
فهم في الهوان والذل اسرى على خطر * وهم بعد صفو عيش من الذل فى كدر
يا آل طولون مالكم صرتم للورى سمر * يا آل طولون كنتم خبرا فانقضى الخبر

(وقال)

مررت على الميدان معتبرا به * فناديته أين الجبال الشوامخ
خمار وعباس واحمد قبلهم * وأين ترى شبانهم والمشايخ
وأين ذرارى آل طولون بعدهم * أما فيك منهم أيها الربع صارخ
وأين ثياب الخز والوشى والحلى * وأربابها أم اين تلك المطابخ
وأين فتات المسك والعنبر الذي * عنيت به دهرا وتلك اللطائخ
لقد غالك الدهر الخؤون بصرفه * فأصبحت منحطا وغيرك باذخ

(وقال)

مررت على الميدان بالامس ضاحيا * فأبصرته قفر الجناب فراعنى
فناديت فيه يا آل طولون مالكم * فهو دفما حلق بحرف اجابني
فأذريت عينا ذات دمع غزيرة * ورحت كئيب القلب مما اصابني
واني عليهم مابقيت لموجع * ولست أبالي من لحانى وعابني

وحدث محمد بن أبي يعقوب الكاتب قال لما كانت ليلة عيد الفطر من سنة اثنتين وتسعين ومائتين تذكرت ما كان فيه آل طولون في مثل هذه الليلة من الزى الحسن بالسلاح وملونات البنود والاعلام وشهرة الثياب وكثرة الكراع وأصوات الابواق والطبول فاعتراني لذلك فكرة

ونمت في ليلتي فسمعت هاتفا يقول ذهب الملك والتملك والزينة لما مضى بنو طولون وقال القاضى أبو عمرو عثمان النابلسى في كتاب حسن السيرة فى اتخاذ الحصن بالجزيرة رأيت كتابا قدر اثنتي عشرة كراسة مضمونه فهرست شعراء الميدان الذى لاحمد بن طولون قال فاذا كانت أسماء الشعراء في ثنتي عشرة كراسة كم يكون شعرهم مع أنه لم يوجد من ذلك الآن ديوان واحد وقال أبو الخطاب بن دحية في كتاب النبراس وخربت قطائع أحمد بن طولون يعنى في الشدة العظمى زمن الخليفة المستنصر وهلك جميع من كان بها من الساكنين وكانت نيفا على مائة ألف دار نزهة للناظرين محدقة بالجنان والبساتين والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

﴿ ذكر من ولى مصر من الامراء بعد خراب القطائع الى أن بنيت قاهرة المعز على يد القائد جوهر ﴾

وكان أول من ولى مصر بعد زوال دولة بني طولون وخراب القطائع (محمد بن سليمان الكاتب) كاتب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون دخل مصر يوم الخميس مستهل ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين ودعا على المنبر لامير المؤمنين المكتفى بالله وحده وجعل أبا على الحسين بن أحمد المادراني على الخراج عوضا عن أحمد بن على المادراني ثم ورد كتاب المكتفى بولاية (عيسى بن محمد) النوشرى أبي موسى فولى على الصلات ودخل خليفته لاربع عشرة خلت من جمادى الاولى فتسلم الشرطتين وسائر الاعمال ثم قدم عيسى لسبع خلون من جمادى الآخرة وخرج محمد بن سليمان مستهل رجب وكان مقامه بمصر أربعة أشهر فأخرج كل من بقى من الطولونية فلما بلغوا دمشق انخنس عنهم محمد بن على الخليج فى جمع كثير ممن كره مفارقة مصر من القواد فعقدوا له عليهم وبايعوه بالامرة في شعبان ورجع الى مصر فبعث اليه النوشرى بجيش أول رمضان وقد دخل أرض مصر ثم خرج اليه النوشرى وعسكر بباب المدينة أول ذى القعدة وسار الى العباسة ثم رجع لثلاث عشرة خلت منه وخرج الى الجيزة من غده واحرق الجسرين وسار يريد الاسكندرية ففرعنه طائفة الى ابن الخليج فبعث اليه بجيش فهزمه وسار الى الصعيد ودخل (محمد بن الخليج) الفسطاط لاربع عشرة بقيت من ذى القعدة فوضع العطاء وفرض الفروض وقدم أبو الاعز من قبل المكتفى فى طلب ابن الخليج فخرج اليه لثلاث خلون من المحرم سنة ثلاث وتسعين وحاربه فانهزم منه أبو الاعز وأسر من أصحابه جمعا كثيرا وعاد لثمان بقين منه فقدم فاتك المعتضدى من بغداد في البر فعسكر وقدم دميانة في المراكب فنزل فاتك النويرة فخرج ابن الخليج وعسكر بباب المدينة وقام في الليل بأربعة آلاف من أصحابه ليبيت فاتكا فاضلوا الطريق وأصبحوا قبل أن يبلغوا النويرة فعلم بهم فاتك فنهض بأصحابه وحارب ابن الخليج فانهزم عنه أصحابه وثبت في طائفة ثم انهزم الى الفسطاط لثلاث خلون من رجب فاستتر

ودخل دميانة في مراكب الثغور وأقبل عيسى النوشرى ومعه الحسين المادرانى ومن كان معهما لخمس خلون منه فعاد النوشرى الى ما كان عليه من صلاتها والمادرانى الى ما كان عليه من الخراج وعرف النوشرى بمكان ابن الخليج فهجم عليه وقيده لست خلون من رجب وكانت مدة ابن الخليج بمصر سبعة أشهر وعشرين يوما ودخل فاتك في عسكره الى الفسطاط لعشر خلون من رجب فأخرج ابن الخليج في البحر لست خلون من شعبان فلما قدم بغداد طيف به وبأصحابه وهم ثلاثون نفرا فكان يوما مذكورا وابتدئ في هدم ميدان بني طولون في شهر رمضان وبيعت انقاضه وخرج فاتك الى العراق للنصف من جمادى الاولى سنة أربع وتسعين وأمر النوشرى بنفي المؤنثين ومنع النوح والنداء على الجنائز وأمر باغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلاتين ثم أمر بفتحه بعد أيام ومات المكتفى في ذى القعدة سنة خمس وتسعين فشغب الجند بمصر وحاربوا النوشرى على طلب مال البيعة فظفر بجماعة منهم وبويع جعفر المقتدر فأقر النوشرى على الصلات وقدم زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب أمير أفريقية مهزوما من أبى عبد الله الشيعى فى رمضان سنة ست وتسعين الى الجيزة فمنعه النوشرى من العبور وكانت بين أصحابه وبين جند مصر منافسة ثم اذن له أن يعبر وحده ومات النوشرى لاربع بقين من شعبان سنة سبع وتسعين وهو وال فكانت ولايته خمس سنين وشهرين ونصفا منها مدة ابن الخليج سبعة أشهر وعشرون يوما وقام من بعده ابنه أبو الفتح محمد بن عيسى ثم ولى (تكين الخزرى أبو منصور) من قبل المقتدر على الصلات فدعى له بها يوم الجمعة لاحدى عشرة خلت من شوال وقدم خليفته لسبع بقين منه ثم قدم تكين لليلتين خلتا من ذى الحجة وتقدم اليه بالجد في أمر المغرب والاحتراس منه فبعث جيشا الى برقة عليه أبو اليمن فحاربه حباسة بن يوسف بعساكر المهدى عبيد الله الفاطمى صاحب أفريقية واستولى على برقة وسار الى الاسكندرية فى زيادة على مائة ألف فدخلها فى المحرم سنة اثنتين وثلثمائة فقدمت الجيوش من العراق مددا لتكين في صفر وقدم الحسين المادرانى واحمد بن كيغلغ فى جمع من القواد وبرزت العساكر الى الجيزة في جمادى الاولى وخرج تكين فكانت واقعة حباسة قتل فيها آلاف من الناس وعاد حباسة الى المغرب وقدم مؤنس الخادم من بغداد في جيوشه للنصف من رمضان ومعه جمع من الامراء فنزل الحمراء ولقى الناس منهم شدائد وخرج ابن كيغلغ الى الشام في رمضان وصرف تكين لاربع عشرة خلت من ذى القعدة صرفه مؤنس فخرج لسبع خلون من ذى الحجة وأقام مؤنس يدعي ويخاطب بالاستاذ ثم ولى (ذكا الرومى) أبو الحسن الاعور من قبل المقتدر على الصلات فدخل لثنتى عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلثمائة وخرج موسى بجميع جيوشه لثمان خلون من ربيع الآخر وخرج ذكا الى الاسكندرية في المحرم سنة أربع وثلثمائة ثم عاد فى ثامن ربيع الاول وتتبع

كل من يوماً اليه بمكاتبة المهدى صاحب أفريقية فسجن منهم وقطع أيدى اناس وأرجلهم وجلا أهل لوبية ومراقية الى الاسكندرية خوفا من صاحب برقة وسير العساكر الى الاسكندرية ثم فسد مابينه وبين الرعية بسبب سب الصحابة رضى الله عنهم وسب القرآن وقدمت عساكر المهدى صاحب أفريقية الى لوبية ومراقية عليها أبو القاسم فدخل الاسكندرية ثامن صفر سنة سبع وثلثمائة وفر الناس من مصر الى الشام في البر والبحر فهلك أكثرهم وأخرج ذكا الجند المخالفون له فعسكر بالجيزة وقدم أبو الحسن بن أحمد المادرانى واليا على الخراج فوضع العطاء وجد ذكا في أمر الحرب واحتفر خندقا على عسكره بالجيزة فمرض ومات لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول بالجيزة فكانت امرته أربع سنين وشهرا فولى (تكين) مرة ثانية من قبل المقتدر وقدمت جيوش العراق عليها محمود بن حمل وابراهيم بن كيغلغ فى ربيع الاول ودخل تكين لاحدى عشرة خلت من شعبان فنزل الجيزة وحفر خندقا ثانيا وأقبلت مراكب المغرب فظفر بها فى شوال وقدم مؤنس الخادم من بغداد بعساكره لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وثلثمائة فنزل الجيزة وكان في نحو ثلاثة آلاف وسير ابن كيغلغ الى الاشمونين فمات بالبهنساء أول ذى القعدة وملك أصحاب المهدى الفيوم وجزيرة الاشمونين فقدم جنى الخادم من بغداد في عسكر آخر ذى الحجة فعسكر بالجيزة فكانت حروب مع أصحاب المهدى بالفيوم والاسكندرية ورجع أبو القاسم بن المهدى الى برقة وصرف تكين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة تسع وثلثمائة فولى مؤنس (أبا قابوس محمود بن حمل) فأقام ثلاثة أيام وعزله ورد تكين لخمس بقين من ربيع الاول ثم صرفه بعد أربعة أيام وأخرجه الى الشام في أربعة آلاف من أهل الديوان ثم ولى (هلال بن بدر) من قبل المقتدر على الصلات فدخل لست خلون من ربيع الآخر وخرج مؤنس لثمان عشرة خلت منه ومعه ابن حمل فشغب الجند على هلال وخرجوا الى منية الاصبغ ومعهم محمد بن طاهر صاحب الشرط فكثر النهب والقتل والفساد بمصر الى أن صرف عنها في ربيع الآخر سنة احدى عشرة وثلثمائة وخرج فى نفر من أصحابه فولى (أحمد بن كيغلغ) من قبل المقتدر على الصلات وقدم ابنه أبو العباس خليفة له أول جمادى الاولى ثم قدم ومعه محمد بن الحسين بن عبد الوهاب المادرانى على الخراج في رجب فأحضرا الجند ووضعا العطاء وأسقطا كثيرا من الرجالة وكان ذلك بمنية الاصبغ فثار الرجالة به ففر الى فاقوس وأدخل المادرانى الى المدينة لثمان خلون من شوال وأقام ابن كيغلغ بفاقوس الى أن صرف بقدوم رسول تكين في ثالث ذى القعدة فولى (تكين) المرة الثالثة من قبل المقتدر على الصلات وخلفه ابن منجور الى أن قدم يوم عاشوراء سنة اثنتى عشرة وثلثمائة فأسقط كثيرا من الرجالة وكانوا أهل الشر والنهب ونادى ببراءة الذمة ممن أقام منهم بالفسطاط وصلى الجمعة في دار الامارة بالعسكر وترك حضور الجمعة في

مسجد العسكر والمسجد الجامع العتيق فى سنة سبع عشرة ولم يصل قبله أحد من الامراء في دار الامارة الجمعة ثم قتل المقتدر في شوال سنة عشرين وبويع أبو منصور القاهر بالله فأقر تكين حتى مات في سادس عشر ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلثمائة فحمل الى بيت المقدس وكانت امرته هذه تسع سنين وشهرين وخمسة أيام فقام ابنه محمد بن تكين موضعه وقام أبو بكر محمد بن على المادراني بأمر البلد كله ونظر في أعماله فشغب الجند عليه في طلب أرزاقهم وأحرقوا دوره ودور أهله فخرج ابن تكين الى منية الاصبغ فبعث اليه المادرانى يأمره بالخروج من أرض مصر وعسكر بباب المدينة وأقام هناك بعد مارحل ابن تكين الى سلخ ربيع الاول فلحق ابن تكين بدمشق ثم أقبل يريد مصر فمنعه المادرانى ثم ولى (محمد ابن طفج) بن جف الفرغاني أبو بكر من قبل القاهر بالله على الصلات فورد كتابه لسبع خلون من رمضان سنة احدى وعشرين ودعى له وهو بدمشق مدة اثنين وثلاثين يوما الى أن قدم رسول (أحمد بن كيغلغ) بولايته الثانية من قبل القاهر بالله لتسع خلون من شوال واستخلف أبا الفتح بن عيسي النوشرى فشغب الجند فى أرزاقهم على المادراني صاحب الخراج فاستتر منهم فأحرقوا دوره ودور أهله وكانت فتن قتل فيها جماعة الى أن أتاهم محمد بن تكين من فلسطين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين فأنكر المادرانى ولايته وتعصب له طائفة ودعي له بالامارة وخرج قوم الى الصعيد فيهم ابن النوشرى فامروه عليهم وهم على الدعاء لابن كيغلغ فنزل منية الاصبغ لثلاث خلون من رجب فلحق به كثير من أصحاب تكين ففر ابن تكين ليلا ودخل ابن كيغلغ المدينة لست خلون منه وكان مقام ابن تكين بالفسطاط مائة يوم واثنى عشر يوما وخلع القاهر وبويع أبو العباس الراضي بالله فماد ابن تكين وأظهر أن الراضى ولاه فخرج اليه العسكر وحاربوه فيما بين بلبيس وفاقوس فانهزم وجيء به الى المدينة فحمل الى الصعيد فورد الخبر بأن محمد بن طفج سار الى مصر بولاية الراضى له فبعث اليه ابن كيغلغ بجيش ليمنعوه من دخول الفرما فأقبلت مراكب ابن طفج الى تنيس وسارت مقدمته في البر وكانت بينهما حروب في تاسع عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين كانت لاصحاب ابن طفج وأقبلت مراكبه الى الفسطاط سلخ شعبان وأقبل فعسكر ابن كيغلغ للنصف من رمضان ولاقاه لسبع بقين منه فسلم ابن كيغلغ الى محمد بن طفج من غير قتال وولى (محمد بن طفج) الثانية من قبل الراضي على الصلات والخراج فدخل لست بقين من رمضان وقدم أبو الفتح الفضل ابن جعفر بن محمد بن فرات بالخلع لمحمد بن طفج وكانت حروب مع أصحاب ابن كيغلغ انهزموا منها الى برقة وساروا الى القائم بأمر الله محمد بن المهدى بالمغرب فحرضوه على أخذ مصر فجهز جيشا سار الى مصر فبعث ابن طفج عسكره الى الاسكندرية والصعيد ثم ورد الكتاب من بغداد بالزيادة في اسم الامير محمد بن طفج فلقب الاخشيد ودعى له بذلك على المنبر في رمضان سنة

سبع وعشرين وسار محمد بن رائق الى الشامات ثم سار في المحرم سنة ثمان وعشرين واستخلف أخاه الحسن بن طفج فنزل الفرما وابن رائق بالرملة فسفر بينهما الحسن بن طاهر بن يحيى العلوى في الصلح حتي تم وعاد الى الفسطاط مستهل جمادى الاولى ثم اقبل ابن رائق من دمشق في شعبان فسير اليه الاخشيد الجيوش ثم خرج لست عشرة خلت من شعبان والتقيا للنصف من رمضان بالعريش فكانت بينهما وقعة عظيمة انكسرت فيها ميسرة الاخشيد ثم حمل بنفسه فهزم أصحاب ابن رائق وأسر كثيرا منهم وأثخنهم قتلا وأسرا ومضى ابن رائق فقتل الحسين ابن طفج باللجون ودخل الاخشيد الرملة بخمسمائة اسير فتداعى ابن طفج وابن رائق الى الصلح فمضى ابن رائق الى دمشق على صلح وقدم الاخشيد محمد بن طفج الى مصر لثلاث خلون من المحرم سنة تسع وعشرين ومات الراضي بالله وبويع المتقى لله ابراهيم في شعبان فأقر الاخشيد وقتل محمد بن رائق بالموصل قتله بنو حمدان في شعبان سنة ثلاثين وثلثمائة فبعث الاخشيد بجيوشه الى الشام ثم سار لست خلون من شوال واستخلف أخاه أبا المظفر الحسن ابن طفج ودخل دمشق ثم عاد لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين فنزل البستان الذى يعرف اليوم بالكافورى من القاهرة ثم دخل داره وأخذ البيعة لابنه أبي القاسم اونوجور على جميع القواد آخر ذى القعدة وسار المتقى لله الى بلاد الشام ومعه بنو حمدان فسار الاخشيد لثمان خلون من رجب سنة اثنتين وثلاثين واستخلف أخاه الحسن فلقى المتقى ثم رجع فنزل البستان لاربع خلون من جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وخلع المتقى وبويع عبد الله المستكفى لسبع خلون من جمادى الآخرة فأقر الاخشيد وبعث الاخشيد بحانك وكافور في الجيوش الى الشام ثم خرج لخمس خلون من شعبان سنة ست وثلاثين واستخلف أخاه الحسن فلقى على بن عبد الله بن حمدان بأرض قنسرين وحاربه ومضى فأخذ منه حلب وخلع المستكفى ودعى للمطيع لله الفضل بن جعفر في شوال سنة أربع وثلاثين فأقر الاخشيد الى أن مات بدمشق يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة فولى بعده ابنه (اونوجور) أبو القاسم باستخلافه اياه وقبض على أبي بكر محمد بن على بن مقاتل في ثالث المحرم سنة خمس وثلاثين وجعل مكانه على الخراج محمد بن على المادراني وقدم العسكر من الشام أول صفر فلم يزل أونوجور واليا الى أن مات لسبع خلون من ذى القعدة سنة سبع وأربعين وثلثمائة وحمل الى القدس فدفن عند أبيه وكان كافور متحكما في أيامه ويطلق له فى السنة أربعمائة ألف دينار فلما مات قوى كافور وكانت ولايته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر فأقام كافور أخاه (على بن الاخشيد) أبا الحسن لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة فأقره المطيع لله على الحرب والخراج بمصر والشام والحرمين وصار خليفته على ذلك كافور غلام أبيه وأطلق له ما كان يطلق لاخيه في كل سنة وفى سنة احدى وخمسين ترفع السعر واضطربت الاسكندرية

والبحيرة بسبب المغاربة الواردين اليها وتزايد الغلاء وعز وجود القمح وقدم القرمطي الى الشام في سنة ثلاث وخمسين وقلّ ماء النيل ونهبت ضياع مصر وتزايد الغلاء وسار ملك النوبة الى اسوان ووصل الى أخميم فقتل ونهب وأحرق واشتد اضطراب الاعمال وفسد ما بين كافور وبين علي بن الاخشيد فمنع كافور من الاجتماع به واعتلّ علي بعد ذلك علة أخيه ومات لاحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلثمائة فحمل الى القدس وبقيت مصر بغير أمير اياما ولم يدع بها الا للمطيع لله وحده وكافور يدبر أمورها ومعه ابو الفضل جعفر بن الفرات ثم ولي (كافور) الخصي الاسود مولى الاخشيد من قبل المطيع على الحرب والخراج وجميع أمور مصر والشام والحرمين فلم يغير لقبه وانما كان يدعى ويخاطب بالاستاذ وأخرج كتاب المطيع بولايته لاربع بقين من المحرم سنة خمس وخمسين فلم يزل الى أن توفي لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة فولى (أحمد بن علي الاخشيد أبو الفوارس) وسنه احدى عشرة سنة في يوم وفاة كافور وجعل الحسين بن عبيد الله بن طغج يخلفه وأبو الفضل جعفر بن الفرات يدبر الامور وسمول الاخشيدى العساكر الى أن قدم جوهر القائد من المغرب بجيوش المعز لدين الله في سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ففر الحسين بن عبيد الله وتسلم جوهر البلاد كما سيأتي ان شاء الله تعالى فكانت مدة الدعاء لبني العباس بمصر منذ ابتدئت دولتهم الى أن قدم القائد جوهر الى مصر مائتي سنة وخمساً وعشرين سنة ومدة لدولة الاخشيدية بها اربعاً وثلاثين سنة وعشرة أشهر واربعة وعشرين يوما ومنذ افتتحت مصر الى أن انتقل كرسي الامارة منها الى القاهرة ثلثمائة سنة وسبع وثلاثون سنة وأشهر والله تعالى أعلم

(ذكر ماكانت عليه مدينة الفسطاط من كثرة العمارة)

قال ابن يونس عن الليث بن سعد أن حكيم بن ابي راشد حدثه عن ابى سلمة بن عبد الرحمن انه وقف على جزار فسأله عن السعر فقال بأربعة أفلس الرطل فقال له أبو سلمة هل لك أن تعطينا بهذا السعر مابدالنا وبدا لك قال نعم فأخذ منه أبو سلمة ومر فى القصبة حتى اذا أراد أن يوفيه قال بعني بدينار ثم قال اصرفه فلوسا ثم وفه وقال الشريف أبو عبد الله محمد ابن أسعد الجوانى النسابة في كتاب النقط على الخطط سمعت الامير تأييد الدولة تميم بن محمد المعروف بالضمضام يقول في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وحدثني القاضي ابو الحسين علي بن الحسين الخلعي عن القاضى أبي عبد الله القضاعي قال كان في مصر الفسطاط من المساجد ستة وثلاثون الف مسجد وثمانية آلاف شارع مسلوك وألف ومائة وسبعون حماما وان حمام جنادة في القرافة ما كان يتوصل اليها الا بعد عناء من الزحام وان قبالتها في كل يوم جمعة خمسمائة درهم * وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى في كتاب

الخطط انه طلب لقطر الندى ابنة خمارويه بن احمد بن طولون الف تكة بعشرة آلاف دينار من أثمان كل تكة بعشرة دنانير فوجدت في السوق فى ايسر وقت وبأهون سعى وذكر عن القاضي أبي عبيد أنه لما صرف عن قضاء مصر كان في المودع مائة الف دينار وان فائقاً مولى أحمد بن طولون اشترى دارا بعشرين الف دينار وسلم الثمن الى البائعين وأجلهم شهرين فلما انقضى الاجل سمع فائق صياحا عظيما وبكاء فسأل عن ذلك فقيل هم الذين باعوا الدار فدعاهم وسألهم عن ذلك فقالوا انما نبكي على جوارك فأطرق وأمر بالكتب فردت عليهم ووهب لهم الثمن وركب الى احمد بن طولون فأخبره فاستصوب رأيه واستحسن فعله ويقال انه كان لفائق ثمانمائة فرشة كل فرشة لحظية مثمنة وان دار الحرم بناها خمارويه لحرمه وكان أبوه اشتراها له فقام عليه الثمن وأجرة الصناع والبناء بسبعمائة الف دينار وان عبد الله بن احمد بن طباطبا الحسيني دخل الجامع فلم يجد مكانا فى الصف الاول فوقف في الصف الثانى فالتفت أبو حفص بن الجلاب فلما رآه تأخر وتقدم الشريف مكانه فكافأه على ذلك بنعمة حملها اليه ودار ابتاعها له ونقل اهله اليها بعد ان كساهم وحلاهم وذكر غير القضاعي أنه دفع اليه خمسمائة دينار قال ويقال انه أهدى الى أبي جعفر الطحاوي كتباً قيمتها الف دينار وان رشيقاً الاخشيدى استحجبه ابو بكر محمد بن علي المادرانى فلما مضت عليه سنة رفع فيه أنه كسب عشرة آلاف دينار فخاطبه في ذلك فحلف بالايمان الغليظة على بطلان ذلك فأقسم أبو بكر المادرانى بمثل ما أقسم به لئن خرجت سنتنا هذه ولم تكسب هذه الجملة لاصحبتني ولم يزل في صحبته الى أن صودر أبو بكر فأخذ منه ومن رشيق مال جزيل وذكر أن الحسن بن أبي المهاجر موسى بن اسماعيل بن عبد الحميد بن بحر بن سعد كان على البريد في زمن احمد بن طولون وقتله خمارويه وسبب ذلك ما كان فى نفس علي بن احمد المادرانى منه فأغرى خمارويه به وقال قد بقي لابيك مال غير الذى ذكره في وصيته ولم يقف عليه غير ابن مهاجر فطالبه فلم يزل خمارويه بابن مهاجر الى أن وصف له موضع المال من دار خمارويه فأخرج فكان مبلغه ألف ألف دينار فسلمه الى أحمد المادرانى فحمله الى داره واقبلت توقيعات خمارويه ترد اليه بالصلات والنفقات فيخرجها من فضول أموال الضياع والمرافق وحصلت له تلك الاموال ولم يضع يده عليها الى أن قتل وصودر أبو بكر محمد بن علي في ايام الاخشيد وقبضت ضياعه فعاد الى تلك الالف ألف دينار مع ماسواها من ذخائره وأعراضه وعقده فما ظنك برجل ذخيرته ألف ألف دينار سوى ماذكر عن أبي بكر محمد بن علي المادرانى انه قال بعث الي ابو الجيش خمارويه أن اشترى له أردية وأقنعة للجوارى وعمل دعوة خلافيها بنفسه وبهم وغدوت متعرفا لخبره فقيل لى انه طرب لما هو فيه فنثر دنانير على الجواري والغلمان وتقدم اليهم أن ماسقط من ذلك في البركة فهو لمحمد بن على كاتبي

فلما حضرت و بلغني ذلك أمرت الغلمان فنزلوا في البركة فأصعدوا الى منها سبعين الف دينار فما ظنك بمال نثر على اناس فتطاير منه الى بركة ماء هذا المبلغ وقال ابن سعيد فى كتاب المعرب في حل المغرب وفي الفسطاط دار تعرف بعبد العزيز يصب فيها لمن بها في كل يوم اربعمائة راوية ماء وحسبك من دار واحدة يحتاج اهلها فى كل يوم الى هذا القدر من الماء * وقال ابن المتوج في كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل عن ساحل مصر ورأيت من نقل عمن نقل عمن رأى الاسطال التي كانت بالطاقات المطلة على النيل وكان عددها ستة عشر ألف سطل مؤبدة ببكر وأطناب بها ترخى وتملا أخبرني بذلك من اثق بنقله قال وكان بالفسطاط في جهته الشرقية حمام من بناء الروم عامرة زمن احمد بن طولون قال الراوى دخلتها فى زمن خمارويه بن احمد بن طولون وطلبت بها صانعاً يخدمنى فلم أجد فيها صانعاً متفرغا لخدمتي وقيل لى أن كل صانع معه اثنان يخدمهم وثلاثة فسألت كم فيها من صانع فأخبرت ان بها سبعين صانعاً قل من معه دون ثلاثة سوى من قضى حاجته وخرج قال فخرجت ولم ادخلها لعدم من يخدمني بها ثم طفت غيرها فلم اقدر على من أجده فارغا الا بعد أربع حمامات وكان الذي خدمنى فيها نائباً فانظر رحمك الله ما اشتمل عليه هذا الخبر مع ما ذكره القضاعي من عدد الحمامات وانها ألف ومائة وسبعون حماما تعرف من ذلك كثرة ما كان بمصر من الناس هذا والسعر راخ والقمح كل خمسة أرادب بدينار وبيعت عشرة أرادب بدينار فى زمن احمد بن طولون قال ابن المتوج خطة مسجد عبد الله ادركت بها آثار دار عظيمة قيل انها كانت دار كافور الاخشيدى ويقال ان هذه الخطة تعرف بسوق العسكر وكان به مسجد الزكاة وقيل انه كان منه قصبة سوق متصلة الى جامع أحمد بن طولون وأخبرنى بعض المشايخ العدول عن والده وكان من أكابر الصلحاء انه قال عددت من مسجد عبد الله الى جامع بن طولون ثلثمائة وتسعين قدر حمص مصلوق بقصبة هذا السوق بالارض سوى المقاعد والحوانيت التي بها الحمص فتأمل اعزك الله ما فى هذا الخبر مما يدل على عظمة مصر فان هذا السوق كان خارج مدينة الفسطاط وموضعه اليوم الفضاء الذى بين كوم الجارح وبين جامع ابن طولون ومن المعروف ان الاسواق التي تكون بداخل المدينة أعظم من الاسواق التي هى خارجها ومع ذلك ففي هذا السوق من صنف واحد من الماكل هذا القدر فكم ترى تكون جملة ما فيه من سائر أصناف الماكل وقد كان اذ ذاك بمصر عشرة أسواق كلها أو أكثرها أجل من هذا السوق وقال ودرب السفافير بني فيه زقاق بني الرصاص كان به جماعة اذا عقد عندهم عقد لا يحتاجون الى غريب وكانوا هم وأولادهم نحوا من أربعين نفساً * وقال ابن زولاق فى كتاب سيرة المادرانيين ولما قدم الاستاذ مؤنس الخادم من بغداد الى مصر استدعى ابو على الحسين بن احمد المادرانى المعروف بأبى زنبور الدقاق وهو الذى نسميه اليوم الطحان

وقال ان الاستاذ مؤنسا قد وافى ولى بشتول قدر ستين ألف أردب قمحاً فاذا وافى فقم له بالوظيفة فكان يقوم له بما يحتاج اليه من دقيق حوارى مدة شهر فلما كمل الشهر قال كاتب مونس للدقاق كم لك حتى ندفعه اليك فأعلمه الخبر فقال ما أحسب الاستاذ يرضى ان يكون في ضيافة أبي علي وأعلم مونسا بذلك فقال انا آكل خبز حسين لا يبرح الرجل حتى يقبض ماله فمضى الدقاق وأعلم ابازنبور فقام من فوره الى مونس فأكب على رجليه فاحتشم منه وقال والله لا أجيبك الا هذا الشهر الذى مضى ولا تعاود ثم رجع فقال للدقاق قم له بالوظيفة في المستقبل واعمل مايريده قال فجئته وقد فرغ القمح ومعي الحساب وار بعمائة دينار قال ايش هذا فقلت بقية ذلك القمح فقال اعفني منه وتركه فتأمل ما اشتمل عليه هذا الخبر من سعة حال كاتب من كتاب مصر كيف كان له في قرية واحدة هذا القدر من صنف القمح وكيف صار مما يفضل عنه حتى يجعله ضيافة وكيف لم يعبأ بار بعمائة دينار حتى وهبها لدقاق قمح وما ذاك الامن كثرة المعاش وقس عليه باقي الاحوال وقال عن أبى بكر محمد بن علي المادرانى انه حج اثنتين وعشرين حجة متوالية أنفق في كل حجة مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار وانه كان يخرج معه بتسعين ناقه لقبته التي يركبها وأر بعمائة لجهازه وميرته ومعه المحامل فيها أحواض البقل وأحواض الرياحين وكلاب الصيد وينفق على الاشراف وأولاد الصحابة ولهم عنده ديوان بأسمائهم وانه أنفق في خمس حجات أخر ألفي ألف دينار ومائتي الف دينار وكانت جاريته تواصل معه الحج ومعها لنفسها ثلاثون ناقة لقبتها ومائة وخمسون عربيا لجهازها وأحصى ما يعطيه كل شهر لحاشيته وأهل الستر وذوى الاقدار جراية من الدقيق الحوارى فكان بضعا وثمانين ألف رطل وكان سنة القرمطى بمكة فمن جملة ما ذهب له به مائتا قميص ديبقى ثمن كل ثوب منها خمسون دينارا وقال مرة وهو فى عطالته أخذ مني محمد بن طفج الاخشيد عينا وعرضا يبلغ نيفا وثمانين ويبة دنانير فاستعظم من حضر ذلك فقال ابنه الذى أخذ اكثر وانا اوقفه عليه ثم قال لابيه يامولاى أليس نكبت ثلاث مرات قال بلى قال أليس أخذت ضياعك بالشام قال نعم قال فكم ثمنها قال ألف ألف دينار قال وضياعك بمصر قال قريب منها قال وعرض وعين قال كذلك فأمر بعض الحساب بضبط ذلك فجاء ما ينيف عن ثلاثين اردبا من ذهب فانظر ما تضمنته أخبار المادراني وقس عليها بقية احوال مصر فما كان سوى كاتب الخراج وهذه أمواله كما قد رأيت وقال الشريف الجوانى ان أباعبدالله محمد بن مفسر قاضى مصر سمع بأن المادراني عمل فى أيامه الكعك المحشو بالسكر والقرص الصغار المسمى أفطن له فأمرهم بعمل الفستق الملبس بالسكر الابيض الفانيد المطيب بالمسك وعمل منه في أول الحال أشياء عوض لبه لب ذهب فى صحن واحد فمضى عليه جملة وخدف قدامه تخاطفه الحاضرون ولم يد لعمله بل الفستق الملبس وكان قد سمع في سيرة المادرانيين انه عمل له هذا الافطن له وفي كل

واحدة خمسة دنانير ووقف استاذ على السماط فقال لاحد الجلساء افطن له وكان عمل على السماط عدة صحون من ذلك الجنس لكن مافيه الدنانير صحن واحد فلما رمز الاستاذ لذلك الرجل بقوله افطن له وأشار الى الصحن تناول ذلك الرجل منه فأصاب الذهب واعتمد عليه فحصل له جملة ورآه الناس وهو اذا أكل يخرج من فمه ويجمع بيده ويحط فى حجره فتنبهوا له وتزاحموا عليه فقيل لذلك من يومئذ افطن له *وقال ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس في تاريخ مصر حدثني بعض أصحابنا بتفسير رؤيا رآها غلام ابن عقيل الخشاب عجيبة فكانت حقا كما فسرت فسألت غلام ابن عقيل عنها فقال لي أنا أخبرك كان أبي فى سوق الخشابين فانفق بضاعته ورثت حاله ومات فأسلمتنى أمي الى ابن عقيل وكان صديقا لابي فكنت أخدمه وأفتح حانوته وأكنسها ثم أفرش له مايجلس عليه فكان يجرى على رزقا اتقوت به فأتى يوما في الحانوت وقد جلس استاذى ابن عقيل فجاء ابن العسال مع رجل من أهل الريف يطلب عود خشب لطاحونة فاشترى من ابن عقيل عود طاحونة بخمسة دنانير فسمعت قوما من اهل السوق يقولون هذا ابن العسال المفسر للرؤيا عند ابن عقيل فجاء منهم قوم وقصوا عليه منامات رأوها ففسرها لهم فذكرت رؤيا رأيتها في لياتي فقلت له انى رأيت البارحة في نومي كذا وكذا فقصصت عليه الرؤيا فقال لى أى وقت رأيتها من الليل فقلت انتبهت بعد رؤياى في وقت كذا فقال لى هذه رؤيا لست أفسرها الا بدنانير كثيرة فألححت عليه فقال استاذى ابن عقيل فرج عنه هذا غلام صغير فقير لا يملك شيئا فقال لست آخذ الا عشرين دينارا فقال له ابن عقيل ان قربت علينا وزنت انا لك ذلك من عندى فلم يزل به ينزله حتى قال والله لا آخذ أقل من ثمن العود الخشب خمسة دنانير فقال له ابن عقيل ان صحت الرؤيا دفعت اليك العود بلا ثمن فقال له يأخذ مثل هذا اليوم ألف دينار قال استاذى فاذا لم يصح هذا فقال يكون العود عندك الى مثل هذا اليوم فان كان لم يصح أخذ ماقلت له في ذلك اليوم فليس لى عندك شيء ولا أفسر رؤيا أبدا فقال له أستاذى قد أنصفت ومضت الجمعة فلما كان مثل ذلك اليوم غدوت مثل ما كنت اغدو الى دكان استاذى ففتحتها ورششتها واستلقيت على ظهرى افكر فيما قال لى ومن أين يمكن أن يصير الى ألف دينار فقلت لعل سقف المكان ينفرج فيسقط منه هذا المال وجعلت اجيل فكرى وأنى كذلك الى ضحى اذ وقف على جماعة من أعوان الخراج معهم ناس فقالوا هذه دكان ابن عقيل ثم قالوا لى قم فقلت لهم لست ابن عقيل انا غلامه فقالوا بل أنت ابنه وجبذونى فأخرجونى من الدكان فقلت الى أين فقالوا الى ديوان الاستاذ أبي على الحسين بن أحمد يعنون ابا زنبور فقلت وما يصنع بي فقالوا اذا جئت سمعت كلامه وما يريده منك وكنت بعقب علة ضعيف البدن فقلت ما أقدر أمشى فقالوا اكتر حمارا تركبه ولم يكن معي ما أكترى به حمارا فنزعت تكة سراويلي من

وسطي ودفعتها على درهمين لمن أكرانى الحمار ومضيت معهم فجاؤا بى الى دار أبى زنبور
فلما دخلت قال لى أنت ابن عقيل فقلت لا ياسيدى انا غـلام فى حانوته قال أفليس تبصر
قيمة الخشب قلت بلى قال فاذهب مع هؤلاء فقوم لنا هذا الخشب فانظر بحيث لا يزيدولا
ينقص فمضيت معهم فجاؤابى الى شط البحر الى خشب كثير من أثل وسنط جاف وغير
ذلك مما يصلح لبناء المراكب فقومته تقويم جزع حتى بلغت قيمته ألفي دينار فقالوالى انظر
هـذا الموضع الآخر فيه من الخشب ايضا فنظرت فاذاهو أكثر مما قومت بنحو مرتين
فأعجلوني ولمأضبط قيمة الخشب فردونى الى أبى زنبور فقال لى قومت الخشب كما أمرتك
ففزعت فقلت نعم فقال هات كم قومته فقلت ألفا دينار فقلت انظر لا تغلط فقلت هوقيمته
عندى فقال لى تخذه أنت بألفي دينار فقلت انا فقير لا أملك دينارا واحدا فكيف لى بقيمته
قال ألست تحسن تدبيره وتبيعه فقلت بلى قال فدبره وبعه ونحن نصبرعليك بالثمن الى ان
تبيع شيأ شيأ وتؤدى ثمنه فقلت افعل فأمر بكتاب يكتب علي في الديوان بالمال فكتب
على ورجعت الى الشط أعرف عدد الخشب وأوصى به الحراس فوافيت جماعة أهل سوقنا
وشيوخهم قد أتوا الى موضع الخشب فقالوا لى ايش صنعت قومت الخشب قلت نعم. قالوا
بكم قومته فقلت بألفي دينار فقالوالى وأنت تحسن تقوم لايساوى هذاهذه القيمة فقلت لهم قد
كتب علي كتاب فى الديوان وهو عندى يساوى أضعاف هذا فقالوا لى اسكت لايسمعك
احد وكانوا قد قوموه قبلي لابى زنبور بألف دينار فقال بعضهم لبعض أعطوا هذا ربحه
وتسلموه أنتم فقال قائل أعطوه ربحه خمسمائة دينار فقلت لا والله لاآخذ فقالوا قد رأى
رؤيا فزيدوه فقلت لا والله لاآخذ اقل من ألف دينار قالوا فلك ألف دينار تحول اسمك
من الديوان نعطك اذا بعنا ألف دينار فقلت لا والله لا أفعل حتى آخذ الالف دينار في وقتى
هذا فمضوا الى حوانيتهم والى منازلهم حتى جاؤني بالف دينار فقلت لاآخذها الا بنقد الصيرفي
وميزانه فمضيت معهـم الي صيرفي الناحية حتى وزنوا عنده الالف دينار ونقدتها وأخذتها
فشـددتها في طرف ردائي ومضيت معهم الى الديوان وحولت اسماءهم مكان اسمى ووفوا
حق الديوان من عندهم ورجعت وقت الظهر الى استاذى فقال لى قبضت الف دينار منهم
فقلت نعم ببركتك وتركت الدنانير بين يديه وقلت له يا أستاذ خذ ثمن العود الخشب فقال
لا والله لاآخذ منك شيأ أنت عندى مقام ابنى وجاء في الوقت ابن العسال فدفع اليه استاذى
العود الخشب فمضى فهذا خبر رؤياى وتفسيرها فتأمل اعزك الله مايشتمل عليـه من عظم
ماكانت عليه مصر وسعة حال الديوان وكيف فضل فيه خشب يساوى آلافا من الذهب ونحن
اليوم في زمن اذا احتيج فيه الى عمارة شيء من الاماكن السلطانية بخشب اوغيره اخذ من
الناس امابغير ثمن او باخس القيم مع ما يصيب مالكه من الخوف والخسارة للاعوان وكيف لما

قوم هذا الخشب لم يكلف المشترى دفع المال في الحال وفي زمننا اذا طرحت البضاعة السلطانية على الباعة يكلفون حمل ثمنها بالسرعة حتى ان فيهم من يبيعها بأقل من نصف ما اشتراها به ويكمل الثمن امامن ماله أو يقترضه بربح وكيف لما علم أهل السوق ان الخشب بيع بدون القيمة لم يمضوا الى الديوان ويدفعون فيه زيادة اما لقلة شره الناس اذ ذاك وتركهم الاخلاق الرذيلة من الحسد ونحوه أو لعلمهم بعدل السلطان وانه لاينكث ماعقده وفي زمننا لو ادعى عدو على عدوه أن البضاعة التي كان اشتراها من الديوان قيمتها أكثر مما أخذها به لقبل قوله وغرم زيادة على مادعاه عدوه من قلة القيمة جملة أخرى لاجرم أنه تظاهر سفهاء الناس بكل رذيلة وذميمة من الاخلاق فان الملك سوق يجبي اليه مانفق به وكيف لما علم ابن عقيل أن غلامه استفاد على اسمه ألف دينار لم يشره الى أخذها بل دفع عنه خمسة الدنانير وما ذاك الا من انتشار الخير في الناس وكثرة أموالهم وسعة حال كل أحد بحسبه وطيب نفوس الكافة ولعمرى لو سمع في زمننا أحد من الامراء والوزراء فضلا عن الباعة أن غلاما من غلمانه أخذ على اسمه عشر هـذا المبلغ لقامت قيامته وكيف اتسعت أحوال الخشابين حتى وزنوا ألف دينار في ساعـة وانه ليعسر اليوم على الخشابين أن يزنوا في يوم مائة دينار وهذا كله من وفور غنى الناس بمصر وعظم أمرهم وكثرة سعاداتهـم وكان الفسطاط نحو ثلث بغـداد ومقداره فرسخ على غاية العمارة والخصب والطيبة واللذة وكانت مساكن أهلها خمس طبقات وستا وسبعا وربمـا سكن في الدار الواحدة المائتان من الناس وكان فيه دار عبد العزيز بن مروان يصب فيها لمن فيها في كل يوم أربعمائة راوية ماء وكان فيها خمسة مساجد وحمامان وعدة أفران يخبز بها عجين أهلها وقد قال أبو داود فى كتاب السنن شبرت قثاءة بمصر ثلاثة عشر اشبرا ورأيت اترجة على بعير قطعتين قطعت وصيرت على مثل عـدلين ذكره في باب صدقة الزرع من كتاب الزكاة قلت وقد ذكر أن هذا كان في جنان بنى سنان البصرى خارج مدينة الفسطاط وكانت بحيث لم ير أبدع منها فلما قدم أمير المؤمنين عبدالله المأمون بن هارون الرشيد مصر سنة سبع عشرة ومائتين رأي جنان بنى سنان هذه فاعجب بها وسأل ابراهيم بن سنان كم عليه من الخراج لجنانه فذكر أنه يحمل الى الديوان في كل سنة عشرين ألف دينار فقال المأمون وكم ترد عليك هـذه الجنان قال لااستطيع حصره الا أن مازاد على مائة ألف دينار اتصدق به ولو درهما هذا وله ولد اسمه أحمد بن ابراهيم بن سنان يوصف بعلم وزهد والله تعالى اعلم

* (ذكر الآثار الواردة في خراب مصر) *

روى قاسم بن أصبغ عن كعب الاحبار قال الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينية ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة والكوفة آمنة من الخراب حتي تكون الملحمة

ولا يخرج الدجال حتى تفتح القسطنطينية * وعن وهب بن منبه انه قال الجزيرة آمنة من
الخراب حتي تخرب ارمينية وأرمينية آمنة من الخراب حتى تخرب مصر ومصر آمنة من
الخراب حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة
الكبرى فتحت القسطنطينية على يد رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج
وخراب أفريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها
وخراب العراق من قبل الجوع والسيف وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يخفرهم
حتى لايستطيعوا أن يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل العراق وخراب
الايلة من قبل عدو يخفرهم مرة برا ومرة بحرا وخراب الرى من قبل الديلم وخراب
خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الصين من قبل الهند وخراب
اليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من قبل الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع
وفى رواية وخراب أرمينية من قبل الرجف والصواعق وخراب الاندلس وخراب الجزيرة
من سنابك الجيل واختلاف الجيوش * وعن عبد الله بن الصامت قال ان أسرع الارضين
خرابا البصرة ومصر فقيل له وما يخر بهما وفيهما عيون الرجال والاموال فقال يخر بهما
القتل الاحمر والجوع الاغبر كأني بالبصرة كأنها نعامة جاثمة وأما مصر فان نيلها ينضب أو
أوقال ييبس فيكون ذلك خرابها وعن الاوزاعى اذا دخل أصحاب الرايات الصفر مصر فلتحفر
أهل الشام أسرابا تحت الارض * وعن كعب علامة خروج المهدى الوية تقبل من قبل
المغرب عليها رجل من كندة أعرج فاذا ظهر أهل المغرب على مصر فبطن الارض يومئذ
خير لاهل الشام * وعن سفيان الثورى قال يخرج عنق من البربر فويل لاهل مصر وقال
ابن لهيعة عن أبي الاسود عن مولى لشرحبيل بن حسنة أو لعمرو بن العاص قال سمعته
يوما واستقبلنا فقال أيها لك مصر اذا رميت بالقسى الاربع قوس الاندلس وقوس الحبشة
وقوس الترك وقوس الروم * وعن قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد بن زهير حدثنا هرون بن معروف
حدثنا ضمرة عن الشيباني قال تهلك مصر غرقا أو حرقا * وعن عبدالله بن مغفل أنه قال لابنته
اذا بلغك أن الاسكندرية قد فتحت فان كان خمارك بالمغرب فلا تأخذيه حتى تلحقى بالمشرق
* وذكر مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس يرفعه قال أنزل الله تعالى من الجنة
الى الارض خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات
وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من
أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام واستودعها الجبال وأجراها في
الارض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم وذلك قوله عز وجل وأنزلنا من السماء
ماء بقدر فأسكناه فى الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى

جبريل عليه السلام فرفع من الارض القرآن كله والعلم كله والحجر من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقدت أهلها خير الدنيا والدين وقال ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الحضرمى عن حيان بن الاعين عن عبد الله بن عمرو قال ان أول مصر خرابا انطابلس وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن سالم بن أبي سالم عن عبد الله بن عمرو قال انى لا علم السنة التي تخرجون فيها من مصر قال فقلت له مايخرجنا منها ياأبا محمد أعدو قال لا ولكن يخرجكم منها نيلكم هذا يغور فلا تبقى منه قطرة حتى تكون فيه الكثبان من الرمل وتأكل سباع الارض حيتانه

﴿ ذكر خراب الفسطاط ﴾

وكان لخراب مدينة فسطاط مصر سببان أحدهما الشدة العظمى التي كانت فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى والثاني حريق مصر فى وزارة شاور بن مجير السعدى ﴿ فاما الشدة العظمي ﴾ فان سببها أن السعر ارتفع بمصر في سنة ست وأربعين وأربعمائة وتبع الغلاء وباء فبعث الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله أبي الحسن على الى متملك الروم بقسطنطينية أن يحمل الغلال الى مصر فاطلق أربعمائة ألف أردب وعزم على حملها الى مصر فادركه أجله ومات قبل ذلك مقام في الملك بعده امرأة وكتبت الى المستنصر تسأله أن يكون عونا لها ويمدها بعساكر مصر اذا ثار عليها أحد فأبى أن يسعفها في طلبتها فحردت لذلك وعاقت الغلال عن المسير الى مصر فحنق المستنصر وجهز العساكر وعليها مكين الدولة الحسن بن ملهم وسارت الى اللاذقية فحاربتها بسبب نقض الهدنة وامساك الغلال عن الوصول الى مصر وامدها بالعساكر الكثيرة ونودى فى بلاد الشام بالغزو فنزل ابن ملهم قريبا من فامية وضايق أهلها وجال في أعمال انطاكية فسبى ونهب فأخرج صاحب قسطنطينية ثمانين قطعة في البحر فحاربها ابن ملهم عدة مرار وكانت عليه وأسر هو وجماعة كثيرة فى شهر ربيع الاول منها فبعث المستنصر في سنة سبع وأربعين أبا عبد الله القضاعى برسالة الى القسطنطينية فوافى اليها رسول طغريل السلجوقى من العراق بكتابة يأمر متملك الروم بأن يمكن الرسول من الصلاة فى جامع القسطنطينية فأذن له فى ذلك فدخل اليه وصلى فيه صلاة الجمعة وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسى فبعث القاضى القضاعى الى المستنصر يخبره بذلك فأرسل الى كنيسة قمامة بيت المقدس وقبض على جميع مافيها وكان شيأ كثيرا من أموال النصارى ففسد من حينئذ مابين الروم والمصريين حتي استولوا على بلاد الساحل كلها وحاصروا القاهرة كما يرد في موضعه ان شاء الله تعالى واشتد فى هذه السنة الغلاء وكثر الوباء بمصر والقاهرة وأعمالها الى سنة أربع وخمسين وأربعمائة فحدث مع ذلك الفتنة العظيمة

التي خرب بسببها اقليم مصر كله وذلك أن المستنصر لما خرج على عادته في كل سنة على النجب مع النساء والحشم الى أرض الجب خارج القاهرة جرد بعض الاتراك سيفا وهو سكران على أحد عبيد الشراء فاجتمع عليه كثير من العبيد وقتلوه فحنق لقتله الاتراك وساروا بجميعهم الى المستنصر وقالوا ان كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وان كان من غير رضى أمير المؤمنين فلا نرضى بذلك فتبرأ المستنصر مما جرى وأنكره فتجمع الاتراك لمحاربة العبيد وكانت بينهما حروب شديدة بناحية كوم شريك قتل فيها عدة من العبيد وانهزم من بقى منهم فشق ذلك على أم المستنصر فانها كانت السبب فى كثرة العبيد السود بمصر وذلك انها كانت جارية سوداء فأحبت الاستكثار من جنسها واشترتهم من كل مكان وعرفت رغبتها في هذا الجنس فجلبت الناس الى مصر منهم حتي يقال انه صار في مصر اذ ذاك زيادة على خمسين ألف عبد أسود فلما كانت وقعة كوم شريك أمدت العبيد بالاموال والسلاح سرا وكانت أم المستنصر قد تحكمت في الدولة وحقدت على الاتراك وحثت على قتالهم مولاها أبا سعد التسترى فقويت العبيد لذلك حتى صار الواحد منهم يحكم بما يختار فكرهت الاتراك ذلك وكان ماذكر فظفر بعض الاتراك يوما بشيء من المال والسلاح قد بعثت به أم المستنصر الى العبيد تمدهم به بعد انهزامهم من كوم شريك فاجتمعوا بأسرهم ودخلوا على المستنصر واغلظوا في القول فحلف انه لم يكن عنده علم بما ذكر وصار الى أمه فانكرت مافعلت وخرج الاتراك فصار السيف قائماً ووقعت الفتنة ثانيا فانتدب المستنصر أبا الفرج بن المغربي ليصلح بين الطائفتين فاصطلحا على غل وخرج العبيد الى شبرا دمنهور فكان هذا أول اختلال أحوال أهل مصر ودبت عقارب العداوة بين الفئتين الى سنة تسع وخمسين فقويت شوكة الاتراك وضروا على المستنصر وزاد طمعهم فيه وطلبوا منه الزيادة في واجباتهم وضاقت أحوال العبيد واشتدت ضرورتهم وكثرت حاجتهم وقل مال السلطان واستضعف جانبه فبعثت أم المستنصر الى قواد العبيد تغريهم بالاتراك فاجتمعوا بالجيزة وخرج اليهم الاتراك ومقدمهم ناصر الدين حسين بن حمدان فاقتتلا عدة مرار وظهر في آخرها الاتراك على العبيد وهزموهم الى بلاد الصعيد فعاد ابن حمدان الى القاهرة وقد عظم أمره وقوى جاشه وكبرت نفسه واستخف بالخليفة فجاءه الخبر أنه قد تجمع من العبيد ببلاد الصعيد نحو خمسة عشر ألف فارس فقلق وبعث بمقدمى الاتراك الى المستنصر فأنكر ماكان من اجتماع العبيد وجفوا في خطابهم وفارقوه على غير رضي منهم فبعثت أم المستنصر الى من بحضرتها من العبيد تأمرهم بالايقاع على غفلة بالاتراك فهجموا عليهم وقتلوا منهم عدة فبادر ابن حمدان الى الخروج ظاهر القاهرة وتلاحق به الاتراك وبرز اليهم العبيد المقيمون بالقاهرة ومصر وحاربوهم عدة أيام فحلف ابن حمدان أنه لاينزل عن فرسه حتى ينفصل الامر اماله أو عليه وجد كل من الفريقين فى القتال فظهرت

الاتراك على العبيد وأثخنوا فى قتلهم وأسرهم فعادوا الى القاهرة وتتبع ابن حمدان من في البلد منهم حتى أفنى معظمهم هذا والعبيد ببلاد الصعيد على حالهم وبالاسكندرية أيضا منهم جمع كثير فسار ابن حمدان الى الاسكندرية وحاصرهم فى مدة حتى سألوه الامان فأخرجهم وأقام فيها من يثق به وانقضت هذه السنة كلها فى قتال العبيد ودخلت سنة ستين وأربعمائة وقد خرق الاتراك ناموس المستنصر واسها نوابه واستخفوا بقدره وصار مقررهم في كل شهر أربعمائة ألف دينار بعد ما كان ثمانية وعشرين ألف دينار ولم يبق فى الخزائن مال فبعثوا يطالبونه بالمال فاعتذر اليهم بعجزه عما طلبوه فلم يعذروه وقالوا بع ذخائرك فلم يجد بدا من اجابتهم واخرج ما كان فى القصر من الذخائر فصاروا يقومون مايخرج اليهم بأخس القيم وأقل الاثمان ويأخذون ذلك فى واجباتهم وتجهز ابن حمدان وسار الى الصعيد يريد قتال العبيد وكانت شرورهم قد كثرت وضررهم وفسادهم قد تزايد فلقيهم وواقعهم غير مرة والاتراك تنكسر منهم وتعود الى محاربتهم الى أن حمل العبيد عليهم حملة انهزموا فيها الى الجيزة فأفحشوا عند ذلك فى أمر المستنصر ونسبوه الى مباطنة العبيد وتقويتهم فأنكر ذلك وحلف عليه فأخذوا في اصلاح شأنهم ولم شعثهم وساروا لقتال العبيد وما زالوا يلحون فى قتالهم حتى انكسرت العبيد كسرة شنيعة وقتل منهم خلق كثير وفر من بقى فذهبت شوكتهم وزالت دولتهم ورجع ابن حمدان وقد كشف قناع الحياء وجهر بالسوء للمستنصر واستبد بسلطنة البلاد ودخلت سنة احدى وستين وابن حمدان مستبد بالامر مجاف للمستنصر فثقل مكانه على الاتراك وتفرغوا من العبيد والتفتوا اليه وقد استبد بالامور دونهم واستأثر بالاموال عليهم ففسد مابينهم وبينه وشكوا منه الى الوزير خطير الملك فأغراهم به ولامهم على ما كان من تقويته وحسن لهم الثورة به فصاروا الى المستنصر ووافقوه على ذلك فبعث الى ابن حمدان يأمره بالخروج عن مصر ويهدده ان امتنع فلم يقدر على الامتناع منه لفساد الاتراك عليه وميلهم مع المستنصر فخرج الى الجيزة وانتهب الناس دوره ودور حواشيه فلما جن عليه الليل عاد من الجيزة سرا الى دار القائد تاج الملوك شادى وترامى عليه وقبل رجليه وسأله النصرة على الذكر والوزير الخطير فانهما قاما بهذه الفتنة فأجابه الى ذلك ووعده بقتل المذكورين وفارقه ابن حمدان فلما كان من الغد ركب شادى فى أصحابه وأخذ يسير بين القصرين بالقاهرة وأقبل الوزير الخطير في موكبه فبادره شادى على حين غفلة وقتله ففر الذكر الى القصر والتجأ بالمستنصر فلم يكن بأسرع من قدوم ابن حمدان وقد استعد للحرب فيمن معه فركب المستنصر بلامة الحرب واجتمع اليه الاجناد والعامة وصار فى عدد لاينحصر وبرزت الفرسان فكانت بين الخليفة وابن حمدان حروب آلت الى هزيمة ابن حمدان وقتل كثير من أصحابه فمضى فى طائفة الى البحيرة وترامي على بني سيس وتزوج منهم فعظم الامر

بالقاهرة ومصر من شدة الغلاء وقلة الاقوات لما فسد من الاعمال بكثرة النهب وقطع الطريق حتى أكل الناس الجيف والميتات ووقف أرباب الفساد فى الطريق فصاروا يقتلون من ظفروا به في أزقة مصر فهلك من أهل مصر فى هذه الحروب والفتن مالا يمكن حصره وامتد ذلك الى أن دخلت سنة ثلاث وستين فجهز المستنصر عساكره لقتال ابن حمدان بالبحيرة فسارت اليه ولم يوفق فى محاربته فكسرها كلها واحتوى على ما كان معها من سلاح وكراع ومال فتقوى به وقطع الميرة عن البلد ونهب أكثر الوجه البحرى وقطع منه الخطبة للمستنصر ودعا للخليفة القائم بأمر الله العباسي بالاسكندرية ودمياط وعامة الوجه البحرى فاشتد الجوع وتزايد الموتان بالقاهرة ومصر حتى انه كان يموت الواحد من أهل البيت فلا يمضى يوم وليلة من موته حتى يموت سائر من في ذلك البيت ولا يوجد من يستولى عليه ومدّت الاجناد أيديها الى النهب فخرج الامر عن الحد ونجا أهل القوة بأنفسهم من مصر وساروا الى الشام والعراق وخرج من خزائن القصر ما يجل وصفه وقد ذكر طرف من ذلك في أخبار القاهرة عند ذكر خزائن القصر فاضطر الاجناد ماهم فيه من شدة الجوع الى مصالحة ابن حمدان بشرط أن يقيم في مكانه ويحمل اليه مال مقرر وينوب عنه شادى بالقاهرة فرضى بذلك وسير الغلال الى القاهرة ومصر فسكن ما بالناس من شدة الجوع قليلا ولم يكن ذلك الا نحو شهر ووقع الاختلاف عليه فقدم من البحيرة الى مصر وحاصرها وانتهبها وأحرق دورا عديدة بالساحل ورجع لى البحيرة فدخلت سنة أربع وستين والحال على ذلك وشادى قد استبد بأمر الدولة وفسد ما بينه وبين ابن حمدان ومنعه من المال الذي تقرر له وشح به عليه فلم يوصله الا القليل فخرد من ذلك ابن حمدان وجمع العربان وسار الى الجيزة وخادع شادى حتى صار اليه ليلا في عدة من الاكابر فقبض عليه وعليهم وبعث أصحابه فنهبوا مصر وأطلقوا فيها النار فخرج اليهم عسكر المستنصر من القاهرة وهزموهم فعاد الى البحيرة وبعث رسولا الى الخليفة القائم بأمر الله ببغداد باقامة الخطبة له وسأله الخلع والتشاريف فاضمحل أمر المستنصر وتلاشى ذكره وتفاقم الامر في الشدة من الغلاء حتى هلكوا فسار ابن حمدان الى البلد وليس في أحد قوة يمنعه بها فملك القاهرة وامتنع المستنصر بالقصر فسير اليه رسولا يطلب منه المال فوجده وقد ذهب سائر ما كان يعهده من ابهة الخلافة حتى جلس على حصير ولم يبق معه سوى ثلاثة من الخدم فبلغه رسالة ابن حمدان فقال المستنصر للرسول مايكفى ناصر الدولة أن أجلس في مثل هذا البيت على هذا الحال فبكى الرسول رقة له وعاد الى ابن حمدان فأخبره بما شاهد من اتضاع أمر المستنصر وسوء حاله فكف عنه وأطلق له في كل شهر مائة دينار وامتدت يده وتحكم وبالغ في اهانة المستنصر مبالغة عظيمة وقبض على أمه وعاقبها أشد العقوبة واستصفى أموالها فحاز منها شيأ كثيرا فتفرق حينئذ عن المستنصر جميع أقاربه

وأولاده من الجوع فمنهم من سار الى المغرب ومنهم من سار الى الشام والعراق * قال الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة في كتاب النقط حل بمصر غلاء شديد في خلافة المستنصر بالله في سنة سبع وخمسين وأربعمائة وأقام الى سنة أربع وستين وأربعمائة وعم مع الغلاء وباء شديد فأقام ذلك سبع سنين والنيل يمد وينزل فلا يجد من يزرع وشمل الخوف من العسكرية وفساد العبيد فانقطعت الطرقات برا وبحرا الا بالخفارة الكثيرة مع ركوب الغرر ونزا المارقون بعضهم على بعض واستولى الجوع لعدم القوت وصار الحال الى أن بيع رغيف من الخبز الذى وزنه رطل بزقاق القناديل كبيع الطرف في النداء بأربعة عشر درهما وبيع أردب من القمح بثمانين دينارا ثم عدم ذلك وأكلت الكلاب والقطاط ثم تزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا وكان بمصر طوائف من أهل الفساد قد سكنوا بيوتا قصيرة السقوف قريبة ممن يسعى فى الطرقات ويطوف وقد أعدوا سلبا وخطاطيف فاذا مر بهم أحد شالوه في أقرب وقت ثم ضربوه بالاخشاب وشرحوا لحمه وأكلوه * قال وحدثني بعض نسائنا الصالحات قالت كانت لنا من الجارات امرأة ترينا أفخاذها وفيها كالحفر فكنا نسألها فتقول أنا ممن خطفنى أكلة الناس في الشدة فأخذنى انسان وكنت ذات جسم وسمن فأدخلني الى بيت فيه سكاكين وآثار الدماء وزفرة القتلى فأضجعني على وجهي وربط في يدى ورجلي سلبا الى أوتاد حديد عريانة ثم شرح من أفخاذى شرائح وأنا أستغيث ولا أحد يجيبني ثم أضرم الفحم وشوى من لحمي وأكل أكلا كثيرا ثم سكر حتى وقع على جنبه لايعرف أين هو فأخذت في الحركة الى أن انحل أحد الاوتاد وأعان الله على الخلاص وتخلصت وحللت الرباط وأخذت خرقا من داره ولففت بها أفخاذى وزحفت الى باب الدار وخرجت أزحف الى أن وقعت الى المأمن وجئت الى بيتي وعرفتهم بموضعه فمضوا الى الوالي فكبس عليه وضرب عنقه وأقام الدواء في أفخاذى سنة الى أن ختم الجرح وبقى كذا حفرا وبسبب هذا الغلاء خرب الفسطاط وخلا موضع العسكر والقطائع وظاهر مصر مما يلى القرافة حيث الكيمان الآن الى بركة الحبش فلما قدم أمير الجيوش بدر الجمالي الى مصر وقام بتدبير أمرها نقلت أنقاض ظاهر مصر مما يلى القاهرة حيث كان العسكر والقطائع وصار فضاء وكيمانا فيما بين مصر والقاهرة وفيما بين مصر والقرافة وتراجعت أحوال الفسطاط بعد ذلك حتى قارب ما كان عليه قبل الشدة * (وأما حريق مصر) * فكان سببه أن الفرنج لما تغلبوا على ممالك الشام واستولوا على السواحل حتى صار بايديهم ما بين ملطية الى بلبيس الا مدينة دمشق فقط وصار أمر الوزارة بديار مصر لشاور بن مجير السعدى والخليفة يومئذ العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف اسم لامعنى له وقام فى منصب الوزارة بالقوة في صفر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وتلقب بأمير الجيوش وأخذ أموال بني رزيك

وزراء مصر وملوكها من قبله فلما استبد بالامرة حسده ضرغام صاحب الباب وجمع جموعا كثيرة وغلب شاور على الوزارة في شهر رمضان منها فسار شاور الى الشام واستقل ضرغام بسلطنة مصر فكان بمصر في هذه السنة ثلاثة وزراءهم العادل بن رزيك بن طلائع بن رزيك وشاور بن مجير وضرغام فأساء ضرغام السيرة في قتل أمراء الدولة وضعفت من أجل ذلك دولة الفاطميين بذهاب رجالها الاكابر ثم ان شاور استنجد بالسلطان نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام فأنجده وبعث معه عسكرا كثيرا في جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وقدم عليه أسد الدين شيركوه على أن يكون لنور الدين اذا عاد شاور الى منصب الوزارة ثلث خراج مصر بعد اقطاعات العساكر وأن يكون شيركوه عنده بعساكره في مصر ولا يتصرف الا بأمر نور الدين فخرج ضرغام بالعسكر وحاربه في بلبيس فانهزم وعاد الى مصر فنزل شاور بمن معه عند التاج خارج القاهرة وانتشر عسكره في البلاد وبعث ضرغام الى أهل البلاد فأتوه خوفا من الترك القادمين معه وأتته الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية فامتنعوا بالقاهرة وتطاردوا مع طلائع شاور بأرض الطبالة فنزل شاور في المقس وحارب أهل القاهرة فغلبوه حتى ارتفع الى بركة الحبش فنزل على الرصد واستولى على مدينة مصر وأقام أياما فمال الناس اليه وانحرفوا عن ضرغام لامور فنزل شاور باللوق وكانت بينه وبين ضرغام حروب آلت الى احراق الدور من باب سعادة الى باب القنطرة خارج القاهرة وقتل كثير من الفريقين واختل أمر ضرغام وانهزم فملك شاور القاهرة وقتل ضرغام آخر جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين فأخلف شيركوه ماوعد به السلطان نور الدين وأمره بالخروج عن مصر فأبى عليه واقتتلا وكان شيركوه قد بعث بابن أخيه صلاح الدين يوسف ابن أيوب الى بلبيس ليجمع له الغلال وغيرها من الاموال فحشد شاور وقاتل الشاميين فجرت وقائع واحترق وجه الخليج خارج القاهرة بأسره وقطعة من حارة زويلة فبعث شاور الى الفرنج واستنجد بهم فطمعوا في البلاد وخرج ملكهم مرى من عسقلان بجموعه فبلغ ذلك شيركوه فرحل عن القاهرة بعد طول محاصرتها ونزل بلبيس فاجتمع على قتاله بها شاور وملك الفرنج وحصروه بها وكانت اذ ذاك حصينة ذات أسوار فأقام محصورا مدة ثلاثة أشهر وبلغ ذلك نور الدين فأغار على ماقرب منه من بلاد الفرنج وأخذها من أيديهم فخافوه ووقع الصلح مع شيركوه على عوده الى الشام فخرج في ذي الحجة ولحق بنور الدين فأقام وفي نفسه من مصر أمر عظيم الى أن دخلت سنة اثنتين وستين فجهزه نور الدين الى مصر في جيش قوي في ربيع الاول وسيره فبلغ ذلك شاور فبعث الى مرى ملك الفرنج مستنجدا به فسار بجموع الفرنج حتى نزل بلبيس فوافاه شاور وأقام حتى قدم شيركوه الى اطراف مصر فلم يطق لقاء القوم فسار حتى خرج من أطفيح الى جهة بلاد الصعيد من ناحية بحر

القلزم فبلغ شاور أن شيركوه قد ملك بلاد الصعيد فسقط في يده ونهض للفور من بلبيس ومعه الفرنج فكان من حروبه مع شيركوه ماكان حتى انهزم بالاشمونين وسار منها بعد الهزيمة الى الاسكندرية فملكها وأقربها ابن أخيه صلاح الدين وخرج الى الصعيد فخرج شاور بالفرنج وحصر الاسكندرية أشد حصار فسار شيركوه من قوص ونزل على القاهرة وحاصرها فرحل اليه شاور وكانت أمور آلت الى الصلح وسار شيركوه بمن معه الى الشام في شوال فطمع مرى فى البلاد وجعل له شحنة بالقاهرة وصارت أسوارها بيد فرسان الفرنج وتقرر لهم فى كل سنة مائة ألف دينار ثم رحل الى بلاده وترك بالقاهرة من يثق به من الفرنج وسار شيركوه الى الشام فتحكم الفرنج فى القاهرة حكما جائزا وركبوا المسلمين بالاذى العظيم وتيقنوا عجز الدولة عن مقاومتهم وانكشفت لهم عورات الناس الى أن دخلت سنة أربع وستين فجمع مرى جمعا عظيما من أجناس الفرنج وأقطعهم بلاد مصر وسار يريد أخذ مصر فبعث اليه شاور يسأله عن سبب مسيره فاعتل بأن الفرنج غلبوه على قصد ديار مصر وأنه يريد ألفى ألف دينار يرضيهم بها وسار فنزل على بلبيس وحاصرها حتى أخذها عنوة فى صفر فسبى أهلها وقصد القاهرة فسير العاضد كتبه الى نور الدين وفيها شعور نسائه وبناته يسأله انقاذ المسلمين من الفرنج وسار مرى من بلبيس فنزل على بركة الحبش وقد انضم الناس من الاعمال الى القاهرة فنادى شاور بمصر أن لايقيم بها أحد وأزعج الناس في النقلة منها فتركوا أموالهم وأثقالهم ونجوا بأنفسهم وأولادهم وقد ماج الناس واضطربوا كأنما خرجوا من قبورهم الى المحشر لايعبأ والد بولده ولا يلتفت أخ الى أخيه وبلغ كراء الدابة من مصر الى القاهرة بضعة عشر دينارا وكراء الحمل الى ثلاثين دينارا ونزلوا بالقاهرة في المساجد والحمامات والازقة وعلى الطرقات فصاروا مطروحين بعيالهم وأولادهم وقد سلبوا سائر أموالهم وينتظرون هجوم العدو على القاهرة بالسيف كما فعل بمدينة بلبيس وبعث شاور الى مصر بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار فرّق ذلك فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق الى السماء فصار منظرا مهولا فاستمرت النار تأتي على مساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين من صفر لتمام أربعة وخمسين يوما والنهابة من العبيد ورجال الاسطول وغيرهم بهذه المنازل في طلب الخبايا فلما وقع الحريق بمصر رحل مرى من بركة الحبش ونزل بظاهر القاهرة مما يلى باب البرقية وقاتل أهلها قتالا كثيرا حتى زلزلوا زلزالا شديدا وضعفت نفوسهم وكادوا يؤخذون عنوة فعاد شاور الى مقاتلة الفرنج وجرت أمور آلت الى الصلح على مال فبيناهم في جبايته اذ بلغ الفرنج مجيء أسد الدين شيركوه بعساكر الشام من عند السلطان نور الدين محمود فرحلوا في سابع ربيع الآخر الى بلبيس وساروا منها الى فاقوس فصاروا الى بلادهم بالساحل ونزل شيركوه بالمقس خارج القاهرة وكان من قتل

شاور واستيلاء شيركوه على مصر ما كان فمن حينئذ خربت مصر الفسطاط هـذا الخراب الذى هو الآن كيان مصر وتلاشى أمرها وافتقر أهلها وذهبت أموالهم وزالت نعمهم فلما استبد شيركوه بوزارة العاضد أمر باحضار أعيان أهل مصر الذين خلوا عن ديارهم في الفتنة وصاروا بالقاهرة وتغمم لمصابهم وسفه رأى شاور في احراق المدينـة وأمرهم بالعود اليها فشكوا اليه مابهم من الفقر والفاقة وخراب المنازل وقالوا الى أى مكان نرجع وفي أى مكان ننزل ونأوى وقد صارت كما ترى وبكوا وأبكوا فوعدهم جميلا وترفق بهم وأمر فنودى في الناس بالرجوع الى مصر فتراجع اليها الناس قليلا قليلا وعمروا ماحول الجامع الى أن كانت المحنة من الغلاء والوباء العظيم في سلطنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب لسنتي خمس وست وخمسمائة فخرب من مصر جانب كبير ثم تحايا الناس بها وأكثروا من العمارة بجانب مصر الغربي على شاطئ النيل لما عمر الملك الصالح نجم الدين أيوب قلعة الروضة وصار بمصر عدة آدر جليلة وأسواق ضخمة فلما كان غلاء مصر والوباء الكائن في سلطنة الملك العادل كتبغا سنة ست وتسعين وستمائة خرب كثير من مساكن مصر وتراجع الناس بعد ذلك في العمارة الى سنة تسع وأربعين وسبعمائة فحدث الفناء الكبير الذى اقفر منه معظم دور مصر وخربت ثم تحايا الناس من بعد الوباء وصار مايحيط بالجامع العتيق وما على شط النيل عامرا الى سنة ست وسبعين وسبعمائة فشرقت بلاد مصر وحدث الوباء بعد الغلاء فخرب كثير من عامر مصر ولم يزل يخرب شيأ بعد شئ الى سنة تسعين وسبعمائة فعظم الخراب في خط زقاق القناديل وخط النحاسين وشرع الناس في هدم دور مصر وبيع أنقاضها حتى صارت على ما هى عليه الآن وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا

(ذكر ما قيل في مدينة فسطاط مصر)

قال ابن رضوان والمدينة الكبرى اليوم بأرض مصر ذات أربعة أجزاء الفسطاط والقـاهرة والجزيرة والجيزة وبعد هذه المدينة عن خط الاستواء ثلاثون درجة والجبل المقطم في شرقيها وبينها وبين مقابر المدينة وقد قالت الاطباء ان أردأ المواضع ماكان الجبل في شرقيه يعوق ريح الصبا عنه وأعظم أجزائها هو الفسطاط ويلى الفسطاط من الغرب النيل وعلى شط النيل الغربي أشجار طوال وقصار وأعظم أجزاء الفسطاط موضع فى غور فانه يعلوه من المشرق المقطم ومن الجنوب الشرف ومن الشمال الموضع العالي من عمل فوق أعنى الموقف والعسكر وجامع ابن طولون ومتى نظرت الى الفسطاط من الشرق أو من مكان آخر عال رأيت وضعها فى غور وقد بين ابقراط أن المواضع المتسفلة أسخن من المواضع المرتفعة وأردأ هواء لاحتقان البخار فيها ولان ما حولهـا من المواضع العالية يعوق تحليل الرياح لها وأزقة الفسطاط وشوارعها ضيقة وابنيتها عالية وقد قال روفس اذا دخلت مدينة فرأيتها ضيقة الازقة

مرتفعة البناء فاهرب منها لانها وبيئة أراد أن البخار لايحل منها كما ينبغي لضيق الازقة وارتفاع البناء * ومن شأن أهل الفسطاط أن يرموا مايموت في دورهم من السنانير والكلاب ونحوها من الحيوان الذى يخالط النـاس في شوارعهم وأزقتهم فتعفن وتخالط عفونتها الهواء ومن شأنهم أيضا أن يرموا في النيل الذى يشربون منه فضول حيواناتهم وجيفها وخرارات كنفهم تصب فيه وربما انقطع جرى الماء فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء وفى خلال الفسطاط مستوقدات عظيمة يصعد منها فى الهواء دخان مفرط وهى أيضا كثيرة الغبار لسخانة أرضها حتى انك ترى الهواء فى أيام الصيف كدرا يأخذ بالنفس ويتسخ الثوب النظيف فى اليوم الواحد واذا مر الانسان فى حاجة لم يرجع الا وقد اجتمع فى وجهه ولحيته غبار كثير ويعلوها فى العشيات خاصة فى أيام الصيف بخار كدر أسود وأغبر سيما اذا كان الهواء سليما من الرياح واذا كانت هذه الاشياء كما وصفنا فمن البين انه يصير الروح الحيوانى الذى فيها حاله كهذه الحال .فيتولد اذا فى البدن من هذه الاعراض فضول كثيرة واستعدادات نحو العفن الا أن ألف أهل الفسطاط لهذه الحال وأنسهم بها يعوق عنهم أكثر شرها وان كانوا على كل حال أسرع أهل مصر وقوعا فى الامراض وما يلى النيل من الفسطاط يجب أن يكون أرطب مما يلى الصحراء وأهل الشرق أصلح حالا لتخرق الرياح لدورهم وكذلك عمل فوق والحمراء الا أن أهل الشرف الذى يشربونه أجود لانه يستقى قبـل أن تخالطه عفونة الفسطاط فأما القرافة فأجود هذه المواضع لان المقطم يعوق بخار الفسطاط من المرور بها واذا هبت ريح الشمال مرت بأجزاء كثيرة من بخار الفسطاط والقاهرة على الشرف فغيرت حاله وظاهر أن المواضع المكشوفة في هذه المدينة هى أصح هواء وكذلك حال المواضع المرتفعة وأردأ موضع فى المدينة الـكبرى هو ما كان من الفسطاط حول الجامع العتيق الى ما يلى النيل والسواحل واذا كان فى الشتاء وأول الربيع حمل من بحر الملح سمك كثير فيصل الى هـذه المدينة وقد عفن وصارت له رائحة منكرة جدا فيباع فى القـاهرة ويأكله أهلها وأهل الفسطاط فيجتمع فى أبدانهم منه فضول كثيرة عفنة فلولا اعتدال أمزجتهم وصحة أبدانهم في هـذا الزمان لكان ذلك يولد فى أبدانهم امراضا كثيرة قاتلة الا أن قوة الاستمرار تعوق عن ذلك وربما انقطع النيل فى آخر الربيع وأول الصيف من جهة الفسطاط فيعفن بكثرة ما يلقى فيه الى أن يبلغ عفنه الى أن تصير له رائحة منكرة محسوسة وظاهر أن هـذا الماء اذا صار على هذه الحال غير مزاج الناس تغيرا محسوسا قال فمن البين أن أهل هذه المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا فى الامراض من جميع أهل هذه الارض ماخلا أهل الفيوم فانها أيضا قريبة وأردأ مافى المدينة الموضع الغائر من الفسطاط. ولذلك غلب على أهلها الجبن وقلة الكرم وأنه ليس أحد منهم يغيث ولا يضيف الغريب الا فى النادر وصاروا من السعاية والاغتياب

على أمر عظيم ولقد بلغ بهم الجبن الى أن خمسة أعوان تسوق منهم مائة رجل وأكثر ويسوق الاعوان المذكورين رجل واحد من أهل البلدان الاخر وممن قد تدرب في الحرب فقد استبان اذا العلة والسبب في أن صار أهل المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا في الامراض من جميع أهل هذه الارض وأضعف انفسا ولعل لهذا السبب اختار القدماء اتخاذ المدينة في غير هذا الموضع فمنهم من جعلها بمنف وهى مصر القديمة ومنهم من جعلها بالاسكندرية ومنهم من جعلها بغير هذه المواضع ويدل على ذلك آثارهم * وقال ابن سعيد عن كتاب الكمائم وأما فسطاط مصر فان مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو بن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه ثم لما فتحها قسم المنازل على القبائل ونسبت المدينة اليه فقيل فسطاط عمرو وتداولت عليها بعد ذلك ولاة مصر فاتخذوها سريرا للسلطنة وتضاعفت عمارتها فأقبل الناس من كل جانب اليها وقصروا أمانيهم عليها الى أن رسخت بها دولة بني طولون فبنوا الى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع وبها كان مسجد ابن طولون الذى هو الآن الى جانب القاهرة وهى مدينة مستطيلة يمر النيل مع طولها ويحط فى ساحلها المراكب الآتية من شمال النيل وجنوبه بأنواع الفوائد ولها متنزهات وهى فى الاقليم الثالث ولا ينزل فيها مطر الا في النادر وترابها تثيره الارجل وهو قبيح اللون تتكدر منه ارجاؤها ويسوء بسببه هواؤها ولها أسواق ضخمة الا أنها ضيقة ومبانيها بالقصب والطوب طبقة على طبقة ومذ بنيت القاهرة ضعفت مدينة الفسطاط وفرط في الاغتباط بها بعد الافراط وبينهما نحو ميلين وأنشد فيها الشريف العقيلي

أحن الى الفسطاط شوقا وانني * لادعو لها أن لا يحل بها القطر

وهل في الحيا من حاجة لجنابها * وفي كل قطر من جوانبها نهر

تبدت عروسا والمقطم تاجها * ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

وقال عن كتاب آخر فالفسطاط هي قصبة مصر والجبل المقطم شرقها وهو متصل بجبل الزمرذ * وقال عن كتاب ابن حوقل والفسطاط مدينة حسنة ينقسم النيل لديها وهي كبيرة نحو ثلث بغداد ومقدارها نحو فرسخ على غاية العمارة والطيبة واللذة ذات رحاب في محالها وأسواق عظام فيها ضيق ومتاجر فخام ولها ظاهر أنيق وبساتين نضرة ومتنزهات على ممر الايام خضرة وفى الفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب اليها كالبصرة والكوفة الا انها أقل من ذلك وهي سبخة الارض غير نقية التربة وتكون بها الدار سبع طبقات وستا وخمسا وربما يسكن في الدار المائتان من الناس ومعظم بنيانهم بالطوب وأسفل دورهم غير مسكون وبها مسجدان للجمعة بنى أحدهما عمرو بن العاص في وسط الفسطاط والآخر على الموقف بناه

أحمد بن طولون وكان خارج الفسطاط أبنية بناها أحمد بن طولون ميلا في ميل يسكنها جنده تعرف بالقطائع كما بنى بنو الاغلب خارج القيروان وقادة وقد خربتا في وقتنا هذا وأخلف الله بدل القطائع بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة * قال ابن سعيد ولما استقررت بالقاهرة تشوقت الى معاينة الفسطاط فسار معي أحد أصحاب العزمة فرأيت عند باب زويلة من الحمير المعدة لركوب من يسير الى الفسطاط جملة عظيمة لا اعهد لي بمثلها في بلد فركب منها حمارا وأشار الى أن اركب حمارا آخر فأنفت من ذلك جريا على عادة ما خلفته في بلاد المغرب فأعلمني انه غير معيب على أعيان مصر وعاينت الفقهاء وأصحاب البزة والسادة الظاهرة يركبونها فركبت وعند ما استويت راكباً أشار المكارى على الحمار فطار بي وأثار من الغبار الاسود ما أعمى عيني ودنس ثيابي وعاينت ما كرهته ولقلة معرفتي بركوب الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعهده وقلة رفق المكارى وقفت في تلك الظلمة المثارة من ذلك العجاج فقلت

لقيت بمصر أشد البوار * ركوب الحمار وكحل الغبار
وخلفي مكار يفوق الرياح * لا يعرف الرفق بهمي استطار
أناديه مهلا فلا يرعوى * الى أن سجدت سجود العثار
وقد مد فوقي رواق الثرى * وألحد فيه ضياء النهار

فدفعت الى المكارى أجرته وقلت له احسانك الى أن تتركني أمشي على رجلي ومشيت الى أن بلغتها وقدرت الطريق بين القاهرة والفسطاط وحققت بعد ذلك نحو الميلين ولما اقبلت على الفسطاط أدبرت عني المسرة وتأملت أسوارا مثلمة سوداء وآفاقا مغبرة ودخلت من بابها وهو دون غلق مفض الى خراب معمور بمبان سيئة الوضع غير مستقيمة الشوارع قد بنيت من الطوب الادكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة وحول أبوابها من التراب الاسود والازبال ما يقبض نفس النظيف ويغض طرف الطريف فسرت وأنا معاين لاستصحاب تلك الحال الى أن سرت في أسواقها الضيقة فقاسيت من ازدحام الناس فيها بحوائج السوق والروايا التي على الجمال ما لا يفي به الا مشاهدته ومقاساته الى أن انتهيت الى المسجد الجامع فعاينت من ضيق الاسواق التي حوله ما ذكرت به ضده في جامع اشبيلية وجامع مراكش ثم دخلت اليه فعاينت جامعا كبيرا قديم البناء غير مزخرف ولا محتفل في حصره التي تدور مع بعض حيطانه وتبسط فيه وأبصرت العامة رجالا ونساء قد جعلوه معبرا بأوطئة أقدامهم يجوزون فيه من باب الى باب ليقرب عليهم الطريق والبياعون يبيعون فيه أصناف المكسرات والكعك وما جرى مجرى ذلك والناس يأكلون منه في أمكنة عديدة غير محتشمين لجرى العادة عندهم بذلك وعدة صبيان بأواني ماء يطوفون على من يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منهم رزقا وفضلات ما كلهم مطروحة في صحن الجامع وفي زواياه والعنكبوت قد عظم نسجه

في السقوف والاركان والحيطان والصبيان يلعبون في صحنه وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمرة بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء العامة الا أن مع هذا كله على الجامع المذكور من الرونق وحسن القبول وانبساط النفس مالا تجده في جامع اشبيلية مع زخرفته والبستان الذى في صحنه ولقد تأملت ماوجدت فيه من الارتياح والانس دون منظر يوجب ذلك فعلمت أنه سر مودع من وقوف الصحابة رضوان الله عليهم في ساحته عند بنائه واستحسنت ما أبصرته فيه من حلق المصدرين لاقراء القرآن والفقه والنحو في عدة أماكن وسألت عن موارد أرزاقهم فأخبرت أنها من فروض الزكاة وما أشبه ذلك ثم أخبرت أن اقتضاءها يصعب الا بالجاه والتعب ثم انفصلنا من هنالك الى ساحل النيل فرأيت ساحلا كدر التربة غير نظيف ولا متسع الساحة ولا مستقيم الاستطالة ولا عليه سور أبيض الا أنه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب وأصناف الارزاق التي تصل من جميع أقطار الارض والنيل ولئن قلت انى لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل فاني أقول حقا والنيل هنالك ضيق لكون الجزيرة التي بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعته قد توسطت الماء ومالت الى جهة الفسطاط وبحسن سورها المبيض الشامخ حسن منظر الفرجة في ذلك الساحل وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون ممتدا من الفسطاط الى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر الى البرّ الغربى المعروف ببر الجيزة جسر آخر من الجزيرة اليه وأكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم في المراكب لان هذين الجسرين قد احترما بحصولهما في حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذى بين الجزيرة والفسطاط راكبا احتراما لموضع السلطان وبتنا فى ليلة ذلك اليوم بطيارة مرتفعة على جانب النيل فقلت

نزلنا من الفسطاط أحسن منزل * بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد

وقد جمعت فيه المراكب سحرة * كسرب قطا أضحى يزف على ورد

وأصبح يطفى الموج فيه ويرتمى * ويطغو حنانا وهو يلعب بالنرد

غدا ماؤه كالريق ممن أحبه * فمدت عليه حلية من حلى الخد

وقدكان مثل الزهر من قبل مده * فأصبح لما زاده المد كالورد

قلت هذا لانى لم أذق فى المياه أحلى من مائه وأنه يكون قبل المد الذى يزيد به ويفيض على اقطاره أبيض فاذا كان عباب النيل صار أحمر * وأنشدنى علم الدين فخر الترك ايدمر عتيق وزير الجزيرة فى مدح الفسطاط وأهلها

حبذا الفسطاط من والدة * جنبت أولادها در الجفا

يرد النيل اليها كدرا * فاذا مازج أهليها صفا

لطفوا فالمزن لا يألفهم * خجلا لما رآهم ألطفا

ولم ارفى أهل البلاد ألطف من أهل الفسطاط حتى انهم ألطف من أهل القاهرة وبينهما نحو ميلين وجملة الحال أن أهل الفسطاط فى نهاية من اللطافة واللين فى الكلام وتحت ذلك من الملق وقلة المبالاة برعاية قدم الصحبة وكثرة الممازجة والالفة مايطول ذكره وأمامايرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندرانى والبحر الحجازى فانه فوق ما يوصف وبها مجمع ذلك لا بالقاهرة ومنها تجهز الى القاهرة وسائر البلاد وبالفسطاط مطابخ السكر والصابون ومعظم مايجري هذا المجرى لان القاهرة بنيت للاختصاص بالجند كما أن جميع زى الجند بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط وكذلك ماينسج ويصاغ وسائر مايعمل من الاشياء الرفيعة السلطانية والخراب فى الفسطاط كثير والقاهرة أجد وأعمر وأكثر زحمة بسبب انتقال السلطان اليها وسكنى الاجناد فيها وقد نفخ روح الاعتناء والنمو فى مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر يعني ابن سعيد ما بنى على شقة مصر من جهة النيل

ذكر ماعليه مدينة مصر الآن وصفتها

قد تقدم من الاخبار جملة تدل على عظم ماكان بمدينة فسطاط مصر من المباني وكثرتها ثم الاسباب التي أوجبت خرابها وآخر مارأيت من الكتب التي صنفت في خطط مصر كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل تأليف القاضي الرئيس تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج الزبيري رحمه الله وقطع على سنة خمس وعشرين وسبعمائة فذكر من الاخطاط المشهورة بذاتها لعهده اثنين وخمسين خطا ومن الحارات ثنتى عشرة حارة ومن الازقة المشهورة ستة وثمانين زقاقا ومن الدروب المشهورة ثلاثة وخمسين دربا ومن الخوخ المشهورة خمساً وعشرين خوخة ومن الاسواق المشهورة تسعة عشر سوقا ومن الخطط المشهورة بالدور ثلاثة عشر خطا ومن الرحاب المشهورة خمس عشرة رحبة ومن العقبات المشهورة احدى عشرة عقبة ومن الكيمان المسماة ستة كيمان ومن الاقباء عشرة أقباء ومن البرك خمس برك ومن السقائف خمساً وستين سقيفة ومن القياسر سبع قياسر ومن مطابخ السكر العامرة ستة وستين مطبخاً ومن الشوارع ستة شوارع ومن المحارس عشرين محرساً ومن الجوامع التي تقام فيها الجمعة بمصر وظاهرها من الجزيرة والقرافة أربعة عشر جامعاً ومن المساجد أربعمائة وثمانين مسجداً ومن المدارس سبع عشرة مدرسة ومن الزوايا ثماني زوايا ومن الربط التي بمصر والقرافة بضعاً وأربعين رباطا ومن الاحباس والاوقاف كثيراً ومن الحمامات بضعاً وسبعين حماما ومن الكنائس وديارات النصارى ثلاثين مابين دير وكنيسة وقد باد أكثر ماذكره ودثر وسيرد ماقاله من ذلك في مواضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (فأقول) ان مدينة مصر محدودة الآن بحدود أربعة * فحدها الشرقي اليوم من قلعة الجبل وأنت آخذ

الى باب القرافة فتمر من داخل السور الفاصل بين القرافة ومصر الى كوم الجارح وتمر من كوم الجارح وتجعل كيمان مصر كلها عن يمينك حتى تنتهي الى الرصد حيث أول بركة الحبش فهذا طول مصر من جهة المشرق وكان يقال لهـذه الجهة عمل فوق * وحدها الغربي من قناطر السباع خارج القاهرة الى موردة الحلفاء وتأخذ على شاطئ النيل الى دير الطين فهذا أيضاً طولها من جهة المغرب * وحدها القبلي من شاطئ النيل بدير الطين حيث ينتهي الحد الغربي الى بركة الحبش تحت الرصـد حيث انتهى الحد الشرقى فهذا عرض مصر من جهة الجنوب التي تسميها أهل مصر الجهة القبلية * وحدها البحري من قناطر السباع حيث ابتداء الحد الغربي الى قلعة الجبـل حيث ابتداء الحد الشرقي فهذا عرض مصر من جهة الشمال التي تعرف بمصر بالجهة البحرية وما بين هـذه الجهات الاربع فانه يطلق عليه الآن مصر فيكون أول عرض مصر في الغرب بحر النيل وآخر عرضها فى الشرق أول القرافة وأول طولها من قناطر السباع وآخره بركة الحبش فاذا عرفت ذلك ففى الجهة الغربية خط السبع سقايات ويجاوره الخليج وعليه من شرقيه حكر أقبغا. ومن غربيه المريس ومنشأة المهراني ويحاذى المنشأة من شرقى الخليج خط قنطرة السد وخط بين الزقاقين وخط موردة الحلفاء وخط الجامع الجديد ومن شرقى خط الجامع الجديد خط المراغة ويتصل به خط الكبارة وخط المعاريج ويجاور خط الجامع الجديد من بحريه الدور التي تطل على النيل وهى متصلة الى جسر الافرم المتصل بدير الطين وما جاوره الى بركة الحبش وهذه الجهة هي أعمر ما في مصر الآن وأما الجهة الشرقية فليس فيها شيء عامر الا قلعة الجبـل وخط المراغة المجاور لباب القرافة الى مشهد السيدة نفيسة ويجاور خط مشهد السيدة نفيسة من قبليه الفضاء الذى كان موضع الموقف والعسكر الى كوم الجارح ثم خط كوم الجارح وما بـين كوم الجارح الى آخر حدّ طول مصر عند بركة الحبش تحت الرصد فانه كيمان وهى الخطط التي ذكرها القضاعى وخربت في الشدة العظمى زمن المستنصر وعنـد حريق شاور لمصر كما تقدم وأما عرض مصر الذي من قناطر السباع الى القلعة فانه عامر ويشتمل على بركة الفيل الصغرى بجوار خط السبع سقايات ويجاور الدور التي على هذه البركة من شرقيها خط الكبش ثم خط جامع أحمـد بن طولون ثم خط القبيبات وينتهى الى الفضاء الذي يتصل بقلعة الجبل وأما عرض مصر الذي من شاطئ النيل بخط دير الطين الى تحت الرصد حيث بركة الحبش فليس فيه عمارة سوى خط دير الطين وما عدا ذلك فقد خرب بخراب الخطط وكان فيه خط بني وائل وخط راشـدة فأما خط السبع سقايات فانه من جملة الحمراء الدنيا وسيرد عند ذكر الاخطاط ان شاء الله تعالى وما عدا ذلك فانه يتبين من ذكر ساحل مصر

ذكر ساحل النيل بمدينة مصر

قد تقدم أن مدينة فسطاط مصر اختطها المسلمون حول جامع عمرو بن العاص وقصر الشمع وأن بحر النيل كان ينتهى الى باب قصر الشمع الغربي المعروف بالباب الجديد ولم يكن عند فتح أرض مصر بين جامع عمرو وبين النيل حائل ثم انحسر ماء النيل عن أرض تجاه الجامع وقصر الشمع فابتنى فيها عبد العزيز بن مروان وحاز منه بشر بن مروان لما قدم على أخيه عبد العزيز ثم حاز منه هشام بن عبد الملك في خلافته وبنى فيه فلما زالت دولة بنى أمية قبض ذلك في الصوافي ثم أقطعه الرشيد السري بن الحكم فصار في يد ورثته من بعده يكترونه ويأخذون حكره وذلك أنه كان قد اختط فيها المسلمون شيأ بعد شيء وصار شاطئ النيل بعد انحسار ماء النيل عن الارض المذكورة حيث الموضع الذي يعرف اليوم بسوق المعاريج * قال القضاعى كان ساحل أسفل الارض بازاء المعاريج القديم وكانت آثار المعاريج قائمة سبع درج حول ساحل البما الى ساحل البورى اليوم فعرف ساحل البوري بالمعاريج الجديد يعنى بالمعاريج الجديد موضع سوق المعاريج اليوم وكان من جملة خطط مدينة فسطاط مصر الحمراوات الثلاث فالحمراء الاولى من جملتها سوق وردان وكان يشرف بغربيه على النيل ويجاوره الحمراء الوسطى ومن بعضها الموضع الذى يعرف اليوم بالكبارة وكانت على النيل أيضاً وبجانب الكبارة الحمراء القصوى وهي من بحرى الحمراء الوسطى الى الموضع الذى هو اليوم خط قناطر السباع ومن جملة الحمراء القصوى خط خليج مصر من حد قناطر السباع الى تجاه قنطرة السد من شرقيها وبآخر الحمراء القصوى الكبش وجبل يشكر وكان الكبش يشرف على النيل من غربيه وكان الساحل القديم فيما بين سوق المعاريج اليوم الى دار التفاح بمصر وأنت مار الى باب مصر بجوار الكبارة وموضع الكوم المجاور لباب مصر من شرقيه فلما خربت مصر بحريق شاور بن مجير اياها صار هذا الكوم من حينئذ وعرف بكوم المشانيق فانه كان يشنق بأعلاه أرباب الجرائم ثم بنى الناس فوقه دورا فعرف الى يومنا هذا بكوم الكبارة وكان يقال لما بين سوق المعاريج وهذا الكوم لما كان ساحل النيل القالوص * قال القضاعى رأيت بخط جماعة من العلماء القالوص بألف والذى يكتب في هذا الزمان القلوص بحذف الالف فأما القلوص بحذف الالف فهى من الابل والنعام الشابة وجمعها قلص وقلاص وقلائص والقلوص من الحبارى الانثى الصغيرة فلعل هذا المكان سمى بالقلوص لانه في مقابلة الجمل الذى كان على باب الريحان الذى يأتي ذكره في عجائب مصر وأما القالوص بالالف فهى كلمة رومية ومعناها بالعربية مرحبا بك ولعل الروم كانوا يصفقون لراكب هذا الجمل ويقولون هذه الكلمة على عادتهم * وقال ابن المتوج والساحل القديم أوله من باب مصر المذكور يعني المجاور للكبارة والى المعاريج جميعه كان بحرا يجرى فيه ماء النيل وقيل ان سوق المعاريج

كان موردة سوق السمك يعني ماذكره القضاعي من أنه كان يعرف بساحل البوري ثم عرف بالمعاريج الجديد قال ابن المتوج ونقل أن بستان الجرف المقابل لبستان حوض ابن كيسان كان صناعة العمارة وأدركت أنا فيه بابها ورأيت زريبة من ركن المسجد المجاور للحوض من غربيه تتصل الى قبالة مسجد العادل الذى بمراغة الدواب الآن * (قال مؤلفه رحمه الله) بستان الجرف يعرف بذلك الى اليوم وهو على يمنة من سلك الى مصر من طريق المراغة وهو جارفي وقف الخانقاه التي تعرف بالواصلة بين الزقاقين وحوض ابن كيسان يعرف اليوم بحوض الطواشي تجاه غيط الجرف المذكور يجاوره بستان ابن كيسان الذى صار صناعة وقد ذكر خبر هذه الصناعة عند ذكر مناظر الخلفاء ويعرف بستان ابن كيسان اليوم ببستان الطواشي أيضاً وبين بستان الجرف وبستان الطواشي هذا مراغة مصر المسلوك منها الى الكبارة وباب مصر * قال ابن المتوج ورأيت من نقل عمن نقل عمن رأى هذا القلوص يتصل الى آدر الساحل القديم وأنه شاهد ماعليه من العمائر المطلة على بحر النيل من الرباع والدور المطلة وعد الاسطال التي كانت بالطاقات المطلة على بحر النيل فكانت عدتها ستة عشر ألف سطل مؤبدة ببكر مؤبد فيها أطناب ترخى بها وتملا أخبرني بذلك من أثق بنقله وقال انه أخبره به من يثق به متصلا بالمشاهد له الموثوق به قال وباب مصر الآن بين البستان الذى قبلي الجامع الجديد يعنى بستان العالمة وبين كوم المشانيق يعني كوم الكبارة ورأيت السور يتصل به الى دار النحاس وجميع مابظاهره شون ولم يزل هذا السور القديم الذى هو قبلي بستان العالمة موجوداً أراه وأعرفه الى أن اشترى أرضه من باب مصر الى موقف المكارية بالخشابين القديمة الامير حسام الدين طرنطاى المنصورى فأجر مكانه للعامة وصار كل من استأجر قطعة هدم مابها من البناء بالطوب اللبن وقلع الاساس الحجر وبنى به فزال السور المذكور ثم حدث الساحل الجديد * قال مؤلفه رحمه الله وهذا الباب الذى ذكره ابن المتوج كان يقال له باب الساحل وأول حفر ساحل مصر في سنة ست وثلاثين وثلثمائة وذلك أنه جف النيل عن بر مصر حتى احتاج الناس أن يستقوا من بحر الجيزة الذى هو فيما بين جزيرة مصر التى تدعى الآن بالروضة وبين الجيزة وصار الناس يمشونهم والدواب الى الجزيرة فحفر الاستاذ كافور الاخشيدي وهو يومئذ مقدم امراء الدولة لانوجور بن الاخشيد خليجا حتى اتصل بخليج بني وائل ودخل الماء الى ساحل مصر ثم انه لما كان قبل سنة ستمائة تقاص الماء عن ساحل مصر القديمة وصار فى زمن الاحتراق يقل حتى تصير الطريق الى المقياس يبسا فلما كان فى سنة ثمان وعشرين وستمائة خاف السلطان الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب من تباعد البحر عن العمران بمصر فأهم بحفر البحر من دار الوكالة بمصر الى صناعة التمر الفاضلية وعمل فيه بنفسه فوافقه على العمل في ذلك الجم

الغفير واستوى في المساعدة السوقة والامير وقسط مكان الحفر على الدور بالقاهرة ومصر والروضة والمقياس فاستمر العمل فيه من مستهل شعبان الى سلخ شوال مدة ثلاثة أشهر حتى صار الماء يحيط بالمقياس وجزيرة الروضة دائماً بعد ما كان عند الزيادة يصير جدولا رقيقا في ذيل الروضة فاذا اتصل بحر بولاق في شهر أبيب كان ذلك من الايام المشهودة بمصر فلما كانت أيام الملك الصالح وعمر قلعة الروضة أراد أن يكون الماء طول السنة كثيراً فيما دار بالروضة فأخذ في الاهتمام بذلك وغرق عدة مراكب مملوءة بالحجارة في بر الجيزة تجاه باب القنطرة خارج مدينة مصر ومن قبلي جزيرة الروضة فانعكس الماء وجعل البحر حينئذ يمر قليلا قليلا وتكاثر أولا فأولا في بر مصر من دار الملك الى قريب المقس وقطع المنشأة الفاضلية*

قال ابن المتوج عن موضع الجامع الجديد وكان في الدولة الصالحية يعني الملك الصالح نجم الدين أيوب رملة تمرغ الناس فيها الدواب في زمن احتراق النيل وجفاف البحر الذى هو أمامها فلما عمر السلطان الملك الصالح قلعة الجزيرة وصار في كل سنة يحفر هذا البحر بجنده ونفسه ويطرح بعض رمله في هذه البقعة شرع خواص السلطان فى العمارة على شاطئ هذا البحر فذكر من عمر على هذا البحر من قبالة موضع الجامع الجديد الآن الى المدرسة المعزية وذكر ماوراء هذه الدور من بستان العالمة المطل عليه الجامع الجديد وغيره ثم قال وانما عرف بالعالمة لانه كان قد حله السلطان الملك الصالح لهذه العالمة فعمرت بجانبه منظرة لها وكان الماء يدخل من النيل لباب المنظرة المذكورة فلما توفيت بقى البستان مدة في يد ورثتها ثم أخذ منهم وذكر أن بقعة الجامع الجديد كانت قبل عمارته شونا للاتبان السلطانية وكذلك ما يجاورها فلما عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الجامع الجديد كثرت العمائر من حد موردة الحلفاء على شاطئ النيل حتى اتصلت بدير الطين وعمر أيضاً ماوراء الجامع من حد باب مصر الذى كان بحراً كما تقدم الى حد قنطرة السد وأدركنا ذلك كله على غاية العمارة وقد اختل منذ الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة فخرب خط بين الزقاقين المطل من غربيه على الخليج ومن شرقيه على بستان الجرف ولم يبق به الا قليل من الدور وموضعه كما تقدم كان فى قديم الزمان غامراً بماء النيل ثم ربى جرفا وهو بين الزقاقين المذكور فعمر عمارة كبيرة ثم خرب الآن وخرب أيضاً خط موردة الحلفاء وكان فى القديم غامراً بالماء فلما ربى النيل الجرف المذكور وتربت الجزيرة قدام الساحل القديم الذي هو الآن الكبارة الى المعاريج وأنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون الجامع الجديد عمرت موردة الحلفاء هذه واتصلت من بحريها بمنشأة المهراني ومن قبليها بالاملاك التي تمتد من تجاه الجامع الجديد الى دير الطين وصارت موردة الحلفاء عظيمة تقف عندها المراكب بالغلال وغيرها ويملأ منها الناس الروايا وكان البحر لايبرح طول السنة هناك ثم صار ينشف في فصل الربيع

والصيف واستمر على ذلك الى يومنا هذا وخرب ماخلف الجامع الجديد أيضاً من الاماكن التي كانت بحراً تجاه الساحل القديم ثم لما انحسر الماء صارت مراغة للدواب فعرفت اليوم بالمراغة وهي من آخر خط قنطرة السد الى قريب من الكبارة ويحصرها من غربيها بستان الجرف المقدم ذكره وعدة دور كانت بستانا وشونا الى باب مصر ومن شرقيها بستان ابن كيسان الذى صار صناعة وعرف الآن ببستان الطواشي ولم يبق الآن بخط المراغة الا مساكن يسيرة حقيرة

ذكر المنشأة

اعلم أن خليج مصر كان يخرج من بحر النيل فيمر بطريق الحمراء القصوى وكان في الجانب الغربي من هذا الخليج عدة بساتين من جملتها بستان عرف ببستان الخشاب ثم خرب هذا البستان وموضعه الآن يعرف بالمريس فلما كان بعد الخمسمائة من سني الهجرة انحسر النيل عن أرض فيما بين ميدان اللوق الآتي ذكره في الاحكار ظاهر القاهرة ان شاء الله تعالى وبين بستان الخشاب المذكور فعرفت هذه الارض بمنشأة الفاضل لان القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني انشأ بها بستانا عظيماً كان يمير أهل القاهرة من ثماره وأعنابه وعمر بجانبه جامعاً وبنى حوله فقيل لتلك الخطة منشأة الفاضل وكثرت بها العمارة وأنشأ بها موفق الدين محمد بن أبي بكر المهدوى العثماني الديباجي بستانا دفع له فيه ألف دينار في أيام الظاهر بيبرس وكان الصرف قد بلغ كل دينار ثمانية وعشرين درهما ونصفاً فاستولى البحر على بستان الفاضل وجامعه وعلى سائر ما كان بمنشأة الفاضل من البساتين والدور وقطع ذلك حتى لم يبق لشيء منه أثر وما برح باعة العنب بالقاهرة ومصر تنادى على العنب بعد خراب بستان الفاضل هذا عدة سنين (رحم الله الفاضل ياعنب) اشارة لكثرة أعناب بستان الفاضل وحسنها وكان أكل البحر لمنشأة الفاضل هذه بعد سنة ستين وستمائة وكان الموفق الديباجي المذكور يتولى خطابة جامع الفاضل الذي كان بالمنشأة فلما تلف الجامع باستيلاء النيل عليه سأل الصاحب بهاء الدين بن حنا وألح عليه وكان من ألزامه حتى قام في عمارة الجامع بمنشأة المهراني ومنشأة المهراني هذه موضعها فيما بين النيل والخليج وفيها من الحمراء القصوى فوهة الخليج انحسر عنها ماء النيل قديماً وعرف موضعها بالكوم الاحمر من أجل انه كان يعمل فيها اقمنة الطوب فلما سأل الصاحب بهاء الدين بن حنا الملك الظاهر بيبرس فى عمارة جامع بهذا المكان ليقوم مقام الجامع الذى كان بمنشأة الفاضل أجابه الى ذلك وانشأ الجامع بخط الكوم الاحمر كما ذكر في خبره عند ذكر الجوامع فأنشأ هناك الامير سيف الدين بلبان المهراني داراً وسكنها وبنى مسجداً فعرفت هذه الخطة به وقيل لها منشأة المهراني فان المهراني المذكور أول من ابتنى فيها بعد بناء الجامع وتتابع الناس في البناء بمنشأة المهراني وأكثروا من العمائر حتى

يقال انه كان بها فوق الاربعين من امراء الدولة سوى من كان هناك من الوزراء وأمثل الكتاب وأعيان القضاة ووجوه الناس ولم تزل على ذلك حتى انحسر الماء عن الجهة الشرقية فخربت وبها الآن بقية يسيرة من الدور ويتصل بخط الجامع الجديد خط دار النحاس وهو مطل على النيل * ودار النحاس هذه من الدور القديمة وقد دثرت وصار الخط يعرف بها * قال القضاعي دار النحاس اختطها وردان مولى عمرو بن العاص فكتب مسلمة بن مخلد وهو أمير مصر الى معاوية يسأله أن يجعلها ديوانا فكتب معاوية الى وردان يسأله فيها وعوضه فيها دار وردان التي بسوقه الآن وقال ربيعة كانت هذه الدار من خطة الحجر من الازد فاشتراها عمر بن مروان وبناها فكانت فى يد ولده وقبضت عنهم وبيعت فى الصوافى سنة ثمان وثلثمائة ثم صارت الى شمول الاخشيدي فبناها قيسارية وحماما فصارت دار النحاس قيسارية شمول * وقال ابن المتوج دار النحاس خط نسب لدار النحاس وهو الآن فندق الاشراف ذو البابين أحدهما من رحبة امامة والثاني شارع بالساحل القديم وبآخر هذه الشقة التي تطل على النيل (جسر الافرم) وهو في طرف مصر فيما بين المدرسة المعزية وبين رباط الآثار كان مطلا على النيل دائماً والآن يحسر الماء عنه عند هبوط النيل وعرف بالامير عز الدين أيدمر الافرم الصالحي النجمي أمير جندار وذلك أنه لما استأجر بركة الشعيبية كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب جعل منها فدانين من غربيها أذن للناس في تحكيرها فحكرت وبنى عليها عدة دور بلغت الغاية فى اتقان العمارة وتنافس عظماء دولة الناصر محمد بن قلاون من الوزراء وأعيان الكتاب في المساكن بهذا الجسر وبنوا وتأنقوا وتفننوا في بديع الزخرفة وبالغوا في تحسين الرخام وخرجوا عن الحد في كثرة انفاق الاموال العظيمة على ذلك بحيث صار خط الجسر خلاصة العامر من أقليم مصر وسكانه ارق الناس عيشاً وأترف المتنعمين حياة وأوفرهم نعمة ثم خرب هذا الجسر بأسره وذهبت دوره * وأما الجهة الشرقية من مصر ففيها قلعة الجبل وقد أفردنا لها خبراً مستقلا يحتوى على فوائد كثيرة تضمنه هذا الكتاب فانظره ويتصل آخر قلعة الجبل بخط باب القرافة وهو من أطراف القطائع والعسكر ويلى خط باب القرافة الفضاء الذى كان يعرف بالعسكر وقد تقدم ذكره وكان بأطراف العسكر مما يلى كوم الجارح * (الموقف) قال ابن وصيف شاه فى أخبار الريان بن الوليد وهو فرعون نبي الله يوسف صلوات الله عليه ودخل الى البلد فى أيامه غلام من أهل الشام احتال عليه اخوته وباعوه وكانت قوافل الشام تعرس بناحية الموقف اليوم فأوقف الغلام ونودى عليه وهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم فاشتراه أطفين العزيز ويقال ان الذى أخرج يوسف من الجب مالك بن دعر بن حجر بن جزيلة بن لخم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن

زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان * وقال القضاعي كان الموقف فضاء لأم عبد الله بن مسلمة بن مخلد فتصدقت به على المسلمين فكان موقفاً تباع فيه الدواب ثم ملك بعد وقد ذكرته فى الظاهر يعني في خطط أهل الظاهر فان الموقف من جملة خطط أهل الظاهر * وقال ابن المتوج بقعة (خط الصفاء) هذا الخط دثر جميعه ولم يبق له أثر وهو قبلى الفسطاط أوله بجوار المصنع وخط الطحانين أدركته كان صفين طواحين متلاصقة متصلة من درب الصفاء الى كوم الجارح وأدركت به جماعة من أكابر المصريين أكثرهم عدول وكان المار بين هذين الصفين لايسمع حديث رفيقه اذا حدثه لقوة دوران الطواحين وكان من جملتها طاحون واحد فيه سبعة أحجار دثر جميع ذلك ولم يبق له أثر * قال وبقعة درب الصفاء هو الدرب الذي كان باب مصر وقيل انه كان بظاهره سوق يوسف عليه السلام وكان بابا بمصراعين يعلوهما عقد كبير وهو بعتبة كبيرة سفلى من صوان وكان بجوار المصنع الخراب الموجود الآن وكان حول المصنع عمد رخام بدائرة حاملة الساباط يعلوه مسجد معلق هدم ذلك جميعه في ولاية سيف الدين المعروف بابن سلار والى مصر في دولة الظاهر بيبرس وهذا الدرب يسلك منه الى درب الصفاء والطحانين * (قال مؤلفه رحمه الله) * كان هذا الباب المذكور أحد أبواب مدينة مصر وبابها الآخر من ناحية الساحل الذى موضعه اليوم باب مصر بجوار الكبارة وأنا أدركت آثار درب الصفاء المذكور والمصنع الخراب وكان يصب فيه الماء للسبيل وهو قريب من كوم الجارح وسيأتي ذكر كوم الجارح في ذكر الكيمان من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * وأما الذى يلى كوم الجارح الى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش فانها الخطط القديمة وأدركتها عامرة لاسيما خط النخالين وخط زقاق القناديل وخط المصاصة وقد خرب جميع ذلك وبيعت أنقاضه من بعد سنة تسعين وسبعمائة * وأما الجهة القبلية من مصر فان خط دير الطين حدثت العمارة فيه بعد سنة ستمائة لما أنشأ الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا الجامع هناك وعمر الناس في جسر الافرم وكان قبل ذلك آخر عمارة مدينة مصر دار الملك التي موضعها الآن بجوار المدرسة المعزية وأما موضع الجسر فانه كان بركة ماء تتصل بخط راشدة حيث جامع راشدة ومن قبلي هذه البركة البستان الذى كان يعرف ببستان الامير تميم بن المعز ويعرف اليوم بالمعشوق وهو وقف على رباط الآثار ويجاور المعشوق بركة الحبش وما بين خط دير الطين وآخر عرض مصر من الجهة القبلية طرف خط راشدة * وأما الجهة البحرية من مصر فانه يتصل بخط السبع سقايات الدور المطلة على البركة التي يقال لها بركة قارون وهي التي تجاور الآن حدرة ابن قميحة وهي من جملة الحمراء القصوى وبقبلي البركة المذكورة الكوم المعروف بالاسرى وهو من جملة العسكر وسيرد ان شاء الله تعالى ذكره عند ذكر الكيمان ويجاور البركة المذكورة خط الكبش

وقد ذكر في الجبال ويأتي ان شاء الله تعالى له خبر عند ذكر الاخطاط ويلي خط الكبش خط الجامع الطولوني ويلي خط الجامع القيبيات وخط المشهد النفيسي وجميع ذلك الى قلعة الجبل من جملة القطائع

ذكر أبواب مدينة مصر

وكان لفسطاط مصر أبواب في القديم خربت وتجدد لها بعد ذلك أبواب أخر *(باب الصفاء)* هذا الباب كان هو في الحقيقة باب مدينة مصر وهي في كالها ومنه تخرج العساكر وتعبر القوافل وموضعه الآن بالقرب من كوم الجارح وهدم في أيام الملك الظاهر بيبرس *(باب الساحل)* كان يفضى بسالكه الى ساحل النيل القديم وموضعه قريب من الكبارة *(باب مصر)* هذا الباب هو الذى بناه قراقوش ومنه يسلك الآن من دخل الى مدينة مصر من الطريق التي تعرف بالمراغة وهو مجاور للكوم الذى يقال له كوم المشانيق ويعرف اليوم بالكبارة وكان موضع هذا الباب غامرا بماء النيل فلما انحسر الماء عن ساحل مصر صار الموضع المعروف بالمراغة والموضع المعروف بغيط الجرف الى موردة الحلفاء فضاء لا يصل اليه ماء النيل البتة فأحب السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أن يدير سورا يجمع فيه القاهرة ومصر وقلعة الجبل فزاد في سور القاهرة على يد قراقوش من باب القنطرة الى باب الشعرية والى باب البحر يريد أن يمد السور من باب البحر الى الكوم الاحمر الذى هو اليوم حافة خليج مصر تجاه خط بين الزقاقين ليصل أيضا من الكوم الاحمر الى باب مصر هذا فلم يتهيأ له هذا وانقطع السور من عند جامع المقس وزاد في سور القاهرة أيضا من باب النصر الى قلعة الجبل فلم يكمل له ومد السور من قلعة الجبل الى باب القنطرة خارج مصر فصار هذا الباب غير متصل بالسور *(باب القنطرة)* هذا الباب في قبلي مدينة مصر عرف بقنطرة بني وائل التي كانت هناك وهو أيضا من بناء قراقوش

ذكر القاهرة قاهرة المعز لدين الله

اعلم أن القاهرة المعزية رابع موضع انتقل سرير السلطنة اليه من أرض مصر في الدولة الاسلامية وذلك أن الامارة كانت بمدينة الفسطاط ثم صار محلها العسكر خارج الفسطاط فلما عمرت القطائع صارت دار الامارة الى أن خربت فسكن الامراء بالعسكر الى أن قدم القائد جوهر بعساكر مولاه الامام المعز لدين الله معد فبنى القاهرة حصنا ومعقلا بين يدى المدينة وصارت القاهرة دار خلافة ينزلها الخليفة بحرمه وخواصه الى أن انقرضت الدولة الفاطمية فسكنها من بعدهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وابنه الملك العزيز عثمان وابنه الملك المنصور محمد ثم الملك العادل أبو بكر بن أيوب وابنه الملك الكامل محمد وانتقل من القاهرة الى قلعة الجبل فسكنها بحرمه وخواصه وسكنها الملوك من بعده الى يومنا هذا فصارت القاهرة

مدينة سكنى بعد ما كانت حصنا يعتقل به ودار خلافة يلتجأ اليها فهانت بعد العز وابتذلت بعد الاحترام وهذا شأن الملوك مازالوا يطمسون آثار من قبلهم ويميتون ذكر أعدائهم فقد هدموا بذلك السبب أكثر المدن والحصون وكذلك كانوا أيام العجم وفي جاهلية العرب وهم على ذلك في أيام الاسلام فقد هدم عثمان بن عفان صومعة غمدان وهدم الآطام التي كانت بالمدينة وقد هدم زياد كل قصر ومصنع كان لابن عامر وقد هدم بنو العباس مدن الشام لبني مروان (واذا تأملت البقاع وجدتها * تشقى كما تشقى الرجال وتسعد) وسيأتي من أخبار القاهرة والكلام على خططها وآثارها ماتنتهي اليه قدرتي ويصل الى معرفته علمي وفوق كل ذي علم عليم

ذكر ماقيل في نسب الخلفاء الفاطميين بناة القاهرة

اعلم أن القوم كانوا ينسبون الى الحسين بن على بن أبي طالب رضي الله عنهما والناس فريقان في أمرهم فريق يثبت صحة ذلك وفريق يمنعه وينفيهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزعم انهم أدعياء من ولد ديصان البوني الذي ينسب اليه النوبة وان ديصان كان له ابن اسمه ميمون القداح كان له مذهب في الغلو فولد ميمون عبد الله وكان عبد الله عالما بجميع الشرائع والسنن والمذاهب وأنه رتب سبع دعوات يندرج الانسان فيها حتى ينحل عن الاديان كلها ويصير معطلا أباحيا لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ويرى انه وأهل نحلته على هدى وجميع من خالفهم أهل ضلالة وأنه قصد بذلك أن يجعل له أتباعا وكان يدعو الى الامام من آل البيت محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وأنه كان من الاهواز واشتهر بالعلم والتشيع وصار له دعاة وقصد بالمكروه ففر الى البصرة فاشتهر أمره وسار منها الى سلمية من أرض الشام فولد له ابن بها اسمه أحمد ومات فقام من بعده أحمد وبعث بالحسين الاهوازي داعية الى العراق فلقى أحمد بن الاشعث المعروف بقرمط في سواد الكوفة ودعاه الى مذهبه فأجابه وقام هناك بالامر والى قرمط هذا تنسب القرامطة وولد لاحمد بن عبد الله بن ميمون القداح الحسين ومحمد المعروف بأبي الشلعلع فلما مات أحمد خلفه ابنه الحسين في الدعوة حتى مات فقام من بعده أخوه أبو الشلعلع وكان لاحمد بن عبد الله ولد اسمه سعيد فصار تحت حجر عمه وبعث أبو الشلعلع بداعيين الى المغرب وهما أبو عبد الله وأخوه أبو العباس فنزلا في البربر ودعوها واشتهر سعيد بسلمية بعد موت عمه وكثر ماله فطلبه السلطان ففر من سلمية الى مصر يريد المغرب وكان على مصر عيسى النوشرى فورد عليه كتاب الخليفة ببغداد بالقبض عليه ففاته وصار بسلجماسة فى زى التجار فبعث المعتضد من بغداد في طلبه فأخذ وحبس حتى أخرجه أبو عبد الله الشيعي من محبسه فتسمى حينئذ بعبيد الله وتكنى بأبي محمد وتلقب بالمهدى وصار اماما علويا من ولد محمد بن جعفر الصادق وانما هو سعيد بن الحسين بن أحمد

ابن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان البونى الاهوازى وأصله من المجوس فهذا قول من ينكر نسبهم وبعض منكرى نسبهم في العلوية يقول ان عبيد الله من اليهود وان الحسين ابن أحمد المذكور تزوج امرأة يهودية من نساء سلمية كان لها ابن من يهودى حداد مات وتركه لها فرباه الحسين وأدبه وعلمه ثم مات عن غير ولد فعهد الى ابن امرأته هذا فكان هو عبيد الله المهدى وهذه أقوال ان أنصفت تبين لك انها موضوعة فان بنى على بن أبى طالب رضي الله عنه قد كانوا اذ ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة فما الحامل لشيعتهم على الاعراض عنهم والدعاء لابن مجوسي أو لابن يهودى فهذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية فى الجهل والسخف وانما جاء ذلك من قبل ضعفة خلفاء بنى العباس عند ماغصوا بمكان الفاطميين فانهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحوا من مائتين وسبعين سنة وملكوا من بني العباس بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة وعجزت عساكر بني العباس عن مقاومتهم فلاذت حينئذ بتنفير الكافة عنهم باشاعة الطعن فى نسبهم وبث ذلك عنهم خلفاؤهم وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم الذين كانوا يحاربون عساكر الفاطميين كى يدفعوا بذلك عن أنفسهم وسلطانهم معرة العجز عن مقاومتهم ودفعهم عما غلبوا عليه من ديار مصر والشام والحرمين حتى اشتهر ذلك ببغداد وأسجل القضاة بنفيهم من نسب العلويين وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم الشريفان الرضي والمرتضى وأبو حامد الاسفرايني والقدورى في عدة وافرة عند ماجمعوا لذلك في سنة اثنتين وأربعمائة أيام القادر وكانت شهادة القوم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وأهلها انما هم شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب والمتطيرون من بني على بن أبى طالب الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم الافاعيل القبيحة فنقل الاخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه ورووه حسب ما تلقوه من غير تدبر والحق من وراء هذا وكفاك بكتاب المعتضد من خلائف بنى العباس حجة فانه كتب في شأن عبيد الله الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسلجماسة بالقبض على عبيد الله فتفطن أعزك الله لصحة هذا الشاهد فان المعتضد لولا صحة نسب عبيد الله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه اذ القوم حينئذ لا يدعون لدعى البتة ولا يذعنون له بوجه وانما ينقادون لمن كان علويا فخاف مما وقع ولو كان عنده من الادعياء لما مر له بفكر ولا خافه على ضيعة من ضياع الارض وانما كان القوم أعنى بني على بن أبى طالب تحت ترقب الخوف من بنى العباس لتطلبهم لهم في كل وقت وقصدهم اياهم دائما بأنواع من العقاب فصاروا مابين طريد شريد وبين خائف يترقب ومع ذلك فان لشيعتهم الكثيرة المنتشرة في أقطارهم من المحبة لهم والاقبال عليهم مالا مزيد عليه وتكرر قيام الرجال منهم مرة بعد مرة والطلب عليهم من ورائهم فلاذوا بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون

حتى تسمى محمد بن اسمعيل الامام جد عبيد الله المهدى بالمكتوم سماه بذلك الشيعة عند اتفاقهم على اخفائه حذرا من المتغلبين عليهم وكانت الشيعة فرقا فمنهم من كان يذهب الى أن الامام من ولد جعفر الصادق هو اسمعيل ابنه وهؤلاء يعرفون من بين فرق الشيعة بالاسماعيلية من أجل أنهم يرون أن الامام من بعد جعفر ابنه اسماعيل وأن الامام بعد اسماعيل بن جعفر الصادق هو ابنه محمد المكتوم وبعد ابنه محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق ومن بعد جعفر الصادق ابنه محمد الحبيب وكانوا أهل غلو فى دعاويهم فى هؤلاء الأئمة وكان محمد بن جعفر هذا يؤمل ظهوره وأنه يصير له دولة وكان باليمن من أهل هذا المذهب كثير بعدن وبافريقية وفى كتامة ونفره تلقوا ذلك من عهد جعفر الصادق فقدم على محمد بن جعفر والدعبيد الله رجل من شيعته باليمن فبعث معه الحسن بن حوشب فى سنة ثمان وستين ومائتين فاظهرا أمرهما باليمن وأشهرا الدعوة فى سنة سبعين وصار لابن حوشب دولة بصنعاء وبث الدعاة بأقطار الارض وكان من جملة دعاته أبو عبد الله الشيعي فسيره الى المغرب فلقى كتامة ودعاهم فلما مات محمد بن جعفر عهد لابنه عبيد الله فطلبه المكتفى العباسي وكان يسكن عسكر مكرم فسار الى الشام ثم سار الى المغرب فكان من أمره ما كان وكانت رجال هذه الدولة الذين قاموا ببلاد المغرب وديار مصر (٣) عشر رجلا هذه خلاصة أخبارهم فى أنسابهم فتفطن ولا تغتر بزخرف القول الذى لفقوه من الطعن فيهم والله يهدي من يشاء

* (ذكر الخلفاء الفاطميين) *

وكان ابتداء الدولة الفاطمية أن أبا عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكرياء الشيعي سار الى أبي القسم الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي القائم ببلاد اليمن وصار من كبار أصحابه وله علم وعنده دهاء ومكر فورد على ابن حوشب من المغرب خبر موت الحلواني داعيه في المغرب ورفيقه فقال لابى عبد الله الشيعي قد خرب الحلواني وأبو يوسف بلاد المغرب وقد ماتا وليس للبلاد الا أنت فانها موطأة ممهدة فخرج أبو عبد الله الى مكة وقصد حجاج كتامة فجلس قريباً منهم وسمعهم يحدثون بفضائل البيت فحدثهم في معناه فمالوا اليه وسألوه أن يأذن لهم في زيارته فلما زاروه سألوه عن مقصده فلم يخبرهم وأوهمهم أنه يريد مصر فسروا بصحبته ورحلوا وهو رفيقهم فشاهدوا من عبادته وزهده مازادهم رغبة فيه هذا وهو يسألهم عن أحوالهم وقبائلهم حتى صار يعرف جميع أمورهم فلما وصلوا مصر هم بمفارقتهم فقالوا أي شيء تطلب من مصر فقال أطلب التعليم بها فقالوا اذا كان قصدك هذا فبلادنا أنفع لك وما زالوا به حتى سار معهم فلما وصلوا بلادهم اقترعوا فيمن يضيفه منهم ومن بقية أصحابهم ووصلوا به أرض كتامة للنصف من ربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائتين وكادوا يحتربون

(٣) هكذا بياض بالاصل ولعله أربعة عشر رجلا كما يعلم من بعض التواريخ اه

عليه أيهم ينزل عنده فأبى أن ينزل عندهم وقال أين يكون فج الاخيار فعجبوا لذلك اذ لم يكونوا ذكروه له قط فدلوه عليه فسار اليه وقال هذا فج الاخيار وما سمي الا بكم ولقد جاء في الآثار للمهدى هجرة عن الاوطان ينصره فيها الاخيار من أهل ذلك الزمان قوم اسمهم مشتق من الكتمان وبخروجكم في هذا الفج سمى فج الاخيار فتسامعت به القبائل وأتوه فعظم أمره وهو لايذكر اسم المهدي البتة فبلغ خبره ابراهيم بن أحمد بن الاغلب أمير أفريقية فبعث يسأل عن خبره وكانت له معه قصص آلت الى قيام أبي عبدالله ومحاربته لمن خالفه فظفر بهم وصارت اليه أموالهم وغلب على مدائن وهزم جيوش ابن الاغلب وقتل كثيرا من أصحابه فمات ابراهيم بن الاغلب وولى زيادة الله بن الاغلب وكان كثير اللهو فقوى أمر أبي عبدالله وانتشرت جنوده في البلاد وصار يقول المهدي يخرج في هذه الايام ويملك الارض فياطوبى لمن هاجر الى وأطاعني ويغرى الناس بزيادة الله بن الاغلب ويعيبه وكان أكثر خواص زيادة الله شيعة فلم يكن يسوءهم ظفر أبي عبد الله وأكثر من ذكر كرامات المهدى والارسال الى أصحاب زيادة الله الى أن تمكن فبعث برجال من كتامة الى سلمية من أرض الشام فقدموا على عبيد الله وأخبروه بما فتح الله عليه وكان قد اشتهر هناك وطلبه الخليفة المكتفى فخرج من سلمية فارا ومعه ابنه أبو القاسم نزار ومعهما أهلهما ومواليهما فأقاما بمصر مستترين فوردت على عيسى النوشرى أمير مصر الكتب من بغداد بصفة عبيدالله وحليته وانه يأخذ عليه الطريق ويقبضه فبلغ ذلك عبيد الله فخرج والاعوان في طلبه ويقال ان النوشري ظفر به فناشده الله في أمره فخلى عنه ووصله فسار الى طرابلس وقد سبق خبره الى زيادة الله فسار الى قسطيلية فقدم كتاب زيادة الله بن الاغلب الى عامل طرابلس بأخذ عبيد الله وقد فاتهم فلم يدركوه فرحل الى سلجماسة وأقام بها وقد أقيمت له المراصد بالطرقات فتلطف باليسع بن مدرار صاحب سلجماسة وأهدى اليه فكف عنه ووافاه كتاب زيادة الله بالقبض على عبيد الله فلم يجد بدا من أن قبض عليه وسجنه واشتغل زيادة الله بجمع العساكر لمحاربة أبي عبد الله وتجهيزهم اليه فغلبهم أبو عبد الله وغنم سائر مامعهم وقتل أكثرهم وبلغه ماكان من سجن عبيد الله فكتب اليه يبشره فوصل اليه الكتاب وهو بالسجن مع قصاب دخل به اليه وهو يبيع اللحم وما زال أبو عبد الله يضايق زيادة الله الى أن فر الى مصر وقام من بعده ابراهيم بن الاغلب فلم يتم له أمر وملك أبو عبد الله القيروان ونزل برقادة مستهل رجب سنة ست وتسعين ومائتين فأمر ونهى وبث العمال في الاعمال وقتل من يخاف شره وأمر فنقش على السكة في أحد الوجهين بلغت حجة الله وفي الآخر تفرق أعداء الله ونقش على السلاح عدة في سبيل الله ووسم الخيل على أفخاذها الملك لله وأقام على ماكان عليه من لبس الخشن الدون وتناول القليل الغليظ من الطعام فلما

دخل شهر رمضان سار من رقادة في جيوش عظيمة اهتزلها المغرب بأسره يريد سلجماسة فحاربه اليسع يوما كاملا الى الليل ثم فر في خاصته فدخل أبو عبدالله من الغد الى البلد وأخرج عبيد الله وابنه ومشى في ركابهما بجميع رؤساء القبائل وهو يقول للناس هذا مولاكم وهو يبكي من شدة الفرح حتى وصل بهما الى فسطاط ضربه في العسكر فأنزلهما فيه وبعث الخيل في طلب اليسع فأدركته وجاءت به فقتله وأقام عبيد الله بسلجماسة أربعين يوما ثم سار الى أفريقية في ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ونزل برقادة وأمر يوم الجمعة أن يذكر في الخطبة وتلقب بالمهدى أمير المؤمنين فدعى له في جميع البلاد بذلك وجلس بعد الصلاة الدعاة ودعوا الناس كافة الى مذهبهم فمن أجاب قبل منه ومن أبي قتل وعرض جوارى زيادة الله واختار منهن لنفسه ولولده وفرق ما بقى على وجوه كتامة وقسم عليهم أعمال أفريقية ودون الدواوين وجبى الاموال ودانت له البلاد فشق ذلك على أبي عبد الله ونافس المهدى وحسده من أجل انه كف يده ويد أخيه أبي العباس فعظم عليه الفطام عن الامر والنهى والاخذ والعطاء وأقبل أبو العباس يزرى على المهدى في مجلس أخيه ويؤنب أخاه على ما فعل حتى أثر في نفسه فسأل المهدى أن يفوض اليه الامور ويجلس في القصر وكان قد بلغ المهدى ما يجهر به أبو العباس من السوء في حقه فرد أبا عبد الله ردا لطيفا وأسرها في نفسه وأكثر أبو العباس من قوله حتى أغرى المقدمين بالمهدى وقال ما هذا بالذى كنا نعتقد طاعته وندعو اليه لان المهدى يأتي بالآيات الباهرة فمال اليه جماعة وواجه بعضهم المهدى بذلك وقال له ان كنت المهدى فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك فبعد ما بين المهدى وبين أبي عبدالله وأوجس كل منهما فى نفسه خيفة من الآخر وأخذ أبو العباس يدبر في قتل المهدي والمهدي يحل ما كان يبرمه ثم رتب رجالا فلما ركب أبو عبدالله وأخوه الى قصر المهدى ثار بهما الرجال فقال أبو عبد الله لا تفعلوا فقالوا له ان الذى أمرنا بطاعته أمرنا بقتلك فقتل هو وأخوه للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة فثارت فتنة بسبب قتلهما فركب المهدى حتى سكنت وتتبع جماعة منهم فقتلهم فلما استقام له الامر عهد الى ابنه أبي القاسم وتتبع بني الاغلب فقتل منهم جماعة وجهز في سنة احدى وثلثمائة ابنه أبا القاسم بالعساكر الى مصر فأخذ برقة والاسكندرية والفيوم وكانت له مع عساكر مصر وعساكر العراق الواردة الى مصر مع مؤنس الخادم عدة حروب وعاد الى الغرب فجهز المهدى في سنة اثنتين وثلثمائة حباسة بجيوش الى مصر فغلب على الاسكندرية وكان من أمره ما تقدم ذكره وكان للمهدى ببلاد المغرب عدة حروب وكان يوجد فى الكتب خروج أبي يزيد النكارى على دولته فبنى المهدية وأدار عليها سورا جعل فيه أبوابا زنة كل مصراع منها مائة قنطار من حديد وكان ابتداء بنائها فى ذى القعدة سنة ثلاث وثلثمائة وبنى المصلى بظاهرها

وقال الى هنا يصل صاحب الحمار يعنى أبا يزيد فكان كذلك وأنشأ صناعة فيها تسعمائة شونة وقال انما بنيت هـذه لتعتصم الفواطم بها ساعة من نهار فكان كذلك ثم انه جهز ابنه أبا القاسم فى سنة ست وثلثمائة على جيش الى مصر فأخذ الاسكندرية وملك جزيرة الاشمونين وكثيرا من صعيد مصر وكانت هناك حروب مع عساكر مصر والعراق ثم عاد الى المغرب وخرج أبو القاسم فى سنة خمس عشرة بالجيوش الى المغرب لحارب قوما وعاد فمات عبيدالله فى ليلة الثلاثاء منتصف شهر ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة بالمهدية من القيروان عن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته أربعا وعشرين سنة وشهرا وعشرين يوما ولما مات أخفى ابنه موته وقام من بعد عبيد الله المهدى ولي عهده (القائم بأمر الله أبو القاسم محمد) ويقال كان اسمه بالمشرق عبد الرحمن فتسمى فى بلاد المغرب بمحمد وذلك بسلمية فى المحرم سنة ثمانين ومائتين فلما فرغ من جميع ما يريده وتمكن أظهر موت أبيه واستقل بالامر وله سبع وأربعون سنة وتبع سيرة أبيه وثار عليه جماعة فظفر بهم وبث جيوشه في البر والبحر فسبوا وغنموا من بلد جنوة وبعث جيشا الى مصر فملكوا الاسكندرية والاخشيد يومئذ أمير مصر فلما كان فى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة خرج عليه أبو يزيد مخلد بن كنداد النكارى الخارجي بأفريقية واشتدت شوكته وكثرت أتباعه وهزم جيوش القائم غير مرة وكان مذهبه تكفير أهل الملة واراقة دمائهم ديانة فملك باجة وحرقها وقتل الاطفال وسبى النسوان ثم ملك القيروان فاضطرب القائم وخاف الناس وهموا بالنقلة من زويلة وقوى أمر أبى يزيد ونازل المهدية وحصر القائم بها وكاد أن يغلب عليها فلما بلغ المصلى حيث أشار المهدى أنه يصل هزمه أصحاب القائم وقتلوا كثيرا من أصحابه وكانت له قصص وأنباء الى أن مات القائم لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وثلاثين وثلثمائة عن أربع وخمسين سنة وتسعة أشهر ولم يرق منبرا ولا ركب دابة لصيد مدة خلافته حتى مات وصلى مرة على جنازة وصلى بالناس العيد مرة واحدة وكانت مدة خلافته اثنى عشرة سنة وستة أشهر وأياما وترك أبا الظاهر اسمعيل وأبا عبد الله جعفر أو حمزة وعدنان وعدة أخر وقام من بعده ابنه *(المنصور بنصر الله أبو الظاهر اسمعيل)* وكتم موت أبيه خوفا أن يعلم أبو يزيد فانه كان قريبا منه وأبقى الامور على حالها ولم يتسم بالخليفة ولا غير السكة ولا الخطبة ولا البنود وجد فى حرب أبي يزيد حتى ظفر به وحمل اليه فمات من جراحات كانت به سلخ المحرم سنة ست وثلاثين وثلثمائة ولم يزل المنصور الى أن مات سلخ شوال سنة احدى وأربعين وثلثمائة عن احدى وأربعين سنة وخمسة أشهر وكانت مدة خلافته ثمان سنين وقيل سبع سنين وعشرة أيام وقد اختلف فى تاريخ ولادته فقيل ولد أول ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلثمائة بالمهدية وقيل بل ولد في سنة اثنتين وقيل سنة احدى وثلثمائة وكان خطيبا بليغا يرتجل الخطبة لوقتـه شجاعا

عاقلا وقام من بعده ابنه *(المعز لدين الله أبو تميم معد)* وعمره نحو أربع وعشرين سنة فانه ولد للنصف من رمضان سنة سبع عشرة وثلثمائة فانقاد اليه البربر وأحسن اليهم فعظم أمره واختص من مواليه بجوهر وكناه بأبي الحسين وأعلى قدره وصيره في رتبة الوزارة وعقد له على جيش كثيف فيهم الامير زيري بن مناد الصنهاجي فدوخ المغرب وافتتح مدنا وقهر عدة أكابر وأسرهم حتى أتى البحر المحيط فأمر باصطياد سمكة منه وسيرها فى قلة من ماء الى المعز اشارة الى أنه ملك حتى سكان البحر المحيط الذى لاعمارة بعده ثم قدم غانما مظفرا فعظم قدره عند المعز ولما كان في بعض الايام استدعى المعز في يوم شات عدة من شيوخ كتامة فدخلوا عليه في مجلس قد فرش باللبود وحوله كساء وعليه جبة وحوله أبواب مفتحة تفضى الى خزائن كتب وبين يديه دواة وكتب فقال يااخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد فقلت لام الامراء وانها الآن بحيث تسمع كلامى أترى اخواننا يظنون أنا في مثل هذا اليوم نأكل ونشرب ونتقلب في المثقل والديباج والحرير والفنك والسمور والمسك والخمر والقباء كما يفعل أرباب الدنيا ثم رأيت أن أنفذ اليكم فأحضرتكم لتشاهدوا حالى اذا خلوت دونكم واحتجبت عنكم وانى لاأفضلكم في أحوالكم الا بما لابد لي منه من دنياكم وبما خصنى الله به من امامتكم وانى مشغول بكتب ترد على من المشرق والمغرب أجيب عنها بخطى وانى لااشتغل بشيء من ملاذ الدنيا الا بما يصون أرواحكم ويعمر بلادكم ويذل أعداءكم ويقمع اضدادكم فافعلوا ياشيوخ في خلواتكم مثل ما افعله ولا تظهروا التكبر والتجبر فينزع الله النعمة عنكم وينقلها الى غيركم وتحننوا على من وراءكم ممن لايصل الى كتحننى عليكم ليتصل في الناس الجميل ويكثر الخير وينتشر العدل وأقبلوا بعدها على نسائكم والزموا الواحدة التي تكون لكم ولا تشرهوا الى التكثر منهن والرغبة فيهن فيتنغص عيشكم وتعود المضرة عليكم وتنهكوا أبدانكم وتذهب قوتكم وتضعف نحائزكم فحسب الرجل الواحد الواحدة ونحن محتاجون الى نصرتكم بأبدانكم وعقولكم واعلموا أنكم اذا لزمتم ما آمركم به رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب أمر المغرب بكم انهضوا رحمكم الله ونصركم فخرجوا عنه واستدعى يوما أبا جعفر حسين بن مهذب صاحب بيت المال وهو في وسط القصر قد جلس على صندوق وبين يديه ألوف صناديق مبددة فقال له هذه صناديق مال وقد شذ عني ترتيبها فانظرها ورتبها قال فأخذت أجمعها الى أن صارت مرتبة وبين يديه جماعة من خدام بيت المال والفراشين فأنفذت اليه أعلمه فأمر برفعها في الخزائن على ترتيبها وأن يغلق عليها وختم بخاتمه وقال قد خرجت عن خاتمنا وصارت اليك فكانت جملتها أربعة وعشرين ألف ألف دينار وذلك في سنة سبع وخمسين وثلثمائة فأنفقها أجمع على العساكر التي سيرها الى مصر من سنة ثمان وخمسين الى سنة اثنتين وستين وثلثمائة * ولما أخذ في تجهيز

جوهر بالعساكر الى أخذ ديار مصر حتى تهيأ أمره وبرز للمسير بعث المعز خفيفا الصقلي الى شيوخ كتامة يقول يااخواننا قد رأينـا أن ننفذ رجالا الى بلدان كتامة يقيمون بينهم ويأخذون صدقاتهم ومراعيهم ويحفظونها عليهم في بلادهم فاذا احتجنا اليها انفـذنا خلفها فاستعنا بها على مانحن بسبيله فقال بعض شيوخهم لخفيف لما بلغه ذلك قل لمولانا والله لافعلنا هذا أبدا كيف تؤدى كتامة الجزية ويصير عليها في الديوان ضريبة وقد أعزها الله قديما بالاسلام وحديثا معكم بالايمان وسيوفنا بطاعتكم في المشرق والمغرب فعاد خفيف الى المعز بذلك فأمر باحضار جماعة كتامة فدخلوا عليه وهو راكب فرسه فقال ماهذا الجواب الذى صدر عنكم فقالوا هـذا جواب جماعتنا ما كنا يامولانا بالذي يؤدى جزية تبقى علينا فقام المعز في ركابه وقال بارك الله فيكم فهكذا أريد أن تكونوا وانما أردت أن أختبركم فأنظر كيف أنتم بعدى فسار جوهر وأخذ مصر كما قد ذكر في ترجمته عند ذكر سور القاهرة من هذا الكتاب * فلما ثبتت قدم جوهر بمصر كتب اليه المعز جوابا عن كتابه وأما ما ذكرت ياجوهر من أن جماعة بني حمدان وصلت اليك كتبهم يبذلون الطاعة ويعدون بالمسارعة في المسير اليك فاسمع لما أذكره لك احذر ان تبتدئ أحدا من آل حمدان بمكاتبة ترهيباله ولا ترغيبا ومن كتب اليك كتابا منهم فأجبه بالحسن الجميل ولا تستدعه اليك ومن ورد اليك منهم فأحسن اليه ولا تمكن أحدا منهم من قيادة جيش ولا ملك طرف فبنو حمدان يتظاهرون بثلاثة أشياء عليهامدار العالم وليس لهم فيهانصيب يتظاهرون بالدين وليس لهم فيه نصيب ويتظاهرون بالكرم وليس لواحدمنهم كرم في الله ويتظاهرون بالشجاعة وشجاعتهم للدنيا لا للآخرة فاحذر كل الحذر من الاستناد الى أحد منهم * ولما عزم المعز على المسير الى مصر أجال فكره فيمن يخلفه في بلاد المغرب فوقع اختياره على جعفر بن على الامير فاستدعاه وأسر اليه أنه يريد استخلافه بالمغرب فقال تترك معي أحد أولادك أواخوتك يجلس في القصر وأنا أدبر ولا تسألني عن شيء من الاموال لان ماأجبيه يكون بازاء ماأنفقه من الاموال واذا أردت امرا فعلته من غير أن أنتظر ورود أمرك فيه لبعد مابين مصر والمغرب ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره الى فغضب المعز وقال ياجعفر عزلتني عن ملكي وأردت أن تجعل لي فيه شريكا في أمرى واستبددت بالاعمال والاموال دونى قم فقد أخطأت حظك وما أصبت رشدك فخرج عنه ثم انه استدعى يوسف بن زيرى الصنهاجي وقال له تأهب لخلافة المغرب فأكبر ذلك وقال يامولانا أنت وآباؤك الائمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ماصفا لكم المغرب فكيف يصفولى وأنا صنهاجي بربرى قتلتني يامولانا بغير سيف ولا رمح فما زال به المعز حتى أجاب بشريطة أن المعز يولى القضاء والخراج لمن يراه ويختاره ويجعل الخبر لمن يثق به ويجعله قائماً بين ايدى هؤلاء فمن استعصى عليهم يأمره هؤلاء به حتى يعمل به مايجب ويكون الامر لهم

ويصير كالخادم بين أولئك فأحب المعز ماقال وشكره فلما انصرف قال أبو طالب بن القائم بأمر الله للمعز يامولانا وتثق بهـذا القول من يوسف وأنه يقوم بوفاء ماذكر فقال المعز ياعمنا كم بين قول يوسف وقول جعفر فاعلم ياعم أن الامر الذى طلبه جعفر ابتداء هو آخر مايصير اليه امر يوسف واذا تطاولت المدة سينفرد بالامر ولكن هذا أولا أحسن وأجود عند ذوى العقل وهو نهاية مايفعله وكانت أم الامراء قد وجهت من المغرب صبية لتباع بمصر فعرضها وكيلها في مصر للبيع وطلب فيها ألف دينار فحضر اليه في بعض الايام امرأة شابة على حمار لتقلب الصبية فساومته فيها وابتاعتها منه بستمائة دينار فاذا هى ابنة الاخشيد محمد ابن طغج وقد بلغها خبر هذه الصبية فلما رأتها شغفتها حباً فاشترتها لتستمتع بها فعاد الوكيل الى المغرب وحدث المعز بذلك فأحضر الشيوخ وأمر الوكيل فقص عليهم خبر ابنة الاخشيد مع الصبية الى آخره فقال المعز ياإخواننا انهضوا الى مصر فلن يحول بينكم وبينها شئ فان القوم قد بلغ بهم الترف الى أن صارت امرأة من بنات الملوك فيهم تخرج بنفسها وتشترى جارية لتتمتع بها وما هذا الامن ضعف نفوس رجالهم وذهاب غيرتهم فانهضوا لمسيرنا اليهم فقالوا السمع والطاعة فقال خذوا فى حوائجكم فنحن نقدم الاختيار لمسيرنا ان شاءالله تعالى وكان قيصر ومظفر الصقلبيان قد بلغا رتبة عظيمة عند المنصور والد المعز وكان المظفر يدل على المعز من أجل أنه علمه الخط في صغره فحرد عليه مرة وولى فسمعه المعز يتكلم بكلمة صقلبية استراب منها ولقنها منـه وأنفت نفسه من السؤال عن معناها فأخذ يحفظ اللغات فابتدأ بتعلم اللغة البربرية حتى أحكمها ثم تعلم الرومية والسودانية حتى أتقنهما ثم أخذ يتعلم الصقلبية فمرت به تلك الكلمة فاذا هي سب قبيح فأمر بمظفر فقتل من أجـل تلك الكلمة وبلغه أمر الحرب التي كانت بين بنى حسن وبنى جعفر بالحجاز حتى قتل من بني حسن أكثر ممن قتل من بنى جعفر فأنفذ مالا ورجالا في السر مازالوا بالطائفتين حتى اصطلحتا وتحمل الرجال عن كل منهما الحمالات فجاء الفاضل في القتلى لبني حسن عند بنى جعفر نحو سبعين قتيلا فأدوا عنهم وعقـدوا بينهم الصلح في الحرم تجاه الكعبة وتحملوا عنهم الديات من مال المعز وكان ذلك في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة فصارت هذه الفعلة يدا عند بني حسن للمعز فلما ملك جوهر مصر بادر حسن بن جعفر الحسنى بالدعاء للمعز في مكة وبعث الى جوهر بالخبر فسيرالى المعز يعرفه باقامة الدعوة له بمكة فأنفذ اليه بتقليده الحرم وأعماله وسار المعز بعساكره من المغرب حتى نزل بالجيزة فعقد له جوهر جسراً جديداً عند المختار بالجزيرة فسار عليه وقد زينت له مدينة الفسطاط فلم يشقها ودخل الى القاهرة بجميع أولاده واخوته وسائر أولاد عبيد الله المهدى وبنوا بيت آبائه وذلك لسبع خلون من رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة فعند مادخل القصر صلى ركعتين فاقتـدى به من حضر وبات به ثم أصبح

فجلس للهناء وأمر فكتب في سائر مدينة مصر خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين على بن أبي طالب وأثبت اسم المعز لدين الله واسم أبيه عبد الله الامير وجلس في القصر على السرير الذهب وصلى بالناس صلاة عيد الفطر في المصلى فسبح في كل ركعة وفى كل سجدة ثلاثين تسبيحة ثم خطب بعد الصلاة وركب لفتح خليج مصر يوم الوفاء وعمل عيد غدير خم ومات بعض بنى عمه فصلى عليه وكبر سبعاً وكبر على ميت آخر خمساً وقدمت القرامطة الى مصر فسير اليهم الجيوش وهزموهم وما زال الى أن توفى من علة اعتلها بعد دخوله الى القاهرة بسنتين وسبعة أشهر وعشرة أيام وعمره خمس وأربعون سنة وستة أشهر تقريباً فان مولده بالمهدية في حادى عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمائة ووفاته بالقاهرة لاربع عشرة خلت من ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة وكانت مدة خلافته بالمغرب وديار مصر ثلاثا وعشرين سنة وعشرة أيام وهو أول الخلفاء الفاطميين بمصر واليه تنسب القاهرة المعزية لان عبده جوهرا القائد بناها حسب مارسم له كما ذكر في خبر بنائها * وكان المعز عالما فاضلا جوادا حسن السيرة منصفاً للرعية مغرما بالنجوم أقيمت له الدعوة بالمغرب كله وديار مصر والشام والحرمين وبعض أعمال العراق * وقام من بعده ابنه (العزيز بالله أبو منصور نزار) * فأقام في الخلافة احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما في الثامن والعشرين من رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة بمدينة بلبيس وحمل الى القاهرة * وقام من بعده ابنه (الحاكم بأمر الله أبو على منصور) * وكانت مدة خلافته الى أن فقد خمساً وعشرين سنة وشهراً وفقد وعمره ست وثلاثون سنة وسبعة أشهر في ليلة السابع والعشرين من شوال سنة احدى عشرة وأربعمائة وقد بسطت خبر العزيز والحاكم عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب * وقام من بعده ابنه (الظاهر لاعزاز دين الله أبو الحسن على) بن الحاكم بأمر الله ولد بالقاهرة يوم الاربعاء لعشر خلون من رمضان سنة خمس وتسعين وثلثمائة وبويع له بالخلافة يوم عيد النحر سنة احدى عشرة وأربعمائة وعمره ست عشرة سنة فخرج الى صلاة العيد وعلى رأسه المظلة وحوله العساكر وصلى بالناس في المصلى وعاد فكتب بخلافته الى الاعمال وشرب الخمر ورخص فيه للناس وفي سماع الغناء وشرب الفقاع وأكل الملوخيا وجميع الاسماك فأقبل الناس على اللهو ووزر له الخطير رئيس الرؤساء أبو الحسن عمار بن محمد وكان يلي ديوان الانشاء وغيره واستوزره الحاكم الى أن فقد فتولى البيعة للظاهر ثم قتل بعد سبعة أشهر في ربيع الاول سنة اثنتى عشرة فاستوزر بعده بدر الدولة أبا الفتوح موسى بن الحسين وكان يتولى الشرطة ثم ولى ديوان الانشاء بعد ابن خيران وصرف عن الوزارة فى المحرم سنة ثلاث عشرة وقبض عليه في شوال وقتل فوجد له من العين ستمائة ألف دينار

وعشرون ألف دينار وولى بعده الوزارة الامير شمس الملوك المكين مسعود بن طاهر *
وفى سنة أربع عشرة قلد منتخب الدولة الدربزى متولى قيسارية ولاية فلسطين فكانت له
مع حسان بن مفرح بن جراح الطائى حروب وفيها نزع السعر بمصر وتعذر وجود الخبز وفى
المحرم سنة خمس عشرة لقب الخادم الاسود معضاد بالقائد عز الدولة وسناءها أبى الفوارس
معضاد الظاهر وخلع عليه وثار رجل من بني الحسين ببلاد الصعيد فقبض عليه وأقر أنه قتل
الحاكم بأمر الله ووجد معه قطعة من جلد رأسه وقطعة من الفوطة التي كانت عليه فسئل
عن سبب قتله اياه فقال غرت لله وللاسلام ثم قتل نفسه بسكين كانت معه فقطعت رأسه
وسيرت الى القاهرة وفيها اشتد الغلاء بمصر وكثر نقص النيل * وفيها قرر الشريف الكبير
العجمى والشيخ نجيب الدولة الجرجراى والشيخ العميد محسن بن بدوس مع القائد معضاد
أن لايدخل على الظاهر أحد غيرهم وكانوا يدخلون كل يوم خلوة ويخرجون فيتصرفون
فى سائر أمور الدولة والظاهر مشغول بلذاته وصار شمس الملوك مظفر صاحب المظلة وابن
خيران صاحب الانشاء وداعى الدعاة ونقيب نقباء الطالبيين وقاضي القضاة ربما دخلوا على
الظاهر فى كل عشرين يوما مرة ومن عداهم لايصل الى الظاهر البتة والثلاثة الاول هم
الذين يقضون الاشغال ويمضون الامور بعد الاجتماع عند القائد معضاد ومنع الناس من ذبح
الابقار لقلتها وعزت الاقوات بمصر وقلت البهائم كلها حتى بيع الرأس البقر بخمسين دينارا
وكثر الخوف فى ظواهر البلد وكثر اضطراب الناس وتحدث زعماء الدولة بمصادرة التجار
فاختلف بعضهم على بعض وكثر ضجيج طوائف العسكر من الفقر والحاجة فلم يجابوا
وتحاسد زعماء الدولة فقبض على العميد محسن وضرب عنقه واشتد الغلاء وفشت الامراض
وكثر الموت فى الناس وفقد الحيوان فلم يقدر على دجاجة ولا فروج وعز الماء لقلة الظهر فعم
البلاء من كل جهة وعرض الناس أمتعتهم للبيع فلم يوجد من يشتريها وخرج الحاج فقطع
عليهم الطريق بعد رحيلهم من بركة الجب وأخذت أموالهم وقتل منهم كثير وعاد من بقى
فلم يحج أحد من أهل مصر وتفاقم الامر فى شدة الغلاء فصاح الناس بالظاهر الجوع الجوع
يا أمير المؤمنين لم يصنع بنا هذا أبوك ولا جدك فالله الله فى أمرنا وطرقت عساكر بن جراح
الفرما ففر أهلها الى القاهرة وأصبح الناس بمصر على أقبح حال من الامراض والموتان
وشدة الغلاء وعدم الاقوات وكثر الخوف من الدعار التي تكبس حتى انه لما عمل سماط عيد
النحر بالقصر كبس العبيد على السماط وهم يصيحون الجوع ونهبوا سائر ما كان عليه ونهبت
الارياف وكثر طمع العبيد ونهبهم وجرت أمور من العامة قبيحة واحتاج الظاهر الى القرض
فحمل بعض أهل الدولة اليه مالا وامتنع آخرون واجتمع نحو الالف عبد لتنهب البلد من
الجوع فنودى بأن من تعرض له أحد من العبيد فليقتله وندب جماعة لحفظ البلد واستعد

الناس فكانت نهبات بالساحل ووقائع مع العبيد احتاج الناس فيها الى أن خندقوا عليهم خنادق وعملوا الدروب على الازقة والشوارع وخرج معضاد في عسكر فطردهم وقبض على جماعة منهم ضرب أعناقهم وأخذ العبيد فى طلب الجرجراى وغيره من وجوه الدولة فحرسوا أنفسهم وامتنعوا في دورهم وانقضت السنة والناس في أنواع من البلاء * وفي سنة ست عشرة أمر الظاهر فأخرج من بمصر من الفقهاء المالكية وغيرهم وأمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الاسلام ومختصر الوزير وجعل لمن حفظ ذلك مالا * وفي سنة سبع عشرة ثار بمصر رعاف عظيم بالناس وكثرة زيادة النيل عن العادة وتصدق الظاهر بمائة الف دينار من أجل أنه سقط عن فرسه وسلم * وفى سنة ثمان عشرة وقعت الهدنة مع صاحب الروم وخطب للظاهر في بلاده وأعاد الجامع بقسطنطينية وعمل فيه مؤذنا فأعاد الظاهر كنيسة قمامة بالقدس وأذن لمن أظهر الاسلام في أيام الحاكم أن يعود الى النصرانية فرجع اليها كثير منهم وصرف الظاهر وزيره عميد الدولة وناصحها أبا محمد الحسن بن صالح الروذبادى وأقام بدله ابا القاسم على بن أحمد الجرجراي * وفي سنة عشرين كانت فتنة بين المغاربة والاتراك قتل فيها كثير * وفي سنة احدى وعشرين بويع لابن الظاهر بولاية العهد وعمره ثمانية أشهر وأنفق على ذلك في خلع لاهل الدولة وطعام ونثار للعامة ما يجل وصفه * وفي سنة اثنتين وعشرين تحرك السعر لنقص ماء النيل ثم زاد بعد أوانه باربعة أشهر * وفي سنة ثلاث وعشرين قتل الظاهر أحد الدعاة فاضطربت الرعية والجند وتحدث الناس بخلعه ثم سكنت الفتنة بعد انفاق مال جزيل * وفى سنة أربع وعشرين ركب ولى العهد من القاهرة الى مصر وقد زينت الطرقات فكان اذا مر بقوم قبلوا له الارض ونثر يومئذ على العامة مبلغ خمسة آلاف دينار فكان يوما عظيما * وفي سنة خمس وعشرين بث الظاهر دعاته ببغداد عند اختلاف الاتراك بها فكثرت دعاته هناك واستجاب لهم خلق كثير فلما كان فى سنة ست وعشرين كثر الوباء بمصر ومات الظاهر للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة عن اثنتين وثلاثين سنة الا اياما فكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية اشهر وأياما وكان مشغوفا باللهو محبا للغناء فتأنق الناس في أيامه بمصر واتخذوا المغنيات والرقاصات وبلغوا من ذلك مبلغا عظيما واتخذ حجرا لمماليكه وعلمهم أنواع العلوم وسائر فنون الحرب واتخذ خزانة البنود وأقام فيها ثلاثة آلاف صانع وراسل الملوك واستكثر من شراء الجواهر وكانت مملكته بافريقية ومصر والشام والحجاز وغلب صالح بن مرداس على حلب في أيامه واستولى على ما يليها وتغلب حسان بن جراح على اكثر بلاد الشام فتضعضعت الدولة * وقام من بعده ابنه ولي العهد وبويع له وهو (المستنصر بالله أبو تميم معد) * ومولده في السادس عشر من جمادى الآخرة سنة عشرين واربعمائة

وبويع بالخلافة للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وعمره يومئذ سبع سنين فأقام ستين سنة وأشهرا في الخلافة كانت فيها أنباء وقصص شنيعة بديار مصر منها أن أمه كانت أمة سوداء لتاجر يهودى يقال له أبو سعد سهل بن هرون التسترى فابتاعها منه الظاهر واستولدها المستنصر فلما أفضت الخلافة اليه استدنت أمه أبا سعد ورقته درجة علية وكان الوزير يومئذ ابا القاسم الجرجراى فلم يتمكن ابو سعد من اظهار ما في نفسه حتى مات الجرجراى وتولى أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحي الوزارة فانبسطت يد أبى سعد وصار الفلاحي يأتمر بأمره فعمل عليه وقتله كما ذكر في خبر خزانة البنود فحقدت أم المستنصر على الفلاحي وصرفته عن الوزارة واستقر أبو البركات صفى الدين الحسين بن محمد بن احمد الجرجراى فى الوزارة * وفى سنة أربعين سار ناصر الدولة الحسين بن حمدان متولي دمشق بالعساكر الى حلب وحارب متوليها ثمال بن صالح بن مرداس ثم رجع بغير طائل فقلد مظفر الصقلبي دمشق وقبض على ابن حمدان وصادره واعتقله بصور ثم بالرملة وخرج أمير الامراء رفق الخادم على عسكر تبلغ عدته نحو الثلاثين الفا بلغت النفقة عليه اربعمائة الف دينار يريد الشام ومحاربة بني مرداس * وفي المحرم سنة احدى وأربعين صرف قاضى القضاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان عن القضاء بعد ما باشره ثلاث عشرة سنة وشهرا وأربعة أيام وتقلد وظيفة القضاء بعده القاضى الاجل خطير الملك أبو محمد البازورى * وفيها حارب رفق بني مرداس فظفروا به وأسروه فمات بقلعة حلب فأفرج عن ابن حمدان وبقى بالحضرة وقبض على الوزير أبى البركات الجرجراى ونفى الى الشام وعمل أبو المفضل صاعد ابن مسعود واسطة لا وزيرا ثم قلد قاضى القضاة ابو محمد البازورى الوزارة مع وظيفة القضاء ولقب بسيد الوزراء * وفي سنة اثنتين وأربعين كانت حروب البحيرة واخراج بنى قرة منها وانزال بني سنبس بعدهم بها وفيها دعا على بن محمد الصليحي باليمن للمستنصر وبعث اليه بمال النجوة والهدن * وفي سنة أربع وأربعين كتب ببغداد محاضر بالقدح في نسب الخلفاء المصريين ونفيهم من الانتساب الى على بن أبي طالب وسيرت الى الآفاق وقصر مد النيل فتحرك السعر بمصر ثم قصر أيضاً مد النيل في سنة ست وأربعين فقوى الغلاء وكثر الموت في الناس * وفى سنة ثمان وأربعين خرج أبو الحارث البساسيرى من بغداد منتميا للمستنصر فسيرت اليه الاموال والخلع * وفي سنة ثمان وأربعين عادت حلب الى مملكة المستنصر * وفي سنة خمسين قبض على الوزير الناصر للدين أبي محمد البازورى وتقلد بعده الوزارة أبو الفرج محمد بن جعفر المغربى ابن عبد الله بن محمد وولى القضاء بعد البازورى أبو علي أحمد بن عبد الحكيم ثم صرف بعبد الحاكم المليحي وفيها أخذ البساسيرى بغداد وأقام فيها الخطبة للمستنصر وفر الخليفة القائم بأمر الله العباسى الى قريش بن بدران فبعث به الى

غانة وسيرت ثياب القائم وعمامته وغير ذلك من الاموال الى مصر وفيها سار ناصر الدولة الى دمشق أميراً عليها * وفي سنة احدى وخمسين أقيمت دعوة المستنصر بالبصرة وواسط وجميع تلك الاعمال فقدم طغريل الى بغداد وأعاد الخليفة القائم بعد ماخطب للمستنصر ببغداد اربعون خطبة وقتل البساسيري وفيها قطعت خطبة المستنصر أيضاً من حلب فسار اليها ابن حمدان وحارب أهلها فانكسر كسرة شديدة شنيعة وعاد الى دمشق وفيها صرف أبو الفرج بن المغربي عن الوزارة وعبد الحاكم عن القضاء وأعيد الى الوزارة أبو الفرج البابلي واستقر في وظيفة القضاء أحمد بن أبي زكري * وفي سنة ثلاث وخمسين كثر صرف الوزراء والقضاة وولايتهم لكثرة مخالطة الرعاع للخليفة وتقدم الاراذل بحيث كان يصل اليه فى كل يوم ثمانمائة رقعة فيها المرافعات والسعايات فاشتبهت عليه الامور وتناقضت الاحوال ووقع الاختلاف بين عبيد الدولة وضعفت قوى الوزراء عن التدبير لقصر مدة كل منهم وخربت الاعمال وقل ارتفاعها وتغلب الرجال على معظمها مع كثرة النفقات والاستخفاف بالامور وطغيان الاكابر الى أن آل الامر الى حدوث الشدة العظمى كما قد ذكر في موضعه من هذا الكتاب وكان من قدوم أمير الجيوش بدر الجمالي في سنة ست وستين وأربعمائة وقيامه بسلطنة مصر ماذكر فى ترجمته عند ذكر أبواب القاهرة فلم يزل المستنصر مدة أمير الجيوش ملجما عن التصرف الى أن مات فى سنة سبع وثمانين فأقام العسكر من بعده فى الوزارة ابنه الافضل شاهنشاه فباشر الامور يسيراً ومات المستنصر ليلة الخميس لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة سبع وثمانين عن سبع وستين سنة وخمسة أشهر منها فى الخلافة ستون سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام مرت فيها أهوال عظيمة وشدائد آلت به الى أن جلس على نخ وفقد القوت فلم يقدر عليه حتى كانت امرأة من الاشراف تتصدق عليه فى كل يوم بقعب فيه فتيت فلا يأكل سواه مرة في كل يوم وقد مر فى غير موضع من هذا الكتاب كثير من أخباره فلما مات المستنصر أقام الافضل بن أمير الجيوش في الخلافة من بعده ابنه (المستعلى بالله أبا القاسم أحمد) * وكان مولده في العشرين من المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة فخالف عليه أخوه نزار وفر الى الاسكندرية وكان القائم بالامور كلها الافضل فحاربه حتى ظفر به وقتله كما تقدم في خبر أفتكين عند خزائن القصر * وفي سنة تسعين وقع بمصر غلاء ووباء وقطعت الخطبة من دمشق للمستعلى وخطب بها للعباسي وخرج الفرنج من قسطنطينية لاخذ سواحل الشام وغيرها من ايدى المسلمين فملكوا انطاكية * وفي سنة احدى وتسعين خرج الافضل بعسكر عظيم من القاهرة فأخذ بيت المقدس من الارمن وعاد الى القاهرة * وفي سنة اثنتين وتسعين ملك الفرنج الرملة وبيت المقدس فخرج الافضل بالعساكر وسار الى عسقلان فسار اليه الفرنج وقاتلوه وقتلوا كثيرا من أصحابه وغنموا منه شيأ كثيرا وحصروه فنجا بنفسه

في البحر وصار الى القاهرة * وفى سنة ثلاث وتسعين عم الوباء أكثر البلاد فهلك بمصر عالم عظيم * وفى سنة أربع وتسعين خرج عسكر مصر لقتال الفرنج وكانت بينهما حروب كثيرة * وفى سنة خمس وتسعين وأربعمائة مات المستعلى بالله لثلاث عشرة بقيت من صفر وعمره سبع وعشرون سنة وسبعة وعشرون يوما ومدة خلافته سبع سنين وشهران وفى أيامه اختلت الدولة وانقطعت الدعوة من اكثر مدن الشام فانها صارت بين الاتراك والفرنج وصارت الاسماعيلية فرقتين فرقة نزارية تطعن في امامة المستعلى وفرقة ترى صحة خلافته ولم يكن للمستعلى مع الافضل أمر ولا نهى ولا نفوذ كلمة وقيل انه سمّ وقيل بل قتل سرا * فلما مات أقام الافضل من بعده في الخلافة ابنه (الآمر باحكام الله أبا على منصورا) وعمره خمس سنين وشهر وأيام فقتل الافضل فى أيامه وأقام في الخلافة تسعاً وعشرين سنة وثمانية أشهر ونصفا وقد ذكرت ترجمته عند ذكر الجامع الاقمر في ذكر الجوامع من هذا الكتاب ولما قتل الآمر باحكام الله أقيم من بعده (الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد) ابن الامير أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله وكان قد ولد بعسقلان في المحرم سنة سبع وقيل في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة لما أخرج المستنصر ابنه أبا القاسم مع بقية أولاده في أيام الشدة فلذلك كان يقال له في أيام الآمر باحكام الله الامير عبد المجيد العسقلاني ابن عم مولانا * ولما قتل النزارية الخليفة الآمر أقام برغش وهزار الملوك الامير عبد المجيد في دست الخلافة ولقباه بالحافظ لدين الله وانه يكون كفيلا لمنتظر في بطن أمه من أولاد الآمر واستقر هزار الملوك وزيرا فثار العسكر وأقاموا أبا على بن الافضل وزيرا وقتل هزار الملوك ونهب شارع القاهرة وذلك كله في يوم واحد فاستبد أبو على بالوزارة يوم السادس عشر من ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة وقبض على الحافظ وسجنه مقيدا فاستمر الى أن قتل أبو على في سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين فأخرج من معتقله وأخذ له العهد على انه ولي عهد كفيل لمن يذكر اسمه فاتخذ الحافظ هذا اليوم عيدا سماه عيد النصر وصار يعمل كل سنة ونهبت القاهرة يومئذ وقام يانس صاحب الباب بالوزارة الى أن هلك في ذي الحجة منها بعد تسعة أشهر فلم يستوزر الحافظ بعده أحداً وتولى الامور بنفسه الى سنة ثمان وعشرين فأقام ابنه سليمان ولي عهده مقام وزير فلم تطل أيامه سوى شهرين ومات فجعل مكانه ابن حيدرة فخنق ابنه حسن وثار بالفتنة وكان من أمره ما ذكر في خبر الحارة اليانسية من هذا الكتاب فلما قتل حسن قام بهرام الارمني وأخذ الوزارة فى جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وكان نصرانيا فاشتد ضرر المسلمين من النصارى وكثرت أذيتهم فسار رضوان بن ولخشى وهو يومئذ متولي الغربية وجمع الناس لحرب بهرام وسار الى القاهرة فانهزم بهرام ودخل رضوان القاهرة واستولى على الوزارة في جمادى الاولى سنة احدى

وثلاثين فاوقع بالنصارى وأذلهم فشكره الناس الا أنه كان خفيفاً عجولا فأخذ في اهانة حواشي الخليفة وهم بخلعه وقال ما هو بامام وانما هو كفيل لغيره وذلك الغير لم يصح فتوحش الحافظ منه وما زال يدبر عليه حتى ثارت فتنة انهزم فيها رضوان وخرج الى الشام فجمع وعاد فى سنة أربع وثلاثين فجهز له الحافظ العساكر لمحاربته فقاتلهم وانهزم منهم الى الصعيد فقبض عليه واعتقل فلم يستوزر الحافظ أحداً بعده الى أن كانت سنة ست وثلاثين فغلت الاسعار بمصر وكثر الوباء وامتد الى سنة سبع وثلاثين فعظم الوباء * وفي سنة اثنتين وأربعين خلص رضوان من معتقله بالقصر وخرج من نقب وثار بجماعة وكانت فتنة آلت الى قتله * وفي سنة أربع وأربعين ثارت فتنة بالقاهرة بين طوائف العسكر فمات الحافظ ليلة الخامس من جمادى الآخرة عن سبع وسبعين سنة منها مدة خلافته ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وتسعة عشر يوما أصابته فيها شدائد كثيرة وكان حازما سيوساً كثير المداراة عارفاً جماعاً للمال مغري بعلم النجوم يغلب عليه الحلم * فلما مات والفتنة قائمة أقيم ابنه (الظاهر بأمر الله أبو منصور اسمعيل)* ومولده للنصف من ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة فأقام فى الخلافة أربع سنين وثمانية أشهر الا خمسة أيام وكان محكوماً عليه من الوزارة وفي أيامه أخذت عسقلان فظهر الخلل في الدولة وقد ذكرت أخباره في خط الخشيبة عند ذكر الخطط من هذا الكتاب * فلما قتل أقيم من بعده ابنه (الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى)* أقامه فى الخلافة بعد مقتل أبيه الوزير عباس وعمره خمس سنين فقدم طلائع بن رزيك والي الاشمونين بجموعه الى القاهرة ففر عباس واستولى طلائع على الوزارة وتلقب بالصالح وقام بأمر الدولة الى أن مات الفائز لثلاث عشرة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين عن احدى عشرة سنة وستة أشهر ويومين منها في الخلافة ست سنين وخمسة أشهر وأيام لم ير فيها خيرا فانه لما أخرج ليقام خليفة رأى أعمامه قتلى وسمع الصراخ فاختل عقله وصار يصرخ حتى مات * فأقام الصالح بن رزيك في الخلافة بعده (العاضد لدين الله أبا محمد عبد الله)* ابن الامير يوسف بن الحافظ لدين الله ومولده لعشر بقين من المحرم سنة ست وأربعين وخمسمائة وكان عمره يوم بويع نحو احدى عشرة سنة وقام الصالح بتدبير الامور الى أن قتل في رمضان سنة ست وخمسين كما ذكر فى خبره عند ذكر الجوامع فقام من بعده ابنه رزيك بن طلائع وحسنت سيرته فعزل شاور بن مجير السعدي عن ولاية قوص فلم يقبل العزل وحشد وسار على طريق الواحات فى البرية الى تروجة فجمع الناس وسار الى القاهرة فلم يثبت رزيك وفر فقبض عليه باطفيح واستقر شاور فى الوزارة لايام خلت من صفر سنة ثمان وخمسين فأقام الى أن ثار ضرغام صاحب الباب ففر منه الى الشام واستبد ضرغام بالوزارة فقتل أمراء الدولة وأضعفها بسبب ذهاب

أكابرها فقدم الفرنج ونازلوا مدينة بلبيس مدة ودافعهم المسلمون عدة مرار حتى عادوا الى بلادهم بالساحل ورجع العسكر الى القاهرة وقد قتل منهم كثير فوصل شاور بعساكر الشام في جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين لمحاربة ضرغام على بلبيس بعساكر مصر وكانت لهم منه معارك انهزموا في آخرها وغنم شاور ومن معه سائر ماخرجوا به وكان شيئاً جليلا فسروا بذلك وساروا الى القاهرة فكانت بين الفريقين حروب آلت الى هزيمة ضرغام وقتله فى شهر رمضان منها فاستولى شاور على الوزارة مرة ثانية واختلف مع الغز القادمين معه من الشام وكانت له معهم حروب آلت الى أن شاور كتب الى مرى ملك الفرنج يستدعيه الى القاهرة ليعينه على محاربة شيركوه ومن معه من الغز فحضر وقد صار شيركوه في مدينة بلبيس فخرج شاور من القاهرة ونزل هو ومري على بلبيس وحصرا شيركوه ثلاثة أشهر ثم وقع الصلح فسار شيركوه بالغز الى الشام ورحل الفرنج وعاد شاور الى القاهرة فى سنة ستين وخمسمائة فلم يزل الى أن قدم شيركوه من الشام بالعساكر مرة ثانية فى ربيع الآخر فخرج شاور من القاهرة الى لقائه واستدعى مرى ملك الفرنج فسار شيركوه على الشرق وخرج من اطفيح فسار اليه شاور بالفرنج وكانت له معه الوقعة المشهورة فسار شيركوه بعد الوقعة من الاشمونين وأخذ الاسكندرية وعاد شاور الى القاهرة وخرج شيركوه من الاسكندرية بعد أن استخلف عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ولم يزل يسير من الاسكندرية الى قوص وهو يجبي البلاد فخرج شاور من القاهرة بالفرنج ونازل الاسكندرية فبلغ شيركوه ذلك فعاد من قوص الى القاهرة وحصرها ثم كانت أمور آخرها مسير شيركوه وأصحابه من أرض مصر الى الشام فى شوال وقد طمع الفرنج فى البلاد وتسلموا أسوار القاهرة وأقاموا فيها شحنة معه عدة من الفرنج لمقاسمة المسلمين مايتحصل من مال البلد وفحش أمر شاور وساءت سيرته وكثر تجريه على الدماء واتلافه للاموال فلما كان فى سنة أربع وستين قوى تمكن الفرنج فى القاهرة وجاروا فى حكمهم بها وركبوا المسلمين بأنواع الاهانة فسار مرى يريد أخذ القاهرة ونزل على مدينة بلبيس وأخذها عنوة فكتب العاضد الى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستصرخه ويحثه على نجدة الاسلام وانقاذ المسلمين من الفرنج فجهز أسد الدين شيركوه فى عسكر كثير وجهزهم وسيرهم الى مصر وقد أحرق شاور مدينة مصر كما تقدم ونزل مرى ملك الفرنج على القاهرة وألح فى قتال أهلها حتى كاد أن يأخذها عنوة فسير اليه شاور وخادعه حتى رضي بمال يجمعه له فشرع فى جبايته واذا بالخبر ورد بقدوم شيركوه فرحل الفرنج عن القاهرة فى سابع ربيع الآخر ونزل شيركوه على القاهرة بالغز ثالث مرة فخلع عليه العاضد وأكرمه فأخذ شاور يفتك بالغز على عادته فكان من قتله ماذكر

فى موضعه وذلك فى سابع عشر ربيع الآخر المذكور وتقلد شيركوه وزارة العاضد وقام
بالدولة شهرين وخمسة أيام ومات فى الثاني والعشرين من جمادى الآخرة ففوض العاضد
الوزارة لصلاح الدين يوسف بن أيوب فساس الامور ودبر لنفسه فبذل الاموال وأضعف
العاضد باستنفاد ما عنده من المال فلم يزل أمره فى ازدياد وأمر العاضد فى نقصان وصار
يخطب من بعد العاضد للسلطان محمود نور الدين وأقطع أصحابه البلاد وأبعد أهل مصر
وأضعفهم واستبد بالامور ومنع العاضد من التصرف حتى تبين للناس ما يريده من ازالة
الدولة الى أن كان من واقعة العبيد ما ذكرنا فأبادهم وأفناهم ومن حينئذ تلاشى العاضد
وانحل أمره ولم يبق له سوى اقامة ذكره في الخطبة فقط هذا وصلاح الدين يوالى الطلب
منه في كل يوم ليضعفه فأتى على المال والخيل والرقيق وغير ذلك حتى لم يبق عند العاضد
غير فرس واحد فطلبه منه وألجأه الى ارساله وأبطل ركوبه من ذلك الوقت وصار لايخرج
من القصر البتة وتتبع صلاح الدين جند العاضد وأخذ دور الامراء واقطاعاتهم فوهبها
لاصحابه وبعث الى أبيه واخوته وأهله فقدموا من الشام عليه فلما كان في سنة ست وستين
أبطل المكوس من ديار مصر وهدم دار المعونة بمصر وعمرها مدرسة للشافعية وأنشأ
مدرسة أخرى للمالكية وعزل قضاة مصر الشيعة وقلد القضاء صدر الدين عبد الملك بن
درباس الشافعي وجعل اليه الحكم في اقليم مصر كله فعزل سائر القضاة واستناب قضاة
شافعية فتظاهر الناس من تلك السنة بمذهب مالك والشافعي رضى الله عنهما واختفى مذهب
الشيعة الى نسى من مصر وأخذ في غزو الفرنج فخرج الى الرملة وعاد فى ربيع الاول ثم
سار الى ايلة ونازل قلعتها حتى أخذها من الفرنج في ربيع الآخر ثم سار الى الاسكندرية
ولم شعث سورها وعاد وسير توران شاه فاوقع باهل الصعيد وأخذ منهم مالا يمكن وصفه
كثرة وعاد فكثر القول من صلاح الدين وأصحابه فى ذم العاضد وتحدثوا بخلعه واقامة
الدعوة العباسية بالقاهرة ومصر ثم قبض على سائر من بقى من أمراء الدولة وأنزل أصحابه
في دورهم فى ليلة واحدة فأصبح في البلد من العويل والبكاء ما يذهل وتحكم أصحابه في
البلد بايديهم وأخرج اقطاعات سائر المصريين لاصحابه وقبض على بلاد العاضد ومنع عنه
سائر مواده وقبض على القصور وسلمها الى الطواشي بهاء الدين قراقوش الاسدى وجعله
زمامها فضيق على أهل القصر وصار العاضد معتقلا تحت يده وأبطل من الأذان حي على
خير العمل وأزال شعار الدولة وخرج بالعزم على قطع خطبة العاضد فمرض ومات
وعمره احدى وعشرون سنة الا عشرة أيام منها في الخلافة احدى عشرة سنة وستة أشهر
وسبعة أيام وذلك في ليلة يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة بعد قطع اسمه من الخطبة
والدعاء للمستنجد العباسي بثلاثة أيام وكان كريما لين الجانب مرت به مخاوف وشدائدوهو

آخر الخلفاء الفاطميين بمصر وكانت مدتهم بالمغرب ومصر منذ قام عبيد الله المهدي الى أن مات العاضد مائتي سنة واثنتين وسبعين سنة وأياما بالقاهرة منها مائتان وثماني سنين فسبحان الباقي

ذكر ما كان عليه موضع القاهرة قبل وضعها

اعلم أن مدينة الاقليم منذ كان فتح مصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه كانت مدينة الفسطاط المعروفة في زماننا بمدينة مصر قبلي القاهرة وبها كان محل الامراء ومنزل ملكهم واليها تجبي ثمرات الاقاليم وتاوى الكافة وكانت قد بلغت من وفور العمارة وكثرة الناس وسعة الارزاق والتفنن في أنواع الحضارة والتأنق في النعيم ما اربت به على كل مدينة في المعمور حاشا بغداد فانها كانت سوق العالم وقد زاحمتها مصر وكادت أن تساميها الا قليلا ثم لما انقضت الدولة الاخشيدية من مصر واختل حال الاقليم بتوالي الغلوات وتواتر الاوباء والفنوات حدثت مدينة القاهرة عند قدوم جيوش المعز لدين الله ابي تميم معد أمير المؤمنين على يد عبده وكاتبه القائد جوهر فنزل حيث القاهرة الآن وأناخ هناك وكانت حينئذ رملة فيما بين مصر وعين شمس يمر بها الناس عند مسيرهم من الفسطاط الى عين شمس وكانت فيما بين الخليج المعروف في أول الاسلام بخليج أمير المؤمنين ثم قيل له خليج القاهرة ثم هو الآن يعرف بالخليج الكبير وبالخليج الحاكمي وبين الخليج المعروف باليحاميم وهو الجبل الاحمر وكان الخليج المذكور فاصلا بين الرملة المذكورة وبين القرية التى يقال لها أم دنين ثم عرفت الآن بالمقس وكان من يسافر من الفسطاط الى بلاد الشام ينزل بطرف هذه الرملة فى الموضع الذى كان يعرف بمنية الاصبغ ثم عرف الى يومنا بالخندق وتمر العساكر والتجار وغيرهم من منية الاصبغ الى بنى جعفر على غيفة وسلمنت الى بلبيس وبينها وبين مدينة الفسطاط أربعة وعشرون ميلا ومن بلبيس الى العلاقة الى الفرما ولم يكن الدرب الذى يسلك في وقتنا من القاهرة الى العريش في الرمل يعرف في القديم وانما عرف بعد خراب تنيس والفرما وازاحة الفرنج عن بلاد الساحل بعد تملكهم له مدة من السنين وكان من يسافر في البر من الفسطاط الى الحجاز ينزل بجب عميرة المعروف اليوم ببركة الجب وببركة الحاج ولم يكن عند نزول جوهر بهذه الرملة فيها بنيان سوى أماكن هي بستان الاخشيد محمد بن طغج المعروف اليوم بالكافورى من القاهرة ودير للنصارى يعرف بدير العظام تزعم النصارى أن فيه بعض من أدرك المسيح عليه السلام وبقى الآن بئر هذا الدير وتعرف ببئر العظام والعامة تقول بئر العظمة وهي بجوار الجامع الاقمر من القاهرة ومنها ينقل الماء اليه وكان بهذه الرملة أيضاً مكان ثالث يعرف بقصير الشوك بصيغة التصغير تنزله بنو عذرة فى الجاهلية وصار موضعه عند بناء القاهرة يعرف

بقصر الشوك من جملة القصور الزاهرة هذا الذى اطلعت عليه أنه كان في موضع القاهرة قبل بنائها بعد الفحص والتفتيش وكان النيل حينئذ بشاطئ المقس يمر من موضع الساحل القديم بمصر الذى هو الآن سوق المعاريج وحمام طن والمراغة وبستان الجرف وموردة الحلفاء ومنشأة المهراني على ساحل الحمراء وهي موضع قناطر السباع فيمر النيل بساحل الحمراء الى المقس موضع جامع المقس الآن وفيما بين الخليج وبين ساحل النيل بساتين الفسطاط فاذا صار النيل الى المقس حيث الجامع الآن مر من هناك على طرف الارض التى تعرف اليوم بأرض الطبالة من الموضع المعروف اليوم بالجرف وصار الى البعل ومر على طرف منية الاصبغ من غربي الخليج الى المنية وكان فيما بين الخليج والجبل مما يلى بحرى موضع القاهرة مسجد بنى على رأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن على بن أبي طالب ثم مسجد تبر الاخشيدى فعرف بمسجد تبر والعامة تقول مسجد التبن ولم يكن الممر من الفسطاط الى عين شمس والى الحوف الشرقي والى البلاد الشامية الابجافة الخليج ولا يكاد يمر بالرملة التي في موضعها الآن مدينة القاهرة كثير جدا ولذلك كان بها دير للنصارى الا أنه لما عمر الاخشيد البستان المعروف بالكافورى أنشأ بجانبه ميدانا وكان كثيرا ما يقيم به وكان كافور أيضاً يقيم به وكان فيما بين موضع القاهرة ومدينة الفسطاط مما يلى الخليج المذكور أرض تعرف في القديم منذ فتح مصر بالحمراء القصوى وهي موضع قناطر السباع وجبل يشكر حيث الجامع الطولوني وما دار به وفي هذه الحمراء عدة كنائس وديارات للنصارى خربت شيئاً بعد شيء الى أن خرب آخرها في أيام الملك الناصر محمد بن قلاون وجميع مابين القاهرة ومصر مما هو موجود الآن من العمائر فانه حادث بعد بناء القاهرة ولم يكن هناك قبل بنائها شيء البتة سوى كنائس الحمراء وسيأتي بيان ذلك مفصلا في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

ذكر حد القاهرة

قال ابن عبد الظاهر في كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة الذي استقر عليه الحال أن حد القاهرة من مصر من السبع سقايات وكان قبل ذلك من المجنونة الى مشهد السيدة رقية عرضا اه والآن تطلق القاهرة على ما حازه السور الحجر الذي طوله من باب زويلة الكبير الى باب الفتوح وباب النصر وعرضه من باب سعادة وباب الخوخة الى باب البرقية والباب المحروق ثم لما توسع الناس فى العمارة بظاهر القاهرة وبنوا خارج باب زويلة حتى اتصلت العمائر بمدينة فسطاط مصر وبنوا خارج باب الفتوح وباب النصر الى أن انتهت العمائر الى الريدانية وبنوا خارج باب القنطرة الى حيث الموضع الذى يقال له بولاق حيث شاطئ النيل وامتدوا بالعمارة من بولاق على الشاطئ الى أن اتصلت بمنشأة المهراني وبنوا

خارج باب البرقية والباب المحروق الى سفح الجبل بطول السور فصار حينئذ العامر بالسكنى
على قسمين أحدهما يقال له القاهرة والآخر يقال له مصر فاما مصر فان حدها على ما وقع
عليه الاصطلاح في زمننا هذا الذي نحن فيه من حد أول قناطر السباع الى طرف بركة الحبش
القبلي مما يلى بساتين الوزير وهذا هو طول حد مصر وحدها في العرض من شاطئ النيل
الذى يعرف قديما بالساحل الجديد حيث فم الخليج الكبير وقنطرة السد الى أول القرافة
الكبرى * وأما حد القاهرة فان طولها من قناطر السباع الى الريدانية وعرضها من شاطئ
النيل ببولاق الى الجبل الاحمر ويطلق على ذلك كله مصر والقاهرة وفى الحقيقة قاهرة المعز
التي أنشأها القائد جوهر عند قدومه من حضرة مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد الى مصر
في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة انما هي ما دار عليه السور فقط غير أن السور المذكور
الذى أداره القائد جوهر تغير وعمل منذ بنيت الى زمننا هذا ثلاث مرات ثم حدثت العمائر
فيما وراء السور من القاهرة فصار يقال لداخل السور القاهرة ولما خرج عن السور ظاهر
القاهرة وظاهر القاهرة أربع جهات الجهة القبلية وفيها الآن معظم العمارة وحد هذه الجهة
طولا من عتبة باب زويلة الى الجامع الطولوني وما بعد الجامع الطولوني فانه من حد مصر
وحدها عرضا من الجامع الطيبرسي بشاطئ النيل غربى المريس الى قلعة الجبل وفي الاصطلاح
الآن أن القلعة من حكم مصر والجهة البحرية وكانت قبل السبعمائة من سني الهجرة وبعدها
الى قبيل الوباء الكبير فيها أكثر العمائر والمساكن ثم تلاشت من بعد ذلك وطول هذه
الجهة من باب الفتوح وباب النصر الى الريدانية وعرضها من منية الامراء المعروفة في زمننا
الذى نحن فيه بمنية الشيرج الى الجبل الاحمر ويدخل في هذا الحد مسجد تبر والريدانية
والجهة الشرقية فانها حيث ترب أهل القاهرة ولم تحدث بها العمائر من التربة الا بعد سنة
اثنتى عشرة وسبعمائة وحد هذه الجهة طولا من باب القلعة المعروف بباب السلسلة الى
ما يحاذى مسجد تبر فى سفح الجبل وحدها عرضا فيما بين سور القاهرة والجبل والجهة
الغربية فاكثر العمائر بها لم يحدث أيضا الا بعد سنة اثنتى عشرة وسبعمائة وانما كانت بساتين
وبحرا وحد هذه الجهة طولا من منية الشيرج الى منشأة المهراني بحافة بحر النيل وحدها
عرضا من باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة الى ساحل النيل وهذه الاربع جهات
من خارج السور يطلق عليها ظاهر القاهرة * وتحوى مصر والقاهرة من الجوامع والمساجد
والربط والمدارس والزوايا والدور العظيمة والمساكن الجليلة والمناظر البهجة والقصور
الشامخة والبساتين النضرة والحمامات الفاخرة والقياسر المعمورة بأصناف الانواع والاسواق
المملوءة مما تشتهى الانفس والخانات المشحونة بالواردين والفنادق الكاظة بالسكان والترب
التي تحكى القصور مالا يمكن حصره ولا يعرف ماهو قدره الا أن قدر ذلك بالتقريب الذى

يصدقه الاختبار طولا بريدا وما يزيد عليه وهو من مسجد تبر الى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش وعرضا يكون نصف بريد فما فوقه وهو من ساحل النيل الى الجبل ويدخل في هذا الطول والعرض بركة الحبش وما دار بها وسطح الجرف المسمى بالرصد ومدينة الفسطاط التي يقال لها مدينة مصر والقرافة الكبرى والصغرى وجزيرة الحصن المعروف اليوم بالروضة ومنشاة المهرانى وقطائع ابن طولون التي تعرف الآن بحدرة ابن قميحة وخط جامع ابن طولون والرميلة تحت القلعة والقبيبات وقلعة الجبل والميدان الاسود الذى هو اليوم مقابر أهل القاهرة خارج باب البرقية الى قبة النصر والقاهرة المعزية وهو مادار عليه السور الحجر والحسينية والريدانية والخندق وكوم الريش وجزيرة الفيل وبولاق والجزيرة الوسطى المعروفة بجزيرة اروى وزريبة قوصون وحكر ابن الاثير ومنشأة الكاتب والاحكار التي فيما بين القاهرة وساحل النيل وأراضي اللوق والخليج الكبير الذى تسميه العامة بالخليج الحاكمي والجبانية والصليبة والتبانة ومشهد السيدة نفيسة وباب القرافة وأرض الطبالة والخليج الناصرى والمقس والدكة وغير ذلك مما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وقد أدركنا هذه المواضع وهي عامرة والمشيخة تقول هي خراب بالنسبة لما كانت عليه قبل حدوث طاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة الذى يسميه أهل مصر الفناء الكبير وقد تلاشت هذه الاماكن وعمها الخراب منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة ولله عاقبة الامور

﴿ ذكر بناء القاهرة وما كانت عليه في الدولة الفاطمية ﴾

وذلك أن القائد جوهرا الكاتب لما قدم الجيزة بعساكر مولاه الامام المعز لدين الله أبى تميم معد أقبل في يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وسارت عساكره بعد زوال الشمس وعبرت الجسر أفواجا وجوهر في فرسانه الى المناخ الذى رسم له المعز موضع القاهرة الآن فاستقر هناك واختط القصر وبات المصريون فلما أصبحوا حضروا للهناء فوجدوه قد حفر أساس القصر بالليل وكانت فيه ازورارات غير معتدلة فلما شاهدها جوهر لم يعجبه ثم قال قد حفر في ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله وأدخل فيه دير العظام ويقال ان القاهرة اختطها جوهر في يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين واختطت كل قبيلة خطة عرفت بها فزويلة بنت الحارة المعروفة بها واختطت جماعة من أهل برقة الحارة البرقية واختطت الروم حارتين حارة الروم الآن وحارة الروم الجوانية بقرب باب النصر وقصد جوهر باختطاط القاهرة حيث هى اليوم أن تصير حصنا فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ليقاتلهم من دونها فأدار السور اللبن على مناخه الذي نزل فيه بعساكره وأنشأ من داخل السور جامعا وقصرا وأعدها معقلا يتحصن به وتنزله عساكره واحتفر الخندق من الجهة الشامية ليمنع اقتحام عساكر القرامطة الى

القاهرة وما وراءها من المدينة وكان مقدار القاهرة حينئذ أقل من مقدارها اليوم فان أبوابها
كانت من الجهات الاربعة ففى الجهة القبلية التي تقضى بالسالك منها الى مدينة مصر بابان
متجاوران يقال لهما بابا زويلة وموضعهما الآن بحذاء المسجد الذى تسميه العامة بسام بن
نوح ولم يبق الى هذا العهد سوى عقده ويعرف بباب القوس وما بين باب القوس هذا
وباب زويلة الكبير ليس هو من المدينة التي أسسها القائد جوهر وانما هي زيادة حدثت بعد
ذلك وكان في جهة القاهرة البحرية وهي التي يسلك منها الى عين شمس بابان أحدهما باب
النصر وموضعه بأول الرحبة التى قدام الجامع الحاكمي الآن وأدركت قطعة منه كانت قدام
الركن الغربى من المدرسة القاصدية وما بين هذا المكان وباب النصر الآن مما زيد في مقدار
القاهرة بعد جوهر والباب الآخر من الجهة البحرية باب الفتوح وعقده باق الى يومنا
هذا مع عضادته اليسرى وعليه أسطر مكتوبة بالقلم الكوفي وموضع هذا الباب الآن بآخر
سوق المرحلين وأول رأس حارة بهاء الدين مما يلى باب الجامع الحاكمي وفيما بين هذا العقد
وباب الفتوح من الزيادات التى زيدت في القاهرة من بعد جوهر وكان في الجهة الشرقية
من القاهرة وهى الجهة التي يسلك منها الى الجبل بابان أحدهما يعرف الآن بالباب المحروق
والآخر يقال له باب البرقية وموضعهما دون مكانهما الآن ويقال لهذه الزيادة من هذه الجهة
بين السورين وأحد البابين القديمين موجود الى الآن أسكفته وكان في الجهة الغربية من
القاهرة وهى المطلة على الخليج الكبير بابان أحدهما باب سعادة والآخر باب الفرج وباب
ثالث يعرف بباب الخوخة أظنه حدث بعد جوهر وكان داخل سور القاهرة يشتمل على
قصرين وجامع يقال لاحد القصرين القصر الكبير الشرقي وهو منزل سكنى الخليفة ومحل
حرمه وموضع جلوسه لدخول العساكر وأهل الدولة وفيه الدواوين وبيت المال وخزائن
السلاح وغير ذلك وهو الذى أسسه القائد جوهر وزاد فيه المعز ومن بعده من الخلفاء
والآخر تجاه هذا القصر ويعرف بالقصر الغربى وكان يشرف على البستان الكافورى ويحول
اليه الخليفة في أيام النيل للنزهة على الخليج وعلى ما كان اذ ذاك بجانب الخليج الغربى من
البركة التى يقال لها بطن البقرة ومن البستان المعروف بالبغدادية وغيره من البساتين التى
كانت تتصل بأرض اللوق وجنان الزهرى وكان يقال لمجموع القصرين القصور الزاهرة
ويقال للجامع جامع القاهرة والجامع الازهر * فأما القصر الكبير الشرقي فانه كان من باب
الذهب الذي موضعه الآن محراب المدرسة الظاهرية التى انشأها الظاهر ركن الدين بيبرس
البند قدارى وكان يعلو عقد باب الذهب منظرة يشرف الخليفة فيها من طاقات في أوقات
معروفة وكان باب الذهب هذا هو أعظم أبواب القصر ويسلك من باب الذهب المذكور
الى باب البحر وهو الباب الذى يعرف اليوم بباب قصر بشتاك مقابل المدرسة الكاملية وهو

باب البحر الى الركن المخلق ومنـه الى باب الريح وقد أدركنا منـه عضادتيه وأسكفته وعليها أسطر بالقـلم الـكوفي وجميع ذلك مبنى بالحجر الى أن هدمه الامير الوزير المشير جمال الدين يوسف الاستادار وفي موضعه الآن قيسارية انشأها المذكور بجوار مدرسته من رحبـة باب العيد ويسلك من باب الريح المـذكور الى باب الزمرذ وهو موضع المدرسة الحجازية الآن ومن باب الزمرذ الى باب العيـد وعقده باق وفوقه قبـة الى الآن في درب السلامي بخط رحبة باب العيد وكان قبالة باب العيد هـذا رحبة عظيمة في غاية الاتساع تقف فيها العساكر الكثيرة من الفـارس والراجل في يومى العيـدين تعرف برحبـة العيد وهى من باب الريح الى خزانة البنود وكان يلى باب العيـد السفينة وبجوار السـفينة خزانة البنود ويسلك من خزانة البنود الى باب قصر الشوك وأدركت منـه قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه الحمـام التى عرفت بحمام الايدمرى ثم قيل لهـا في زمننا حمام يونس بجوار المكان المعروف بخزانة البنود وقد عمل موضع هـذا الباب زقاق يسلك منه الى المـارستان العتيق وقصر الشوك ودرب السلامي وغـيره ويسلك من باب قصر الشوك الى باب الديلم وموضعه الآن المشهد الحسيني وكان فيما بين قصر الشوك وباب الديلم رحبة عظيمة تعرف برحبة قصر الشوك أولها من رحبة خزانة البنود وآخرها حيث المشهد الحسيني الآن وكان قصر الشوك يشرف على اصطبل الطارمة ويسلك من باب الديلم الى باب تربة الزعفران وهى مقبرة أهل القصر من الخلفاء وأولادهم ونسائهم وموضع باب تربة الزعفران فندق الخليلي فى هذا الوقت ويعرف بخط الزراكشة العتيق وكان فيمابين الديلم وباب تربة الزعفران الخوخ السبع التي يتوصل منها الخليفـة الى الجامع الازهر فى ليالي الوقدات فيجلس بمنظرة الجامع الازهر ومعه حرمه لمشاهدة الوقيد والجمع وبجوار الخوخ السبع اصطبل الطارمة وهو برسم الخيل الخاص المعدة لركاب الخليفة وكان مقابل باب الديلم ومن وراء اصطبل الطارمة الجامع المعد لصلاة الخليفة بالناس أيام الجمع وهوالذى يعرف في وقتنا هذا بالجامع الازهر ويسمى في كتب التاريخ بجامع القاهرة وقدام هذا الجامع رحبة متسعة من حد اصطبل الطارمة الى الموضع الذى يعرف اليوم بالا كفانيين ويسلك من باب تربة الزعفران الى باب الزهومة وموضعه الآن باب سر قاعة مدرسة الحنابلة من المدارس الصالحية وفيما بين تربة الزعفران وباب الزهومة دراس العلم وخزانة الدرق ويسلك من باب الزهومة الى باب الذهب المذكور أولا وهذا هو دور القصر الشرقى الكبير وكان بحذاء رحبـة باب العيد دار الضيافة وهى الدار المعروفة بدار سعيد السعداء التي هى اليوم خانقاه للصوفية ويقابلها دار الوزارة وهى حيث الزقاق المقابل لباب سعيد السعداء والمدرسة القراسنقرية وخانقاه بيبرس وما يجاورها الى باب الجوانية وما وراء هذه الاماكن وبجوار

دار الوزارة الحجر وهي من حذاء دار الوزارة بجوار باب الجوانية الى باب النصر القديم ومن وراء دار الوزارة المناخ السعيد ويجاوره حارة العطوفية وحارة الروم الجوانية وكان جامع الخطبة الذى يعرف اليوم بجامع الحاكم خارجا عن القاهرة وفي غربيه الزيادة التي هي باقية الى اليوم وكانت أهراء لخزن الغلال التي تدخر بالقاهرة كما هي عادة الحصون وكان في غربي الجامع الازهر حارة الديلم وحارة الروم البرانية وحارة الاتراك وهي تعرف اليوم بدرب الاتراك وحارة الباطلية وفيما بين باب الزهومة والجامع الازهر وهذه الحارات خزائن القصر وهي خزانة الكتب وخزانة الاشربة وخزانة السروج وخزانة الخيم وخزائن الفرش وخزائن الكسوات وخزائن دار افتكين ودار الفطرة ودار التعبية وغير ذلك من الخزائن هذا ماكان في الجهة الشرقية من القاهرة * وأما القصر الصغير الغربي فانه موضع المارستان الكبير المنصورى الى جوار حارة برجوان وبين هذا القصر وبين القصر الكبير الشرقى فضاء متسع يقف فيه عشرة آلاف من العساكر مابين فارس وراجل يقال له بين القصرين وبجوار القصر الغربى الميدان وهو الموضع الذى يعرف بالخرنشف واصطبل الطارمة وبحذاء الميدان البستان الكافورى المطل من غربيه على الخليج الكبير ويجاور الميدان دار برجوان العزيزي وبحذائها رحبة الافيال ودار الضيافة القديمة ويقال لهذه المواضع الثلاثة حارة برجوان ويقابل دار برجوان المنحر وموضعه الآن يعرف بالدرب الاصفر ويدخل اليه من قبالة خانقاه بيبرس وفيما بين ظهر المنحر وباب حارة برجوان سوق أمير الجيوش وهو من باب حارة برجوان الآن الى باب الجامع الحاكمي ويجاور حارة برجوان من بحريها اصطبل الحجرية وهو متصل بباب الفتوح الاول وموضع باب اصطبل الحجرية يعرف اليوم بخان الوراقة والقيسارية تجاه الجملون الصغير وسوق المرحلين وتجاه اصطبل الحجرية الزيادة وفيما بين الزيادة والمنحر درب الفرنجية وبجوار البستان الكافورى حارة زويلة وهي تتصل بالخليج الكبير من غربيها وتجاه حارة زويلة اصطبل الجميزة وفيه خيول الخليفة أيضاً وفي هذا الاصطبل بئر زويلة وموضعها الآن قيسارية معقودة على البئر المذكورة يعلوها ربع يعرف بقيسارية يونس من خط البندقانيين فكان اصطبل الجميزة المذكور فيما بين القصر الغربى من بحريه وبين حارة زويلة وموضعه الآن قبالة باب سر المارستان المنصورى الى البندقانيين وبحذاء القصر الغربى من قبليه مطبخ القصر تجاه باب الزهومة المذكور والمطبخ موضعه الآن الصاغة قبالة المدارس الصالحية وبجوار المطبخ الحارة العدوية وهي من الموضع الذى يعرف بحمام خشيبة الى حيث الفندق الذى يقال له فندق الزمام وبجوار العدوية حارة الامراء ويقال لها اليوم سوق الزجاجين وسوق الحريريين الشرابيين ويجاور الصاغة القديمة حبس المعونة وهو موضع قيسارية العنبر وتجاه حبس

المعونة عقبة الصباغين وسوق القشاشين وهو يعرف اليوم بالخراطين ويجاور حبس المعونة دكة الحسبة ودار العيار ويعرف موضع دكة الحسبة الآن بالابزارين وفيما بين دكة الحسبة وحارتي الروم والديلم سوق السراجين ويقال له الآن الشوايين وبطرف سوق السراجين مسجد ابن البناء الذى تسميه العامة سام بن نوح ويجاور هذا المسجد باب زويلة وكان من حذاء حارة زويلة من ناحية باب الخوخة دار الوزير يعقوب بن كلس وصارت بعده دار الديباج ودار الاستعمال وموضعها الآن المدرسة الصالحية وما وراءها ويتصل دار الديباج بالحارة الوزيرية والى جانب الوزيرية الميدان الآخر الى باب سعادة وفيما بين باب سعادة وباب زويلة اهراء أيضاً وسطاح هذا ما كانت عليه صفة القاهرة في الدولة الفاطمية وحدثت هذه الاماكن شيأ بعد شئ ولم تزل القاهرة دار خلافة ومنزل ملك ومعقل قتال لاينزلها الا الخليفة وعساكره وخواصه الذين يشرفهم بقربه فقط * (وأما ظاهر القاهرة من جهاتها الاربع) * فانه كان فى الدولة الفاطمية على ما أذكر * أما الجهة القبلية وهي التي فيما بين باب زويلة ومصر طولا وفيما بين الخليج الكبير والجبل عرضا فانها كانت قسمين ماحاذى يمينك اذا خرجت من باب زويلة تريد مصر وما حاذى شمالك اذا خرجت منه نحو الجبل فأما ماحاذى يمينك وهي المواضع التي تعرف اليوم بدار التفاح وتحت الربع والقشاشين وقنطرة باب الخرق وما على حافتي الخليج من جانبيه طولا الى الحمراء التي يقال لها اليوم خط قناطر السباع ويدخل في ذلك سويقة عصفور وحارة الحمزيين وحارة بني سوس الى الشارع وبركة الفيل والهلالية والمحمودية الى الصليبة ومشهد السيدة نفيسة فان هذه الاماكن كلها كانت بساتين تعرف بجنان الزهرى وبستان سيف الاسلام وغير ذلك ثم حدث في الدولة هناك حارات للسودان وعمر الباب الجديد وهو الذى يعرف اليوم بباب القوس من سوق الطيور في الشارع عند رأس (٣) وحدثت الحارة الهلالية والحارة المحمودية وأما ماحاذى شمالك حيث الجامع المعروف بجامع الصالح والدرب الاحمر الى قطائع ابن طولون التي هي الآن الرميلة والميدان تحت القلعة فان ذلك كان مقابر أهل القاهرة * وأما جهة القاهرة الغربية وهي التى فيها الخليج الكبير وهي من باب القنطرة الى المقس وما جاور ذلك فانها كانت بساتين من غربيها النيل وكان ساحل النيل بالمقس حيث الجامع الآن فيمر من المقس الى المكان الذى يقال له الجرف ويمضى على شمالى أرض الطبالة الى البعل وموضع كوم الريش الى المنية ومواضع هذه البساتين اليوم أراضى اللوق والزهرى وغيرها من الحكورة التي فى بر الخليج الغربى الى بركة قرموط والخور وبولاق وكان فيما بين باب سعادة وباب الخوخة وباب الفرج وبين الخليج فضاء لابنيان فيه والمناظر تشرف على مافى غربى الخليج من البساتين التي وراءها بحر النيل ويخرج الناس

فيما بين المناظر والخليج للنزهة فيجتمع هناك من أرباب البطالة واللهو مالا يحصى عددهم ويمر لهم هنالك من اللذات والمسرات مالا تسع الاوارق حكايته خصوصاً في أيام النيل عند ماتحول الخليفة الى اللؤلؤة وتحول خاصته الى دار الذهب وما جاورها فانه يكثر حينئذ الملاذ بسعة الارزاق وادرار النعم فى تلك المدة كما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى * وأما جهة القاهرة البحرية فانها كانت قسمين خارج باب الفتوح وخارج باب النصر أما خارج باب الفتوح فانه كان هناك منظرة من مناظر الخلفاء وقدامها البستانان الكبيران وأولهما من زقاق الكحل وآخرهما منية مطر التى تعرف اليوم بالمطرية ومن غربي هذه المنظرة في جانب الخليج الغربى منظرة البعل فيما بين أرض الطبالة والخندق وبالقرب منها مناظر الخمس وجوه والتاج ذات البساتين الانيقة المنصوبة لتنزه الخليفة وأما خارج باب النصر فكان به مصلى العيد التي عمل من بعضها مصلى الاموات لاغير والفضاء من المصلى الى الريدانية وكان بستانا عظيما ثم حدث فيما خرج من باب النصر تربة أمير الجيوش بدر الجمالي وعمر الناس الترب بالقرب منها وحدث فيما خرج عن باب الفتوح عمائر منها الحسينية وغيرها * وأما جهة القاهرة الشرقية وهى ما بين السور والجبل فانه كان فضاء ثم أمر الحاكم بأمر الله أن تلقى أتربة القاهرة من وراء السور لتمنع السيول أن تدخل الى القاهرة فصار منها الكيمان التى تعرف بكيمان البرقية ولم تزل هذه الجهة خالية من العمارة الى أن انقرضت الدولة الفاطمية فسبحان الباقي بعد فناء خلقه

ذكر ماصارت اليه القاهرة بعد استيلاء الدولة الايوبية عليها

قد تقدم أن القاهرة انما وضعت منزل سكنى للخليفة وحرمه وجنده وخواصه ومعقل قتال يتحصن بها ويلتجأ اليها وانها مابرحت هكذا حتى كانت السنة العظمي في خلافة المستنصر ثم قدم أمير الجيوش بدر الجمالي وسكن القاهرة وهي يباب دائرة خاوية على عروشها غير عامرة فأباح للناس من العسكرية والملحية والارمن وكل من وصلت قدرته الى عمارة بأن يعمر ماشاء في القاهرة مما خلا من فسطاط مصر ومات أهله فأخذ الناس ما كان هناك من أنقاض الدور وغيرها وعمروا به المنازل في القاهرة وسكنوها فمن حينئذ سكنها أصحاب السلطان الى أن انقرضت الدولة الفاطمية باستيلاء السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى في سنة سبع وستين وخمسمائة فنقلها عما كانت عليه من الصيانة وجعلها مبتذلة لسكن العامة والجمهور وحط من مقدار قصور الخلافة واسكن في بعضها وتهدم البعض وازيلت معالمه وتغيرت معاهده فصارت خططا وحارات وشوارع ومسالك وأزقة ونزل السلطان منها فى دار الوزارة الكبرى حتى بنيت قلعة الجبل فكان السلطان صلاح الدين يتردد اليها ويقيم بها وكذلك ابنه الملك العزيز عثمان وأخوه الملك العادل أبو بكر فلما

كان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب تحول من دار الوزارة الى القلعة وسكنها ونقل سوق الخيل والجمال والحمير الى الرميلة تحت القلعة فلما خرب المشرق والعراق بهجوم عساكر التتر منذكان جنكزخان في أعوام بضع عشرة وستمائة الى أن قتل الخليفة المستعصم ببغداد في صفر سنة ست وخمسين وستمائة كثر قدوم المشارقة الى مصر وعمرت حافتي الخليج الكبير وما دار على بركة الفيل وعظمت عمارة الحسينية فلما كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون الثالثة بعد سنة احدى عشرة وسبعمائة واستجد بقلعة الجبل المباني الكثيرة من القصور وغيرها حدثت فيما بين القلعة وقبة النصر عدة ترب بعد ما كان ذلك المكان فضاء يعرف بالميدان الاسود وميدان القبق وتزايدت العمائر بالحسينية حتى صارت من الريدانية الى باب الفتوح وعمر جميع ما حول بركة الفيل والصليبة الى جامع ابن طولون وما جاوره الى المشهد النفيسي وحكر الناس أرض الزهرى وما قرب منها وهو من قناطر السباع الى منشأة المهرانى ومن قناطر السباع الى البركة الناصرية الى اللوق الى المقس فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصري اتسعت الخطة فيما بين المقس والدكة الى ساحل النيل وأنشأ الناس فيها البساتين العظيمة والمساكن الكثيرة والاسواق والجوامع والمساجد والحمامات والشون وهي من المواضع التي من باب البحر خارج المقس الى ساحل النيل المسمى ببولاق ومن بولاق الى منية الشيرج ومنه في القبلة الى منشأة المهراني وعمر ماخرج عن باب زويلة يمنة ويسرة من قنطرة الخرق الى الخليج ومن باب زويلة الى المشهد النفيسي وعمرت القرافة من باب القرافة الى بركة الحبش طولا ومن القرافة الكبرى الى الجبل عرضا حتى انه استجد في أيام الناصر بن قلاون بضع وستون حكرا ولم يبق مكان يحكر واتصلت عمائر مصر والقاهرة فصارا بلدا واحدا يشتمل على البساتين والمناظر والقصور والدور والرباع والقياسر والاسواق والفنادق والخانات والحمامات والشوارع والازقة والدروب والخطط والحارات والاحكار والمساجد والجوامع والزوايا والربط والمشاهد والمدارس والترب والحوانيت والمطابخ والشون والبرك والخلجان والجزائر والرياض والمنتزهات متصلا جميع ذلك بعضه ببعض من مسجد تبر الى بساتين الوزير قبلي بركة الحبش ومن شاطئ النيل بالجيزة الى الجبل المقطم وما زالت هذه الاماكن في كثرة العمارة وزيادة العدد تضيق بأهلها لكثرتهم وتختال عجبا بهم لما بالغوا في تحسينها وتأنقوا في جودتها وتنميقها الى أن حدث الفناء الكبير في سنة تسع وأربعين وسبعمائة فخلا كثير من هذه المواضع وبقي كثير أدركناه فلما كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة وقصر جرى النيل في مده وخربت البلاد الشامية بدخول الطاغية تيمور لنك وتحريقها وقتل أهلها وارتفاع أسعار الديار المصرية وكثرة الغلاء فيها وطول مدته وتلاف النقود المتعامل بها وفسادها وكثرة الحروب والفتن

بين أهل الدولة وخراب الصعيد وجلاء أهله عنه وتداعي أسفل أرض مصر من البلاد الشرقية والغربية الى الخراب واتضاع أمور ملوك مصر وسوء حال الرعية واستيلاء الفقر والحاجة والمسكنة على الناس وكثرة تنوع المظالم الحادثة من أرباب الدولة بمصادرة الجمهور وتتبع أرباب الاموال واحتجاب ما بأيديهم من المال بالقوة والقهر والغلبة وطرح البضائع مما يجر فيه السلطان وأصحابه على التجار والباعة باغلى الاثمان الى غير ذلك مما لايتسع لاحد ضبطه ولا تسع الاوراق حكايته كثر الخراب بالاماكن التي تقدم ذكرها وعم سائرها وصارت كيانا وخرائب موحشة مقفرة يأويها البوم والرخم أو مستهدمة واقعة أو آيلة الى السقوط والدثور سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا

ذكر طرف مما قيل في القاهرة ومنتزهاتها

قال أبو الحسن على بن رضوان الطبيب ويلى الفسطاط في العظم وكثرة الناس القاهرة وهى في شمال الفسطاط وفي شرقيها أيضا الجبل المقطم يعوق عنها ريح الصبا والنيل منها ابعد قليلا وجميعها مكشوف للهواء وان كان عمل فوق ربما عاق عن بعض ذلك وليس ارتفاع الابنية بها كارتفاع الفسطاط لكن دونها كثيرا وأزقتها وشوارعها بالقياس الى أزقة الفسطاط وشوارعها انظف وأقل وسخا وأبعد عن العفن وأكثر شرب أهلها من مياه الآبار واذا هبت ريح الجنوب أخذت من بخار الفسطاط على القاهرة شيأ كثيرا وقرب مياه آبار القاهرة من وجه الارض مع سخافتها موجب ضرورة أن تكون يصل اليها بالرشح من عفونة الكنف شيء ما وبين القاهرة والفسطاط بطائح تمتلئ من رشح الارض في أيام فيض النيل ويصب فيها بعض خرارات القاهرة ومياه البطائح هذه رديئة وسخة أرضها وما يصب فيها من العفونة يقتضى أن يكون البخار المرتفع منها على القاهرة والفسطاط زائداً في رداءة الهواء بهما ويطرح في جنوب القاهرة قذر كثير نحو حارة الباطلية وكذلك يطرح في وسط حارة العبيد الا انه اذا تأملنا حال القاهرة كانت بالاضافة الى الفسطاط أعدل وأجود هواء وأصلح حالا لان أكثر عفوناتهم ترمى خارج المدينة والبخار يحلل منها أكثر وكثير أيضا من أهل القاهرة يشرب من ماء النيل وخاصة في أيام دخوله الخليج وهذا الماء يستقى بعد مروره بالفسطاط واختلاطه بعفوناتها قال وقد اقتصر أمر الفسطاط والجيزة والجزيرة فظاهر أن أصح اجزاء المدينة الكبرى القرافة ثم القاهرة والشرف وعمل فوق مع الحمراء والجيزة وشمال القاهرة أصح من جميع هذه لبعده عن بخار الفسطاط وقربه من الشمال وأرقى موضع فى المدينة الكبرى هو ما كان من الفسطاط حول الجامع العتيق الى مايلى النيل والسواحل والى جانب القاهرة من الشمال الخندق وهو في غور فهو يتغير أبدا لهذا السبب فاما المقس فمجاورته للنيل تجعله أرطب * وقال ابن سعيد في كتاب المعرب في حلى المغرب عن البيهقى وأما مدينة

القاهرة فهى الحالية الباهرة التي تفنن فيها الفاطميون وأبدعوا في بنائها واتخذوها وطنا لخلافتهم ومركزا لارجائها فنسى الفسطاط وزهد فيه بعد الاغتباط قال وسميت القاهرة لانها تقهر من شذ عنها ورام مخالفة أميرها وقدّروا أن منها يملكون الارض ويستولون على قهر الامم وكانوا يظهرون ذلك ويتحدثون به قال ابن سعيد هـذه المدينة اسمها أعظم منها وكان ينبغي أن تكون في ترتيبها ومبانيها على خلاف ماعاينته لانها مدينة بنـاها المعز أعظم خلفاء العبيديين وكان سلطانه قد عم جميع طول المغرب من أول الديار المصرية الى البحر المحيط وخطب له في البحرين من جزيرة عند القرامطة وفي مكة والمدينة وبلاد اليمن وما جاورها وقدعلت كلمته وسارت مسير الشمس في كل بلدة وهبت هبوب الريح في البر والبحر لاسيما وقد عاين مبانى أبيه المنصور فى مدينة المنصورية التي الى جانب القيروان وعاين المهدية مدينة جده عبيد الله المهدى لكن الهمة السلطانية ظاهرة على قصور الخلفاء بالقاهرة وهي ناطقة الى الآن بألسن الآثار ولله در القائل

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم شأنه * اضحى يدل على عظيم الشان

واهتم من بعد الخلفاء المصريون بالزيادة فى تلك القصور وقد عاينت فيها ايوانا يقولون انه بني على قدر ايوان كسرى الذى بالمدائن وكان يجلس فيـه خلفاؤهم ولهم على الخليج الذى بين الفسطاط والقاهرة مبان عظيمة جليلة الآثار وأبصرت في قصورهم حيطانا عليها طاقات عديدة من الكلس والجبس ذكر لي انهم كانوا يجددون تبييضها فى كل سنة والمكان المعروف فى القاهرة ببين القصرين هو من الترتيب السلطانى لان هناك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين مابين القصرين ولو كانت القاهرة عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية ولـكن ذلك أمد قليـل ثم تسير منه الى أمد ضيق وتمر فى ممر كدر حرج بين الدكاكين اذا ازدحمت فيه الخيل مع الرجالة كان ذلك ماتضيق منه الصدور وتسخن منه العيون ولقد عاينت يوما وزير الدولة وبين يديه امراء الدولة وهو فى موكب جليل وقد لقى فى طريقه عجلة بقر تحمل حجارة وقد سدت جميع الطرق بين يدى الدكاكين ووقف الوزير وعظم الازدحام وكان فى موضع طباخين والدخان فى وجه الوزير وعلى ثيابه وقد كاد يهلك المشاة وكدت أهلك فى جملتهم وأكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والازبال والمبانى عليها من قصب وطين مرتفعة قدضيقت مسلك الهواء والضوء بينهما ولم أر فى جميع بلاد المغرب أسوأ حالا منها فى ذلك ولقد كنت اذا مشيت فيها يضيق صدرى ويدركني وحشة عظيمة حتى أخرج الى بين القصرين * ومن عيوب القاهرة انها فى أرض النيل الاعظم ويموت الانسان فيها عطشا لبعدها عن مجرى النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها واذا احتاج الانسان

الى فرجة فى نيلها مشى فى مسافة بعيدة بظاهرها بين المبانى التي خارج السور الى موضع يعرف بالمقس وجوّها لايبرح كدرا بما تثيره الارجل من التراب الاسود وقدقلت فيهاحين أكثر على رفاقى من الحض على العود فيها

يقولون سافر الى القاهره * ومالي بها راحة ظاهره
زحام وضيق وكرب وما * تثير بها أرجل السائره

وعند مايقبل المسافر عليها يرى سورا أسود كدرا وجوا مغبرا فتنقبض نفسه ويفر أنسه وأحسن موضع فى ظواهرها للفرجة أرض الطبالة لاسيما أرض القرط والكتان فقلت

سقى الله أرضا كلما زرت أرضها * كساها وحلاها بزينته القرط
تجلت عروسا والمياه عقودها * وفي كل قطر من جوانبها قرط

وفيها خليج لايزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافي

مازالت الانحال تأخذه * حتى غدا كذؤابة النجم

وقلت فى نوّار الكتان على جانبي هذا الخليج

انظر الى النهر والكتان يرمقه * من جانبيه بأجفان لها حدق
رأته سيفاً عليه للصبا شطب * فقابلته بأحداق بها أرق
وأصبحت في يد الارواح تنسجها * حتى غدت حلقا من فوقها حلق
فقم وزرها ووجه الافق متضح * أو عند صفرته ان كنت تغتبق

واعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل لانها دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل وتسرج أصحاب المناظر على قدر همتهم وقدرتهم فيكون بذلك لها منظر عجيب وفيها أقول

انظر الى بركة الفيل التي اكتنفت * بها المناظر كالاهداب للبصر
كأنما هى والابصار ترمقها * كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت

انظر الى بركة الفيل التى نحرت * لها الغزالة نحرا من مطالعها
وخل طرفك مجنونا ببهجتها * تهيم وجدا وحبا فى بدائعها

والفسطاط أكثر أرزاقا وأرخص اسعارا من القاهرة لقرب النيل من الفسطاط فالمراكب التي تصل بالخيرات تحط هناك ويباع مايصل فيها بالقرب منها وليس يتفق ذلك في ساحل القاهرة لانه بعيد عن المدينة والقاهرة هي أكثر عمارة واحتراما وحشمة من الفسطاط لانها أجل مدارس وأضخم خانات وأعظم دثارا لسكنى الامراء فيها لانها المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها فأمور السلطنة كلها فيها ايسر واكثر وبها الطراز وسائر الاشياء التي

تتزين بها الرجال والنساء الا أن في هذا الوقت لما اعتنى السلطان الآن ببناء قلعة الجزيرة التى أمام الفسطاط وصيرها سرير السلطنة عظمت عمارة الفسطاط وانتقل اليها كثير من الامراء وضخمت أسواقها وبني فيها للسلطان أمام الجسر الذي للجزيرة قيسارية عظيمة تنقل اليها من القاهرة سوق الاجناد التي يباع فيها الفراء والجوخ وما أشبه ذلك ومعاملة القاهرة والفسطاط بالدراهم المعروفة بالسوداء كل درهم منها ثلث من الدرهم الناصرى وفي المعاملة بها شدة وخسارة في البيع والشراء ومخاصمة مع الفريقين وكان بها في القديم الفلوس فقطعها الملك الكامل فبقيت الى الآن مقطوعة منها وهى فى الاقليم الثالث وهواؤها ردىء لاسيما اذا هب المريسى من جهة القبلة وأيضا رمد العين فيها كثير والمعايش فيها متعذرة نزرة لاسيما أصناف الفضلاء وجوامك المدارس قليلة كدرة وأكثر مايتعيش بها اليهود والنصارى فى كتابة الخراج والطب والنصارى بها يمتازون بالزنار في أوساطهم واليهود بعلامة صفراء في عمائمهم ويركبون البغال ويلبسون الملابس الجايلة ومآكل أهل القاهرة الدميس والصير والصحناة والبطارخ ولا تصنع النيدة وهي حلاوة القمح الا بها وبغيرها من الديار المصرية وفيها جوار طباخات أصل تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين لهن في الطبخ صناعة عجيبة ورياسة متقدمة ومطابخ السكر والمطابخ التي يصنع فيها الورق المنصوري مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة ويصنع فيها من الانطاع المستحسنة مايسفر الى الشام وغيرها ولها من الشروب الدمياطية وأنواعها ما اختصت به وفيها صناع للقسى كثيرون متقدمون ولكن قسى دمشق بها يضرب المثل واليها النهاية ويسفر من القاهرة الى الشام مايكون من أنواع الكمرانات وخرائط الجلد والسيور وما أشبه ذلك وهى الآن عظيمة آهلة يجبى اليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال مالا يحيط بجملته وتفصيله الا خالق الكل جل وعلا وهى مستحسنة للفقير الذى لايخاف على طلب زكاة ولا ترسيما وعذابا ولا يطلب برفيق له اذا مات فيقال له ترك عندك مالا فربما سجن في شأنه أو ضرب وعصر والفقير المجرد فيها مستريح من جهة رخص الخبز وكثرته ووجود السماعات والفرج في ظواهرها ودواخلها وقلة الاعتراض عليه فيما تذهب اليه نفسه يحكم فيها كيف شاء من رقص في السوق أو تجريد أو سكر من حشيشة أو غيرها أو صحبة المردان وما أشبه ذلك بخلاف غيرها من بلاد المغرب وسائر الفقراء لايعترضون بالقبض للاسطول الا المغاربة فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة البحر فقد عم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم ومن لايعرف وهم في القدوم عليها بين حالين ان كان المغربي غنيا طولب بالزكاة وضيقت عليه أنفاسه حتى يفر منها وان كان مجردا فقيرا حمل الى السجن حتى يجيئ وقت الاسطول وفي القاهرة ازاهير كثيرة غير منقطعة الاتصال وهذا الشان في الديار المصرية تفضل به كثيرا من البلاد وفي اجتماع النرجس والورد فيها أقول

من فضل النرجس وهو الذى * يرضي بحكم الورد اذ يرأس
أما ترى الورد غـدا قاعـدا * وقام في خـدمتـه النرجس

وا كثر مافيها من الثمرات والفواكه الرمان والموز والتفاح وأما الاجاص فقليل غال وكذلك الخوخ وفيها الورد والنرجس والنسرين والنيلوفر والبنفسج والياسمين والليمون الاخضر والاصفر وأما العنب والتين فقليل غال ولكثرة مايعصرون العنب في أرياف النيل لايصل منه الا القليل ومع هـذا فشراؤه عندهم في نهاية الغلاء وعامتها يشربون المزر الابيض المتخذ من القمح حتى ان القمح يطلع عندهم سعره بسببه فينادى المنادى من قبل الوالي بقطعه وكسر أوانيه ولا ينكر فيها اظهار أواني الخمر ولا آلات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج النساء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر فى غيرها من بلاد المغرب وقد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة ومصر ومعظم عمارته فيما يلى القاهرة فرأيت فيـه من ذلك العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك فى بعض الاحيان وهو ضيق عليـه في الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم الطرب والتهكم والمخالعـة حتى ان المحتشمين والرؤساء لايجيزون العبور به فى مركب وللسرج في جانبيه بالليل منظرفتان وكثيرا مايتفرج فيه أهل الستر بالليل وفي ذلك أقول

لاتركبن في خليج مصر * الا اذا أسدل الظلام
فقـد علمت الذى عليه * من عالم كلهم طغام
صفان للحرب قد أظلا * سـلاح مابينهم كلام
ياسـيدي لاتسر اليـه * الا اذا هوّم النيـام
والليل سـتر على التصابى * عليـه من فضله لثام
والسرج قد بددت عليـه * منها دنانـير لاترام
وهو قد امتـد والمباني * عليه في خدمـة قيام
لله كم دوحـة جنينا * هناك اثمارها الآثام

انتهى

وفيه تحامل كثير * وقال زكي الدين الحسين من رسالة كتبها من مصر في شهر رجب سنة اثنتين وسـتين وسبعمائة الى أخيـه وهو بدمشق يتشوق اليها ويذكر مافيها من المواضع والمتنزهات ويذم من مصر بقوله فكيف يبقى لمن حـل في جنـة النعيم ورياضها ويرتع في ميادين المسرات وغياضها تلفت الى من سلمته يد الاقدار الى أرض ليست بذات قرار وبدلوا بجنتهم ذات البان المتفاوح والورق المتصادح والنشر المتقادح والمـاء المطلق المسلسل والنسيم الصحيح العليل جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل وتقصدتهم يد القضاء

فأخذتهم بالبأساء والضراء وأوقعتهم بمصر وشموسها وحميمها وغمومها وحزونها ووعورها وحرورها وزفيرها وسعيرها وكمائها ونيرانها وسودائها وفلاحيها وملاحيها ومشاربها ومساربها ومسالكها ومهالكها وصحناتها وعصفورها وبوريها وعقورها ومخاوف نوروزها وحرارة تموزها ودارس طلولها ورائس اسطولها وتعكر مائها وتكدر هوائها فلو تراهم في أرجائها القصوى كالاباعر الهمل وهم يصطرخون فيهاربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل * فأجابه من دمشق بكتاب من جملته على لسان دمشق كأنها تخاطبه ويا أيها الولد العزيز كيف سمحت فطرتك السليمة ومروءتك الكريمة وسيرتك المستقيمة وصبرك المحافظ ودينك المراقب الملاحظ بذم من جنيت نعمها وسكنت حرمها وقلت مصر وشموسها وسقت عليها القول من كل جانب واستمرت لها التكدير حتى في المشارب والمسارب وهلا ذكرتها وقد باكرها نيل النعيم بغيثة بليل النسيم بكاس من تسنيمه وطما البحر عليها زاخرا فأغناها عن بكاء السحاب وتجهيمه وعم معظم أرضها وعب عبابه في طولها وعرضها حتى كاد يعلو رفيع قصورها ويتسور بسورته شامخ سورها ومع ذا لا تراه جسورا على ضعاف جسورها قد طبق التهائم والانجاد وغرق الآكام والوهاد وعلا أعلى الصعيد والصعاد وأعاد البر سلطانه بحرا بالازدياد فاذا ارتوى أوام أكباد البلاد وروى السهل والوعر والهضاب والوهاد وذهب املاق الارض بكل ملقة وخليج وانجاب عنها فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج بدت روضة نضرة بأملاق مقطعة كزمردة خضراء بلآل مرصعة فكم من غدير مستدير كبدر منير ودقيق مستطيل كسيف صقيل وكم من قليب قلاب بماء كجلاب وكم من عظيم بركة حركها النسيم بلطفه وطيبها عبير عنبرها فضمخها بكفه وزهت بزهو نيلوفرها فعرفها بعرفه وكم ترى من ملقة لبقة عليها عيون النرجس محدقة كصحن خد عروس منمقة والنوار قد دارت بمدام الندى كؤوسه وجالت في مراح الافراح نفوسه ونجم نجمه وابتسم عروسه وسامره الرذاذ المنهل وباكره الطل فكلله بلؤلؤه وقلده وزاره النسيم المعتل فأقامه وأقعده ونمق أرضه وروضه فذهبه وفضضه قد تاهت برياضها الغناء وزهت بزخرفها وزينتها الحسناء وامتد بساطها الزمردي وانبسط مدادها الزبرجدي فلا يدرك أقصاه ناظر مسافر ولا يحيط بمنتهاه خيال ولا خاطر فلله درها من روضة مزن وكعبة حسن ومقطعات بماء غير آسن وحرم بحر لحجاج طيره آمن أتاها حجيج الطير من كل فج عميق ملبيا داعي حسنها من كل مكان سحيق قد امتطى ركبها متون الرياح وعلا جثمانها عالم الارواح ووصلن الادلاج بالصباح وقطعن اجناح الليل بخفاق الجناح كأنهن الدراري السواري أو المنشآت الجواري أو المطايا المهاري

تواصلُ من جو حوائض نيله * صعود على حكم الطريق نزول

رفاق تعاهدن على الوفاء وتحالفن على النعماء والبلاء خرجن مهاجرات من الاوطان ألوفا وقد ىن صافات كالمصلين صفوفا يقدمهن دليل كانه امام قد قتل طرق الآفاق خبرا واستوى لديه الاضواء والاظلام أبصر من زرقاء اليمامه وأطير من الورقاء والهامه وأهدى من النجم وأشد من السهم يتناجين بلغات أعجميات مسبحات بألحان مطربات فطفن في حرمها الآمن واعتمرن بتلك المحاسن فتراها عند اقبال نوّها وحومها في جوها ما تستقيم خطا مستقيما وان كانت تصطف صفا عظيما فمنها ما يستهل هلالا ومنها ما يحكي بنات نعش حالا ومنها ما ينثني بادلاله دالا ومنها ما يخط نونا نونا فيحكي حاجبا مقرونا ومنها مايكتب زينا فيعيدها عينا ومنها ما يصور ميم الهجاء فيشاهد مبسم السماء ومنها ما يأتي زرافات ووحدانا فيبدع في اعجابه حسنا واحسانا فكم من حبل أوز معلق بالسماء يحاق الى ذلك الماء وأوانس عريسات أنيسات كيسات وصور صور كأمثال حور وطير لغاغ مكتس بديباج مصبغ وجليل حبرج كعاج متوج وكركي عريض طويل كبير كبير جميل وغرغر مغرور متغير وسبيطر شديد شويطر وكم ضخم الدسيعة جوّال ككوهي بالقوة المنيعة صوال ورخام مرزم كذى أمرة محتشم وجلالة نسر في الشائع الذائع والحاضر الواقع أبهى من النسر الطائر والواقع وعظم عقاب تم الحسن بحسنه وكل الصيد في ضمنه وكم من خضارى وحرمان وباشون وشهرمان صنوان وغير صنوان وكم من بط على شط وخاط وقطقط منقط وغروغرنوق وكرسوغ ممشوق ونورس مستأنس وقد امتلأت بهن الآفاق وتكللت بجو بهن الاملاق وشربن من جريا لها فأسكرهن الاصطباح والاغتباق فكم من مسود ككحال نجد وأزرق كلاز ورد وأشقر كزهر ورد أحمر ناصع وأصفر فاقع وأبيض ذى خضاب عندمى بلطيف منقار بقمى ومبرقش ومبقع ومعمم ومقنع وأشقر منقش وأرقش مرشش وعودى وهندى وصيني مسنى وعينين كياقوتتين قد رصعتا في لجين وكم من طائر ابهى من قمر سائر بفرق مثل صبح سافر فتراهن في الماء صموتا وقوفا صفوفا عكوفا كصور أصنام أوحجارة مبددة في آكام وكم من أطيار ظراف ملاح لطاف ذوات ألحان ونضرة وألوان وخلق وأخلاق ونطق وأطواق وايناس مع شماس قد ازدانت الارض بأصواتها واختلاف لغاتها وعجائب صفاتها فبرزت بأنواع الاعاجيب وتحلت بأجمل الجلابيب وابدعت في صور الاحسان وتصورت في بدائع الالوان فاذا بدت زرقاء في زهر كتانها مذهبة بأزهار لبسانها مفضضة بنجوم اقحوانها خلعت السماء عليها خلعة جميل اردانها واذا فاح نشر نوّار قرطها شممت المسك الذكى من مرطها ورأيت لآلي سمطها مبسوطة على خضر بسطها ومغالاتها

بغالية نور فوقها وهزاتها اذا رفل النسيم في ذيولهـا قد رصعت اغصانه بفصوص لجينها ونقطته من حسنها بسواد عينها فعيونه كعيون غزلانها في فنكها وأحداقه كاحداق ولدانها من تركها وكم لها من طرة معنبرة وجبهة منورة ووجنة مزعفرة وملاءة منشورة معصفرة وخد مورد وطرف مهند ولماها صيغ من عقيق الشقيق وسكرها من ذلك الريق على التحقيق واين بزوغ بشنينها وامتداد يقطينها وأين حلاوة عرائس نخلاتها وطلاوة أوانس قاماتها بمشابهتها في صفاتها وغرائس فسيلاتها وأين نضيد طلعها وحميد فرعها ومديد جذعها وفر جمارها عن غرة جمارها واخضرار أكمامها واحمرار لثامها وبنان بسرها المطرف وبنان نشرها المشرف وانتظام سرورها بابتسام منثورها وورد واديها ومنحناها وندى ندها وتمر حناها وآسي آسها وطبيب طيب انفاسها وتبرجها باترجها وتبهرجها بنارنجهـا وتختمها بمختمها وتبسمها عن بلسمها وتشقق أبرادها عن نهود كبادها وتضاعف أرجها بضعف بنفسجها وجلالة مقدارها اذا فتحت أزرارها عن جل نارها وطيب شميمها من اشمومها ونسيمها ووسميها بأوسيمها وجنان قليوبها وحرمان قليبها وأحواضها ببهنها ورياضها وطربها بمطريتها ونفيس انسها بمقسها وغريب غرسها ببلقسها وعظيم آسها بمحلق مقياسها وكريم تحيتها من قبل اليمين هبوب أنفاسها واجتماع أسعدها وارتقاع رصدها وسواقيها الحنانة فى سجمها الهتانة يسكبها من دمعها وجنة لوقها ولجة بولاقها وبركة فيلها من بركة نيلها وجزيرة ذهبها وقلعة الجزيرة بذهبها من عجبها حكت فلكها فى بحرها واحكمت مملـكتها في برها وعظم جللها بقلعة جبلها واعتلاء أعلامها ببناء أهرامها واذا نظرت الى سعود صعودها الى سعيد صعيدها واغتباطها بانحطاطها الى صوب سكندريتها ودمياطها ألهتك عن حسن الثريا ومناطها ولا تنس الجوارى المنشآت في البحر كالاعلام التي تسبق عند طياب الرياح مفوقات السهام واعجابها بغربانها البحرية وحراقاتها الحربية وشوانيها وهول مبانيهـا وجلال شكلها وجمال معانيها تبدو موشاة بالنضار الاحمر منقشة باللون الانضر فهى كالارقم المنمر او كمتلون النمر او الطاوس الذكر او الناوس لبنى الاصفر معمرة ببأس الحديد والاحجار محمولة على سيح الماء التيار مشحونة بالرجال منصورة عند القتال مصونة بالجن والنبال تبرز مذكرة بالآية النوحية وتضمن احراز الهمة العليـة الفتحية حصون امنع من اعز قلاع تطير اذا فتح لها جناح القلاع فتسبق وفد الريح عند الاسراع وتفوق سرعة السحاب عند الاتساع فهن مع العقبان في النيق حوّم وهن مع البنيان في البحر عوّم لو اقسم من رآها ولو قال مشاهد معناها ان الله نفخ فيها الروح فأحياها لبر في يمينه التى اقسم وتلاها وكم من مركب لحسنه معجب وكم من سفين قوى امين

وخضارى جليل وعشارى طويل ومسمارى طويل جميل وفستراوى عكاوى ولكة ودرمونه ومعدية مكينه وسلور دقيق وشختور رشيق وقرقور رقيق وزورق ذي زواريق وطريدة بخيل الطراد معمورة دهماء بحمل الجياد والاجناد مشهورة ومخلوف في الآفاق بالمعروف معروف وما احلى بنان رطبها المخضب ورشيق قامة قصبها المقصب وبهجة فوزها بطلح موزها وخضر أعلام اوراقها وصفر كرام اعلاقها فلا البلاغة تبلغ من احصاء فضلها مراما ولا الفصاحة تصوغ لوصف تشبيهها كلاما فنسأل الله تعالى أن يكنفها بركنه الذى لايرام ويحرسها بعينه التي لا تنام بمنه وكرمه * وقال الرئيس شهاب الدين احمد بن محي الدين يحي بن فضل الله العمرى كاتب السر

لمصر فضل باهر * بعيشها الرغد النضر
في كل سفح يلتقى * ماء الحياة والخضر

وقال ابراهيم بن القاسم الكاتب الملقب بالرشيق يتشوق الى مصر وقد خرج عنها في سنة ست وثمانين وثلثمائة من قصيدة

هل الريح ان سارت مشرقة تسرى * تؤدى تحياتي الى ساكنى مصر
فما خطرت الا بكيت صبابة * وحملتها ما ضاق عن حمله صدرى
لانى اذا هبت قبولا بنشرهم * شممت نسيم المسك من ذلك النشر
فكم لى بالاهرام اودير نهية * مصايد غزلان المطايد والقفر
الى جيزة الدنيا وما قد تضمنت * جزيرتها ذات المواخر والجسر
وبالمقس والبستان للعين منظرة * انيق الى شاطي الخليج الى القصر
وفى بئر دوس مستراد وملعب * الى دير مرحنا الى ساحل البحر
فكم بين بستان الامير وقصره * الى البركة النضراء من زهر نضر
تراها كمرآة بدت في رفارف * من السندس الموشى تنشر للتجر
وكم ليلة لي بالقرافة خلتها * لما نلت من لذاتها ليلة القدر

وقال احمد بن رستم بن اسفهسلار الديلمي يخاطب الوزير نجم الدين ابا يوسف بن الحسين المجاور وتوفي فى رابع عشر ذى الحجة سنة احدى وعشرين وستمائة

حي الديار بشاطئ مقياسها * فالمقسم الفياح بين دهاسها
فالروضتين وقد تضوع عرفها * أرج البنفسج في غضارة آسها
فمنازل العين المنيفة أصبحت * يغنى سناها عن سنا نبراسها
فخليجها لذاته مطلوبة * تسمو محاسنه علا بأناسها
حافاته محفوفة بمنازل * نزلت بها الآرام دون كناسها

وقال العلامة جلال الدين محمد الشيرازى المعروف بامام منكلي بغا

حيا الحيا مصرا وسكانها * وباكر الوسمي كثبانها
وجاد صوب المزن من ارضها * معاهد الانس وأوطانها
معاهد بالانس معمورة * لم انس مهما عشت احسانها
كم ايقظتني في ذرادوحها * عجماء لا تفقه ألحانها
وكم نعيم قد تخيلته * فيها وكم غازات غزلانها
وعاينت عيني بها اغيدا * منعس المقلة وسنانها
تسحر بالتفتير ألحاظه * كأن من بابل شيطانها
وكم شجت قلبي بها غادة * قد كحلت بالغنج أجفانها
اذا دعت صبا الى حبها * لا يستطيع الصب عصيانها
وكم ليال لى بها قد مضت * تسحب بالاعجاب أردانها
والهف نفسي كيف شطت بها * حوادث قوض بنيانها
فارقتها لاعن قلى صدنى * عنها فراق الروح جسمانها
واعتضت عن غزلانها والمها * نعاج جيرون وثيرانها
ياسائلي عن حالتي بعدها * ها أنا ذا أذكر عنوانها
ماحال من فارق اصحابه * وفارق الدنيا وجيرانها
تقلب فوق الجمر أحشاؤه * تؤجج الاشواق نيرانها
والعين لا تنفك من عبرة * ترسل فوق الخد طوفانها
يا سائق النوق يبث السرى * كمثل بث السحب تهتانها
حي ربا مصر وجناتها * وحورها العين وولدانها
ودورها الزهر وساحاتها * وبين قصريها وميدانها
وأرضها المخصب أرجاؤها * ونيلها الزاهي وخلجانها
والروضة الفيحاء تلك التى * تجلو عن الانفس احزانها
ومنية السيرج لا تنسها * وقرطها الاحوى وكتانها
والتاج والخمس وجوه التي * اضحت من الاعين انسانها
وحي يابرق وجد بالحيا * جزيرة الفيل وغيطانها
وبانها الغض ونسرينها * وورها البكر وريحانها
وظلها الضافي وأزهارها * وماءها الصافى وغدرانها
والمعهد المأنوس من ربعها * وحي أهليها وسكانها

لم أنس لا أنسى اصطباحي بها * ولا اغتباقاتي وابانها
ولا أويقات التصابي ولا * تلك الخلاعات وأزمانها
أيام لا انفك من صبوة * أهوى اللذاذات واعلانها
أخطرتها في رياض الصبا * مرخ الاعطاف كسلانها
وخيل لهوى في ميادينها * تجرجر الصبوة أرسانها
ودوحتي ناضرة غضة * تعطف ريح اللهو أغصانها
حاشاى أن أنقض عهدا لها * حاشاى أن أصبح خوّانها
حاشاى أن أهجرها قاليا * حاشاى أن أحدث سلوانها
حاشاى أن أرضى بديلا بها * روابى الشام وقيعانها
وماءها الثج وحصباءها * وصخرها الصلد وصوانها
قد تاقت النفس الى الفها * وحنت الاشواق أظعانها
وادكرت في البعد أحبابها * فهيج التبريح أشجانها
وما لها غيرك من ملتجا * يا أوحد الدنيا وانسانها

ذكر ما قيل في مدة بقاء القاهرة ووقت خرابها

قال العارف محيي الدين محمد بن العربي الطائي الحاتمي في الملحمة المنسوبة اليه قاهرة تعمر في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وتخرب سنة ثمانين وسبعمائة ووقفت لها على شرح لم أعرف تصنيف من هو فانه لم يسم في النسخة التي وقفت عليها وهو شرح لطيف قليل الفائدة فانه ترك كلام المصنف فيما مضى على ما هو معروف في كتب التاريخ ولم يبين مراده فيما يستقبل وكانت الحاجة ماسة الى معرفة ما يستقبل أكثر من المعرفة بحال ما مضى لكن أخبرني غير واحد من الثقات أنه وقف لهذه الملحمة على شرح كبير في مجلدين قال هذا الشارح كانت بداية عمارة القاهرة والنيران في شرفهما الشمس فى برج الحمل والقمر في برج الثور وهو برج ثابت قال فعمر القاهرة ومدتها أربعمائة واحدى وستون سنة قال فى الاصل واذا نزل زحل برج الجوزاء عزت الاقوات بمصر وقل أغنياؤهم وكثر فقراؤهم ويكون الموت فيهم ويخرج أهل برقة عن أوطانهم لاسيما اذا قارن زحل الجوزهر فان الحال يكون أشد وأقوى قال الشارح كان ذلك في سنة أربع وستين وستمائة في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس فانه نزل زحل برج الجوزاء فوقع الغلاء وفي آخر سنة أربع وأول سنة خمس وتسعين وستمائة في أيام الملك العادل كتبغا حل زحل في برج الجوزاء وكان معه الجوزهر فكانت أشد وأقوى وكثر الغلاء والوباء قال سئل المعز عن الترك ماهم فقال قوم مسلمون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الحدود والواجبات ويقاتلون في سبيل الله

أعداء الله فقيل له أتطول مدتهم قال لاتطول مدتهم قيل فكيف يكون زوالهم قال يكون هكذا وكان الى جانبه طبق كيزان فحرّكه حركة شديدة فتكسرت الكيزان فقال هكذا يكون زوالهم يقتل بعضهم بعضا قال

احذر بني من القران العاشر * وارحل بأهلك قبل نقر الناقر

قال الشارح أول القران العاشر في سنة خمس وثمانين وسبعمائة وفيه تكون حالات رديئة بأرض مصر وهذا يوافق مافي القول عن القاهرة وتخرب في سنة خمس وثمانين وسبعمائة يعنى بداية انحطاطها من سنة خمس وثمانين وسبعمائة التي فيها القران العاشر ويثبت في عشرين سنة التي هى أيام القران وقد ذكر في الربع الآخر أربعمائة واحدى وستين سنة وقد تخيلت انها مدة عمر القاهرة فاذا زدتها على تاريخ عمارتها بلغ ذلك ثمانمائة وتسع عشرة سنة وفي ذلك الوقت يكون زوالها وهو مابين سنة ثمانين وسبعمائة الى سنة تسع عشرة وثمانمائة ويكون ذلك سببه قحط عظيم وقلة خير وكثرة شر حتى تخرب ويضعف أهلها قال قران زحل والمريخ في برج الجدى يكون في سنة سبعين وسبعمائة فتعد لكل مائة سنة من سنى الهجرة ثلاث سنين فيكون ثلاثا وعشرين سنة تزيدها على سبعمائة وسبعين سنة تبلغ سبعمائة وثلاثا وتسعين سنة فى مثلها من سنى الهجرة يكون أول أوقات خراب القاهرة انتهى * وتهذيب هذا القول أن زحل كلما حل برج الجوزاء اتضعت أحوال مصر وقلت أموالهم وكثر الغلاء والفناء عندهم بحسب الاوضاع الفلكية وزحل يحل فى برج الجوزاء كل ثلاثين سنة شمسية فيقيم فيه نحوا من ثلاثين شهرا وانت اذا اعتبرت أمور العالم وجدت الحال كما ذكرنا فانه كلما حل زحل برج الجوزاء وقع الغلاء بمصر وذكر ان القران العاشر تتضع فيه أحوال القاهرة ورأينا الامر كما ذكرنا فان القران العاشر كان فى سنة ست وثمانين وسبعمائة ومدة سنيه عشرون سنة شمسية آخرها سابع عشر رجب سنة سبع وثمانمائة وفي هذه المدة اتضع حال القاهرة وأهلها اتضاعا قبيحا ومن الاوقات المحذورة لها أيضا اقتران زحل والمريخ فى برج السرطان ويكون ذلك فى كل ثلاثين سنة شمسية ويقترنان فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة وفى مدته تنقضى الاربعمائة والاحدى والستون سنة التي ذكر أنها عمر القاهرة فى سنة تسع عشرة وثمانمائة وشواهد الحال اليوم تصدق ذلك لما عليه أهل القاهرة الآن من الفقر والفاقة وقلة المال وخراب الضياع والقرى وتداعى الدور للسقوط وشمول الخراب أكثر معمور القاهرة واختلاف أهل الدولة وقرب انقضاء مدتهم وغلاء سائر الاسعار ولقد سمعت عمن يرجع اليه فى مثل ذلك أن العمارة تنتقل من القاهرة الى بركة الحبش فيصير هناك مدينة والله تعالى أعلم

﴿ ذكر مسالك القاهرة وشوارعها على ماهي عليه الآن ﴾

وقبل أن نذكر خطط القاهرة فلنبتدئ بذكر شوارعها ومسالكها المسلوك منها الى الازقة والحارات لتعرف بها الحارات والخطط والازقة والدروب وغير ذلك مما ستقف عليه ان شاء الله تعالى * فالشارع الاعظم قصبة القاهرة من باب زويلة الى بين القصرين عليه باب الخرنفش أو الخرنشف ومن باب الخرنفش يتفرق من هنالك طريقان ذات اليمين ويسلك منها الى الركن المخلق ورحبة باب العيد الى باب النصر وذات اليسار ويسلك منها الى الجامع الاقمر والى حارة برجوان الى باب الفتوح فاذا ابتدأ السالك بالدخول من باب زويلة فانه يجد يمنة الزقاق الضيق الذي يعرف اليوم بسوق الحلاعيين وكان قديما يعرف بالخشابين ويسلك من هذا الزقاق الى حارة الباطلية وخوخة حارة الروم البرانية ثم يسلك الداخل أمامه فيجد على يسرته سجن متولى القاهرة المعروف بخزانة شمايل وقيسارية سنقر الاشقر ودرب الصفيرة ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته حمام الفاضل المعدة لدخول الرجال وعلى يسرته تجاه هذه الحمام قيسارية الامير بهاء الدين رسلان الدوادار الناصرى الى أن ينتهى بين الحوانيت والرباع فوقها الى بابى زويلة الاول ولم يبق منهما سوى عقد أحدهما ويعرف الآن بباب القوس ثم يسلك أمامه فيجد على يسرته الزقاق المسلوك فيه الى سوق الحدادين والحجارين المعروف اليوم بسوق الانماطيين وسكن الملاهي والى المحمودية والى سوق الاخفافيين وحارة الجودرية والصوافين والقصارين والنحاسين وغير ذلك ويجد تجاه هذا الزقاق عن يمينه المسجد المعروف قديما بابن البناء وتسميه العامة الآن بسام بن نوح وهو فى وسط سوق الغرابليين والمناخليين ومن معهم من الضببيين ثم يسلك أمامه فيجد سوق السراجين ويعرف اليوم بالشوايين وفي هذا السوق على يمينه الجامع الظافرى المعروف بجامع الفكاهين وبجانبه الزقاق المسلوك منه الى حارة الديلم وسوق القفاصين وسوق الطيوريين والاكفانيين القديمة المعروفة الآن بسكنى دقاق الثياب ويجد على يسرته الزقاق المسلوك منه الى حارة الجودرية ودرب كركامة ودكة الحسبة المعروفة قديما بسوق الحدادين وسوق الوراقين القديمة والى سوق القاميين المعروف اليوم بالابازرة والى غير ذلك ثم يسلك أمامه الى سوق الحلاويين الآن فيجد عن يمينه الزقاق المسلوك فيه الى سوق الكعكيين المعروف قديما بالقطانين وسكنى الاساكفة والى بابى قيسارية جهاركس وعن يسرته قيسارية الشرب ثم يسلك أمامه الى سوق الشرابشيين المعروف قديما بسكن الحالقيين وعن يمنته درب قيطون ثم يسلك أمامه شاقا في سوق الشرابشيين فيجد عن يمنته قيسارية أمير على ويجد عن يسرته سوق الجملون الكبير المسلوك فيه الى قيسارية ابن قريش والى سوق العطارين والوراقين والى سوق الكفتيين والصيارف والاخفافيين والى بئر زويلة والبندقانيين والى غير ذلك ثم يسلك أمامه

فيجد عن يمينه الزقاق المسلوك فيه الى سوق الفرايين الآن وكان يعرف أولا بدرب البيضاء والى درب الاسواني والى الجامع الازهر وغير ذلك ويجد عن يسرته قيسارية بنى اسامة ثم يسلك أمامه شاقافي سوق الجوخيين واللجميين فيجد عن يمينه قيسارية السروج وعن يسرته قيسارية (٣) ثم يسلك أمامه الى سوق السقطيين والمهامزيين فيجد عن يمينه درب الشمسي ويقابله باب قيسارية الامير علم الدين الخياط وتعرف اليوم بقيسارية العصفر ثم يسلك أمامه شاقافى السوق المذكور فيجد عن يمينه الزقاق المسلوك فيه الى سوق القشاشين وعقبة الصباغين المعروف اليوم بالخراطين والى سوق الخيميين والى الجامع الازهر وغير ذلك ويجد قبالة هذا الزقاق عن يسرته قيسارية العنبر المعروفة قديما بحبس المعونة ثم يسلك أمامه فيجد على يسرته الزقاق المسلوك فيه الى سوق الوراقين وسوق الحريريين الشرابيين المعروف قديما بسوق الصاغة القديمة والى درب شمس الدولة والى سوق الحريريين والى بئر زويلة والبندقانيين والى سويقة الصاحب والحارة الوزيرية والى باب سعادة وغير ذلك ثم يسلك أمامه شاقافي بعض سوق الحريريين وسوق المتعيشين وكان قديماً سكنى الدجاجين والكعكيين وقبل ذلك أولا سكنى السيوفيين فيجد عن يمينه قيسارية الصناديقيين وكانت قديماً تعرف بفندق الدبابليين ويجد عن يسرته مقابلها دار المأمون البطائحي المعروفة بمدرسة الحنفية ثم عرفت اليوم بالمدرسة السيوفية لانها كانت فى سوق السيوفيين ثم يسلك أمامه في سوق السيوفيين الذي هو الآن سوق المتعيشين فيجد عن يمينه خان مسرور وحجرتى الرقيق ودكة المماليك بينهما ولم تزل موضعاً لجلوس من يعرض من المماليك الترك والروم ونحوهم للبيع الي أوائل أيام الملك الظاهر برقوق ثم بطل ذلك ويجد عن يسرته قيسارية الرماحين وخان الحجر ويعرف اليوم هذا الخط بسوق باب الزهومة ثم يسلك أمامه فيجد عن يسرته الزقاق والساباط المسلوك فيه الى حمام خشيبة ودرب شمس الدولة والى حارة العدوية المعروفة اليوم بفندق الزمام والى حارة زويلة وغير ذلك ويجد بعد هذا الزقاق قريباً منه في صفه درب السلسلة ومن هنا ابتداء خط بين القصرين وكان قديماً في أيام الدولة الفاطمية مراحا واسعاً ليس فيه عمارة ألبتة يقف فيه عشرة آلاف فارس والقصران هما موضع سكنى الخليفة أحدهما شرقي وهو القصر الكبير وكان على يمنة السالك من موضع خان مسرور طالبا باب النصر وباب الفتوح وموضعه الآن المدارس الصالحية النجمية والمدرسة الظاهرية الركنية ومافي صفها من الحوانيت والرباع الى رحبة العيد وما وراء ذلك الى البرقية ويقابل هذا القصر الشرقي القصر الغربي وهو القصر الصغير ومكانه الآن المارستان المنصورى ومافي صفه من المدارس والحوانيت الي تجاه باب الجامع الاقمر فاذا ابتدأ السالك بدخول بين القصرين من جهة خان مسرور فانه يجد على يسرته درب السلسلة ثم يسلك أمامه فيجد

على يمينه الزقاق المسلوك فيه الى سوق الامشاطيين المقابل لمدرسة الصالحية التي للحنفية والحنابلة والى الزقاق الملاصق لسور المدرسة المذكورة المسلوك فيه الى خط الزراكشة العتيق حيث خان الخليلي وخان منجك والى الخوخ السبع حيث الآن سوق الابارين والى الجامع الازهر والى المشهد الحسيني وغير ذلك ثم يسلك أمامه شاقا في سوق السيوفيين الآن فيجد على يساره دكاكين السيوفيين وعلى يمينه دكاكين النقليين ظاهر سوق الكتبيين الآن وعلى يساره سوق الصيارف برأس باب الصاغة وكان قديماً مطبخ القصر قبالة باب الزهومة ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه باب المدارس الصالحية تجاه باب الصاغة ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه القبة الصالحية وبجوارها المدرسة الظاهرية الركنية ويجد على يساره باب المارستان المنصورى وفي داخله القبـة المنصورية التي فيها قبور الملوك وتحت شبابيكها دكاك القضيات التي فيها الخواتيم ونحوها فيما بين القبـة المذكورة والمدرسة الظاهرية المذكورة وفي داخله أيضا المدرسة المنصورية وتحت شبابيكها أيضا دكاك القفصيات فيما بين شبابيكها وشبابيك المدرسة الصالحية التي للشافعية والمالكية وتحتها خيمة الغلمان بجوار قبة الصالح وفي داخله أيضا المارستان الكبير المنصورى المتوصل من باب سره الى حارة زويلة والى الخرنشف والى الكافورى والى البندقانيين وغير ذلك ثم يسلك من باب المارستان فيجد على يمنته سوق السلاح والنشابين الآن تحت الربع المعروف بوقف أمير سعيد ويجد على يسرته المدرسـة الناصرية الملاصقة لمئذنة القبة المنصورية ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته خان بشتاك وفوقه الربع وعرف الآن هذا الخان بالمستخرج ويجد على يسرته المدرسة الظاهرية الجديدة بجوار المدرسة الناصرية وكانت قبل انشائها مدرسة فندقا يعرف بخان الزكاة ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته باب قصر بشتاك ويجد على يسرته المدرسـة الكاملية المعروفة بدار الحديث وهي ملاصقة للمدرسـة الظاهرية الجديدة ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته الزقاق المسلوك فيـه الى بيت أمير سلاح المعروف بقصر أمير سلاح وهو الامير فخر الدين بكتاش الفخرى الصالحي النجمى والى دار الامير سلار نائب السلطنة والى دار الطواشي سابق الدين ومدرسته التي يقال لها المدرسة السابقية وكان في داخل هذا الزقاق مكان يتوصل اليه من تحت قبو المدرسة السابقية يعرف بالسودوس فيه عدة مساكن صارت كلها اليوم دارا واحدة انشاء الامير جمال الدين الاستادار وكان تجاه باب المدرسـة السابقية ربع تحته فرن ومن ورائه عـدة مساكن يعرف مكانها بالحدرة فهدم الامير جمال الدين المذكور الربع وما وراءه وحفر فيه صهريجا وأنشأ به عدة آدر هي الآن جارية في أوقافه وكان يسلك من باب السابقيـة على باب الربع والفـرن المذكور الى دهلـيز طويل مظلم ينتهي الى باب القصر تجاه سور سـعيد السعداء ومنـه يخرج السالك الى رحبة باب العيـد والى الركن المخلق فهدمه الامير جمال الدين وجعل

مكانه قيسارية وركب على رأس هذا الزقاق تجاه حمام البيسرى دربا في داخله دروب ليصون أمواله وانقطع التطرق من هذا الزقاق وصار دربا غير نافذ ويجد السالك عن يسرته قبالة هذا الزقاق وصار دربا مدربا باب قصر البيسرية وقد بني في وجهه حوانيت بجانبها حمام البيسري ومن هنا ينقسم شارع القاهرة المذكور الى طريقين احداهما ذات اليمين والاخرى ذات اليسار فأما ذات اليسار فانها تتمة القصبة المذكورة فاذا مر السالك من باب حمام الامير بيسري فانه يجد على يسرته باب الخرنشف المسلوك فيه الى باب سر البيسرية والى باب حارة برجوان الذي يقال له أبو تراب والى الخرنشف واصطبل القطبية والى الكافوري والى حارة زويلة والى البندقانيين وغير ذلك ثم يسلك أمامه فيجد سوقا يعرف أخيراً بالوزازين والدجاجين يباع فيه الاوز والدجاج والعصافير وغير ذلك من الطيور وأدركناه عامراً سوقا كبيراً من جملته دكان لايباع فيها غير العصافير فيشتريها الصغار للعب بها وفي هذا السوق على يمنة السالك قيسارية يعلوها ربع كانت مدة سوقا يباع فيه الكتب ثم صارت لعمل الجلود وكانت من جملة أوقاف المارستان المنصوري فهدمها بعض من كان يتحدث في نظره عن الامير ايتمش في سنة احدى وثمانمائة وعمرها على ماهي عليه الآن وعلى يسرة السالك في هذا السوق ربع يجرى في وقف المدرسة الكاملية وكان هذا السوق يعرف قديماً بالتبانين والقماحين ثم يمر سالكا أمامه فيجد سوق الشماعين متصلا بسوق الدجاجين وكان سوقا كبيراً فيه صفان عن اليمين والشمال من حوانيت باعة الشمع أدركته عامراً وقد بقى منه الآن يسير وفي آخر هذا السوق على يمنة السالك الجامع الاقمر وكان موضعه قديماً سوق القماحين وقبالته درب الخضري وبجانب الجامع الاقمر من شرقيه الزقاق الذي يعرف بالمحايريين ويسلك فيه الى الركن المخلق وغيره وقبالة هذا الزقاق بئر الدلاء ثم يسلك المار أمامه فيجد على يمنته زقاقا ضيقاً ينتهي الى دور ومدرسة تعرف بالشرابشية يتوصل من باب سرها الى الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس ثم يسلك أمامه في سوق المتعيشين فيجد على يسرته باب حارة برجوان ثم يسلك أمامه شاقا في سوق المتعيشين وقد أدركته سوقا عظيما لايكاد يعدم فيه شئ مما يحتاج اليه من المأكولات وغيرها بحيث اذا طلب منه شئ من ذلك في ليل أو نهار وجد وقد خرب الآن ولم يبق منه الا اليسير وكان هذا السوق قديماً يعرف بسوق أمير الجيوش وبآخره خان الرواسين وهو زقاق على يمنة السالك غير نافذ ويقابل هذا الزقاق على يسرة السالك الى باب الفتوح شارع يسلك فيه الى سوق يعرف اليوم بسويقة أمير الجيوش وكان قبل اليوم يعرف بسوق الخروقيين ويسلك من هذا السوق الى باب القنطرة في شارع معمور بالحوانيت من جانبيه ويعلوها الرباع وفيما بين الحوانيت دروب ذات مساكن كثيرة ثم يسلك أمامه من رأس سويقة أمير الجيوش فيجد على يمينه الجملون

الصغير المعروف بجملون ابن صيرم وكان مسكناً للبزازين فيه عدة حوانيت عامرة باصناف الثياب أدركتها عامرة وفيه مدرسة ابن صيرم المعروفة بالمدرسة الصيرمية وفي آخره باب زيادة الجامع الحاكمي وكان على بابها عدة حوانيت تعمل فيها الضبب التي برسم الابواب ويخرج من هذا الجملون الى طريقين احداهما يسلك فيها الى درب الفرنجية والى دار الوكالة وشارع باب النصر والاخرى الى درب الرشيدى النافذ الى درب الجوّانية ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته شباك المدرسة الصيرمية ويقابله باب قيسارية خوندادركين الاشرفية ثم يسلك أمامه شاقا في سوق المرحلين وكان صفين من حوانيت عامرة فيها جميع مايحتاج اليه في ترحيل الجمال وقدخرب وبقى منه قليل وفي هذا السوق على يسرة السالك زقاق يعرف بحارة الورّاقة وفيه أحد أبواب قيسارية خوند المذكورة وعدة مساكن وكان مكانه يعرف قديماً باصطبل الحجرية ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته أحد أبواب الجامع الحاكمي وميضأته ويجد باب الفتوح القديم ولم يبق منه سوى عقدته وشئ من عضادته وبجواره شارع على يسرة السالك يتوصل منه الى حارة بهاء الدين وباب القنطرة ثم يسلك أمامه شاقا في سوق المتعيشين فيجد على يمينه بابا آخر من أبواب الجامع الحاكمي ثم يسلك أمامه فيجد عن يسرته زقاقا بساباط ينفذ الى حارة بهاء الدين فيه كثير من المساكن ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه باب الجامع الحاكمي الكبير ويجد عن يساره فندق العادل ويشق فى سوق عظيم الى باب الفتوح وهو آخر قصبة القاهرة وأما ذات اليمين من شارع بين القصرين فان المار اذا سلك من الدرب الذى يقابل حمام البيسرى طالباً الركن المخلق فانه يشق في سوق القصاصين وسوق الحصريين الى الركن المخلق ويباع فيه الآن النعال وبه حوض في ظهر الجامع الاقمر لشرب الدواب تسميه العامة حوض النبي ويقابله مسجد يعرف بمراكع موسى وينتهى هذا السوق الى طريقين احداهما الى بئر العظام التي تسميها العامة بئر العظمة ومنها ينقل الماء الى الجامع الاقمر والحوض المذكور بالركن المخلق ويسلك منه الى المحايريين والطريق الاخرى تنتهى الى الفندق المعروف بقيسارية الجلود ويعلوها ربع أنشأت ذلك خوند بركة أم الملك الاشرف شعبان بن حسين وبجوار هذه القيسارية بوابة عظيمة قد سترت بحوانيت يتوصل منها الى ساحة عظيمة هى من حقوق المنحر كانت خوند المذكورة قد شرعت في عمارتها قصراً لها فماتت دون اكماله ثم يسلك أمامه فيجد الرباع التى تعلو الحوانيت والقيسارية المستجدة فى مكان باب القصر الذى كان ينتهى الى مدرسة سابق الدين وبين القصرين وكان أحد أبواب القصر ويعرف بباب الريح وهذه الرباع والقيسارية من جملة انشاء الامير جمال الدين الاستادار وكانت قبله حوانيت ورباعا فهدمها وأنشأها على ماهي عليه اليوم ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه مدرسة الامير جمال الدين المذكور وكان موضعها خانا وظاهره

حوانيت فبنى مكانها مدرسة وحوضاً للسبيل وغير ذلك ويقال لهـذه الاماكن رحبة باب العيد ويسلك منها الى طريقين احداهما ذات اليمين والاخرى ذات اليسار فأما ذات اليمين فانها تنتهي الى المدرسة الحجازية والى درب قراصيا والى حبس الرحبة والى درب السلامى المسلوك منه الى باب العيد الذى تسميه العامة بالقاهرة والى المارستان العتيق والى قصر الشوك ودار الضرب والى باب سر المدارس الصالحية والى خزانة البنود ويسلك من رأس درب السلامى هذا في رحبة باب العيد الى السفينة وخط خزانة البنود ورحبة الايدمري والمشهد الحسيني ودرب الملوخيا والجامع الازهر والحارة الصالحية والحارة البرقية الى باب البرقيـة والباب المحروق والباب الجديد وأما ذات اليسار من رحبة باب العيد فان المار يسلك من باب مدرسة الامير جمال الدين الى باب زاوية الخدام الى باب الخانقاه المعروفة بدار سعيد السعداء فيجد عن يمينه زقاقا بجوار سور دار الوزارة يسلك فيـه الى خرائب تتر والى خط الفهادين والى درب ملوخيا وغير ذلك ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه المدرسة القراسنقرية وخانقـاه ركن الدين بيبرس وهما من جمـلة دار الوزارة وما جاور الخانقاه الى باب الجوانية وتجاه خانقاه بيبرس الدرب الاصفر وهو المنحر الذى كانت الخلفاء تنحر فيه الاضاحي ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته دار الامير قزمان بجوار خانقاه بيبرس وبجوارها دار الامير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير وقد عرفت الآن بدار خوند طولوباى زوجة السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وبجوارها حمام الاعسر المذكور وجميع هذا من دار الوزارة ويجد على يسرته درب الرشيدى تجاه حمام الاعسر المسلوك فيـه الى درب الفرنجية وجملون ابن صيرم ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه الشارع المسلوك فيه الى الجوانية والى خط الفهادين والى درب ملوخيا والى العطوفية وقد خربت هذه الاماكن ويجد على يسرته الوكالة المستجدة من انشاء الملك الظاهر برقوق ثم يسلك أمامه فيجد على يسرته زقاقا يسلك فيه الى جملون ابن صيرم والى درب الفرنجية ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته دار الامير شهاب الدين احمد ابن خالة الملك الناصر محمد بن قلاوون ودار الامير علم الدين سنجر الجاولي وهما من حقوق الحجر التي كانت بها مماليك الخلفاء وأجنادهم ويجد على يسرته وكالة الامير قوصون ثم يسلك من باب الوكالة فيجد مقابل باب قاعة الجاولي خان الجاولي وبعدها باب النصر القديم وأدركت فيه قطعة كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى وقد زال ويسلك منه الى رحبة الجامع الحاكمي فيجد على يمنته المدرسة القاصدية وعلى يسرته بابى الجامع الحاكمي وتجاه أحدها الشارع المسلوك فيـه الى حارة العبدانية وحارة العطوفية وغير ذلك ومن باب الجامع الحاكمي ينتهى الى باب النصر فيما بين حوانيت ورباع ودور فهذه صفة القاهرة الآن وستقف ان شاء الله تعالى على

كيفية ابتداء وضع هذه الاماكن وما صارت اليه وذكر التعريف بمن نسبت اليه أو عرفت به على ما التقطت ذلك من كتب التواريخ ومجامع الفضلاء ووقفت عليه بخطوط الثقاة وأخبرني بذلك من أدركته من المشيخة وما شاهدته من ذلك سالكا فيه سبيل التوسط في القول بين الاكثار والاختصار والله الموفق بمنه وكرمه لا اله غيره

ذكر سور القاهرة

اعلم أن القاهرة مذ أسست عمل سورها ثلاث مرات الاولى وضعه القائد جوهر والمرة الثانية وضعه أمير الجيوش بدر الجمالي في أيام الخليفة المستنصر والمرة الثالثة بناه الامير الخصي بهاء الدين قراقوش الاسدى في سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أول ملوك القاهرة * السور الاول كان من لبن وضعه جوهر القائد على مناخه الذى نزل به هو وعساكره حيث القاهرة الآن فأداره على القصر والجامع وذلك انه لما سار من الجيزة بعد زوال الشمس من يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بعساكره وقصد الى مناخه الذى رسمه له مولاه الامام المعز لدين الله أبو تميم معد واستقرت به الدار اختط القصر وأصبح المصريون يهنونه فوجدوه قد حفر الاساس في الليل فأدار السور اللبن وسماها المنصورية الى أن قدم المعز لدين الله من بلاد المغرب الى مصر ونزل بها فسماها القاهرة ويقال في سبب تسميتها ان القائد جوهرا لما أراد بناءها أحضر المنجمين وعرفهم أنه يريد عمارة بلد ظاهر مصر ليقيم بها الجند وأمرهم باختيار طالع سعيد لوضع الاساس بحيث لا يخرج البلد عن نسلهم أبدا فاختاروا طالعاً لوضع الاساس وطالعاً لحفر السور وجعلوا بدائر السور قوائم خشب بين كل قائمتين حبل فيه أجراس وقالوا للعمال اذا تحركت الاجراس فارموا ما بأيديكم من الطين والحجارة فوقفوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك فاتفق أن غراباً وقع على حبل من تلك الحبال التي فيها الاجراس فتحركت كلها فظن العمال أن المنجمين قد حركوها فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة وبنوا فصاح المنجمون القاهر فى الطالع فمضى ذلك وفاتهم ماقصدوه ويقال ان المريخ كان في الطالع عند ابتداء وضع الاساس وهو قاهر الفلك فسموها القاهرة واقتضى نظرهم انها لا تزال تحت القهر وأدخل في دائر هذا السور بئر العظام وجعل القاهرة حارات للواصلين صحبته وصحبة مولاه المعز وعمر القصر بترتيب ألقاه اليه المعز ويقال ان المعز لما رأى القاهرة لم يعجبه مكانها وقال لجوهر لما فاتك عمارة القاهرة بالساحل كان ينبغي عمارتها بهذا الجبل يعني سطح الجرف الذى يعرف اليوم بالرصد المشرف على جامع راشدة ورتب في القصر جميع ما يحتاج اليه الخلفاء بحيث لا تراهم الأعين في النقلة من مكان الى مكان وجعل في ساحاته البحرة والميدان والبستان وتقدم بعمارة المصلى بظاهر القاهرة

وقد أدركت من هذا السور اللبن قطعا وآخر ما رأيت منه قطعة كبيرة كانت فيما بين باب البرقية ودرب بطوط هدمها شخص من الناس في سنة ثلاث وثمانمائة فشاهدت من كبر لبنها ما يتعجب منه في زمننا حتى ان اللبنة تكون قدر ذراع في ثلثي ذراع وعرض جدار السور عدة أذرع يسع أن يمر به فارسان وكان بعيداً عن السور الحجر الموجود الآن وبينهما نحو الخمسين ذراعا وما أحسب انه بقي الآن من هذا السور اللبن شئ *(وجوهر) هذا مملوك رومي رباه المعز لدين الله أبو تميم معد وكناه بأبي الحسن وعظم محله عنده في سنة سبع وأربعين وثلثمائة وصار في رتبة الوزارة فصيره قائد جيوشه وبعثه في صفر منها ومعه عساكر كثيرة فيهم الامير زيري بن مناد الصنهاجي وغيره من الاكابر فسار الى تاهرت وأوقع بعدة أقوام وافتتح مدناً وسار الى فاس فنازلها مدة ولم ينل منها شيئاً فرحل عنها الى سجلماسة وحارب ثائرا فاسره بها وانتهى في مسيره الى البحر المحيط واصطاد منه سمكا وبعثه في قلة ماء الى مولاه المعز وأعلمه انه قد استولى على مامر به من المدائن والامم حتى انتهى الى البحر المحيط ثم عاد الى فاس فألح عليها بالقتال الى أن أخذها عنوة وأسر صاحبها وحمله هو والثائر بسجلماسة في قفصين مع هدية الى المعز وعاد في أخريات السنة وقد عظم شانه وبعد صيته ثم لما قوى عزم المعز على تسيير الجيوش لاخذ مصر وتهيأ أمرها فقدم عليها القائد جوهرا وبرز الى رمادة ومعه ما ينيف على مائة الف فارس وبين يديه اكثر من الف صندوق من المال وكان المعز يخرج اليه في كل يوم ويخلو به وأطلق يده في بيوت أمواله فأخذ منها ما يريد زيادة على ما حمله معه وخرج اليه يوما فقام جوهر بين يديه وقد اجتمع الجيش فالتفت المعز الى المشايخ الذين وجههم مع جوهر وقال والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر ولتدخلن الى مصر بالاردية من غير حرب ولتنزلن في خرابات ابن طولون وتبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا وأمر المعز بافراغ الذهب في هيئة الارحية وحملها مع جوهر على الجمال ظاهرة وأمر أولاده واخوته الامراء وولي العهد وسائر أهل الدولة أن يمشوا في خدمته وهو راكب وكتب الى سائر عماله يأمرهم اذا قدم عليهم جوهر أن يترجلوا مشاة في خدمته فلما قدم برقة افتدى صاحبها من ترجله ومشيه في ركابه بخمسين الف دينار ذهبا فأبى جوهر الا أن يمشي في ركابه ورد المال فمشى ولما رحل من القيروان الى مصر في يوم السبت رابع عشر ربيع الاول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة أنشد محمد بن هاني في ذلك

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع * وقد راعني يوم من الحشر أروع
غداة كأن الافق سد بمثله * فعاد غروب الشمس من حيث تطلع
فلم أدر اذ ودعت كيف أودع * ولم أدر اذ شيعت كيف أشيع

الا ان هـذا حشد من لم يذق له * غرار الـكرى جفن ولابات يهجع
اذا حـل في ارض بناها مدائنا * وان سار عن ارض غدت وهي بلقع
تحـل بيوت المال حيث محـله * وجم العطـايا والرواق المرفـع
وكبرت الفرسان لله اذ بدا * وظـل الـسلاح المنتضي يتقعقع
وعب عباب الموكب الفخم حوله * ورق كمارق الصباح الملمع
رحلت الى الفسطاط أول رحـلة * بأيمن فال بالذى انت تجمع
فان يك فى مصر ظماء لمورد * فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع
ويممهـم من لا يغار بنعمـة * فيسلبهم لـكن يزيد فيوسـع

ولما دخل الى مصر واختط القاهرة وكتب بالبشارة الى المعز قال ابن هاني

تقول بنو العباس قد فتحت مصر * فقل لبنى العباس قد قضي الامر
وقـد جاوز الاسكندرية جوهر * تصاحبه البشرى ويقـدمه النصر

ولم يزل معظما مطاعا وله حكم ما فتح من بلاد الشام حتى ورد المعز من المغرب الى القاهرة وكان جعفر بن فلاح يرى نفسه أجل من جوهر فلما قدم معه الى مصر سيره جوهر الى بلاد الشام فى العساكر فاخذ الرملة وغلب الحسن بن عبد الله بن طفج وسار فملك طبرية ودمشق فلما صارت الشام له شمخت نفسه عن مكاتبة جوهر فأنفذ كتبه من دمشق الى المعز وهو بالمغرب سرا من جوهر يذكر فيها طاعته ويقع في جوهر ويصف ما فتح الله للمعز على يده فغضب المعز لذلك ورد كتبه كما هى مختومة وكتب اليه قد أخطأت الرأى لنفسك نحن قد انفذناك مـع قائدنا جوهر فاكتب اليه فما وصل منك الينا على يده قرأناه ولا تجاوزه بعد فلسنا نفعل لك ذلك على الوجه الذى اردته وان كنت اهله عندنا ولكننا لا نستفسد جوهرا مع طاعته لنا فزاد غضب جعفر بن فلاح وانكشف ذلك لجوهر فلم يبعث ابن فلاح لجوهر يسأله نجدة خوفا أن لا يجـده بعسكر وأقام مكانه لا يكاتب جوهرا بشيء من أمره الى أن قدم عليه الحسن بن احمد القرمطى وكان من أمره ما قد ذكر في موضعه * ولما مات المعز واستخلف من بعده ابنه العزيز وورد الى دمشق هفتكين الشرابي من بغداد ندب العزيز بالله جوهرا القائد الى الشام فخرج اليها بخزائن السلاح والاموال والعساكر العظيمة فنزل على دمشق لثمان بقين من ذى القعدة سنة خمس وستين وثلثمائة فأقام عليها وهو يحارب اهلها الى أن قدم الحسن بن احمد القرمطى من الاحساء الى الشام فرحل جوهر في ثالث جمادى الاولى سنة ست وستين فنزل على الرملة والقرمطى في أثره فهلك وقام من بعده جعفر القرمطى فحارب جوهرا واشتد الامر على جوهر وسار الى عسقلان وحصره هفتكين بها حتى بلغ من الجهد مبلغا عظيما فصالح هفتكين وخرج

من عسقلان الى مصر بعد أن أقام بها وبظاهر الرملة نحوا من سبعة عشر شهرا فقدم على العزيز وهو يريد الخروج الى الشام فلما ظفر العزيز بهفتكين واصطنعه فى سنة ثمانين وثلثمائة واصطنع منجوتكين التركي أيضاً أخرجه راكبا من القصر وحده في سنة احدى وثمانين والقائد جوهر وابن عمار ومن دونهما من أهل الدولة مشاة في ركابه وكانت يد جوهر في يد ابن عمار فزفر ابن عمار زفرة كاد أن ينشق لها وقال لا حول ولا قوة الا بالله فنزع جوهر يده منه وقال قد كنت عندى يا أبا محمد أثبت من هذا فظهر منك انكار في هذا المقام لاحدثنك حديثا عسى يسليك عما انت فيه والله ما وقف على هذا الحديث احد غيرى لما خرجت الى مصر وأنفذت الى مولانا المعز من اسرته ثم حصل في يدي آخرون اعتقلهم وهم نيف على ثلثمائة اسير من مذكوريهم والمعروفين فيهم فلما ورد مولانا المعز الى مصر أعلمته بهم فقال اعرضهم على واذكر في كل واحد حاله ففعلت وكان في يده كتاب مجلد يقرأ فيه فجعلت آخذ الرجل من يد الصقالبة وأقدمه اليه وأقول هذا فلان ومن حاله وحاله فيرفع رأسه وينظر اليه ويقول يجوز ويعود الى قراءة ما في الكتاب حتى احضرت له الجماعة وكان آخرهم غلاما تركيا فنظر اليه وتأمله ولما ولى أتبعه بصره فلما لم يبق أحد قبلت الارض وقلت يا مولانا رأيتك فعلت لما رأيت هذا التركي ما لم تفعله مع من تقدمه فقال يا جوهر يكون عندك مكتوما حتى ترى انه يكون لبعض ولدنا غلام من هذا الجنس تتفق له فتوحات عظيمة في بلاد كثيرة ويرزقه الله على يده ما لم يرزقه أحد منا مع غيره وأنا أظن انه ذاك الذي قال لى مولانا المعز ولا علينا اذا فتح الله لموالينا على ايدينا او على يد من كان يا أبا محمد لكل زمان دولة ورجال أريد نحن أن نأخذ دولتنا ودولة غيرنا لقد أرجل لى مولانا المعز لما سرت الى مصر أولاده واخوته وولي عهده وسائر أهل دولته فتعجب الناس من ذلك وها أنا اليوم أمشي رجلا بين يدى منجوتكين أعزونا وأعزوا بنا غيرنا وبعد هذا فأقول اللهم قرب أجلي ومدتي فقد انفت على الثمانين أو أنا فيها فمات في تلك السنة وذلك أنه اعتل فركب اليه العزيز بالله عائدا وحمل اليه قبل ركوبه خمسة آلاف دينار ومرتبة مثقل وبعث اليه الامير منصور بن العزيز بالله خمسة آلاف دينار وتوفى يوم الاثنين لسبع بقين من ذى القعدة سنة احدى وثمانين وثلثمائة فبعث اليه العزيز بالحنوط والكفن وأرسل اليه الامير منصور بن العزيز أيضاً الكفن وأرسلت اليه السيدة العزيزية الكفن فكفن فى سبعين ثوبا ما بين مثقل ووشى مذهب وصلى عليه العزيز بالله وخلع على ابنه الحسين وحمله وجعله في مرتبة ابيه ولقبه بالقائد ابن القائد ومكنه من جميع ما خلفه ابوه وكان جوهر عاقلا محسنا الى الناس كاتبا بليغا فمن مستحسن توقيعاته على قصة رفعت اليه بمصر سوء الاجترام . أوقع بكم حلول الانتقام . وكفر الانعام . أخرجكم

من حفظ الذمام . فالواجب فيكم ترك الايجاب . واللازم لكم ملازمة الاحتساب . لانكم بدأتم فأسأتم . وعدتم فتعديتم . فابتداؤكم ملوم . وعودكم مذموم . وليس بينهما فرجة الا تقتضي الذم لكم . والاعراض عنكم . ليرى أمير المؤمنين صلوات الله عليه رأيه فيكم . ولما مات رثاه كثير من الشعراء (السور الثاني) بناه أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ثمانين وأربعمائة وزاد فيه الزيادات التي فيما بين بابي زويلة وباب زويلة الكبير وفيما بين باب الفتوح الذى عند حارة بهاء الدين وباب الفتوح الآن وزاد عند باب النصر أيضاً جميع الرحبة التي تجاه جامع الحاكم الآن الى باب النصر وجعل السور من لبن وأقام الابواب من حجارة وفي نصف جمادى الآخرة سنة ثماني عشرة وثمانمائة ابتدئ بهدم السور الحجر فيما بين باب زويلة الكبير وباب الفرج عند ما هدم الملك المؤيد شيخ الدور ليبني جامعه فوجد عرض السور في الاماكن نحو العشرة أذرع (السور الثالث) ابتدأ فى عمارته السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ست وستين وخمسمائة وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله فلما كانت سنة تسع وستين قد استولى على المملكة انتدب لعمل السور الطواشي بهاء الدين قراقوش الاسدى فبناه بالحجارة على ما هو عليه الآن وقصد أن يجعل على القاهرة ومصر والقلعة سورا واحدا فزاد في سور القاهرة القطعة التي من باب القنطرة الى باب الشعرية ومن باب الشعرية الى باب البحر وبنى قلعة المقس وهى برج كبير وجعله على النيل بجانب جامع المقس وانقطع السور من هناك وكان في أمله مد السور من المقس الى أن يتصل بسور مصر وزاد في سور القاهرة قطعة مما يلى باب النصر ممتدة الى باب البرقية والى درب بطوط والى خارج باب الوزير ليتصل بسور قلعة الجبل فانقطع من مكان يقرب الآن من الصوة تحت القلعة لموته والى الآن آثار الجدر ظاهرة لمن تأملها فيما بين آخر السور الى جهة القلعة وكذلك لم يتهيأ له أن يصل سور قلعة الجبل بسور مصر وجاء دور هذا السور المحيط بالقاهرة الآن تسعة وعشرين ألف ذراع وثلثمائة ذراع وذراعين بذراع العمل وهو الذراع الهاشمي من ذلك ما بين قلعة المقس على شاطئ النيل والبرج بالكوم الاحمر بساحل مصر عشرة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ومن قلعة المقس الى حائط قلعة الجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلثمائة واثنان وتسعون ذراعا ومن جانب حائط قلعة الجبل من جهة مسجد سعد الدولة الى البرج بالكوم الاحمر سبعة آلاف ومائتا ذراع ومن وراء القلعة بحيال مسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتان وعشرة اذرع وذلك طول قوسه فى ابراجه من النيل الى النيل وقلعة المقس المذكورة كانت برجا مطلا على النيل في شرقي جامع المقس ولم تزل الى أن هدمها الوزير الصاحب شمس الدين عبدالله المقسي عند ما جدد الجامع المذكور فى سنة سبعين وسبعمائة وجعل فى مكان البرج المذكور جنينته وذكر أنه

وجد في البرج مالا وانه انما جدد الجامع منه والعامة تقول اليوم جامع المقسي بالاضافةوكان يحيط بسور القاهرة خندق شرع فى حفره من باب الفتوح الى المقس في المحرم سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وكان أيضا من الجهة الشرقية خارج باب النصر الى باب البرقية وما بعده وشاهدت آثار الخندق باقية ومن ورائه سوربا براج له عرض كبير مبنى بالحجارة الا أن الخندق انطم وتهدمت الاسوار التى كانت من ورائه وهذا السور هو الذى ذ كره القاضي الفاضل فى كتابه الى السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فقال والله يحي المولى حتى يستدير بالبلدين نطاقه ويمتد عليهما رواقه فما عقيلة ماكان معصمها ليترك بغير سوار ولا خصرها ليتحلى بغير منطقة نضار والآن قد استقرت خواطر الناس وأمنوا به من يد تتخطف ومن يد مجرم يقدم ولا يتوقف

ذكر أبواب القاهرة

وكان للقاهرة من جهتها القبلية بابان متلاصقان يقال لهما بابا زويلة ومن جهتها البحرية بابان متباعدان احدهما باب الفتوح والآخر باب النصر ومن جهتها الشرقية ثلاثة ابواب متفرقة أحدها يعرف الآن بباب البرقية والآخر بالباب الجديد والآخر بالباب المحروق ومن جهتها الغربية ثلاثة ابواب باب القنطرة وباب الفرج وباب سعادة وباب آخر يعرف بباب الخوخة ولم تكن هذه الابواب على ماهي عليه الآن ولافى مكانها عند ماوضعها جوهر

(باب زويلة)

كان باب زويلة عند ماوضع القائد جوهر القاهرة بابين متلاصقين بجوار المسجد المعروف اليوم بسام بن نوح فلما قدم المعزالى القاهرة دخل من احدهما وهو الملاصق للمسجد الذى بقى منه الى اليوم عقد ويعرف بباب القوس فتيامن الناس به وصاروا يكثرون الدخول والخروج منه وهجروا الباب المجاور له حتى جرى على الالسنة أن من مر به لاتقضى له حاجة وقد زال هذا الباب ولم يبق له أثر اليوم الا انه يفضى الى الموضع الذى يعرف اليوم بالحجارين حيث تباع آلات الطرب من الطنابير والعيدان ونحوهما والى الآن مشهور بين الناس أن من يسلك من هناك لاتقضى له حاجة ويقول بعضهم من اجل أزهنا لك آلات المنكر وأهل البطالة من المغنين والمغنيات وليس الامر كما زعم فان هذا القول جار على ألسنة اهل القاهرة من حين دخل المعزالها قبل أن يكون هذا الموضع سوقا للمعازف وموضعا لجلوس اهل المعاصى * فلما كان في سنة خمس وثمانين وأربعمائة بنى امير الجيوش بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر بالله باب زويلة الكبير الذى هو باق الى الآن وعلى أبراجه ولم يعمل له باشورة كما هى عادة ابواب الحصون من أن يكون في كل باب عطف حتى لاتهجم عليه العساكر فى وقت الحصار ويتعذر سوق الخيل ودخولها جملة لكنه عمل فى

بابه زلاقة كبيرة من حجارة صوان عظيمة بحيث اذا هجم عسكر على القاهرة لاتثبت قوائم الخيل على الصوان فلم تزل هذه الزلاقة باقية الى ايام السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب فاتفق مروره من هنالك فاختل فرسه وزلق به وأحسبه سقط عنه فامر بنقضها فنقضت وبقى منها شيء يسير ظاهر فلما ابتنى الامير جمال الدين يوسف الاستادار المسجد المقابل لباب زويلة وجعله باسم الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق ظهر عند حفره الصهريج الذي به بعض هذه الزلاقة وأخرج منها حجارة من صوان لا تعمل فيها العدة الماضية وأشكالها في غاية من الكبر لا يستطيع جرها الأربعة أرؤس بقر فاخذ الامير جمال الدين منها شيئاً والى الآن حجر منها ملقى تجاه قبو الخرنشف من القاهرة * ويذكر أن ثلاثة اخوة قدموا من الرها بنائين بنوا باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح كل واحد بنى بابا وأن باب زويلة هـذا بنى فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة وأن باب الفتوح بنى في سنة ثمانين وأربعمائة * وقد ذكر ابن عبد الظاهر في كتاب خطط القاهرة أن باب زويلة هـذا بناه العزيز بالله نزار بن المعز وتممه أمير الجيوش وأنشد لعلى بن محمد النيلى

يا صاح لو أبصرت باب زويلة * لعلمت قدر محله بنيانا
باب تأزر بالمجرة وارتدى الـشعرى ولاث برأسه كيوانا
لو أن فرعونا بناه لم يرد * صرحا ولا أوصى به هامانا   اه

* وسمعت غير واحد يذكر أن فردتيه يدوران في سكرجتين من زجاج * وذكر جامع سيرة الناصر محمد بن قلاون أن في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة رتب ايدكين والى القاهرة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاون على باب زويلة خليلية تضرب كل ليلة بعد العصر * وقد أخبرنى من طاف البلاد ورأى مدن المشرق أنه لم يشاهد في مدينة من المدائن عظم باب زويلة ولا يرى مثل بدنتيه اللتين عن جانبيه ومن تأمل الاسطر التي قد كتبت على أعلاه من خارجه فانه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه وقد كانت البدنتان أكبر مما هما الآن بكثير هدم أعلاهما الملك المؤيد شيخ لما أنشأ الجامع داخل باب زويلة وعمر على البدنتين منارتين ولذلك خبر تجده فى ذكر الجوامع عند ذكر الجامع المؤيدى

(باب النصر)

كان باب النصر أولا دون موضعه اليوم وأدركت قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى بحيث تكون الرحبة التي فيما بين المدرسة القاصدية وبين بابى جامع الحاكم القبليين خارج القاهرة ولذلك تجد في أخبار الجامع الحاكمي أنه وضع خارج القاهرة فلما كان في أيام المستنصر وقدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا وتقلد وزارته وعمر

سور القاهرة نقـل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر الى حيث هو الآن فصار قريباً من مصلى العيد وجعل له باشورة أدركت بعضها الى أن احتفرت أخت الملك الظاهر برقوق الصهريج السبيل تجاه باب النصر فهدمته وأقامت السـبيل مكانه وعلى باب النصر مكتوب بالكوفى في أعلاه لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولى الله صلوات الله عليهما

(باب الفتوح)

وضعه القائد جوهر دون موضعه الآن وبقى منه الى يومنا هذا عقده وعضادته اليسرى وعليه أسطر من الكتابة بالكوفى وهو برأس حارة بهاء الدين من قبليها دون جدار الجامع الحاكمي وأما الباب المعروف اليوم بباب الفتوح فانه من وضع أمير الجيوش وبين يديه باشورة قد ركبها الآن الناس بالبنيان لما عمر ما خرج عن باب الفتوح *(أمير الجيوش)* أبو النجم بدر الجمالى كان مملوكا أرمنيا لجمال الدولة بن عمار فلذلك عرف بالجمالي ومازال يأخذ بالجد من زمن سبيه فيما يباشره ويوطن نفسه على قوة العزم ويتنقل في الخدم حتي ولى امارة دمشق من قبل المستنصر في يوم الاربعاء ثالث عشرى ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة ثم سار منها كالهارب في ليلة الثلاثاء لاربع عشرة خلت من رجب سنة ست وخمسين ثم وليها ثانيا يوم الاحد سادس شعبان سـنة ثمان وخمسين فبلغه قتل ولده شعبان بعسقلان فخرج فى شهر رمضان سنة ستين وأربعمائة فثار العسكر وأخربوا قصره وتقلد نيابة عكا فلما كانت الشـدة بمصر من شدة الغلاء وكثرة الفتن والاحوال بالحضرة قد فسدت والامور قد تغيرت وطوائف العسكر قد شغبت والوزراء يقنعون بالاسم دون نفاذ الامر والنهى والرخاء قد أيس منه والصلاح لا مطمع فيه ولواتة قد ملكت الريف والصعيد بأيدى العبيد والطرقات قد انقطعت براً وبحراً الا بالخفارة الثقيلة فلما قتل بلدكوش ناصر الدولة حسين بن حمدان كتب المستنصر اليه يستدعيه ليكون المتولى لتدبير دولته فاشترط ان يحضر معه من يختاره من العساكر ولا يبقى أحداً من عسكر مصر فاجابه المستنصر الى ذلك فاستخدم معه عسكراً وركب البحر من عكا فى أول كانون وسار بمائة مركب بعد أن قيل له ان العادة لم تجر بركوب البحر في الشتاء لهيجانه وخوف التلف فابى عليهم وأقلع فتمادى الصحو والسكون مع الريح الطيبة مدة أربعـين يوما حتى كثر التعجب من ذلك وعد من سعادته فوصل الى تنيس ودمياط واقترض المال من تجارها ومياسيرها وقام بامر ضيافته وما يحتاج اليه من الغـلال سليمان اللواتى كبير أهل البحيرة وسـار الى قليوب فنزل بها وأرسل الى المستنصر يقول لا أدخل الى مصر حتى تقبض على بلدكوش وكان أحد الامراء وقد اشتد على المستنصر بعد قتل ابن حمدان فبادر المستنصر وقبض عليه واعتقله بخزانة البنود فقدم بدر عشية الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سـنة خمس

وستين وأربعمائة فتهيأ له أن قبض على جميع أمراء الدولة وذلك أنه لما قدم لم يكن عند الامراء علم من استدعائه فما منهم الا من أضافه وقدم اليه فلما انقضت نوبهم في ضيافته استدعاهم الى منزله في دعوة صنعها لهم وبيت مع أصحابه أن القوم اذا أجنهم الليل فانهم لا بد يحتاجون الى الخلاء فمن قام منهم الى الخلاء يقتل هناك ووكل بكل واحد واحداً من أصحابه وأنعم عليه بجميع ما يتركه ذلك الامير من دار ومال واقطاع وغيره فصار الامراء اليه وظلوا نهارهم عنده وباتوا مطمئنين فما طلع ضوء النهار حتى استولى أصحابه على جميع دور الامراء وصارت رؤسهم بين يديه فقويت شوكته وعظم أمره وخلع عليه المستنصر بالطيلسان المقور وقلده وزارة السيف والقلم فصارت القضاة والدعاة وسائر المستخدمين من تحت يده وزيد في ألقابه أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين وتتبع المفسدين فلم يبق منهم أحداً حتى قتله وقتل من أماثل المصريين وقضاتهم ووزرائهم جماعة ثم خرج الى الوجه البحرى فأسرف فى قتل من هنالك من لواتة واستصفى أموالهم وأزاح المفسدين وأفناهم بأنواع القتل وصار الى البر الشرقي فقتل منه كثيرا من المفسدين ونزل الى الاسكندرية وقد ثار بها جماعة مع ابنه الاوحد فحاصرها أياما من المحرم سنة سبع وسبعين وأربعمائة الى أن أخذها عنوة وقتل جماعة ممن كان بها وعمر جامع العطارين من مال المصادرات وفرغ من بنائه في ربيع الاول سنة تسع وسبعين وأربعمائة ثم سار الى الصعيد فحارب جهينة والثعالبة وأفنى أكثرهم بالقتل وغنم من الاموال مالا يعرف قدره كثرة فصلح به حال الاقليم بعد فساده ثم جهز العساكر لمحاربة البلاد الشامية فسارت اليها غير مرة وحاربت أهلها ولم يظفر منها بطائل واستناب ولده شاهنشاه وجعله ولى عهده * فلما كان في سنة سبع وثمانين وأربعمائة مات فى ربيع الآخر وقيل فى جمادى الاولى منها وقد تحكم في مصر تحكم الملوك ولم يبق للمستنصر معه أمر واستبد بالامور فضبطها أحسن ضبط وكان شديد الهيبة وافر الحرمة مخوف السطوة قتل من مصر خلائق لا يحصيها الا خالقها منها أنه قتل من أهل البحيرة نحو العشرين ألف انسان الى غير ذلك من أهل دمياط والاسكندرية والغربية والشرقية وبلاد الصعيد وأسوان وأهل القاهرة ومصر الا أنه عمر البلاد وأصلحها بعد فسادها وخرابها باتلاف المفسدين من أهلها وكان له يوم مات نحو الثمانين سنة وكانت له محاسن • منها أنه أباح الارض للمزارعين ثلاث سنين حتى ترفهت أحوال الفلاحين واستغنوا في أيامه • ومنها حضور التجار الى مصر لكثرة عدله بعد انتزاحهم منها في أيام الشدة • ومنها كثرة كرمه وكانت مدة أيامه بمصر احدى وعشرين سنة وهو أول وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر * ومن آثاره الباقية بالقاهرة باب زويلة وباب الفتوح وباب النصر وقام من بعده بالامر ابنه شاهنشاه الملقب بالافضل بن

أمير الجيوش وبه وبابنه الافضل أبهة الخلفاء الفاطمية بعد تلاشى أمرها وعمرت الديار المصرية بعد خرابها واضمحلال أحوال أهلها وأظنه هو الذي أخبر عنه المعز فيما تقدم من حكاية جوهر عنه فانه لم يتفق ذلك لاحد من رجال دولتهم غيره والله يعلم وأنتم لا تعلمون

(باب القنطرة)

عرف بذلك لان جوهراً القائد بنى هناك قنطرة فوق الخليج الذى بظاهر القاهرة ليمشى عليها الى المقس عند مسير القرامطة الى مصر في شوال سنة ستين وثلثمائة

(باب الشعرية)

يعرف بطائفة من البربر يقال لهم بنو الشعرية هم ومزانة وزيارة وهوارة من أحلاف لواتة الذين نزلوا بالمنوفية

(باب سعادة)

عرف بسعادة بن حيان غلام المعز لدين الله لانه لما قدم من بلاد المغرب بعد بناء القائد جوهر القاهرة نزل بالجيزة وخرج جوهر الى لقائه فلما عاين سعادة جوهراً ترجل وسار الى القاهرة في رجب سنة ستين وثلثمائة فدخل اليها من هـذا الباب فعرف به وقيل له باب سعادة ووافى سعادة هذا القاهرة بجيش كبير معه فلما كان في شوال سيره جوهر في عسكر مجر عند ورود الخبر من دمشق بمجيء الحسين بن احمد القرمطي المعروف بالاعصم الى الشام وقتل جعفر بن فلاح فسار سعادة يريد الرملة فوجد القرمطي قد قصدها فانحاز بمن معه الى يافا ورجع الى مصر ثم خرج الى الرملة فملكها فى سنة أحدى وستين فأقبل اليه القرمطي ففر منه الى القاهرة وبها مات لخمس بقين من المحرم سنة اثنين وستين وثلثمائة وحضر جوهر جنازته وصلى عليه الشريف أبو جعفر مسلم وكان فيه بر واحسان

(الباب المحروق)

كان يعرف قديماً بباب القراطين فلما زالت دولة بني أيوب واستقل بالملك الملك المعز عز الدين ايبك التركماني أول من ملك من المماليك بمملكة مصر فى سنة خمسين وستمائة كان حينئذ أكبر الامراء البحرية مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب الفارس اقطاى الجمدار وقد استفحل أمره وكثرت أتباعه ونافس المعز أيبك وتزوج بابنة الملك المظفر صاحب حماه وبعث الى المعز بأن ينزل من قلعة الجبل ويخليها له حتى يسكنها بامرأته المذكورة فقلق المعز منه وأهمه شأنه وأخذ يدبر عليه فقرر مع عدة من مماليكه أن يقفوا بموضع من القلعة عينه لهم واذا جاء الفارس اقطاى فتكوا به وأرسل اليه وقت القائلة يستدعيه ليشاوره في أمر مهم فركب في قائلة يوم الاثنين حادى عشر شعبان سنة اثنتين وخمسين وستمائة في نفر من مماليكه وهو آمن مطمئن بما صار له في الانفس من الحرمة والمهابة وبما يثق به من

شجاعته فلما صار بقلعة الجبل وانتهى الى قاعة العواميد عوق من معه من المماليك عن الدخول معه ووثب به المماليك الذين أعدهم المعز وتناولوه بالسيوف فهلك لوقته وغلقت أبواب القلعة وانتشر الصوت بقتله في البلد فركب أصحابه وخشداشيته وهم نحو السبعمائة فارس الى تحت القلعة وفي ظنهم أن الفارس اقطاى لم يقتل وانما قبض عليه السلطان وانهم يقاتلونه حتى يطلقه لهم فلم يشعروا الا برأس الفارس اقطاى وقد ألقيت عليهم من القلعة فانفضوا لوقتهم وتواعدوا على الخروج من مصر الى الشام وأكابرهم يومئذ بيبرس البندقداري وقلاون الالفى وسنقر الاشقر وبيسرى وسكر وبرامق فخرجوا في الليل من بيوتهم بالقاهرة الى جهة باب القراطين ومن العادة أن تغلق أبواب القاهرة بالليل فألقوا النار في الباب حتى سقط من الحريق وخرجوا منه فقيل له من ذلك الوقت الباب المحروق وعرف به وأما القوم فانهم ساروا الى الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب الشام فقبلهم وأنعم عليهم وأقطعهم اقطاعات واستكثر بهم وأصبح المعز وقد علم بخروجهم الى الشام فأوقع الحوطة على جميع أموالهم ونسائهم وأولادهم وعامة تعلقاتهم وسائر أسبابهم وتتبعهم ونادى عليهم في الاسواق بطاب البحرية وتحذير العامة من اخفائهم فصار اليه من أموالهم ما ملأ عينه واستمرت البحرية في الشام الى أن قتل المعز أيبك وخلع ابنه المنصور وتسلطن الامير قطز فتراجعوا في أيامه الى مصر وآلت أحوالهم الى أن تسلطن منهم بيبرس وقلاون ولله عاقبة الامور

(باب البرقية)

ذكر قصور الخلفاء ومناظرهم والالماع بطرف من مآثرهم
وما صارت اليه أحوالها من بعدهم

اعلم أنه كان للخلفاء الفاطميين بالقاهرة وظواهرها قصور ومناظر منها القصر الكبير الشرقي الذى وضعه القائد جوهر عند ما أناخ في موضع القاهرة ومنها القصر الصغير الغربي والقصر اليافعي وقصر الذهب وقصر الاقيال وقصر الظفر وقصر الشجرة وقصر الشوك وقصر الزمرذ وقصر النسيم وقصر الحريم وقصر البحر وهذه كلها قاعات ومناظر من داخل سور القصر الكبير ويقال لها القصور الزاهرة ويسمى مجموعها القصر وكان بجوار القصر الغربي الميدان والبستان الكافورى وكان لهم عدة مناظر وآدر سلطانية غير هذه القصور منها دار الضيافة ودار الوزارة ودار الوزارة القديمة ودار الضرب والمنظرة بالجامع الازهر والمنظرة بجوار الجامع الاقمر ومنظرة اللؤلؤة على الخليج بظاهر القاهرة ومنظرة الغزالة ودار الذهب ومنظرة المقس ومنظرة الدكة والبعل والخمس وجوه والتاج وقبة الهواء والبساتين الجيوشية والبستان الكبير ومنظرة السكرة والمنظرة ظاهر باب الفتوح

ودار الملك بمدينة مصر ومنازل العز بها ومنظرة الصناعة بالساحل ومنظرة بجوار جامع القرافة الكبرى المعروف اليوم بجامع الاولياء والاندلس بالقرافة والمنظرة ببركة الحبش وسأذكر من أخبار هذه الاماكن في مدة الدولة الفاطمية وما آل اليه حالها بحسب ما انتهى الي علمه ان شاء الله تعالى

(القصر الكبير)

هذا القصر كان فى الجهة الشرقية من القاهرة فلذلك يقال له القصر الكبير الشرقى ويسمى القصر المعزى لان المعز لدين الله أبا تميم معدا هو الذى أمر عبده وكاتبه جوهراً ببنائه حين سيره من رمادة أحد بلاد افريقية بالعساكر الى مصر وألقى اليه ترتيبه فوضعه على الترتيب الذى رسمه له ويقال ان جوهراً لما أسسه في الليلة التي أناخ قبلها في موضعه وأصبح رأى فيه ازورارات غير معتدلة لم تعجبه فقيل له في تغييرها فقال قد حفر في ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله * وكان ابتداء وضعه مع وضع أساس سور القاهرة في ليلة الاربعاء الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وركب عليه بابان يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين ثم انه أدار عليه سوراً محيطاً به فى سنة ستين وثلثمائة وهذا القصر كان دار الخلافة وبه سكن الخلفاء الى آخر أيامهم فلما انقرضت الدولة على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أخرج أهل القصر منه وأسكن فيه الامراء ثم خرب أولا فأولا * وذكر ابن عبد الظاهر فى كتاب خطط القاهرة عن مرهف بواب باب الزهومة أنه قال أعلم هذا الباب المدة الطويلة وما رأيته دخل اليه حطب ولا رمى منه تراب قال وهذا أحد أسباب خرابه لوقود أخشابه وتكويم ترابه قال ولما أخذه صلاح الدين وأخرج من كان به كان فيه اثنا عشر ألف نسمة ليس فيهم فحل الا الخليفة وأهله وأولاده فأسكنهم دار المظفر بحارة برجوان وكانت تعرف بدار الضيافة. قال ووجد الى جانب القصر بئر تعرف ببئر الصنم كان الخلفاء يرمون فيها القتلى فقيل ان فيها مطلباً وقصد تغويرها فقيل انها معمورة بالجان وقتل عمارها جماعة من أشياعه فردمت وتركت انتهى. وكان صلاح الدين لما أزال الدولة أعطى هذا القصر الكبير لامراء دولته وأنزلهم فيه فسكنوه وأعطى القصر الصغير الغربي لاخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب فسكنه وفيه ولد له ابنه الكامل ناصر الدين محمد وكان قد أنزل والده نجم الدين أيوب بن شادى في منظرة اللؤلؤة ولما قبض على الامير داود ابن الخليفة العاضد وكان ولي عهد أبيه وينعت بالحامد لله اعتقله وجميع اخوته وهم أبو الامانة جبريل وأبو الفتوح وابنه أبو القاسم وسليمان بن داود بن العاضد وعبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد واسماعيل بن العاضد وجعفر بن أبي الطاهر بن جبريل

وعبد الظاهر بن أبى الفتوح بن جبريل بن الحافظ وجماعة فلم يزالوا فى الاعتقال بدار
المظفر وغيرها الى أن انتقل الكامل محمد بن العادل من دار الوزارة بالقاهرة الى قلعة
الجبل فنقل معه ولد العاضد واخوته وأولاد عمه واعتقلهم بها وفيها مات داود بن العاضد
ولم يزل بقيتهم معتقلين بالقلعة الى أن استبد السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس
البندقدارى قام في سنة ستين بالاشهاد على كمال الدين اسمعيل بن العاضد وعماد الدين أبى
القاسم ابن الامير أبى الفتوح بن العاضد وبدر الدين عبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد
أن جميع المواضع التي قبلي المدارس الصالحية من القصر الكبير والموضع المعروف بالتربة
باطناً وظاهراً بخط الخوخ السبع وجميع الموضع المعروف بالقصر اليافعي بالخط المذكور
وجميع الموضع المعروف بالجباسة بالخط المذكور وجميع الموضع المعروف بخزائن
السلاح السلطانية وما هو بخطه وجميع الموضع المعروف بسكن أولاد شيخ
الشيوخ وغيرهم من القصر الشارع بابه قبالة دار الحديث النبوى الكاملية وجميع الموضع
المعروف بالقصر الغربي وجميع الموضع المعروف بدار القنطرة بخط المشهد الحسينى وجميع
الموضع المعروف بدار الضيافة بحارة برجوان وجميع الموضع المعروف بدار الذهب بظاهر
القاهرة وجميع الموضع المعروف باللؤلؤة وجميع قصر الزمرذ وجميع البستان الكافورى
ملك لبيت المال بالنظر المولوى السلطانى الملكي الظاهرى من وجه صحيح شرعى لارجعة
لهم فيه ولا لواحد منهم في ذلك ولا في شيء منه ولاء ولا شبهة بسبب يدولا ملك ولا وجه
من الوجوه كلها خلا مافي ذلك من مسجد لله تعالى أو مدفن لآبائهم فأشهدوا عليهم
بذلك وورخوا الاشهاد بالثالث عشر من جمادي الاولى سنة ستين وستمائة وأثبت على يد
قاضى القضاة الصاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعي وتقرر مع المذكورين
أنه مهما كان قبضوه من اثمان بعض الاماكن المذكورة التى عاقد عليها وكلاؤهم واتصلوا
اليه يحاسبوا به من جملة ماتحرر ثمنه عند وكيل بيت المال وقبضت ايدى المذكورين عن
التصرف فى الاماكن المذكورة وغيرها مما هو منسوب الى آبائهم ووسم ببيع ذلك فباعه
وكيل بيت المال كمال الدين ظافر شيأ بعد شيء ونقضت تلك المبانى وابتني فى مواضعها على
غير تلك الصفة من المساكن وغيرها كما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى وكان هذا القصر
يشتمل على مواضع منها *(قاعة الذهب)* وكان يقال لقاعة الذهب قصر الذهب وهو
أحد قاعات القصر الذى هو قصر المعز لدين الله معد وبنى قصر الذهب العزيز بالله نزار
ابن المعز وكان يدخل اليه من باب الذهب الذى كان مقابلا للدار القطبية التى هى اليوم
المارستان المنصورى ويدخل اليه أيضا من باب البحر الذى هو الآن تجاه المدرسة الكاملية
وجدد هذا القصر من بعد العزيز الخليفة المستنصر فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وبهذه

القاعة كانت الخلفاء تجلس فى الموكب يوم الاثنين ويوم الخميس وبها كان يعمل سماط شهر رمضان للامراء وسماط العيدين وبها كان سرير الملك * (هيئة جلوس الخليفة بمجلس الملك) * قال الفقيه ابو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق فى كتاب سيرة المعز وكان وصول المعز لدين الله الى قصره بمصر فى يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة ولما وصل الى قصره خرسا جدا ثم صلى ركعتين وصلى بصلاته كل من دخل معه واستقر فى قصره باولاده وحشمه وخواص عبيده والقصر يومئذ يشتمل على مافيه من عين وورق وجوهر وحلى وفرش وأوان وثياب وسلاح وأسفاط وأعدال وسروج ولجم وبيت المال بحاله بما فيه وفيه جميع مايكون للملوك وللنصف من رمضان جلس المعز فى قصره على السرير الذهب الذى عمله عبده القائد جوهر فى الايوان الجديد وأذن بدخول الاشراف اولا ثم اذن بعدهم للاولياء ولسائر وجوه الناس وكان القائد جوهر قائما بين يديه يقدم الناس قوما بعد قوم ثم مضى القائد جوهر وأقبل بهديته التي عباها ظاهرة يراها الناس وهى من الخيل مائة وخمسون فرسا مسرجة ملجمة منها مذهب ومنها مرصع ومنها معنبر واحدى وثلاثون قبة على نوق بخاتي بالديباج والمناطق والفرش منها تسعة بديباج مثقل وتسع نوق مجنوبة مزينة بمثقل وثلاثة وثلاثون بغلا منها سبعة مسرجة ملجمة ومائة وثلاثون بغلا للنقل وتسعون نجيبا واربعة صناديق مشبكة يري ما فيها وفيها أوانى الذهب والفضة ومائة سيف محلي بالذهب والفضة ودرجان من فضة مخرقة فيها جوهر وشاشية مرصعة فى غلاف وتسعمائة ما بين سفط وتخت فيها سائر ما أعد له من ذخائر مصر * وفى يوم عرفة نصب المعز الشمسية التي عملها للكعبة على ايوان قصره وسعتها اثنا عشر شبرا في اثني عشر شبرا وأرضها ديباج احمر ودورها اثنا عشر هلال ذهب في كل هلال أترجة ذهب مشبك جوف كل اترجة خمسون درة كبار كبيض الحمام وفيها الياقوت الاحمر والاصفر والازرق وفي دورها كتابة آيات الحج بزمرذ أخضر قد فسر وحشو الكتابة در كبير لم ير مثله وحشوا الشمسية المسك المسحوق يراها الناس في القصر ومن خارج القصر لعلوّ موضعها وانما نصبها عدّة فراشين وجرّوها لثقل وزنها * وقال فى كتاب الذخائر والتحف وماكان بالقصر من ذلك ان وزن ما استعمل من الذهب الابريز الخالص فى سرير الملك الكبير مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال ووزن ما حلى به الستر الذي انشأه سيد الوزراء ابو محمد البازورى من الذهب ايضا ثلاثون ألف مثقال وانه رصع بألف وخمسمائة وستين قطعة جوهر من سائر ألوانه وذكر ان في الشمسية الكبيرة ثلاثين الف مثقال ذهبا وعشرين ألف درهم مخرّقة وثلاثة آلاف وستمائة قطعة جوهر من سائر ألوانه وأنواعه وان في الشمسية التى لم تتم من الذهب سبعة عشر الف مثقال * وقال المرتضى ابو محمد عبد السلام بن محمد بن

الحسن بن عبد السلام بن الطوير الفهري القيسراني الكاتب المصري في كتاب نزهة المقلتين في أخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية الفصل العاشر في ذكر هيئتهم في الجلوس العام بمجاس الملك ولا يتعدى ذلك يومى الاثنين والخميس ومن كان أقرب الناس اليهم ولهم خدم لا تخرج عنهم وينتظر لجلوس الخليفة أحد اليومين المذكورين وليس على التوالي بل على التفاريق فاذا تهيأ ذلك فى يوم من هذه الايام استدعى الوزير من داره صاحب الرسالة على الرسم المعتاد فى سرعة الحركة فركب في أبهته وجماعته على الترتيب المقدم ذكره يعني فى ذكر الركوب اول العام وسيأتى ان شاء الله تعالى في موضعه من هذا الكتاب فيسير من مكان ترجله عن دابته بدهليز العمود الى مقطع الوزارة وبين يديه اجلاء أهل الامارة كل ذلك بقاعة الذهب التي كان يسكنها السلطان بالقصر وكان الجلوس قبل ذلك بالايوان الكبير الذى هو خزائن السلاح في صدره على سرير الملك وهو باق فى مكانه الى الآن من هذا المكان الى آخر أيام المستعلى ثم ان الآمر نقل الجلوس الى هذا المكان واسمه مكتوب بأعلى باذهنجه الى اليوم ويكون المجلس المذكور معلقا فيه ستور الديباج شتاء والدبيقى صيفا وفرش الشتاء بسط الحرير عوضا عن الصوف مطابقا لستور الديباج وفرش الصيف مطابقا لستور الدبيقى ما بين طبرى وطبرستانى مذهب معدوم المثل وفي صدره المرتبة المؤهلة لجلوسه في هيئة جليلة على سرير الملك المغشي بالقرقوبى فيكون وجه الخليفة عليه قبالة وجوه الوقوف بين يديه فاذا تهيأ الجلوس استدعى الوزير من المقطع الى باب المجلس المذكور وهو مغلق وعليه ستر فيقف بحذائه وعن يمينه زمام القصر وعن يساره زمام بيت المال فاذا انتصب الخليفة على المرتبة وضع امين الملك مفلح احد الاستاذين المحنكين الخواص الدواة مكانها من المرتبة وخرج من المقطع الذى يقال له فرد الكم فاذا الوزير واقف أمام باب المجلس وحواليه الامراء المطوقون ارباب الخدم الجليلة وغيرهم وفي خلالهم قراء الحضرة فيشير صاحب المجلس الى الاستاذين فيرفع كل منهم جانب الستر فيظهر الخليفة جالسا بمنصبه المذكور فتستفتح القراء بقراءة القرآن الكريم ويسلم الوزير بعد دخوله اليه فيقبل يديه ورجليه ويتأخر مقدار ثلاثة اذرع وهو قائم قدر ساعة زمانية ثم يؤمر بأن يجلس على الجانب الايمن وتطرح له مخدة تشريفا ويقف الامراء في اماكنهم المقررة فصاحب الباب واسفهسلار العساكر من جانبي الباب يمينا ويسارا ويليهم من خارجه لاصقا بعتبته زمام الآمرية والحافظية كذلك ثم يرتبهم على مقاديرهم فكل واحد لا يتعدى مكانه هكذا الى آخر الرواق وهو الافريز العالي عن ارض القاعة ويعلوه الساباط على عقود القناطر التى على المهد هناك ثم أرباب القصب والعماريات يمنة ويسرة كذلك ثم الاماثل والاعيان من الاجناد المترشحين للتقدمة ويقف مستندا للصدر الذى يقابل باب المجلس

بواب الباب والحجاب ولصاحب الباب في ذلك المحل الدخول والخروج وهو الموصل عن كل قائل ما يقول فاذا انتظم ذلك النظام واستقر بهم المقام فأول ماثل للخدمة بالسلام قاضي القضاة والشهود المعروفون بالاستخدام فيجيز صاحب الباب القاضي دون من معه فيسلم متأدبا ويقف قريبا ومعنى الادب في السلام أنه يرفع يده اليمنى ويشير بالمسبحة ويقول بصوت مسموع السلام على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فيتخصص بهذا الكلام دون غيره من اهل السلام ثم يسلم بالاشراف الاقارب زمامهم وهو من الاستاذين المحنكين وبالاشراف الطالبيين نقيبهم وهو من الشهود المعدلين وتارة يكون من الاشراف المميزين فيمضى عليهم كذلك ساعتان زمانيتان او ثلاث ويحص بالسلام في ذلك الوقت من خلع عليه القوص أو الشرقية أو الغربية أو الاسكندرية فيشرفون بتقبيل القبة فان دعت حاجة الوزير الى مخاطبة الخليفة في امر قام من مكانه وقرب منه منحنيا على سيفه فيخاطبه مرة أو مرتين ثم يؤمر الحاضرون فيخرجون حتى يكون آخر من يخرج الوزير بعد تقبيل يد الخليفة ورجله ويخرج فيركب على عادته الى داره وهو مخدوم باؤلئك ثم يرخي الستر ويغلق باب المجلس الى يوم مثله فيكون الحال كما ذكر ويدخل الخليفة الى مكانه المستقر فيه ومعه خواص استاذيه وكان أقرب الناس الى الخلفاء الاستاذون المحنكون وهم اصحاب الانس لهم ولهم من الخدم مالا يتطرق اليه سواهم ومنهم زمام القصر وشاد التاج الشريف وصاحب بيت المال وصاحب الدفتر وصاحب الرسالة وزمام الاشراف الاقارب وصاحب المجلس وهم المطلعون على أسرار الخليفة وكانت لهم طريقة محمودة في بعضهم بعضا منها انه متى ترشح استاذ للتحنيك وحنك حمل اليه كل واحد من المحنكين بدلة من ثياب ومنديلا وفرشا وسيفا فيصبح لاحقابهم وفي يديه مثل مافى ايديهم وكان لايركب أحد في القصر الا الخليفة ولا ينصرف ليلا ونهارا الا كذلك وله في الليل شدّدات من النساء يخد من البغلات والحمير الاناث للجواز فى السراديب القصيرة الاقباء والطلوع على الزلاقات الى أعالى المناظر والاماكن وفي كل محلة من محلات القصر فسقية مملوءة بالماء خيفة من حدوث حريق فى الليل

(كيفية سماط شهر رمضان بهذه القاعة)

قال ابن الطوير فاذا كان اليوم الرابع من شهر رمضان رتب عمل السماط كل ليلة بالقاعة بالقصر الى السادس والعشرين منه و يستدعى له قاضى القضاة ليالى الجمع توقيرا له فأما الامراء فنى كل ليلة منهم قوم بالنوبة ولا يحرمونهم الافطار مع أولادهم وأهاليهم ويكون حضورهم بمسطور يخرج الى صاحب الباب واسفهسلاره فيعرف صاحب كل نوبة ليلته فلا يتأخر و يحضر الوزير فيجلس صدره فان تأخر كان ولده أو أخوه وان لم يحضر أحد من قبله كان صاحب الباب ويهتم فيه اهتماما عظيما تاما بحيث لايفوته شيء من أصناف

المأكولات الفائقة والاغذية الرائقة وهو مبسوط فى طول القاعة ماد من الرواق الى ثاني القاعة المذكورة والفراشون قيام لخدمة الحاضرين وحواشى الاستاذين يحضرون الماء المبخر فى كيزان الخزف برسم الحاضرين ويكون انفصالهم العشاء الآخرة فيعمهم ذلك ويصل منه شيء الى أهل القاهرة من بعض الناس لبعض ويأخذ الرجل الواحد ما يكفى جماعة فاذا حضر الوزير أخرج اليه مماهو بحضرة الخليفة وكانت يده فيه تشريفا له وتطيبا لنفسه وربما حمل لسحوره من خاص مايعين لسحور الخليفة نصيب وافر ثم يتفرق الناس الى اماكنهم بعد العشاء الآخرة بساعة أو ساعتين قال ومبلغ ماينفق فى شهر رمضان لسماطه مدّة سبعة وعشرين يوما ثلاثة آلاف دينار

(عمل سماط عيد الفطر بهذه القاعة)

قال الامير المختار عز الملك بن عبيد الله بن احمد بن اسماعيل بن عبد العزيز المسيحيّ فى تاريخه الكبير وفى آخر يوم منه يعني شهر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة حمل يانس الصقلي صاحب الشرطة السفلى السماط وقصور السكر والتماثيل وأطباقا فيها تماثيل حلوى وحمل أيضا علىّ بن سعد المحتسب القصور وتماثيل السكر * وقال ابن الطوير فأما الاسمطة الباطنة التي يحضرها الخليفة بنفسه ففي يوم عيد الفطر اثنان ويوم عيد النحر واحد فأما الاوّل من عيد الفطر فانه يعبى فى الليل بالايوان قدّام الشباك الذى يجلس فيه الخليفة فيمدّ مامقداره ثلثمائة ذراع فى عرض سبعة اذرع من الخشكنان والفانيذ والبستندود المقدّم ذكر عمله بدار الفطرة فاذا صلى الفجر فى اوّل الوقت حضر اليه الوزير وهو جالس فى الشباك ومكن الناس من ذلك الممدود فأخذ وحمل ونهب فيأخذه من يأكله فى يومه ومن يدخره لغده ومن لاحاجة له به فيبيعه ويتسلط عليه أيضاً حواشى القصر المقيمون هناك فاذا فرغ من ذلك وقد بزغت الشمس ركب من باب الملك بالايوان وخرج من باب العيد الى المصلى والوزير معه كما وصفنا فى هيئة ركوب هذا العيد فى فصله مخليا لقاعة الذهب لسماط الطعام فينصب له سرير الملك قدام باب المجلس في الرواق وينصب فيه مائدة من فضة ويقال لها المدورة وعليها اوانى الفضيات والذهبيات والصيني الحاوية للاطعمة الخاص الفائحة الطيب الشهية من غير خضراوات سوى الدجاج الفائق المسمن المعمول بالامزجة الطيبة الفائقة ثم ينصب السماط أمام السرير الى باب المجلس قبالته ويعرف بالمحول طول القاعة وهو اليوم الباب الذى يدخل منه اليها من باب البحر الذى هو باب القصر اليوم والسماط خشب مدهون شبه الدكك اللاطية فيصير من جمعه للاوانى سماطا عاليا فى ذلك الطول وبعرض عشرة اذرع فيفرش فوق ذلك الازهار ويرص الخبز على حافتيه سواميذ كل واحد ثلاثة ارطال من نقى الدقيق ويدهن وجهها عند خبزها بالماء فيحصل لها بريق ويحسن منظرها ويعمر داخل ذلك السماط على

طوله باحد وعشرين طبقا فى كل طبق احد وعشرون ثنيا سمينا مشويا وفى كل من الدجاج والفراريج وفراخ الحمام ثلثمائة وخمسون طائرا فيبقى طائلا مستطيلا فيكون كقامة الرجل الطويل ويسور بشرائح الحلواء اليابسة ويزين بألوانها المصبغة ثم يسد خلل تلك الاطباق بالصحون الخزفية التي في كل واحد منها سبع دجاجات وهي مترعة بالالوان الفائقة من الحلواء المائعة والطباهجة المشققة والطيب غالب على ذلك كله فلا يبعد أن تناهز عدة الصحون المذكورة خمسمائة صحن ويرتب ذلك أحسن ترتيب من نصف الليل بالقاعة الى حين عود الخليفة من المصلى والوزير معه فاذا دخل القاعة وقف الوزير على باب دخول الخليفة لينزع عنه الثياب العيدية التي فى عمامتها السمة ويلبس سواها من خزائن الكسوات الخاصة التي قدمنا ذكرها وقد عمل بدار الفطرة قصران من حلوى فى كل واحد سبعة عشر قنطارا وحملا فمنهما واحد يمضى به من طريق قصر الشوك الى باب الذهب والآخر يشق به بين القصرين يحملهما العتالون فينصبان اول السماط وآخره وهما شكل مليح مدهونان بأوراق الذهب وفيهما شخوص نائتة كأنها مسبوكة فى قوالب لوحالوحا فاذا عبر الخليفة راكبا ونزل على السرير الذى عليه المدورة الفضة وجلس قام على رأسه أربعة من كبار الاستاذين المحنكين وأربعة من خواص الفراشين ثم يستدعى الوزير فيطلع اليه ويجلس عن يمينه ويستدعى الامراء المطوقين ومن يليهم من الامراء دونهم فيجلسون على السماط كقيامهم بين يديه فيأكل من اراد من غير الزام فان في الحاضرين من لا يعتقد الفطر فى ذلك اليوم فيستولى على ذلك المعمول الآكلون وينقل الى دار أرباب الرسوم ويباح فلا يبقى منه الا السماط فقط فيعم اهل القاهرة ومصر من ذلك نصيب وافر فاذا انقضى ذلك عند صلاة الظهر انفض الناس وخرج الوزير الى داره مخدوما بالجماعة الحاضرين وقد عمل سماطا لاهله وحواشيه ومن يعز عليه لايلحق بأيسر يسير من سماط الخليفة وعلى هذا العمل يكون سماط عيد النحر اول يوم منه وركوبه الى المصلى كما ذكرنا ولا يخرج عن هذا المنوال ولا ينقص عن هذا المثال ويكون الناس كلهم مفطرين ولا يفوت أحدا منهم شيء كما ذكرنا في عيد الفطر قال ومبلغ ماينفق في سماطي الفطر والاضحي اربعة آلاف دينار وكان يجلس على اسمطة الاعياد في كل سنة رجلان من الاجناد يقال لاحدهما ابن فائز والآخر الديلمي يأكل كل واحد منهما خروفا مشويا وعشر دجاجات محلاة وجام حلوى عشرة ارطال ولهما رسوم تحمل اليهما بعد ذلك من الاسمطة لبيوتهما ودنانير وافرة على حكم الهبة وكان أحدهما أسر بعسقلان فى تجريدة جرد اليها وأقام مدة في الاسر فاتفق أنه كان عندهم عجل سمين فيه عدة قناطير لحم فقال له الذي أسره وهو يداعبه ان اكلت هذا العجل أعتقتك ثم ذبحه وسوى لحمه وأطعمه حتى أتى على جميعه فوفى له وأعتقه فقدم على اهله بالقاهرة ورأيته يأكل على السماط

(الايوان الكبير)

قال القاضى الرئيس محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الروحي الكاتب فى كتاب الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة الايوان الكبير بناه العزيز بالله ابو منصور نزار بن المعز لدين الله معد فى سنة تسع وستين وثلثمائة انتهى وكان الخلفاء أولا يجلسون به في يومى الاثنين والخميس الى أن نقل الخليفة الآمر بأحكام الله الجلوس منه فى اليومين المذكورين الى قاعة الذهب كما تقدم و بصدر هذا الايوان كان الشباك الذى يجلس فيه الخليفة وكان يعلو هذا الشباك قبة وفى هذا الايوان كان يمد سماط الفطرة بكرة يوم عيد الفطر كما تقدم وبه أيضا كان يعمل الاجتماع والخطبة فى يوم عيد الغدير وكان بجانب هذا الايوان الدواوين وكان بهذا الايوان ضلعا سمكة اذا أقيما وار يا الفارس بفرسه ولم يزالا حتى بعثهما السلطان صلاح الدين يوسف الى بغداد في هدية *(عيد الغدير)* اعلم أن عيد الغدير لم يكن عيدا مشروعا ولا عمله أحد من سالف الامة المقتدى بهم وأول ماعرف في الاسلام بالعراق ايام معز الدولة على بن بويه فانه أحدثه في سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة فاتخذه الشيعة من حينئذ عيدا وأصلهم فيه ماخرجه الامام احمد فى مسنده الكبير من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر لنا فنزلنا بغدير خم ونودى الصلاة جامعة وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد على بن ابي طالب رضى الله عنه فقال ألستم تعلمون أنى اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى قال ألستم تعلمون أنى اولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى فقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فلقيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال هنيأ لك يابن ابى طالب اصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة *(وغدير خم)* على ثلاثة اميال من الجحفة بسرة الطريق وتصب فيه عين وحوله شجر كثير ومن سنتهم فى هذا العيد وهو أبدا يوم الثامن عشر من ذى الحجة أن يحيوا ليلته بالصلاة ويصلوا في صبيحته ركعتين قبل الزوال ويلبسوا فيه الجديد ويعتقوا الرقاب ويكثروا من عمل البر ومن الذبائح ولما عمل الشيعة هذا العيد بالعراق ارادت عوام السنية مضاهاة فعلهم ونكايتهم فاتخذوا في سنة تسع وثمانين وثلثمائة بعد عيد الغدير بثمانية ايام عيدا أكثروا فيه من السرور واللهو وقالوا هذا يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وبالغوا فى هذا اليوم فى اظهار الزينة ونصب القباب وايقاد النيران ولهم في ذلك اعمال مذكورة فى أخبار بغداد * وقال ابن زولاق وفي يوم ثمانية عشر من ذى الحجة سنة اثنتين وستين وثلثمائة وهو يوم الغدير تجمع خلق من اهل مصر والمغاربة ومن تبعهم للدعاء لانه يوم عيد لان

رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى امير المؤمنين على بن أبى طالب فيه واستخلفه
فأعجب المعز ذلك من فعلهم وكان هذا اول ما عمل بمصر * قال المسيحي وفي يوم الغدير
وهو ثامن عشر ذى الحجة اجتمع الناس بجامع القاهرة والقراء والفقهاء والمنشدون فكان
جمعا عظيما أقاموا الى الظهر ثم خرجوا الى القصر فخرجت اليهم الجائزة وذكر أن الحاكم
بأمر الله كان قد منع من عمل عيد الغدير قال ابن الطوير اذا كان العشر الاوسط من ذى
الحجة اهتم الامراء والاجناد بركوب عيد الغدير وهو في الثامن عشر منه وفيه خطبة
وركوب الخليفة بغير مظلة ولا سمة ولا خروج عن القاهرة ولا يخرج لاحد شىء فاذا كان
ذلك اليوم ركب الوزير بالاستدعاء الجارى به العادة فيدخل القصر وفي دخوله بروز الخليفة
لركوبه من الكرسى على عادته فيخدم ويخرج ويركب من مكانه من الدهليز ويخرج فيقف
قبالة باب القصر ويكون ظهره الى دار فخر الدين جهاركس اليوم ثم يخرج الخليفة راكبا
أيضاً فيقف فى الباب ويقال له القوس وحواليه الاستاذون المحنكون رجالة ومن الامراء
المطوقين من يأمره الوزير باشارة خدمة الخليفة على خدمته ثم يجوز زى كل من له زى
على مقدار همته فأول ما يجوز زى الخليفة وهو الظاهر فى ركوبه فتجد الجنائب الخاص
التي قدمنا ذكرها اولا ثم زى الامراء المطوقين لانهم غلمانه واحدا فواحدا بعددهم
وأسلحتهم وجنائبهم الى آخر ارباب القصب والعماريات ثم طوائف العسكر أزمتها أمامها
وأولادهم مكانهم لانهم في خدمة الخليفة وقوف بالباب طائفة طائفة فيكونون اكثر عددا
من خمسة آلاف فارس ثم المترجلة الرماة بالقسي بالايدى والارجل وتكون عدتهم قريبا من
ألف ثم الراجل من الطوائف الذين قدمنا ذكرهم فى الركوب فتكون عدتهم قريبا من
سبعة آلاف كل منهم بزمام وبنود ورايات وغيرها بترتيب مليح مستحسن ثم يأتي زى
الوزير مع ولده أو أحد أقاربه وفيه جماعته وحاشيته في جمع عظيم وهيئة هائلة ثم زى صاحب
الباب وهم اصحابه وأجناده ونواب الباب وسائر الحجاب ثم يأتي زى أسفهسلار العساكر
بأصحابه وأجناده في عدة وافرة ثم يأتي زى والى القاهرة وزى والى مصر فاذا فرغ اخرج
الخليفة من الباب والوقوف بين يديه مشاة في ركابه خارجا عن صبيان ركابه الخاص فاذا
وصل الى باب الزهومة بالقصر انعطف على يساره داخلا من الدرب هناك جائزا على
الخوخ فاذا وصل الى باب الديلم الذى داخله المشهد الحسيني فيجد في دهليز ذلك الباب
قاضي القضاة والشهود فاذا وازاهم خرجوا للخدمة والسلام عليه فيسلم القاضي كما ذكرنا
من تقبيل رجله الواحدة التى تليه والشهود أمام رأس الدابة بمقدار قصبة ثم يعودون ويدخلون
من ذلك الدهليز الى الايوان الكبير وقد علق عليه الستور القرقوبية جميعه على سعته وغير القرقوبية
سترا فسترا ثم يعلق بدائره على سعته ثلاثة صفوف الاوسط طوارق فارسيات مدهونة

والاعلى والاسفل درق وقد نصب فيه كرسي الدعوة وفيه تسع درجات لخطابة الخطيب في هذا العيد فيجلس القاضي والشهود تحته والعالم من الامراء والاجناد والمتشيعين ومن يرى هذا الرأى من الاكابر والاصاغر فيدخل الخليفة من باب العيد الى الايوان الى باب الملك فيجلس بالشباك وهو ينظر القوم ويخدمه الوزير عند ما ينزل ويأتي هو ومن معه فيجلس بمفرده على يسار منبر الخطيب ويكون قد سير لخطيبه بدلة حرير يخطب فيها وثلاثون دينارا ويدفع له كراس محرر من ديوان الانشاء يتضمن نص الخلافة من النبي صلى الله عليه وسلم الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضى عنه بزعمهم فاذا فرغ ونزل صلى قاضى القضاة بالناس ركعتين فاذا قضيت الصلاة قام الوزير الى الشباك فيخدم الخليفة وينفض الناس بعد التهاني من الاسماعيلية بعضهم بعضا وهو عندهم اعظم من عيد النحر وينحر فيه اكثرهم قال وكان الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد لما سلم من يد أبي علي بن الافضل الملقب كتيفات لما وزر له وخرج عليه عمل عيدا في ذلك اليوم وهو السادس عشر من المحرم من غير ركوب ولا حركة بل ان الايوان باق على فرشه وتعليقه من يوم الغدير فيفرش المجلس المحول اليوم في الايوان الذى بابه خورنق وكان يقابل الايوان الكبير الذى هو اليوم خزائن السلاح بأحسن فرش وينصب له مرتبة هائلة قريبا من باذهنجه فيجتمع ارباب الدولة سيفا وقلما ويحضرون الى الايوان الى باب الملك المجاور للشباك فيخرج الخليفة راكبا الى المجلس فيترجل على بابه وبين يديه الخواص فيجلس على المرتبة ويقفون بين يديه صفين الى باب المجلس ثم يجعل قدامه كرسى الدعوة وعليه غشاء قرقوبى وحواليه الامراء الاعيان وارباب الرتب فيصعد قاضى القضاة ويخرج من كمه كراسة مسطحة تتضمن فصولا كالفرج بعد الشدة بنظم مليح يذكر فيه كل من اصابه من الانبياء والصالحين والملوك شدة وفرج الله عنه واحدا فواحدا حتي يصل الى الحافظ وتكون هذه الكراسة محمولة من ديوان الانشاء فاذا تكاملت قراءتها نزل عن المنبر ودخل الى الخليفة ولا يكون عنده من الثياب اجل مما لبسه ويكون قد حمل الى القاضى قبل خطابته بدلة مميزة يلبسها للخطابة ويوصل اليه بعد الخطابة خمسون دينارا * وقال الامير جمال الدين ابو علي موسى بن المامون أبي عبد الله محمد بن فاتك بن مختار البطائحي في تاريخه واستهل عيد الغدير يعني من سنة ست عشرة وخمسمائة وهاجر الى باب الاجل يعنى الوزير المأمون البطائحي الضعفاء والمساكين من البلاد ومن انضم اليهم من العوالي والاداني على عادتهم في طلب الحلال وتزويج الايامى وصار موسما يرصده كل احد ويرتقبه كل غني وفقير فجري في معروفه على رسمه وبالغ الشعراء في مدحه بذلك ووصلت كسوة العيد المذكور فحمل ما يختص بالخليفة والوزير وأمر بتفرقة ما يختص بأزمة العساكر فارسها وراجلها من عين وكسوة ومبلغ مايختص بهم من

العين سبعمائة وتسعون دينارا ومن الكسوات مائة وأربع وأربعون قطعة والهيئة المختصة بهذا العيد برسم كبراء الدولة وشيوخها وأمرائها وضيوفها والاستاذين المحنكين والمميزين منهم خارجا عن أولاد الوزير واخوته ويفرق من مال الوزير بعد الخلع عليه الفان وخمسمائة دينار وثمانون دينارا وأمر بتعليق جميع ابواب القصور وتفرقة المؤذنين بالجوامع والمساجد عليها وتقدم بأن تكون الاسمطة بقاعة الذهب على حكم سماط أول يوم من عيد النحر وفي باكر هذا اليوم توجه الخليفة الى الميدان وذبح ماجرت به العادة وذبح الجزارون بعده مثل عدد الكباش المذبوحة في عيد النحر وأمر بتفرقة ذلك للخصوص دون العموم وجلس الخليفة في المنظرة وخدمت الرهجية وتقدم الوزير والامراء وسلموا فلما حان وقت الصلاة والمؤذنون على ابواب القصر يكبرون تكبير العيد الى أن دخل الوزير فوجد الخطيب على المنبر قد فرغ فتقدم القاضى ابو الحجاج يوسف بن ايوب فصلى به وبالجماعة صلاة العيد وطلع الشريف بن انس الدولة وخطب خطبة العيد ثم توجه الوزير الى باب الملك فوجد الخليفة قد جلس قاصدا للقائه وقد ضربت المقدمة فأمره بالمضى اليها وخلع عليه خلعة مكملة من بدلات النحر وثوبها أحمر بالشدة الدائمية وقلده سيفا مرصعا بالياقوت والجوهر وعند ماتهض ليقبل الارض وجده قد أعد له العقد الجوهر وربطه فى عنقه بيده وبالغ في اكرامه وخرج من باب الملك فتلقاه المقربون وسارع الناس الى خدمته وخرج من باب العيد وأولاده واخوته والامراء المميزون بحجبه وخدمت الرهجية وضربت العربيـة والموكب جميعه بزيه وقد اصطفت العساكر وتقدم الى ولده بالجلوس على اسمطته وتفرقتها برسومها وتوجه الى القصر واستفتح المقرئون فسلم الحاضرون وجرى الرسم في السماط الاول والثانى وتفرقة الرسوم والموائد على حكم اول يوم من عيد النحر وتوجه الخليفة بعد ذلك الى السماط الثالث الخاص بالدار الجليلة لاقاربه وجلسائه ولمـا انقضى حكم التعييد جلس الوزير في مجلسه واستفتح المقرئون وحضر الكبراء وبياض البلدين لتهنىء بالعيد والخلع وخرج الرسم وتقدم الشعراء فأنشدوا وشرحوا الحال وحضر متولي خزائن الكسوة الخاص بالثياب التي كانت على المأمون قبل الخلع وقبضوا الرسم الجارى به العادة وهو مائة دينار وحضر متولى بيت المال وصحبته صندوق فيه خمسة آلاف دينار برسم فكاك العقد الجوهر والسيف المرصع فأمر الوزير المأمون الشيخ أبا الحسن بن أبي اسامة كاتب الدست الشريف بكتب مطالعة الى الخليفة بما حمل اليه من المـال برسم منديل الكم وهو الف دينار ورسم الاخوة والاقارب ألف دينار وتسلم متولى الدولة بقية المـال ليفرق على الامراء المطوقين والمميزين والضيوف والمستخدمين

(المحول) قال ابن عبد الظاهر المحول هو مجلس الداعي ويدخل اليـه من باب الريح وبابه من باب البحر ويعرف بقصر البحر وكان في أوقات الاجتماع يصلى الداعى بالناس

في رواقه * وقال المسيحي وفي ربيع الاول يعني من سنة خمس وثمانين وثلثمائة جلس القاضي محمد بن النعمان على كرسي بالقصر لقراءة علوم آل البيت على الرسم المعتاد المتقدم له ولاخيه بمصر ولابيه بالمغرب فمات في الزحمة أحد عشر رجلا فكفنهم العزيز بالله وقال ابن الطوير وأما داعي الدعاة فانه يلي قاضي القضاة في الرتبة ويتزيا بزيه في اللباس وغيره ووصفه أنه يكون عالما بجميع مذاهب أهل البيت يقرأ عليه ويأخذ العهد على من ينتقل من مذهبه الى مذهبهم وبين يديه من نقباء المعلمين اثنا عشر نقيبا وله نواب كنواب الحكم في سائر البلاد ويحضر اليه فقهاء الدولة ولهم مكان يقال له دار العلم ولجماعة منهم على التصدير بها أرزاق واسعة وكان الفقهاء منهم يتفقون على دفتر يقال له مجلس الحكمة في كل يوم اثنين وخميس ويحضر مبيضا الى داعي الدعاة فينفذه اليهم ويأخذه منهم ويدخل به الى الخليفة في هذين اليومين المذكورين فيتلوه عليه ان أمكن ويأخذ علامته بظاهره ويجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنين في مكانين للرجال على كرسي الدعوة بالايوان الكبير وللنساء بمجلس الداعي وكان من اعظم المباني وأوسعها فاذا فرغ من تلاوته على المؤمنين والمؤمنات حضروا اليه لتقبيل يديه فيمسح على رؤسهم بمكان العلامة أعني خط الخليفة وله أخذ النجوى من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالهما لاسيما الصعيد ومبلغها ثلاثة دراهم وثلث فيجتمع من ذلك شيء كثير يحمله الى الخليفة بيده بينه وبينه وأمانته في ذلك مع الله تعالى فيفرض له الخليفة منه مايعينه لنفسه وللنقباء وفي الاسماعيلية المولين من يحمل ثلاثة وثلاثين دينارا وثلثي دينار على حكم النجوى وصحبة ذلك رقعة مكتوبة باسمه فيتميز في المحول فيخرج له عليها خط الخليفة بارك الله فيك وفي مالك وولدك ودينك فيدخر ذلك ويتفاخر به وكانت هذه الخدمة متعلقة بقوم يقال لهم بنو عبد القوي أبا عن جد آخرهم الجليس وكان الافضل بن أمير الجيوش نفاهم الى المغرب فولد الجليس بالمغرب وربي به وكان يميل الى مذهب أهل السنة وولي القضاء مع الدعوة وأدركه أسد الدين شيركوه وأكرمه وجعله واسطة عند الخليفة العاضد وكان قد حجر على العاضد ولولاه لم يبق في الخزائن شيء لكرمه وكانه علم أنه آخر الخلفاء * قال المسيحي وكان الداعي يواصل الجلوس بالقصر لقراءة ما يقرأ على الاولياء والدعاوي المتصلة فكان يفرد للأولياء مجلسا وللخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم مجلسا ولعوام الناس وللطارئين على البلد مجلسا وللنساء في جامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر مجلساً وللحرم وخواص نساء القصور مجلسا وكان يعمل المجالس في داره ثم ينفذها الى من يختص بخدمة الدولة ويتخذ لهذه المجالس كتبا يبيضونها بعد عرضها على الخليفة وكان يقبض في كل مجلس من هذه المجالس مايتحصل من النجوى من كل من يدفع شيأ من ذلك عينا وورقا من الرجال والنساء ويكتب أسماء من يدفع شيأ على مايدفعه وكذلك في عيد الفطر يكتب ما يدفع عن الفطرة ويحصل

من ذلك مال جليل يدفع الى بيت المال شيئاً بعد شيء وكانت تسمى مجالس الدعوة مجالس الحكمة وفي سنة اربعمائة كتب سجل عن الحاكم بأمر الله فيه رفع الخمس والزكاة والفطرة والنجوى التي كانت تحمل ويتقرب بها وتجرى على ايدى القضاة وكتب سجل آخر بقطع مجالس الحكمة التي تقرأ على الاولياء يوم الخميس والجمعة انتهى ووظيفة داعي الدعاة كانت من مفردات الدولة الفاطمية وقد لحصت من أمر الدعوة طرفا أحببت ايراده هنا *(وصف الدعوة وترتيبها)* وكانت الدعوة مرتبة على منازل دعوة بعد دعوة *(الدعوة الاولى)* سؤال الداعي لمن يدعوه الى مذهبه عن المشكلات وتأويل الآيات ومعاني الامور الشرعية وشيء من الطبيعيات ومن الامور الغامضة فان كان المدعو عارفا سلم له الداعي والا تركه يعمل فكره فيما ألقاه عليه من الاسئلة وقال له ياهذا ان الدين لمكتوم وان الاكثر له منكرون وبه جاهلون ولو علمت هذه الامة ماخص الله به الأئمة من العلم لم تختلف فيتشوق حينئذ المدعو الى معرفة ماعند الداعي من العلم فاذا علم منه الاقبال أخذ في ذكر معاني القرآت وشرائع الدين وتقرير أن الآفة التي نزلت بالامة وشتتت الكلمة وأورثت الاهواء المضلة ذهاب الناس عن أئمة نصبوا لهم وأقيموا حافظين لشرائعهم يؤدونها على حقيقتها ويحفظون معانيها ويعرفون بواطنها غير أن الناس لما عدلوا عن الأئمة ونظروا في الامور بعقولهم واتبعوا ماحسن في رأيهم وقلدوا سفلتهم وأطاعوا سادتهم وكبراءهم اتباعا للملوك وطلبا للدنيا التي هي ايدى متبعي الاثم واجناد الظلمة وأعوان الفسقة الذين يحبون العاجلة ويجتهدون في طلب الرياسة على الضعفاء ومكايدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته وتغيير كتاب الله عز وجل وتبديل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفة دعوته وافساد شريعته وسلوك غير طريقته ومعاندة الخلفاء الأئمة من بعده بجتر من قبل ذلك وصار الناس الى أنواع الضلالات فان دين محمد صلى الله عليه وسلم ماجاء بالتحلي ولا بأماني الرجال ولا شهوات الناس ولا بما خف على الالسنة وعرفته دهماء العامة ولكنه صعب مستصعب وأمر مستقبل وعلم خفي غامض ستره الله في حجبه وعظم شأنه عن ابتذال أسراره فهو سر الله المكتوم وأمره المستور الذى لايطيق حمله ولا ينهض بأعبائه وثقله الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للتقوى فاذا ارتبط المدعو على الداعي وأنس له نقله الى غير ذلك * فمن مسائلهم مامعنى رمي الجمار والعدو بين الصفا والمروة ولم كانت الحائض تقضي الصوم ولا تقضى الصلاة وما بال الجنب يغتسل من ماء دافق يسير ولا يغتسل من البول النجس الكثير القذر وما بال الله خالق الدنيا في ستة ايام أعجز عن خلقها في ساعة واحدة وما معنى الصراط المضروب في القرآن مثلا والكاتبين الحافظين وما لنا لانراهما أخاف أن نكابره ونجاحده حتي أدلى العيون وأقام علينا الشهود

وقيد ذلك فى القرطاس بالكتابة وما تبديل الارض غير الارض وما عذاب جهنم وكيف يصح تبديل جلد مذنب بجلد لم يذنب حتى يعذب وما معنى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وما ابليس وما الشياطين وما وصفوا به وأين مستقرهم وما مقدار قدرهم وما يأجوج ومأجوج وهاروت وماروت وأين مستقرهم وما سبعة ابواب النار وما ثمانية ابواب الجنة وما شجرة الزقوم النابتة في الجحيم وما دابة الارض ورؤس الشياطين والشجرة الملعونة فى القرآن والتين والزيتون وما الخنس الكنس وما معنى ألم وألمص وما معنى كهيعص وحمعسق ولم جعلت السموات سبعا والارضون سبعا والمثانى من القرآن سبع آيات ولم فجرت العيون اثنتي عشرة عينا ولم جعلت الشهور اثنى عشر شهرا وما يعمل معكم عمل الكتاب والسنة ومعانى الفرائض اللازمة فكروا أولا في انفسكم أين أرواحكم وكيف صورها وأين مستقرها وما أول أمرها والانسان ماهو وما حقيقته وما الفرق بين حياته وحياة البهائم وفضل مابين حياة البهائم وحياة الحشرات وما الذى بانت به حياة الحشرات من حياة النبات وما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت حواء من ضلع آدم وما معنى قول الفلاسفة الانسان عالم صغير والعالم انسان كبير ولم كانت قامة الانسان منتصبة دون غيره من الحيوانات ولم كان فى يديه من الاصابع عشر وفي رجليه عشر أصابع وفي كل اصبع من اصابع يديه ثلاثة شقوق الا الابهام فان فيه شقين فقط ولم كان في وجهه سبع ثقب وفي سائر بدنه ثقبان ولم كان في ظهره اثنتا عشرة عقدة وفي عنقه سبع عقد ولم جعل عنقه صورة ميم ويداه حاء وبطنه ميما ورجلاه دالا حتى صار ذلك كتابا مرسوما يترجم عن محمد ولم جعلت قامته اذا انتصب صورة الف واذا ركع صارت صورة لام واذا سجد صارت صورة هاء فكان كتابا يدل على الله ولم جعلت أعداد عظام الانسان كذا وأعداد أسنانه كذا والاعضاء الرئيسة كذا الى غير ذلك من التشريح والقول في العروق والاعضاء ووجوه منافع الحيوان ثم يقول الداعى ألا تتفكرون في حالكم وتعتبرون وتعلمون أن الذى خلقكم حكيم غير مجازف وأنه فعل جميع ذلك لحكمة وله فيها أسرار خفية حتى جمع ماجمع وفرق مافرق فكيف يسعكم الاعراض عن هذه الامور وانتم تسمعون قول الله عز وجل وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم أفلا تبصرون ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون سنريهم آياتنا فى الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق فأي شيء رآه الكفار فى انفسهم وفى الآفاق حتى عرفوا أنه الحق وأي حق عرفه من جحد الديانة ألا يدلكم هذا على أن الله جل اسمه اراد أن يرشدكم الى بواطن الامور الخفية وأسرار فيها مكتومة لو تنبهتم لها وعرفتموها لزالت عنكم كل حيرة ودحضت كل شبهة وظهرت لكم المعارف السنية ألا ترون أنكم جهلتم أنفسكم التي من جهلها كان حريا أن لا يعلم غيرها أليس الله تعالى يقول ومن

كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ونحو ذلك من تأويل القرآن وتفسير السنن والاحكام وايراد ابواب من التجويز والتعليل فاذا علم الداعي أن نفس المدعو قد تعلقت بما سأله عنه وطلب منه الجواب عنها قال له حينئذ لاتعجل فان دين الله أعلى وأجل من أن يبذل لغير أهله ويجعل غرضا للعب وجرت عادة الله وسنته في عباده عند شرع من نصبه أن يأخذ العهد على من يرشده ولذلك قال واذأخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا وقال عز وجل من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم ينتظر وما بدلوا تبديلا وقال جل جلاله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا وقال لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل ومن أمثال هذا فقد أخبر الله تعالى أنه لم يملك حقه الا لمن أخذ عهده فأعطنا صفقة يمينك وعاهدنا بالموكد من أيمانك وعقودك أن لاتفشى لنا سرا ولا تظاهر علينا أحدا ولا تطلب لنا غيلة ولا تكتمنا نصحا ولا توالي لنا عدوا فاذا أعطى العهد قال له الداعي أعطنا جعلا من مالك نجعله مقدمة أمام كشفنا لك الامور وتعريفك اياها والرسم في هذا الجعل بحسب ما يراه الداعي فان امتنع المدعو أمسك عنه الداعي وان أجاب وأعطى نقله الى الدعوة الثانية وانما سميت الاسماعيلية بالباطنية لانهم يقولون لكل ظاهر من الاحكام الشرعية باطن ولكل تنزيل تأويل *(الدعوة الثانية)* لا تكون الا بعد تقدم الدعوى الاولى فاذا تقرر في نفس المدعو جميع ما تقدم وأعطى الجعل قال له الداعي ان الله تعالى لم يرض في اقامة حقه وما شرعه لعباده الا أن يأخذوا ذلك عن أئمة نصبهم للناس وأقامهم لحفظ شريعته على ما اراده الله تعالى ويسلك في تقرير هذا ويستدل عليه بامور مقررة في كتبهم حتى يعلم أن اعتقاد الأئمة قد ثبت في نفس المدعو فاذا اعتقد ذلك نقله الى الدعوة الثالثة *(الدعوة الثالثة)* مرتبة على الثانية وذلك أنه اذا علم الداعي ممن دعاه أن ارتباطه على دين الله لا يعلم الا من قبل الأئمة قرر حينئذ عنده أن الأئمة سبعة قدرتبهم البارى تعالى كما رتب الامور الجليلة فانه جعل الكواكب السيارة سبعة وجعل السموات سبعا وجعل الارضين سبعا ونحو ذلك مما هو سبع من الموجودات وهؤلاء الأئمة السبعة هم علي بن ابى طالب والحسن بن علي والحسين بن علي وعلي بن الحسين الملقب زين العابدين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد الصادق والسابع هو القائم صاحب الزمان وهم اعني الشيعة مختلفون في هذا القائم فمنهم من يجعله محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق ويسقط اسماعيل بن جعفر ومنهم من يعد اسماعيل بن جعفر اماما ثم يعد ابنه محمد بن اسمعيل فاذا تقرر عند المدعو أن الأئمة سبعة انحل عن معتقد الامامية من الشيعة

القائلين بامامة اثنى عشر اماما وصار الى معتقد الاسماعيلية بأن الامامة انتقلت الى محمد ابن اسمعيل بن جعفر فاذا علم الداعي ثبات هذا العقد في نفس المدعو شرع في ثلب بقية الأئمة الذين قد اعتقد الامامية فيهم الامامة وقرر عند المدعو أن محمد بن اسمعيل عنده علم المستورات وبواطن المعلومات التي لا يمكن أن توجد عند احد غيره وأن عنده أيضا علم التأويل ومعرفة تفسير ظاهر الامور وعنده سر الله تعالى في وجه تدبيره المكتوم واتقان دلالته في كل امر يسأل عنه في جميع المعدومات وتفسير المشكلات وبواطن الظاهر كله والتأويلات وتأويل التأويلات وأن دعاته هم الوارثون لذلك كله من بين سائر طوائف الشيعة لأنهم أخذوا عنه ومن جهته رووا وان احدا من الناس المخالفين لهم لا يستطيع أن يساويهم ولا يقدر على التحقق بما عندهم الا منهم ويحتج لذلك بما هو معروف في كتبهم مما لا يسع هذا الكتاب حكايته لطوله فاذا انقاد المدعو وأذعن لما تقرر نقله الى الدعوة الرابعة * (الدعوة الرابعة) * لا يشرع الداعي في تقريرها حتى يتيقن صحة انقياد المدعو لجميع ما تقدم فاذا تيقن منه صحة الانقياد قرر عنده أن عدد الانبياء الناسخين للشرائع المبدلين لاحكامها اصحاب الادوار وتقليب الاحوال الناطقين بالامور سبعة فقط كعدد الأئمة سواء وكل واحد من هؤلاء الانبياء لا بد له من صاحب يأخذ عنه دعوته ويحفظها على أمته ويكون معه ظهيرا له في حياته وخليفة له من بعد وفاته الى أن يبلغ شريعته الى أحد يكون سبيله معه كسبيله هو مع نبيه الذى اتبعه ثم كذلك كل مستخلف خليفة الى أن يأتي منهم على تلك الشريعة سبعة اشخاص ويقال لهؤلاء السبعة الصامتون لثباتهم على شريعة اقتفوا فيها أثر واحد هو اولهم ويسمى الاول من هؤلاء السبعة السوس وانه لابد عند انقضاء هؤلاء السبعة ونفاذ دورهم من استفتاح دور ثان يظهر فيه نبي ينسخ شرع من مضى من قبله وتكون الخلفاء من بعده امورهم تجرى كأمر من كان قبلهم ثم يكون من بعدهم نبي ناسخ يقوم من بعده سبعة صمت ابدا وهكذا حتى يقوم النبي السابع من النطقاء فينسخ جميع الشرائع التي كانت قبله ويكون صاحب الزمان الاخير فكان اول هؤلاء الانبياء النطقاء آدم عليه السلام وكان صاحبه وسوسه ابنه شيث وعدوا تمام السبعة الصامتين على شريعة آدم وكان الثاني من الانبياء النطقاء نوح عليه السلام فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم وكان صاحبه وسوسه ابنه سام وتلاه بقية السبعة الصامتين على شريعة نوح ثم كان الثالث من الانبياء النطقاء ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة نوح وآدم عليهما السلام وكان صاحبه وسوسه في حياته والخليفة القائم من بعده المبلغ شريعته ابنه اسمعيل عليه السلام ولم يزل يخلفه صامت بعد صامت على شريعة ابراهيم حتى تم دور السبعة الصمت وكان الرابع من الانبياء النطقاء موسى بن عمران عليه السلام فانه

نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم ونوح وابراهيم وكان صاحبه وسوسه اخوه هرون ولما مات هرون في حياة موسي قام من بعد موسى يوشع بن نون خليفة له صمت على شريعته وبلغها فأخذها عنه واحد بعد واحد الى أن كان آخر الصمت على شريعة موسى يحيى بن زكرياء وهو آخر الصمت ثم كان الخامس من الانبياء النطقاء المسيح عيسى بن مريم صلوات الله عليه فانه نطق بشريعة نسخ بها شرائع من كان قبله وكان صاحبه وسوسه شمعون الصفا ومن بعده تمام السبعة الصمت على شريعة المسيح الى أن كان السادس من الانبياء النطقاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه نطق بشريعة نسخ بها جميع الشرائع التي جاء بها الانبياء من قبله وكان صاحبه وسوسه علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثم من بعد علي ستة صمتوا على الشريعة المحمدية وقاموا بميراث أسرارها وهم ابنه الحسن ثم ابنه الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن على ثم جعفر بن محمد ثم اسماعيل بن جعفر الصادق وهو آخر الصمت من الأئمة المستورين والسابع من النطقاء هو صاحب الزمان وعند هؤلاء الاسماعيلية انه محمد ابن اسمعيل بن جعفر وانه الذى انتهى اليه علم الاولين وقام بعلم بواطن الامور وكشفها واليه المرجع في تفسيرها دون غيره وعلى جميع الكافة اتباعه والخضوع له والانقياد اليه والتسليم له لان الهداية في موافقته واتباعه والضلال والحيرة في العدول عنه فاذا تقرر ذلك عند المدعو انتقل الداعي الى الدعوة الخامسة *(الدعوة الخامسة)* مترتبة على ما قبلها وذلك أنه اذا صار المدعو في الرتبة الرابعة من الاعتقاد أخذ الداعى يقرر أنه لا بد مع كل امام قائم في كل عصر حجج متفرقون في جميع الارض عليهم تقوم وعدة هؤلاء الحجج ابدا اثنا عشر رجلا في كل زمان كما أن عدد الأئمة سبعة ويستدل لذلك بامور منها ان الله تعالى لم يخلق شيئا عبثا ولا بد في خلق كل شيء من حكمة والا فلم خلق النجوم التي بها قوام العالم سبعة وجعل ايضا السموات سبعا والارضين سبعا والبروج اثنى عشر والشهور اثنى عشر شهرا ونقباء بنى اسرائيل اثنى عشر نقيبا ونقباء رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار اثنى عشر نقيبا وخلق تعالى في كف كل انسان أربع اصابع وفي كل اصبع ثلاث شقوق تكون جملتها اثنى عشر شقا على انه في يد كل ابهام شقان دلالة على ان الانسان بدنه كالارض واصابعه كالجزائر الاربع والشقوق التي في الاصابع كالحجج والابهام الذي به قوام جميع الكف وسداد الاصابع كالذى يقوم الارض بقدر ما فيها والشقان اللذان في الابهام اشارة الي ان الامام وسوسه لا يفترقان ولذلك صار في ظهر الانسان اثنتا عشرة خرزة اشارة الى الحجج الاثنى عشر وصار فى عنقه سبع فكان العنق عاليا على خرزات الظهر وذلك اشارة الى الانبياء النطقاء والأئمة السبعة وكذلك الاثقاب السبعة التي في وجه الانسان العالى على بدنه وأشياء من هذا النوع كثيرة فاذا تمهد عند المدعو ما دعاه اليه الداعي وتقرر نقله حينئذ الى الدعوة السادسة *(الدعوة السادسة)* لا تكون الا بعد ثبوت جميع ما تقدم

في نفس المدعو وذلك أنه اذا صار الى الرتبة الخامسة أخذ الداعي في تفسير معاني شرائع الاسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من الفرائض بأمور مخالفة للظاهر بعد تمهيد قواعد تبين في ازمنة من غير عجلة تؤدي الى أن هذه الاشياء وضعت على جهة الرموز لمصلحة العامة وسياستهم حتى يشتغلوا بها عن بغي بعضهم على بعض وتصدهم عن الفساد في الارض حكمة من الناصبين للشرائع وقوة في حسن سياستهم لاتباعهم واتقانا منهم لما رتبوه من النواميس ونحو ذلك حتى يتمكن هذا الاعتقاد في نفس المدعو فاذا طال الزمان وصار المدعو يعتقد أن أحكام الشريعة كلها وضعت على سبيل الرمز لسياسة العامة وأن لها معاني أخر غير ما يدل عليه الظاهر نقله الداعي الى الكلام في الفلسفة وحضه على النظر في كلام افلاطون وأرسطو وفيثاغورس ومن في معناهم ونهاه عن قبول الاخبار والاحتجاج بالسمعيات وزين له الاقتداء بالادلة العقلية والتعويل عليها فاذا استقر ذلك عنده واعتقده نقله بعد ذلك الى الدعوة السابعة ويحتاج ذلك الى زمان طويل *(الدعوة السابعة)* لا يفصح بها الداعي مالم يكثر أنسه بمن دعاه ويتيقن أنه قد تأهل الى الانتقال الى رتبة اعلى مما هو فيه فاذا علم ذلك منه قال ان صاحب الدلالة والناصب للشريعة لا يستغني بنفسه ولا بد له من صاحب معه يعبر عنه ليكون أحدهما الاصل والآخر عنه كان وصدر وهذا انما هو اشارة العالم السفلي لما يحويه العالم العلوي فان مدبر العالم في اصل الترتيب وقوام النظام صدر عنه اول موجود بغير واسطة ولا سبب نشأ عنه واليه الاشارة بقوله تعالى انما امره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون اشارة الى الاول في الرتبة والآخر هو القدر الذي قال فيه انا كل شيء خلقناه بقدر وهذا معنى مانسمعه من أن الله اول ماخلق القلم فقال للقلم اكتب فكتب في اللوح ماهو كائن وأشياء من هذا النوع موجودة في كتبهم وأصلها مأخوذ من كلام الفلاسفة القائلين الواحد لا يصدر عنه الا واحد وقد أخذ هذا المعنى المتصوفة وبسطوه بعبارات أخر في كتبهم فان كنت ممن ارتاض وعرف مقالات الناس تبين لك ماذكرت ولا يحتمل هذا الكتاب بسط القول في هذا المعنى واذا تقرر ماذكر في هذه الدعوة عند المدعو نقله الداعي الى الدعوة الثامنة *(الدعوة الثامنة)* متوقفة على اعتقاد سائر ماتقدم فاذا استقر ذلك عند المدعو دينا له قال له الداعي اعلم أن أحد المذكورين اللذين هما مدبر الوجود والصادر عنه انما تقدم السابق على اللاحق تقدم العلة على المعلول فكانت الاعيان كلها ناشئة وكائنة عن الصادر الثاني بترتيب معروف في بعضهم ومع ذلك فالسابق عندهم لا اسم له ولا صفة ولا يعبر عنه ولا يقيد فلا يقال هو موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز وكذلك سائر الصفات فان الاثبات عندهم يقتضي شركة بينه وبين المحدثات والنفي يقتضي التعطيل وقالوا ليس بقديم ولا محدث بل

القديم امره وكلمته والمحدث خلقه وفطرته كما هو مبسوط في كتبهم فاذا استقر ذلك عند المدعو قرر عنده الداعى أن التالي يدأب في أعماله حتى يلحق بمنزلة السابق وأن الصامت في الارض يدأب فى أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء وأن الداعي يداب في أعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحاله سواء وهكذا تجرى امور العالم فى أكواره وأدواره ولهذا القول بسط كثير فاذا اعتقده المدعو قرر عنده الداعي أن معجزة النبي الصادق الناطق ليست غير أشياء ينتظم بها سياسة الجمهور وتشمل الكافة مصلحتها بترتيب من الحكمة تحوي معاني فلسفية تنبئ عن حقيقة انية السماء والارض وما يشتمل العالم عليه باسره من الجواهر والاعراض فتارة برموز يعقلها العالمون وتارة بافصاح يعرفه كل أحد فينتظم بذلك للنبى شريعة يتبعها الناس ويقرر عنده أيضا أن القيامة والقرآن والثواب والعقاب معناها سوى مايفهمه العامة وغير مايتبادر الذهن اليه وليس هو الاحدوث أدوار عندانقضاء أدوار من أدوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد جاء على ترتيب الطبائع كما قد بسطه الفلاسفة فى كتبهم فاذا استقر هذا العقد عند المدعو نقله الداعي الى الدعوة التاسعة *(الدعوة التاسعة)* هى النتيجة التي يحاول الداعى بتقرير جميع ماتقدم رسوخها في نفس من يدعو فاذا تيقن أن المدعو تأهل لكشف السر والافصاح عن الرموز أحاله على ماتقرر في كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة والعلم الالهى وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية حتى اذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعى قناعه وقال ماذكر من الحدوث والاصول رموز الى معاني المبادى وتقلب الجواهر وان الوحى انما هو صفاء النفس فيجد النبي في فهمه مايلقى اليه ويتنزل عليه فيبرزه الى الناس ويعبر عنه بكلام الله الذى ينظم به النبيّ شريعته بحسب مايراه من المصلحة في سياسة الكافة ولا يجب حينئذ العمل بها الا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء بخلاف العارف فانه لايلزمه العمل بها ويكفيه معرفته فانها اليقين الذى يجب المصير اليه وما عدا المعرفة من سائر المشروعات فانما هى أثقال وآصار حملها الكفار أهل الجهالة لمعرفة الاعراض والاسباب ومن جملة المعرفة عندهم أن الانبياء النطقاء أصحاب الشرائع انماهم لسياسة العامة وأن الفلاسفة انبياء حكمة الخاصة وأن الامام انما وجوده في العالم الروحاني اذا صرنا بالرياضة فى المعارف اليه وظهوره الآن انما هو ظهور امره ونهيه على لسان اوليائه ونحو ذلك مما هو مبسوط في كتبهم وهذا حاصل علم الداعى ولهم فى ذلك مصنفات كثيرة منها اختصرت ما تقدم ذكره (ابتداء هذه الدعوة) اعلم أن هذه الدعوة منسوبة الى شخص كان بالعراق يعرف بميمون القداح وكان من غلاة الشيعة فولد ابنا عرف بعبد الله بن ميمون اتسع علمه وكثرت معارفه وكاد أن يطلع على جميع مقالات الخليقة فرتب له مذهبا وجعله فى تسع دعوات ودعا الناس الى مذهبه فاستجاب له خلق

وكان يدعو الى الامام محمد بن اسماعيل وظهر من الاهواز ونزل بعسكر مكرم فصار له
مال واشتهرت دعاته فأنكر الناس عليه وهموا به ففر الى البصرة ومعه من اصحابه الحسين
الا هوازى فلما انتشر ذكره بها طلب فصار الى بلاد الشام وأقام بسلمية وبها ولد له ابنه
احمد فقام من بعد أبيه عبد الله بن ميمون فسير الحسين الا هوازى داعية له الى العراق
فلقى حمدان بن الاشعث المعروف بقرمط بسواد الكوفة فدعاه واستجاب له وأنزله عنده
وكان من أمره ماهو مذكور فى أخبار القرامطة من كتابنا هذا عند ذكر المعز لدين الله
معد ثم انه ولد لاحمد بن عبد الله ابنه الحسين ومحمد المعروف بأبى الشلعلع فلما هلك أحمد
خلفه ابنه الحسين ثم قام من بعده أخوه ابو الشلعلع وكان من امرهم ماهو مذكور في
موضعه فانتشرت الدعاة فى اقطار الارض وتفقهوا في الدعوة حتى وضعوا فيها الكتب الكثيرة
وصارت علما من العلوم المدونة ثم اضمحلت الآن وذهبت بذهاب اهلها ولهذا يقال ان
اصل دعوة الاسماعيلية مأخوذ من القرامطة ونسبوا من أجلها الى الالحاد *(صفة العهد
الذى يؤخذ على المدعو)* وهو أن الداعي يقول لمن يأخذ عليه العهد ويحلفه جعلت
على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله وأنبيائه وملائكته وكتبه ورسله وما أخذه على
النبيين من عقد وعهد وميثاق أنك تستر جميع ماتسمعه وسمعته وعلمته وتعلمه وعرفته
وتعرفه من امري وأمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الامام الذى عرفت اقرارى له
ونصحى لمن عقد ذمته وأمور اخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا
الدين ومخالصته له من الذكور والاناث والصغار والكبار فلا تظهر من ذلك شيأ قليلا ولا
كثيرا ولا شيأ يدل عليه الا ما أطلقت لك أن تتكلم به أو أطلقه لك صاحب الامر المقيم
بهذا البلد فتعمل في ذلك بامرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه وليكن ماتعمل عليه قبل العهد
و بعده بقولك وفعلك أن تشهد أن لااله الا الله وحده لاشريك له وتشهد أن محمدا عبده
ورسوله وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق وأن الموت حق وأن البعث حق وأن الساعة
آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وتقيم الصلاة لوقتها وتؤتي الزكاة لحقها وتصوم
رمضان وتحج البيت الحرام وتجاهد فى سبيل الله حق جهاده على ماأمر الله به ورسوله
وتوالى أولياء الله وتعادى اعداء الله وتقوم بفرائض الله وسننه وسنن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ظاهرا و باطنا وعلانية سرا وجهرا فان ذلك يؤكد هذا العهد
ولا يهدمه ويثبته ولا يزيله ويقربه ولا يباعده ويشده ولا يضعفه ويوجب ذلك ولا يبطله
ويوضحه ولا يعميه كذلك هو الظاهر والباطن وسائر ما جاء به النبيون من ربهم صلوات
الله عليهم أجمعين على الشرائط المبينة في هذا العهد جعلت على نفسك الوفاء بذلك قل نعم
فيقول المدعو نعم ثم يقول الداعى له والصيانة له بذلك وأداء الامانة على أن لاتظهر شيأ أخذ عليك

في هذا العهد فى حياتنا ولا بعد وفاتنا لافى غضب ولا على حال رضى ولا على رغبة ولافى حال رهبة ولا عند شدة ولا في حال رخاء ولا على طمع ولا على حرمان تاتى الله على الستر لذلك والصيانة له على الشرائط المبينة في هذا العهد وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن تمنعني وجميع من أسميه لك وأثبته عندك مما تمنع منه نفسك وتنصح لنا ولوليك ولى الله نصحا ظاهراً وباطنا فلا تخن الله ووليه ولا احدا من إخواننا وأوليائنا ومن تعلم أنه منا بسبب فى أهل ولا مال ولا رأى ولا عهد ولا عقد تتاوّل عليه بما يبطله فان فعلت شيأ من ذلك وأنت تعلم أنك قد خالفته وانت على ذكر منه فأنت برىء من الله خالق السموات والارض الذى سوى خلقك وألف تركيبك وأحسن اليك في دينك ودنياك وآخرتك وتبرأ من رسله الاولين والآخرين وملائكته المقربين الكروبيين والروحانيين والكلمات التامات والسبع المثاني والقرآن العظيم وتبرأ من التوراة والانجيل والزبور والذكر الحكيم ومن كل دين ارتضاه الله فى مقدم الدار الآخرة ومن كل عبد رضى الله عنه وانت خارج من حزب الله وحزب اوليائه وخذلك الله خذلانا بينا يعجل لك بذلك النقمة والعقوبة والمصير الى نار جهنم التى ليس لله فيها رحمة وانت برىء من حول الله وقوته ملجأ الى حول نفسك وقوتك وعليك لعنة الله التى لعن الله بها ابليس وحرم عليه بها الجنة وخلده في النار ان خالفت شيئا من ذلك ولقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان ولله عليك أن تحج الى بيته الحرام ثلاثين حجة حجا واجبا ماشيا حافيا لايقبل الله منك الا الوفاء بذلك وكل ماتملك فى الوقت الذى تخالفه فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لارحم بينك وبينهم لايأجرك الله عليه ولا يدخل عليك بذلك منفعة وكل مملوك لك من ذكر أو أنثى في ملكك أو تستفيده الى وقت وفاتك ان خالفت شيأ من ذلك فهم أحرار لوجه الله عز وجل وكل امرأة لك أو تتزوجها الى وقت وفاتك ان خالفت شيأ من ذلك فهن طوالق ثلاثا بتة طلاق الحرج لا مثوبة لك ولا خيار ولا رجعة ولا مشيئة وكل ما كان لك من اهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام وكل ظهار فهو لازم لك وانا المستحلف لك لامامك وحجتك وانت الحالف لهما وان نويت أو عقدت أو أضمرت خلاف ما أحملك عليه وأحلفك به فهذه اليمين من أولها الى آخرها مجددة عليك لازمة لك لا يقبل الله منك الا الوفاء بها والقيام بما عاهدت بيني وبينك قل نعم فيقول نعم ولهم مع ذلك وصايا كثيرة أضربنا عنها خشية الاطالة وفيما ذكرناه كفاية لمن عقل

(الدواوين)

وكانت دواوين الدولة الفاطمية لما قدم المعز لدين الله الى مصر ونزل بقصره في القاهرة محلها بدار الامارة من جوار الجامع الطولوني فلما مات المعز وقلد العزيز بالله الوزارة

ليعقوب بن كلس نقل الدواوين الى داره فلما مات يعقوب نقلها العزيز بعد موته الى القصر فلم تزل به الى ان استبد الافضل بن امير الجيوش وعمر دار الملك بمصر فنقل اليها الدواوين فلما قتل عادت من بعده الى القصر وما زالت هناك حتى زالت الدولة * قال في كتاب الذخائر والتحف وحدثني من أثق به قال كنت بالقاهرة يوما من شهور سنة تسع وخمسين وأربعمائة وقد استفحل امر المارقين وقويت شوكتهم وامتدت ايديهم الى أخذ الذخائر المصونة فى قصر السلطان بغير امره فرأيت وقد دخل من باب الديلم احد أبواب القصور المعمورة الزاهرة المعروف بتاج الملوك شادى وفخر العرب علىّ بن ناصر الدولة بن حمدان ورضى الدولة بن رضى الدولة وامير الامراء بحتكين بن بسكتكين وامير العرب بن كيغلغ والاعز بن سنان وعدة من الامراء اصحابهم البغداديين وغيرهم وصاروا في الايوان الصغير فوقفوا عند ديوان الشام لكثرة عددهم وجماعتهم وكان معهم احد الفراشين المستخدمين برسم القصور المعمورة فدخلوا الى حيث كان الديوان النظرى في الديوان المذكور وصحبتهم فعلة وانتهوا الى حائط مجير فأمروا الفعلة بكشف الجير عنه فظهرت حنية باب مسدود فأمروا بهدمه فتوصلوا منه الى خزانة ذكر أنها عزيزية من ايام العزيز بالله فوجدوا فيها من السلاح ما يروق الناظر ومن الرماح العزيزية المطلية أسنتها بالذهب ذات مهارك فضة مجراة بسواد ممسوح وفضة بياض ثقيلة الوزن عدة رزم اعوادها من الزان الجيد ومن السيوف المجوهرة النصول ومن النشاب الخلنجي وغيره ومن الدرق اللمطي والجحف التيني وغير ذلك ومن الدروع المكلل سلاح بعضها والمحلى بعضها بالفضة المركبة عليه ومن التخافيف والجواشن والكراعيدات الملبسة ديباجا المكوكبة بكواكب فضة وغير ذلك مما ذكر أن قيمته تزيد على عشرين ألف دينار فحملوا جميع ذلك بعد صلاة المغرب ولقد شاهدت بعض حواشيهم وركابياتهم يكسرون الرماح ويتلفون بذلك اعوادها الزان ليأخذوا المهارك الفضة ومنهم من يجعل ذلك في سراويله وعمامته وجيبه ومنهم من يستوهب من صاحبه السيف الثمين وكان فيها من الرماح الطوال الخطية السمر الجياد عدة حملوا منها ما قدروا عليه وبقى منها ما كسره الركابية ومن يجري مجراهم كانوا يبيعونه للغزليين واصناع المرادن حتى كثر هذا الصنف بالقاهرة ولم تعترضهم الدولة ولا التفتت الى قدر ذلك ولا احتفلت به وجملته هو وغيره فداء لاموال المسلمين وحفظا لما في منازلهم

(ديوان المجلس)

قال ابن الطوير ديوان المجلس هو أصل الدواوين قديما وفيه علوم الدولة بأجمعها وفيه عدة كتاب ولكل واحد مجلس مفرد وعنده معين أو معينان وصاحب هذا الديوان هو المتحدث فى الاقطاعات ويلحق بديوان النظر ويخلع عليه وينشأ له السجل وله المرتبة

والمسند والدواة والحاجب الى غير ذلك قال ذكر خدمهم الخاصة المتصلة بهم فأولها دفتر المجلس وصاحبه من الاستاذين المحنكين ثم يتولاه أجل كتاب الدولة ممن يكون مترشحا لرأس الدواوين ويتضمن ذلك الدفتر وله مكان ديوان بالقصر الباطن من الانعام في العطايا والظاهر من الرسوم المعروفة في غرة السنة والضحايا والمرتب من الكسوات للاولاد والاقارب والجهات وارباب الرتب على اختلاف الطبقات وما يرد من ملوك الدنيا من التحف والهدايا وما يرسل اليهم من الملاطفات ومقادير الصلات للمترسلين بالمكاتبات وما يخرج من الاكفان لمن يموت من ارباب الجهات المحترمات ثم يضبط ما ينفق في الدولة من المهمات ليعلم ما بين كل سنة من التفاوت فالصرة المنعم بها فى اول العام من الدنانير والرباعية والقراريط تقرب من ثلاثة آلاف دينار وثمن الضحايا يقرب من ألفى دينار وما ينفق في دار الفطارة فيما يفرق على الناس سبعة آلاف دينار وما ينفق فى دار الطراز للاستعمالات الخاص وغيرها فى كل سنة عشرة آلاف دينار وما ينفق فى مهم فتح الخليج غير المطاعم ألفا دينار وما ينفق في شهر رمضان في سماطه ثلاثة آلاف دينار وما ينفق فى سماطى الفطر والنحر أربعة آلاف دينار وهذا خارج عما يطلق للناس اصنافا من خزائنه من المآكل والمشارب والمواصلة من الهبات وما تخرج به الخطوط من التشريفات والمسامحات وما يطلق من الاهراء من الغلات حتى لا يفوتهم علم شيء من هذه المطلقات وفى هذه الخدمة كاتب مستقل بين يدى صاحب ديوانه الاصلي ومعه كاتبان آخران لتنزيل ذلك فى الدفتر والدفتر عبارة عن جرائد مسطوحات ينزل ذلك فيها فى اوقاته من غير فوات قال واذا انقضى عيد النحر من كل سنة تقدم بعمل الاستيمار لتلك السنة تمام ذى الحجة منها فيجتمع كتاب ديوان الرواتب عند متوليه وتحمل العروض اليه فاذا تحررت نسخة التحرير بيضت بعد أن يستدعي من المجلس اوراق بالادرار الذى يقبض بغير خرج وفى الادرار ما هو مستقر بالوجهين فيضاف هذا المبلغ بجهاته الى المبالغ المعلومة بديوان الرواتب وجهاتها حتى لا يفوت من الاستيمار شيء من كل ما تقرر شرحه ويعلم مقداره عينا وورقا وغلة وغير ذلك فيحرر ذلك كله باسماء المرتزقين واولهم الوزير ومن يلوذ به وعلى ذلك الى أن ينتهى الجميع الى ارباب الضر فاذا تكمل استدعى له من خزانة الفرش وطاء حرير لشده وشرابة لمسكه اما خضراء أو حمراء ويعمل له صدر من الكلام اللائق بما بعده وهذا كله خارج عن الكسوات المطلقة لاربابها والرسوم المعدة فى كل سنة وما يحمل من دار الفطرة من الاصناف برسم عيد الفطر وعما يشهد به دفتر المجلس من العطايا الخافية والرسوم وقد انعقد مرة وانا أتولى ديوان الرواتب على ما مبلغه نيف ومائة الف دينار أو قريب من مائتى ألف دينار ومن القمح والشعير على عشرة آلاف اردب فاذا فرغ من مسكه في الشرابة

حمل الى صاحب ديوان النظر ان كان والا فلصاحب ديوان المجلس ليعرضه على الخليفة ان كان يعني مستبدا أو الوزير لاستقبال المحرّم من السنة الآتية في أوقات معلومة فيتأخر في العرض وربما يستوعب المحرم ليحيط العلم بما فيه فاذا كمل العرض أخرج الى الديوان وقد شطب على بعضه وكانوا يخرجون من الاقامات على مال الدولة التي لا اصل لها وعلى غير متوفر ويتنجزها أربابها بالمستقبلات على الخلفاء والوزراء وينقص قوم للاستكثار ويزاد قوم للاستحقاق ويصرف قوم ويستخدم آخرون على ما تقتضيه الآراء في ذلك الوقت ثم يسلم لرب هذا الديوان فيحمل الامر على ما شطب عليه وعلامة الاطلاق خروجه من العرض وقيل انه عمل مرة في ايام المستنصر بالله فلما استؤذن على عرضه قال هل وقع أحد بما فيه غيرنا قيل له معاذ الله يامولانا ماتم انعام الالك ولارزق الامن الله على يديك فقال ماينقض به امرنا ولا خطنا وما صرفناه في دولتنا باذننا وتقدم الى ولي الدولة ابن جبران كاتب الانشاء بامضائه للناس من غير عرض وحمل الامر على حكمه ووقع عن الخليفة بظاهره الفقر مرّ المذاق . والحاجة تذل الاعناق . وحراسة النعم بادرار الارزاق . فليجروا على رسومهم في الاطلاق . ما عندكم ينفد وما عند الله باق . ووقع في خلافة الحافظ لدين الله على استيمار الرواتب مانصه أمير المؤمنين لا يستكثر في ذات الله كثير الاعطاء . ولا يكدّره بالتأخير له والتسويف والابطاء . ولما انتهى اليه ما ارباب الرواتب عليه من القلق للامتناع من ايجاباتهم . وحمل خروجاتهم . قد ضعفت قلوبهم . وقنطت نفوسهم . وساءت ظنونهم . شملهم برحمته ورأفته . وأمنهم مما كانوا وجلين من مخافته . وجعل التوقيع بذلك بخط يده تأكيدا للانعام والمن . وتهنئة بصدقة لا تتبع بالاذى والمن . فليعتمد في ديوان الجيوش المنصورة اجراء ما تضمنت هذه الاوراق ذكرهم . على ما ألفوه وعهدوه من رواتبهم . وايجابها على سياقها لكافتهم . من غير تأول ولا تعنت . ولا استدراك ولا تعقب . وليجروا في نسبياتهم على عادتهم لا ينقض من امرهم ما كان مبرما . ولا ينسخ من رسمهم ما كان محكما . كرما من امير المؤمنين وفعلا مبرورا . وعملا بما اخبر به عز وجل في قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولاشكورا . ولينسخ في جميع الدواوين بالحضرة ان شاء الله تعالى * وقال في كتاب كنز الدرر ان في سنة ست واربعمائة عرض على الحاكم بامر الله الاستيمار باسم المتفقهين والقراء والمؤذنين بالقاهرة ومصر وكانت الجملة في كل سنة احدا وسبعين الف دينار وسبعمائة وثلاثة وثلاثين دينارا وثلثي دينار وربع دينار فأمضى جميع ذلك * وقال ابن المأمون وأما الاستيمار فبلغني عمن أثق بهأنه كان في الايام الافضلية اثنى عشر ألف دينار وصار في الايام المامونية لاستقبال سنة ست عشرة وخمسمائة ستة عشر الف دينار وأما تذكرة الطراز فالحكم فيها مثل الاستيمار والشائع فيها أنها كانت تشتمل في الايام الافضلية على أحد وثلاثين الف دينار ثم اشتملت في الايام

المأمونية على ثلاثة واربعين الف دينار وتضاعفت في الايام الآمرية وعرض روزنامج بما
انفق عينا من بيت المال في مدة أولها محرم سنة سبع عشرة وخمسمائة وآخرها سلخ ذى
الحجة منها فى العساكر المسيرة لجهاد الفرنج براً والاساطيل بحرا والمنفق في ارباب النفقات
من الحجرية والمصطنعية والسودان على اختلاف قبوضهم وما ينصرف برسم خزانة القصور
الزاهرة وما يبتاع من الحيوان برسم المطابخ وما هو برسم منديل الكم الشريف في كل
سنة مائة دينار والمطلق فى الاعياد والمواسم وما ينعم به عند الركوبات من الرسوم والصدقات
وعند العود منها وثمن الامتعة المبتاعة من التجار على ايدى الوكلاء والمطلق برسم الرسل
والضيوف ومن يصل مستأمنا ودار الطراز ودار الديباج والمطلق برسم الصلات والصدقات
ومن يهتدي للاسلام وما ينعم به على الولاة عند استخدامهم في الخدم ونفقات بيت المال
والعمائر وهو من العين اربعمائة ألف وثمانية وستون ألفا وسبعمائة وسبعة وتسعون دينارا
ونصف من جملة خمسمائة الف وسبعة وستين ألفا ومائة وأربعين دينارا ونصف يكون
الحاصل بعد ذلك مما يحمل الى الصناديق الخاص برسم المهمات لما يتجدد من تسفير العساكر
وما يحمل الى الثغور عند نفاد ما بها ثمانية وتسعين الفا ومائة وسبعة وتسعين دينارا وربما
وسدسا ولم يكن يكتب من بيت المال وصول ولا مجرى ولا تعرف وذلك خارج عما يحمل
مشاهرة برسم الديوان المأموني والاجلاء اخوته وأولاده وما أنعم به على ماتضمنت اسمه
مشاهرة من الاصحاب والحواشي وارباب الخدم والكتاب والاطباء والشعراء والفراشين
الخاص والجوق والمؤدبين والخياطين والرفائين وصبيان بيت المال ونواب الباب ونقباء
الرسائل وأرباب الرواتب المستقرة من ذوى النسب والبيوتات والضعفاء والصعاليك من الرجال
والنساء عن مشاهرتهم ستة عشر ألفا وستمائة واثنان وثمانون دينارا وثلثا دينار يكون في السنة
مائتي الف ومائة دينار فتكون الجملة سبعمائة الف وسبعة وستين ألفا ومائتين وأربعة
وتسعين دينارا ونصفا * قال وفى هذا الوقت يعني شوال سنة سبع عشرة وخمسمائة وقعت
مرافعة فى ابى البركات بن أبى الليث متولي ديوان المجلس صورتها المملوك يقبل الارض
وينهي انه ما واصل انهاء حال هذا الرجل وما يعتمده لانه أهل أن ينال خدمة وانما هى
نصيحة تلزمه في حق سلطانه وقد حصل له من الاموال والذخائر مالا عدد له ولا قيمة
عليه ويضرب المملوك عن وجوه الجناية التي هى ظاهرة لان السلطان لايرضى بذكرها في
عالي مجلسه ولاسماعها في دولته وله ولاهله مستخدمون في الدولة ست عشرة سنة بالجارى الثقيل لكل
منهم ويذكر المملوك ماوصلت قدرته الى علمه ماهو باسمه خاصة دون من هو مستخدم في
الدواوين من أهله وأصحابه ويبدأ بما باسمه مياومة ادرارا من بيت المال والخزائن
ودار التعبية والمطابخ وشون الحطب وهو مايين برسم البقولات والتوابل نصف دينار ومن

الضأن رأس واحد ومن الحيوان ثلاثة اطيار ومن الحطب حملة واحدة ومن الدقيق خمسة وعشرون رطلا ومن الخبز عشرون وظيفةومن الفاكهةثمرة زهرة قصريتان وشمامة وفي كل اثنين وخميس من السماط بقاعة الذهب طيفور خاص وصحن من الاوائل وخمسة وعشرون رغيفا من الخبز الموائدي والسميذ وفي كل يوم احد وأربعاء من الاسمطة بالدار المأمونية مثل ذلك وفي كل يوم سبت وثلاثاء من اسمطة الركوبات خروف مشوى وجام حلوى ورباعي عنبا ويحضر اليه في كل يوم من الاصطبلات بغلة بمركوب محلى وبغلة برسم الراجل وفراشين من الجوق برسم خدمته وتبيت على بابه واذاخرج من بين يدي السلطان في الليل كان له شمعة من الموكبيات توصله الى داره وزنهاسبعة عشر رطلاولا تعود وبرسم ولده في كل يوم ثلاثة ارطال لحم وعشرة ارطال دقيق وفى ايام الركوبات رباعى والمشاهرة جارى ديوان الخاص والمجلس برسمه مائة وعشرون دينارا وبرسم ولده راتبا عشرة دنانير وأثبت أربعة غلمان نصارى ونسبهم للاسلام في جملة المستخدمين فى الركاب ولم يخدموا الا في الليل ولا في النهار بما مبلغه سبعة دنانير ومن السكر خمسة عشر رطلا ومن عسل النحل عشرة ارطال ومن قلب الفستق ثلاثة ارطال وقلب البندق خمسة ارطال وقلب اللوز أربعة ارطال وورد مربى رطلان زيت طيب عشرة ارطال شيرج خمسة ارطال زيت حار ثلاثون رطلا خل ثلاث جرار أرز نصف ويبة سماق اربعة ارطال حصرم وكشك وحب رمان وقراصيا بالسوية اثنا عشر رطلا سدر وأشنان ويبة ومن الكيزان عشرون شربة عزيزية وثلجية واحدة ومن الشمع ست شمعات منهن اثنتان منويات وأربعة رطليات والمسانهة فى بكور الغرة برسم الخاصة خمسة دنانير وخمس رباعية وعشرة قراريط جدد وبرسم ولده دينار ورباعى وثلاثة قراريط وخروف مقموم وخمسة أرؤس وربع قنطار خبز برماذق وصحن أرز بلبن وسكر ومن السماط بالقصر في اليوم المذكور خروف شواء وزبادى وجام حلوى والخبز وقطعة منفوخ ومن القمح ثلثمائة أردب ومن الشعير مائة وخمسون أردبا وفي المواليد الاربعة اربع صوانى فطرة وكسوة الشتاء برسمه خاصة منديل حريرى وشقة ديبقى حرير وشقة ديباج ورداء اطلس وشقة ديباج دارى وشقتان سقلاطون احداهما اسكندرانية وشقتان عتابي وشقتان خز مغربي وشقتان اسكندراني وشقتان دمياطي وشقة طلى مرش وفوطة خاص وبرسم ولده شقة سقلاطون دارى وشقة عتابي دارى وشقة خز مغربى وشقتان دمياطي وشقتان اسكندراني وشقة طلى وفوطة وبرسم من عنده منديلا كم أحدهما خزائني خاص ونصفى اردية ديبقى وشقة سقلاطون دارى وشقة عتابي وشقة سوسى وشقة دمياطي وشقتان اسكندراني وفوطة وبرسمه أيضا فى عيد الفطر طيفوران فطرة مشورة ومائة حبة. بورى وبدلة مذهبة مكملة ولولده بدلة حرير وبرسم من عنده حلة

مذهبة وفي عيد النحر رسمه مثل عيد الفطر ويزيد عنه هبة مائة دينار ولولده مثل عيد الفطر وزيادة عشرة دنانير ويساق اليه من الغنم ما لم يكن باسمه وفي موسم فتح الخليج اربعون دينارا وصينية فطرة وطيفور خاص من القصر وخروف شواء وجام حلواء وبرسم ولده خمسة دنانير وللخاصه في النوروز ثلاثون دينارا وشقة ديبقي حريري وشقة لاذ ومعجر حريري ومنديل كم حريري وفوطة ومائة بطيخة وسبعمائة حبة رمان وأربعة عناقيد موز وفرد بسر وثلاثة أقفاص تمر قوصي وقفصان سفر جل وثلاث بكالى هريسة واحدة بدجاج واخرى بلحم ضان والثالثة بلحم بقرى وأربعون رطلا خبز برماذق ولولده خمسة دنانير وحوائج النوروز بما تقدم ذكره وبرسمه في الميلاد جام قاهرية ومترد سميد معتصمى وزلابية وست قرابات جلاب وعشر حبات بورى وبرسم الغيطاس خمسمائة حبة ترنج ونارنج وليمون مركب وخمسة عشر طن قصب وعشر حبات بورى وباسمه في عيد الغدير من السماط بالقصر مثل عيد النحر وله هبة عن رسم الخلع من المجلس المأموني يعنى مجلس الوزارة ثلاثون دينارا ولولده خمسة دنانير ومن تكون هذه رسومه فى أى وجه تنصرف أمواله والذى باسم أخيه نظير ذلك وكذلك صهره فى ديوان الوزارة وابن أخيه فى الديوان التاجي ووجوه الاموال من كل جهة واصلة اليهم والامانة مصروفة عنهم وقد اختصر المملوك فيما ذكر والذى باسمه أكثر واذا أمر بكشف ذلك من الدواوين تبين صحة قول المملوك وعلم أنه ممن يتجنب قول المحال ولا يرضاه لنفسه سيما ان رفعه الى المقام الكريم وشنع ذلك بكثرة القول فيهم وعرض بالقبض عليهم وأوجب على نفسه أنه يثبت في جهاتهم من الاموال التى تخرج عن هذا الانعام مايجده حاضرا مدخورا عند من يعرفه مائة ألف دينار فلم يسمع كلامه الى أن ظهر الراهب فى الايام الآمرية فوجد هو وغيره الفرصة فيهم وكثر الوقائع عليهم فقبض عليهم عن آخرهم ومن يعرفهم وأخذ منهم الجملة الكبيرة ثم بعد ذلك عادوا الى خدمهم بما كان من اسمائهم وتجدد من جاههم وانتقامهم من اعدائهم أكثر مما كان أولا انتهى فانظر أعزك الله الى سعة أحوال الدولة من معلوم رجل واحد من كتاب دواوينها يتبين لك بما تقدم ذكره في هذه المرافعة من عظم الشأن وكثرة العطاء مايكون دليلا على باقى أحوال الدولة

(ديوان النظر)

قال ابن الطوير أما دواوين الاموال فان أجلها من يتولى النظر عليهم وله العزل والولاية ومن يده عرض الاوراق في أوقات معروفة على الخليفة أو الوزير ولم يرفيه نصراني الا الاحزم ولم يتوصل اليه الا بالضمان وله الاعتقال بكل مكان يتعلق بـ اب الدولة وله الجلوس بالمرتبة والمسند وبين يديه حاجب من أمراء الدولة وتخرج له الدواة بغير

كرسى وهو يندب المترسلين لطلب الحساب والحث على طلب الاموال ومطالبة أرباب الدولة ولا يعترض فيما يقصده من أحد من الدولة

(ديوان التحقيق)

هو ديوان مقتضاه المقابلة على الدواوين وكان لايتولاه الا كاتب خبير وله الخلع والمرتبة والحاجب ويلحق برأس الديوان يعني متولى النظر و يفتقر اليه في أكثر الاوقات *وقال ابن المأمون وفي هذه السنة يعنى سنة احدى وخمسمائة فتح ديوان المجلس قال ولما كثرت الاموال عند ابن أبي الليث صاحب الديوان رغب في التبجح على الافضل بن أمير الجيوش ينهضه ويسأله أن يشاهده قبل حمله وذكر أنه سبعمائة ألف دينار خارجا عن نفقات الرجال فجعلت الدنانير فى صناديق بجانب والدراهم في صناديق بجانب وقال ابن أبى الليث بين الصفين فلما شاهد الافضل بن أمير الجيوش ذلك قال لابن أبى الليث ياشيخ تفرحني بالمال وتربة أمير الجيوش ان بلغني أن بئرا معطلة أو أرضا بائرة أو بلدا خراب لاضرب عنقك فقال وحق نعمتك لقد حاشا الله ايامك أن يكون فيها بلد خراب أو بئر معطلة أو أرض بور فأبى أن يكشف عما ذكر انتهى وقتل ابن أبى الليث في سنة ثمان عشرة وخمسمائة

(ديوان الجيوش والرواتب)

قال ابن الطوير أما الخدمة في ديوان الجيوش فتنقسم قسمين. الاول ديوان الجيش وفيه مستوف أصيل ولا يكون الا مسلما وله مرتبة على غيره لجلوسه بين يدى الخليفة داخل عتبة باب المجلس وله الطراحة والمسند وبين يديه الحاجب وترد عليه أمور الاجناد وله العرض والحلى والثياب ولهذا الديوان خازنان برسم رفع الشواهد واذا عرض أحد الاجناد ورضى به عرض دوابه فلا يثبت له الا الفرس الجيد من ذكور الخيل واناثها ولا يترك لاحد منهم برذون ولا بغل وان كان عندهم البراذين والبغال وليس لهم تغيير أحد من الاجناد الا بمرسوم وكذلك اقطاعهم ويكون بين يدى هذا المستوفى نقباء الامراء ينهون اليه متجددات الاجناد من الحياة والموت والمرض والصحة وكان قد فسح للاجناد في مقايضة بعضهم بعضا في الاقطاع بالتوقيعات بغير علامة بل بتخريج صاحب ديوان المجلس ومن هذا الديوان تعمل أوراق أرباب الجرايات وما كان لامير وان علا قدره بلد مقور الانادراه وأما القسم الثاني من هذا الديوان فهو ديوان الرواتب ويشتمل على أسماء كل مرتزق وجار وجارية وفيه كاتب أصيل بطراحة وفيه من المعينين والمبيضين نحو عشرة أنفس والتعريفات واردة عليه من كل عمل باستمرار من هو مستمر ومباشرة من استجد وموت من مات ليوجب استحقاقه على النظام المستقيم وفي هذا الديوان عدة عروض *العرض الاول يشتمل على راتب الوزير وهو في الشهر خمسة آلاف دينار ومن يليه من ولد وأخ من ثلثمائة

دينار الى مائتي دينار ولم يقرر لولد وزير خمسمائة دينار سوى شجاع بن شاور المنعوت بالكامل ثم حواشيهم على مقتضى عدتهم من خمسمائة الى أربعمائة الى ثلثمائة خارجا عن الاقطاعات * العرض الثانى حواشى الخليفة وأولهم الاستاذون المحنكون على رتبهم وجوارى خدمهم التي لا يباشرها سواهم فزمام القصر وصاحب بيت المال وحامل الرسالة وصاحب الدفتر ومشاد التاج وزمام الاشراف الاقارب وصاحب المجلس لكل واحد منهم مائة دينار في كل شهر ومن دونهم ينقص عشرة دنانير حتى يكون آخرهم من له فى كل شهر عشرة دنانير وتزيد عدتهم على ألف نفس ولطبيبي الخاص لكل واحد خمسون دينارا ولمن دونهما من الاطباء برسم المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير * العرض الثالث يتضمن ارباب الرتب بحضرة الخليفة فاوله كاتب الدست الشريف وجاريه مائة وخمسون دينارا ولكل واحد من كتابه ثلاثون دينارا ثم صاحب الباب وجاريه مائة وعشرون دينارا ثم حامل السيف وحامل الرمح لكل منهما سبعون دينارا وبقية الازمة على العساكر والسودان من خمسين الى أربعين دينارا الى ثلاثين دينارا * العرض الرابع يشتمل على المستقر لقاضى القضاة ومن يلى قاضى القضاة مائة دينار وداعى الدعاة مائة دينار ولكل من قراء الحضرة عشرون دينارا الى خمسة عشر الى عشرة ولخطباء الجوامع من عشرين دينارا الى عشرة وللشعراء من عشرين دينارا الى عشرة دنانير * العرض الخامس يشتمل على ارباب الدواوين ومن يجري مجراهم وأولهم من يتولى ديوان النظر وجاريه سبعون دينارا وديوان التحقيق جاريه خمسون دينارا وديوان المجلس أربعون دينارا وصاحب دفتر المجلس خمسة وثلاثون دينارا وكاتبه خمسة دنانير وديوان الجيوش وجاريه أربعون دينارا والموقع بالقلم الجليل ثلاثون دينارا ولجميع اصحاب الدواوين الجارى فيها المعاملات لكل واحد عشرون دينارا ولكل معين من عشرة دنانير الى سبعة الى خمسة دنانير * العرض السادس يشتمل على المستخدمين بالقاهرة ومصر لكل واحد من المستخدمين في ولاية القاهرة وولاية مصر في الشهر خمسون دينارا والحماة بالاهراء والمناخات والجوالي والبساتين والاملاك وغيرها لكل منهم من عشرين دينارا الى خمسة عشر الى عشرة الى خمسة دنانير * العرض السابع الفراشون بالقصور برسم خدمها وتنظيفها خارجا وداخلا ونصب الستائر المحتاج اليها وخدمة المناظر الخارجة عن القصر فمنهم خاص برسم خدمة الخليفة وعدتهم خمسة عشر رجلا منهم صاحب المائدة وحامى المطابخ من ثلاثين دينارا الى ما حولها ولهم رسوم متميزة ويقربون من الخليفة فى الاسمطة التي يجلس عليها ويليهم الرشاشون داخل القصر وخارجه ولهم عرفاء ويتولى أمرهم استاذ من خواص الخليفة وعدتهم نحو الثلثمائة رجل وجاريهم من عشرة دنانير الى خمسة دنانير * العرض الثامن صبيان الركاب وعدتهم تزيد على ألفي رجل

ومقدموهم أصحاب ركاب الخليفة وعدتهم أثنا عشر مقدما منهم مقدم المقدمين وهو صاحب الركاب اليمين ولكل من هؤلاء المقدمين في كل شهر خمسون دينارا ولهم نقباء من جهة المذكورين يعرفونهم وهم مقررون جوقا على قدر جوارهم جوقة لكل منهم خمسة عشر دينارا وجوقة لكل منهم عشرة دنانير وجوقة لكل منهم خمسة دنانير ومنهم من ينتدب في الخدم السلطانية ويكون لهم نصيب في الاعمال التي يدخلونها وهم الذين يحملون الملحقات لركوب الخليفة في المواسم وغيرها وأول من قرر العطاء لغلمانه وخدمه وأولادهم الذكور والاناث ولنسائهم وقرر لهم أيضاً الكسوة العزيز بالله نزار بن المعز

(ديوان الانشاء والمكاتبات)

وكان لا يتولاه الا أجل كتاب البلاغة ويخاطب بالشيخ الاجل ويقال له كاتب الدست الشريف ويسلم المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة من بعده وهو الذى يأمر بتنزيلها والاجابة عنها للكتاب والخليفة يستشيره في اكثر اموره ولا يحجب عنه متى قصد المثول بين يديه وهذا أمر لا يصل اليه غيره وربما بات عند الخليفة ليالى وكان جاريه مائة وعشرين دينارا في الشهر وهو اول أرباب الاقطاعات وأرباب الكسوة والرسوم والملاطفات ولا سبيل أن يدخل الى ديوانه بالقصر ولا يجتمع بكتابه أحد الا الخواص وله حاجب من الامراء الشيوخ وفراشون وله المرتبة الهائلة والمخاد والمسند والدواة لكنها بغير كرسى وهى من أخص الدوى ويحملها استاذ من استاذى الخليفة

(التوقيع بالقلم الدقيق فى المظالم)

وكان لا بد للخليفة من جليس يذاكره ما يحتاج اليه من كتاب الله وتجويد الخط وأخبار الانبياء والخلفاء فهو يجتمع به في اكثر الايام ومعه أستاذ من المحنكين مؤهل لذلك فيكون الاستاذ ثالثهما ويقرأ على الخليفة ملخص السير ويكرر عليه ذكر مكارم الاخلاق وله بذلك رتبة عظيمة تلحق برتبة كاتب الدست ويكون صحبته للجلوس دواة محلاة فاذا فرغ من المجالسة ألتى في الدواة كاغد فيه عشرة دنانير وقرطاس فيه ثلاثة مثاقيل ند مثلث خاص ليتبخر به عند دخوله على الخليفة ثاني مرة وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق وله طراحة ومسند وفراش يقدم اليه ما يوقع عليه وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل اليه أحد الا باذن وهو يلي صاحب ديوان المكاتبات فى الرسوم والكساوى وغيرها

(التوقيع بالقلم الجليل)

وهي رتبة جليلة ويقال لها الخدمة الصغرى ولها الطراحة والمسند بغير حاجب بل الفراش لترتيب ما يوقع فيه

(مجلس النظر في المظالم)

كانت الدولة اذا خلت من وزير صاحب سيف جلس صاحب الباب في باب الذهب بالقصر وبين يديه النقباء والحجاب فينادي المنادي بين يديه يا أرباب الظلامات فيحضرون فمن كانت ظلامته مشافهة أرسلت الى الولاة والقضاة رسالة بكشفها ومن تظلم ممن ليس من أهل البلدين أحضر قصة بأمره فيتسلمها الحاجب منه فاذا جمعها أحضرها الى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها ثم تحمل الى الموقع بالقلم الجليل فيبسط ما أشار اليه الموقع الاول ثم تحمل في خريطة الى الخليفة فيوقع عليها ثم تخرج في الخريطة الى الحاجب فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع لصاحبه فان كان وزيره صاحب سيف جلس للمظالم بنفسه وقبالته قاضي القضاة ومن جانبيه شاهدان معتبران ومن جانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان المال وبين يديه صاحب الباب واسفهسلار العساكر وبين أيديهما النواب والحجاب على طبقاتهم ويكون الجلوس بالقصر فى مجلس المظالم في يومين من الاسبوع وكان الخليفة اذا رفعت اليه القصة وقع عليها يعتمد ذلك ان شاء الله تعالى ويوقع في الجانب الايمن منها يوقع بذلك فتخرج الى صاحب ديوان المجلس فيوقع عليها جليلا ويخلي مكان العلامة فيعلم عليها الخليفة وتثبت وكانت علامتهم أبدا الحمد لله رب العالمين وكان الخليفة يوقع في المسامحة والتسويغ والتحبيس قد أنعمنا بذلك وقد أمضينا ذلك وكان اذا أراد أن يعلم ذلك الشيء الذي أنهى وقع ليخرج الحال فى ذلك فاذا أحضر اليه اخراج الحال علم عليه فان كان حينئذ وزير وقع الخليفة بخطه وزيرنا السيد الاجل وذكر نعته المعروف به أمتعنا الله ببقائه يتقدم بنجاز ذلك ان شاء الله تعالى فيكتب الوزير تحت خط الخليفة يمتثل أمر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ويثبت فى الدواوين

(رتب الامراء)

وكان أجل خدم الامراء أرباب السيوف خدمة الباب ويقال لمتولي هذه الخدمة صاحب الباب وينعت أولا بالمعظم وأول من خدم بها المعظم خمرتاش في أيام الخليفة الحافظ وكان من العقلاء وناب عن الحافظ فى مرضه فلما عوفى اراده على الوزارة فامتنع وله نائب يقال له النائب وتسمى الخدمة فيها بالنيابة الشريفة ومقتضاها أنها مميزة ولا يليها الا أعيان العدول وأرباب العمائم وينعت أبدا بعدى الملك وهو الذى يتلقى الرسل الواصلة من الدول ومعه نواب الباب في خدمته ويحفظهم وينزلهم بالاماكن المعدة لهم ويقدمهم للسلام على الخليفة والوزير مع صاحب الباب فيكون صاحب الباب يميناً وهو يسار ويتولى افتقادهم والحث على ضيافتهم ولا يمكن من التقصير فى حقوقهم واجتماع الناس بهم والاطلاع على ماجاؤا فيه ولا من ينقل الاخبار اليهم ويلي رتبة صاحب الباب الاسفهسلار وهو زمام كل زمام واليه أمور

الاجناد ثم يليه حامل سيف الخليفة أيام الركوب بالمظلة واليتيمة ثم من يزم طائفتي الحافظية والآمرية وهما وجه الاجناد وهؤلاء أرباب الاطواق ويليهم أرباب القصب والعماريات وهى الاعلام ثم زى الطوائف ثم من يترشح لذلك من الاماثل وكانت الدولة لا تسند ذلك الا الى أرباب الشجاعة والنجدة ولهذا دخل فيه أخلاط الناس من الارمن والروم وغيرهم وعلى ذلك كان عملهم لا للزينة والتباهي

(قاضى القضاة)

وكان من عادة الدولة أنه اذا كان وزير رب سيف فانه يقلد القضاء رجلا نيابة عنه وهذا انما حدث من عهد أمير الجيوش بدر الجمالي واذا كان الخليفة مستبداً قلد القضاء رجلا ونعته بقاضى القضاة وتكون رتبته أجل رتب أرباب العمائم وأرباب الاقلام ويكون في بعض الاوقات داعيا فيقال له حينئذ قاضى القضاة وداعى الدعاة ولا يخرج شئ من الامور الدينية عنه ويجلس السبت والثلاثاء بزيادة جامع عمرو بن العاص بمصر على طراحة ومسند حرير فلما ولي ابن عقيل القضاء رفع المرتبة والمسند وجلس على طراحات السامان فاستمر هذا الرسم ويجلس الشهود حواليه يمنة ويسرة بحسب تاريخ عدالتهم وبين يديه خمسة من الحجاب اثنان بين يديه واثنان على باب المقصورة وواحد ينفذ الخصوم اليه وله أربعة من الموقعين بين يديه اثنان يقابلان اثنين وله كرسى الدواة وهى دواة محلاة بالفضة تحمل اليه من خزائن القصور ولها حامل بجامكية فى الشهر على الدولة ويقدم له من الاصطبلات برسم ركوبه على الدوام بغلة شهباء وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون أرباب الدولة وعليها من خزانة السروج سرج محلى ثقيل ووراءه دفتر فضة ومكان الجلد حرير وتأتيه فى المواسم الاطواق ويخلع عليه الخلع المذهبة بلا طبل ولا بوق الا اذا ولى الدعوة مع الحكم فان للدعوة في خلعها الطبل والبوق والبنود الخاص وهى نظير البنود التي يشرف بها الوزير صاحب السيف واذا كان للحكم خاصة كان حواليه القراء رجالة وبين يديه المؤذنون يعلنون بذكر الخليفة والوزير ان كان ثم ويحمل بنواب الباب والحجاب ولا يتقدم عليه أحد فى محضر هو حاضره من رب سيف وقلم ولا يحضر لاملاك ولا جنازة الا باذن ولا سبيل الى قيامه لاحد وهو فى مجلس الحكم ولا يعدل شاهد الا بأمره ويجلس بالقصر في يومى الاثنين والخميس أول النهار للسلام على الخليفة ونوابه لايفترون عن الاحكام ويحضر اليه وكيل بيت المال وكان له النظر في ديوان الضرب لضبط مايضرب من الدنانير فكان يحضر مباشرة التغليق بنفسه ويختم عليه ويحضر لفتحه وكان القاضى لا يصرف الا بجنحة ولا يعدل أحداً الا بتزكية عشرين شاهداً عشرة من مصر وعشرة من القاهرة ورضى الشهود به ولا يحتمى أحد على الشرع ومن فعل ذلك أدب

(قاعة الفضة)

وهي من جملة قاعات القصر

(قاعة السدرة)

كانت بجوار المدرسة والتربة الصالحية واشتراها قاضى القضاة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسي الحنبلي مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحية بألف وخمسة وتسعين ديناراً في رابع شهر ربيع الآخر سنة ستين وستمائة من كمال الدين ظافر ابن الفقيه نصر وكيل بيت المال ثم باعها شمس الدين المذكور للملك الظاهر بيبرس فى حادى عشرى ربيع الآخر المذكور وكان يتوصل اليها من باب البحر

(قاعة الخيم)

كانت شرقي قاعة السدرة وقد دخلت قاعة السدرة وقاعة الخيم فى مكان المدرسة الظاهرية العتيقة

(المناظر الثلاث)

استجدهن الوزير المأمون البطائحي وزير الخليفة الآمر بأحكام الله احداهن بين باب الذهب وباب البحر والاخرى على قوس باب الذهب ومنظرة ثالثة وكان يقال لها الزاهرة والفاخرة والناضرة وكان يجلس الخليفة في احداها لعرض العساكر يوم عيد الغدير ويقف الوزير في قوس باب الذهب

(قصر الشوك)

قال ابن عبد الظاهر كان منزلا لبني عذرة قبل القاهرة يعرف بقصر الشوك وهو الآن أحد أبواب القصر انتهى والعامة تقول قصر الشوق وأدركت مكانه داراً استجدت بعد الدولة الفاطمية هدمها الامير جمال الدين يوسف الاستادار في سنة احدى عشرة وثمانمائة لينشئها داراً فمات قبل ذلك وموضعه اليوم بالقرب من دار الضرب فيما بينه وبين المارستان العتيق

(قصر أولاد الشيخ)

هذا المكان من جملة القصر الكبير وكان قاعة فسكنها الوزير الصاحب الامير الكبير معين الدين حسين ابن شيخ الشيوخ صدرالدين بن حمويه في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب فعرف به وأدركت هذا المكان خطاً يعرف بالقصر يتوصل اليه من زقاق تجاه حمام بيسرى وفيه عدة دور منها دار الطواشي سابق الدين ومدرسته المعروفة بالمدرسة السابقية وكان يتوصل اليه من الركن المخلق أيضاً من الباب المظلم تجاه سور سعيد السعداء المعروف قديماً بباب الريح ثم عرف بقصر ابن الشيخ وعرف فى زمننا بباب القصر الى أن هدمه

جمال الدين الاستادار كما يأتي ان شاء الله تعالى

(قصر الزمرذ)

هو من جملة القصر الكبير وعرف أخيرا بقصر قوصون ثم عرف في زمننا بقصر الحجازية وقيل له قصر الزمرذ لانه كان بجوار باب الزمرذ أحد أبواب القصر ووجد به في سنة بضع وسبعين وسبعمائة تحت التراب عمودان عظيمان من الرخام الابيض فعمل لهما ابن عابد رئيس الحراريق السلطانية اساقيل وجرهما الى المدرسة التي انشأها الملك الاشرف شعبان بن حسين تجاه الطبلخاناة من قلعة الجبل وأدركنا لجر هذين العمودين اوقاتا في ايام تجمع الناس فيها من كل أوب لمشاهدة ذلك ولهجوا بذكرهما زمناوقالوا فيهما شعراوغناء كثيرا وعملوا نموذجات من ثياب الحرير وتطريز المناديل عرفت بجر العمود وكانت الانفس حينئذ منبسطة والقلوب خالية من الهموم وللناس اقبال على اللهو لكثرة نعمهم وطول فراغهم وكان العمودان المذكوران مما ارتدم من أنقاض القصر فسبحان الوارث

(الركن المخلق)

موضعه الآن تجاه حوض الجامع الاقمر على يمنة من أراد الدخول الى المسجد المعروف الآن بمعبد موسى وقيل له الركن المخلق لانه ظهر في سنة ستين وستمائة في هذا الموضع حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى عليه السلام تخلق بالزعفران وسمي من ذلك اليوم بالركن المخلق وأخبرني الامير الوزير ابو المعالي يلبغا السالمي أنه قرأ في الاسطر المكتوبة بأسكفة باب الجامع الاقمر كلاما من جملته والحوانيت التى بالركن المخوق بواو بعد الخاء فرأيت بعد ذلك في الامالى للقالى وقال ابو عبيدة عن أبي عمرو الخوقاء الصحراء التى لا ماء بها ويقال الواسعة وأخوق واسع فلعله سمي المخوق بمعنى الاتساع فكان ركنا متسعا وفي بناء واسع أو يكون المخلق باللام من قولهم قدح مخلق بضم الميم وفتح الخاء وتشديد اللام وفتحها اى مستو أملس وكل مالين وملس فقد خلق فكل مملس مخلق وسمته العامة بعد ذلك الركن المخلق عند ما خلقوه بالزعفران والله أعلم

(السقيفة ٣)

وكان من جملة القصر الكبير موضع يعرف بالسقيفة يقف عنده المتظلمون وكانت عادة الخليفة أن يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المتظلمين فاذا ظلم احد وقف تحت السقيفة وقال بصوت عال لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله فيسمعه الخليفة فيأمر باحضاره اليه او يفوض امره الى الوزير أو القاضي او الوالى ومن غريب ماوقع أن الموفق بن الخلال لما كان

(٣) قوله السقيفة هكذا هنا في النسخ بالقاف والفاء وهو الظاهر المتبادر خلافا لما مرّ من انها سفينة بالفاء والنون اه مصححه

يحدث في امور الدواوين ايام الخليفة الحافظ لدين الله وخرج من انتدب بعد انحطاط النيل
من العدول والنصارى الكتاب الى الاعمال لتحرير ما شمله الرى وزرع من الاراضى
وكتابة المكلفات فخرج الى بعض النواحي من يمسحها من شاد وناظر وعدول وتأخر
الكاتب النصراني ثم لحقهم وأراد التعدية الى الناحية فحمله ضامن تلك المعدية الى البر
وطلب منه اجرة التعدية فنفر فيه النصراني وسبه وقال أنا ماسح هذه البلدة وتريدمنى حق
التعدية فقال له الضامن ان كان لى زرع خذه وقلع لجام بغلة النصراني وألقاه في معديته
فلم يجد النصرانى بدا من دفع الاجرة اليه حين أخذ لجام بغلته فلما تمم مساحة البلدوبيض
مكلفة المساحة ليحملها الى دواوين الباب وكانت عادتهم حينئذ كتب الجملة بزيادة عشرين
فدانا ترك بياضا في بعض الاوراق وقابل العدول على المكلفة وأخذ الخطوط عليها بالصحة
ثم كتب في البياض الذي تركه ارض الاجام باسم ضامن المعدية عشرين فدانا قطيعة كل
فدان اربعة دنانير عن ذلك ثمانون دينارا و حمل المكلفة الى ديوان الاصل وكانت العادة
اذا مضى من السنة الخراجية اربعة اشهر ندب من الجند من فيه حماسة وشدة ومن
الكتاب العدول وكاتب نصرانى فيخرجون الى سائر الاعمال لاستخراج ثلث الخراج على
ما تشهد به المكلفات المذكورة فينفق في الاجناد فانه لم يكن حينئذ للاجناد اقطاعات كما هو
الآن وكان من العادة أن يخرج الى كل ناحية ممن ذكر من لم يكن خرج وقت المساحة
بل ينتدب قوم سواهم فلما خرج الشاد والكاتب والعدول لاستخراج ثلث مال الناحية
استدعوا ارباب الزرع على ما تشهد به المكلفة ومن جملتهم ضامن المعدية فلما حضر ألزم
بستة وعشرين دينارا وثلثى دينار عن نظير ثلث المال الثمانين دينارا التى تشهد بها المكلفة
عن خراج أرض الاجام فانكر الضامن أن تكون له زراعة بالناحية وصدقه اهل البلد فلم
يقبل الشاد ذلك وكان عسوفا وأمر به فضرب بالمقارع واحتج بخط العدول على المكلفة
وما زال به حتى باع معديته وغيرها وأورد ثلث المال الثابت فى المكلفة وسار الى القاهرة
فوقف تحت السقيفة وأعان بما تقدم ذكره فأمر الخليفة الحافظ باحضاره فلمامثل بحضرته
قص عليه ظلامته مشافهة وحكى له ما اتفق منه في حق النصرانى وما كاده به فأحضر ابن
الخلال وجميع ارباب الدواوين وأحضرت المكلفات التى عملت للناحية المذكورة في عدة
سنين ماضية وتصفحت بين يديه سنة سنة فلم يوجد لارض الاجام ذكر ألبتة فحينئذ أمر
الخليفة الحافظ باحضار ذلك النصرانى وسمر في مركب وأقام له من يطعمه ويسقيه وتقدم
بأن يطاف به سائر الاعمال وينادى عليه ففعل ذلك وأمر بكف ايدى النصرانية كلها عن
الخدم في سائر المملكة فتعطلوا مدة الى أن ساءت احوالهم وكان الحافظ مغرما بعلم النجوم
وله عدة من المنجمين من جملتهم شخص صار اليه عدة من أكابر كتاب النصارى ودفعوا

اليه جملة من المال ومعهم رجل منهم يعرف بالاخرم بن أبي زكريا وسألوه أن يذكر للحافظ في أحكام تلك السنة حلية هذا الرجل فانه ان أقامه في تدبير دولته زاد النيل ونما الارتفاع وزكت الزروع ونتجت الاغنام ودرت الضروع وتضاعفت الاسماك وورد التجار وجرت قوانين المملكة على اجمل الاوضاع فطمع ذلك المنجم في كثرة ما عاينه من الذهب وعمل ما قرره النصارى معه فلما رأى الحافظ ذلك تعلقت نفسه بمشاهدة تلك الصفة فأمر باحضار الكتاب من النصارى وصار يتصفح وجوههم من غير أن يطلع أحدا على ما يريده وهم يؤخرون الاخرم عن الحضور اليه قصدا منهم وخشية أن يفطن بمكرهم الى أن اشتد الزامهم باحضار سائر من بقى منهم فأحضروه بعد أن وضعوا من قدره فلما رآه الحافظ رأى فيه الصفات التى عينها منجمه فاستدناه اليه وقربه وآل أمره الى أن ولاه أمير الدواوين فأعاد كتاب النصارى أوفر ما كانوا عليه وشرعوا في التجبر وبالغوا فى اظهار الفخر وتظاهروا بالملابس العظيمة وركبوا البغلات الرائعة والخيول المسومة بالسروج المحلاة واللجم الثقيلة وضايقوا المسلمين في أرزاقهم واستولوا على الاحباس الدينية والاوقاف الشرعية واتخذوا العبيد والمماليك والجواري من المسلمين والمسلمات وصودر بعض كتاب المسلمين فألجأته الضرورة الى بيع أولاده وبناته فيقال انه اشتراهم بعض النصارى وفى ذلك يقول ابن الخلال

اذا حكم النصارى في الفروج * وغالوا بالبغال وبالسروج

وذلت دولة الاسلام طرا * وصار الامر فى ايدى العلوج

فقل للاعور الدجال هذا * زمانك ان عزمت على الخروج

وموضع السقيفة فيما بين درب السلامي وبين خزانة البنود يتوصل اليه من تجاه البئر التى قدام دار كانت تعرف بقاعة ابن كتيلة ثم استولى عليها جمال الدين الاستادار وجعلها مسكنا لاخيه ناصر الدين الخطيب وغير بابها

(دار الضرب)

هذا المكان الذى هو الآن دار الضرب من بعض القصر فكان خزانة بجوار الايوان الكبير سجن بها الخليفة الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد ابن الامير أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله ابى تميم معد وذلك أن الآمر لما قتل فى يوم الثلاثاء رابع عشر ذى القعدة سنة اربع وعشرين وخمسمائة قام العادل برغش وهزار الملوك جوامرد وكانا أخص غلمان الآمر بالامير عبد المجيد ونصباه خليفة ونعتاه بالحافظ لدين الله وهو يومئذ أكبر الاقارب سنا وذكر أن الآمر قال قبل أن يقتل باسبوع عن نفسه المسكين المقتول بالسكين وأنه أشار الى أن بعض جهاته حامل منه وأنه رأى انها ستلد ذكرا وهو الخليفة من بعده وأن كفالته للامير عبد المجيد فجلس على أنه كافل للمذكور وندب هزار الملوك

للوزارة وخلع عليه فلم ترض الاجناد به وثاروا بين القصرين وكبيرهم رضوان بن ولخشى وقاموا بأبي علي بن الافضل الملقب بكتيفات وقالوا لا نرضي الأن يصرف هزار الملوك وتفوض الوزارة لاحمد بن الافضل في سادس عشره فكان اول ما بدأ به أن أحاط على الخليفة الحافظ وسجنه بالقاعة المذكورة وقيده وهم بخلعه فلم يتأت له ذلك وكان اماميا فأبطل ذكر الحافظ من الخطبة وصار يدعو للقائم المنتظر ونقش على السكة الله الصمد الامام محمد فلما قتل في يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة بالميدان خارج باب الفتوح سارع صبيان الخاص الذين تولوا قتله الى الحافظ وأخرجوه من الخزانة المذكورة وفكوا عنه قيده وكان كبيرهم يانس وأجلسوه في الشباك على منصب الخلافةوطيف برأس أحمد ابن الافضل وخلع على يانس خلع الوزارة وما زالت الخلافة في يد الحافظ حتى مات ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة عن سبع وستين سنة منها خليفة من حين قتل ابن الافضل ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وأيام

(خزائن السلاح)

كانت بالايوان الكبير الذى تقدم ذكره فى صدر الشباك الذى يجلس فيه الخليفةتحت القبة التي هدمت في سنة سبع وثمانين وسبعمائة كما تقدم وخزائن السلاح المذكورة هى الآن باقية بجوار دار الضرب خلف المشهد الحسيني وعقد الايوان باق وقد تشعث

(المارستان العتيق)

قال القاضى الفاضل في متجددات سنة سبع وسبعين وخمسمائة فى تاسع ذي العقدة أمر السلطان يعني صلاح الدين يوسف بن أيوب بفتح مارستان للمرضى والضعفاء فاختير له مكان بالقصر وأفرد برسمه من اجرة الرباع الديوانية مشاهرة مبلغها مائتا دينار وغلات جهاتها الفيوم واستخدم له أطباء وطبائعيين وجرائحيين ومشارف وعاملا وخداما ووجد الناس به رفقا واليه مستروحا وبه نفعا وكذلك بمصر أمر بفتح مارستانها القديم وأفرد برسمه من ديوان الاحباس ما تقدير ارتفاعه عشرون دينارا واستخدم له طبيب وعامل ومشارف وارتفق به الضعفاء وكثر بسبب ذلك الدعاء وقال ابن عبد الظاهر كان قاعة بناها العزيز بالله في سنة اربع وثمانين وثلثمائة وقيل ان القرآن مكتوب في حيطانهاومن خواصها أنه لا يدخلها نمل لطالسم بها ولما قيل ذلك لصلاح الدين رحمه الله قال هذا يصلح أن يكون مارستانا وسألت مباشريه عن ذلك فقالوا انه صحيح وكان قديما المارستان فيما بلغني القشاشين وأظنه المكان المعروف بدار الديلم انتهى والقشاشين المذكورة تعرف اليوم بالخراطين المسلوك فيها الى الخيميين والجامع الازهر

(التربة المعزية)

كان من جملة القصر الكبير التربة المعزية وفيها دفن المعز لدين الله آباءه الذين أحضرهم في توابيت معه من بلاد المغرب وهم الامام المهدى عبيد الله وابنه القائم بامر الله محمد وابنه الامام المنصور بنصر الله اسماعيل واستقرت مدفنا يدفن فيه الخلفاء وأولادهم ونساءهم وكانت تعرف بتربة الزعفران وهو مكان كبير من جملتها الموضع الذى يعرف اليوم بخط الزراكشة العتيق ومن هناك بابها ولما أنشأ الامير جهاركس الخليلي خانه المعروف به في الخط المذكور أخرج ما شاء الله من عظامهم فألقيت في المزابل على كيمان البرقية ويمتد من هناك من حيث المدرسة البديرية خلف المدارس الصالحية النجمية وبها الى اليوم بقايا من قبورهم وكان لهذه التربة عوايد ورسوم منها أن الخليفة كلما ركب بمظلة وعاد الى القصر لا بد أن يدخل الى زيارة آبائه بهذه التربة وكذلك لا بد أن يدخل في يوم الجمعة دائما وفى عيدى الفطر والاضحى مع صدقات ورسوم تفرق قال ابن المأمون وفي هذا الشهر يعني شوالا سنة ست عشرة وخمسمائة تنبه ذكر الطائفة النزارية وتقرر بين يدى الخليفة الآمر باحكام الله أن يسير رسول الى صاحب الموق بعد أن جمعوا الفقهاء من الاسماعيلية والامامية وقال لهم الوزير المأمون البطائحي ما لكم من الحجة في الرد على هؤلاء الخارجين على الاسماعيلية فقال كل منهم لم يكن لنزار امامة ومن اعتقد هذا فقد خرج عن المذهب وضل ووجب قتله وذكروا حججهم فكتب الكتاب ووصلت كتب من خواص الدولة تتضمن أن القوم قويت شوكتهم واشتدت في البلاد طمعتهم وأنهم سيروا الآن ثلاثة آلاف برسم النجوى وبرسم المؤمنين الذين تنزل الرسل عندهم ويختفون في محلهم فتقدم الوزير بالفحص عنهم والاحتراز التام على الخليفة فى ركوبه ومنتزهاته وحفظ الدور والاسواق ولم يزل البحث في طلبهم الى أن وجدوا فاعترفوا بأن خمسة منهم هم الرسل الواصلون بالمال فصلبوا وأما المال وهو الفا دينار فان الخليفة أبي قبوله وأمر أن ينفق في السودان عبيد الشراء وأحضر من بيت المال نظير المبلغ وتقدم بأن يصاغ به قنديلان من ذهب وقنديلان من فضة وأن يحمل منها قنديل ذهب وقنديل فضة الى مشهد الحسين بثغر عسقلان وقنديل الى التربة المقدسة تربة الأئمة بالقصر وأمر الوزير المأمون باطلاق الفى دينار من ماله وتقدم بأن يصاغ بها قنديل ذهب وسلسلة فضة برسم المشهد العسقلاني وأن يصاغ على المصحف الذى بخط أمير المؤمنين علىّ بن أبي طالب بالجامع العتيق بمصر من فوق الفضة ذهب وأطلق حاصل الصناديق التى تشتمل على مال النجاوى برسم الصدقات عشرة آلاف درهم تفرق في الجوامع الثلاثة الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وجامع القرافة وعلى فقراء المؤمنين على ابواب القصور وأطلق من الاهراء ألفى اردب قمحا وتصدق على عدة من الجهات بجملة

كثيرة واشتريت عدة جوار من الحجر وكتب عتقهن للوقت وأطلق سراحهن وقال في كتاب الذخائر ان الاتراك طلبوا من المستنصر نفقة في أيام الشدة فماطلهم وانهم هجموا على التربة المدفون فيها اجداده فأخذوا ما فيها من قناديل الذهب وكانت قيمة ذلك مع ما اجتمع اليه من الآلات الموجودة هناك مثل المداخن والمجامر وحلى المحاريب وغير ذلك خمسين ألف دينار

(القصر النافعي)

قال ابن عبد الظاهر القصر النافعي قرب التربة يقرب من جهة السبع خوخ كان فيه عجائز من عجائز القصر وأقارب الاشراف انتهى وموضع هذا القصر اليوم فندق المهمندار الذى يدق فيه الذهب وما في قبليه من خان منجك ودار خواجا عبد العزيز المجاورة المسجد الذى بحذاء خان منجك وما بجوار دار خواجا من الزقاق المعروف بدرب الحبشى وكان حد هذا القصر الغربي ينتهي الى الفندق الذى بالجيميين المعروف قديما بخان منكورس ويعرف اليوم بخان القاضي واشترى بعض هذا القصر لمابيع بعد زوال الدولة الامير ناصر الدين عثمان بن سنقر الكاملى المهمندار الذى يعرف بفندق المهمندار بعد أن كان اصطبلا له واشترى بعضه الامير حسام الدين لاجين الايدمرى المعروف بالدرفيل دوادار الملك الظاهر بيبرس وعمره اصطبلا ودارا وهى الدار التي تعرف اليوم بخواجا عبد العزيز على باب درب الحبشى ثم عمل الاصطبل الخان الذى يعرف اليوم بخان منجك وابتنى الناس في مكان درب الحبشى الدور وزال أثر القصر فلم يبق منه شىء البتة

(الخزائن التي كانت بالقصر)

وكانت بالقصر الكبير عدة خزائن منها خزانة الكتب وخزانة البنود وخزائن السلاح وخزائن الدرق وخزائن السروج وخزانة الفرش وخزانة الكسوات وخزائن الادم وخزائن الشراب وخزانة التوابل وخزائن الخيم ودار التعبية وخزائن دار افتكين ودار الفطرة ودار العلم وخزانة الجوهر والطيب وكان الخليفة يمضى الى موضع من هذه الخزائن وفي كل خزانة دكة عليها طراحة ولها فراش يخدمها وينظفها طول السنة وله جار في كل شهر فيطوفها كلها فى السنة

(خزانة الكتب)

قال المسبحي وذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن أحمد فأمر خزان دفاتره فأخرجوا من خزانته نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل بن أحمد وحمل اليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبرى اشتراها بمائة دينار فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبرى منها نسخة

بخطه وذكر عنده كتاب الجمهرة لابن دريد فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها وقال في كتاب الذخائر عدة الخزائن التي برسم الكتب فى سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة وأن الموجود فيها من جملة الكتب المخرجة فى شدة المستنصر ألفان وأربعمائة ختمة قرآن في ربعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب وفضة وغيرهما وأن جميع ذلك كله ذهب فيما أخذه الاتراك فى واجباتهم ببعض قيمته ولم يبق في خزائن القصر البرانية منه شيء بالجملة دون خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل اليها ووجدت صناديق مملوءة أقلاما مبرية من براية ابن مقلة وابن البواب وغيرهما قال وكنت بمصر فى العشر الاول من محرم سنة احدى وستين واربعمائة فرأيت فيها خمسة وعشرين جملا موقرة كتبا محمولة الى دار الوزير أبى الفرج محمد بن جعفر المغربي فسألت عنها فعرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير بن الموفق في الدين بايجاب وجبت لهما عما يستحقانه وغلمانهما من ديوان الجبليين وان حصة الوزير أبى الفرج منها قومت عليه من جارى مماليكه وغلمانه بخمسة آلاف دينار وذكر لى من له خبرة بالكتب انها تبلغ أكثر من مائة الف دينار ونهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر فى صفر من السنة المذكورة مع غيرها مما نهب من دور من سار معه من الوزير أبي الفرج وابن أبى كدينة وغيرهما هذا سوى ماكان في خزائن دار العلم بالقاهرة وسوى ماصار الى عماد الدولة أبي الفضل بن المحترق بالاسكندرية ثم انتقل بعد مقتله الى المغرب وسوى ماظفرت به لواتة محمولا مع ماصار اليه بالابتياع والغصب في بحر النيل الى الاسكندرية في سنة احدى وستين وأربعمائة وما بعدها من الكتب الجليلة المقدار المعدومة المثل في سائر الامصار صحة وحسن خط وتجليد وغرابة التى أخذ جلودها عبيدهم واماؤهم برسم عمل مايلبسونه في أرجلهم وأحرق ورقها تأولا منهم انها خرجت من قصر السلطان أعز الله أنصاره وان فيها كلام المشارقة الذى يخالف مذهبهم سوى ماغرق وتلف وحمل الى سائر الاقطار وبقى منها مالم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالا باقية الى اليوم فى نواحى آثار تعرف بتلال الكتب وقال ابن الطوير خزانة الكتب كانت في أحد مجالس المارستان اليوم يعني المارستان العتيق فيجيء الخليفة راكبا ويترجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر اليه من يتولاها وكان في ذلك الوقت الجليس بن عبد القوى فيحضر اليه المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من الكتب فان عن له أخذ شيء منها أخذه ثم يعيده وتحتوى هذه الخزانة على عدة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم والرفوف مقطعة بحواجز وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتى ألف كتاب من

المجلدات و يسير من المجردات فمنها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخ ومنها النواقص التى ماتممت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة ومافيها من المصاحف الكريمة في مكان فوقها وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ونظائره كابن البواب وغيره وتولى بيعها ابن صورة في ايام الملك الناصر صلاح الدين فاذا أراد الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها وفيها ناسخان وفراشان صاحب المرتبة وآخر فيعطى الشاهد عشرين ديناراويخرج الى غيرها وقال ابن أبي طي بعد ماذكر استيلاء صلاح الدين على القصر ومن جملة ماباعوه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا ويقال انه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم من التى كانت بالقاهرة في القصر ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتا نسخة من تاريخ الطبرى الى غير ذلك ويقال انها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة اشياء كثيرة انتهي ومما يؤيد ذلك أن القاضى الفاضل عبد الرحيم ابن على لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتاب مجلد وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة فى مدة أعوام فلو كانت كلها مائة ألف لما فضل عن القاضي الفاضل منها شيء وذكر ابن أبي واصل أن خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين ألف مجلد

(خزانة الكسوات)

قال ابن أبى طى وعمل يعنى المعز لدين الله دارا وسماها دار الكسوة كان يفصل فيها من جميع أنواع الثياب والبز ويكسو بها الناس على اختلاف أصنافهم كسوة الشتاء والصيف وكانت لاولاد الناس ونسائهم كذلك وجعل ذلك رسما يتوارثونه في الاعقاب وكتب بذلك كتبا وسمى هذا الموضع خزانة الكسوة وقال عند ذكر انقراض الدولة ومن أخبارهم انهم كانوا يخرجون من خزائن الكسوة الي جميع خدمهم وحواشيهم ومن يلوذ بهم من صغير وكبير ورفيع وحقير كسوات الصيف والشتاء من العمامة الى السراويل وما دونه من الملابس والمنديل من فاخر الثياب ونفيس الملبوس ويقومون لهم بجميع مايحتاجون اليه من نفيس المطعومات والمشروبات وسمعت من يقول انه حضر كسا القصر التي تخرج فى الصيف والشتاء فكان مقدارها ستمائة ألف دينار وزيادة وكانت خلعهم على الامراء الثياب الديبقى والعمائم بالطراز الذهب وكان طراز الذهب والعمامة من خمسمائة دينار ويخلع على أكابر الامراء الاطواق والاسورة والسيوف المحلاة وكان يخلع على الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر وقال ابن المأمون وجلس الاجل يعني الوزير المأمون في مجلس الوزارة لتنفيذ الامور وعرض المطالعات وحضر الكتاب ومن جملتهم ابن أبي الليث كاتب الدفتر ومعه ما كان

أمر به من عمل جرائد الكسوة للشتاء بحكم حلوله وأوان تفرقتها فكان ماشتمل عليه المنفق فيها لسنة ست عشرة وخمسمائة من الاصناف أربعة عشر ألفا وثمانمائة وخمس قطع وان أكثر ماأنفق عن مثل ذلك فى الايام الافضلية في طول مدتها لسنة ثلاث عشرة وخمسمائة ثمانية آلاف وسبعمائة وخمس وسبعون قطعة يكون الزائد عنها بحكم مارسم به في منفق سنة ست عشرة خمسة آلاف وستمائة وأربعا وثلاثين قطعة ووصلات الكسوة المختصة بالعيد فى آخر الشهر وقد تضاعفت عما كانت عليه فى الايام الافضلية لهذا الموسم وهى تشتمل على ذهوب وسلف دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلل لان الحلل فيه تعم الجماعة وفى غيره للاعيان خاصة فأحضر الامير افتخار الدولة مقدم خزانة الكسوة الخاص ليتسلم مايختص بالخليفة وهو برسم الموكب (٣) بدلة خاص جليلة مذهبة ثوبها موشح مجاوم مذايل عدتها باللفافتين احدى عشرة قطعة السلف عنها مائة وستة وسبعون دينارا ونصف ومن الذهب العالي المغزول ثلثمائة وسبعة وخمسون مثقالا ونصف كل مثقال اجرة غزله ثمن دينار ومن الذهب العراقي ألفان وتسعمائة وأربع وتسعون قصبة * تفصيل ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا منديل بعمود ذهب السلف سبعون وألفان ومائتان وخمسون قصبة ذهبا عراقيا فان كان الذهب نظير المصرى كان الذي يرقم فيه ثلثمائة وخمسة وعشرين مثقالا لان كل مثقال نظير تسع قصبات ذهبا عراقيا وسط سرب بطانة للمنديل السلف عشرة دنانير وسبعون قصبة ذهبا عراقيا ثوب موشح مجاوم مطرف السلف خمسون دينارا وثلثمائة وأحد وخمسون مثقالا ونصف ذهبا عاليا اجرة كل مثقال ثمن دينار تكون جملة مبلغه وقيمة ذهبه ثلثمائة وأربعة وتسعين دينارا ونصفا ثوب ديبقى حريرى وسطاني السلف اثنا عشر دينارا غلالة ديبقى حريرى السلف عشرون دينارا منديل كم أول مذهب السلف خمسة دنانير ومائتان وأربع قصبات ذهبا عراقيا منديل كم ثان حريرى السلف خمسة دنانير حجرة السلف أربعة دنانير عرضي مذهب السلف خمسة دنانير وخمسة عشر مثقالا ذهبا عاليا عرضى لفافة للتخت دينار واحد ونصف بدلة ثانية برسم الجلوس على السماط عدتها باللفافتين عشر قطع السلف مائة وأربعة عشر دينارا ومن الذهب العالى خمسة وخمسون مثقالا ومن الذهب العراقي سبعمائة وأربعون قصبة تفصيل ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا منديل السلف ستون دينارا وستمائة قصبة ذهبا عراقيا شقة وكم السلف ستة عشر دينارا وخمسة وخمسون مثقالا ذهبا عاليا اجرة كل مثقال ثمن

(٣) قوله بدلة خاص الخ ماذكره فى هذه البدلة وما بعدها من الكسوات والحلل تفصيله في الغالب لم يوافق اجماله على مقتضى مابيدي من النسخ ولايخفى مافي عباراته في هذا المقام وأمثاله من القلق ومخالفة العربية اه مصححه

دينار شقة ديبقي حريري وسطاني اثنا عشر دينارا شقة ديبقي غلالة ثمانية دنانير منديل الكم الحريري خمسة دنانير حجرة أربعة دنانير عرضي خمسة دنانير عرضي برسم التخت دينار واحد ونصف وهذه البدلة لم تكن فيما تقدم في ايام الافضل لانه لم يكن ثم سماط يجلس عليه الخليفة فانه كان قد نقل ما يعمل في القصور من الاسمطة والدواوين الى داره فصار يعمل هناك ما هو برسم الاجل أبي الفضل جعفر أخي الخليفة الآمر بدلة مذهبة مبلغها تسعون دينارا ونصف وخمسة وعشرون مثقالا ذهبا عاليا واربعمائة وسبعون قصبة ذهبا عراقيا تفصيل ذلك منديل السلف خمسون دينارا واربعمائة وسبعون قصبة ذهبا عراقيا شقة ديبقي حريري وسطاني السلف عشرة دنانير شقة غلالة ديبقي السلف ثمانية دنانير حجرة ثلاثة دنانير وثلث عرضي ديبقي ثلاثة دنانير الجهة العالية بالدار الجديدة التي يقوم بخدمتها جوهر حلة مذهبة موشح مجاوم مذايل مطرف عدتها خمس عشرة قطعة سلفها ستة آلاف وثلثمائة وثلاثون قصبة تفصيل ذلك مذهب مكلف موشح مجاوم السلف خمسة عشر دينارا وستمائة وستون قصبة سداسي مذهب السلف ثمانية عشر دينارا ومائتا قصبة معجر اول مذهب موشح مجاوم مطرف السلف خمسون دينارا وألف وتسعمائة قصبة معجر ثان حريري السلف خمسة وثلاثون دينارا ونصف رداء حريري اول السلف عشرة دنانير ونصف رداء حريري ثان السلف تسعة دنانير دراعة موشح مجاوم مذايل مذهبة السلف خمسة وتسعون دينارا ومن الذهب العراقي ألفان وستمائة وخمس وخمسون قصبة شقة ديبقي حريري وسطاني السلف عشرون دينارا ونصف شقة ديبقي بغير رقم برسم محجز التفصيل ثلاثة دنانير ملاءة ديبقي السلف أربعة وعشرون دينارا وستمائة قصبة منديل كم أول السلف ستة دنانير ومائة وستون قصبة منديل كم ثان السلف خمسة دنانير ومائة وستون قصبة منديل كم ثالث السلف خمسة دنانير حجرة ثلاثة دنانير عرضي ديبقي ثلاثة دنانير جهة مكنون القاضي بمثل ذلك على الشرح والعدة جهة مرشد حلة مذهبة عدتها أربع عشرة قطعة السلف مائة وأحد وأربعون دينارا ومن الذهب العراقي ألف وستمائة وتسع وثمانون قصبة جهة عنبر مثل ذلك السيدة جهة ظل مثل ذلك جهة منجب مثل ذلك الامير ابو القاسم عبد الصمد بدلة مذهبة الامير داود مثله السيدة العمة حلة مذهبة السيدة العابدة العمة مثل ذلك الموالي الجلساء من بني الاعمام وهم ابو الميمون بن عبد المجيد والامير ابو اليسر ابن الامير محسن والامير ابو علي ابن الامير جعفر والامير حيدرة ابن الامير عبد المجيد والامير موسى ابن الامير عبد الله والامير أبو عبد الله ابن الامير داود لكل منهم بدلة مذهبة البنون والبنات من بني الاعمام غير الجلساء لكل منهم بدلة حريري

ست سيدات لكل منهن حلة حريرى جهة المولى ابى الفضل جعفر التي يقوم بخدمتها ريحان
حلة مذهبة جهة المولى عبد الصمد حلة حريرى ما يختص بالدار الجيوشية والمظفرية فعلى
ما كان باسمائهم المستخدمات لخزانة الكسوة الخاص زين الخزان المقدمة حلة مذهبة ست
خزان لكل منهن حلة حريرى عشر وقافات لكل منهن كذلك المعلمة مقدمة المائدة
كذلك رايات مقدمة خزانة الشراب كذلك المستخدمات من أرباب الصنائع من القصوريات
وممن انضاف اليهن من الافضليات مائة وسبعون حلة مذهبة وحريرى على التفصيل المتقدم
المستخدمات عند الجهات العالية جهة جوهر عشرون حلة مذهبة وحريرى وكذلك المستخدمات
عند مكنون الامراء الاستاذون المحنكون الامير الثقة زمام القصور بدلة مذهبة الامير
نسيب الدولة مرشد متولى الدفتر كذلك الامير خاصة الدولة ريحان متولى بيت المال كذلك
الامير عظيم الدولة وسيفها حامل المظلة كذلك الامير صارم الدولة صاف متولى الستر كذلك
وفي الدولة اسعاف متولى المائدة مثله الامير افتخار الدولة جندب بدلة مذهبة نظير البدلة
المختصة بالامير الثقة ولكل من غير هؤلاء المذكورين حلة حريرى أربع قطع ولفافة فوطة
مختار الدولة ظل بدلة حريرى ستة استاذين في خزانة الكسوة الخاص عند الامير افتخار
الدولة جندب لكل منهم بدلة مذهبة جوهر زمام الدار الجديدة بدلة حريرى تاج الملك
امين بيت المال مثله مفلح برسم الخدمة في المجلس مثله مكنون متولى خدمة الجهة العالية
مثله فنون متولى خدمة التربة مثله مرشد الخاصى مثله النواب عن الامير الثقة في زمام
القصور وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريرى خسرواني المعظمى مقدم خزانة الشراب
ورفيقه لكل منهما بدلة كذلك الصقالبة أرباب المداب وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريرى
وشقة وفوطة نائب الستر مثل ذلك الاستاذون برسم خدمة المظلة وعدتهم خمسة لكل
منهم منديل سوسى وشقة دمياطي وشقة اسكندرانى وفوطة الاستاذون الشدادون برسم
الدواب وعدتهم ستة كذلك ما حمل برسم السيد الاجل المأمون يعني الوزير بدلة خاصة
مذهبة كبيرة موكبية عدتها احدى عشرة وما هو برسم جهاته وبرسم أولاده الاجل تاج
الرياسة وتاج الخلافة وسعد الملك محمود وشرف الخلافة جمال الملك موسى وهو صاحب
التاريخ نظير ما كان باسم اولاد الافضل بن امير الجيوش وهم حسن وحسين واحمد الاجل
المؤتمن سلطان الملوك يعني أخا الوزير عن تقدمة العساكر وزم الأزمة وبرسم الجهة المختصة
به وركن الدولة عز الملوك ابو الفضل جعفر عن حمل السيف الشريف خارجا عما له من
حماية خزانة الكسوات وصناديق النفقات وما يحمل أيضا للخزائن المأمونية مما ينفق منها
على من يحسن في الرأى من الحاشية المأمونية ثلاثون بدلة الشيخ الاجل ابو الحسن بن
ابي اسامة كاتب الدست الشريف بدلة مذهبة عدتها خمس قطع وكم وعرضى الامير فخر

الخلافة حسام الملك متولى حجبة الباب بدلة مذهبة كذلك القاضى ثقة الملك ابن النائب فى الحكم بدلة مذهبة عدتها أربع قطع وكم وعرضى الشيخ الداعى ولى الدولة ابن ابى الحقيق بدلة مذهبة الامير الشريف ابو علي احمد بن عقيل نقيب الاشراف بدلة حريرى ثلاث قطع وفوطة الشريف أنس الدولة متولى ديوان الانشاء بدلة كذلك ديوان المكاتبات الشيخ ابو الرضى ابن الشيخ الاجل أبي الحسن النائب عن والده في الديوان المذكور بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم ابو المكارم هبة الله اخوه بدلة مذهبة ثلاث قطع وفوطة ابو محمد حسن أخوهما كذلك أخوهم ابو الفتح بدلة حريرى قطعتان وفوطة الشيخ ابو الفضل يحيى بن سعيد الندمى منشئ ما يصدر عن ديوان المكاتبات ومحرر ما يؤمر به من المهمات بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم ومزنر ابو سعيد الكاتب بدلة حريرى ابو الفضل الكاتب كذلك الحاج موسى المعين في الالصاق كذلك وأما الكتاب بديوان الانشاء فلم يتفق وجود الحساب الذي فيه اسماؤهم فيذكروا ومن القياس أن يكونوا قريبا من ذلك الشيخ وليّ الدولة ابو البركات متولى ديوان المجالس والخاص بدلة مذهبة عدتها خمس قطع وكم وعرضى ولامرأته حلة مذهبة الشيخ أبو الفضائل هبة الله بن ابى الليث متولى الدفتر وما جمع اليه بدلة ابو المجد ولده بدلة حريرى عدي الملك ابو البركات متولى دار الضيافة بدلة مذهبة وبعده الضيوف الواردون الى الدولة جميعهم منهم من له بدلة مذهبة ومنهم من له بدلة حريرى وكذلك من يتفق حضوره من الرسل على هذا الحكم مقدمو الركاب عفيف الدولة مقبل بدلة مذهبة القائد موفق والقائد تميم مثل ذلك أربعة من المقدمين برسم الشكيمة لكل منهم بدلة حريرى الروّاض عدتهم ثلاثة لكل منهم بدلة حريرى الخاص من الفراشين وهم اثنان وعشرون رجلا منهم أربعة مميزون لكل منهم بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى الاطباء الشديد ابو الحسن علي بن ابى الشديد بدلة حريرى ابو الفضل النسطورى بدلة حريرى وكذلك الفئة المستخدمون برسم الحمام وهم ثمانية مقدمهم بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى والى القاهرة ووالى مصر لكل منهما بدلة مذهبة المستخدمون في المواكب الامير كوكب الدولة حامل الرمح الشريف وراء الموكب والدرقة المعزية بدلة حريرى حاملا الرمحين المعزية أيضا أمام الموكب بغير درق لكل منهما منديل وشقة وفوطة وهؤلاء الثلاثة رماح ما هى عربية بل هي خشوت قدم بها المعز من المغرب حاملا لواء الحمد المختصان بالخليفة عن يمينه ويساره لكل منهما بدلة متولى بغل الموكب الذى يحمل عليه جميع العدة المغربية بدلة حريرى متولى حمل المظلة كذلك عشرة نفر من صبيان الخاص برسم حمل العشرة رماح العربية المغشاة بالديباج وراء الموكب لكل منهم منديل وشقة وفوطة حامل السبع وراء الموكب

بدلة حريري المقدمون من صبيان الخاص وهم عشرون لكل منهم بدلة عرفاء الفراشين الذين ينحطون عن فراشي الخاص وفراشي المجلس وفراشي خزائن الكسوة الخاص لكل منهم بدلة حريري الفراشون في خزائن الكسوات المستخدمون بالايوان وهم الذين يشدون ألوية الحمد بين يدي الخليفة ليلة الموسم فانها لا تشد الا بين يديه ويبدأ هو باللف عليها بيده على سبيل البركة ويكمل المستخدمون بقية شدها وما سوى ذلك من القضب الفضة وألوية الوزارة وغيرها وعدتهم سبعة لكل منهم منديل سوسي وشقتان اسكندراني المستخدمون برسم حمل القضب الفضة ولواءي الوزارة أربعة عشر كذلك مشارف خزانة الطيب وكانت من الخدم الجليلة وكان بها أعلام الجوهر التي يركب بها الخليفة في الاعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد اليها عند الغنى عنها وكذلك السيف والثلاثة رماح المعزية مشارف خزائن السروج بدلة حريري مشارف خزائن الفرش وكاتب بيت المال ومشارف خزائن الشراب ومشارف خزائن الكتب كل منهم بدلة حريري بركات الادمى والمستخدمون بالدولة بالباب وسنان الدولة من الكركندي عن زم الرهجية والمبيت على ابواب القصور وكانت من الخدم الجليلة والصبيان الحجرية المشدون بلواء الموكب بعد المقربين وعدتهم عشرون لكل منهم الكسوة فى الشتاء والعيدين وغيرهما وعدة الذين يقبضون الكسوة فى العيدين من الفراشين اكثر من صبيان الركاب وذلك انهم يتولون الاسمطة ويقفون في تقدمتها وينفرد عنهم المستخدمون فى الركاب بما لهم من المتحصل في المخالفات فى العيدين وهو ما مبلغه ستة آلاف دينار ما لاحد معهم فيها نصيب وكان يكتب في كل كسوة هي برسم وجوه الدولة رقعة من ديوان الانشاء فمما كتب به من انشاء ابن الصيرفي مقترنة بكسوة عيد الفطر من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ولم يزل أمير المؤمنين منعما بالرغائب ۰ موليا احسانه كل حاضر من أوليائه وغائب ۰ مجزلا حظهم من منائحه ومواهبه ۰ موصلا اليهم من الحباء ما يقصر شكرهم عن حقه وواجبه ۰ وأنك أيها الامير لاولاهم من ذلك بجسيمه ۰ وأحراهم باستنشاق نسيمه ۰ وأخلقهم بالجزء الاوفى منه عند فضه وتقسيمه ۰ اذ كنت فى سماء المسابقة بدرا ۰ وفي جرائد المناصحة صدرا ۰ وممن أخلص فى الطاعة سرا وجهرا ۰ وحظي فى خدمة أمير المؤمنين بما عطر له وصفا وسير له ذكرا ۰ ولما أقبل هذا العيد السعيد والعادة فيه أن يحسن الناس هيأتهم ۰ ويأخذوا عند كل مسجد زينتهم ۰ ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشريف أوليائه وخدمه فيه ۰ وفي المواسم التي تجاريه ۰ بكسوات على حسب منازلهم تجمع بين الشرف والجمال ۰ ولا يبقى بعدها مطمع للآمال ۰ وكنت من أخص الامراء المقدمين قال ووصلت الكسوة المختصة بغرة شهر رمضان وجمعتيه برسم الخليفة للغرة بدلة كبيرة موكبية مكملة مذهبة وبرسم الجامع الازهر للجمعة الاولى من

الشهر بدلة موكبية حريرى مكملة منديلها وطيلسانها بياض وبرسم الجامع الانور للجمعة الثانية بدلة منديلها وطيلسانها شعرى وما هو برسم أخى الخليفة للغرة خاصة بدلة مذهبة ويرسم له مع جهات الخليفة أربع حلل مذهبات وبرسم الوزير للغرة بدلة مذهبة مكملة موكبية وبرسم الجمعتين بدلتان حريرى ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير في ذلك شيء فيذكر وومات الكسوة المختصة بفتح الخليج وهي برسم الخليفة تختان ضمنهما بدلتان احداهما منديلها وطيلسانها طميم برسم المضي والاخري جميعها حريرى برسم العود وكذلك مايختص باخوته وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حلل مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكبية مذهبة في تخت وبرسم أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم جهته حلة مذهبة في تخت وبقية مايخص المستخدمين وابن أبى الردّاد في تخوت كل تخت عدة بدلات وحضر متولي الدفتر واستأذن على مايحمل برسم الخليفة وما يفرق ويفصل برسم الخلع وما يخرج من حاصل الخزائن عن الواصل وهو مايفصل برسم الخاص من الغلمان برسم سبعمائة قباء وخمسمائة وشقين سقلاطون دارى وبرسم رؤساء العشاريات من الشقق الدمياطي والمناديل السوسى والفوط الحرير الحمر وبرسم النواتية التى برسم الخاص من العشارية من الشقق الاسكندرانى والكلوتات وقد تقدم تفصيل الكسوات جميعها وعددها وأسماء المستمرين لقبضها* وقال في كتاب الذخائر وحدثني من أثق به عن ابن عبد العزيز أنه قال قومنا ما اخرج من خزائن القصر يعني في سني الشدة أيام المستنصر من سائر ألوان الخسروانى مايزيد على خمسين ألف قطعة أكثرها مذهب وسألت ابن عبد العزيز فقال أخرج من الخزائن مما حررت قيمته على يدي وبحضرتي أكثر من ألف قطعة وحدثني أبوالفضل يحيي بن ابراهيم البغدادى أحد أصحاب الدواوين بالحضرة أن الذى تولى أبوسعيد النهاوندى المعروف بالمعتمد بيعه خاصة من مخرج القصر دون غيره من الامناء فى مدة يسيرة ثمانية عشر ألف قطعة من بلور ويحكم منها مايساوى الالف دينار الى عشرة دنانير ونيف وعشرون ألف قطعة خسر وانى وحدثني عميد الملك أبو الحسن على بن عبد الكريم فخر الوزراء بن عبد الحاكم أن ناصر الدولة أرسل يطالب المستنصر بما بقى لغلمانه فذكر أنه لم يبق عنده شيء الا ملابسه فأخرج ثمانمائة بدلة من ثيابه بجميع آلاتها كاملة فقومت وحملت اليه وقال ابن الطوير الخدمة فى خزائن الكسوات لها رتبة عظيمة فى المباشرات وهما خزانتان فالظاهرة يتولاها خاصة أكبر حواشى الخليفة اما أستاذ أوغيره وفيها من الحواصل مايدل على اسباغ نعم الله تعالى على من يشاء من خلقه من الملابس الشروب والخاص الديبقى الملونة رجالية ونسائية والديباج الملونة والسقلاطون واليها يحمل مايستعمل في دار الطراز بتنيس ودمياط واسكندرية من خاص المستعمل وبها صاحب المقص وهو مقدم

الخياطين ولا صحابه مكان لخياطتهم والتفصيل يعمل على مقدار الاوامر وما تدعو الحاجة اليه ثم ينقل الى خزانة الكسوة الباطنة ماهو خاص للباس الخليفة ويتولاها امرأة تنعت بزين الخزان أبدا وبين يديها ثلاثون جارية فلا يغير الخليفة أبدا ثيابه الا عندها ولباسه خافيا الثياب الدارية وسعة أكمامها سعة نصف أكمام الظاهر وليس في جهة من جهاته ثياب أصلا ولا يلبس الا من هذه الخزانة وكان برسم هذه الخزانة بستان من أملاك الخليفة على شاطيء الخليج يعني أبدا فيه النسرين والياسمين فيحمل في كل يوم منه شيء في الصيف والشتاء لاينقطع البتة برسم الثياب والصناديق فاذاكان أوان التفرقة الصيفية أو الشتوية شد لمن تقدم ذكره من أولاد الخليفة وجهاته وأقاربه وأرباب الرواتب والرسوم من كل صنف شدة على ترتيب المفروض من شقق الديباج الملون والسقلاطون الى السوسي والاسكندراني على مقدار الفصول من الزمان مايقرب من مائتي شدة فالخواص فى العراضى الديبقى ودونهم فى أوطية حرير ودونهم في فوط اسكندرية ويدخل فى ذلك كتاب ديواني الانشاء والمكاتبات دون غيرهم من الكتاب على مقدارهم وذلك يخرج من الجوارى فى الشهر المطلقات * وقال القاضى الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة بعد وفاة العاضد وكشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر فقيل ان الموجود فيها مائة صندوق كسوة فاخرة من موشى ومرصع وعقود ثمينة وذخائر فخمة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر عظيمة الخطر وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش

(خزائن الجوهر والطيب والطرائف)

قال ابن المأمون وكان بها الاعلام والجوهر التي يركب بها الخليفة فى الاعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد اليها عند الغنى عنها وكذلك السيف الخاص والثلاثة رماح المعزية وقال في كتاب الذخائر والتحف وذكر بعض شيوخ دار الجوهر بمصر أنه استدعى يوما هو وغيره من الجوهريين من أهل الخبرة بقيمة الجوهر الى بعض خزائن القصر يعنى في أيام الشدة زمن المستنصر فأخرج صندوق كيل منه سبعة أمداد زمرد قيمتها على الاقل ثلثمائة ألف دينار وكان هناك جالسا فخر العرب بن حمدان وابن سنان وابن أبي كدينة وبعض المخالفين فقال بعض من حضر من الوزراء المعطلين للجوهريين كم قيمة هذا الزمرد فقالوا انما نعرف قيمة الشيء اذا كان مثله موجودا ومثل هذا لاقيمة له ولا مثل فاغتاظ وقال ابن أبى كدينة فخر العرب كثير المؤنة وعليه خرج فالتفت الى كتاب الجيش وبيت المال فقال يحسب عليه فيه خمسمائة دينار فكتب ذلك وقبضه وأخرج عقد جوهر قيمته علي الاقل من ثمانين ألف دينار فصاعدا فتحريا فيه فقال يكتب بألفى دينار وتشاغلوا بنظر ما سواه وانقطع سلكه فتناثرحبه فأخذ واحد منهم واحدة فجعلها في جيبه وأخذ ابن ابى كدينة اخرى واخذ فخر

العرب بعض الحب وباقي المخالفين التقطوا ما بقي منه وغاض كأن لم يكن واخذ ما كان انفذه الصليحي من نفيس الدر الرفيع الرائع وكيله على ما ذكر سبع ويبات وأخذوا ألفا ومائتي خاتم ذهبا وفضة فصوصها من سائر انواع الجوهر المختلف الالوان والقيم والاثمان والانواع مما كان لاجداده وله وصار اليه من وجوه دولته منها ثلاثة خواتم ذهب مربعة عليها ثلاثة فصوص احدها زمرذ والاثنان ياقوت سماقي ورماني بيعت باثني عشر ألف دينار بعد ذلك وأحضر خريطة فيها نحو ويبة جوهر وأحضر الخبراء من الجوهريين وتقدم اليهم بقيمتها فذكروا أن لا قيمة لها ولا يشترى مثلها الا الملوك فقومت بعشرين ألف دينار فدخل جوهر الكاتب المعروف بالمختار عز الملك الى المستنصر وأعلمه أن هذا الجوهر اشتراه جده بسبعمائة الف دينار واسترخصه فتقدم بانفاقه في الاتراك فقبض كل واحد منهم جزأ بقيمة الوقت وفرق عليهم قال فأما ما أخذ مما في خزائن البلور والمحكم والمينا المجرى بالذهب والمجرود والبغدادي والخيار والمدهون والخلنج والعيني والدهيمي والامدى وخزائن الفرش والبسط والستور والتعاليق فلا يحصى كثرة وحدثني من أثق به من المستخدمين في بيت المال انه أخرج يوما في جملة ما أخرج من خزائن القصر عدة صناديق وان واحدا منها فتح فوجد فيه على مثال كيزان الفقاع من صافي البلور المنقوش والمجرود شيء كثير وان جميعها مملوء من ذلك وغيره وحدثني من أثق به أنه رأى قدح بلور بيع مجرودا بمائتين وعشرين دينارا ورأى خردادي بلور بيع بثلثمائة وستين دينارا وكوز بلور بيع بمائتين وعشرة دنانير ورأى صحون مينا كثيرة تباع من المائة دينار الى ما دونها وحدثني من أثق بقوله انه رأى بطرابلس قطعتين من البلور الساذج الغاية في النقاء وحسن الصنعة احداهما خردادي والاخرى باطية مكتوب على جانب كل واحدة منهما اسم العزيز بالله تسع الباطية سبعة ارطال بالمصرى ماء والخردادى تسعة وانه عرضهما على جلال الملك أبي الحسن على ابن عمار فدفع فيهما ثمانمائة دينار فامتنع من بيعهما وكان اشتراهما من مصر من جملة ما أخرج من الخزائن وأن الذى تولى بيعه ابو سعيد النهاوندي من مخرج القصر دون غيره من الامناء في مديدة يسيرة ثمانية عشر الف قطعة من بلور ويحكم منها ما يساوى الالف دينار الى عشرة دنانير وأخرج من صواني الذهب المجراة بالمينا وغير المجراة المنقوشة بسائر أنواع النقوش المملوء جميعها من سائر أنواعه وألوانه وأجناسه شيء كثير جدا ووجد فيما وجد غلف خيار مبطنة بالحرير محلاة بالذهب مختلفة الاشكال خالية مما فيها من الاوانى عدتها سبعة عشر الف غلاف كان في كل قطعة اما بلور مجرود أو محكم أو ما يشاكله ووجد أكثر من مائة كاس بادزهر ونصب وأشباهها على أكثرها اسم هارون الرشيد وغيره ووجد في خزائن القصر عدة صناديق كثيرة مملوءة سكاكين مذهبة ومفضضة بنصب مختلفة

من سائر الجواهر وصناديق كثيرة مملوءة من أنواع الدوى المربعة والمدورة والصغار والكبار المعمولة من الذهب والفضة والصندل والعود والآبنوس الزنجي والعاج وسائر أنواع الخشب المحلاة بالجوهر والذهب والفضة وسائر الانواع الغريبة والصنعة المعجزة الدقيقة بجميع آلاتها فيها مايساوى الالف دينار والاكثر والاقل سوى ماعليها من الجواهر وصناديق مملوءة مشارب ذهب وفضة مخرقة بالسواد صغار وكبار مصنوعة بأحسن مايكون من الصنعة وعدة ازيار صيني كبار مختلفة الالوان مملوءة كافورا قيصوريا وعدة من جماجم العنبر الشحري ونوافج المسك التبتي وقواريره وشجر العود وقطعه ووجد للسيدة رشيدة ابنة المعز حين ماتت في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ماقيمته ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار من جملته ثلاثون ثوب خز مقطوع واثنا عشر ألفا من الثياب المصمت ألوانا ومائة قاطرميز مملوءة كافورا قيصوريا ومما وجد لها معممات بجواهرها من أيام المعز وبيت هرون الرشيد الخز الاسود الذى مات فيه بطوس وكان من ولى من الخلفاء ينتظرون وفاتها فلم يقض ذلك الا للمستنصر بالله فحازه في خزانته ووجد لعبدة بنت المعز أيضا وماتت فى سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة مالا يحصى حدثنى بعض خزان القصر أن خزائن السيدة عبدة ومقاصيرها وصناديقها وما يجب أن يختم عليه ذهب من الشمع فى خواتيمه على الصحة والمشاهدة أربعون رطلا بالمصرى وأن بطائق المتاع الموجود كتبت فى ثلاثين رزمة ورق ومما وجد لها ايضاً أربعمائة قطرة وألف وثلثمائة قطعة مينا فضة مخرقة زنة كل مينا عشرة آلاف درهم وأربعمائة سيف محلى بالذهب وثلاثون ألف شقة صقلية ومن الجوهر مالا يحد كثرة وزمرد كيله أردب واحد وأن سيد الوزراء أبا محمد البازورى وجد فى موجوداتها طستا وابريقا فلفرط استحسانه لهما سأل المستنصر فيهما فوهبهما له ووجد مدهن ياقوت احمر وزنه سبعة وعشرون مثقالا واخرج أيضاً تسعون طستا وتسعون ابريقا من صافي البلور ووجد في القصر خزائن مملوءة من سائر أنواع الصيني منها اجاجين صيني كبار محلاة كل اجانة منها على ثلاثة أرجل على صورة الوحوش والسباع قيمة كل قطعة منها ألف دينار معمولة لغسل الثياب ووجد عدة اقفاص مملوءة ببيض صيني معمول على هيئة البيض في خلقته وبياضه يجعل فيها ماء البيض النيمبرشت يوم الفصاد ووجد حصير ذهب وزنها ثمانية عشر رطلا ذكر أنها الحصير التى جليت عليها بوران بنت الحسن بن سهل على المأمون وأخرج ثمان وعشرون صينية مينا مجرا بالذهب بكعوب كان أرسلها ملك الروم الى العزيز بالله قومت كل صينية منها بثلاثة آلاف دينار أنفذ جميعها الى ناصر الدولة ووجد عدة صناديق مملوءة مراءى حديد من صيني ومن زجاج المينا لايحصى مافيها كثرة جميعها محلى بالذهب المشبك والفضة ومنها المكلل بالجوهر في غلف الكيمخت وسائر أنواع الحرير

والخيزران وغيره مضبب بالذهب والفضة ولها المقابض من العقيق وغيره وأخرج من المظال وقضها الفضة والذهب شيء كثير وأخرج من خزائن الفضة مايقارب الالف درهم من الآلات المصنوعة من الفضة المجراة بالذهب فيها مازنة القطعة الواحدة منه خمسة آلاف درهم الغريبة النقش والصنعة التي تساوى خمسة دراهم بدينار وان جميعه بيع كل عشرين درهما بدينار سوى ماأخذ من المشاريات الموكبية وأعمدة الخيام وقضب المظال والمتحوقات والاعلام والقناديل والصناديق والتوقات والروازين والسروج واللجم والمناطق التي للعماريات والقباب وغيرها مثل ذلك وأضعافه وأخرج من الشطرنج والنرد المعمولة من سائر أنواع الجوهر والذهب والفضة والعاج والآبنوس برقاع الحرير والمذهب مالا يحد كثرة ونفاسة وأخرج آلات فضة وزنها ثلثمائة ألف ونيف وأربعون ألف درهم تساوى ستة دراهم بدينار وأخرج أقفاص مملوءة من سائر آلات مصوغة مجراة بالذهب عدتها أربعمائة قفص كبار سبكت جميعها وفرقت على المخالفين وأخرجت أربعة آلاف نرجسية مجوفة بالذهب يعمل فيها النرجس وألفا بنفسجية كذلك وأخرج من خزانة الطرائف ستة وثلاثون ألف قطعة من محكم وبلور وقوم السكاكين بأقل القيم فجاءت قيمتها على ذلك ستة وثلاثين ألف دينار وأخرج من تماثيل العنبر اثنان وعشرون ألف قطعة أقل تمثال منها وزنه اثنا عشر منا وأكبره يجاوز ذلك ومن تماثيل الخليفة مالا يحد من جملتها ثمانمائة بطيخة كافور وأخرجت الكلوتة المرصعة بالجوهر وكانت من غريب مافي القصر ونفيسه ذكر أن قيمتها ثلاثون ألف دينار ومائة ألف دينار قومت بثمانين ألف دينار وكان وزن مافيها من الجوهر سبعة عشر رطلا اقتسمها فخر العرب وتاج الملوك فصار الى فخر العرب منها قطعة بلخش وزنها ثلاثة وعشرون مثقالا وصار الى تاج الدين مما وقع اليه حبات در كل حبة ثلاثة مثاقيل عدتها مائة حبة فلما كانت هزيمتهم من مصر نهبت وأخرج من خزائن الطيب خمسة صوارى عود هندى كل واحد من تسعة أذرع الى عشرة أذرع وكافور قيصورى زنة كل حبة من خمسة مثاقيل الى مادونها وقطع عنبر وزن القطعة ثلاثة آلاف مثقال وأخرج متارد صيني محمولة على ثلاثة أرجل ملء كل وعاء منها مائتا رطل من الطعام وعدة قطع شب وباد زهر منها جام سعته ثلاثة أشبار ونصف وعمقه شبر مليح الصنعة وقاطر ميز بلور فيه صور ثابتة تسع سبعة عشر رطلا وبلوجة بلور مجرود تسع عشرين رطلا وقصرية نصب كبيرة جدا وطابع ند فيه ألف مثقال كان فخر الدولة أبو الحسن علىّ بن ركن الدولة بن بويه الديلمي عمله مكتوب في وسطه فخر الدولة شمس الملة أوبيات منها

ومن يكن شمس أهل الارض قاطبة * فنده طابع من ألف مثقال

وطاوس ذهب مرصع بنفيس الجوهر عيناه من ياقوت أحمر وريشه من الزجاج المينا المجري بالذهب على ألوان ريش الطاوس وديك من الذهب له عرف مفروق كأكبر مايكون من أعراف الديوك من الياقوت الاحمر مرصع بسائر الدر والجوهر وعيناه ياقوت وغزال مرصع بنفيس الدر والجوهر وبطنه أبيض قد نظم من در رائع ومجمع سكارج من بلور تخرج منه وتعود فيه فتحته أربعة أشبار مليح الصنعة في غلاف خيزران وبطيخة من الكافور في شباك ذهب مرصعة وزنها خالصة سبعون مثقالا من كافور وقطعة عنبر تسمى الخروف وزنها سوى مايمسكها من الذهب ثمانون منا وبطيخة كافور أيضا وجد ماعليها من الذهب ثلاثة آلاف مثقال ومائدة نصب كبيرة واسعة قوائمها منها وبيضة بلخش وزنها سبعة وعشرون مثقالا أشد صفاء من الياقوت الاحمر وقاطرميز بلور مليح التقدير يسع مروقتين قوم في المخرج بثمانمائة دينار دفع الى تاج الملوك فيه بعد ذلك ألفا دينار فامتنع من بيعه ومائدة جزع يقعد عليها جماعة قوائمها مخروطه منها ونخلة ذهب مكللة بالجوهر وبديع الدر في اجانة ذهب تجمع الطالع والبالح والرطب بشكله ولونه وعلى صفته وهيأته من الجواهر لاقيمة لها وكوز زير بلور يحمل عشرة أرطال ماء ودارج مرصع بنفيس الجوهر لاقيمة له ومزيرة مكللة بحب لؤلؤ نفيس وقبة العشارى وكارته وكسوة رحله الذى استعمله على بن أحمد الجرجراى وفيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم نقرة وأطلق للصناع عن أجرة صياغته وثمن ذهب لطلاء ألفان وتسعمائة دينار وكان سعر الفضة حينئذ كل مائة درهم بستة دنانير وربع سعر ستة عشر درهما بدينار وأخرج العشارى الفضي الذى استعمله على بن أحمد لأم المستنصر وكان فيه مائة ألف وعشرون ألف درهم نقرة وصرف أجرة صياغة وطلاء ألفان وأربعمائة دينار وكسوة بمال جليل وأخرج جميع كسا العشاريات التي برسم البرية والبحرية وعدتها ومناطقها ورؤس منحرفات وأهلة وصفريات وكانت أربعمائة ألف دينار لستة وثلاثين عشاريا وعدة ميا كم فضة فيها ماوزنه مائة وتسعة ارطال فضة وأخرج بستان أرضه فضة مخرقة مذهبة وطينه ند وأشجاره فضة مذهبة مصوغة وأثماره عنبر وغيره وزنه ثلثمائة وستة أرطال وبطيخة كافور وزنها ستة عشر ألف مثقال وقطع ياقوت أزرق زنة كل قطعة سبعون درهما وقطع زمرذ زنة كل قطعة ثمانون درهما ونصاب مرآة من زمرذ له طول وثخن كل ذلك أخذه المخالفون

(خزائن الفرش والامتعة)

قال في كتاب الذخائر وحدثني من أثق به عن ابن عبد العزيز الانماطي قال قومنا ما أخرج من خزائن القصر من سائر الخسرواني مايزيد على خمسين ألف قطعة أكثرها ذهب وسألت ابن عبدالعزيز فقال أخرج من الخزائن ماحررت قيمته على يدى وبحضرتي

أكثر من مائة ألف قطعة وأخرج مرتبة خسرواني حمراء بيعت بثلاثة آلاف وخمسمائة دينار ومرتبة قلموني بيعت بألفين وأربعمائة دينار وثلاثون سندسية بيعت كل واحدة منها بثلاثين دينارا ونيف وعشرون ألف قطعة خسرواني في هدبه لم يقطع منها شيء وكانت قيمة العرض المبيع بأقل القيم وأبرز الاثمان في مدة خمسة عشر يوما من صفر سنة ستين وأربعمائة سوى مانهب وسرق ثلاثون ألف ألف دينار قبض جميعها الجند والاتراك ليس لاحد منهم درهم واحد قبضه عن استحقاق وحدثني الامير أبو الحسن على ابن الحسن أحد مقدمى الخيميين بالقصر أن الفراشين دخلوا الى بعض خزائن الفرش لما اشتدت مطالبة المارقي للمستنصر بالمال الى الخزانة المعروفة بخزانة الرفوف وسميت بذلك لكثرة رفوفها ولكل رف منها سلم مفرد فأنزلوا منها ألفي عدل شقق طمم بهدبها من سائر أنواع الخسرواني وغيره لم تستعمل بعد وجميع ما فيها مذهب معمول بسائر الاشكال والصور وأنهم فتحوا عدلا منها فوجدوا مافيه أجلة معمولة للفيلة من خسرواني أحمر مذهب كاحسن مايكون من العمل وموضع نزول انخاذ الفيل ورجليه ساذجة بغير ذهب وأخرج من بعض الخزائن ثلاثة آلاف قطعة خسرواني أحمر مطرز بأبيض في هدبها لم يفصل من كسابيوت كاملة بجميع آلاتها ومقاطعها وكل بيت يشتمل على مسانده ومخاده ومساوره ومراتبه وبسطه وعتبه ومقاطعه وستوره وكل ما يحتاج اليه فيه قال وأخرج من خزائن الفرش من البيوت الكاملة الفرش من القلموني والديبقى من سائر ألوانه وأنواعه المخمل والخسرواني والديباج الملكي والخز وسائر الحرير من جميع ألوانه وأنواعه مالا يحصي كثرة ولا يعرف قدره نفاسة وأخرج من الحصر والانخاخ السامان المطرزة بالذهب والفضة وغير المطرزة من المخرمة والطيور والفيلة المصورة بسائر أنواع الصور شيء كثير والتمس بعض الاتراك من المستنصر مقرمة يمني ستارة سندس أخضر مذهبة فأخرج عدل منها مكتوب عليه مائة وثمانية وثمانون من جملة أعداد أعدال فيها من المتاع ووجد من الستور الحرير المنسوجة بالذهب على اختلاف ألوانها وأطوالها عدة مئين تقارب الالف فيها صور الدول وملوكها والمشاهير فيها مكتوب على صورة كل واحد اسمه ومدة أيامه وشرح حاله واخرج من خزائن الفرش أربعة آلاف رزمة خسرواني مذهب في كل رزمة فرش مجلس ببسطه وتعاليقه وسائر آلاته منسوجة في خيط واحد باقية على حالها لم تمس وصار الى فخر العرب مقطع من الحرير الازرق التستري القرقوبي غريب الصنعة منسوج بالذهب وسائر ألوان الحرير كان المعز لدين الله أمر بعمله في سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة فيه صورة أقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ومسالكها شبه جغرافيا وفيه صورة مكة والمدينة مبينة للناظر مكتوب على كل مدينة وجبل وبلد

ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب أو الفضة أو الحرير وفي آخره مما أمر بعمله المعز لدين الله شوقا الى حرم الله واشهاراً لمعالم رسول الله في سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة والنفقة عليه اثنان وعشرون ألف دينار وصار الى تاج الملوك بيت أرمنى أحمر منسوج بالذهب عمل للمتوكل على الله لا مثل له ولا قيمة وبساط خسرواني دفع اليه فيه ألف دينار فامتنع من بيعه وقال ابن الطوير خزانة الفرش وهى قريبة من باب الملك يحضر اليها الخليفة من غير جلوس ويطوف فيها ويستخبر عن أحوالها ويأمر بادامة الاستعمال وكان من حقوقها استعمال السامان في أماكن خارجها بالقاهرة ومصر ويعطى مستخدمها خمسة عشر دينارا يعني يوم يطوف بها الخليفة

(خزائن السلاح)

قال في كتاب الذخائر فأما خزائن السيوف والآلات والسلاح فان بعضها أخذ وقسم بين العشرة الثائرين على المستنصر وهم (٣) ناصر الدولة بن حمدان واخواه وبلدكوس وابن سبكتكين وسلام عليك وشاور بن حسين حتى صار ذو الفقار الى تاج الملوك وصمصامة عمرو بن معدي كرب وسيف عبد الله بن وهب الراسي وسيف كافور وسيف المعز وسيف ابي المعز الى الاعز بن سنان ودرع المعز لدين الله وكانت تساوي ألف دينار وسيف الحسين ابن علي بن ابى طالب عليهما السلام ودرقة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وسيف جعفر الصادق رضي الله عنه ومن الخود والدروع والتخافيف والسيوف المحلاة بالذهب والفضة والسيوف الحديدية وصناديق النصول وجعاب السهام الخلنج وصناديق القسى ورزم الرماح الزان الخطية وشدات القسى الطوال والزرد والبيض مئين ألوف وكان كل صنف مفردا عشرات ألوف * وقال ابن الطوير خزانة السلاح يدخل اليها الخليفة ويطوفها قبل جلوسه على السرير هناك ويتأمل حواصلها من الكراغندات المدفونة بالزرد المغشاة بالديباج المحكمة الصناعة والجواشن المبطنة المذهبة والزرديات السابلة برؤسها والخود المحلاة بالفضة وكذلك اكثر الزرديات والسيوف على اختلافها من العربيات والقلجوريات والرماح القنا والقنطاريات المدهونة والمذهبة والاسنة البرصانية والقسى لرماية اليد المنسوبة الى صناعها مثل الخطوط المنسوبة الى اربابها فيحضر اليه منها ما يجربه ويتأمل النشاب وكانت نصوله مثلثة الاركان على اختلافها ثم قسى الرجل والركاب وقسى اللولب الذى زنة نصله خمسة ارطال ويرمى من كل سهم بين يديه فينظر كيف مجراه والنشاب الذي يقال له الجراد وطوله شبر يرمي به عن قسى في مجار معمولة برسمه فلا يدري به الفارس أو الراجل الا وقد نفذ فاذا فرغ من نظر ذلك كله خرج من خزانة الدرق وكانت في المكان الذى هو خان مسرور

---

(٣) (قوله وهم الخ) هكذا في النسخ ولم يستوف العشرة فليحرر اه مصححه

وهى برسم الاستعمالات للاساطيل من الكبورة الخرجية والخود الجلودية الى غير ذلك فيعطى مستخدمها خمسة وعشرون دينارا ويخلع على متقدم الاستعمالات جوكانية مزيدة حريرا وعمامة لطيفة

(خزائن السروج)

قال في كتاب الذخائر أخرج فيما أخرج صناديق سروج محلاة بفضة مجراة بسواد ممسوحة وجد على صندوق منها الثامن والتسعون والثلثمائة وعدة ما فيها زيادة على اربعة آلاف سرج وأخرج المستنصر من خزائن السروج خمسة آلاف سرج كان أبوسعد ابراهيم ابن سهل التسترى ادخرها له فيها وتقدم بحفظها كل سرج منها يساوى من سبعة آلاف دينار الى الف واكثرها عال سبك جميعها وفرق في الاتراك كان برسم ركابه منها أربعة آلاف سرج وأخذ من خزائن السيدة والدته أربعة آلاف سرج مثلها ودونها صنع بها مثل ذلك * وقال ابن الطوير خزانة السروج تحتوى على ما لا يحتوى عليه مملكة من الممالك وهى قاعة كبيرة بدورها مصطبة علوها ذراعا ومجالسها كذلك وعلى تلك المصطبة متكآت مخلصة الجانبين على كل متكا ثلاثة سرج متطابقة وفوقه في الحائط وتد مدهون مضروب في الحائط قبل تبييضه وهو بارز بروزا متكئا عليه المركبات الحلى على لجم تلك السروج الثلاثة من الذهب خاصة أو الفضة خاصة أو الذهب والفضة وقلائدها وأطواقها لاعناق الخيل وهى لخاص الخليفة وأرباب الرتب مايزيد على ألف سرج ومنها الجام هو الخاص ومنها الوسط ومنها الدون وهى خيار غيرها برسم العوارى لارباب الرتب والخدم ومنها ماهو قريب من الخاص فيكون عند المستخدم بشداده الدائم وجاريه على الخليفة مادام مستخدما والعلف مطلق من الاهراء وأما الصاغة فان فيها منهم ومن المركبين والخرازين عددا جما دائمين لا يفترون عن العمل وكل مجلس مضبوط بعد متكآته وما عليها من السروج والاوتاد واللجم وكل مجلس لذلك عند مستخدميه في العرض فلا يختل عليهم منها شيء وكذلك وسط قاعتها بعدة متوالية أيضا والشدادون مطلوبون بالنقائص منها أيام المواسم وهم يحضرونها أو قيمتها فيعرض ويركب ويحضر اليها الخليفة ويطوفها من غير جلوس ويعطى حاميها للتفرقة في المستخدمين عشرين دينارا ويقال ان الحافظ لدين الله عرضت له فيها حاجة فجاء اليها مع الحامى فوجد الشاهد غير حاضر وختمه عليها فرجع الى مكانه وقال لا يفك ختم العدل الا هو ونحن نعود في وقت حضوره انتهى وكان الخليفة الآمر بأحكام الله تحدثه نفسه بالسفر الى المشرق والغارة على بغداد فأعد لذلك سروجا مجوفة القرابيص وبطنها بصفائح من قصدير ليجعل فيها الماء وجعل لها فما فيه صفارة فاذا دعت الحاجة الى الماء شرب منه الفارس وكان كل سرج منها يسع سبعة أرطال ماء وعمل عدة مخال للخيل من ديباج وقال فى ذلك

دع اللوم عني لست مني بموثق * فلا بد لي من صدمة المتحقق
وأسقي جيادي من فرات ودجلة * وأجمع شمل الدين بعد التفرق

وأول من ركب المتصرفين فى دولته من خيوله بالمراكب الذهب في المواسم العزيز بالله نزار بن المعز

(خزائن الخيم)

قال فى كتاب الذخائر وأخبرني سماء الرؤساء أبو الحسن علي بن احمد بن مدبر وزير ناصر الدولة قال أخرج فيما أخرج من خزائن القصر عدة لم تحص من أعدال الخيم والمضارب والفازات والمسطحات والجركاوات والحصون والقصور والشراعات والمشارع والفساطيط المعمولة من الديبقى والمخمل والخسرواني والديباج الملكى والارمنى والبهنساوى والكردواني والجيد من الحلبى وما أشبه ذلك من سائر ألوانه وأنواعه ومن السندس والطميم أيضاً منها المفيل والمسبع والمخيل والمطوس والمطير وغير ذلك من سائر الوحوش والطير والآدميين من سائر الاشكال والصور البديعة الرائعة ومنها الساذج والمنقوش في ظاهره بغرائب النقوش بجميع آلاتها من الاعمدة الملبسة انابيب الفضة والثياب المذهبة وغير المذهبة من سائر أنواعها وألوانها والصفريات الفضة على أقدارها والحبال الملبسة القطن والحرير والاوتاد وسائر ما يحتاج اليه من جميع آلاتها وعدتها المبطن جميعها بالديبقى الطميم المذهب والخسروانى المذهب وثياب الحرير الصيني والتسترى والمضبب والرجيح والشرفى والشعرى والديباج والمريش وسائر أنواع الحرير من سائر الالوان وأنواعها كبارا وصغارا منها ما يحمل خرقه وأوتاده وعمده وسائر عدته على عشرين بعيرا ودون ذلك وفوقه فالمسطح بيت مربع له أربعة حيطان وسقف بستة أعمدة منها عمودان للحائط الواحد المرفوع للدخول والخروج والخيمة ظهرها حائط مربع وسقيفتها الى الباب حائط مربع وأركانها شوارك من الجانبين على قدر القائم وفيها أربعة أعمدة اثنان في الباب واثنان في وسطها وكلما زادت زاد عمدها وسقفها ولها حدان مشروكان من الجانبين والشراع حائط فى الظهر مسقف على الرأس بعمودين من أى موضع دارت الشمس حول الى ناحية الشمس والمشرعة فيه مثل المظلة على عمود واحد تام وشراع سابل خلفها من أى موضع دارت الشمس أدير والقبة على حالها * وحدثنى ابو الحسن على بن الحسن الخيمي قال أخرجنا فى جملة ما أخرج من خزائن القصر أيام المارقين حين اشتدت المطالبة على السلطان فسطاطا كبيرا اكبر ما يكون يسمى المدورة الكبيرة يقوم على فرد عمود طوله خمسة وستون ذراعا بالكبير ودائر فلكته عشرون ذراعا وقطرها ستة اذرع وثلثا ذراع ودائره خمسمائة ذراع وعدة قطع خرقه اربع وستون قطعة كل قطعة منها تحزم في عدل

واحد يجمع بعضه الى بعض بعرى وشراريب حتى ينصب يحمل خرقه وحباله وعدته على مائة جمل وفي صفريته المعمولة من الفضة ثلاثة قناطير مصرية يحملها من داخلها قضبان حديد من سائر نواحيها تمتلئ ماء من راوية جمل قد صور في رفرفه كل صورة حيوان في الارض وكل عقد مليح وشكل ظريف وفيه باذهنج طوله ثلاثون ذراعا في اعلاه كان ابو محمد الحسن بن عبد الرحمن البازورى أمر بعمله ايام وزارته فعمله الصناع وعدتهم مائة وخمسون صانعا في مدة تسع سنين واشتملت النفقة عليه على ثلاثين ألف دينار وكان عمله على مثال القاتول الذى كان العزيز بالله أمر بعمله ايام خلافته الا أن هـذا أعلى عمودا منه وأوسع وأعظم وأحسن وكان الخليفة أنفذ الى متملك الروم في طلب عمودين للفسطاط طول كل واحد منهما سبعون ذراعا بعد أن غرم عليهما ألف دينار أحدهما في هذا الفسطاط بعد أن قطع منه خمسة أذرع والآخر حمله ناصر الدولة بن حمدان حين خرج على الخليفة المستنصر بالله الى الاسكندرية وما أدري ما فعل به قال وأقمنا مدة طويلة في تفصيل بعضه من بعض وتقطيعه خرقا وشقها قومت على المذكورين بأقل القيم وتفرق في الآفاق وقال لى أيضا أخرجنا مسطحا قلمونيا مخملا موجها من جانبيه عمل بتنيس للعزيز بالله يسمي دار البطيخ وسطه بكنيس على ستة أعمدة أربعة منها في اركان الـكنيس وفى أربعة الاركان أربع قباب ومن القبة الى القبة رواق دائر عليـه والقباب دونه وفي كل قبة أربعة أعمـدة طول كل عمود من أعمدة الـكنيس ثمانية عشر ذراعا وكذلك طول قائم القباب وفعلنا به مثل ما فعلنا في الاول وقال لى أخرجنا مسطحا عمل للظاهر لاعزاز دين الله بتنيس ذهب فى ذهب طميم قائم على عمود له ست صفارى بلور وستة أعمدة فضة أنفق عليـه أربعة عشر ألف دينار ومسطحا ديبقيا كبيرا مذهبا بدوائر كردواني منقوش وأخرجنا قصورا تحيط بالخيام بشرفات من المخمل والقلموني والديبقى والديباج الخسرواني والحرير من سائر أنواعه وألوانه المذهبـة المنقوشة بحياضها ودككها ومصاطبها وقدورها وزجاجها وسائر عـددها وأخرجنا من الخيام الـكردواني شيئا كثيرا وأخرجنا خيمة كبيرة مـدورة كردوانى مليحة النقش والصنعة عدتها قطع كثيرة طول عمودها خمسة وثلاثون ذراعا فعلنا بجميعها مثل ما فعلنا بالاول وأخرج فى جملتها الفسطاط الـكبير المعروف بالمدورة الـكبيرة المتولى عمله بحلب الحسـن علي بن احمـد المعروف بابن الايسر فى سـنى نيف وأربعين وأربعمائة المنفق على خرقه ونقشه وعمله وعدته ثلاثون ألف دينار الذى عموده أطول ما يكون من صوارى درامـين الروم البنـادقة أربعون ذراعا ودائر فلـكة عموده أربعة وعشرون شبرا ويحمل على سبعين جملا ووزن صفريته الفضة قنطاران سوى أنابيب عمده ويتولى اتقان عمده ونصبه مائتا رجل من فراش ومعين وهو شبيه بالقاتول العزيزى وسمى

بالقاتول لانه ما نصب قط الا وقتل رجلا أو رجلين ممن يتولى اتقانه من فراش وغيره قال ووجد في خزائن مملوءة من سائر أنواع الصواني المدهونة ببغداد المذهبة التي حشيت كل واحدة منها بما دونها في السعة الى ما سعته دون الدرهم ومن سائر أنواع الاطباق الخلنج الرازي في هذه السعة وفوق ذلك ودونه قد حشيت بطونها بما دونها في السعة الى ماسعته دون الدينار ومن الموائد القوائمية الصغار والكبار ألوف ومن موائد الكرم وما أشبهها شيء كثير ومن الجفان الحور الواسعة التي قد عملت مقابضها من الفضة وحليت بأنواع الحلى التي لا يقدر الجمل القوى على حمل جفنتين منها لعظمها تساوى الواحدة منها مائة دينار وفوقها ودونها شيء كثير ووجد من الدكك والمحاريب والاسرة العود والصندل والعاج والآبنوس والبقم شيء كثير مليح الصنعة * وقال ابن ميسر وعمل الافضل بن امير الجيوش خيمة سماها خيمة الفرح اشتملت على ألف الف وأربعمائة ألف ذراع وقائمها ارتفاعه خمسون ذراعا بذراع العمل صرف عليها عشرة آلاف دينار ومدحها جماعة من الشعراء

(خزانة الشراب)

قال ابن المأمون ولم يكن فى الايوان فيما تقدم شراب حلو بل انها قررت لاستقبال النظر المأمونى وأطلق لها من السكر مائة وخمسة عشر قنطارا وبرسم الورد المربي خمسة عشر قنطارا وأما مايستعمل بالكافورى من الحلو النانيذ والحامض فالمبلغ في ذلك على ما حصره شاهده في السنة ستة آلاف وخمسمائة دينار وما يحمل للكافورى أيضا برسم كرك الماورد ما يستدعيه متولى الشراب * وقال ابن الطوير خزانة الشراب وهى أحد مجالسه أيضا يعنى القاعة التي هى الآن المارستان العتيق فاذا جلس الخليفة على السرير عرض عليه ما فيها حاميها وهو من كبار الاستاذين وشاهدها فيحضر اليه فراشوها بين يدى مستخدمها من عيون الاصناف العالية من المعاجين العجيبه في الصيني والطيافير الخلنج فيذوق ذلك شاهدها بحضرته ويستخبر عن احوالها بحضور اطباء الخاص وفيها من الآلات والازيار الصيني والبرابي عدة عظيمة للورد والبنفسج والمرسين وأصناف الادوية من الراوند الصيني ومايجرى مجراه مما لايقدر احد على مثله الا هناك ومايدخل في الادوية من آلات العطر الى ذلك ويسأل عن الدرياق الفاروق ويأمرهم بتحصيل أصنافه ليستدرك عمله قبل انقطاع الحاصل منه ويؤكد في ذلك تأكيدا عظيما ويستأذن على مايطلق منها برقاع أطباء الخاص للجهات وحواشى القصر فيأذن في ذلك ويعطى الحامى للتفرقة فى الجماعة ثلاثين دينارا

(خزانة التوابل)

وقال ابن المأمون فأما التوابل العالى منها والدون فانها جملة كثيرة ولم يقع لى شاهد بها بل انني اجتمعت بأحد من كان مستخدما في خزانة التوابل فذكر أنها تشتمل على خمسين ألف دينار فى السنة وذلك خارج عما يحمل من البقولات وهى باب مفرد مع المستخدم فى الكافورى والذى استقر اطلاقه على حكم الاستيمار من الجرايات المختصة بالقصور والرواتب المستجدة والمطلق من الطيب ويذكر الطراز وما يبتاع من الثغور ويستعمل بها وغير ذلك فاولها جراية القصور وما يطلق لها من بيت المال ادرارا لاستقبال النظر المأمونى ستة آلاف وثلثمائة وثلاثة وأربعون دينارا تفصيله منديل الكم الخاص الآمرى فى الشهر ثلاثة آلاف دينار عن مائة دينار كل يوم اربع جمع الحمام فى كل جمعة مائة دينار أربعمائة دينار وبرسم الاخوة والاخوات والسيدة الملكة والسيدات والامير أبى على واخوته والموالى والمستخدمات ومن استجد من الافضليات ألفان وتسعمائة وثلاثة وأربعون دينارا ولم يكن للقصور فى الايام الافضلية من الطيب راتب فيذكر بل كان اذا وصلت الهدية والجاوى من البلاد اليمنية تحمل برمتها الى الايوان فينقل منها بعد ذلك للافضل والطيب المطلق للخليفة من جملتها فانفسخ هذا الحكم وصار المرتب من الطيب مياومة ومشاهرة على ما يأتى ذكره ما هو برسم الخاص الشريف فى كل شهر ند مثلث ثلاثون مثقالا عود صيفى مائة وخمسة دراهم كافور قديم خمسة عشر درهما عنبر خام عشرة مثاقيل زعفران عشرون درهما ماء ورد ثلاثون رطلا برسم بخور المجالس الشريف في كل شهر في أيام السلام ند مثلث عشرة مثاقيل عود صيفى عشرون درهما كافور قديم ثمانية دراهم زعفران شعر عشرة دراهم ماهو برسم بخور الحمام في كل ليلة جمعة عن أربع جمع في الشهر ند مثلث أربعة مثاقيل عود صيفى عشرة مثاقيل ما هو برسم السيدات والجهات والاخوة فى كل شهر ند مثلث خمسة وثلاثون مثقالا عود صيفى مائة وعشرون درهما زعفران شعر خمسون درهما عنبر خام عشرون مثقالا كافور قديم عشرون درهما مسك خمسة عشر مثقالا ماء ورد أربعون رطلا ما هو برسم المائدة الشريفة ما تستلمه المعلمة مسك خمسة عشر مثقالا ماء ورد خمسة عشر رطلا ماهو برسم خزانة الشراب الخاص مسك ثلاثة مثاقيل ند مثلث سبعة مثاقيل عود صيفى خمسة وثلاثون درهما ماء ورد عشرون رطلا ماهو برسم بخور المواكب الستة وهى الجمعتان الكائنتان في شهر رمضان برسم الجامعين بالقاهرة يعنى الجامع الازهر والجامع الحاكمى والعيدان وعيد الغدير وأول السنة بالجوامع والمصلي ند خاص جملة كثيرة لم تتحقق فتذكر ولم يكن للغرّتين غرة السنة وغرة شهر رمضان وفتح الخليج بخور فيذكر وعدة المبخرين في المواكب ستة ثلاثة عن اليمين وثلاثة عن الشمال وكل منهم

مشدود الوسط وفى كمه فحم برسم تعجيل المدخنــة والمداخن فضة وحامل الدرج الفضـة الذى فيه البخور أحد مقدمى بيت المال وهو فيما بين المبخرين طول الطريق و يضع بيده البخور في المدخنة واذا مات أحد هؤلاء المبخرين لايخدم عوضا عنه الا من يتبرع بمدخنة فضة لان لهم رسوما كثيرة في المواسم مع قربهم فى المواكب من الخليفة ومن الوقت الذى يتبرع فيه بالمدخنة يرجع في حاصل بيت المال واذا توفي حاملها لاترجع لورثته وعـدة مايبخر في الجوامع والمصلى غير هؤلاء في مداخن كبار في صوانى فضـة ثلاث صوان في المحراب احداهن وعن يمين المنبر وشماله اثنتان وفى الموضع الذى يجلس فيـه الخليفة الى أن تقام الصلاة صينية رابعـة وأما البخور المطلق برسم المـأمون فهو في كل شهر ندمثلث خمسة عشر مثقالا عود صيفى ستون درهما عنبر خام ستة مثاقيل كافور ثمانية دراهم زعفران شعر عشرة دراهم ماء ورد خمسة عشر رطلا ومنها مقرر الجامع وما قرر من خزانة التفرقة في كل يوم اثنا عشر مجمعا كل بيت عياره رطل واحد ولكل مجمع ثلاثة ارطال جبن قريش وفاكهة بنصف درهم والمستقر لهذه المجامع فى كل يوم من اللبن خمسة وثمانون رطلا ومنها مقرر الحلوى والفستق ومما استجد مايعمل في الايوان برسم الخاص في كل يوم من الحلوي اثنا عشر جاما رطبة و يابسـة نصفين وزن كل جام من الرطب عشرة أرطال ومن اليابس ثمانية أرطال ومقرر الخشكنانج والبسندود في كل ليلة على الاستمرار برسم الخاص الآمرىّ والمأمونى قنطار واحد سكر ومثقالان مسك وديناران برسم المؤن لعمل خشكنانج و بسندود في قعبان وسلال صفصاف و يحمل ثلثا ذلك الى القصر والثلث الى الدار المأمونية قال وجرت مفاوضة بين متولى بيت المـال ودار الفطرة بسبب الاصناف ومن جملتها الفستق وقلة وجوده وتزايد سعره الى أن بلغ رطل ونصف بدينار وقد وقف منـه لارباب الرسوم ماحصل شكواهم بسببه فجاوبه متولى الديوان بأن قال ماتم موجب الانفاق لما هو راتب من الديوان وطالعا المقام العالى بأنه لمـا رسم لهما ذكرا جميع مااشتمل عليه ماهو مستقر الانفاق من قلب الفستق والذى يطلق من الخزائن من قلب الفستق ادرارا مستقرا بغير اسـتدعاء ولا توقيع مياومة كل يوم حسابا في الشهر التام عن ثلاثين يوما خمسمائة وخمسة وثمانون رطلا وفي الشهر الناقص عن تسعة وعشرين يوما خمسمائة وخمسة وستون رطلا حسابا عن كل يوم تسعة عشر رطلا ونصف من ذلك مايسـتلمه الصناع الحلاويون والمستخدمون بالايوان مما يصنع به خاص خارجا عما يصنع بالمطابخ الآمرية عن اثنى عشر جام حلوى خاص وزنها مائة وثمانية أرطال منها رطب سـتون رطلا ويابس وغيره ثمانية وأربعون رطلا مما يحمل فى يومه وساعته منها ما يحمل مختوما برسم المائدتين الآمريتين بالباذهنج والدار الجديدة اللتين مايحضرهما الا من كبرت منزلته وعظمت وجاهته جامان رطبا

ويابسا وما يفرق فى العوالى من الموالى والجهات على أوضاع مختلفة تسع جامات وما يحمل
الى الدار المأمونية برسم المائدة بالداردون السماط جام واحد تتمة المياومة المذكورة مايتسلمه
مقدم الفراشين في خدمة المائدة الشريفة التى تتولاها المعلمة بالقصور الزاهرة أربعة أرطال
فستق مايتسلمه الشاهد والمشارف على المطابخ الآمرية مما يصنع فيها برسم الجامات الحلوى
وغيره مما يكون على المدورة فى الاسمطة المستمرة بقاعة الذهب في أيام السلام وفي أيام الركوبات
وحلول الركاب بالمناظر أربعة أرطال وما يتسلمه الحاج مقبل الفراش برسم المائدة المأمونية مما
يوصله لزمام الداردون المطابخ الرجالية رطلان الحكم الثاني يطلق مشاهرة بغير توقيع
ولا استدعاء باسماء كبراء الجهات والمستخدمين من الاصحاب والحواشى فى الخدم المميزة
وهو فى الشهر ثلاثة عشر رطلا والديوان شاهد باسماء أربابه وما يطلق من هذه الخزائن
السعيدة بالاستدعا آت والمطالعات ويوقع عليه بالاطلاق من هذا الصنف في كل سنة على مايأتى
ذكره وما يستدعي برسم التوسعة في الراتب عند تحويل الركاب العالى الى اللؤلؤة مدة
أيام النيل المبارك في كل يوم رطلان وما يستدعي برسم الصيام مدة تسعة وخمسين يوما رجب
وشعبان حسابا عن كل يوم رطلان مائة وثمانية عشر رطلا وما يستدعى لما يصنع بدار الفطرة
في كل ليلة برسم الخاص خشكنانج لطيفة وبسندود وجوارشات ونواطف ويحمل في سلال
صفصاف لوقته عن مدة أولها مستهل رجب وآخرها سلخ رمضان عن تسعة وثمانين يوما
مائة وثمانية وسبعون رطلا لكل ليلة رطلان ويسمى ذلك بالتعبية وما يستدعيه صاحب
بيت المال ومتولي الديوان فيما يصنع بالايوان الشريف برسم الموالد الشريفة الاربعة النبوىّ
والعلوىّ والفاطمىّ والآمرىّ مما هو برسم الخاص والموالي والجهات بالقصور الزاهرة
والدار المأمونية والاصحاب والحواشي خارجا عما يطلق مما يصنع بدار الوكالة ويفرق
على الشهود والمتصدرين والفقراء والمساكين مما يكون حسابه من غير هذه الخزائن عشرون
رطلا قلب فستق حسابا لكل يوم مؤبد منها خمسة ارطال مايستدعي برسم ليالى الوقود
الاربع الكائنات فى رجب وشعبان مما يعمل بالايوان برسم الخاصين والقصور خاصة
عشرون رطلا لكل ليلة خمسة أرطال وأما ماينصرف في الاسمطة والليالى المذكورات
في الجامع الازهر بالقاهرة والجامع الظاهرىّ بالقرافة فالحكم في ذلك يخرج عن هذه
الخزائن ويرجع الى مشارف الدار السعيدة وكذلك مايستدعيه المستخدمون في المطابخ
الآمرية من التوسعة من هذا الصنف المذكور في جملة غيره برسم الاسمطة لمدة تسعة
وعشرين يوما من شهر رمضان وسلخه لاسماط فيه وفي الاعياد جميعها بقاعة الذهب وما
يستدعيه النائب برسم ضيافة من يصرف من الامراء في الخدم الكبار ويعود الى الباب
ومن يرد اليه من جميع الضيوف وما يستدعيه المستخدمون فى دار الفطرة برسم فتح الخليج

وهي الجملتان الكبيرتان فجميع ذلك لم يكن في هذه الخزائن محاسبته ولا ذكر جملته والمعاملة فيه مع مشارف الدار السعيدة وأما ما يطلق من هذا الصنف من هذه الخزائن في هذه الولائم والافراح وارسال الانعام فهو شيء لم تتحقق أوقاته ولا مبلغ استدعائه أنهى المملوك ان ذلك والمجلس فضل السمو والقدرة فيما يأمر به ان شاء الله تعالى

(دار التعبية)

قال ابن المأمون دار التعبية كانت فى الايام الافضلية تشتمل على مبلغ يسير فانتهى الامر فيها الى عشرة دنانير كل يوم خارجا عما هو موظف على البساتين السلطانية وهو النرجس والنينوفر ان الاصفر والاحمر والنخل الموقوف برسم الخاص وما يصل اليه من الفيوم وثغر الاسكندرية ومن جملتها تعبية القصور للجهات والخاص والسيدات ولدار الوزارة وتعبية المناظر فى الركوبات الى الجمع في شهر رمضان خارجا عن تعبية الحمامات وما يحمل كل يوم من الزهرة و برسم خزانة الكسوة الخاص وبرسم المائدة وتفرقة الثمرة الصيفية فى كل سنة على الجهات والامراء والمستخدمين والحواشى والاصحاب وما يحمل لدار الوزارة والضيوف وحاشية دار الوزارة

(خزانة الادم)

قال وأما الراتب من عند بركات الادمي فانه فى كل شهر ثمانون زوجا أوطية من ذلك برسم الخاص ثلاثون زوجا برسم الجهات أربعون زوجا برسم الوزارة عشرة أزواج خارجا عن السباعيات فانها تستدعى من خزانة الكسوة وفي كل موسم تكون مذهبة

(خزائن دار افتكين)

قال ابن الطوير وكانت لهم دار كبرى يسكنها نصر الدولة أفتكين الذى رافق نزار ابن المستنصر بالاسكندرية جعلوها برسم الخزن فقيل خزائن دار أفتكين وتحتوي على أصناف عديدة من الشمع المحمول من الاسكندرية وغيرها وجميع القلوب المأكولة من الفستق وغيره والاعسال على اختلاف أصنافها والسكر والقند والشيرج والزيت فيخرج من هذه الخزائن بيد حاميها وهو من الاستاذين المميزين ومشارفها وهو من المعدلين راتب المطابخ خاصا وعاما ليوم أو لايام ينفق منها للمستخدمين ثم لارباب التوقيعات من الجهات وأرباب الرسوم في كل شهر من أرباب الرتب حتى لايخرج عما يحتاجون فيها الا اللحم والخضراوات فهي أبدا معمورة بذلك انتهى

(خبر نزار وأفتكين) لما مات الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معد ابن الامام الظاهر لاعزاز دين الله أبي الحسن علىّ بن الحاكم بأمر الله أبى علىّ منصور فى ليلة الخميس الثامن عشر من ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة بادر الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش

بدر الجمالي الى القصر وأجلس أبا القاسم أحمد بن المستنصر في منصب الخلافة ولقبه بالمستعلى بالله وسير الى الامير نزار والامير عبد الله والامير اسماعيل أولاد المستنصر فجاؤا اليه فاذا أخوهم أحمد وهو أصغرهم قد جلس على سرير الخلافة فامتعضوا لذلك وشق عليهم وأمرهم الافضل بتقبيل الارض وقال لهم قبلوا الارض لمولانا المستعلى بالله وبايعوه فهو الذى نص عليه الامام المستنصر قبل وفاته بالخلافة من بعده فامتنعوا من ذلك وقال كل منهم ان أباه قد وعده بالخلافة وقال نزار لو قطعت ما بايعت من هو أصغر مني سنا وخط والدى عندى بأني ولىّ عهده وأنا أحضره وخرج مسرعا ليحضر الخط فمضى لايدرى به أحد وتوجه الى الاسكندرية فلما أبطأ مجيئه بعث الافضل اليه ليحضر بالخط فلم يعلم له خبرا فانزعج لذلك انزعاجا عظيما وكانت نفرة نزار من الافضل لامور منها أنه خرج يوما فاذا بالافضل قد دخل من باب القصر وهو راكب فصاح به نزار انزل ياأرمني الجنس فحقدها عليه وصار كل منهما يكره الآخر ومنها أن الافضل كان يعارض نزارا في أيام أبيه ويستخف به ويضع من حواشيه وأسبابه ويبطش بغلمانه فلما مات المستنصر خافه لانه كان رجلا كبيرا وله حاشية وأعوان فقدم لذلك أحمد بن المستنصر بعد ما اجتمع بالامراء وخوفهم من نزار ومازال بهم حتى وافقوه على الاعراض عنه وكان من جملتهم محمود بن مصال فسير خفية الى نزار وأعلمه بما كان من اتفاق الافضل مع الأمراء على اقامة أخيه أحمد وادارته لهم عنه فاستعد الى المسير الى الاسكندرية هو وابن مصال فلما فارق الافضل ليحضر اليه بخط أبيه خرج من القصر متنكرا وسار هو وابن مصال الى الاسكندرية وبها الامير نصر الدولة أفتكين أحد مماليك أمير الجيوش بدر الجمالي ودخلا عليه ليلا وأعلماه بما كان من الافضل وترامياعليه ووعده نزار بأن يجعله وزيرا مكان الافضل فقبلهما أتم قبول وبايع نزارا وأحضر أهل الثغر لمبايعته فبايعوه ونعته بالمصطفى لدين الله فبلغ ذلك الافضل فأخذ يتجهز لمحاربتهم وخرج في آخر المحرم سنة ثمان وثمانين بعساكره وسار الى الاسكندرية فبرز اليه نزار وأفتكين وكانت بين الفريقين عدة حروب شديدة انكسر فيها الافضل ورجع بمن معه منهزما الى القاهرة فقوى نزار وأفتكين وصار اليهما كثير من العرب واشتد أمر نزار وعظم واستولى على بلاد الوجه البحرى" وأخذ الافضل يتجهز ثانيا الى المسير لمحاربة نزار ودس الى أكابر العربان ووجوه أصحاب نزار وافتكين وصاروا الى الاسكندرية فنزل الافضل اليها وحاصرها حصارا شديدا وألحّ في مقاتلتهم وبعث الى أكابر أصحاب نزار ووعدهم فلما كان في ذى القعدة وقد اشتد البلاء من الحصار جمع ابن مصال ماله وفر في البحر الى جهة بلاد المغرب ففت ذلك في عضد نزار وتبين فيه الانكسار واشتد الافضل وتكاثرت جموعه فبعث نزار وأفتكين اليه يطلبان الامان منه فأمنهما ودخل الاسكندرية وقبض على نزار

وأفتكين و بعث بهما الى القاهرة فأما نزار فانه قتل في القصر بان أقيم بين حائطين بنيا عليه فمات بينهما وأما أفتكين فانه قتله الافضل بعد قدومه ودار أفتكين هذه كانت خارج القصر وموضعها الآن حيث مدرسة القاضى الفاضل وآدره بدرب ملوخيا

*(خزانة البنود) *

البنود هي الرايات والاعلام ويشبه أن تكون هى التى يقال لها في زمننا العصائب السلطانية وكانت خزانة البنود ملاصقة للقصر الكبير ومن حقوقه فيما بين قصر الشوك وباب العيد بناها الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله أبو هاشم على بن الحاكم بأمر الله وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين فى سائر الصنائع وكانت أيام الظاهر هذا سكونا وطمأنينة وكان مشتغلا بالاكل والشرب والنزه وسماع الاغاني وفي زمانه تأنق أهل مصر والقاهرة في اتخاذ الاغاني والرقاصات و بلغ من ذلك المبالغ العجيبة واتخذت له حجرة المماليك وكانوا يعلمونهم فيها أنواع العلوم وأنواع آلة الحرب وصنوف حيلها من الرماية والمطاعنة والمسابقة وغير ذلك * وقال في كتاب الذخائر والتحف ولما وهب السلطان يعنى الخليفة المستنصر لسعد الدولة المعروف بسلام عليك مافي خزانة البنود من جميع المتاع والآلات وغير ذلك في اليوم السادس من صفر سنة احدى وستين وأربعمائة حمل جميعه ليلا وكان فيما وجد سعد الدولة فيها ألفا وتسعمائة درقة الى ماسوى ذلك من آلات الحرب وما سواه وغير ذلك من القضب الفضة والذهب والبنود وما سواه وفي خلال ذلك سقط من بعض الفراشين مقط شمع موقد نارا فصادف هناك أعدال كتان ومتاعا كثيرا فاحترق جميعه وكانت لذلك غلبة عظيمة وخوف شديد فيما يليها من القصر ودور العامة والاسواق وأعلمني من له خبرة بما كان في خزانة البنود أن مبلغ ما كان فيها من سائر الآلات والامتعة و لذخائر لايعرف له قيمة عظما وان المنفق فيها كل سنة من سبعين ألف دينار الى ثمانين ألف دينار من وقت دخول القائد جوهر وبناء القصر من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة الى هذا الوقت وذلك زائد عن مائة سنة وان جميعه باق فيها على الايام لم يتغير وأن جميعه احترق حتي لم يبق منهم باقية ولا أثر وانه احترق في هذه الليلة من قربات النفط عشرات الوف ومن زراقات النفط أمثالها فأما الدرق والسيوف والرماح والنشاب فلا تحصى بوجه ولا سبب مع مافيها من قضب الفضة وثيابها المذهبة وغيرها والبنود المجملة وسروج ولجم وثياب الفرحية المصبغات والبنادين وغيرها بعد أن أخذوا ماقدروا عليه حتى لواء الحمد وسائر البنود وجميع العلامات والالوية وحدثني من أثق به أيضا انه احترق فيها من السيوف عشرات ألوف ومالا يحصى كثرة وأن السلطان بعد ذلك بمدة طويلة احتاج الى اخراج شيء من السلاح لبعض مهماته فاخرج من خزانة واحدة مما بقى وسلم خمسة عشر ألف سيف مجوهرة سوى

غيرها حدثني بجميعه الاجل عظيم الدولة متولى الستر الشريف انتهى * وجعلت خزانة البنود بعد هذا الحريق حبسا وفيها يقول القاضى المهذب بن الزبير لما اعتقل بها وكتب بها للكامل بن شاور

أيا صاحبي سجن الخزانة خليا * نسيم الصبا يرسل الى كبدى نفحا
وقولا لضوء الصبح هل أنت عائد * الى نظري أم لا أرى بعدها صبحا
ولا تيأسا من رحمة الله أن أرى * سريعا بفضل الكامل العفو والصفحا

وقال

أيا صاحبى سجن الخزانة خليا * من الصبح مايبدو سناه لنا ظرى
فو الله ماأدري أطرفي ساهر * على طول هذا الليل أم غير ساهر
ومالى من أشكو اليه أذا كما * سوى ملك الدنيا شجاع بن شاور

واستمرت سجنا للامراء والوزراء والاعيان الى أن زالت الدولة فاتخذها ملوك بني أيوب أيضا سجنا تعتقل فيه الامراء والمماليك * ومن غريب ماوقع بها أن الوزير أحمد ابن على الجرجراي لما توفي طلب الوزارة الحسن بن على الانباري فاجيب اليها فتعجل من سوء التدبير قبل تمامه مافوته مراده وضيع ماله ونفسه وذلك أنه كان قد نبغ فى أيام الحاكم بأمر الله أخوان يهوديان يتصرف أحدهما في التجارة والآخر في الصرف و بيع مايحمله التجار من العراق وهما أبو سعد ابراهيم وأبو نصر هرون ابنا سهل التسترى واشتهر من أمرهما في البيوع واظهار مايحصل عندهما من الودائع الخفية لمن يفقد من التجار فى القرب والبعد ماينشأ به جميل الذكر في الآفاق فاتسع حالهما لذلك واستخدم الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله أبا سعد ابراهيم بن سهل التسترى في ابتياع مايحتاج اليه من صنوف الامتعة وتقدم عنده فباع له جارية سوداء فتحظي بها الظاهر وأولدها ابنه المستنصر فرعت لابي سعد ذلك فلما أفضت الخلافة الى المستنصر ولدها قدمت أبا سعد وتخصصت به فى خدمتها فلما مات الوزير الجرجراي وتكلم ابن الانباري في الوزارة قصده أبو نصر اخو أبى سعد فجبهه أحد أصحابه بكلام مؤلم فظن أبو نصر أن الوزير ابن الانباري اذا بلغه ذلك ينكر على غلامه ويعتذر اليه فجاء منه خلاف ماظنه و بلغه عنه أضعاف ماسمعه من الغلام فشكا ذلك الى أخيه أبى سعد وأعلمه بأن الوزير متغير النية لهما فلم يفتر أبو سعد عن ابن الانبارى وأغرى به أم المستنصر مولاته فتحدثت مع ابنها الخليفة المستنصر في أمره حتى عزله عن الوزارة فسمى أبو سعد عند أم المستنصر لابي نصر صدقة بن يوسف الفلاحى في الوزارة فاستوزره المستنصر وتولى أبو سعد الاشراف عليه وصار الوزير الفلاحي منقادا لابى سعد تحت حكمه وأخذ الفلاحي يعمل على ابن الانباري ويغرى به و يصنع عليه ديونا

ويذكر عنه مايوجب الغضب عليه حتى تم مايريد فقبض عليه وخرج عليه من الدواوين أموالا كثيرة مما كان يتولاه قديما وألزمه بحملها ونوع له أصناف العذاب واستصفى أمواله وهو معتقل بخزانة البنود ثم قتله في يوم الاثنين الخامس من المحرم سنة أربعين واربعمائة بها فاتفق ان الفلاحي لما صرف عن الوزارة اعتقل بخزانة البنود حيث كان ابن الانبارى ثم قتل بها وحفر له ليدفن فظهر في الحفر رأس ابن الانبارى قبل أن يمضى فيه القتل فقال لا اله الا الله هذا رأس ابن الانبارى انا قتلته ودفنته ههنا وأنشد

رب لحد قد صار لحدا مرارا * ضاحكا من تزاحم الاضداد

فقتل ودفن في تلك الحفرة مع ابن الانبارى فعد ذلك من غرائب الاتفاق * ثم ان خزانة البنود جعلت منازل للاسرى من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية ايام كانت محاربة المسلمين لهم فانزل بها الملك الناصر محمد بن قلاون الاسارى بعد حضوره من الكرك وأبطل السجن بها فلم يزالوا فيها بأهاليهم واولادهم فى ايام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فصار لهم فيها افعال قبيحة وأمور منكرة شنيعة من التجاهر ببيع الخمر والتظاهر بالزنا واللياطة وحماية من يدخل اليها من أرباب الديون واصحاب الجرائم وغيرهم فلا يقدر أحد ولو جل على اخذ من صار اليهم واحتمى بهم والسلطان يغضى عنهم لما يرى فى ذلك من مراعاة المصلحة والسياسة التى اقتضاها الحال من مهادنة ملوك الفرنج وكان يسكن بالقرب منها الامير الحاج آل ملك الجوكندار ويبلغه ما يفعله الفرنج من العظائم الشنيعة فلا يقدر على منعهم وفحش أمرهم فرفع الخبر الى السلطان واكثر من شكايتهم غير مرة والسلطان يتغافل عن ذلك الى أن كثرت مفاوضة الحاج آل ملك للسلطان في أمرهم فقال له السلطان انتقل أنت عنهم يا أمير فلم يسعه الا الاعراض عن ذلك وعمر داره التي بالحسينية والاصطبل والجامع المعروف بآل ملك والحمام والفندق وانتقل من داره التي كان فيها بجوار خزانة البنود وسكن بالحسينية الى أن مات السلطان الملك الناصر فى اخريات سنة احدى وأربعين وسبعمائة وتنقل الملك في اولاده الى أن جلس الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاون وضرب شورى على من يكون نائب السلطنة بالديار المصرية يدبر أحوال المملكة كما كانت العادة في ذلك مدة الدولة التركية فأشير بتولية الامير بدر الدين جنكل بن البابا فنصل من ذلك وأبى قبوله فعرضت النيابة على الامير الحاج آل ملك فاستبشر وقال لى شروط أشرطها على السلطان فان أجابني اليها فعلت ما يرسم به وهي أن لا يفعل شيء في المملكة الا برأيي وأن يمنع الناس من شرب الخمر ويقام منار الشرع ولا يعترض على أمر من الامور فأجيب الى ما سأل وأحضرت التشاريف فأفيضت عليه بالجامع من قلعة الجبل في يوم الجمعة الثاني عشر من المحرم سنة أربع وأربعين

وسبعمائة وأصبح يوم السبت جالسا في دار النيابة من القلعة وحكم بين الناس وأول ما بدأ به أن أمر والى القاهرة بالنزول الى خزانة البنود وأن يحتاط على جميع ما فيها من الخمر والفواحش ويخرج الاسرى منها ويهدمها حتى يجعلها دكا ويسوي بها الارض فنزل اليها ومعه الحاجب في عدة وافرة وهجموا على من فيها وهم آمنون وأحاطوا بسائر ما تشتمل عليه وقد اجتمع من العامة والغوغاء ما لا يقع عليه حصر فأراقوا منها خمورا كثيرة تجاوز الحد فى الكثرة وأخرج من كان فيها من النساء البغايا وغيرهن من الشباب وأرباب الفساد وقبض على الفرنج والارمن وهدمها حتى لم يبق لها اثر ونودى فى الناس فحكروها وبنوا فيها الدور والطواحين على ما هى عليه الآن وأمر بالاسرى فأنزلوا بالقرب من المشهد النفيسى بجوار كيمان مصر فهم هناك الى الآن وأنزل من كان منهم أيضا بقلعة الجبل فأسكنوا معهم وطهر الله تلك الارض منهم وأراح العباد من شرهم فانها كانت شر بقعة من بقاع الارض يباع فيها لحم الخنزير على الوضم كما يباع لحم الضأن ويعصر فيها من الخمور في كل سنة مالا يستطيع أحد حصره حتى يقال انه كان يعصر بها في كل سنة اثنان وثلاثون ألف جرة خمر ويباع فيها الخمر نحو اثنى عشر رطلا بدرهم الى غير ذلك من سائر انواع الفسوق

(دار الفطرة)

قال ابن الطوير دار الفطرة خارج القصر بناها العزيز بالله وهو أول من بناها وقرر فيها ما يعمل مما يحمل الى الناس فى العيد وهى قبالة باب الديلم من القصر الذى يدخل منه الى المشهد الحسينى ويكون مبدأ الاستعمال فيها وتحصيل جميع اصنافها من السكر والعسل والقلوب والزعفران والطيب والدقيق لاستقبال النصف الثانى من شهر رجب كل سنة ليلا ونهارا من الخشكنانج والبسندود وأصناف الفانيذ الذي يقال له كعب الغزال والبرما ورد والفستق وهو شوابير مثال الصنج والمستخدمون يرفعون ذلك الى اماكن وسيعة مصونة فيحصل منه فى الحاصل شيء عظيم هائل بيد مائة صانع للحلاويين مقدم وللخشكنانيين آخر ثم يندب لها مائة فراش لحمل طيافير للتفرقة على أرباب الرسوم خارجا عمن هو مرتب لخدمتها من الفراشين الذين يحفظون رسومها ومواعينها الحاصلة بالدائم وعدتهم خمسة فيحضر اليها الخليفة والوزير معه ولا يصحبه في غيرها من الخزائن لانها خارج القصر وكلها للتفرقة فيجلس على سريره بها ويجلس الوزير على كرسى ملين على عادته فى النصف الثانى من شهر رمضان ويدخل معه قوم من الخواص ثم يشاهد ما فيها من تلك الحواصل المعمولة المعباة مثل الجبال من كل صنف فيفرقها من ربع قنطار الى عشرة ارطال الى رطل واحد وهو أقلها ثم ينصرف الخليفة والوزير بعد أن ينعم على مستخدميها بستين دينارا ثم يحضر الى حاميها ومشارفها الادعية المعمولة المخرجة من دفتر المجلس كل دعو لتفريق

فريق من خاص وغيره حتى لا يبقى أحد من ارباب الرسوم الا واسمه وارد في دعو من تلك الادعية وينذب صاحب الديوان الكتاب المسلمين في الديوان فيسيرهم الى مستخدميها فيسلم كل كاتب دعوا أو دعوين أو ثلاثة على كثرة ما يحتويه وقلته ويؤمر بالتفرقة من ذلك اليوم فيقدمون أبدا مائتى طيفور من العالى والوسط والدون فيحملها الفراشون برقاع من كتاب الادعية باسم صاحب ذلك الطيفور علا أو دنا وينزل اسم الفراش بالدعو أو عريفه حتى لا يضيع منها شيء ولا يختلط ولا يزال الفراشون يخرجون بالطيافير ملأى ويدخلون بها فارغة فبمقدار ما تحمل المائة الاولى عبيت المائة الثانية فلا يفتر ذلك طول التفرقة فأجل الطيافير ما عدد خشكنانه مائة حبة ثم الى سبعين وخمسين ويكون على صاحب المائة طرحة فوق قوارته ثم الى خمسين ثم الى ثلاث وثلاثين ثم الى خمس وعشرين ثم الى عشرين ونسبة منثور كل واحد على عدد خشكنانه ثم العبيد السودان بغير طيافير كل طائفة يتسلمه لها عرفاؤها في افراد الخواص لكل طائفة على مقدارها الثلاثة الافراد والخمسة والسبعة الى العشرة فلا يزالون كذلك الى أن ينقضى شهر رمضان ولا يفوت أحدا شيء من ذلك ويتهاداه الناس في جميع الاقليم قال وما ينفق في دار الفطرة فيما يفرق على الناس منها سبعة آلاف دينار * وقال ابن عبد الظاهر دار الفطرة بالقاهرة قبالة مشهد الامام الحسين عليه السلام وهى الفندق الذى بناه الامير سيف الدين بهادر الآن في سنة ست وخمسين وستمائة اول من رتبها الامام العزيز بالله وهو اول من سنها وكانت الفطرة قبل أن ينتقل الافضل الى مصر تعمل بالايوان وتفرق منه وعند ما تحول الى مصر نقل الدواوين من القصر اليها واستجد لها مكانا قبالة دار الملك بايوانى المكاتبات والانشاء فانهما كانا بقرب الدار ويتوصل اليهما من القاعة الكبرى التي فيها جلوسه ثم استجد للفطرة دارا عملت بعد ذلك وراقة وهى الآن دار الامير عز الدين الافرم بمصر قبالة دار الوكالة وعملت بها الفطرة مدة وفرق منها الا ما يخص الخليفة والجهات والسيدات والمستخدمات والاستاذين فانه كان يعمل بالايوان على العادة ولما توفى الافضل وعادت الدواوين الى مواضعها أنهى خاصة الدولة ريحان وكان يتولى بيت المال ان المكان بالايوان يضيق بالفطرة فأمره المأمون أن يجمع المهندسين ويقطع قطعة من اصطبل الطارمة يبنيه دار الفطرة فانشأ الدار المذكورة قبالة مشهد الحسين والباب الذى بمشهد الحسين يعرف بباب الديلم وصار يعمل بها ما استجد من رسوم المواليد والوقودات وعقدت لها جملتان احداها وجدت فسطرت وهى عشرة آلاف دينار خارجا عن جوارى المستخدمين والجملة الثانية فصلت فيها الاصناف وشرحها دقيق ألف حملة سكر سبعمائة قنطار قلب فستق ستة قناطير قلب لوز ثمانية قناطير قلب بندق أربعة قناطير تمر أربعمائة اردب زبيب ثلثمائة

أردب خل ثلاثة قناطير عسل نحل خمسة عشر قنطارا شيرج مائتا قنطار حطب ألف ومائتا حملة سمسم أردبان أنيسون أردبان زيت طيب برسم الوقود ثلاثون قنطارا ماء ورد خمسون رطلا مسك خمس نوافج كافور قديم عشرة مثاقيل زعفران مطحون مائة وخمسون درهما وبيد الوكيل برسم المواعين والبيض والسقائين وغير ذلك من المؤن على ما يحاسب به وبرفع المحازيم خمسمائة دينار * ووجدت بخط ابن ساكن قال كان المرتب في دار الفطرة وهما ما يذكر وهو زيت طيب برسم القناديل خمسة عشر قنطارا مقاطع سكندرى برسم القوارات ثلثمائة مقطع طيافير جدد برسم السماط ثلثمائة طيفور شمع برسم السماط وتوديع الامراء ثلاثون قنطارا أجرة الصناع ثلثمائة دينار جارى الحامى مائة وعشرون دينارا جارى العامل والمشارف مائة وثمانون دينارا وشقة ديبقى بياض حريري ومنديل ديبقى كبير حريري وشقة سقلاطون اندلسي يلبسها قدام الفطرة يوم حملها ليفرق طيافير الفطرة على الامراء وأرباب الرسومات وعلى طبقات الناس حتى يعم الكبير والصغير والضعيف والقوي ويبدأ بها من أول رجب الى آخر رمضان *(ذكر ما اختص من صفة الطيافير)* الاعلى منها طيفور فيه مائة حبة خشكنانج وزنها مائة رطل وخمسة عشر قطعة حلاوة زنتها مائة رطل سكر سليماني وغيره عشرة ارطال قلوبات ستة ارطال بسندود عشرون حبة كعك وزبيب وتمر قنطار جملة الطيفور ثلاثة قناطير وثلث الى ما دون ذلك على قدر الطبقات الى عشر حبات * وقال ابن أبي طي وعمل المعز لدين الله دار اسماها دار الفطرة فكان يعمل فيها من الخشكنانج والحلواء والبسندود والفانيذ والكعك والتمر والبندق شيء كثير من اول رجب الى نصف رمضان فيفرق جميع ذلك في جميع الناس الخاص والعام على قدر منازلهم في اوان لا تستعاد وكان قبل ليلة العيد يفرق على الامراء الخيول بالمراكب الذهب والخلع النفيسة والطراز الذهب والثياب برسم النساء

(المشهد الحسيني)

قال الفاضل محمد بن علي بن يوسف بن ميسر وفي شعبان سنة احدى وتسعين وأربعمائة خرج الافضل بن أمير الجيوش بعساكر جمة الى بيت المقدس وبه سكان وايلغازى ابنا ارتق في جماعة من اقاربهما ورجالهما وعساكر كثيرة من الاتراك فراسلهما الافضل يلتمس منهما تسلم القدس اليه بغير حرب فلم يجيباه لذلك فقاتل البلد ونصب عليها المجانيق وهدم منها جانبا فلم يجدا بدا من الاذعان له وسلماه اليه فخلع عليهما وأطلقهما وعاد في عساكره وقد ملك القدس فدخل عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن على بن ابي طالب رضى الله عنهما فأخرجه وعطره وحمله في سفط الى أجل دار بها وعمر المشهد فلما تكامل حمل الافضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشيا الى أن أحله في مقره

وقيل ان المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجمالي وكمله ابنه الافضل وكان حمل الرأس الى القاهرة من عسقلان ووصوله اليها في يوم الاحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الامير سيف المملكة تميم واليها كان والقاضى المؤتمن بن مسكين مشارفها وحصل في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور * ويذكر أن هذا الرأس الشريف لما أخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه لم يجف وله ريح كريح المسك فقدم به الاستاذ مكنون في عشارى من عشاريات الخدمة وأنزل به الى الكافورى ثم حمل في السرداب الى قصر الزمرذ ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة فكان كل من يدخل الخدمة يقبل الارض أمام القبر وكانوا ينحرون في يوم عاشوراء عند القبر الابل والبقر والغنم ويكثرون النوح والبكاء ويسبون من قتل الحسين ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم * وقال ابن عبد الظاهر مشهد الامام الحسين صلوات الله عليه قد ذكرنا أن طلائع بن رزيك المنعوت بالصالح كان قد قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من الفرنج وبنى جامعه خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لا يكون ذلك الا عندنا فعمدوا الى هذا المكان وبنوه له ونقلوا الرخام اليه وذلك في خلافة الفائز على يد طلائع في سنة تسع وأربعين وخمسمائة * وسمعت من يحكي حكاية يستدل بها على بعض شرف هذا الرأس الكريم المبارك وهى أن السلطان الملك الناصر رحمه الله لما أخذ هذا القصر وشى اليه بخادم له قدر في الدولة المصرية وكان زمام القصر وقيل له انه يعرف الاموال التى بالقصر والدفائن فأخذ وسئل فلم يجب بشىء وتجاهل فأمر صلاح الدين نوابه بتعذيبه فأخذه متولى العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشدّ عليها قرمزية وقيل ان هذه أشد العقوبات وان الانسان لا يطيق الصبر عليها ساعة الا تنقب دماغه وتقتله ففعل ذلك به مرارا وهو لا يتأوّه وتوجد الخنافس ميتة فعجب من ذلك وأحضره وقال له هذا سر فيك ولا بدّ أن تعرفنى به فقال والله ما سبب هذا الا أنى لما وصلت رأس الامام الحسين حملتها قال واى سر أعظم من هذا وراجع في شأنه فعفا عنه * ولما ملك السلطان الملك الناصر جعل به حلقة تدريس وفقهاء وفوّضها للفقيه البهاء الدمشقي وكان يجلس للتدريس عند المحراب الذى الضريح خلفه فلما وزر معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ بن حمويه ورد اليه أمر هذا المشهد بعد اخوته جمع من أوقافه ما بني به ايوان التدريس الآن وبيوت الفقهاء العلوية خاصة واحترق هذا المشهد في الايام الصالحية في سنة بضع وأربعين وستمائة وكان الامير جمال الدين بن يغمور نائبا عن الملك الصالح فى القاهرة وسببه أن أحد خزان الشمع دخل ليأخذ شيأ فسقطت منه شعلة فوقف الامير جمال الدين المذكور

بنفسه حتى طفئ وأنشدته حينئذ فقلت

قالوا تعصب للحسين ولم يزل * بالنفس للهول المخوف معرّضا
حتى انضوى ضوء الحريق وأصبح الـ * ـمسود من تلك المخاوف أبيضا
أرضى الاله بما أتى نكأنه * بين الأنام بفعله موسى الرضى

قال ولحفظة الآثار وأصحاب الحديث ونقلة الاخبار ما اذا طولع وقف منه على المسطور وعلم منه ماهو غير المشهور وانما هذه البركات مشاهدة مرئية وهي بصحة الدعوى ملية والعمل بالنية *وقال في كتاب الدر النظيم في أوصاف القاضى الفاضل عبد الرحيم ومن جملة مبانيه الميضأة قريب مشهد الامام الحسين بالقاهرة والمسجد والساقية ووقف عليها أراضى قريب الخندق ظاهر القاهرة ووقفها دار جار والانتفاع بهذه المثوبة عظيم ولما هدم المكان الذى بنى موضعه مئذنة وجد فيه شيء من طلسم لم يعلم لاى شيء هو فيه اسم الظاهر بن الحاكم واسم امه رصد *(خبر الحسين)* هو الحسين بن علىّ بن أبى طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو عبد الله وامه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لخمس خلون من شعبان سنة اربع وقيل سنة ثلاث وعق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سابعه بكبش وحلق رأسه وأمر أن يتصدق بزنته فضة وقال أرونى ابني ما سميتموه فقال على بن أبي طالب حربا فقال بل هو حسين وكان أشبه الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم ماكان أسفل من صدره وكان فاضلا دينا كثير الصوم والصلاة والحج وقتل يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم يوم عاشوراء سنة احدى وستين من الهجرة بموضع يقال له كربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع أيضا بالطف قتله سنان ابن انس اليحصبي وقيل قتله رجل من مذحج وقيل قتله شمر بن ذى الجوشن وكان ابرص وأجهز عليه خولى بن يزيد الاصبحي من حمير حز رأسه واتي عبيد الله بن زياد وقال

أوقر ركابى فضة وذهبا * انى قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا * وخيرهم اذ ينسبون نسبا

وقيل قتله عمرو بن سعد بن أبي وقاص وكان الامير على الخيل التى أخرجها عبيد الله ابن زياد الى قتل الحسين وأمر عليهم عمرو بن سعد ووعده أن يوليه الرى ان ظفر بالحسين وقتله وقال ابن عباس رضي الله عنهما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم نصف النهار وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت بابى أنت وأمى ما هذا قال هذا دم الحسين لم أزل ألتقطه منذ اليوم فوجدته قد قتل فى ذلك اليوم وهذا البيت زعموا قديما لايدرى قائله

اترجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

وقتل مع الحسين سبعة عشر رجلا كلهم من ولد فاطمة وقيل قتل معه من أهل بيته واخوته ثلاثة وعشرون رجلا * وكان سبب قتله أنه لما مات معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في سنة ستين وردت بيعة اليزيد على الوليد بن عقبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها فأرسل الى الحسين بن علي والى عبد الله بن الزبير ليلا فأتي بهما فقال بايعا فقالا مثلنا لا يبايع سرا ولكننا نبايع على رؤس الناس اذا أصبحنا فرجعا الى بيوتهما وخرجا من ليلهما الي مكة وذلك ليلة الاحد لليلتين بقيتا من رجب فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشو الاوذا القعدة وخرج يوم التروية يريد الكوفة بكتب أهل العراق اليه فلما بلغ عبيد الله بن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحصين بن تميم التميمي صاحب شرطته فنزل القادسية ونظم الخيل ما بينها وبين جبل لعلع فبلغ الحسين الحاجز له عن البلاد فكتب الى أهل الكوفة يعرفهم بقدومه مع قيس بن مسهر فظفر به الحصين وبعث به الى ابن زياد فقتله وأقبل الحسين يسير نحو الكوفة فأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل وخبر قتل اخيه من الرضاعة فقام حتى أعلم الناس بذلك وقال قد خذلنا شيعتنا فمن أحب أن ينصرف فلينصرف فليس عليه ذمام منا فتفرقوا حتى بقي في أصحابه الذين جاؤا معه من مكة وسار فادركته الخيل وهم ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميمي ونزل الحسين فوقفوا تجاهه وذلك في نحر الظهيرة فسقى الحسين الخيل وحضرت صلاة الظهر فأذن مؤذنه وخرج فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انها معذرة الى الله واليكم اني لم آتكم حتى اتتني كتبكم ورسلكم أن اقدم علينا فليس لنا امام لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى وقد جئتكم فان تعطوني ما اطمئن اليه من عهودكم أقدم مصركم وان لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذي أقبلت منه فسكتوا وقال للمؤذن اقم فأقام وقال الحسين للحر أتريد أن تصلي أنت بأصحابك قال بل صل أنت ونصلي بصلاتك فصلى بهم ودخل فاجتمع اليه أصحابه وانصرف الحر الى مكانه ثم صلى بهم العصر واستقبلهم فحمد الله وأثنى عليه وقال يا ايها الناس انكم ان تتقوا الله وتعرفوا الحق لاهله يكن أرضى لله ونحن أهل البيت اولى بولاية هذا الامر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم السائرين فيكم بالجور والعدوان فان انتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتني به كتبكم انصرفت عنكم فقال الحر انا والله ما ندرى ما هذه الكتب والرسل التي تذكر فأخرج خرجين مملوءين صحفا فنشرها بين أيديهم فقال الحر انا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا اليك وقد أمرنا اذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد فقال الحسين الموت ادني اليك من ذلك ثم أمر اصحابه لينصرفوا فركبوا فمنعهم الحر من ذلك فقال له الحسين ثكلتك امك ما تريد فقال له والله لو كان غيرك من العرب يقولها ما تركت ذكر أمه بالثكل كائنا من

كان والله مالي الى ذكر أمك من سبيل الا بأحسن مانقدر عليه فقال له الحسين ما تريد قال أريد أن أنطلق بك الى ابن زياد وتراد الكلام فقال له الحر انى لم أومر بقتالك وانما أمرت أن لا أفارقك حتى أدخلك الكوفة نخذ طريقا لاتدخلك الكوفة ولا تزول الى المدينة حتى أكتب الى ابن زياد وتكتب انت الى يزيد أو الى ابن زياد فلعل الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلي بشيء من أمرك فتياسر عن طريق العذيب والقادسية والحر يسايره فلما كان يوم الجمعة الثالث من المحرم سنة احدى وستين قدم عمرو بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة فى أربعة آلاف وبعث الى الحسين رسولا يسأله ما الذي جاء به فقال كتب الىّ اهل مصركم هذا أن أقدم عليهم فاذا كرهونى فأنا أنصرف عنهم فكتب عمرو الى ابن زياد يعرفه ذلك فكتب اليه أن يعرض على الحسين بيعة يزيد فان فعل رأينا فيه رأينا والا تمنعه ومن معه الماء فأرسل عمرو بن سعد خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وبين الماء وذلك قبل قتله بثلاثة أيام ونادى مناد يا حسين ألا تنظر الماء لا ترى منه قطرة حتى تموت عطشا ثم التقى الحسين بعمرو بن سعد مرارا فكتب عمرو بن سعد الى عبيد الله بن زياد أما بعد فان الله قد أطفأ الثائرة وجمع الكلمة وقد أعطانى الحسين أن يرجع الى المكان الذي أتى منه أو أن تسيره الى اى ثغر من الثغور شاء أو أن يأتى يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده وفي هذا لكم رضى وللامة صلاح فقال ابن زياد لشمر بن ذى الجوشن اخرج بهذا الكتاب الى عمرو فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمى فان فعلوا فليبعث بهم وان ابوا فليقاتلهم فان فعل فاسمع له وأطع وان أبى فأنت الامير عليه وعلى الناس واضرب عنقه وابعث الىّ برأسه وكتب الى عمرو بن سعد أما بعد فانى لم أبعثك الى الحسين لتكف عنه ولا لتمنيه ولا لتطاوله ولا لتقعد له عندى شافعا انظر فان نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم الى سلما وان أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون فان قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فانه عاق شاق قاطع ظلوم فان انت مضيت لامرنا جزيناك جزاء السامع المطيع وان انت ابيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر وبين العسكر والسلام فلما أتاه الكتاب ركب والناس معه بعد العصر فأرسل اليهم الحسين ما لكم فقالوا جاء امر الأمير بكذا فاستمهلهم الى غدوة فلما أمسوا قام الحسين ومن معه الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون فلما صلى عمرو بن سعد الغداة يوم السبت وقيل يوم الجمعة يوم عاشوراء خرج فيمن معه وعبى الحسين أصحابه وكان معه اثنان وثلاثون فارسا وأربعون راجلا وركب ومعه مصحف بين يديه وضعه أمامه واقتتل أصحابه بين يديه وأخذ عمرو بن سعد سهما فرمى به وقال اشهدوا انى اول من رمي الناس

وحمل أصحابه فصرعوا رجالا وأحاطوا بالحسين من كل جانب وهم يقاتلون قتالا شديدا حتى انتصف النهار ولا يقدرون يأتونهم الا من وجه واحد وحمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين وحضر وقت الصلاة فسأل الحسين أن يكفوا عن القتال حتى يصلي ففعلوا ثم اقتتلوا بعد الظهر أشد قتال ووصل الى الحسين وقد صرعت أصحابه ومكث طويلا من النهار كلما انتهي اليه رجل من الناس رجع عنه وكره أن يتولى قتله فأقبل عليه رجل من كندة يقال له مالك فضربه على رأسه بالسيف قطع البرنس وأدماه فأخذ الحسين دمه بيده فصبه في الارض ثم قال اللهم ان كنت حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم من هؤلاء الظالمين واشتد عطشه فدنا ليشرب فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع في فمه فتلقى الدم بيده ورمى به الى السماء ثم قال بعد حمد الله والثناء عليه اللهم انى أشكو اليك ما يصنع يابن بنت نبيك اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا فأقبل شمر في نحو عشرة الى منزل الحسين وحالوا بينه وبين رحله وأقدم عليه وهو يحمل عليهم وقد بقي في ثلاثة ومكث طويلا من النهار ولو شاؤا أن يقتلوه لقتلوه ولكنهم كان يتقي بعضهم ببعض ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء فنادى شمر في الناس ويحكم ماتنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم امكم فحملوا عليه من كل جانب فضرب زرعة بن شريك التميمي كفه الايسر وضرب عاتقه وهو يقوم ويكبو فحمل عليه في تلك الحال سنان بن انس النخعي فطعنه بالرمح فوقع وقال لخولى بن يزيد الاصبحي احتز رأسه فأرعد وضعف فنزل عليه وذبحه وأخذ رأسه فدفعه الى خولى وسلب الحسين ما كان عليه حتي سراويله ومال الناس فانتهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وأربعون ضربة ونادى عمر بن سعد في أصحابه من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه فانتدب عشرة فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره وكان عدة من قتل معه اثنين وسبعين رجلا ومن أصحاب عمرو بن سعد ثمانية وثمانين رجلا غير الجرحى ودفن أهل العاصرية من بنى اسد الحسين بعد قتله بيوم وبعد أن أخذ عمرو بن سعد رأسه ورؤس أصحابه وبعث بها الى ابن زياد فأحضر الرؤس بين يديه وجعل ينكت بقضيب ثنايا الحسين وزيد بن ارقم حاضر وأقام ابن سعد بعد قتل الحسين يومين ثم رحل الى الكوفة ومعه ثياب الحسين واخوانه ومن كان معه من الصبيان وعلى بن الحسين مريض فأدخلهم على زياد ولما مرت زينب بالحسين صريعا صاحت يا محمداه هذا حسين بالعراء مزمل بالدماء مقطع الاعضاء يا محمد بناتك سبايا وذريتك مقتلة فأبكت كل عدو وصديق وطيف برأسه بالكوفة على خشبة ثم ارسل بها الى يزيد بن معاوية وأرسل النساء والصبيان وفي عنق على بن الحسين ويديه الغل وحملوا على الاقتاب فدخل بعض بنى أمية على يزيد فقال أبشر يا أمير المؤمنين فقد

أمكنك الله من عدو الله وعدوك قد قتل ووجه برأسه اليك فلم يلبث الا اياما حتى جئ برأس الحسين فوضع بين يدى يزيد في طشت فأمر الغلام فرفع الثوب الذى كان عليه فحين رآه خمر وجهه بكمه كانه شم منه رائحة وقال الحمد لله الذى كفانا المؤنة بغير مؤنة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله قالت ريا حاضنة يزيد فدنوت منه فنظرت اليه وبه ردغ من حناء والذى أذهب نفسه وهو قادر على أن يغفر له لقد رأيته يقرع ثناياه بقضيب في يده ويقول أبياتا من شعر ابن الزبعرى ومكث الرأس مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام ثم أنزل في خزائن السلاح حتى ولى سليمان بن عبد الملك فبعث اليه فجئ به وقد محل وبقى عظما أبيض فجعله في سفط وطيبه وجعل عليه ثوبا ودفنه في مقابر المسلمين فلما ولى عمر بن عبد العزيز بعث الى خازن بيت السلاح وأن وجه الىّ برأس الحسين بن على فكتب اليه ان سليمان أخذه وجعله فى سفط وصلى عليه ودفنه فلما دخلت المسوّدة سألوا عن موضع الرأس الكريمة الشريفة فنبشوه وأخذوه والله أعلم ما صنع به * وقال السرى لما قتل الحسين بن على بكت السماء عليه وبكاؤها حمرتها وعن عطاء في قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض قال بكاؤها حمرة أطرافها وعن على بن مسهر قال حدثتنى جدتى قالت كنت أيام الحسين جارية شابة فكانت السماء اياما كأنها علقة وعن الزهرى بلغني أنه لم يقلب حجر من أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين الا وجد تحته دم عبيط ويقال ان الدنيا أظلمت يوم قتل ثلاثا ولم يمس أحد من زعفرانهم شيأ فجعله على وجهه الا احترق وانهم اصابوا ابلا في عسكر الحسين يوم قتل فنحروها وطبخوها فصارت مثل العلقم فما استطاعوا أن يسيغوا منها شيأ وروى أن السماء أمطرت دما فأصبح كل شئ لهم ملآن دما

(ما كان يعمل في يوم عاشوراء)

قال ابن زولاق في كتاب سيرة المعز لدين الله في يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستين وثلثمائة انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم الى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين عليه السلام وكسروا أوانى السقائين في الاسواق وشققوا الروايا وسبوا من ينفق في هذا اليوم ونزلوا حتى بلغوا مسجد الريح وثارت عليهم جماعة من رعية أسفل فخرج أبو محمد الحسين بن عمار وكان يسكن هناك في دار محمد بن أبي بكر وأغلق الدرب ومنع الفريقين ورجع الجميع فحسن موقع ذلك عند المعز ولولا ذلك لعظمت الفتنة لان الناس قد أغلقوا الدكاكين وأبواب الدور وعطلوا الاسواق وانما قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر وقد كانت مصر لا تخلو منهم في أيام الاخشيدية والكافورية في يوم عاشوراء عند قبر كلثوم وقبر نفيسة وكان السودان

وكافور يتعصبون على الشيعة وتتعلق السودان في الطرقات بالناس ويقولون للرجل من خالك فان قال معاوية أكرموه وان سكت لقى المكروه وأخذت ثيابه وما معه حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج * وقال المسيحي وفي يوم عاشوراء يعنى من سنة ست وتسعين وثلثمائة جرى الامر فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل الاسواق وخروج المنشدين الى جامع القاهرة ونزولهم مجتمعين بالنوح والنشيد ثم جمع بعد هذا اليوم قاضي القضاة عبد العزيز بن النعمان سائر المنشدين الذين يتكسبون بالنوح والنشيد وقال لهم لا تلزموا الناس أخذ شيء منهم اذا وقفتم على حوانيتهم ولا تؤذوهم ولا تتكسبوا بالنوح والنشيد ومن أراد ذلك فعليه بالصحراء ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة في الجامع العتيق بعد الصلاة وأنشدوا وخرجوا على الشارع بجمعهم وسبوا السلف فقبضوا على رجل ونودى عليه هذا جزاء من سب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه * وقال ابن المأمون وفي يوم عاشوراء يعني من سنة خمس عشرة وخمسمائة عبى السماط بمجلس العطايا من دار الملك بمصر التي كان يسكنها الافضل بن أمير الجيوش وهو السماط المختص بعاشوراء وهو يعبى في غير المكان الجارى به العادة في الاعياد ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من أدم والسماط يعلوها من غير مرافع نحاس وجميع الزبادى أجبان وسلائط ومخللات وجميع الخبز من شعير وخرج الافضل من باب فرد الكم وجلس على بساط صوف من غير مشورة واستفتح المقرئون واستدعى الاشراف على طبقاتهم وحمل السماط لهم وقد عمل في الصحن الاول الذى بين يدى الافضل الى آخر السماط عدس أسود ثم بعده عدس مصفى الى آخر السماط ثم رفع وقدمت صحون جميعها عسل نحل ولما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشر وخمسمائة جلس الخليفة الآمر بأحكام الله على باب الباذهنج يعني من القصر بعد قتل الافضل وعود الاسمطة الى القصر على كرسي جريد بغير مخدة متلثما هو وجميع حاشيته فسلم عليه الوزير المأمون وجميع الامراء الكبار والصغار بالقراميز وأذن للقاضى والداعي والاشراف والامراء بالسلام عليه وهم بغير مناديل ملثمون حفاة وعبى السماط في غير موضعه المعتاد وجميع ما عليه خبز الشعير والحواضر على ما كان في الايام الافضلية وتقدم الى والى مصر والقاهرة بأن لا يمكنا أحدا من جمع ولا قراءة مصرع الحسين وخرج الرسم المطلق للمتصدرين والقراء الخاص والوعاظ والشعراء وغيرهم على ما جرت به عادتهم قال وفي ليلة عاشوراء من سنة سبع عشرة وخمسمائة اعتمد الاجل الوزير المأمون على السنة الافضلية من المضى فيها الى التربة الجيوشية وحضور جميع المتصدرين والوعاظ وقراء القرآن الى آخر الليل وعوده الى داره واعتمد في صبيحة الليلة المذكورة

مثل ذلك وجلس الخليفة على الارض متلثما يرى به الحزن وحضر من شرف بالسلام عليه والجلوس على السماط بما جرت به العادة * قال ابن الطوير اذا كان اليوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس فاذا علا النهار ركب قاضى القضاة والشهود وقد غيروا زيهم فيكونون كما هم اليوم ثم صاروا الى المشهد الحسيني وكان قبل ذلك يعمل فى الجامع الازهر فاذا جلسوا فيه ومن معهم من قراء الحضرة والمتصدرين في الجوامع جاء الوزير فجلس صدرا والقاضى والداعي من جانبيه والقراء يقرؤن نوبة بنوبة وينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة شعرا يرثون به أهل البيت عليهم السلام فان كان الوزير رافضيا تغالوا وان كان سنيا اقتصدوا ولا يزالون كذلك الى أن تمضى ثلاث ساعات فيستدعون الى القصر بنقباء الرسائل فيركب الوزير وهو بمنديل صغير الى داره ويدخل قاضى القضاة والداعى ومن معهما الى باب الذهب فيجدون الدهاليز قد فرشت مصاطبها بالحصر بدل البسط وينصب في الاماكن الخالية من المصاطب دكك لتلحق بالمصاطب لتفرش ويجدون صاحب الباب جالسا هناك فيجلس القاضى والداعي الى جانبه والناس على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القراء وينشد المنشدون أيضاً ثم يفرش عليها سماط الحزن مقدار ألف زبدية من العدس والملوحات والمخللات والاجبان والالبان الساذجة والاعسال النحل والفطير والخبز المغير لونه بالقصد فاذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة وأدخل الناس للاكل منه فيدخل القاضي والداعي ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير والمذكوران الى جانبه وفي الناس من لا يدخل ولا يلزم أحد بذلك فاذا فرغ القوم انفصلوا الى أماكنهم ركبانا بذلك الزى الذى ظهروا فيه وطاف النوّاح بالقاهرة ذلك اليوم وأغلق البياعون حوانيتهم الى جواز العصر فيفتح الناس بعد ذلك ويتصرفون

(ذكر أبواب القصر الكبير الشرقي)

وكان لهذا القصر الكبير الشرقى تسعة أبواب أكبرها وأجلها باب الذهب ثم باب البحر ثم باب الريح ثم باب الزمرذ ثم باب العيد ثم باب قصر الشوك ثم باب الديلم ثم باب تربة الزعفران ثم باب الزهومة

(باب الذهب) وهو باب القصر الذى تدخل منه العساكر وجميع أهل الدولة في يومي الاثنين والخميس للموكب المقدم ذكره بقاعة الذهب قال ابن أبي طيء عن المعز لدين الله انه لما خرج من بلاد المغرب أخرج أموالا كانت له ببلاد المغرب وأمر بسبكها أرحية كارحية الطواحين وأمر بها حين دخل الى مصر فألقيت على باب قصره وهي التى كان الناس يسمونها الجشرات ولم تزل على باب القصر الى أن كان زمن الغلاء في أيام الخليفة المستنصر بالله فلما ضاق بالناس الامر أذن لهم أن يبردوا منها ببمبارد فاتخذ الناس

بارد حادة وغرهم الطمع حتى ذهبوا بأكثرها فأمر بحمل الباقى الى القصر فلم تر بعد ذلك * وقال ابن ميسر ان المعز لما قدم الى القاهرة كان معه مائة جمل عليها الطواحين من الذهب وقال غيره كانت خمسمائة جمل على كل جمل ثلاثة ارحية ذهبا وانه عمل عضادتى الباب من تلك الارحية واحدة فوق اخرى فسمى باب الذهب

(جلوس الخليفة في الموالد بالمنظرة علو باب الذهب) قال ابن المأمون في أخبار سنة ست عشرة وخمسمائة وفي الثاني عشر من المحرم كان المولد الآمرى واتفق كونه في هذا الشهر يوم الخميس وكان قد تقرر أن يعمل أربعون صينية خشكنانج وحلوى وكعك وأطلق برسم المشاهد المحتوية على الضرائح الشريفة لكل مشهد سكر وعسل ولوز ودقيق وشيرج وتقدم بأن يعمل خمسمائة رطل حلوى وتفرق على المتصدرين والقراء والفقراء للمتصدرين ومن معهم في صحون وللفقراء على أرغفة السميذ ثم حضر في الليلة المذكورة القاضى والداعي والشهود وجميع المتصدرين وقراء الحضرة وفتحت الطاقات التي قبلي باب الذهب وجلس الخليفة وسلموا عليه ثم خرج متولى بيت المال بصندوق مختوم ضمنه عينا مائة دينار وألف وثمانمائة وعشرون درهما برسم أهل القرافة وساكنيها وغيرهم وفرقت الصوانى بعد ما حمل منها للخاص وزمام القصر ومتولى الدفتر خاصة والى دار الوزارة والاجلاء الاخوة والاولاد وكاتب الدست ومتولى حجبة الباب والقاضى والداعي ومفتي الدولة ومتولى دار العلم والمقرئين الخاص وأئمة الجوامع بالقاهرة ومصر وبقية الاشراف قال وخرج الآمر يعني في سنة سبع عشرة وخمسمائة باطلاق ما يخص المولد الآمرى برسم المشاهد الشريفة من سكر وعسل وشيرج ودقيق وما يصنع مما يفرق على المساكين بالجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وبالقرافة خمسة قناطير حلوى وألف رطل دقيق وما يعمل بدار الفطرة ويحمل للاعيان والمستخدمين من بعد القصور والدار المأمونية صينية خشكنانج وحضر القاضى والداعي والمستخدمون بدار العيد والشهود في عشية اليوم المذكور وقطع سلوك الطريق بين القصرين وجلس الخليفة فى المنظرة وقبلوا الارض بين يديه والمقرئون الخاص جميعهم يقرؤن القرآن وتقدم الخطيب وخطب خطبة وسع القول فيها وذكر الخليفة والوزير ثم حضر من أنشد وذكر فضيلة الشهر والمولود فيه ثم خرج متولى بيت المال ومعه صندوق من مال النجاوى خاصة مما يفرق على الحكم المتقدم ذكره قال واستهل ربيع الاول ونبدأ بما شرف به الشهر المذكور وهو ذكر مولد سيد الاولين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم لثلاث عشرة منه وأطلق ماهو برسم الصدقات من مال النجاوى خاصة ستة آلاف درهم ومن الاصناف من دار الفطرة أربعون صينية فطرة ومن الخزائن برسم المتولين والسدنة للمشاهد الشريفة التى بين الجبل والقرافة التى

فيها أعضاء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم سكر ولوز وعسل وشيرج لكل مشهد
وما يتولى تفرقته سنا الملك ابن ميسر أربعمائة ألف رطل حلاوة وألف رطل خبزا
قال وكان الافضل بن أمير الجيوش قد أبطل أمر الموالد الاربعة النبوى والعلوى
والفاطمى والامام الحاضر وما يهتم به وقدم العهد به حتى نسى ذكرها فأخذ الاستاذون
يجددون ذكرها للخليفة الآمر باحكام الله ويرددون الحديث معه فيها ويحسنون له
معارضة الوزير بسببها واعادتها واقامة الجوارى والرسوم فيها فأجاب الى ذلك وعمل
ما ذكر وقال ابن الطوير ذكر جلوس الخليفة فى الموالد الستة في تواريخ مختلفة وما
يطلق فيها وهى مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد أمير المؤمنين على بن أبي طالب
ومولد فاطمة عليها السلام ومولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام ومولد الخليفة
الحاضر ويكون هذا الجلوس في المنظرة التى هى أنزل المناظر وأقرب الي الارض قبالة
دار فخر الدين جهاركس والفندق المستجد فاذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الاول
تقدم بان يعمل في دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر اليابس حلواء يابسة من
طرائفها وتعبى في ثلثمائة صينية من النحاس وهو مولد النبى صلى الله عليه وسلم فتفرق
تلك الصواني في أرباب الرسوم من أرباب الرتب وكل صينية في قوارة من أول النهار الى
ظهره فأول أرباب الرسوم قاضى القضاة ثم داعى الدعاة ويدخل في ذلك القراء بالحضرة
والخطباء والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة وقومة المشاهد ولا يخرج ذلك مما يتعلق بهذا الجانب
بدعو يخرج من دفتر المجلس كما قدمناه فاذا صلي الظهر ركب قاضى القضاة والشهود بأجمعهم
الى الجامع الازهر ومعهم أرباب تفرقة الصوانى فيجلسون مقدار قراءة الختمة الكريمة
ثم يستدعى قاضي القضاة ومن معه فان كانت الدعوة مضافة اليه والاحضر الداعى معه بنقباء
الرسائل فيركبون ويسيرون الى أن يصلوا الى آخر المضيق من السيوفيين قبل الابتداء
بالسلوك بين القصرين فيقفون هناك وقد سلكت الطريق على السالكين من الركن المخلق
ومن سويقة أمير الجيوش عند الحوض هناك وكنست الطريق فيما بين ذلك ورشت بالماء
رشا خفيفا وفرش تحت المنظرة المذكورة بالرمل الاصفر ثم يستدعى صاحب الباب
من دار الوزارة ووالى القاهرة ماض وعائد لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظر
الخليفة فيكون بروز صاحب الباب من الركن المخلق هو وقت استدعاء القاضي ومن معه
من مكان وقوفهم فيقربون من المنظرة ويترجلون قبل الوصول اليها بخطوات فيجتمعون
تحت المنظرة دون الساعة الزمانية بسمت وتشوف لانتظار الخليفة فتفتح احدى الطاقات
فيظهر منها وجهه وما عليه من المنديل وعلى رأسه عدة من الاستاذين المحنكين وغيرهم
من الخواص منهم ويفتح بعض الاستاذين طاقة ويخرج منها رأسه ويده اليمنى في كمه ويشير

به قائلا أمير المؤمنين يرد عليكم السلام فيسلم بقاضي القضاة أولا بنعوته وبصاحب الباب بعده كذلك وبالجماعة الباقية جملة جملة من غير تعيين احد فيستفتح قراء الحضرة بالقراءة ويكونون قياما في الصدر وجوههم للحاضرين وظهورهم الى حائط المنظرة فيقدم خطيب الجامع الانور المعروف بجامع الحاكم فيخطب كما يخطب فوق المنبر الى أن يصل الى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيقول وان هـذا يوم مولده الى ما من الله به على ملة الاسلام من رسالته ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة ثم يؤخر ويقدم خطيب الجامع الازهر فيخطب كذلك ثم خطيب الجامع الأقمر فيخطب كذلك والقراء في خلال خطابة الخطباء يقرؤن فاذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الاستاذ رأسه ويده في كمه من طاقته ورد على الجماعة السلام ثم تغلق الطاقتان فتنفض الناس ويجري أمر الموالد الخمسة الباقية على هـذا النظام الى حين فراغها على عدتها من غير زيادة ولا نقص انتهى وهـذا الباب صار بعد زوال الدولة الفاطمية يقابل دار الامير فخر الدين جهاركس الصلاحى التى عرفت بعد ذلك بالدار القطبية وهي الآن المارستان المنصورى وصار موضع هـذا الباب محراب مدرسة الظاهر ركن الدين بيبرس

(باب البحر) هو من انشاء الحاكم بأمر الله أبي على منصور وهدم في أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري وشوهد فيه أمر عجيب * قال جامع السيرة الظاهرية لما كان يوم عاشوراء يعني من سنة اثنتين وسبعين وستمائة رسم بنقض علو أحد أبواب القصر المسمى بباب البحر قبالة المدرسة دار الحديث الكاملية لاجل نقل عمد فيه لبعض العمائر السلطانية فظهر صندوق في حائط مبني عليه فللوقت أحضرت الشهود وجماعة كثيرة وفتح الصندوق فوجد فيه صورة من نحاس أصفر مفرغ على كرسي شبه الهرم ارتفاعه قدر شبر له أربعة أرجل تحمل الكرسى والصنم جالس متوركا وله يدان مرفوعتان ارتفاعا جيداً يحمل صحيفة دورها قدر ثلاثة أشبار وفى هذه الصحيفة أشكال ثابتة وفي الوسط صورة رأس بغير جسد ودائره مكتوب كتابة بالقبطي وبالقلفطيريات والى جانبها في الصحيفة شكل له قرنان يشبه شكل السنبلة والى الجانب الآخر شكل آخر وعلى رأسه صليب والآخر في يده عكاز وعلى رأسه صليب وتحت أرجلهم أشكال طيور وفوق رؤس الاشكال كتابة ووجد مع هـذا الصنم فى الصندوق لوح من ألواح الصبيان التى يكتبون فيها بالمكاتب مدهون وجهه الواحد أبيض ووجهه الواحد أحمر وفيه كتابة قـد تكشط أكثرها من طول المدة وقـد بلى اللوح وما بقيت الكتابة تلتئم ولا الخط يفهم وهـذا نص ما فيه وأخليت مكان كتابته التى تكشطت وأما الوجه الابيض فهو مكتوب بقلم الصحيفة القبطى والمكتوب في الوجـه الاحمر على هذه الصورة السطر الاول بقى منـه مكتوبا

الاسكندر السطر الثاني الارض وهبها له السطر الثالث وجرب لكل السطر الرابع أصحاب السطر الخامس وهو بحرس السطر السادس واحترازه بقوة السطر السابع الملك مرجو وابواب السطر الثامن غير بيته سبعة السطر التاسع عالم حكيم عالم في عقله السطر العاشر وصفها فلا تفسد السطر الحادى عشر طارد كل سوء والذى صاغها النساء السطر الثاني عشر سد أيضا كل آثار اسدية بيبرس وهى احد السطر الثالث عشر بيبرس ملك الزمان والحكمة كلمة الله عز وجل هذا صورة ما وجد في اللوح مما بقى من الكتابة والبقية قد تكشط وقيل ان هذا اللوح بخط الخليفة الحاكم وأعجب ما فيه اسم السلطان وهو بيبرس ولما شاهد السلطان ذلك أمر بقراءته فعرض على قراء الاقلام فقرئ وذلك بالقلم القبطى ومضمونه طلسم عمل للظاهرين الحاكم واسم أمه رصد وفيه أسماء الملائكة وعزائم ورقى وأسماء روحانية وصور ملائكة أكثره حرس لديار مصر وثغورها وصرف الاعداء عنها وكفهم عن طروقهم اليها وابتهال الى الله تعالى بأقسام كثيرة لحماية الديار المصرية وصونها من الاعداء وحفظها من كل طارق من جميع الاجناس وتضمن هذا الطلسم كتابة بالقلفطيريات وأوفاقا وصورا وخواص لايعلمها الا الله تعالى وحمل هذا الطلسم الى السلطان وبقى في ذخائره قال ورأيت فى كتاب عتيق رث سماه مصنفه وصية الامام العزيز بالله والد الامام الحاكم بأمر الله لولده المذكور وقد ذكر فيه الطلسمات التي على أبواب القصر ومن جملتها أن أول البروج الحمل وهو بيت المريخ وشرف الشمس وله القوة على جميع سلطان الفلك لانه صاحب السيف واسفهسلارية العسكر بين يدى الشمس الملك وله الامر والحرب والسلطان والقوة والمستولى لقوة روحانيته على مدينتنا وقد أقمنا طلسما لساعته ويومه لقهر الاعداء وذل المنافقين في مكان أحكمناه على اشرافه عليه والحصن الجامع لقصر مجاور ألاول باب بنيناه هذا نص مارأيته انتهى ولعل معنى كتابة بيبرس فى هذا اللوح اشارة الى ان هدم هذا الباب يكون على زمان بيبرس فان القوم كانت لهم معارف كثيرة وعنايتهم بهذا الفن وافرة كبيرة والله أعلم وموضع باب البحر هذا اليوم يعرف بباب قصر بشتاق قبالة المدرسة الكاملية

(باب الريح) كان على ماأدركته تجاه سور سعيد السعداء على يمنة السالك من الركن المخلق الى رحبة باب العيد وكان بابا مربعاً يسلك فيه من دهليز مستطيل مظلم الى حيث المدرسة السابقية ودار الطواشى سابق الدين وقصر أمير السلاح وينتهي الى مابين القصرين تجاه حمام البيسرى وعرف هذا الباب في الدولة الايوبية بباب قصر ابن الشيخ وذلك أن الوزير الصاحب معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب كان يسكن بالقصر الذى في داخل هذا الباب ثم قيل له في زمننا باب القصر وكان

على حاله له عضادتان من حجارة ويعلوه أسكفة حجر مكتوب فيها نقرا في الحجر عدة أسطر بالقلم الكوفي لم يتهيأ لى قراءة مافيها وكان دهليز هذا الباب عريضا تجاوز عرضه فيما أقدر العشرة أذرع في طول كبير جدا و يعلو هذا الباب دور للسكنى تشرف على الطريق ومازال على ذلك الى أن أنشأ الامير الوزير المشير جمال الدين يوسف الاستادار مدرسته برحبة باب العيد واغتصب لها أملاك الناس وكان مما اغتصب مابجوار المدرسة المذكورة من الحوانيت والرباع التى فوقها وما جاور ذلك وهدمها ليبنيها على مايريد فهدم هذا الباب فى صفر سنة احدى عشرة وثمانمائة وبنى فى مكانه ومكان الدهليز المظلم الذى كان ينتهى بالسالك فيه من هذا الباب الى المدرسة السابقية هذه القيسارية الكبيرة ذات الحوانيت والسقيفة والابواب الجديدة ودخل فيها بعض مما كان بجانبي هذا الباب من الحوانيت وعلوها ولما هدم هذا الباب ظهر فى داخل بنيانه شخص و بلغني ذلك فسرت الى الأمير المذكور وكان بينى وبينه صحبة لاشاهد هذا الشخص المذكور والتمست منه احضاره فأخبرنى أنه أحضر اليه شخص من حجارة قصير القامة احدى عينيه أصغر من الاخرى فقلت لابد لى من مشاهدته فأمر باحضاره الموكل بالعمارة وأنا معه اذ ذاك في موضع الباب وقد هدم ما كان فيه من البناء فذكر أنه رماه بين أحجار العمارة وأنه تكسر وصار فيما بينها ولا يستطيع تمييزه منها فأغلظ عليه وبالغ في الفحص عنه فأعياهم احضاره فسألت الرجل حينئذ عنه فقال لى انهم لما انتهوا في الهدم الى حيث كان هذا الشخص اذا بدائرة فيها كتابة وبوسطها شخص قصير صغير احدي العينين من حجارة وهذه كانت صفة جمال الدين فانه كان قصير القامة احدى عينيه أصغر من الاخرى ويشبه والله أعلم أن يكون قد عين فى تلك الكتابة التى كانت حول الشخص أن هذا الباب يهدمه من هذه صفته كما وجد في باب البحر اسم بيبرس الذى هدم على يديه وبأمره وقد ظفر جمال الدين هذا بأموال عظيمة وجدها في داخل هذا القصر لما أنشأ داره الاولى في الحدرة من داخل هذا الباب فى سنة ست وتسعين وسبعمائة وكان لكثرة هذا المال لايستطيع كتمانه ومن شدة خوفه يومئذ من الظاهر برقوق أن يظهر عليه لايقدر أن يصرح به فكان يقول لاصحابه وخواصه وجدت فى هذا المكان سبعين قفة من حديد أخبرنى اثنان رئيسان من أعيان الدولة عنه أنه قال لهما هذا القول وكنت اذ ذاك أيام عمارته لهذه القاعة أتردد لشيخنا سراج الدين عمر بن الملقن رحمه الله تعالى بالمدرسة السابقية وبها كان يسكن فتعرفت بجمال الدين منه وكان يومئذ من عرض الجند ويعرف باستادار نحاس فاشتهر هناك أنه وجد حال هدمه وعمارته القاعة والرواق بالحدرة مكانا مبنيا تحت الارض مبيض الحيطان فيه مال فما كان عندى شك أنه من أموال خبايا الفاطميين فانه قد ذكر غير واحد من الاخباريين أن السلطان صلاح الدين لما استولى

على القصر بعد موت العاضد لم يظفر بشيء من الخبايا وعاقب جماعة فلم يوقفوه على أمرها

(باب الزمرذ) سمى بذلك لانه كان يتوصل منه الى قصر الزمرذ وموضعه الآن المدرسة الحجازية بخط رحبة باب العيد

(باب العيد) هذا الباب مكانه اليوم فى داخل درب السلامى بخط رحبة باب العيد وهو عقد محكم البناء ويعلوه قبة قد عملت مسجدا وتحتها حانوت يسكنه سقاء ويقابله مصطبة وأدركت العامة وهم يسمون هذه القبة بالقاهرة ويزعمون أن الخليفة كان يجلس بها ويرخي كمه فتأتى الناس وتقبله وهذا غير صحيح وقيل لهذا الباب باب العيد لان الخليفة كان يخرج منه فى يومي العيد الى المصلى بظاهر باب النصر فيخطب بعد أن يصلي بالناس صلاة العيد كما ستقف عليه عند ذكر المصلى ان شاء الله تعالى وفي سنة احدى وستين وستمائة بنى الملك الظاهر بيبرس خانا للسبيل بظاهر مدينة القدس ونقل اليه باب العيد هذا فعمله بابا له وتم بناؤه في سنة اثنتين وستين

(باب قصر الشوك) وهو الذى كان يتوصل منه الى قصر الشوك وموضعه الآن تجاه حمام عرفت بحمام الايدمرى ويقال لها اليوم حمام يونس عند موقف المكارية بجوار خزانة البنود على يمنة السالك منها الى رحبة الايدمرى وهو الآن زقاق ينتهى الى بئر يسقى منها بالدلاء ويتوصل من هناك الى المارستان العتيق وغيره وأدركت منه قطعة من جانبه الايسر

(باب الديلم) وكان يدخل منه الى المشهد الحسيني وموضعه الآن درج ينزل منها الى المشهد تجاه الفندق الذى كان دار الفطرة ولم يبق لهذا الباب أثر ألبتة

(باب تربة الزعفران) مكانه الآن بجوار خان الخليلى من بحريه مقابل فندق المهمندار الذى يدق فيه ورق الذهب وقد بنى بأعلاه طبقة ورواق ولا يكاد يعرفه كثير من الناس وعليه كتابة بالقلم الكوفي وهذا الباب كان يتوصل منه الى تربة القصر المذكورة فيما تقدم

(باب الزهومة) كان في آخر ركن القصر مقابل خزانة الدرق التى هى اليوم خان مسرور وقيل له باب الزهومة لان اللحوم وحوائج الطعام التى كانت تدخل الى مطبخ القصر الذى للحوم انما يدخل بها من هذا الباب فقيل له باب الزهومة يعني باب الزفر وكان تجاهه أيضاً درب السلسلة الآتى ذكره ان شاء الله تعالى وموضعه الآن باب قاعة الحنابلة من المدارس الصالحية تجاه فندق مسرور الصغير ومن بعد باب الزهومة المذكور باب الذهب الذى تقدم ذكره فهذه أبواب القصر الكبير التسعة

(ذكر المنحر)

وكان بجوار هذا القصر الكبير المنحر وهو الموضع الذى اتخذه الخلفاء لنحر الاضاحي

في عيد النحر وعيد الغدير وكان تجاه رحبة باب العيد وموضعه الآن يعرف بالدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس وصار موضعه ما في داخل هذا الدرب من الدور والطاحون وغيرها وظاهره تجاه رأس حارة برجوان يفصل بينه وبين حارة برجوان الحوانيت التي تقابل باب الحارة ومن جملة المنحر الساحة العظيمة التي عملت لها خوند بركة ام السلطان الملك الاشرف شعبان بن حسين البوابة العظيمة بخط الركن المخلق بجوار قيسارية الجلود التي عمل فيها حوانيت الاساكفة وكان الخليفة اذا صلى صلاة عيد النحر وخطب ينحر بالمصلى ثم يأتي المنحر المذكور وخلفه المؤذنون يجهرون بالتكبير ويرفعون أصواتهم كلما نحر الخليفة شيأ وتكون الحربة في يد قاضى القضاة وهو بجانب الخليفة ليناوله اياها اذا نحر واول من سن منهم اعطاء الضحايا وتفرقتها في اولياء الدولة على قدر رتبهم العزيز بالله نزار *(ما كان يعمل في عيد النحر)* قال المسيحى وفي يوم عرفة يعنى من سنة ثمانين وثلثمائة حمل يانس صاحب الشرطة السماط وحمل أيضا علىّ بن سعد المحتسب سماطا آخر وركب العزيز بالله يوم النحر فصلى وخطب على العادة ثم نحر عدة نوق بيده وانصرف الى قصره فنصب السماط والموائد وأكل ونحر بين يديه وأمر بتفرقة الضحايا على اهل الدولة رذكر مثل ذلك في باقي السنين وقال ابن المأمون فى عيد النحر من سنة خمس عشرة وخمسمائة وأمر بتفرقة عيد النحر والهبة وجملة العين ثلاثة آلاف وثلثمائة وسبعون دينارا ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع برسم الامراء المطوقين والاستاذين المحنكين وكاتب الدست ومتولى حجبة الباب وغيرهم من المستخدمين وعدة ما ذبح ثلاثة ايام النحر في هذا العيد وعيد الغدير ألفان وخمسمائة وأحد وستون رأسا تفصيله نوق مائة وسبعة عشر رأسا بقر أربعة وعشرون رأسا جاموس عشرون رأسا هذا الذى ينحره ويذبحه الخليفة بيده في المصلى والمنحر وباب الساباط ويذبح الجزارون من الكباش ألفين وأربعمائة رأس والذى اشتملت عليه نفقات الاسمطة في الايام المذكورة خارجا عما يعمل بالدار المأمونية من الاسمطة وخارجا عن اسمطة القصور عند الحرم وخارجا عن القصور الحلواء والقصور المنفوخ المصنوعة بدار الفطرة ألف وثلثمائة وستة وعشرون دينارا وربع وسدس دينار ومن السكر برسم القصور والقطع المنفوخ أربعة وعشرون قنطارا تفصيله عن قصرين في اول يوم خاصة اثنا عشر قنطارا المنفوخ عن ثلاثة الايام اثنا عشر قنطارا وقال في سنة ست عشرة وخمسمائة وحضر وقت تفرقة كسوة عيد النحر ووصل ما تأخر فيها بالطراز وفرقت الرسوم على من جرت عادته خارجا عما أمر به من تفرقة العين المختص بهذا العيد وأضحيته وخارجا عما يفرق على سبيل المناخ ومن باب الساباط مذبوحا ومنحورا ستمائة دينار وسبعة عشر دينارا وفي التاسع من ذى الحجة جلس الخليفة الآمر باحكام الله على سرير الملك وحضر الوزير واولاده وقاموا بما يجب

من السلام واستفتح المقرئون وتقدم حامل المظلة وعرض ما جرت عادته من المظال الخمسة التي جميعها مذهب وسلم الامراء على طبقاتهم وختم المقرئون وعرضت الدواب جميعها والعماريات والوحوش وعاد الخليفة الى محله فلما أسفر الصبح خرج الخليفة وسلم على من جرت عادته بالسلام عليه ولم يخرج شيء عما جرت به العادة في الركوب والعود وغير الخليفة ثيابه ولبس ما يختص بالنحر وهي البدلة الحمراء بالشدة التي تسمى بشدة الوقار والعلم الجوهر في وجهه بغير قضيب ملك في يده الى أن دخل المنحر وفرشت الملاءة الديبقي الحمراء وثلاث بطائن مصبوغة حمر ليتقي بها الدم مع كون كل من الجزارين بيده مكبة صفصاف مدهونة يابقي بها الدم عن الملاءة وكبر المؤذنون ونحر الخليفة أربعا وثلاثين ناقة وقصد المسجد الذي آخر صف المنحر وهو مغلق بالشروب والفاكهة المعباة فيه بمقدار ما غسل يديه ثم ركب من فوره وجملة ما نحره وذبحه الخليفة خاصة في المنحر وباب الساباط دون الاجل الوزير المأمون وأولاده واخوته في ثلاثة الايام ما عدته ألف وتسعمائة وستة وأربعون رأسا تفصيله نوق مائة وثلاث عشرة ناقة نحر منها في المصلى عقيب الخطبة ناقة وهي التي تهدى وتطلب من آفاق الارض للتبرك بلحمها ونحر في المناخ مائة ناقة وهي التي يحمل منها للوزير وأولاده واخوته والامراء والضيوف والاجناد والعسكرية والمميزين من الراجل وفي كل يوم يتصدق منها على الضعفاء والمساكين بناقة واحدة وفي اليوم الثالث من العيد تحمل ناقة منحورة للفقراء في القرافة وينحر في باب الساباط ما يحمل الى من حوته القصور والى دار الوزارة والى الاصحاب والحواشي اثنتا عشرة ناقة وثماني عشرة بقرة وخمس عشرة جاموسة ومن الكباش ألف وثمانمائة رأس ويتصدق كل يوم في باب الساباط بسقط ما يذبح من النوق والبقر وأما مبلغ المنصرف على الاسمطة في ثلاثة الايام خارجا عن الاسمطة بالدار المأمونية فألف وثلثمائة وستة وعشرون دينارا وربع وسدس دينار ومن السكر برسم قصور الحلاوة والقطع المنفوخ المصنوعة بدار الفطرة خارجا عن المطابخ ثمانية وأربعون قنطارا * وقال ابن الطوير فاذا انقضى ذو القعدة وأهل ذو الحجة اهتم بالركوب في عيد النحر وهو يوم عاشره فيجرى حاله كما جرى فى عيد الفطر من الزى والركوب الى المصلى ويكون لباس الخليفة فيه الاحمر الموشح ولا يخرم منه شيء وركوبه ثلاثة أيام متوالية فأولها يوم الخروج الى المصلى والخطابة كعيد الفطر وثاني يوم وثالثه الى المنحر وهو المقابل لباب الريح الذي في ركن القصر المقابل لسوردار سعيد السعداء الخانقاه اليوم وكان براحا خاليا لا عمارة فيه فيخرج من هذا الباب الخليفة بنفسه ويكون الوزير واقفا عليه فيترجل ويدخل ماشيا بين يديه بقربه هذا بعد انفصالهما من المصلى ويكون قد قيد الى هذا المنحر احد وثلاثون فصيلا وناقة أمام مصطبة مفروشة يطلع عليها الخليفة والوزير

ثم اكابر الدولة وهو بين الاستاذين المحنكين فيقدم الفراشون له الى المصطبة رأساويكون بيده حربة من رأسها الذى لا سنان فيه ويد قاضى القضاة فى اصل سنانها فيجعله القاضى فى نحر النحيرة ويطعن بها الخليفة وتجر من بين يديه حتي يأتي على العدة المذكورة فأول نحيرة هى التى تقدد وتسير الى داعى اليمن وهو الملك فيـه فيفرقها على المعتقدين من وزن نصف درهم الى ربع درهم ثم يعمل ثاني يوم كذلك فيكون عـدد ما ينحر سبعـا وعشرين ثم يعمل في اليوم الثالث كذلك وعدة ما ينحر ثلاث وعشرون هـذا وفي مدة هذه الايام الثلاثة يسير رسم الاضحية الى ارباب الرتب والرسوم كما سيرت الغرة فى اول السنة من الدنانير بغير رباعية ولا قراريط على مثال الغرة من عشرة دنانير الى دينار وأما لحم الجزور فانه يفرق في أرباب الرسوم للتبرك فى أطباق مع ادوان الفراشين وا كثر ذلك تفرقة قاضى القضاة وداعى الدعاة للطلبة بدار العلم والمتصدرين بجوامع القاهرة ونقباء المؤمنين بهـا من الشيعة للتبرك فاذا انقضى ذلك خلع الخليفة على الوزير ثيابه الحمر التى كانت عليه ومنديلا آخر بغير السمة والعقد المنظوم من القصر عند عود الخليفة من المنحر فيركب الوزير من القصر بالخلع المذكورة شاقا القاهرة فاذا خرج من باب زويلة انعطف على يمينه سالـكا على الخليج فيدخل من باب القنطرة الى دار الوزارة وبذلك انفصال عيد النحر * وقال ابن أبي طي" عدة ما يذبح في هـذا العيد في ثلاثة ايام النحر وفي يوم عيد الغدير ألفان وخمسمائة وأحد وستون رأسا تفصيله نوق مائة وسبعة عشر رأسابقرأربعة وعشرون رأسا جاموس عشرون رأسا هـذا الذى ينحره الخليفة ويذبحه بيده فى المصلى والمنحر وباب الساباط ويذبح الجزارون بين يديه من الكباش ألفا وأربعمائة رأس * وقال ابن عبد الظاهر كان الخليفة ينحر بالمنحر مائة رأس ويعود الى خزانة الـكسوة فيغير قماشه ويتوجه الى الميدان وهو الخرنشف بباب الساباط للنحر والذبح ويعود بعد ذلك الى الحمام ويغير ثيابه للجلوس على الاسمطة وعـدة ما يذبحه ألف وسبعمائة وسـتة وأربعون رأسـا مائة وثلاث عشرة ناقة والباقي بقر وغنم * قال ابن الطوير وثمن الضحايا على ما تقرر ما يقرب من ألفي دينار وكانت تخرج المخلقات الى الاعمـال بشائر بركوب الخليفة في يوم عيد النحر فمما كتب به الاستاذ البارع ابو القسم على" بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي المنعوت بتاج الرياسة أما بعد فالحمد لله الذى رفع منار الشرع وحفظ نظامه • ونشر راية هذا الدين وأوجب اعظامه • وأطلع بخلافة أميرالمؤمنين كواكب سعوده • وأظهر للمؤلف والمخالف عزة أحزابه وقوة جنوده • وجعل فرعه ساميا ناميا وأصله ثابتا راسخا • وشرفه على الاديان بأسرها وكان لعراها فاصما ولا حكامها ناسخا • يحمده أمير المؤمنين أن ألزم طاعته الخليقة • وجعل كراماته الاسباب الجديرة بالامارة الخليقة • ويرغب اليه فى الصلاة على

جده محمد الذى حاز الفخار أجمعه • وضمن الجنة لمن آمن به واتبع النور الذي أنزل معه •
ورفعه الى أعلى منزلة تخيرله منها المحل • وأرسله بالهدى ودين الحق فزهق الباطل وخمدت
ناره واضمحل • صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن أبي طالب خير
الامة وامامها • وحبر الملة وبدر تمامها • والموفي يومه في الطاعات على ماضى أمسه • ومن أقامه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المباهلة مقام نفسه • واختصه بأبعد غاية في سورة براءة
فنادى في الحج بأولها ولم يكن غيره ينفذ نفاذه ولا يسد مكانه • لانه قال لا يبلغ عنى الا رجل
من أهل بيتى عملا في ذلك بما أمر الله به سبحانه • وعلى الأئمة من ذريتهما خلفاء الله في أرضه •
والقائمين في سياسة خلقه • بصريح الايمان ومحضه • والمحكمين من أمر الدين ما لا وجه لحله
ولا سبيل الى نقضه • وسلم عليهم أجمعين سلاما يتصل دوامه • ولا يخشى انصرامه • ومجد وكرم •
وشرف وعظم • وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الاحد عيد النحر من سنة ست
وثلاثين وخمسمائة الذى تبلج فجره عن سيئات محصت • ونفوس من آثار الذنوب خلصت •
ورحمة امتدت ظلالها وانتشرت • ومغفرة هنأت ونشرت • وكان من خبرهذا اليوم أن أمير
المؤمنين برز لكافة من بحضرته من اوليائه • متوجها لقضاء حق هذا العيد السعيد وأدائه •
في عترة راسخة قواعدها متمكنة • وعساكر جمة تضيق عنها ظروف الامكنة • ومواكب
تتوالى كتوالى السيل • وتهاب هيبة مجيئه فى الليل • بأسلحة تحسر لها الابصار وتبرق • وترتاع
الافئدة منها وتفرق • فمن مشرفي اذا وردتورد • ومن سمهرى اذا قصد تقصد • ومن عمد اذا عمدت •
تبرأت المغافر من ضمانها • ومن قسى أذا ارسلت بنانها وصلت الى القلوب بغير استئذانها •
ولم يزل سائرا فى هدى الامامة وأنوارها • وسكينة الخلافة ووقارها • الى أن وصل الى المصلى
قدام المحراب • وأدى الصلاة اذ لم يكن بينه وبين التقبيل حجاب • ثم علا المنبر فاستوى على
ذروته • ثم هلل الله وكبر وأثنى على عظمته • وأحسن الى الكافة ببليغ موعظته • وتوجه
الى ما أعد من البدن فنحره تكميلا لقربته • وانتهى فى ذلك الى ما أمر الله عز وجل وعاد
الى قصوره المكرمة • ومنازله المقدسة • قد رضى الله عمله • وشكر فعله وتقبله • أعلمك أمير
المؤمنين بذلك لتشكر الله على النعمة فيه • وتذيعه قبلك على الرسم مما تجاريه • فاعلم هذا واعمل
به ان شاء الله تعالى

(ذكر دار الوزارة الكبرى)

وكان بجوار هذا القصر الكبير الشرقي تجاه رحبة باب العيد دار الوزارة الكبرى
ويقال لها الدار الافضلية والدار السلطانية * قال ابن عبد الظاهر دار الوزارة بناها بدر
الجمالى أمير الجيوش ثم لم يزل يسكنها من يلى امرة الجيوش الى أن انتقل الامر عن
المصريين وصار الى بني أيوب فاستقر سكن الملك الكامل بقلعة الجبل خارج القاهرة وسكنها

السلطان الملك الصالح ولده ثم أرصدت دار الوزارة لمن يرد من الملوك ورسل الخليفة الى هذا الوقت وكانت دار الوزارة قديما تعرف بدار القباب وأضافهـا الافضل الى دور بني هريسة وعمرها دارا وسماها دار الوزارة انتهى والذي تدل عليه كتب ابتياعات الاملاك القديمة التي بتلك الخطة أنها من بناء الافضل لا من عمارة ابيه بدر والدار التي عمرها أمير الجيوش بدر هي داره بحارة برجوان التي قيل لها دار المظفر وما زال وزراء الدولة الفاطمية أرباب السيوف من عهد الافضل بن أمير الجيوش يسكنون بدار الوزارة هـذه الى أن زالت الدولة فاستقر بها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب وابنه من بعده الملك العزيز عثمان ثم ابنه الملك المنصور ثم الملك العادل ابو بكر بن ايوب ثم ابنه الملك الكامل وصاروا يسمونها الدار السلطانية وأول من انتقل عنها من الملوك وسكن بالقلعة الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن ايوب وجعلها منزلا للرسل فلما ولى قطز سلطنة ديار مصر وتلقب بالملك العادل في سنة سبع وخمسين وستمائة وحضر اليه البحرية وفيهم بيبرس البند قدارى وقلاون الالفى من الشام خرج الملك العادل قطز الى لقائهم وأنزل الامير ركن الدين بيبرس بدار الوزارة فلم يزل بها حتى سافر صحبة قطز الى الشام وقتله وعاد الى مصر فتسلطن وسكن بقلعة الجبل * وفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة لما قتل الاشرف خليل بن قلاون في واقعة بيدرا ثم قتل بيدرا وأجلس الملك الملك الناصر محمد على تخت الملك وثارت الاشرفية من المماليك على الامراء وقتل من قتل منهم خاف بقية الامراء من شر المماليك الاشرفية فقبض منهم على نحو الستمائة مملوك وأنزل بهم من القلعة وأسكن منهم نحو الثلثمائة بدار الوزارة وأسكن منهم كثير في مناظر الكبش وأجريت عليهم الرواتب ومنعوا من الركوب الى أن كان من أمرهم ما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب * ولما كانت سنة سبعمائة أخذ الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب السلطنة في ايام الملك المنصور حسام الدين لاجين قطعة من دار الوزارة فبنى بها الربع المقابل خانقاه سعيد السعداء ثم بني المدرسة المعروفة بالقراسنقرية ومكتب الايتام فلما كانت دولة البرجية بني الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الخانقاه الركنية والرباط بجانبها من جملة دار الوزارة وذلك في سنة تسع وسبعمائة ثم استولى الناس على مابقى من دار الوزارة وبنوا فيها فمن حقوقها الربع تجاه الخانقاه الصلاحية دار سعيد السعداء والمدرسة القراسنقرية وخانقاه ركن الدين بيبرس وما بجوارها من دار قزمان ودار الامير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير المعروفة بدار خوند طولوباى الناصرية جهة الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون وحمام الاعسر التي بجانبها والحمام المجاورة لها وما وراء هـذه الاماكن من الآدر وغيرها وهي الفرن والطاحون التي قبلي

المدرسة القراسنقرية ومن الآدر والخربة التى قبلى ربع قراسنقر وما جاور باب سر المدرسة القراسنقرية من الآدر وخربة أخرى هناك والدار الكبرى المعروفة بدار الامير سيف الدين بلغي الصغير صهر الملك المظفر بيبرس الجاشنكير المعروفة اليوم بدار الغزاوى وفيها السرداب الذى كان رزيك بن الصالح رزيك فتحه فى أيام وزاته من دار الوزارة الى سعيد السعداء وهو باق الى الآن فى صدر قاعتها وذكر أن فيه حية عظيمة ومن حقوق دار الوزارة المناخ المجاور لهذه القاعة وكان على دار الوزارة سور مبني بالحجارة وقد بقي الآن منه قطعة في حد دار الوزارة الغربى وفي حدها القبلى وهو الجدار الذى فيه باب الطاحون والساقية تجاه باب سعيد السعداء من الزقاق الذى يعرف اليوم بخرائب تتر ومنه قطعة في حدها الشرقى عند باب الحمام والمستوقد بباب الجوانية وكان بدار الوزارة هذا الشباك الكبير المعمول من الحديد في القبة التى دفن تحتها بيبرس الجاشنكير من خانقاهه وهو الشباك الذى يقرأ فيه القراء وكان موضوعا في دار الخلافة ببغداد يجلس فيه الخلفاء من بنى العباس فلما استولى الامير أبو الحرث البساسيرى على بغداد وخطب فيها للخليفة المستنصر بالله الفاطمى أربعين جمعة وانتهب قصر الخلافة وصار الخليفة القائم بأمر الله العباسى الى عانة وسير البساسيرى الاموال والتحف من بغداد الى المستنصر بالله بمصر في سنة سبع وأربعين وأربعمائة كان من جملة مابعث به منديل الخليفة القائم بأمر الله الذى عممه بيده في قالب من رخام قد وضع فيه كما هو حتى لاتتغير شدته ومع هذا المنديل رداءه والشباك الذى كان يجلس فيه ويتكئ عليه فاحتفظ بذلك الى أن عمرت دار الوزارة على يد الافضل بن أمير الجيوش فجعل هذا الشباك بها يجلس فيه الوزير ويتكئ عليه وما زال بها الى أن عمر الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الخانقاه الركنية وأخذ من دار الوزارة أنقاضا منها هذا الشباك فجعله في القبة وهو شباك جليل وأما العمامة والرداء فما زالا بالقصر حتى مات العاضد وتملك السلطان صلاح الدين ديار مصر فسيرهما في جملة مابعث من مصر الى الخليفة المستضيء بالله العباسى ببغداد ومعهما الكتاب الذى كتبه الخليفة القائم على نفسه وأشهد عليه العدول فيه أنه لاحق لبنى العباس ولاله من جملتهم في الخلافة مع وجود بنى فاطمة الزهراء عليها السلام وكان البساسيرى ألزمه حتى أشهد على نفسه بذلك وبعث بالاشهاد الى مصر فأنفذه صلاح الدين الى بغداد مع ماسير به من التحف التى كانت بالقصر وأخبرنى شيخ معمر يعرف بالشيخ على السعودى ولد فى سنة سبع وسبعمائة قال رأيت مرة وقد سقط من ظهر الرباط المجاور لخانقاه بيبرس من جملة مابقى من سور دار الوزارة جانب ظهرت منه علبة فيها رأس انسان كبير وعندى أن هذا الرأس من جملة رؤس الامراء البرقية الذين قتلهم ضرغام في أيام وزارته للعاضد بعد شاور فانه كان عمل الحيلة عليهم بدار

الوزارة وصار يستدعي واحدا بعد واحد الى خزانة بالدار ويوهم أنه يخلع عليهم فاذا صار واحد منهم في الخزانة قتل وقطع رأسه وذلك في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وكانت دار الوزارة فى الدولة الفاطمية تشتمل على عدة قاعات ومساكن وبستان وغيره وكان فيها مائة وعشرون مقسما للماء الذى يجرى فى بركها ومطابخها ونحو ذلك

(ذكر رتبة الوزارة وهيئة خلعهم ومقدار جاريهم وما يتعلق بذلك)

أما المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بديار مصر فانه لم يوقع اسم الوزارة على أحد فى أيامه وأول من قيل له الوزير فى الدولة الفاطمية الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله أبي منصور نزار بن المعز واليه تنسب الحارة الوزيرية كما ستقف عليه عند ذكر الحارات من هذا الكتاب فلما مات ابن كلس لم يستوزر العزيز بالله بعده أحدا وانما كان رجل يلى الوساطة والسفارة فاستقر في ذلك جماعة كثيرة بقية أيام العزيز وسائر أيام ابنه أبى على منصور الحاكم بأمر الله ثم ولى الوزارة أحمد بن على الجرجراى فى أيام الظاهر أبى هاشم على بن الحاكم وما زال الوزراء من بعده واحدا بعد واحد وهم أرباب أقلام حتى قدم أمير الجيوش بدر الجمالى * قال ابن الطوير وكان من زي هؤلاء الوزراء أنهم يلبسون المناديل الطبقيات بالاحناك تحت حلوقهم مثل العدول الآن وينفردون بلبس ثياب قصار يقال لها الذراريع واحدها ذراعة وهى مشقوقة أمام وجهه الى قريب من رأس الفؤاد بأزرار وعرى ومنهم من تكون أزراره من ذهب مشبك ومنهم من أزراره لؤلؤ وهذه علامة الوزارة ويحمل له الدواة المحلاة بالذهب ويقف بين يديه الحجاب وأمره نافذ فى أرباب السيوف من الاجناد وأرباب الاقلام وكان آخرهم الوزير ابن المغربي الذي قدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا ووزر للمستنصر وزير سيف ولم يتقدمه فى ذلك أحد انتهى وترتيب وزارته بأن تكون وزارته وزارة صاحب سيف بأن تكون الامور كلها مردودة اليه ومنه الى الخليفة دون سائر خدمه فعقد له هذا العقد وأنشئ له السجل ونعت بالسيد الاجل أمير الجيوش وهو النعت الذى كان لصاحب ولاية دمشق وأضيف اليه كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين وجعل القاضى والداعي نائبين عنه ومقلدين من قبله وكتب له في سجله وقد قلدك أمير المؤمنين جميع جوامع تدبيره وناط بك النظر في كل ماوراء سريره فباشر ماقلدك أمير المؤمنين من ذلك مدبرا للبلاد ومصلحاً للفساد ومدمرا أهل العناد وخلع عليه بالعقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق وزيد له الحنك مع الذؤابة المرخاة والطيلسان المقورزى قاضى القضاة وذلك في سنة سبع وستين وأربعمائة فصارت الوزارة من حينئذ وزارة تفويض ويقال لمتوليها أمير الجيوش وبطل اسم الوزارة فلما قام شاهنشاه بن أمير الجيوش من بعد أبيه ومات الخليفة المستنصر وأجلس ابن بدر

فى الخلافة احمد بن المستنصر ولقبه بالمستعلى صار يقال له الافضل ومن بعده صار من يتولى هذه الرتبة يتلقب به أيضا وأول من لقب بالملك منهم مضافا الى بقية الالقاب رضوان بن ولخشي عند ماوزر للحافظ لدين الله فقيل له السيد الاجل الملك الافضل وذلك في سنة ثلاثين وخمسمائة وفعل ذلك من بعده فتلقب طلائع بن رزيك بالملك المنصور وتلقب ابنه رزيك بن طلائع بالملك العادل وتلقب شاور بالملك المنصور وتلقب آخرهم صلاح الدين يوسف بن ايوب بالملك الناصر وصار وزير السيف من عهد أمير الجيوش بدر الى آخر الدولة هو سلطان مصر وصاحب الحل والعقد واليه الحكم في الكافة من الامراء والاجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية وهو الذى يولى أرباب المناصب الديوانية والدينية وصار حال الخليفة معه كما هو حال ملوك مصر من الاتراك اذا كان السلطان صغيرا والقائم بأمره من الامراء وهو الذى يتولى تدبير الامور كما كان الامير يلبغا الخاصكي مع الاشرف شعبان وكما ادركنا الامير برقوق قبل سلطنته مع ولدى الاشرف وكما كان الامير ايتمش مع الملك الناصر فرج بعد موت الظاهر برقوق * قال ابن أبي طي وكانت خلعهم يعني الخلفاء الفاطميين على الامراء الثياب الديبقى والعمائم القصب بالطراز الذهب وكان طراز الذهب والعمامة من خمسمائة دينار ويخلع على اكابر الامراء الاطواق الذهب والاسورة والسيوف المحلاة وكان يخلع على الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر * قال ابن الطوير وخلع عليه يعنى على امير الجيوش بدر الجمالى بالعقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق وزيد له الحنك مع الذؤابة المرخاة والطيلسان المقور زى قاضي القضاة وهذه الخلع تشابه خلع الوزراء وأرباب الاقلام في زمننا هذا غير أنه لقصور أحوال الدولة جعل عوض العقد الجوهر الذى كان للوزير ويفك بخمسة آلاف مثقال ذهبا قلادة من عنبر مغشوش يقال لها العنبرية ويتميز بها الوزير خاصة ويلبس أيضا الطيلسان المقور ويسمى اليوم بالطرحة ويشاركه فيها جميع أرباب العمائم اذا خلع عليهم فانه تكون خلعهم بالطرحة وترك أيضا اليوم من خلعة الوزير وغيره الذؤابة المرخاة وهى العذبة وصارت الآن من زى القضاة فقط وهجرها الوزراء ويشبه والله أعلم أن يكون وضعها في الدولة الفاطمية للوزير في خلعه اشارة الى أنه كبير أرباب السيوف والاقلام فانه كان مع ذلك يتقلد بالسيف وكذلك ترك في الدولة التركية من خلع الوزارة تقليد السيف لانه لا حكم له على أرباب السيوف ولما قام الافضل بن امير الجيوش خلع أيضا عليه بالسيف والطيلسان المقور وبعد الافضل لم يخلع على احد من الوزراء كذلك الى أن قدم طلائع بن رزيك ولقب بالملك الصالح عند ما خلع عليه للوزارة وجعل في خلعته السيف والطيلسان المقور * قال ابن المامون وفي يوم الجمعة ثانيه يعني ثاني ذى الحجة يعني سنة خمس عشرة وخمسمائة خلع على القائد ابن فاتك البطائحي من

الملابس الخاص الشريفة في فردكم مجلس الكعبة وطوق بطوق ذهب مرصع وسيف ذهب كذلك وسلم على الخليفة الامر باحكام الله وأمر الخليفة الاستاذين المحنكين بالخروج بين يديه وأن يركب من المكان الذى كان الافضل بن أمير الجيوش يركب منه ومشى فى ركابه القواد على عادة من تقدمه وخرج بتشريف الوزارة يعنى من باب الذهب ودخل من باب العيد راكبا وجرى الحكم فيه على ما تقدم للافضل ووصل الى داره فضاعف الرسوم وأطلق الهبات ولما كان يوم الاثنين خامس ذى الحجة اجتمع امراء الدولة لتقبيل الارض بين يدى الخليفة الآمر على العادة التى قررها مستجدة واستدعى الشيخ أبا الحسن بن أبي أسامة فلما حضر أمر باحضار السجل للاجل الوزير المأمون من يده فقبله وسلمه لزمام القصر وامر الخليفة الوزير المأمون بالجلوس عن يمينه وقرئ السجل على باب المجلس وهو اول سجل قرئ في هذا المكان وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالايوان ورسم للشيخ أبي الحسن أن ينقل النسبة للامراء والمحنكين من الامراء الى المأموني للناس أجمع ولم يكن أحد منهم ينتسب للافضل ولا لامير الجيوش وقدمت الدواة للمأمون فعلم في مجلس الخليفة وتقدمت الامراء والاجناد فقبلوا الارض وشكروا على هذا الاحسان وأمر الخليفة باحضار الخلع لحاجب الحجاب حسام الملك وطوق بطوق ذهب وسيف ذهب ومنطقة ذهب ثم امر بالخلع للشيخ أبي الحسن بن أبي أسامة باستمراره على ما بيده من كتابة الدست الشريف وشرفه بالدخول الى مجلس الخليفة ثم استدعى الشيخ أبا البركات بن أبي الليث وخلع عليه بدلة مذهبة وكذلك ابو الرضى سالم ابن الشيخ أبي الحسن وكذلك ابو المكارم أخوه وأبو محمد أخوهما ثم ابو الفضل بن الميدمى ووهبه دنانير كثيرة بحكم أنه الذى قرأ السجل وخلع على الشيخ أبي الفضائل بن أبي الليث صاحب دفتر المجلس ثم استدعى عدى الملك سعيد بن عماد الضيف متولى امور الضيافات والرسل الواصلين الى الحضرة من مجلس الافضل ولا يصل لعتبته أحد لا حاجب الحجاب ولا غيره سوى عدى الملك هذا فانه كان يقف من داخل العتبة وكانت هذه الخدمة في ذلك الوقت من أجل الخدم واكبرها ثم عادت من أهون الخدم وأقلها فعند ذلك قال القاضي ابو الفتح بن قادوس يمدح الوزير المأمون عند مثوله بين يديه وقد زيد في نعوته

قالوا أتاه النعت وهو السيد الـ * ـمأمون حقا والاجل الاشرف
ومغيث أمة احمد ومجيرها * ما زادنا شيأ على ما نعرف

قال ولما استمر حسن نظر المأمون للدولة وجميل أفعاله بلغ الخليفة الآمر باحكام الله فشكره وأثنى عليه فقال له المأمون ثم كلام يحتاج الى خلوة فقال الخليفة تكون فى هذا الوقت وأمر بخلو المجلس فعند ذلك مثل بين يدى الخليفة وقال له يا مولانا استأتانا الامر

صعب ومخالفته أصعب وما يتسع خلافه قدام امراء دولته وهو في دست خلافته ومنصب
آبائه وأجداده وما في قواى ما يرومه منى ويكفيني هذا المقدار وهيهات أن أقوم به والامر
كبير فعند ذلك تغير الخليفة وأقسم ان كان لى وزير غيرك وهو في نفسي من ايام الافضل
وهو مستمر على الاستعفاء الى أن بان له التغير في وجه الخليفة وقال ما اعتقدت أنك تخرج
عن أمرى ولا تخالفني فقال له المأمون عند ذلك لى شروط وأنا أذكرها فقال له مهما
شئت اشترط فقال له قد كنت بالامس مع الافضل وكان قد اجتهد في النعوت وحل المنطقة
فلم أفعل فقال الخليفة علمت ذلك في وقته قال وكان أولاده يكتبون اليه بما يعلمه مولاى
من كونى قد خنته في المال والاهل وما كان والله العظيم ذلك منى يوما قط ثم مع ذلك
معاداة الاهل جميعا والاجناد وارباب الطيالس والاقلام وهو يعطيني كل رقعة تصل اليه
منهم وما سمع كلام أحد منهم في فعند ذلك قال له الخليفة فاذا كان فعل الافضل معك ما ذكرته
ايش يكون فعلى انا فقال المأمون يعرفني المولى ما يأمر به وأمتثله بشرط أن لا يكون عليه
زائد فأول ما ابتدأ به أن قال أريد الاموال لا تجي الا بالقصر ولا تصل الكسوات من
الطراز والثغور الا اليه ولا تفرق الا منه وتكون أسمطة الاعياد فيه ويوسع في رواتب
القصور من كل صنف وزيادة رسم منديل الكم فعند ذلك قال له المأمون سمعا وطاعة
أما الكسوات والجباية من الاسمطة فما تكون الا بالقصور وأما توسعة الرواتب فما ثم من
يخالف الامر وأما زيادة رسم منديل الكم فقد كان الرسم في كل يوم ثلاثين دينارا
يكون في كل يوم مائة دينار ومولانا سلام الله عليه يشاهد ما يعمل بعد ذلك في الركوبات
وأسمطة الاعياد وغيرها في سائر الايام ففرح الخليفة وعظمت مسرته ثم قال المأمون أريد
بهذا مسطورا بخط امير المؤمنين ويقسم لى فيه بآبائه الطاهرين أن لا يلتفت لحاسد ولا
مبغض ومهما ذكر في يطلعني عليه ولا يأمر في بأمر سرا ولا جهرا يكون فيه ذهاب نفسي
وانحطاط قدري وهذه الايمان باقية الى وقت وفاتي فاذا توفيت تكون لاولادى ولمن أخلفه
بعدى فحضرت الدواة وكتب ذلك جميعه وأشهد الله تعالى في آخرها على نفسه فعند ما حصل
الخط بيد المأمون وقف وقبل الارض وجعله على رأسه وكان الخط بالايمان نسختين
احداهما في قصبة فضة قال فلما قبض على المأمون في شهر رمضان سنة تسع وعشرين
وخمسمائة أنفذ الخليفة الآمر باحكام الله يطلب الايمان فنفذ له التي في القصبة الفضة فخرقها لوقتها
وبقيت النسخة الاخرى عندى فعدمت فى الحركات التي جرت * وقال ابن ميسر في
حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة وفيها تشرف القائد ابو عبد الله محمد ابن الامير نور
الدولة أبي شجاع فاتك ابن الامير منجد الدولة أبي الحسن مختار المستنصرى المعروف
بابن البطائحي في الخامس من ذى الحجة وكان قبل ذلك عند الافضل استاداره وهو الذى

قدمه الى هذه المرتبة واستقرت نعوته في سجله المقرر على كافة الامراء والاجناد بالاجل
المأمون تاج الخلافة وجيه الملك فخر الصنائع ذخر امير المؤمنين ثم تجدد له من النعوت بعد
ذلك الاجل المأمون تاج الخلافة عز الاسلام فخر الانام نظام الدين والدنيا ثم نعت بما كان ينعت
به الافضل وهو السيد الاجل المأمون أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين
وهادى دعاة المؤمنين ولما كان يوم الثلاثاء التاسع من ذى الحجة وهو يوم الهناء بعيد
النحر جلس المأمون في داره عند أذان الصبح وجاء الناس لخدمته للهناء على طبقاتهم من
أرباب السيوف والاقلام ثم الامراء والاستاذون المحنكون والشعراء بعدهم فركب الى
القصر وأتى باب الذهب فوجد المرتبة المختصة بالوزارة قد هيئت له في موضعها الجارى
به العادة وأغلق الباب الذى عندها على الرسم المعتاد لوزراء السيوف والاقلام وهذا الباب
يعرف بباب السرداب فعند ما شاهد الحال في المرتبة توقف عن الجلوس عليها لانها حالة
لم يجر معه حديث فيها ثم ألجأه الضرورة لاجل حضور الامراء الى الجلوس فجلس عليها
وجلس اولاده الثلاثة عن يمينه وأخواه عن يساره والامراء المطوقون خاصة دون غيرهم
قيام بين يديه فانه لايصل أحد الى هذا المكان سواهم فلم يكن بأسرع من أن فتح الباب
وخرج عدة من الاستاذين المحنكين بسلام أمير المؤمنين وخرج اليه الامير الثقة تولى الرسالة
وزمام القصور فعند حضوره وقف له أولاد المأمون وأخواه فطلع عند خروجه قبالة
المرتبة وقال أمير المؤمنين يرد على السيد الاجل المأمون السلام فوقف عند ذلك المأمون
وقبل الارض وعاد فجلس مكانه وتأخر الامير الى أن نزل من المصطبة وقبل الارض وقبل
يد المأمون ودخل من فوره من الباب وأغلق الباب على حاله على ما كان عليه الافضل وكان الافضل
يقول ما أزال أعد نفسى سلطانا حتى أجلس على تلك المرتبة والباب يغلق في وجهى والدخان
في انفى فان الحمام كانت من خلف الباب في السرداب ثم فتح الباب وعاد الثقة وأشار
بالدخول الى القصر فدخل الى المكان الذى هيئ له وعاد لمجلس الوزارة وبقى الامراء
بالدهاليز الى أن جلس الخليفة واستفتح القراء واستدعى المأمون فحضر بين يديه وسلم عليه
أولاده واخوته وأحلّ الامراء على قدر طبقاتهم أولهم أرباب الاطواق ويليهم أرباب
العماريات والاقصاب ثم الضيوف والاشراف ثم دخل ديوان المكاتبات وسلم بهم الشيخ
ابو الحسن بن أبى اسامة ثم ديوان الانشاء وسلم بهم الشريف ابن انس الدولة ثم بقية
الطالبيين من الاشراف ثم سلم القاضي ابن الرسعنى بشهوده والداعى ابن عبدالحق بالمؤمنين
ثم سلم القائد مقبل مقدم الركاب الآمرى بجميع المقدمين الآمرية ثم سلم بعدهم الشيخ
ابو البركات بن أبى الليث متولى ديوان المملكة ثم دخل الاجناد من باب البحر وسلم كل
طائفة بمقدمها فلما انقضى ذلك دخل والى القاهرة ووالى مصر وسلم كل منهما ببياض

اهل البلدين ثم دخل البطرك بالنصارى وفيهم كتاب الدولة من النصارى ورئيس اليهود ومعه الكتاب من اليهود ثم سلم المقربون وقد قارب القصر ودخل الشعراء على طبقاتهم وأنشد كل منهم ما سمحت به قريحته قال فكان هذا رتبة الوزير المأمون قال ابن المأمون وأما ما قرر للوزارة عينا في الشهر بغير ايجاب بل يقبض من بيت المال فهو ثلاثة آلاف دينار تفصلها ما هو على حكم النيابة في العلامة ألف دينار وما هو على حكم الراتب ألف وخمسمائة دينار وما هو عن مائة غلام برسم مجلسه وخدمته لكل غلام خمسة دنانير في الشهر فاما الغلمان الركابية وغيرهم من الفراشين والطباخين فعلى حكم ما يرغب في اثباته وفي السنة من الاقطاعات خمسون ألف دينار منها دهشور وجزيرة الذهب وبقية الجملة صفقات ومن البساتين ثلاثة بستان الامير تميم وبستانان بكوم أشفين ومن القوت يعنى القمح ومن القضم يعنى الشعير والبرسيم في السنة عشرون ألف أردب قمحا وشعيرا ومن الغنم برسم مطابخه ساقة من المراحات ثمانية آلاف رأس وأما الحيوان والاحطاب وجميع التوابل العال منها والدون فمهما استدعاه متولى المطابخ يطلق من دار أفتكين وشون الاحطاب وغير ذلك وقد تقدم مقرر كسوة الوزارة فى العيدين وفصلي الشتاء والصيف وموسم عيد الغدير وفتح الخليج وغير ذلك من غرتي شهر رمضان وأول العام وغيره كما سيرد في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد استقصيت سير الوزراء في كتابي الذى سميته تلقيح العقول والآراء فى تنقيح أخبار الجلة الوزراء فانظره

(ذكر الحجر التى كانت برسم الصبيان الحجرية)

وكان بجوار دار الوزارة مكان كبير يعرف بالحجر جمع حجرة فيها الغلمان المختصون بالخلفاء كما أدركنا بالقلعة البيوت التي كان يقال لها الطباق وكانت هذه الحجر من جانب حارة الجوانية والى حيث المسجد الذى يعرف بمسجد القاصد تجاه باب الجامع الحاكمي الذى يفضى الى باب النصر فمن حقوق هذه الحجر دار الامير بهادر اليوسفى السلاحدار الناصرى التى تجاور المسجد الكائن على يمنة من سلك من باب الجوانية طالبا باب النصر ومنها الحوض المجاور لهذه الدار ودار الامير أحمد قريب الملك الناصر محمد بن قلاون والمسجد المعروف بالنخلة وما بجواره من القاعتين اللتين تعرف احداهما بقاعة الامير علم الدين سنجر الجاولى وما في جانبها الى مسجد القاصد وما وراء هذه الدور وكان لهؤلاء الحجرية اصطبل برسم دوابهم سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وما زالت هذه الحجر باقية بعد انقضاء دولة الخلفاء الفاطميين الى ما بعد السبعمائة فهدمت وابتنى الناس مكانها الاماكن المذكورة * قال ابن أبي طي عن المعز لدين الله وجعل كل ماهر في صنعة صانعا للخاص وأفرد لهم مكانا برسمهم وكذلك فعل بالكتاب والافاضل وشرط على ولاة الاعمال عرض

أولاد الناس بأعمالهم فمن كان ذا شهامة وحسن خلقة أرسله ليخدم في الركاب فسيروا اليه عالما من أولاد الناس فأفرد لهم دورا وسماها الحجر * وقال ابن الطوير وكوتب الافضل ابن أمير الجيوش من عسقلان باجتماع الفرنج فاهتم للتوجه اليها فلم يبق ممكنا من مال وسلاح وخيل ورجال واستناب أخاه المظفر أبا محمد جعفر بن أمير الجيوش بدر بين يدى الخليفة مكانه وقصد استنقاذ الساحل من يد الفرنج فوصل الى عسقلان وزحف عليها بذلك العسكر فخذل من جهة عسكره وهي نوبة النصة وعلم أن السبب في ذلك من جنده ولما غلب حرق جميع ما كان معه من الآلات وكان عند الفرنج شاعر منتجع اليهم فقال يخاطب صنجل ملك الفرنج

نصرت بسيفك دين المسيح * فلله درك من صنجل

وما سمع الناس فيما رووه * بأقبح من كسرة الافضل

فتوصل الافضل الى ذبح هذا الشاعر ولم ينتفع بعد هذه النوبة أحد من الاجناد بالافضل وحظر عليهم النعوت ولم يسمع لاحد منهم كلمة وأنشأ سبع حجر واختار من أولاد الاجناد ثلاثة آلاف راجل وقسمهم في الحجر وجعل لكل مائة زماما ونقيبا وزم الكل بأمير يقال له الموفق وأطاق لكل منهم ما يحتاج اليه من خيل وسلاح وغيره وعنى بهؤلاء الاجناد فكان اذا دهمه أمر مهم جهزهم اليه مع الزمام الاكبر * وقال ابن المأمون وكان من جملة الحجرية الذين يحضرون السماط رجل يعرف بابن زحل وكان يأكل خروفا كبيرا مشويا ويستوفيه الى آخره ثم يقدم له صحن كبير من القصور المعمولة بالسكر وجميع صنوف الحيوانات على اختلاف أجناسها ما لم يعمل قط مثله من الاطعمة فيأكل معظمه وكان يقعد في طرف المدورة حتى يكون بالقرب من نظر الخليفة لا لميزته وكان من الاجناد وأسر في أيام الافضل وقيده الفرنجي الذى أسره وعذبه وطالت مدته في الاسر وكان فقيرا فاتفق ان ذكر للفرنجي كثرة اكله فأراد أن يمتحنه فقال له احضر لى عجلا اكبر عجل عندكم آكله الى آخره فضحك منه الفرنجي ونقص عقله وأتاه بعجل كبير ويقال بخنزير فقال له اذبحه واشوه وائتنى معه بجرة خل ثم قال اذا اكلته ما يكون لى عندك فغلط الفرنجي وقال له أطلقك تمضى الى أهلك فاستحلفه على ذلك وغلظ عليه اليمين وأحضر الفرنجي عدة من أصحابه ليشاهدوا فعله فلما استوفى العجل جميعه صلب كل من الحاضرين على وجهه وتعجب من فعله وأطلقه فقال أخاف من أن يعتقد انني هربت فأرد اليكم فأحضر الفرنجي من العربان من سلمه اليهم ولم يشعر به الا بباب عسقلان فطلع منها وأعفى بعد ذلك من السفر وبقي برسم الاسمطة * وقال ابن عبد الظاهر الحجر قريب من باب النصر وهو مكان كبير في صف دار الوزارة الى جانبه باب القوس الذى يسمى باب

النصر قديماً على يمنة الخارج من القاهرة كان تربى فيه جماعة من الشباب يسمون صبيان الحجر يكونون في جهات متعددة وهم يناهزون خمسة آلاف نسمة ولكل حجرة اسم تعرف به وهى المنصورة والفتح والجديدة وغير ذلك مفردة لهم وعندهم سلاحهم فاذا جردوا خرج كل منهم لوقته لا يكون له ما يمنعه وكانوا في ذلك على مثال الذؤابة والاستار وكانوا اذا سمى الرجل منهم بعقل وشجاعة خرج من هناك الى الامرة أو التقدمة مثل على بن السلار وغيره ولا يأوى أحد منهم الا بحجرته بفرسه وعدته وقماشه وللصبيان الحجرية حجرة مفردة عليهم أستاذون يبيتون عندهم وخدام برسمهم

(ذكر المناخ السعيد)

وكان من وراء القصر الكبير فيما يلى ظهر دار الوزارة الكبرى والحجر المناخ وهو موضع برسم طواحين القمح التى تطحن جرايات القصور وبرسم مخازن الاخشاب والحديد ونحو ذلك * قال ابن الطوير وأما المناخات ففيها من الحواصل مالا يحصره الا القلم من الاخشاب والحديد والطواحين النجدية والغشيمة وآلات الاساطيل من الاسلحة المعمولة بيد الفرنج القاطنين فيه والقنب والكتان والمنجنيقات المعدة والطواحين الدائرة برسم الجرايات المقدم ذكرها والزفت في المخازن الذى عليه الاتربة ولا ينقطع الا بالمعاول وقد أدركت هذه الدولة يعنى دولة بنى أيوب منه شيئاً كثيراً في هذا المكان انتفع به واليه يأوى الفرنج في بيوت برسمهم وكانت عدتهم كثيرة ففيه من النجارين والجزارين والدهانين والخبازين والخياطين والفعلة ومن العجانين والطحانين في تلك الطواحين والفرانين في أفران الجرايات وفي هذا المكان مادة أكثر أهل الدولة وحاميه أمير من الامراء ومشارفه من العدول وفيه أيضاً شاهد النفقات وعامل يتولى التنفيذ مع المشارف وعامل برسم نظم الحساب من تعلقاتهما بجار غير جواريهم لان أوقاتهم مستغرقة في مباشرة الاطلاقات وغيرها وذكر ابن الطوير أن المأمون بن البطائحي استجد طواحين برسم الرواتب

(ذكر اصطبل الطارمة)

الطارمة بيت من خشب وهو دخيل وكان بجوار القصر الكبير تجاه باب الديلم من شرقي الجامع الازهر اصطبل * قال ابن الطوير وكان لهم اصطبلان أحدهما يعرف بالطارمة يقابل قصر الشوك والآخر بحارة زويلة يعرف بالجميزة وكان للخليفة الحاضر ما يقرب من ألف رأس في كل اصطبل النصف من ذلك منها ما هو برسم الخاص ومنها مايخرج برسم العوارى لارباب الرتب والمستخدمين دائماً ومنها مايخرج أيام المواسم وهي التغيرات المتقدم ذكر ارسالها لارباب الرتب والخدم والمرتب لكل اصطبل منها لكل ثلاثة أرؤس سائس واحد ملازم ولكل واحد منها شداد برسم تسييرها وفي كل اصطبل بئر بساقية

تدور الى أحواض ومخازن فيها الشعير والاقراط اليابسة المحمولة من البلاد اليها ولكل عشرين رجلا من السواس عريف يلتزم دركهم بالضمان لانهم الذين يتسلمون من خزائن السروج المركبات بالحلي ويعيدونها اليها كما تقدم ذكره في خزائن السروج ولكل من الاصطبلين رائض كامير اخور ولهما ميرة وجامكية متسعة وللعرفاء على السواس ميرة وللجماعات الجرايات من القمح والخبز خارجا عن الجامكيات فاذا بقي لايام المواسم التي يركب فيها الخليفة بالمظلة مدة أسبوع أخرج الى كل رائض في الاصطبل مع استاذ مظلة ديبقى مركبة على قنطارية مدهونة ويختص الرائض على ما يركبه الخليفة اما فرسين أو ثلاثة وعليهما المركبات الحلى التى يركبها الخليفة فيركبها الرائض بحائل بينه وبين السرج ويركب الاستاذ بغلة مظلة ويحمل تلك المظلة ويسير في براح الاصطبل وفيه سعة عظيمة مارًّا وعائدا وحولها البوق والطبل فيكرر ذلك عدة دفعات في كل يوم مدة ذلك الاسبوع ليستقر ما يركبه الخليفة من الدواب على ذلك ولا ينفر منه في حال الركوب عليه فيعمل كذلك في كل اصطبل من الاصطبلين والدواب والبغلة التي تتهيأ هى التى يركبها الخليفة وصاحب المظلة يوم الموسم ولا يختل ذلك ويقال انه ما راثت دابة ولا بالت والخليفة راكبها ولا بغلة صاحب المظلة أيضا الى حين نزولهما عنهما وكان فى الساحل بطريق مصر من القاهرة فى البساتين المنسوبة الى ملك صارم الدين حلباشونتان مملوءتان تبنا معبيتان كتعبيته في المراكب كالجبلين الشاهقين ولهما مستخدمون حام ومشارف وعامل بجامكية جيدة تصل بذلك المراكب التبانة الموهلة له من موظف الاتبان بالبلاد الساحلية وغيرها مما يدخل اليه في ايام النيل ولها رؤساء وأمرها جار فى ديوان العمائر والصناعة والانفاق منها بالتوقيعات السلطانية للاصطبلات المذكورة وغيرها من الاواسى الديوانية وعوامل بساتين الملك واذا جرى بين المستخدمين خلف في الشنف التبن المعتبر عادوا الى قبضه بالوزن فيكون الشنف التبن ثلثمائة وستين رطلا بالمصرى نقيا واذا أنفقوا دريسا قد تغيرت صورة قته كان عن القتة اثنا عشر رطلا ولم يزل ذلك كذلك الى آخر وقته ومما يخبر عنهم أنهم لم يركبوا حصانا أدهم قط ولا يرون اضافته الى دوابهم بالاصطبلات وقال ابن عبد الظاهر اصطبل الطارمة كان اصطبلا للخليفة فلما زالت تلك الايام اختط وبنى آدرا

(ذكر دار الضرب وما يتعلق بها)

وكان بجوار خزانة الدرق التي هى اليوم خان مسرور الكبير دار الضرب وموضعها حينئذ كان بالقشاشين التى تعرف اليوم بالخراطين وصار مكان دار الضرب اليوم درب يعرف بدرب الشمسى في وسط سوق السقطيين المهامزيين وباب هذا الدرب تجاه قيسارية العصفر فاذا دخلت هذا الدرب فما كان على يسارك من الدور فهو موضع دار الضرب

وبجوارها دار الوكالة الحافظية فجعلت الحوانيت التي على يمينة من سلك من رأس الخراطين تجاه سوق العنبر طالبا الجامع الازهر في ظهر دار الضرب وانشأ هذه الحوانيت وما كان يعلوها من البيوت الامير المعظم خمرتاش الحافظى وجعلها وقفا وقال في كتاب وقفها وحد هذه الحوانيت الغربى ينتهى الى دار الضرب والى دار الوكالة وقد صارت هذه الحوانيت الآن من جملة أوقاف المدرسة الجمالية مما اغتصب من الاوقاف وما زالت دار الضرب هذه في الدولة الفاطمية باقية الى أن استبد السلطان صلاح الدين فصارت دار الضرب حيث هي اليوم كما تقدم ذكره وكان لدار الضرب المذكورة في أيامهم أعمال ويعمل بها دنانير الغرة ودنانير خميس العدس ويتولاها قاضى القضاة لجلالة قدرها عندهم * قال ابن المأمون وفي شوال منها وهى سنة ست عشرة وخمسمائة أمر الاجل ببناء دار الضرب بالقاهرة المحروسة لكونها مقر الخلافة وموطن الامامة فبنيت بالقشاشين قبالة المارستان وسميت بالدار الآمرية واستخدم لها العدول وصار دينارها أعلى عيارا من جميع مايضرب بجميع الامصار انتهى وكانت دار الضرب المذكورة تجاه المارستان فكان المارستان بجوار خزانة الدرق فما عن يمينك الآن اذا سلكت من رأس الخراطين فهو موضع دار الضرب ودار الوكالة هكذا الى الحمام التى بالخراطين وما وراءها وما عن يسارك فهو موضع المارستان * قال ابن عبد الظاهر في ايام المأمون بن البطائحي وزير الآمر بأحكام الله بنيت دار الضرب في القشاشين قبالة المارستان الذى هناك وسميت بالدار الآمرية

(دار العلم الجديدة) وكان بجوار القصر الكبير الشرقى دار في ظهر خزانة الدرق من باب تربة الزعفران لما أغلق الافضل بن أمير الجيوش دار العلم التي كان الحاكم بأمر الله فتحها في باب التبانين اقتضى الحال بعد قتله أعادة دار العلم فامتنع الوزير المأمون من اعادتها في موضعها فأشار الثقة زمام القصور بهذا الموضع فعمل دار العلم فى شهر ربيع الاول سنة سبع عشرة وخمسمائة وولاها لابى محمد حسن بن آدم واستخدم فيها مقرئين ولم تزل دار العلم عامرة حتى زالت الدولة الفاطمية * قال ابن عبد الظاهر رأيت في بعض كتب الاملاك القديمة ما يدل على انها قريبة من القصر النافعى" وكذا ذكر لى السيد الشريف الحلبي أنها دار ابن أزدمر المجاورة لدار سكنى الآن خلف فندق مسرور الكبير وكذلك قال لى والدى رحمه الله وقد بناها جمال الدين الاستادار الحلبي دارا عظيمة غرم عليها مائة ألف واكثر من ذلك على ما ذكره انتهى وموضع دار العلم هذه دار كبيرة ذات زلاقة بجوار درب ابن عبد الظاهر قريبا من خان الخليلى بخط الزراكشة العتيق

(موسم اول العام) قال ابن المأمون وأسفرت غرة سنة سبع عشره وخمسمائة وبادر المستخدمون فى الخزائن وصناديق الانفاق بحمل ما يحضر بين يدى الخليفة من عين

وورق من ضرب السنة المستجدة ورسم جميع من يختص به من اخوته وجهاته وقرابته وأرباب الصنائع والمستخدمات وجميع الاستاذين العوالى والادوان وثنوا بحمل ما يختص بالاجل المأمون وأولاده واخوته واستأذنوا على تفرقة ما يختص بالاجل المأمون وأولاده والاصحاب والحواشي والامراء والضيوف والاجناد فأمروا بتفرقته والذى اشتمل عليه المبلغ في هذه السنة نظير ما كان قبلها وجلس المأمون باكرا على السماط بداره وفرقت الرسوم على أرباب الخدم والمميزين من جميع اصنافه على ما تضمنته الاوراق وحضرت التعاشير والتشريفات وزي الموكب الى الدار المأمونية وتسلم كل من المستخدمين المدارج بأسماء من شرف بالحجبة ومصفات العساكر وترتيب الاسمطة وأصمد كل منهم الى شغله وتوجه لخدمته ثم ركب الخليفة واستدعى الوزير المأمون ثم خرج من باب الذهب وقد نشرت مظلته وخدمت الرهجية ورتب الموكب والجنائب ومصفات العساكر عن يمينه وشماله وجميع تجار البلدين من الجوهريين والصيارف والصاغة والبزازين وغيرهم قد زينوا الطريق بما تقتضيه تجارة كل منهم ومعاشه لطلب البركة بنظر الخليفة وخرج من باب الفتوح والعساكر فارسها وراجلها بتجملها وزيها وأبواب حارات العبيد معلقة بالستور ودخل من باب النصر والصدقات تعم المساكين والرسوم تفرق على المستقرين الى أن دخل من باب الذهب فلاقيه المقرئون بالقرآن الكريم في طول الدهاليز الى أن دخل خزانة الكسوة الخاص وغير ثياب الموكب بغيرها وتوجه الى تربة آبائه للترحيم على عادته وبعد ذلك الى ما رآه من قصوره على سبيل الراحة وعبيت الاسمطة وجرى الحال فيها وفي جلوس الخليفة ومن جرت عادته وتهيئة قصور الخلافة وتفرقة الرسوم على ما هو مستقر وتوجه الاجل المأمون الى داره فوجد الحال في الاسمطة على ما جرت به العادة والتوسعة فيها اكثر مما تقدمها وكذلك الهناء في صبيحة الموسم بالدار المأمونية والقصور وحضر من جرت العادة بحضوره للهناء وبعدهم الشعراء على طبقاتهم وعادت الامور في ايام السلام والركوبات وترتيبها على المعهود وأحضر كل من المستخدمين في الدواوين ما يتعلق بديوانه من التذاكر والمطالعات مما تحتاج اليه الدولة في طول السنة وينعم به ويتصدق ويحمل الى الحرمين الشريفين من كل صنف على ما فصل في التذاكر على يد المندوبين ويحمل الى الثغور ويخزن من سائر الاصناف ما يستعمل ويباع في الثغور والبلاد والاستيمار وجريدة الابواب وتذكرة الطراز والتوقيع عليها * وقال ابن الطوير فاذا كان العشر الاخير من ذى الحجة في كل سنة انتصب كل من المستخدمين بالاماكن لاخراج آلات الموكب من الاسلحة وغيرها فيخرج من خزائن الاسلحة ما يحمله صبيان الركاب حول الخليفة من الاسلحة وهو الصماصم المصقولة المذهبة مكان السيوف المحدبة والدبابيس الكيمخت الاحمر والاسود ورؤسها مدورة

مضرسة واللتوت كذلك ورؤسها مستطيلة مضرسة أيضا وآلات يقال لها المستوفيات وهي عمد حديد من طول ذراعين مربعة الاشكال بمقابض مدورة في ايديهم بعدة معلومة من كل صنف فيتسلمها نقباؤهم وهي في ضمانهم وعليهم اعادتها الى الخزائن بعد تقضى الخدمة بها ويخرج للطائفة من العبيد الاقوياء السودان الشباب ويقال لهم أرباب السلاح الصغر وهم ثلثمائة عبد لكل واحد حربتان بأسنة مصقولة تحتها جلب فضة كل اثنتين في شرابة وثلثمائة درقة بكوامخ فضة يتسلم ذلك عرفاؤهم على ما تقدم فيسلمونه للعبيد لكل واحد حربتان ودرقة ثم يخرج من خزانة التجمل وهي من حقوق خزائن السلاح القصب الفضة برسم تشريف الوزير والامراء أرباب الرتب وأزمة العساكر والطوائف من الفارس والراجل وهي رماح ملبسة بأنابيب الفضة المنقوشة بالذهب الا ذراعين منها فيشد في ذلك الخالي من الانابيب عدة من المعاجر الشرب الملونة ويترك أطرافها المرقومة مسبلة كالصناجق وبرؤسها رمامين منفوخة فضة مذهبة واهلة مجوفة كذلك وفيها جلاجل لها حس اذا تحركت وتكون عدتها ما يقرب من مائة ومن العماريات وهي شبه السكخاوات من الديباج الاحمر وهو اجلها والاصفر والقرقوبي والسقلاطون مبطنة مضبوطة بزنانير حرير وعلى دائر التربيع منها مناطق بكوامخ فضة مسمورة في جلد نظير عدد القصب فيسير من القصب عشرة ومن العماريات مثلها من الحمر خاصة ويخرج للوزير خاصة لوا آن على رمحين طويلين ملبسين بمثل تلك الانابيب ونفس اللواء ملفوف غير منشور وهذا التشريف يسير أمام الوزير وهو للامراء من ورائهم ثم يسير للامراء أرباب الرتب في الخدم وأولهم صاحب الباب وهو أجلهم خمس قصبات وخمس عماريات ويرسل لاسفهسلار العساكر أربع قصبات وأربع عماريات من عدة ألوان ومن سواهما من الامراء على قدر طبقاتهم ثلاث ثلاث واثنتان اثنتان وواحدة واحدة ثم يخرج من البنود الخاص الديبقي المرقوم الملون عشرة برماح ملبسة بالانابيب وعلى رؤسها الرمامين والاهلة للوزير خاصة ودون هذه البنود مما هو من الحرير على رماح غير ملبسة ورؤسها ورمامينها من نحاس مجوف مطلي بالذهب فتكون هذه أمام الامراء المذكورين من تسعة الى سبعة اذرع برأسها طلعة مصقولة وهي من خشب القنطاريات داخلة في الطلعة وعقبها حديد مدور أسفل فهي في كف حاملها الايمن وهو يفتلها فيه فتلا متدارك الدوران وفي يده اليسرى نشابة كبيرة يخطر بها وعدتها ستون مع ستين رجلا يسيرون رجالة في الموكب يسيرون يمنة ويسرة ثم يخرج من النقارات حمل عشرين بغلا على كل بغل ثلاث مثل نقارات الكوسات بغير كوسات يقال لها طبول فيتسلمها صناعها ويسيرون في الموكب اثنين اثنين ولها حس مستحسن وكان لها ميزة عندهم في التشريف ثم يخرج لقوم متطوعين بغير جار ولا جراية تقرب عدتهم من مائة رجل لكل واحد

درقة من درق اللمط وهي واسعة وسيف ويسيرون أيضا رجالة في الموكب هـذا وظيفة خزائن السلاح ثم يحضر حامى خزائن السروج وهو من الاستاذين المحنكين اليها مع مشارفها وهو من الشهود المعدلين فيخرج منها برسم خاص الخليفة من المركبات الحلي ما هو برسم ركوبه وما يجنب في موكبه مائة سرج منها سبعون على سبعين حصانا ومنها ثلاثون على ثلاثين بغلة كل مركب مصوغ من ذهب أو من ذهب وفضة أو من ذهب منزل فيه المينا أو من فضة منزلة بالمينا وروادفها وقرابيسها من نسبتها ومنها ما هو مرصع بالجواهر الفائقة وفي اعناقها الاطواق الذهب وقلائد العنبر وربما يكون في أيدى وأرجل اكثرها خلاخل مسطوحة دائرة عليها ومكان الجلد من السروج الديباج الاحمر والاصفر وغيرهما من الالوان والسقلاطون المنقوش بألوان الحرير قيمة كل دابة وما عليها من العدة ألف دينار فيشرف الوزير من هـذه بعشرة حصن لركوبه وأولاده واخوته ومن يعز عليه من أقاربه ويسلم ذلك لعرفاء الاصطبلات بالعرض عليهم من الجرائد التى هى ثابتة فيها بعلاماتها في اماكنها وأعدادها وعدد كل مركب منقوش عليه مثل اول وثان وثالث الى آخرها كما هو مسطور في الجرائد فيعرف بذلك قطعة قطعة ويسلمها العرفاء للشدادين بضمان عرفائهم الى أن تعود وعليهم غرامة ما نقص منها واعادتها برمتها ثم يخرج من الخزائن المذكورة لارباب الدواوين المرتبين في الخدم على مقاديرهم مركبات أيضا من الحلى دون ما تقدم ذكره ما تقرب عدته من ثلثمائة مركب على خيل وبغلات وبغال يتسلمها العرفاء المتقدم ذكرهم على الوجه المذكور وينتدب حاجب يحضر على التفرقة لفلان وفلان من أرباب الخدم سيفا وقلما فيعرف كل شداد صاحبه فيحضر اليه بالقاهرة ومصر سحر يوم الركوب ولهم من الركاب رسوم من دينار الى نصف دينار الى ثلث دينار فاذا تكمل هـذا الامر وسلم أيضا الجمالون المناخات أغشية العماريات ويكون اراحة فى ذلك كله الى آخر الثامن والعشرين من ذى الحجة وأصبح اليوم التاسع والعشرون من سلخه علي رأي القوم عزم الخليفة على الجلوس في الشباك لعرض دوابه الخاص المقدم ذكرها ويقال له يوم عرض الخيل فيستدعى الوزير بصاحب الرسالة وهو من كبار الاستاذين المحنكين وفصحائهم وعقلائهم ومحصليهم فيمضى الى استدعائه في هيئة المسرعين على حصان دهراج امتثالا لامر الخليفة بالاسراع على خلاف حركته المعتادة فاذا عاد مثل بين يدى الخليفة وأعلمه باستدعائه الوزير فيخرج راكبا من مكانه في القصر ولا يركب أحد في القصر الا الخليفة وينزل في السد لابدهليز باب الملك الذى فيه الشباك وعليه من ظاهره للناس ستر فيقف من جانبه الايمن زمام القصر ومن جانبه الايسر صاحب بيت المال وهما من الاستاذين المحنكين فيركب الوزير من داره وبين يديه الامراء فاذا وصل الى باب القصر ترجل الامراء وهو راكب ويكون

دخوله في هذا اليوم من باب العيد ولا يزال راكبا الى اول باب من الدهاليز الطوال فينزل هناك ويمشي فيها وحواليه حاشيته وغلمانه وأصحابه ومن يراه من أولاده وأقاربه ويصل الى الشباك فيجد تحته كرسيا كبيرا من كراسى الباق الجيد فيجلس عليه ورجلاه تطأ الارض فاذا استوى جالسا رفع كل استاذ الستر من جانبه فيرى الخليفة جالسا في المرتبة الهائلة فيقف ويسلم ويخدم بيده الى الارض ثلاث مرات ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس ويستفتح القراء بالقراءة قبل كل شيء بآيات لائقة بذلك الحال مقدار نصف ساعة ثم يسلم الامراء ويسرع في عرض الخيل والبغال الخاص المقدم ذكرها دابة دابة وهي هادئة كالعرائس بايدي شداديها الى أن يكمل عرضها فيقرأ القرّاء لختم ذلك الجلوس ويرخي الاستاذان الستر فيقدم الوزير ويدخل اليه ويقبل يديه ورجليه وينصرف عنه الى داره فيركب من مكان نزوله والامراء بين يديه لوداعه الى داره ركبانا ومشاة الى قريب المكان فاذا صلى الخليفة الظهر بعد انفضاض ما تقدم جلس لعرض ما يلبسه في عيد تلك الليلة وهو يوم افتتاح العام بخزائن الكسوات الخاص ويكون لباسه فيه البياض غير الموشح فيعين على منديل خاص وبدلة فأما المنديل فيسلم لشادالتاج الشريف ويقال له شدة الوقار وهو من الاستاذين المحنكين وله ميزة لماسة ما يعلو تاج الخليفة فيشدها شدة غريبة لا يعرفها سواه شكل الاهليلجة ثم يحضر اليه اليتيمة وهي جوهرة عظيمة لا يعرف لها قيمة فتنظم هي وحواليها ما دونها من الجواهر وهي موضوعة في الحافر وهو شكل الهلال من ياقوت أحمر ليس له مثال فى الدنيا فتنظم على خرقة حرير أحسن وضع ويخيطها شاد التاج بخياطة خفيفة ممكنة فتكون بأعلى جبهة الخليفة ويقال ان زنة الجوهرة سبعة دراهم وزنة الحافر أحد عشر مثقالا وبدائرها قصبة زمرد ذبابي له قدر عظيم ثم يؤمر بشد المظلة التي تشابهها تلك البدلة المحضرة بين يديه وهى مناسبة للثياب ولها عندهم جلالة لكونها تعلو رأس الخليفة وهي اثنا عشر شوركا عرض سفل كل شورك شبر وطوله ثلاثة اذرع وثلث وآخر الشورك من فوق دقيق جدا فيجتمع ما بين الشوارك في رأس عودها بدائره وهو قنطارية من الزان ملبسة بأنابيب الذهب وفي آخر أنبوبة تلى الرأس من جسمه فلكة بارزة مقدار عرض ابهام فيشد آخر الشوارك في حلقة من ذهب ويترك متسعا فى رأس الرمح وهو مفروض فتلقى تلك الفلكة فتمنع المظلة من الحدور فى العمود المذكور ولها اضلاع من خشب الخلنج مربعات مكسوة بوزن الذهب على عدد الشوارك خفاف في الوزن طولها طول الشوارك وفيها خطاطيف لطاف وحلق يمسك بعضها بعض وهى تنضم وتنفتح على طريقة شوكة الكيزان ولها رأس شبه الرمانة ويعلوه رمانة صغيرة كلها ذهب مرصع بجوهر يظهر للعيان ولها رفرف دائر يفتحها من نسبتها عرضه أكثر من شبر ونصف وسفل الرمانة فاصل يكون

مقـداره ثلاث أصابع فاذا أدخلت الحلقـة الذهب الجامعة لآخر شوارك المظلة فى رأس
العمود ركبت الرمانة عليها ولفت في عرض ديبقى مذهب فلا يكشفها منه الا حاملها عنـد
تسليمها اليـه اول وقت الركوبة ثم يؤمر بشد لواءي الحمد المختصين بالخليفة وهما رمحان
طويلان ملبسان بمثل أنابيب عمود المظلة الى حد نصفهما وهما من الحرير الابيض المرقوم
بالذهب وغير منشورين بل ملفوفين على جسم الرمحين فيشدان ليخرجا بخروج المظلة الى
أميرين من حاشيـة الخليفة برسم حملهما ويخرج احدى وعشرون راية لطاف من الحرير
المرقوم ملونة بكتابة تخالف ألوانها من غيره ونص كتابتها نصر من الله وفتح قريب على
رماح مقومة من القنا المنتقى طول كل راية ذراعان فى عرض ذراع ونصف في كل واحدة
ثلاث طرازات فتسلم لاحد وعشرين رجلا من فرسان صبيان الخاص ولهم بشارة عود
الخليفة سالمـا عشرون دينارا ثم يخرج رمحان رؤسهما أهلة من ذهب صامتة في كل واحد
سبع من ديباج أحمر وأصفر وفي فمه طارة مستديرة يدخل فيهـا الريح فينفتحان فيظهر
شكلهما ويتسلمهما فارسان من صبيان الخاص فيكونان أمام الرايات ثم يخرج السيف الخاص
وهو من صاعقـة وقعت على مايقال وحليته ذهب مرصعة بالجوهر في خريطة مرقومة
بالذهب لا يظهر الا رأسه ليسلم الى حامله وهو أمير عظيم القدر وهـذه عندهم رتبة جليلة
المقـدار وهو اكبر حامل ثم يخرج الرمح وهو رمح لطيف في غلاف منظوم من اللؤلؤ
وله سنان مختصر بحلية ذهب ودرقة بكوامخ ذهب فيها سعة منسوبة الى حمزة بن عبد المطلب
رضي الله عنـه في غشاء من حرير لتخرج الى حاملها وهو أمير مميز ولهـذه الخدمة
وصاحبها عندهم جلالة ثم تشعر الناس بطريق الموكب وسلوكه لا يتعدى دورتين احداهما
كبرى والاخرى صغرى أما الـكبرى فمن باب القصر الى باب النصر مارا الى حوض
عز الملك نبا ومسجده هناك وهو أقصاها ثم ينعطف على يساره طالبا باب الفتوح الى القصر
والاخرى اذا خرج من باب النصر سار حافا بالسور ودخل من باب الفتوح فيعلم النـاس
بسلوك احداهما فيسيرون اذا ركب الخليفة فيها من غير تبـديل للموكب ولا تشويش
ولا اختـلال فلا يصبح الصبح من يوم الركوب الا وقد اجتمع من بالقاهرة ومصر من
أرباب الرتب وأرباب التميزات من أرباب السيوف والاقلام قياما بين القصرين وكان
براحا واسعا خاليا من البناء الذى فيـه اليوم فيسع القوم لانتظار الخليفة ويبكر الامراء
الى الوزير الى داره فيركب الى القصر من غير استدعاء لانها خدمة لازمة للخليفة فيسير
أمامه تشريفه المقـدم ذكره والامراء بين يديه ركبانا ومشاة وأمامه أولاده واخوته
وكل منهم مرخي الذؤابة بلا حنك وهو فى أبهة عظيمة من الثياب الفاخرة والمنديل وهو
بالحنك ويتقلد بالسيف المذهب فاذا وصل القصر ترجل قبله أهله فى أخص مكان لا يصل

الامراء اليه ودخل من باب القصر وهو راكب دون الحاضرين الى دهليز يقال له دهليز العمود فيترجل على مصطبة هناك ويمشى بقية الدهليز الى القاعة فيدخل مقطع الوزارة هو وأولاده واخوته وخواص حاشيته ويجلس الامراء بالقاعة على دكاك معدة لذلك مكسوة فى الصيف بالحصر السامان وفي الشتاء بالبسط الجهرمية المحفورة فاذا أدخلت الدابة لركوب الخليفة وأسندت الى الكرسيّ الذى يركب عليه من باب المجلس أخرجت المظلة الى حاملها فيكشفها مما هى ملفوفة فيه غير مطوية فيتسلمها باعانة أربعة من الصقالبة برسم خدمتها فيركزها فى آلة حديد متخذة شكل القرن وهو مشدود في ركاب حاملها الأيمن بقوة وتأكيد فيمسك العمود بحاجز فوق يده فيبقى وهو منتصب واقف ولم يذكر قط انها اضطربت فى ريح عاصف ثم يخرج بالسيف فيتسلمه حامله فاذا تسلمه أرخيت ذؤابته مادام حاملا له ثم تخرج الدواة فتسلم لحاملها وهو من الاستاذين المحنكين وكان الوزراء حملوها لقوم من الشهود المعدلين وهى الدواة التى كانت من أعاجيب الزمان وهى فى نفسها من الذهب وحليتها مرجان وهى ملفوفة في منديل شرب بياض مذهب وقد قال فيها بعض الشعراء يخاطب الخليفة التى صنعت حلية المرجان في وقته وهذا من أغرب مايكون ذكر ذلك فى بيتين وهما

ألين لداود الحديد كرامة * فقدر منه السرد كيف يريد
ولان لك المرجان وهو حجارة * ومقطعه صعب المرام شديد

فيخرج الوزير ومن كان معه من المقطع وتنضم اليه الامراء ويقفون الى جانب الراية فيرفع صاحب المجلس الستر فيخرج من كان عند الخليفة للخدمة منهم وفي أثرهم يبرز الخليفة بالهيئة المشروح حالها فى لباسه الثياب المعروضة عليه والمنديل الحامل لليتيمة بأعلى جبهته وهو محنك مرخي الذؤابة مما يلى جانبه الايسر ويتقلد بالسيف المغربى وبيده قضيب الملك وهو طول شبر ونصف من عود مكسو بالذهب المرصع بالدر والجوهر فيسلم على الوزير قوم مرتبون لذلك وعلى أهله وعلى الامراء بعدهم ثم يخرج أولئك أولا فأولا والوزير يخرج بعد الامراء فيركب ويقف قبالة باب القصر بهيئته ويخرج الخليفة وحواليه الاستاذون ودابته ماشية على بسط مفروشة خيفة من زلقها على الرخام فاذا قارب الباب وظهر وجهه ضرب رجل ببوق لطيف من ذهب معوج الرأس يقال له الغربية بصوت عجيب يخالف أصوات البوقات فاذا سمع ذلك ضربت الابواق في الموكب ونشرت المظلة وبرز الخليفة من الباب ووقف وقفة يسيرة بمقدار ركوب الاستاذين المحنكين وغيرهم من أرباب الرتب الذين كانوا بالقاعة للخدمة وسار الخليفة وعلى يساره صاحب المظلة وهو يبالغ أن لايزول عنه ظلها ثم يكتنف الخليفة مقدمو صبيان الركاب منهم أثنان فى الشكيمة واثنان في عنق الدابة من الجانبين واثنان في ركابه فالايمن مقدم المقدمين وهو صاحب المقرعة

التى يتناولها ويناولها وهو المؤدى عن الخليفة مدة ركوبه الاوامر والنواهي ويسير الموكب بالحث فأوله فروع الامراء وأولادهم وأخلاط بعض العسكر الاماثل الى أرباب القصب الى أرباب الاطواق الى الاستاذين المحنكين الى حامل اللواءين من الجانبين الى حامل الدواة وهى بينه وبين قربوس السرج الى صاحب السيف وهما فى الجانب الايسر كل واحد ممن تقدم ذكره بين عشرة الى عشرين من أصحابه ويحجبه أهل الوزير المقدم ذكرهم من الجانب الايمن بعد الاستاذين المحنكين ثم يأتى الخليفة وحواليه صبيان الركاب المذكورة تفرقة السلاح فيهم وهم أكثر من ألف رجل وعليهم المناديل الطبقيات ويتقلدون بالسيوف وأوساطهم مشدودة بمناديل وفى أيديهم السلاح مشهور وهم من جانبى الخليفة كالجناحين المادين وبينهما فرجة لوجه الفرس ليس فيها أحد وبالقرب من رأسها الصقليبان الحاملان للمذبتين وهما مرفوعتان كالنخلتين لما يسقط من طائر وغيره وهو سائر على تؤدة ورفق وفى طول الموكب من أوله الى آخره والى القاهرة مارّ وعائد يفسح الطرقات و يسير الركبان فيلقى فى عوده الاسفهسلار كذلك مارا وعائدا لحث الاجناد في الحركة والانكار على المزاحمين المعترضين ويلقى فى عوده صاحب الباب ومروره في زمرة الخليفة الى أن يصل الى الاسفهسلار فيعود لترتيب الموكب وحراسة طرقات الخليفة وفى يد كل منهم دبوس وهو راكب خير دوابه وأسرعها هذا لمن أمام الموكب ثم يسير خلف دابة الخليفة قوم من صبيان الركاب لحفظ أعقابه ثم عشرة يحملون عشرة سيوف فى خرائط ديباج أحمر وأصفر بشراريب غزيرة يقال لها سيوف الدم برسم ضرب الاعناق ثم يسير بعدهم صبيان السلاح الصغير أرباب الفرنجيات المقدم ذكرهم أولا ثم يأتى الوزير فى هيبة وفى ركابه من أصحابه قوم يقال لهم صبيان الزرد من أقوياء الاجناد يختارهم لنفسه مامقداره خمسمائة رجل من جانبيه بفرجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة وكانه على وفز من حراسة الخليفة ويجتهد أن لايغيب عن نظره وخلفه الطبول والصنوج والصفافير وهو مع عدة كثيرة تدوى بأصواتها وحسها الدنيا ثم يأتى حامل الرمح المقدم ذكره ودرقته حمراء ثم طوائف الراجل من الركابية والجيوشية وقبلهما المصامدة ثم الفرنجية ثم الوزيرية زمرة زمرة فى عدة وافرة تزيد على أربعة آلاف فى الوقت الحاضر وهم أضعاف ذلك ثم أصحاب الرايات والسبعين ثم طوائف العساكر من الآمرية والحجرية الكبار والحافظية والحجرية الصغار المنقولين والافضلية والجيوشية ثم الاتراك المصطنعون ثم الديلم ثم الاكراد ثم الغز المصطنعة وقد كان تقدم هؤلاء الفرسان عدة وافرة من المترجلة أرباب قسىّ اليد وقسىّ الرجل فى أكثر من خمسمائة وهم المعدون للاساطيل ويكون من الفرسان المقدم ذكرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف وهذا كله بعض من كل فاذا انتهى الموكب الى المكان المحدود عادوا على أدراجهم ويدخلون

من باب الفتوح ويقفون بين القصرين بعد الرجوع كما كانوا قبله فاذا وصل الخليفة الى الجامع الاقمر بالقماحين اليوم وقف وقفة بجملته في موكبه وانفرج الموكب للوزير فتحرك مسرعا ليصير أمام الخليفة حتى يدخل بين يديه فيمر الخليفة ويسكع له سكعة ظاهرة فيشير الخليفة للسلام عليه اشارة خفية وهذه أعظم مكارمة تصدر عن الخليفة ولا تكون الا للوزير صاحب السيف وسبقه الى دخول باب القصر راكبا على عادته الى موضعه ويكون الامراء قد نزلوا قبله لانهم في أوائل الموكب فاذا وصل الخليفة الى باب القصر ودخله ترجل الوزير ودخل قبله الاستاذون المحنكون وأحد قوابه والوزير أمام وجه الفرس مكان ترجله الى الكرسي الذى ركب منه فينزل عليه ويدخل الى مكانه بعد خدمة المذكورين له فيخرج الوزير ويركب من مكانه الجارى به على عادته والامراء بين يديه وأقاربه حواليه فيركبون من أماكنهم ويسيرون صحبته الى داره فيدخل وينزل أيضاً الى مكانه على كرسي فتخدمه الجماعة بالوداع ويتفرق الناس الى أماكنهم فيجدون قد أحضر اليهم الغرة وهو أنه يقدم الخليفة بأن يضرب بدار الضرب في العشر الأخر من ذى الحجة بتاريخ السنة التى ركب أولها في هذا اليوم جملة من الدنانير والرباعية والدراهم المدورة المقسقلة فيحمل الى الوزير منها ثلثمائة وستون دينارا وثلثمائة وستون رباعيا وثلثمائة وستون قيراطا والى أولاده واخوته من كل صنف من ذلك خمسون والى ارباب الرتب من أصحاب السيوف والاقلام من عشرة دنانير وعشر رباعيات وعشرة قراريط الى دينار واحد ورباعى واحد وقيراط واحد فيقبلون ذلك على حكم البرمكية من مبلغ الخليفة قال ومبلغ الغرة التي ينعم بها في أول العام المقدم ذكرها من الدنانير والرباعيات والقراريط ما يقرب من ثلاثة آلاف دينار والله تعالى أعلم

(ذكر ما كان يضرب في خميس العدس من خراريب الذهب)

قال ابن المأمون وأحضر الاجل المأمون كاتب الدفتر وأمره بالكشف عما كان يضرب برسم خميس العدس من الخراريب الذهب وهو خمسمائة دينار عن عشرين الف خروبة واستدعى كاتب بيت المال ووقع له باطلاق ألف دينار وأمره باحضار مشارف دار الضرب وسلمها اليه فاعتمد ذلك وضربت عشرون ألف خروبة وأحضرها فامر بحملها الى الخليفة فسير الخليفة منها الى المأمون ثلثمائة دينار وذكر أنها لم تضرب في مدة خلافة الحافظ لدين الله غير سنة واحدة ثم بطل حكمها ونسى ذكرها قال وصار ما يضرب باسم الخليفة يعني الآمر باحكام الله في ستة مواضع القاهرة ومصر وقوص وعسقلان وصور والاسكندرية * وقال ابن عبد الظاهر خميس العدس كان يضرب فيه خمسمائة تعمل عشرة آلاف خروبة كان الافضل بن أمير الجيوش يحمل منها للخليفة مائتى دينار والبقية

برسمه ثم جعلت في الايام المأمونية ألف دينار وربما زادت أو نقصت يسيرا وقد تقدم أن قاضي القضاة كان يتولى عيار دار الضرب ويحضر التغليق بنفسه ويختم عليه ويحضر الموعد الآخر لفتحه

(ذكر دار الوكالة الآمرية)

كانت دار الوكالة المذكورة بجانب دار الضرب وموضعها الآن على يمنة السالك من رأس الخراطين الى سوق الخيميين والجامع الازهر * قال ابن المأمون في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة ثم أنشأ يعني المأمون بن البطائحي وزير الخليفة الآمر باحكام الله دار الوكالة بالقاهرة المحروسة لمن يصل من العراقيين والشاميين وغيرهما من التجار ولم يسبق الى ذلك

(ذكر مصلى العيد)

وكان في شرقي القصر الكبير مصلى العيد من خارج باب النصر وهذا المصلى بناه القائد جوهر لاجل صلاة العيد في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثم جدده العزيز بالله وقد بقي الى الآن بعض هذا المصلى واتخذ في جانب منه موضع مصلى الاموات اليوم

(ذكر هيئة صلاة العيد وما يتعلق بها)

قال ابن زولاق وركب المعز لدين الله يوم الفطر لصلاة العيد الى مصلى القاهرة التي بناها القائد جوهر وكان محمد بن أحمد بن الادرع الحسني قد بكر وجلس في المصلى تحت القبة في موضع فجاء الخدم وأقاموه وأقعدوا موضعه أبا جعفر مسلما وأقعدوه هو دونه وكان أبو جعفر مسلم خلف المعز عن يمينه وهو يصلي وأقبل المعز في زيه وبنوده وقبابه وصلى بالناس صلاة العيد تامة طويلة قرأ في الاولى بأم الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية ثم كبر بعد القراءة وركع فأطال وسجد فأطال انا سبحت خلفه في كل ركعة وفي كل سجدة نيفا وثلاثين تسبيحة وكان القاضي النعمان بن محمد يبلغ عنه التكبير وقرأ في الثانية بأم الكتاب وسورة والضحى ثم كبر أيضاً بعد القراءة وهي صلاة جده علي بن أبي طالب عليه السلام وأطال أيضاً في الثانية الركوع والسجود أنا سبحت خلفه نيفا وثلاثين تسبيحة في كل ركعة وفي كل سجدة وجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في كل سورة وأنكر جماعات يتوسمون بالعلم قراءته قبل التكبير لقلة علمهم وتقصيرهم في العلوم . حدثنا محمد بن أحمد قال حدثنا عمر بن شيبة حدثنا عبد الله ورجاء عن اسرائيل عن أبي اسحق عن الحارث عن علي عليه السلام أنه كان يقرأ في صلاة العيد قبل التكبير فلما فرغ المعز من الصلاة صعد المنبر وسلم على الناس يمينا وشمالا ثم ستر بالسترين اللذين كانا على المنبر فخطب وراءهما على رسمه وكان في أعلى درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل فجلس عليها بين الخطبتين واستفتح الخطبة ببسم الله الرحمن الرحيم وكان معه على المنبر القائد جوهر وعمار بن جعفر وشفيع

صاحب المظلة ثم قال الله أكبر الله أكبر واستفتح بذلك وخطب وأبلغ وأبكى الناس وكانت خطبة بخشوع وخضوع فلما فرغ من خطبته انصرف في عساكره وخلفه أولاده الاربعة بالجواشن والخود على الخيل بأحسن زى وساروا بين يديه بالفيلين فلما حضر في قصره أحضر الناس فأكلوا وقدمت اليهم السمط ونشطهم الى الطعام وعتب على من تأخر وهدد من بلغه عنه صيام العيد * وقال المسيحي في حوادث آخر يوم من رمضان سنة ثمانين وثلثمائة وبقيت مصاطب ما بين القصور والمصلى الجديدة ظاهر باب النصر عليها المؤذنون حتى يتصل التكبير من المصلى الى القصر وفيه تقدم أمر القاضي محمد بن النعمان باحضار المتفقهة والمؤمنين يعني الشيعة وأمرهم بالجلوس يوم العيد على هذه المصاطب ولم يزل يرتب الناس وكتب رقاعا فيها أسماء الناس فكانت تخرج رقعة رقعة فيجلس الناس على مصطبة مصطبة بالترتيب وفي يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد وبين يديه الجنائب والقباب الديباج بالحلي والعسكر في زيه من الاتراك والديلم والعزيزية والاخشيدية والكافورية وأهل العراق بالديباج المثقل والسيوف والمناطق الذهب وعلى الجنائب السروج الذهب بالجوهر والسروج بالعنبر وبين يديه الفيلة عليها الرجالة بالسلاح والزرّاقة وخرج بالمظلة الثقيلة بالجوهر وبيده قضيب جده عليه السلام فصلى على رسمه وانصرف * وقال ابن المأمون ولما توفي أمير الجيوش بدر الجمالي وانتقل الامر الى ولده الافضل بن أمير الجيوش جرى على سنن والده في صلاة العيد ويقف فى قوس باب داره الذى عند باب النصر يعنى دار الوزارة فلما سكن بمصر صار يطلع من مصر باكرا ويقف على باب داره على الحالة الاولى حتى تستحق الصلاة فيدخل من باب العيد الى الايوان ويصلي به القاضى ابن الرسعني ثم يجلس بعد الصلاة على المرتبة الى أن تنقضى الخطبة فيدخل من باب الملك ويسلم على الخليفة بحيث لايراه أحد غيره ثم يخلع عليه ويتوجه الى داره بمصر فيكون السماط بها مدى الاعياد فلما قتل الافضل واستقر بعده المأمون بن البطائحي فى الوزارة قال هذا نقص في حق العيد ولا يعلم السبب فى كون الخليفة لا يظهر فقال له الخليفة الآمر باحكام الله فما تراه أنت فقال يجلس مولانا فى المنظرة التى استجدت بين باب الذهب وباب البحر فاذا جلس مولانا فى المنظرة وفتحت الطاقات وقف المملوك بين يديه في قوس باب الذهب وتجوز العساكر فارسها وراجلها وتشملها بركة نظر مولانا اليها فاذا حان وقت الصلاة توجه المملوك بالموكب والزى وجميع الامراء والاجناد واجتاز بأبواب القصر ودخل الايوان فاستحسن ذلك منه واستصوب رأيه وبالغ فى شكره ثم عاد المأمون الى مجلسه وأمر بتفرقة كسوة العيد والهبات يعنى في عيد النحر سنة خمس عشرة وخمسمائة وجملة العين ثلاثة آلاف وثلثمائة دينار وسبعة دنانير ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع

برسم الامراء المطوقين والاستاذين المحنكين وكاتب الدست ومتولى حجبة الباب وغيرهم قال ووصلت الكسوة المختصة بالعيد في آخر شهر رمضان يعني من سنة ست عشرة وخمسمائة وهى تشتمل على دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلل لان الحلل فيه تعم الجماعة وفي غيره للاعيان خاصة وقد تقدم تفصيلها عند ذكر خزانة الكسوة من هذا الكتاب • قال ولما كان في التاسع والعشرين من شهر رمضان خرجت الاوامر بأضعاف ماهو مستقر للمقرئين والمؤذنين في كل ليلة برسم السحور بحكم أنها ليلة ختم الشهر وحضر المأمون في آخر النهار الى القصر للفطور مع الخليفة والحضور على الاسمطة على العادة وحضر اخوته وعمومته وجميع الجلساء وحضر المقرئون والمؤذنون وسلموا على عادتهم وجلسوا تحت الروشن وحمل من عند معظم الجهات والسيدات والمميزات من أهل القصور بلاحي وموكبيات مملوءة ماء ملفوفة في عراضى ديبقي وجعلت أمام المذكورين ليشملها بركة ختم القرآن واستفتح المقرئون من الحمد الى خاتمة القرآن تلاوة وتطريباً ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع ودعا فأبلغ ورفع الفراشون ماأعدوه برسم الجهات ثم كبر المؤذنون وهللوا وأخذوا فى الصوفيات الى أن نثر عليهم من الروشن دراهم ودنانير ورباعيات وقدمت جفان القطائف على الرسم مع الحلوى فجروا على عادتهم وملأوا أكمامهم ثم خرج أستاذ من باب الدار الجليلة بخلع خلعها على الخطيب وغيره ودراهم تفرق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين ورسم أن تحمل الفطرة الى قاعة الذهب وأن تكون التعبية في مجلس الملك وتعبي الطيافير المشورة الكبار من السرير الى باب المجلس وتعبي من باب المجلس الى ثلثى القاعة سماطاً واحدا مثل سماط الطعام ويكون جميعه سداً واحدامن حلاوة الموسم ويزين بالقطع المنفوخ فامتثل الامر وحضر الخليفة الى الايوان واستدعى المأمون وأولاده واخوته وعرضت المظال المذهبة المحاومة وكان المقرئون يلوحون عند ذكرها بالآيات التى في سورة النحل والله جعل لكم مما خلق ظلالا الى آخرها وجلس الخليفة ورفعت الستور واستفتح المقرئون وجدد المأمون السلام عليه وجلس على المرتبة عن يمينه وسلم الامراء جميعهم على حكم منازلهم لايتعدى أحد منهم مكانه والنواب جميعهم يستدعونهم بنعوتهم وترتيب وقوفهم وسلم الرسل الواصلون من جميع الاقاليم ووقفوا في آخر الايوان وختم المقرئون وسلموا وخدمت الرهجية وتقدم متولى كل اصطبل من الروّاض وغيرهم يقبل الارض ويقف ودخلت الدواب من باب الديلم والمستخدمون فى الركاب بالمناديل يتسلمونها من الشدادين ويدورون بهاحول الايوان ودواب المظلة متميزة عن غيرها يتسلمها الاستاذون والمستخدمون في الركاب ويعلون بها الى قريب من الشباك الذى فيه الخليفة وكلما عرض دواب اصطبل قبل الارض متوليه وانصرف وتقدم متولى غيره على حكمه الى أن يعرض جميع ماأحضروه

وهو مايزيد على ألف فرس خارجا عن البغال وما تأخر من العشاريات والحجور والمهارة
ولما عرضت الدواب أبطلت الرهجية وعاد استفتاح المقرئين وكانوا محسنين فيما ينتزعونه من
القرآن الكريم مما يوافق الحال مثل الآية من آل عمران زين للناس حب الشهوات الى آخرها
ثم بعدها قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الى آخرها وعرضت الوحوش بالاجلة
الديباج والديبقى بقباب الذهب والمناطق والاهلة وبعدها النجب والبخاتي بالاقتاب الملبسة
بالديبقي الملون المرقوم وعرض السلاح وآلات الموكب جميعها ونصبت الكسوات على باب
العيد وضربت طول الليل وحمات الفطرة الخاص التى يفطر عليها الخليفة باصناف الجوارشات
بالمسك والعود والكافور والزعفران والتمور المصبغة التى يستخرج مافيها وتحشي بالطيب
وغيره وتسد وتختم وسلمت للمستخدمين في القصور وعبيت في مواعين الذهب المكللة
بالجواهر وخرجت الاعلام والبنود وركب المأمون فلما حصل بقاعة الذهب أخذ في
مشاهدة السماط من سرير الملك الى آخرها وخرج الخليفة لوقته من الباذهنج وطلع الى
سرير ملكه وبين يديه الصواني المقدم ذكرها واستدعي بالمأمون فجلس عن يمينه بعد
أداء حق السلام وأمر باحضار الامراء المميزين والقاضى والداعى والضيوف وسلم كل
منهم على حكم ميزته وقدمت الرسل وشرّفوا بتقبيل الارض والمقرئون يتلون والمؤذنون
يهللون ويكبرون وكشفت القوارات الشرب المذهبات عما هو بين يدى الخليفة فبدأ وكبر
وأخذ بيده تمرة فأفطر عليها وناول مثلها الوزير فأظهر الفطر عليها وأخذ الخليفة في أن
يستعمل من جميع ماحضر ويناول وزيره منه وهو يقبله ويجعله في كمه وتقدمت الاجلاء
اخوة الوزير وأولاده من تحت السرير وهو يناولهم من يده فيجعلونه في أكمامهم بعد
تقبيله وأخذ كل من الحاضرين كذلك ويومئ بالفطور ويجعله في كمه على سبيل البركة
فمن كان رأيه الفطور أفطر ومن لم يكن رأيه أومأ وجعله في كمه لاينتقد على أحد فعله ثم
قال المأمون بعد ذلك ما على من يأخذ من هذا المكان نقيصة بل له به الشرف والميزة ومد
يده وأخذ من الطيفور الذى كان بين يديه عود نبات وجعله فى كمه بعد تقبيله وأشار الى
الامراء فاعتمد كل من الحاضرين ذلك وملأوا أكمامهم ودخل الناس فأخذوا جميع ذلك
ثم خرج الوزير الى داره والجماعة في ركابه فوجد التعبية فيها من صدر المجلس الى آخره
على ما أمر به ولم يعدم مما كان بالقصر غير الصوانى الخاص فجلس على مرتبته والاجلاء
أولاده واستدعى بالعوالى من الامراء والقاضى والداعى والضيوف فحضروا وشرفوا بجلوسهم
معه وحصل من مسرتهم بذلك مابسطهم ورفعوا اليسير مما حضر على سبيل الشرف ثم
انصرفوا وحضرت الطوائف والرسل على طبقاتهم الى أن حمل جميع ما كان بالدار بأسره
وانقضى حكم الفطور وعاد للتنفيذ فى غيره وضربت الطبول والابواق على أبواب القصور

والدار المأمونية وأحضرت التعابير وفرقت على أربابها من الاجناد والمستخدمين وخرجت أزمة العساكر فارسها وراجلها وندب الحاجب الذي بيده الدعو لترتيب صفوفها من باب القصر الى المصلى ثم حضر الى الدار المأمونية الشيوخ المميزون وجلس المأمون في مجلسه وأولاده بهيئة العيد وزينته ورفعت الستور وابتدأ المقرئون وسلم متولى الباب والشيوخ ولم يدخل المجلس غير كاتب الدست ومتولى الحجبة وبالغ كل منهما في زيه وملبوسه وجروا على رسمهم في تقبيل الارض وعتبة المجلس ووصل الى الدار المأمونية التجمل الخاص الذي برسم الخليفة جميعه القصب الفضة والاعلام والمنجوقات والعقبات والعماريات ولواآ الوزارة لركوب الخليفة بالمظلة بالطميم والمراكيب الذهب المرصعة بالجوهر وغير ذلك من التجملات وركب المأمون من داره وجميع التشاريف الخاص بين يديه وخدمت الرهجية ومن جملتهم الغريبة وهي أبواق لطاف عجيبة غريبة الشكل تضرب كل وقت يركب فيه الخليفة ولا تضرب قدام الوزير الافي المواسم خاصة وفي أيام الخلع عليه والامراء مصطفون عن يمينه وعن شماله ويليهم اخوته وبعدهم أولاده ودخل الى الايوان وجلس على المرتبة المختصة به وعن يمينه جميع الاجلاء والمميزون وقوف أمامه ومن انحط عنهم من باب الملك الى الايوان قيام ويخرج خاصة الدولة ريحان الى المصلى بالفرش الخاص وآلات الصلاة وعلق المحراب بالشروب المذهبة وفرش فيه ثلاث سجادات متراكبة وأعلاها السجادة اللطيفة التي كانت عندهم معظمة وهي قطعة من حصير ذكر أنها كانت من جملة حصير لجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام يصلى عليها وفرش الارض جميعها بالحصر المحاريب ثم علق على جانبي المنبر وفرش جميع درجه وجعل أعلاه المخاد التي يجلس عليها الخليفة وعلق اللواآن عليه وقعد تحت القبة خاصة الدولة ريحان والقاضي وأطلق البخور ولم يفتح من أبوابه الا باب واحد وهو الذي يدخل منه الخليفة ويقعد الداعي في الدهليز ونقباء المؤمنين بين يديه وكذلك الامراء والاشراف والشيوخ والشهود ومن سواهم من أرباب الحرف ولا يمكن من الدخول الا من يعرفه الداعي ويكون فى ضمانه واستفتحت الصلاة وأقبل الخليفة من قصوره بغاية زيه والعلم الجوهر في منديله وقضيب الملك بيده وبنو عمه واخوته وأستاذوه في ركابه وتلقاه المقرئون عند وصوله والخواص واستدعى بالمأمون فتقدم بمفرده وقبل الارض وأخذ السيف والرمح من مقدمي خزائن الكسوة والرهجية تخدم وحمل لواء الحمد بين يديه الى أن خرج من باب العيد فوجد المظلة قد نشرت عن يمينه والذي بيده الدعو في ترتيب الحجبة لمن شرف بها لايتعدى أحد حكمه وسائر المواكب بالجنائب الخاص وخيل التخافيف ومصفات العساكر والطوائف جميعها بزيها وراياتها وراء الموكب الى أن وصل الى قريب المصلى والعماريات والزراقات وقد شد على الفيلة بالاسرة مملوءة رجالا مشبكة بالسلاح لايتبين

منهم الا الاحداق وبأيديهم السيوف المجردة والدرق الحديد الصيني والعساكر قد اجتمعت وترادفت صفوفا من الجانبين الى باب المصلى والنظارة قد ملأت الفضاء لمشاهدة مالم يبلغوه والموكب سائر بهم وقد أحاط بالخليفة والوزير صبيان الخاص وبعدهم الاجناد بالدروع المسبلة والزرديات بالمغافر ملثمة والبروك الحديد بالصماصم والدبابيس ولما طلع الموكب من ربوة المصلى ترجل متولى الباب والحجاب ووقف الخليفة بجمعه بالمظلة الى أن اجتاز المأمون راكبا بمن حول ركابه ورد الخليفة السلام عليه بكمه وصار أمامه وترجل الامراء المميزون والاستاذون المحنكون بعدهم وجميع الاجلاء وصار كل منهم يبدأ بالسلام على الوزير ثم على الخليفة الى أن صار الجميع فى ركابه ولم يدخل من باب المصلى راكبا غير الوزير خاصة ثم ترجل على بابه الثاني الى أن وصل الخليفة اليه فاستدعى به فسلم وأخذ الشكيمة بيده الى أن ترجل الخليفة في الدهليز الآخر وقصد المحراب والمؤذنون يكبرون قدامه واستفتح الخليفة في المحراب وسامته فيه وزيره والقاضى والداعي عن يمينه وشماله ليوصلوا التكبير لجماعة المؤذنين من الجانبين ويتصل منهم التكبير الى مؤذني مصلى الرجال والنساء الخارجين عن المصلى الكبير وكاتب الدست وأهله ومتولى ديوان الانشاء يصلون تحت عقد المنبر ولا يمكن غيرهم أن يكون معهم ولما قضى الخليفة الصلاة وهى ركعتان قرأ في الاولى بفاتحة الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية وكبر سبع تكبيرات وركع وسجد وفي الثانية بالفاتحة وسورة والشمس وضحاها وكبر خمس تكبيرات وهذه سنة الجميع ومن ينوب عنهم فى صلاة العيدين على الاستمرار وسلم وخرج من المحراب وعطف عن يمينه والحرص عليه شديد ولا يصل اليه الا من كان خصيصا به وصعد المنبر بالخشوع والسكينة وجميع من بالمصلى والتربة لايسأم نظره ويكثرون من الدعاء له ولما حصل في أعلى المنبر أشار الى المأمون فقبل الارض وسارع في الطلوع اليه وأدى مايجب من سلامه وتعظيم مقامه ووقف بأعلى درجة وأشار الى القاضى فتقدم وقبل كل درجة الى أن يصل الى الدرجة الثالثة وقف عندها وأخرج الدعو من كمه وقبله ووضعه على رأسه وأعلى بما تضمنه وهو ما جرت به العادة من تسمية يوم العيد وسنته والدعاء للدولة وكانت الحال في أيام وزراء الاقلام والسيوف اذا حصل الخليفة فى أعلى المنبر بقى الوزير مع غيره وأشار الخليفة الى القاضي فيقبل الارض ويطلع الى الدرجة الثالثة ويخرج الدعو من كمه ويقبله ويضعه على رأسه ويذكر يوم العيد وسنته والدعاء للدولة ثم يستدعى بالوزير بعد ذلك فيصعد بعد القاضى فراعى الخليفة ذلك الامر في حق الوزير فجعل الاشارة منه اليه أولا ورفعه عن أن يكون مأمورا مثل غيره وجعلها له ميزة على غيره ممن تقدمه واستمرت فيما بعد واستفتح الخليفة بالتكبير الجارى به العادة فى الفطر والخطبتين الى آخرها وكبر المؤذنون ورفع اللوا آن وترجل كل أحد من

موضعه كما كان ركوبه وصار الجميع في ركاب الخليفة وجرى الامر في رجوعه على ما تقدم شرحه ومضى الى تربة آبائه وهي سنتهم في كل ركبة بمظلة وفي كل يوم جمعة مع صدقات ورسوم تفرق وأما الوزير المأمون فانه توجه وخرج من باب العيد والامراء بين يديه الى أن وصل الى باب الذهب فدخل منه بعد أن أمر ولده الاكبر بالوصول الى داره والجلوس على سماط العيد على عادته ولما دخل المأمون بقاعة الذهب وجد الشروع قد وقع من المستخدمين بتعبية السماط فأمر بتفرقة الرسوم على أربابها وهو ما يحمل الى مجلس الوزارة برسم الحاشية ولكل من حاشية أولاده واخوته وكاتب الدست ومتولي حجبة الباب ومتولي الديوان وكاتب الدفتر والنائب لكل منهم رسم يصرف قبل جلوس الخليفة وعند انقضاء الاسمطة لغير المذكورين على قدر منزلة كل منهم ثم حضر أبو الفضائل بن أبي الليث واستأذن على طيافير الفطرة الكبار التي في مجلس الخليفة فامره الوزير بأن يعتمد في تفرقتها على ما كان يعتمده في الايام الافضلية وهو لكل من يصعد المنبر مع الخليفة طيفور فلما أخذ الخليفة راحة بعد مضيه الى التربة جلس على السرير وبين يديه المائدة اللطيفة الذهب بالمينا معباة بالزبادي الذهب واستدعى الوزير واصطف الناس من المدورة الى آخر السماط من الجانبين على طبقاتهم ورفعت الستور واستفتح المقرئون ووفى الدولة اسعاف متولي المائدة مشدود الوسط ومقدم خزانة الشراب بيده شربة في مرفع ذهب وغطاء مرصعين بالجوهر والياقوت ومتولي خزائن الانفاق بيده خريطة مملوءة دنانير لمن يقف يطلب صدقة وانعاما فيؤمر بما يدفع اليه وتفرقة الرسوم الجاري بها العادة ولعبت المنافقون والتحسارية وتناوب القراء والمنشدون وأرخيت الستور وعبي السماط ثانيا على ما كان عليه أولا ثم رفعت الستور وجلس على المدورة والسماط من جرت العادة به وفرقت الدنانير على المقرئين والمنشدين والتحسارية والمنافقين ومن هو معروف بكثرة الاكل ونهبت قصور الخليفة وفرق من الاصناف ما جرت به العادة وأرخيت الستور وأحضر متولي خزانة الكسوة الخاص للخليفة بدلة الى أعلى السرير حسبما كان أمره فلبسها وخلع الثياب التي كانت عليه على الوزير بعد ما بالغ في شكره والثناء عليه وتوجه الى داره فوصل اليه من الخليفة الصواني الخاص المكللة معباة على ما كانت بين يديه وغيرها من الموائد وكذلك الى أولاده واخوته صينية صينية ولكاتب الدست ومتولي حجبة الباب مثل ذلك ويكبر الوزير بجلوسه في داره معلنا وتسارع الناس على طبقاتهم بالعيد والخلع وبما جرى في صعود المنبر وحضر الشعراء وأسنيت لهم الجوائز وجرى الحال يومئذ في جلوس الخليفة وفي السلام لجميع الشيوخ والقضاة والشهود والامراء والكتاب ومقدمي الركاب والمتصدرين بالجوامع والفقهاء والقاهريين والمصريين واليهود برئيسهم والنصارى ببطريقهم على ما جرت به عادتهم وختم المقرئون وقدمت الشعراء على

طبقاتهم الى آخرهم وجدد لكل من الحاضرين سلامه وانكفأ الخليفة الى الباذهنج لاداء فريضة الصلاة والراحة بمقدار ما عبيت المائدة الخاص واستحضر المأمون وأولاده واخوته على عادتهم واستدعى من شرف بحضور المائدة وهم الشيخ أبو الحسن كاتب الدست وأبو الرضى سالم ابنه ومتولى حجبة الباب وظهير الدين الكناني على ما كان عليه الحال قبل الصيام وانقضى حكم العيد * وقال ابن الطوير اذا قرب آخر العشر الاخر من شهر رمضان خرج الزي من أماكنه على ما وصفنا في زكوب أول العام ولكن فيه زيادات يأتي ذكرها ويركب في مستهل شوال بعد تمام شهر رمضان وعدته عندهم أبدا ثلاثون يوما فاذا تهيأت الامور من الخليفة والوزير والامراء وأرباب الرتب على ما تقدم وصار الوزير بجماعته الى باب القصر ركب الخليفة بهيئة الخلافة من المظلة واليتيمة والآلات المقدم ذكرها ولباسه في هذا اليوم الثياب البياض الموشحة المحومة وهي أجل لباسهم والمظلة كذلك فانها أبدا تابعة لثيابه كيف كانت الثياب ويكون خروجه من باب العيد الى المصلى والزيادة ظاهرة في هذا اليوم فى العساكر وقد انتظم القوم له صفين من باب القصر الى باب المصلى ويكون صاحب بيت المال قد تقدم على الرسم لفرش المصلى فيفرش الطراحات على رسمها في المحراب مطابقة ويعلق سترين يمنة ويسرة فى الايمن البسملة والفاتحة وسبح اسم ربك الأعلى وفي الايسر مثل ذلك وهل أتاك حديث الغاشية ثم يركز في جانب المصلى لواءين مشدودين على رمحين ملبسين بأنابيب الفضة وهما مستوران مرخيان فيدخل الخليفة من شرقي المصلى الى مكان ليستريح فيه دقيقة ثم يخرج محفوظا كما يحتفظ فى جامع القاهرة فيصير الى المحراب ويصلي صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة والوزير وراءه والقاضي ويقرأ في كل ركعة ما هو مرقوم في السترين فاذا فرغ وسلم صعد المنبر للخطابة العيدية يوم الفطر فاذا جلس في الذروة وهناك طراحة سامان أو ديبقي على قدرها وباقيه يستر ببياض على مقداره في تقطيع درجه وهو مضبوط لايتغير فيراه أهل ذلك الجمع جالسا في الذروة ويكون قد وقف أسفل المنبر الوزير وقاضي القضاة وصاحب الباب اسفهسلار العساكر وصاحب السيف وصاحب الرسالة وزمام القصر وصاحب دفتر المجالس وصاحب المظلة وزمام الاشراف الاقارب وصاحب بيت المال وحامل الرمح ونقيب الاشراف الطالبيين ووجه الوزير اليه فيشير اليه فيصعد ويقرب وقوفه منه ويكون وجهه موازيا رجليه فيقبلهما بحيث يراه العالم ثم يقوم ويقف على يمينه فاذا وقف أشار الى قاضي القضاة فيصعد الى سابع درجة ويتطلع اليه صاغيا لما يقول فيشير اليه فيخرج من كمه مدرجا قد أحضر اليه أمس من ديوان الانشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير فيعلن بقراءة مضمونه ويقول بسم الله الرحمن الرحيم ثبت بمن شرف بصعوده المنبر الشريف في يوم كذا وهو عيد الفطر من سنة كذا من عبيد أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه

الطاهرين وأبنائه الاكرمين بعد صعود السيد الاجل ونعوته المقررة ودعائه المحرر فان أراد الخليفة أن يشرف أحدا من أولاد الوزير واخوته استدعاه القاضي بالنعت المذكور ثم يتلو ذلك ذكر القاضي وهو القارئ فلا يتسع له أن يقول عن نفسه نعوته ولا دعاءه بل يقول المملوك فلان بن فلان وقرأه مرة القاضي ابن أبي عقيل فلما وصل الى اسمه قال العبد الذليل المعترف بالصنع الجميل في المقام الجليل أحمد بن عبد الرحمن بن أبي عقيل فاستحسن ذلك منه ثم حذا حذوه الاعز بن سلامة وقد استقضى في آخر الوقت فقال المملوك في محل الكرامه . الذي عليه من الولاء أصدق علامه . حسن بن علي بن سلامه . ثم يستدعى من ذكرنا وقوفهم على باب المنبر بنعوتهم وذكر خدمهم ودعائهم على الترتيب فاذا طلع الجماعة وكل منهم يعرف مقامه في المنبر يمنة ويسرة أشار الوزير اليهم فأخذ من هو من كل جانب بيده نصيبا من اللواء الذي بجانبه فيستتر الخليفة ويستترون وينادي في الناس بأن ينصتوا فيخطب الخليفة من المسطور على العادة وهي خطبة بليغة موافقة لذلك اليوم فاذا فرغ ألقى كل من في يده من اللواء شيء خارج المنبر فينكشفون وينزلون أولا فأولا الاقرب فالاقرب الى القهقرى فاذا خلا المنبر منهم قام الخليفة هابطا ودخل الى المكان الذي خرج منه فلبث يسيرا وركب في زيه المفخم وعاد من طريقه بعينها الى أن يصل الى قريب القصر فيتقدمه الوزير كما شرحنا ثم يدخل من باب العيد فيجلس في الشباك وقد نصب منه الى فسقية كانت في وسط الايوان مقدار عشرين قصبة سماط من الخشكنان والبسندود والبرماورد مثل الجبل الشاهق وفيه القطعة وزنها من ربع قنطار الى رطل فيدخل ذلك الجمع اليه ويفطر منه من يفطر وينقل منه من ينقل ويباح ولا يحجر عليه ولا مانع دونه فيمر ذلك بأيدي الناس وليس هو مما يعتد به ولا يعي مما يفرق للناس ويحمل الى دورهم ويعمل في هذا اليوم سماط من الطعام في القاعة يحضر عليه الخليفة والوزير فاذا انقضى ذو القعدة وهل هلال ذي الحجة اهتم بركوب عيد النحر فيجري حاله كما جرى في عيد الفطر من الزي والركوب الى المصلى ويكون لباس الخليفة فيه الاحمر الموشح ولا يخرم منه شيء انتهى * وصعد مرة الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد المنبر يوم عيد فوقف الشريف ابن أنس الدولة بازائه وقال مشيرا الى الحاضرين

خشوعا فان الله هذا مقامه * وهمسا فهذا وجهه وكلامه
وهذا الذي في كل وقت بروزه * تحياته من ربنا وسلامه

فضرب الحافظ الجانب الايسر من المنبر فرقي اليه زمام القصر فقال له قل للشريف حسبك قضيت حاجتك ولم يدعه يقول شيئاً آخر وكانت تكتب المخلقات بركوب أمير المؤمنين لصلاة العيد ويبعث بها الى الاعمال فمما كتب به من انشاء ابن الصيرفي * أما بعد فالحمد لله

الذى رفع بأمير المؤمنين عماد الايمان وثبت قواعده • وأعز بخلافته معتقده وأذل بمهابته معانده • وأظهر من نوره ما انبسط في الآفاق وزال معه الاظلام • ونسخ به ما تقدمه من الملل فقال ان الدين عند الله الاسلام • وجعل المعتصم بحبله مفضلا على من يفاخره ويباهيه وأوجب دخول الجنة وخلودها لمن عمل بأوامره ونواهيه • وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذى اصطفى له الدين • وبعثه الى الاقربين والابعدين • وأيده في الارشاد حتى صار العاصى مطيعا • ودخل الناس في التوحيد فرادى وجميعا • وغدوا بعروته الوثقى متمسكين • وأنزل عليه قل انني هدانى ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين • وعلى أخيه وابن عمه أبينا أمير المؤمنين على بن أبي طالب امام الامة • وكاشف الغمة • وأوجه الشفعاء لشيعته يوم العرض • ومن الاخلاص في ولائه قيام بحق وأداء فرض • وعلى الأئمة من ذريتهما سادة البريه • والعادلين في القضيه • والعاملين بالسيرة المرضية • وسلم وكرم • وشرف وعظم • وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الثلاثاء عيد الفطر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة وقد كان من قيام أمير المؤمنين بحقه وأدائه • وجريه فى ذلك على عادته وعادة من قبله من آبائه • ما ينبئك به • ويطلعك على مستوره عنك ومغيبه • وذلك أن دنس ثوب الليل لما بيضه الصباح • وعاد المحرم المحظور بما أطلقه المحلل المباح • توجهت عساكر أمير المؤمنين من مظانها الى بابه • وأفطرت بين يديه بعد ما حازته من أجر الصيام وثوابه • ثم انثنت الى مصافها في الهيآت • التي يقصر عنها تجريد الصفات • وتغني مهابتها عن تجريد المرهفات • وتشهد أسلحتها وعددها بالتنافس في الهمم • وتقاق مواضيها في أغمادها شوقا الى الطلى والقمم • وقد امتلأت الارض بازدحام الرجل والخيل • وثار العجاج فلم ير أغرب من اجتماع النهار والليل • وبرز أمير المؤمنين من قصوره • وظهر للابصار على أنه محتجب بضيائه ونوره • وتوجه الى المصلى في هدى جده وأبيه • والوقار الذي ارتفع فيه عن النظير والشبيه • ولما انتهى اليه قصد المحراب واستقبله • وأدى الصلاة على وضع رضيه الله وتقبله • وأجرى أمرها على أفضل المعهود • ووفاها حقها من القراءة والتكبير والركوع والسجود • وانتهى الى المنبر فعلا وكبر الله • وهلله على ما أولاه • وذكر الثواب على اخراج الفطرة وبشربه • وان المسارعة اليه من وسائل المحافظة على الخير وقربه • ووعظ وعظا ينتفع قابله في عاجلته ومنقلبه • ثم عاد الى قصوره الزاهرة مشمولا بالوقايه مكنوفا بالكفايه • منتهيا في ارشاد عبيده ورعاياه أقصى الغاية • أعلمك أمير المؤمنين خبر هذا اليوم لتعلم منه ما تسكن اليه • وتعلن بتلاوته على الكافة ليشتركوا فى معرفته ويشكروا الله عليه • فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى * وكان من أهل برقة طائفة تعرف بصبيان الخف لها اقطاعات وجرايات وكسوات ورسوم فاذا ركب الخليفة فى العيدين مدوا حبالين

مسطوحين من أعلى باب النصر الى الارض حبلا عن يمين الباب وحبلا عن شماله فاذا عاد الخليفة من المصلى نزل على الحبلين طائفة من هؤلاء على أشكال خيل من خشب مدهون وفي أيديهم رايات وخاف كل واحد منهم رديف وتحت رجليه آخر معلق بيديه ورجليه ويعملون أعمالا تذهل العقول ويركب منهم جماعة في الموكب على خيول فيركضون وهم يتقلبون عليها ويخرج الواحد منهم من تحت ابط الفرس وهو يركض ويعود يركب من الجانب الآخر ويعود وهو على حاله لايتوقف ولا يسقط منه شيء الى الارض ومنهم من يقف على ظهر الحصان فيركض به وهو واقف

ذكر القصر الصغير الغربي

وكان تجاه القصر الكبير الشرقى الذي تقدم ذكره في غربيه قصر آخر صغير يعرف بالقصر الغربي ومكانه الآن حيث المارستان المنصورى وما في صفه من المدارس ودار الامير بيسرى وباب قبو الخرنشف وربع الملك الكامل المطل على سوق الدجاجين اليوم المعروف قديما بالتبانين وما يجاوره من الدرب المعروف اليوم بدرب الخضيرى تجاه الجامع الاقمر وما وراء هذه الاماكن الى الخليج وكان هذا القصر الغربي يعرف أيضاً بقصر البحر والذى بناه العزيز بالله نزار بن المعز * قال المسبحى ولم يبن مثله في شرق ولا في غرب * وقال ابن أبي طي في أخبار سنة سبع وخمسين وأربعمائة ففيها تم الخليفة المستنصر بناء القصر الغربي وسكنه وغرم عليه ألفي ألف دينار وكان ابتداء بنيانه في سنة خمسين وأربعمائة وكان سبب بنائه أنه عزم على أن يجعله منزلا للخليفة القائم بأمر الله صاحب بغداد ويجمع بني العباس اليه ويجعله كالمجلس لهم فخانه أمله وتممه في هذه السنة وجعله لنفسه وسكنه * وقال ابن ميسر ان ست الملك أخت الحاكم كانت أكبر من أخيها الحاكم وان والدها العزيز بالله كان قد أفردها بسكنى القصر الغربي وجعل لها طائفة برسمها كانوا يسمون بالقصرية وهذا يدلك على أن القصر الغربى كان قد بنى قبل المستنصر وهو الصحيح وكان هذا القصر يشتمل أيضا على عدة أماكن

(الميدان) وكان بجوار القصر الغربى ومن حقوقه الميدان ويعرف هذا الميدان اليوم بالخرنشف واصطبل القطبية

(البستان الكافورى) وكان من حقوق القصر الصغير الغربى البستان الكافورى وكان بستانا أنشأه الامير أبو بكر محمد بن طفج بن جف الاخشيد أمير مصر وكان مطلا على الخليج فاعتنى به الاخشيد وجعل له أبوابا من حديد وكان ينزل به ويقيم فيه الايام واهتم بشأنه من بعد الاخشيد ابناه الامير أبو القاسم أونوجور بن الاخشيد والامير أبو الحسن على ابن الاخشيد في أيام امارتهما بعد أبيهما فلما استبد من بعدهما الاستاذ أبو المسك كافور

الاخشيدى بامارة مصر كان كثيرا ما يتنزه به ويواصل الركوب الى الميدان الذى كان فيه وكانت خيوله بهذا الميدان فلما قدم القائد جوهر من المغرب بجيوش مولاه المعز لدين الله لاخذ ديار مصر أناخ بجوار هذا البستان وجعله من جملة القاهرة وكان منتزها للخلفاء الفاطميين مدة أيامهم وكانوا يتوصلون اليه من سراديب مبنية تحت الارض ينزلون اليها من القصر الكبير الشرقي ويسيرون فيها بالدواب الى البستان الكافوري ومناظر اللؤلؤة بحيث لا تراهم الاعين وما زال البستان عامرا الى أن زالت الدولة فحكر وبني فيه في سنة احدى وخمسين وستمائة كما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الحارات والخطط من هذا الكتاب وأما الاقباء والسراديب فانها عملت أسربة للمراحيض وهى باقية الى يومنا هذا تصب في الخليج

(القاعة) وكان من جملة القصر الغربي قاعة كبيرة هى الآن المارستان المنصورى حيث المرضى كانت سكن ست الملك أخت الحاكم بأمر الله وكانت أحوالها متسعة جداً . قال فى كتاب الذخائر والتحف وأهدت السيدة الشريفة ست الملك أخت الحاكم بأمر الله الى أخيها يوم الثلاثاء التاسع من شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة هدايا من جملتها ثلاثون فرسا بمراكبها ذهبا منها مركب واحد مرصع ومركب من حجر البلور وعشرون بغلة بسروجها ولجمها وخمسون خادما منهم عشرة صقالبة ومائة تخت من أنواع الثياب وفاخرها وتاج مرصع بنفيس الجوهر وبديعه وشاشية مرصعة وأسفاط كثيرة من طيب من سائر أنواعه وبستان من الفضة مزروع من أنواع الشجر قال وخلفت حين ماتت في مستهل جمادى الآخرة من سنة خمس وعشرين وأربعمائة مالا يحصى كثرة وكان اقطاعها فى كل سنة يغل خمسين ألف دينار ووجد لها بعد وفاتها ثمانية آلاف جارية منها بنيات ألف وخمسمائة وكانت سمحة نبيلة كريمة الاخلاق والفعل وكان في جملة موجودها نيف وثلاثون زيرا صينيا مملوأ جميعها مسكا مسحوقا ووجد لها جوهر نفيس من جملته قطعة ياقوت ذكر أن فيها عشرة مثاقيل * قال المسيحي ولدت بالمغرب فى ذى القعدة سنة خمس وثلثمائة ولما زالت الدولة عرفت هذه الدار بالامير فخر الدين جهاركس (٣) موسك ثم بالملك المفضل قطب الدين (٣) بن الملك العادل فلما كان فى شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين وستمائة شرع الملك المنصور قلاون الالفي في بنائها مارستانا ومدرسة وتربة وتولى عمارتها الامير علم الدين سنجر الشجاعي مدبر الممالك ويقال ان ذرع هذه الدار عشرة آلاف وستمائة ذراع

(أبواب القصر الغربى)

كان لهذا القصر عدة أبواب منها باب الساباط وباب التبانين وباب الزمرذ

(باب الساباط) هذا الباب موضعه الآن باب سر المارستان المنصوري الذي يخرج منه

الآن الى الخرنشف وكان من الرسم أن يذبح في باب الساباط المذكور مدة أيام النحر وفى عيد الغدير عدة ذبائح تفرق على سبيل الشرف * قال ابن المأمون في سنة ست عشرة وخمسمائة وجملة ما نحره الخليفة الآمر بأحكام الله وذبحه خاصة فى المنحر وباب الساباط دون المأمون وأولاده واخوته فى ثلاثة الايام ألف وسبعمائة وستة وأربعون رأسا فذكر ما كان بالمنحر قال وفى باب الساباط مما يحمل الى من حوته القصور والى دار الوزارة والاصحاب والحواشي اثنتا عشرة ناقة وثمانية عشر رأس بقر وخمسة عشر رأس جاموس ومن الكباش ألف وثمانمائة رأس ويتصدق كل يوم فى باب الساباط بسقط ما يذبح من النوق والبقر * وقال ابن عبد الظاهر كان في القصر باب يعرف بباب الساباط كان الخليفة في العيد يخرج منه الى الميدان وهو الخرنشف الآن لينحر فيه الضحايا

(باب التبانين) هذا الباب مكان باب الخرنشف الآن وجعل فى موضعه دار العلم التي بناها الحاكم الآتى ذكرها ان شاء الله تعالى

(باب الزمرذ) كان موضع اصطبل القطبية قريبا من باب البستان الكافوري الموجود الآن

(ذكر دار العلم)

وكان بجوار القصر الغربي من بحريه دار العلم ويدخل اليها من باب التبانين الذي هو الآن يعرف بقبو الخرنشف وصار مكان دار العلم الآن الدار المعروفة بدار الخضيرى الكائنة بدرب الخضيري المقابل للجامع الاقمر ودار العلم هذه اتخذها الحاكم بامر الله فاستمرت الى أن أبطلها الافضل بن أمير الجيوش * قال الامير المختار عز الملك محمد بن عبد الله المسبحى وفى يوم السبت هذا يعني العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها الفقهاء وحملت الكتب اليها من خزائن القصور المعمورة ودخل الناس اليها ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها ما التمسه وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها وجلس فيها القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والاطباء بعد أن فرشت هذه الدار وزخرفت وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور وأقيم قوام وخدام وفراشون وغيرهم وسموا بخدمتها وحصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها اليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة مالم ير مثله مجتمعا لاحد قط من الملوك وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها فكان ذلك من المحاسن المأثورة أيضا التى لم يسمع بمثلها من اجراء الرزق السنى لمن رسم له بالجلوس فيها والخدمة لها من فقيه وغيره وحضرها الناس على طبقاتهم فمنهم من يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للنسخ ومنهم من يحضر للتعلم وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الحبر والاقلام والورق والمحابر وهي الدار المعروفة بمختار الصقلبي

قال وفي سنة ثلاث وأربعمائة أحضر جماعة من دار العلم من أهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء منهم عبد الغني بن سعيد وجماعة من الاطباء الى حضرة الحاكم بأمر الله وكانت كل طائفة تحضر على انفرادها للمناظرة بين يديه ثم خلع على الجميع ووصلهم ووقف الحاكم بامر الله أماكن في فسطاط مصر على عدة مواضع وضمنها كتابا ثبت على قاضى القضاة مالك بن سعيد وقد ذكر عند ذكر الجامع الازهر وقال فيه وقد ذكر دار العلم ويكون العشر وثمن العشر لدار الحكمة لما يحتاج اليه في كل سنة من العين المغربى مائتان وسبعة وخمسون دينارا من ذلك لثمن الحصر العبداني وغيرها لهذه الدار عشرة دنانير ومن ذلك لورق الكاتب يعنى الناسخ تسعون دينارا ومن ذلك للخازن بها ثمانية وأربعون دينارا ومن ذلك لثمن الماء اثنا عشر دينارا ومن ذلك للفراش خمسة عشر دينارا ومن ذلك للورق والحبر والاقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء اثنا عشر دينارا ومن ذلك لمرمة الستارة دينار واحد ومن ذلك لمرمة ما عسى أن يتقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها اثنا عشر دينارا ومن ذلك لثمن لبود للفرش في الشتاء خمسة دنانير ومن ذلك لثمن طنافس في الشتاء أربعة دنانير * وقال ابن المأمون وفى هذا الشهر يعني شهر ذى الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة جرت نوبة القصار وهى طويلة وأولها من الايام الافضلية وكان فيهم رجلان يسمى أحدهما بركات والآخر حميد بن مكي الاطفيحي القصار مع جماعة يعرفون بالبديعية وهم على الاسلام والمذاهب الثلاثة المشهورة وكانوا يجتمعون فى دار العلم بالقاهرة فاعتمد بركات من جملتهم أن استفسد عقول جماعة وأخرجهم عن الصواب وكان ذلك فى أيام الافضل فأمر للوقت بغلق دار العلم والقبض على المذكور فهرب وكان من جملة من استفسد عقله بركات المذكور استاذان من القصر فلما طلب بركات المذكور واستتردقق الاستاذان الحيلة الى أن أدخلاه عندهما فى زى جارية اشترياها وقاما بحقه وجميع ما يحتاج اليه وصار أهله يدخلون اليه فى بعض الاوقات فمرض بركات عند الاستاذين فحارا فى أمره ومداواته وتعذر عليهما احضار طبيب له واشتد مرضه ومات فأعملا الحيلة وعرفا زمام القصر أن احدى عجائزهما قد توفيت وأن عجائزهما يغسلنها على عادة القصور ويشيعنها الى تربة النعمان بالقرافة وكتبا عدة من يخرج ففسح لهما فى العدة وأخذا في غسله وألبساه ما أخذاه من أهله وهو ثياب معلمة وشاشية ومنديل وطيلسان مقور وأدرجوه فى الدبيقى وتوجه مع التابوت الاستاذان المشار اليهما فلما قطعوا به بعض الطريق أرادا تكميل الاجر له على قدر عقولهما فقالا للحمالين هو رجل تربيته عندنا فنادوا عليه نداء الرجال واكتموا الحال وهذه أربعة دنانير لكم فسر الحمالون بذلك فلما عادوا الى صاحب الدكان عرفوه بما جرى وقاسموه الدنانير فخافت نفسه وعلم أنها قضية لاتخفى فمضى بهم الى الوالي وشرح له

القضية فأودعهم في الاعتقال وأخذ الذهب منهم وكتب مطالعة بالحال فمن اول ما سمع القائد أبو عبد الله بن فاتك الذى قيل له بعد ذلك المأمون بالقضية وكان مدبر الامور فى الايام الافضلية قال هو بركات المطلوب وامر باحضار الاستاذين والكشف عن القضية واحضار الحمالين والكشف عن القبر بحضورهم فاذا تحققوا امرهم بلعنه فمن أجاب الى ذلك منهم أطلقوه ومن أبى أحضروه فحققوا معرفته فمنهم من بصق في وجهه وتبرأ منه ومنهم من هم بتقبيله ولم يتبرأ منه فجلس الافضل واستدعى الوالى والسياف واستدعى من كان تحت الحوطة من أصحابه فكل من تبرأ منه ولعنه أطلق سبيله وبقى من الجماعة ممن لم يتبرأ منه خمسة نفر وصبي لم يبلغ الحلم فأمر بضرب رقابهم وطلب الاستاذين فلم يقدر عليهما وقال للصبي من لفظه تبرأ منه وأنعم عليك وأطلق سبيلك فقال له الله يطالبك انلم تلحقني بهم فاني مشاهد ما هم فيه وأخذ بسيفه على الافضل فأمر بضرب عنقه فلما توفى الافضل أمر الخليفة الآمر باحكام الله وزيره المأمون بن البطائحي باتخاذ دار العلم وفتحها على الاوضاع الشرعية ثم عاد حميد القصار المثنى بذكره وظهر وسكن مصر يدق الثياب بها ويطلع الى دار العلم وأفسد عقل استاذ وخياط وجماعة وادعي الربوبية فحضر الداعى ابن عبد الحقيق الى الوزير المأمون وعرفه بان هذا قد تعرف بطرف من علم الكلام على مذهب أبي الحسن الاشعرى ثم انسلخ عن الاسلام وسلك طريق الحلاج في التمويه فاستهوى من ضعف عقله وقلت بصيرته فان الحلاج في أول أمره كان يدعى أنه داعية المهدى ثم ادعي أنه المهدى ثم ادعى الالهية وأن الجن تخدمه وأنه أحيا عدة من الطيور وكان هذا القصار شيعي الدين وجرت له امور فى الايام الافضلية ونفي دفعة واعتقل اخرى ثم هرب بعد ذلك ثم حضر وصار يواصل طلوع الجبل واستصحب من استهواه من أصحابه فاذا أبعد قال لبعضهم بعد أن يصلى ركعتين اطلب شيأ تأكله أصحابنا فيمضى ولا يلبث دون أن يعود ومعه ما كان أعده مع بعض خاصته الذين يطلعون على باطنه فكانوا يهابونه ويعظمونه حتى انهم يخافون الاثم في تأمل صورته فلا ينفكون مطرقين بين يديه وكان قصيرا دميم الخلقة وادعي مع ذلك الربوبية وكان ممن اختص بحميد رجل خياط وخصى فرسم المأمون بالقبض على المذكور وعلى جميع اصحابه فهرب الخياط وطلب فلم يوجد ونودى عليه وبذل لمن يحضر به مال فلم يقدر عليه واعتقل القصار وأصحابه وقرروا فلم يقروا بشيء من حاله وبعد أيام تماوت في الحبس فلما استؤمر عليه أمر بدفنه فلما حمل ليدفن ظهر أنه حي فأعيد الى الاعتقال وبقى كل من لم يتبرأ منه معتقلا ما خلا الخصي فانه لم يتبرأ منه وذكر أن القتل لا يصل اليه فأمر بقطع لسانه ورمى قدامه وهو مصر على ما في نفسه فأخرج القصار والخصي ومن لم يتبرأ منه من أصحابه فصلبوا على الخشب وضربوا

بالنشاب فماتوا لوقتهم ثم نودي على الخياط ثانيا فاحضر وفعل به ما فعل بأصحابه بعد أن قيل له ها أنت تنظره فلم يتبرأ منه وصاب الى جانبه وذكر أن بعض أصحاب هذا القصار ممن لم يعرف أنه كان يشتري الكافور ويرميه بالقرب من خشبته التي هو مصلوب عليها فيستقبل رائحته من سلك تلك الطريق ويقصد بذلك أن يربط عقول من كان القصار قد أضله فأمر المأمون أن يحطوا عن الخشب وأن تخلط رممهم ويدفنوا متفرقين حتى لا يعرف قبر القصار من قبورهم وكان قتلهم في سنة سبع عشرة وخمسمائة وابتداء هذه القضية سنة ثلاث عشرة وخمسمائة قال وكان الشريف عبد الله يحدث عن صديق له مأمون القول أنه أخبره أنه لما شاع خبر هذا القصار وما ظهر منه أراد أن يمتحنه فتسبب الى أن خالطه وصار في جملة أصحابه ومن يعظمه ويطلع معه الى الجبل فافسد عقله وغير معتقده وأخرجه عن الاسلام وأنه لامه على ذلك وردعه فحدثه بعجائب منها أنه قال والله ما من الجماعة الذين يطلعون معه الى الجبل أحد الا ويسأله ويستدعيه ما يريد على سبيل الامتحان فيحضره اليه لوقته وان بيده سكينا لاتقطع الابيده واذا أمسك طائرا وقبضه أحد من الحاضرين يدفع السكين التي معه له ويقول له اذبحه فلا تمشي في يده فيأخذها هو ويذبحه بها ويجرى دمه ثم يعود ويمسكه بيده ويسرحه فيطير ويقول ان الحديد لا يعمل فيه ويوسع القول فيما يشاهده منه ويسمعه فلما اعتقل القصار بقي هذا الرجل مصرا على اعتقاده فلما قتل وخرج اليه وشاهده وتحقق موته علم أن ما كان فيه سحر وزور وافك فتصدق بجملة من ماله وعاد الى مذهبه وصح معتقده *

وقال ابن عبد الظاهر دار العلم كان الافضل بن أمير الجيوش قد أبطلها وهي بجوار باب التبانين وهي متصلة بالقصر الصغير وفيها مدفون الداعي المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى الاعجمي وكان لابطالها امور سببها اجتماع الناس والخوض في المذاهب والخوف من الاجتماع على المذهب النزاري ولم يزل الخدام يتوصلون الى الخليفة الآمر باحكام الله حتى تحدث في ذلك مع الوزير المأمون فقال أين تكون هذه الدار فقال بعض الخدام تكون بالدار التي كانت اولا فقال المأمون هذا لا يكون لانه باب صار من جملة ابواب القصر وبرسم الحوائج ولا يمكن الاجتماع ولا يؤمن من غريب يحصل به فأشار كل من الاستاذين بشيء فأشار بعضهم أن تكون فى بيت المال القديم فقال المأمون يا سبحان الله قد منعنا أن تكون متاخمة للقصر الكبير الذي هو سكن الخليفة نجعلها ملاصقة فقال الثقة زمام القصور في جواري موضع ليس ملاصقا للقصر ولا مخالطا له يجوز أن يعمر ويكون دار العلم فأجاب المأمون الى ذلك وقال بشرط أن يكون متوليها رجلا دينا والداعي الناظر فيها ويقام فيها متصدرون برسم قراءة القرآن فاستخدم فيها ابو محمد حسن بن آدم فتولاها وشرط عليه ما تقدم ذكره واستخدم فيها مقرئون

(ذكر دار الضيافة)

خرج مالك فى الموطا عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال كان ابراهيم عليه السلام اول من ضيف الضيف واول من اتخذ دار ضيافة في الاسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه في سنة سبع عشرة وأعد فيها الدقيق والسمن والعسل وغيره وجعل بين مكة والمدينة من يحمل المنقطعين من ماء الى ماء حتى يوصلهم الى البلد فلما استخلف عثمان ابن عفان رضى الله عنه أقام الضيافة لابناء السبيل والمتعبدين في المسجد وأول من بنى دار الضيافة بمصر للناس عثمان بن قيس بن أبي العاص السهمى أحد من شهد فتح مصر من الصحابة وكان ميدان القصر الغربى الذى هو الآن الخرنشف دار الضيافة بحارة برجوان وكانت هذه الدار أولا تعرف بدار الاستاذ برجوان وفيها كان يسكن حيث الموضع المعروف بحارة برجوان ثم لما قدم أمير الجيوش بدر الجمالى في أيام الخليفة المستنصر من عكا واستبد بامر الدولة أنشأ هناك دارا عظيمة وسكنها ولم يسكن بدار الديباج التى كانت دار الوزارة القديمة فلما مات أمير الجيوش بدر واستولى سلطنة ديار مصر ابنه الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش وأنشأ دار القباب التى عرفت بدار الوزارة الكبرى قريباً من رحبة باب العيد أقر أخاه أبا محمد جعفراً المنعوت بالمظفر بن أمير الجيوش بدار أمير الجيوش من حارة برجوان فعرفت بدار المظفر ومازال بها حتى مات وقبر بها والى اليوم قبره بها وتسميه العامة جعفرا الصادق ولما مات المظفر اتخذت داره المذكورة دار ضيافة برسم الرسل الواردين من الملوك واستمرت كذلك الى أن انقرضت الدولة فانزل بها السلطان صلاح الدين أولاد العاضد الى أن نقلهم الى قلعة الجبل الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب فلما كان فى سنة تسع وسبعين وستمائة تقدم أمر الملك المنصور قلاون لوكيل بيت المال القاضى مجد الدين عيسى بن الخشاب ببيع دار المظفر فباع القاعة الكبرى وما هو من حقوقها وبيعت دار المظفر الصغرى وهدمها الناس وبنوا في مكانها دورا وموضعها الآن دار قاضي القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى الحنفى وما بجوارها الى الدار التى بها سكنى اليوم وهى من حقوق دار المظفر الصغرى على ما في كتبها القديمة ولما أنشأ قاضي القضاة شمس الدين المذكور داره في سنة سبع أو سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ظهر من تحت الارض عند حفر الاساس حجر عظيم قيل انه عتبة دار المظفر الكبرى وكان اذ ذاك الامير جهاركس الخليلى يتولى عمارة مدرسة الملك الظاهر برقوق التي في خط بين القصرين فلما بلغه خبر هذا الحجر بعث اليه وأمر بجره الى العمارة فعمل عتبة باب المزملة التى للمدرسة وكان من وراء هذه الدار رحبة الافيال أدركتها ساحة ثم عمر فيها * قال ابن الطوير الخدمة المعروفة بالنيابة للقاء المرسلين وهي خدمة جليلة يقال لمتوليها النائب وينعت بعدى الملك وهو ينوب عن صاحب الباب فى لقاء الرسل الوافدين

على مسافة وانزال كل واحد فى دار تصلح له ويقيم له من يقوم بخدمته وله نظير في دار الضيافة وهو يسمى اليوم بمهمندار ويرتب لهم ما يحتاجون اليه ولا يمكن أحدا من الاجتماع بهم ويذكر صاحب الباب بهم ويبالغ في نجاز ما وصلوا فيه وهو الذي يسلم بهم أبدا عند الخليفة والوزير وينفذ بهم ويستأذن عليهم ويدخل الرسول وصاحب الباب قابض على يده اليمنى والنائب بيده اليسرى فيحفظ ما يقولون وما يقال لهم ويجتهد في انفصالهم على أحسن الوجوه وبين يديه من الفراشين المقدم ذكرهم عدة لاعانته واذا غاب أقام عنه نائبا الى أن يعود وله من الجارى خمسون دينارا في كل شهر وفي اليوم نصف قنطار خبز وقد يهدى اليه المرسلون طرفا فلا يتناولها الا باذن انتهى * وفي هذه الدولة التركية يقال لمتولى هذه الوظيفة مهمندار ولا يليها عندهم الاصاحب سيف من الامراء العشراوات وكانت فى الدولة الفاطمية على ما ذكره ابن الطوير لا يليها الا أعيان العدول وأرباب العمائم وينعت أبدا بعدى الملك وأصل هذه الكلمة بالفارسية مهمان دار (ومعناها ملتقى الضيوف)

(ذكر اصطبل الحجرية)

وكان بجواردار الضيافة اصطبل الصبيان الحجرية المقدم ذكرهم وموضع هذا الاصطبل اليوم يعرف بخان الوراقة داخل باب الفتوح القديم بسوق المرحلين على يسرة من أراد الخروج من باب الفتوح القديم تجاه زيادة الجامع الحاكمي ومن حقوق هذا الاصطبل أيضاً الموضع الذى فيه الآن القيسارية المعروفة بقيسارية الست التى هى اليوم تجاه المدرسة الصيرمية والجملون الصغير وكانت بهذا الاصطبل خيول الصبيان الحجرية احدى طوائف العساكر في زمن الخلفاء الفاطميين

(ذكر مطبخ القصر)

وكان بجوار القصر الغربي قبالة باب الزهومة من القصر الكبير مطبخ القصر وموضعه الآن الصاغة تجاه المدارس الصالحية ولما كانت مطبخا كان يخرج اليه من باب الزهومة وذكر ابن عبد الظاهر أنه كان يخرج من المطبخ المذكور مدة شهر رمضان ألف ومائتا قدر من جميع ألوان الطعام تفرق كل يوم على أرباب الرسوم والضعفاء

(درب السلسلة) وكان بجوار مطبخ القصر درب السلسلة قال ابن الطوير ويبيت خارج باب القصر في كل ليلة خمسون فارسا فاذا أذن بالعشاء الآخرة داخل القاعة وصلى الامام الراتب بها بالمقيمين فيها من الاستاذين وغيرهم وقف على باب القصر أمير يقال له سنان الدولة ابن الكركندى فاذا علم بفراغ الصلاة أمر بضرب النوبات من الطبل والبوق ولواحقهما من عدة وافرة بطرائق مستحسنة مدة ساعة زمانية ثم يخرج بعد ذلك أستاذ برسم هذه الخدمة فيقول أمير المؤمنين يرد على سنان الدولة السلام فيصقع ويغرس حربة على

الباب ثم يرفعها بيده فاذا رفعها أغلق الباب وسار حوالى القصر سبع دورات فاذا انتهى ذلك جعل على الباب البياتين والفراشين المقدم ذكرهم وانصرف المؤذنون الى خزانتهم هناك وترمى السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين من جانب السيوفيين فينقطع المار من ذلك المكان الى أن تضرب النوبة سحرا قرب الفجر فتنصرف الناس من هناك بارتفاع السلسلة * وقال ابن عبد الظاهر درب السلسلة الذى هو الآن الى جانب السيوفيين كانت عنده سلسلة منه الى قبالته تعلق كل يوم من الظهر حتى لا يعبر راكب تحت القصر وهذا الدرب يعرف بستان الدولة بن الكركندى وهذا الدرب هو المختص بالتقفيزة وهذه التقفيزة أمرها مستظرف لا من قبل الحسن بل من قبل التعجب من العقول ولها خمسة أوقات وهى ليالى العيدين وغرة السنة وغرة شهر رمضان ويوم فتح الخليج وهوأنه يقف راكباً في وسط الزلاقة التي لباب الذهب قبالة الدار القطبية فيخرج اليه السلام من الخليفة ثم يخدم الرهجية ثم يصعد على كندرة باب الزهومة وقدامه دواب المظلة يمنة ويسرة والرهجية تخدم وأرباب الضوء ومستخدمو الطرق على السلسلة فاذا كان الطرف وصلوا اليه واجتمعت الرهجية كلهم وركب فرسا وعليه ثياب حسنة وكشف عن راياته وأخذ بيده رمحا واجتمعت الرهجية حوله ويعبر مشورا وأولئك خلفه بالصراخ والصياح بشعار الامام ثم يسير بذلك الجمع وخيل المظلة الى أبواب القصر فيقف عند كل باب تخدم الرهجية الى أن يعودوا الى باب الذهب ثم الى دار الوزارة للهناء فلم يزالوا كذلك الى ولاية ابن الكركندى فبطلت هذه السنة فى الايام الآمرية وصاحب التقفيزة ممن وصل آباؤه صحبة المعز لدين الله من بلاد المغرب فكانت هذه سنتهم

(ذكر الدار المأمونية)

وكان بجوار درب السلسلة الدار المأمونية وهي المدرسة السيوفية وكانت هذه الدار سكن المأمون بن البطائحي وعرفت قديما بقوام الدولة حبوب ثم جددها المأمون محمد بن فاتك *(المأمون البطائحي)* هو أبو عبد الله محمد ابن الامير نور الدولة أبى شجاع فاتك ابن الامير منجد الدولة أبى الحسن مختار المستنصرى اتصل بخدمة الافضل بن أمير الجيوش في شهر شوال سنة احدى وخمسمائة عند ما تغير على تاج المعالى مختار الذى كان اصطنعه ونخم أمره وسلم اليه خزائن أمواله وكسواته وسلم ما كان بيده من الخدمة لمحمد بن فاتك فتصرف فيها وقرر له الافضل ما كان باسم مختار من العين خاصة دون الاقطاع وهو مائة دينار في كل شهر وثلاثون دينارا عن جارى الخزائن مضافا الى الاصناف الراتبة مياومة ومشاهرة ومسانهة فحسن عند الافضل موقع خدمته فاعتمد عليه وسلم له جميع أموره وصرفه في كل أحواله فلما كثر عليه الشغل استعان باخويه أبى تراب حيدرة وأبى الفضل

جعفر فأطلق الافضل لهما ما وسع به عليهما من المياومة والمشاهرة والمسانهة ونعته الافضل بالقائد فصار يخاطب بالقائد ويكاتب به وصار عنده بمنزلة الاستادار فلما قتل الافضل ليلة عيد الفطر من سنة خمس عشرة وخمسمائة قام القائد أبو عبد الله بن فاتك لخدمة الخليفة الآمر باحكام الله وأطلعه على أموال الافضل وبالغ في مناصحته حتى لقد اتهم أنه هو الذى دبر في قتل الافضل باشارة الخليفة فخلع عليه الآمر في مستهل ذى القعدة بمجلس اللعبة من القصر وهو المجلس الذى يجلس فيه الخليفة ولم يخلع قبله على أحد فيه وحل المنطقة من وسطه وخلع على ولده وحل منطقته وخلع على اخوته واستمر تنفيذ الامور اليه الى أن استهل ذو الحجة ففى يوم الجمعة ثانيه خلع عليه من الملابس الخاص في فردكم مجلس اللعبة طوق ذهب مرصع وسيف ذهب كذلك وسلم على الخليفة وتقدم الامر للامراء وكافة الاستاذين المحنكين بالخروج بين يديه وأن يركب من المكان الذى كان الافضل يركب منه ومشى في ركابه القواد على عادة من تقدمه وخرج بتشريف الوزارة ودخل من باب العيد راكبا ووصل الى داره فضاعف الرسوم وأطلق الهبات فلما كان يوم الاثنين خامسه اجتمع الامراء بين يدى الخليفة وأحضر السجل في لفافة خاص مذهبة فسلمه الخليفة له من يده فقبله وسلمه لزمام القصر فأمره الخليفة بالجلوس الى جانبه عن يمينه وقرئ السجل على باب المجلس وهو أول سجل قرئ هناك وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالايوان ورسم للشيخ أبي الحسن بن أبي أسامة كاتب الدست أن ينقل نسبة الامراء والمحنكين من الآمري الى المأموني وكذا الناس أجمع ولم يكن أحد ينتسب الى الافضل ولا لامير الجيوش وقدمت له الدواة فعلم في مجلس الخليفة ونعت بالسيد الاجل المأمون تاج الخلافة ووجيه الملك فخر الصنائع ذخر أمير المؤمنين عز الاسلام فخر الانام نظام الدين أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين وكان يجلس بداره فى يومي الاحد والاربعاء للراحة والنفقة في العسكر البساطية الى الظهر ثم يرفع النفقة ويحط السماط ويجلس بعد العصر والكتاب بين يديه فينفق في الراجل الى آخر النهار وفي يوم الجمعة يطلق للمقرئين بحضرته خمسة دنانير ولكل من هو مستمر القراءة على بابه من الضعفاء والاجراء مما هو ثابت بأسمائهم خمسمائة درهم ولبقية الضعفاء والمساكين خمسمائة درهم أخرى فاذا توجه يوم الجمعة الى القرافة يكون المبلغ المذكور مستقرا لاربابه ولم يزل الى ليلة السبت الرابع من رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة فقبض الآمر المذكور عليه وعلى اخوته الخمسة مع ثلاثين رجلا من خواصه وأهله واعتقله ثم صلبه مع اخوته فى سنة اثنتين وعشرين * قيل ان سبب القبض عليه مابلغ الآمر عنه أنه بعث الى الامير جعفر بن المستعلي يغريه بقتل أخيه ليقيمه مكانه في الخلافة وكان الذى بلغ الآمر ذلك الشيخ أبا الحسن بن أبي أسامة وبلغه

ايضا عنه أنه سير نجيب الدولة أبا الحسن الى اليمن ليضرب سكة عليها الامام المختار محمد بن نزار وذكر عنه أنه سم شيأ ودفعه لفصاد الخليفة فنم عليه الفصاد وكان مولد المأمون في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وكان من ذوى الآراء والمعرفة التامة بتدبير الدول كريما واسع الصدر سفاكا للدماء كثير التحرز والتطلع الى معرفة أحوال الناس من العامة والجند فكثر الوشاة في أيامه

(حبس المعونة) وكان بجوار الدار المأمونية حبس المعونة وموضعه اليوم قيسارية العنبر قال ابن المأمون في سنة سبع عشرة وخمسمائة تقدم أمر المأمون الى الواليين بمصر والقاهرة باحضار عرفاء السقائين وأخذ الحجج على المتعيشين منهم بالقاهرة بحضورهم متى دعت الحاجة اليهم ليلا ونهارا وكذلك يعتمد فى القربيين وأن يبيتوا على باب كل معونة ومعهم عشرة من الفعلة بالطوارى والمساحي وأن يقوما لهم بالعشاء من أموالهما بحكم فقرهم انتهى وكان حبس المعونة هذا يسجن فيه أرباب الجرائم كما هو اليوم السجن المعروف بخزانة شمائل وأما الامراء والاعيان فيسجنون بخزانة البنود كما تقدم ولم يزل هذا الموضع سجنا مدة الدولة الفاطمية ومدة دولة بنى أيوب الى أن عمره الملك المنصور قلاون قيسارية أسكن فيها العنبرانيين فى سنة ثمانين وستمائة

(ذكر الحسبة ودار العيار)

وكان بجوار حبس المعونة دكة الحسبة ومكانها اليوم يعرف بالابازرة ومكسر الحطب بجوار سوق القصارين والفحامين * قال ابن الطوير وأما الحسبة فان من تسند اليه لايكون الا من وجوه المسلمين وأعيان المعدلين لانها خدمة دينية وله استخدام النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع أعمال الدولة كنواب الحكم وله الجلوس بجامعي القاهرة ومصر يوما بعد يوم ويطوف نوابه على أرباب الحرف والمعايش ويأمر نوابه بالختم على قدور الهراسين ونظر لحمهم ومعرفة من جزاره وكذلك الطباخون ويتبعون الطرقات ويمنعون من المضايقة فيها ويلزمون رؤساء المراكب أن لا يحملوا أكثر من وسق السلامة وكذلك مع الحمالين على البهائم ويأمرون السقائين بتغطية الروايا بالاكسية ولهم عيار وهو أربعة وعشرون دلوا كل دلو أربعون رطلا وأن يلبسوا السراويلات القصيرة الضابطة لعوراتهم وهى زرق وينذرون معلمى المكاتب بأن لايضربوا الصبيان ضربا مبرحا ولا في مقتل وكذلك معلمو العوم بتحذيرهم من التغرير بأولاد الناس ويقفون على من يكون سيئ المعاملة فينهونه بالردع والادب وينظرون المكاييل والموازين وللمحتسب النظر في دار العيار ويخلع عليه ويقرأ سجله بمصر والقاهرة على المنبر ولا يحال بينه وبين مصلحة اذا رآها والولاة تشد معه اذا احتاج الى ذلك وجاريه ثلاثون دينارا في كل شهر انتهى * وكان للعيار مكان يعرف بدار

العيار تعير فيه الموازين بأسرها وجميع الصنج وكان ينفق على هذه الدار من الديوان السلطاني فيما تحتاج اليه من الاصناف كالنحاس والحديد والخشب والزجاج وغير ذلك من الآلات وأجر الصناع والمشارفين ونحوهم ويحضر المحتسب أونائبه الى هذه الدار ليعير المعمول فيها بحضوره فان صح ذلك أمضاه والا أمر باعادة عمله حتى يصح وكان بهذه الدار أمثلة يصحح بها العيار فلا تباع الصنج والموازين والاكيال الا بهذه الدار ويحضر جميع الباعة الى هذه الدار باستدعاء المحتسب لهم ومعهم موازينهم وصنجهم ومكاييلهم فتتغير في كل قليل فان وجد فيها الناقص استهلك وأخذ من صاحبه لهذه الدار وألزم بشراء نظيره مما هو محرر بهذه الدار والقيام بثمنه ثم سومح الناس وصار يلزم من يظهر في ميزانه أو صنجه خلل باصلاح مافيها من فساد فقط والقيام باجرته فقط وما زالت هذه الدار باقية جميع الدولة الفاطمية فلما استولى صلاح الدين على السلطنة أقر هذه الدار وجعلها وقفا على سور القاهرة مع ما كان جاريا في أوقاف السور من الرباع والنواحي الجارية فى ديوان الاسوار وما زالت هذه الدار باقية

(اصطبل الجميزة) وكان بجوار القصر الغربي من قبليه اصطبل الجميزة من جانب باب الساباط الذى هو الآن باب سر المارستان المنصورى وقيل له اصطبل الجميزة من أجل أنه كان فى وسطه شجرة جميز كبيرة وكان موضع هذا الاصطبل تجاه من يخرج من باب الساباط فينزل من الحدرة التي هى الآن تجاه باب سر المارستان المتوصل منها الى حارة زويلة ويمتد فيما حاذاه يسارك اذا وقفت بأول هذه الحدرة حيث الطاحون الكبيرة التى هي الآن فى اوقاف المارستان وما وراءها ويحاذيها الى الموضع المعروف اليوم بالبندقانيين وكانت بئره تعرف ببئر زويلة وعليها ساقية تنقل الماء لشرب الخيول وموضع هذا البئر اليوم قيسارية تعرف بقيسارية يونس تجاه درب الانجب وقد شاهدت هذه البئر لما أنشأ الامير يونس الدوادار هذه القيسارية والربع علوها فرأيت بئرا كبيرة جدا وقد عقد على فوهتها عقد ركب فوقه بعض القيسارية وترك منها شيء ومنها الآن الناس تستقى بالدلاء وما زال هذا الاصطبل باقياً الى أن انقرضت الدولة الفاطمية فحكر وبنى في مكانه الآدر التي هى موجودة الآن وحكره جار فى أوقاف الصلاح الأزبكي وقد تقدم ذكر هذا الاصطبل عند ذكر اصطبل الطارمة فانظر رسومه هناك

(دار الديباج) وكان بجوار اصطبل الطارمة من غربيه دار الديباج وهي حيث المدرسة الصاحبية بسويقة الصاحب وما جاورها من جانبها وما خلفها الى الوزيرية وكانت هى دار الوزارة القديمة وأول من أنشأها الوزير يعقوب بن يونس بن كلس وزير العزيز بالله ثم سكنها الوزير الناصر للدين قاضى القضاة وداعى الدعاة علم المجد أبو محمد الحسن بن

علىّ بن عبد الرحمن البازورى وما زالت سكن الوزراء الى أن قدم أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا ووزره المستنصر وصار وزيرا مستبدا فأنشأ داره بحارة برجوان وسكنها وسكن من بعده ابنه الافضل بن أمير الجيوش بدار القباب التي عرفت بدار الوزارة الكبرى وصارت هـذه الدار تعرف بدار الديباج لانه يعمل فيها الحرير الديباج ويتولاها الاماثل والاعيان فممن وليها أبو سعيد بن قرقة الطبيب متولى خزائن السلاح وخزائن السروج والصناعات فلما انقرضت الدولة الفاطمية بنى الناس في مكان دار الديباج المدرسة السيفية وماوراءها من المواضع التى تعرف أماكنها اليوم بدرب الحريرى وما جاور هذا الدرب الى المدرسة الصاحبية وما بجوارها وما هو فى ظهرها فصار يعـرف خط دار الديباج في زمننا بخط سويقة الصاحب

(الاهراء السلطانية) وكانت اهراء الغـلال السلطانية في دولة الخلفاء الفاطميين حيث المواضع التي فيها الآن خزانة شمائل وما وراءها الى قرب الحارة الوزيرية *قال ابن الطوير وأما الاهراء فانها كانت في عدة أماكن بالقاهرة هى اليوم اصطبلات ومناخات وكانت تحتوى على ثلثمائة ألف اردب من الغلات وأكثر من ذلك وكان فيها مخازن يسمى أحدها بغداي وآخر الفول وآخر القرافة ولها الحماة من الامراء والمشارفين من العدول والمراكب واصلة اليها بأصناف الغـلات الى ساحل مصر وساحل المقس والحمـالون يحملون ذلك اليها بالرسائل على يد رؤساء المراكب وأمنائها من كل ناحية سلطانية وأكثر ذلك من الوجه القبلى ومنها اطلاق الاقوات لأرباب الرتب والخدم وأرباب الصدقات وأرباب الجوامع والمساجد وجرايات العبيد السودان بتعريفات وما ينفق فى الطواحين برسم خاص الخليفة وهى طواحين مدارها سفل وطواحينها علو حتى لاتقارب زبل الدواب ويحمل دقيقها للخاص وما يختص بالجهات في خرائط من شقق حلبية ومن الاهراء تخرج جرايات رجال الاسطول وفيها ماهو قديم يقطع بالمساحى ويخلط فى بعض الجرايات بالجديد بجرايات المذكورين وجرايات السودان ومنها مايستدعي بدار الضيافة لاخباز الرسل ومن يتبعهم ومايعمل من القمح برسم الكعك لزاد الاسطول فلا يقتر مستخدموها من دخل وخرج ولهم جامكية مميزة وجرايات برسم أقواتهم وشعير لدوابهم وما يقبض من الواصلين بالغلال الامايماثل العيون المختومة معهم والاذرى وطلب العجز بالنسبة * وذكر ابن المأمون أن غلات الوجـه القبلى كانت تحمل الى الاهراء وأما الاعمال البحرية والبحيرة والجزيرتان والغربية والكفور والاعمال الشرقيـة فيحمل منها اليسير ويحمل باقيها الى الاسكندرية ودمياط وتنيس ليسير الى ثغر عسقلان وثغر صور وانه كان يسير اليهما في كل سنة مائة وعشرون ألف اردب منها لعسقلان خمسون ألفا ولصور سبعون ألفا فيصير هناك ذخيرة ويباع منها عنـد الغنى عنها قال وكان

متحصل الديوان في كل سنة ألف ألف أردب * وذكر جامع السيرة البازورية أن المتجر كان يقام به للديوان من الغلة وأن الوزير أبا محمد البازوري قال للخليفة المستنصر وهو يومئذ يتقلد وظيفة قاضي القضاة وقد قصر النيل في سنة أربع وأربعين وأربعمائة ولم يكن بالمخازن السلطانية غلال فاشتدت المسغبة بأمير المؤمنين ان المتجر الذي يقام بالغلة فيه أوفي مضرة على المسلمين وربما أنحط السعر من مشتراها ولا يمكن بيعها فتتغير في المخازن وتتلف وانه يقام متجر لا كلفة فيه على الناس ويفيد أضعاف فائدة الغلة ولا يخشى عليه من تغير في المخازن ولا انحطاط سعر وهو الصابون والخشب والحديد والرصاص والعسل وما أشبه ذلك فأمضى الخليفة ماراه واستمر ذلك ودام الرخاء على الناس وتوسعوا

(ذكر المناظر التي كانت للخلفاء الفاطميين ومواضع نزههم وما كان لهم فيها من أمور جميلة)

وكان للخلفاء الفاطميين مناظر كثيرة بالقاهرة ومصر والروضة والقرافة وبركة الحبش وظواهر القاهرة وكانت لهم عدة متنزهات أيضاً * فمن مناظرهم التي بالقاهرة منظرة الجامع الازهر ومنظرة اللؤلؤة على الخليج ومنظرة الدكة ومنظرة المقس ومنظرة باب الفتوح ومنظرة البعل ومنظرة التاج والخمس وجوه ومنظرة الصناعة بمصر ودار الملك ومنازل العز والهودج بالروضة ومنظرة بركة الحبش والاندلس بالقرافة وقبة الهواء ومنظرة السكرة وكان من منتزهاتهم كسر خليج أبي المنجا وقصر الورد بالخرقانية وبركة الجب

(منظرة الجامع الازهر) وكان بجوار الجامع الازهر من قبليه منظرة تشرف على الجامع الأزهر يجلس الخليفة فيها لمشاهدة ليالي الوقود

(ذكر ليالي الوقود) قال المسبحي في حوادث شهر رجب من سنة ثمانين وثلثمائة وفيه خرج الناس في لياليه على رسمهم في ليالي الجمع وليلة النصف الى جامع القاهرة يعني الجامع الأزهر عوضاً عن القرافة وزيد فيه في الوقيد على حافات الجامع وحول صحنه التنانير والقناديل والشمع على الرسم في كل سنة والاطعمة والحلوى والبخور في مجامر الذهب والفضة وطيف بها وحضر القاضي محمد بن النعمان في ليلة النصف بالمقصورة ومعه شهوده ووجوه البلد وقدمت اليه سلال الحلوى والطعام وجلس بين يديه القراء وغيرهم والمنشدون والناحة وأقام الى نصف الليل وانصرف الى داره بعد أن قدم الى من معه أطعمة من عنده وبخرهم * وقال في شعبان وكان الناس في كل ليلة جمعة وليلة النصف على مثل ما كانوا عليه في رجب وأزيد وفي ليلة النصف من شعبان كان للناس جمع عظيم بجامع القاهرة من الفقهاء والقراء والمنشدين وحضر القاضي محمد بن النعمان في جميع شهوده ووجوه البلد ووقدت التنانير والمصابيح على سطح الجامع ودور صحنه ووضع الشمع على المقصورة وفي مجالس العلماء وحمل اليهم العزيز بالله الاطعمة والحلوى والبخور فكان جمعاً عظيماً * قال وفي شهر رجب

سنة اثنتين وأربعمائة قطع الرسم الجارى من الخبز والحلوى الذى يقام في هذه الثلاثة الاشهر لمن يبيت بجامع القاهرة في ليالي الجمع والانصاف وحضر قاضى القضاة مالك بن سعيد الفارقي الى جامع القاهرة ليلة النصف من رجب واجتمع الناس بالقرافة على ماجرت به رسومهم من كثرة اللعب والمزاح * روى الفاكهي فى كتاب مكة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يصيح في أهل مكة ويقول ياأهل مكة أوقدوا ليلة هلال المحرم فأوضحوا لحاجكم لحاج بيت الله واحرسوهم ليلة هلال المحرم حتى يصبحوا وكان الامر على ذلك بمكة في هذه الليلة حتى كانت ولاية عبد الله بن محمد بن داود على مكة فأمر الناس أن يوقدوا ليلة هلال رجب فيحرسوا عمار أهل اليمن ففعلوا ذلك في ولايته ثم تركوه بعد * وفي ليلة النصف من رجب سنة خمس عشرة وأربعمائة حضر الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله أبو هاشم على بن الحاكم بأمر الله ومعه السيدات وخدم الخاصة وغيرهم وسائر العامة والرعايا فجلس الخليفة في المنظرة وكان في ليلة شعبان أيضاً اجتماع لم يشهد مثله من أيام العزيز بالله وأوقدت المساجد كلها أحسن وقيد وكان مشهدا عظيما بعد عهد الناس بمثله لان الحاكم بأمر الله كان أبطل ذلك فانقطع عمله * وقال ابن المأمون ولما كانت ليلة مستهل رجب يعنى من سنة ست عشرة وخمسمائة عملت الاسمطة الجارى بها العادة وجلس الخليفة الآمر بأحكام الله عليها والاجل المأمون الوزير ومن جرت عادته بين يديه وأظهر الخليفة من المسرة والانشراح مالم تجربه عادته وبالغ فى شكر وزيره واطرائه وقال قد أعدت لدولتى بهجتها وجددت فيها من المحاسن مالم يكن وقد أخذت الايام نصيبها من ذلك وبقيت الليالى وقد كان بها مواسم قد زال حكمها وكان فيها توسعة وبر ونفقات وهى ليالى الوقود الاربع وقد آن وقتهن فاشتهى نظرهن فامتثل الامر وتقدم بأن يحمل الى القاضى خمسون دينارا يصرفها في ثمن الشمع وأن يعتمد الركوب في الاربع الليالى وهي ليلة مستهل رجب وليلة نصفه وليلة مستهل شعبان وليلة نصفه وأن يتقدم الى جميع الشهود بأن يركبوا صحبته وأن يطلق للجوامع والمساجد توسعة فى الزيت برسم الوقود ويتقدم الى متولى بيت المال بأن يهتم برسم هذه الليالى من أصناف الحلاوات مما يجب برسم القصور ودار الوزارة خاصة * وقال في سنة سبع عشرة وخمسمائة وفي الليلة التي صبيحتها مستهل رجب حضر القاضى أبو الحجاج يوسف بن أيوب المغربى ووقع له بما استجد اطلاقه في العام الماضى وهو خمسون دينارا من بيت المال لابتياع الشمع برسم أول ليلة من رجب واستدعى ماهو برسم التعبيتين احداهما للمقصورة والاخرى للدار المأمونية بحكم الصيام من مستهل رجب الى سلخ رمضان مايصنع في دار الفطرة خشكنانج صغير وبسندود في كل يوم قنطار سكر ومثقالان مسكا وديناران مؤنة وكان يطلق في أربع ليالى الوقود برسم الجوامع الستة

الأزهر والاقمر والانور بالقاهرة والطولونى والعتيق بمصر وجامع القرافة والمشاهد التى
تضمنت الاعضاء الشريفة وبعض المساجد التى لاربابها وجاهة جملة كبيرة من الزيت الطيب
ويختص بجامع راشدة وجامع ساحل الغلة بمصر والجامع بالمقس يسير قال ولقد حدثنى
القاضى المكين بن حيدرة وهو من أعيان الشهود أن من جملة الخدم التى كانت بيده مشارفة
الجامع العتيق وأن القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود بمدة الى أن يكملوا ثمانية
عشر ألف فتيلة وأن المطلق برسمه خاصة في كل ليلة برسم وقوده أحد عشر قنطارا ونصف
قنطار زيت طيب وذكر ركوب القاضى والشهود في الليلة المذكورة على جارى العادة قال
وتوجه الوزير المأمون يوم الجمعة ثانى الشهر بموكبه الى مشهد السيدة نفيسة وما بعده من
المشاهد ثم الى جامع القرافة وبعده الى الجامع العتيق بمصر وقد عم معروفه جميع الضعفاء
وقومة المساجد والمشاهد وصلى الجمعة وعند انقضاء الصلاة أحضر اليه الشريف الخطيب
المصحف الذى بخط أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه فوقع باطلاق ألف دينار
من ماله وأن يصاغ عليه فوق حلية الفضة حلية ذهب وكتب عليه اسمه وفى الخامس عشر
من الشهر المذكور ليلة الوقود جرى الحال فى ركوب القاضى وشهوده على الترتيب الذى
تقدم في أول الشهر ولما وصل الى الجامع وجده قد عبى فى الرواق الذى عن يمين الخارج
منه سماط كعك وخشكنانج وحلوى فجلس عليه بشهوده ونهبه الفقراء والمساكين وتوجه
بعده الى ما سواه من جامع القرافة وغيره فوجد في رواق الجامع المذكور سماطا مثل السماط
المذكور فأعتمد فيه على ما ذكره وله أيضا رسم صدقة في هذا النصف للفقراء واهل الربط
مما يفرقه القاضي عشرة دنانير يفرقها القاضى * وقال ابن الطوير اذا مضى النصف من
جمادى الآخرة وكان عدده عندهم تسعة وعشرين يوما أمر أن يسبك في خزائن دار
أفتكين ستون شمعة وزن كل شمعة منها سدس قنطار بالمصرى وحملت الى دار قاضى
القضاة لركوب ليلة مستهل رجب فاذا كان بعد صلاة العصر من ذلك اليوم اهتم الشهود
أيضا فمنهم من يركب بثلاث شمعات الى ثنتين الى واحدة ويمضى أهل مصر منهم الى
القاهرة فيصلون المغرب في الجوامع والمساجد ثم ينتظرون ركوب القاضى فيركب من
داره بهيئته وأمامه الشمع المحمول اليه موقودا مع المندوبين لذلك من الفراشين من
الطبقة السفلى من كل جانب ثلاثون شمعة وبينهما المؤذنون بالجوامع يذكرون الله تعالى
ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقدر محفوظ ويندب في جحبته ثلاثة من نواب الباب
وعشرة من الحجاب خارجا عن حجاب الحكم المستقرين وعدتهم خمسة في زى
الامراء وفي ركابه القراء يطربون بالقراءة والشهود وراءه على الترتيب في جلوسهم بمجلس
الحكم الاقدم فالاقدم وحوالى كل واحد ماله من شمع فيشقون من اول شارع فيه دار

القاضى الى بين القصرين وقد اجتمع من العالم فى وقت جوازهم ما لا يحصى كثرة رجالا ونساء وصبيانا بحيث لا يعرف الرئيس من المرءوس وهو مارّ الى أن يأتي هو والشهود باب الزمرذ من أبواب القصر فى الرحبة الوسيمة تحت المنظرة العالية في السمة العظيمة من الرحبة المذكورة وهى التي تقابل درب قراصيا فيحضر صاحب الباب ووالى القاهرة والقراء والخطباء كما شرحنا في المواليد الستة ويترجلون تحتها ريثما يجلس الخليفة فيها وبين يديه شمع ويبين شخصه ويحضر بين يديه الخطباء الثلاثة ويخطبون كالمواليد ويذكرون استهلال رجب وأن هذا الركوب علامته ثم يسلم الاستاذ من الطاقة الاخرى استفتاحا وانصرافا كما ذكرنا ثم يركب الناس الى دار الوزارة فيدخل القاضي والشهود الى الوزير فيجلس لهم في مجلسه ويسلمون عليه ويخطب الخطباء أيضا بأخف من مقام الخليفة ويدعون له ويخرجون عنه فيشق القاضى والجماعة القاهرة وينزل على باب كل جامع بها ويصلى ركعتين ثم يخرج من باب زويلة طالبا مصر بغير نظام ووالى القاهرة في خدمته اليوم مستكثرا من الاعوان والحفظة في الطرقات الى جامع ابن طولون فيدخل القاضى اليه للصلاة فيجد والى مصر عنده للقاء القوم وخدمتهم فيدخل المشاهد التى فى طريقه أيضا فاذا وصل الى باب مصر ترتب كما ترتب في القاهرة وصار شاقا الشارع الأعظم الى باب الجامع من الزيادة التى يحكم فيها فيوقد له التنور الفضة الذى كان معلقا فيه وكان مليحا فى شكله وتعليقه غير منافر في الطول والعرض واسع التدوير فيه عشر مناطق في كل منطقة مائة وعشرون بزاقة وفيه سروات بارزة مثل النخيل في كل واحدة عدة بزاقات تقرب عدة ذلك من ثلثمائة ومعلق بدائر سفله مائة قنديل نجومية ويخرج له الحاكم فان كان ساكنا بمصر استقر بها وان كان ساكنا بالقاهرة وقف له والى القاهرة بجامع ابن طولون فيودعه والى مصر ويسير معه والى القاهرة الى داره فاذا مضى من رجب أربعة عشر يوما ركب ليلة الخامس عشر كذلك وفيه زيادة طلوعه بعد صلاته بجامع مصر الى القرافة ليصلى فى جامعها والناس يجتمعون له لينظروه ومن معه في كل مكان ولا يملون من ذلك فاذا انقضت هذه الليلة استدعي منه الشمع ليكمل بعضه حتى يركب به في أول شعبان ونصفه على الهيئة المذكورة والاسواق معمورة بالحلواء ويتفرغ الناس لذلك هذه الاربع الليالى

(منظرة اللؤلؤة) وكان للخلفاء الفاطميين منظرة تعرف بقصر اللؤلؤة وبمنظرة اللؤلؤة على الخليج بالقرب من باب القنطرة وكان قصرا من أحسن القصور وأعظمها زخرفة وهو أحد منتزهات الدنيا المذكورة فانه كان يشرف من شرقيه على البستان الكافورى ويطل من غربيه على الخليج وكان غربي الخليج اذ ذاك ليس فيه من المباني شيء وانما كان فيه بساتين عظيمة وبركة تعرف ببطن البقرة فيري الجالس فى قصر اللؤلؤة جميع أرض

الطبالة وسائر أرض اللوق وما هو من قبلها ويرى بحر النيل من وراء البساتين * قال ابن ميسر هذه المنظرة بناها العزيز بالله ولما ولى برجوان وزارة الحاكم بأمر الله بعد أمين الدولة ابن عمار الكتامى سكن بمنظرة اللؤلؤة في جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة الى أن قتل وفي السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين واربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم اللؤلؤة ونهبها فهدمت ونهبت وبيع ما فيها * وقال المسيحى وفي سادس عشرى ربيع الآخر يعني سنة اثنتين وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم الموضع المعروف باللؤلؤة على الخليج موازاة المقس وأمر بنهب أنقاضه فنهبت كلها ثم قبض على من وجد عنده شيء من نهب أنقاض اللؤلؤة واعتقلوا * وقال ابن المأمون ولما وقع الاهتمام بسكن اللؤلؤة والمقام فيها مدة النيل على الحكم الاول يعنى قبل وزارة أمير الجيوش بدر وابنه الافضل أمر بازالة ما لم تكن العادة جارية به من مضايقها بالبناء ولما بدت زيادة النيل وعول الخليفة الآمر باحكام الله على السكن باللؤلؤة أمر الاجل الوزير المأمون بأخذ جماعة الفراشين الموقوفين برسم خدمتها بالمبيت بها على سبيل الحراسة لا على سبيل السكن بها وعند ما بلغ النيل ستة عشر ذراعا أمر باخراج الخيم وعند ما قارب النيل الوفاء تحول الخليفة في الليل من قصوره بجميع جهاته واخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعماته الى اللؤلؤة وتحول المأمون الى دار الذهب وأسكن الشيخ ابا الحسن محمد بن أبي أسامة الغزالة على شاطئ الخليج وسكن حسام الملك حاجب الباب داره على الخليج وأمر متولى المعونة أن يكشف الادر المطلة على الخليج قبلى اللؤلؤة ولا يمكن أحدا من السكن في شيء منها الا من كان له ملك ومن كان ساكنا بالاجرة ينقل ويقام بالاجرة لرب الملك ليسكن بها حواشى الخليفة مدة سنة وقرر من التوسعة في النفقات وما يكون برسم المستخدمين في الميتات ما يختص برواتب القصور مدة المقام في اللؤلؤة في أيام النيل مياومة من الغنم والحيوان وجميع الاصناف وهى جملة كبيرة وأمر متولى الباب أن يندب في كل يوم خروف شواء وقنطار خبز وكذلك جميع الدروب من يحرسها ويطلق لهم برسم الغداء مثل ذلك وتكون نوبة دائرة بينهم وبقية مستخدمي الركاب ملازمون لابواب القصر على رسمهم وفى يومى الركوب يجتمعون للخدمة الا من هو في نوبته فيما رسم له وأمر متولى زمام المماليك الخاص أن يكونوا باجمعهم حيث يكون الخليفة وفي الليل يبيت منهم عدة برسم الخدمة تحت اللؤلؤة ولهم في كل يوم مثل ما تقدم والرهجية تقسم قسمين أحدهما على أبواب القصور والآخر على ابواب اللؤلؤة وأصحاب الضوء مثل ذلك وقرر للجماعة المقدم ذكرها في الليل عن رسم المبيت وعن ثمن الوقود ما يخرج اليهم مختوما بأسماء كل منهم ويعرضهم متولى الباب في كل ليلة بنفسه عند رواحه وعوده وكذلك ما يختص بدار الذهب من الحرس عليها من

باب سعادة ومن باب الخوخة ولهم رسوم كما تقدم لغيرهم والمتفرجون يخرجون كل ليلة للنزهة عليهم ويقيمون الى بعض الليل حتى ينصرفوا من غير خروج في شئ من ذلك عما يوجبه الشرع وفي يومي السلام يمضي الخليفة من قصوره بحيث لا يراه الا استاذوه وخواصه الى قاعة الذهب من القصر الكبير الشرقي ويحضر الوزير على عادته اليه فيكون السلام بها على مستمر العادة والاسمطة بها في يومي الاثنين والخميس وتكون الركوبات من اللؤلؤة في يومي السبت والثلاثاء الى المتنزهات * وقال فى سنة سبع عشرة وخمسمائة ولما جرى النيل وبلغ خمسة عشر ذراعا أمر باخراج الخيام والمضارب الديبقى والديباج وتحول الخليفة الآمر بأحكام الله الى اللؤلؤة بحاشيته وأطلقت التوسعة فى كل يوم لما يخص الخاص والجهات والاستاذين من جميع الاصناف واضاف اليها ما يطلق كل ليلة عينا وورقا وأطعمة للبياتين بالنوبة برسم الحرس بالنهار والسهر فى طول الليل من باب القنطرة بمادار الى مسجد الليمونة من التزين من صبيان الخاص والركاب والرهجية والسودان والحجاب كل طائفة بنقيبها والعرض من متولى الباب واقع بالعدة فى طرفى كل ليلة ولا يمكن بعضهم بعضا من المنام والرهجية تخدم على الدوام وتحول الوزير المأمون الى دار الذهب وأطلقت التوسعة والحال فى اطلاق الاسمطة لهم فى الليل والنهار مستمر *وقال ابن عبد الظاهر المنظرة المعروفة باللؤلؤة على بر الخليج بناها الظاهر لاعزاز دين الله ابن الحاكم يعنى بعد ما هدمها ابوه الحاكم وكانت معدة لنزهة الخلفاء وكان التوصل اليها من القصر يعنى القصر الغربى من باب مراد وأظنه فيما ذكره لى علم الدين بن مماتي الوراق أنه شاهد في كتب دار ابن كوخيا العتيقة أنه بابها وكانت عادة الخلفاء أن يقيموا بها أيام النيل ولما حصل التوهم من النزارية والحشيشية قبل تصرفهم لا سيما لصغر سن الخليفة وقلة حواشيه أمر بسد باب مراد المذكور الذى يتوصل منه الى الكافورى والى اللؤلؤة وأسكن فى بعضها فراشين لحفظها فاذا كان فى صبيحة كسر الخليج استوذن الافضل بن أمير الجيوش فى فتح باب مراد الذى يتوصل منه الى اللؤلؤة وغيرها فيفتح ويروح الخليفة ليتفرج هو وأهله من النساء ثم يعود ويسد الباب هذا الى آخر أيام الافضل فلما راجع الوزير المأمون فى ذلك سارع اليه فأصلحت وأزيل ما كان أنشئ قبالتها على ما سيذكر في مكانه ان شاء الله تعالى اه ومات بقصر اللؤلؤة من خلفاء الفاطميين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله والفائز وحملوا الى القصر الكبير الشرقى من السراديب ولما قدم نجم الدين أيوب بن شادى من الشام على ولده صلاح الدين يوسف وخرج الخليفة العاضد لدين الله الى لقائه بصحراء الهليلج بآخر الحسينية عند مسجد تبر أنزل بمنظرة اللؤلؤة فسكنها حتى مات في سنة سبع وستين وخمسمائة واتفق أن حضر يوما عنده الفقيه نجم الدين عمارة اليمنى والرضى أبو سالم يحيي الاحدب بن

أبي حصيبة الشاعر في قصر اللؤلؤة بعد موت الخليفة العاضد فأنشد ابن أبي حصيبة نجم الدين أيوب فقال

يا مالك الارض لا أرضى له طرفا * منها وما كان منها لم يكن طرفا
قد عجل الله هذى الدار تسكنها * وقد أعد لك الجنات والغرفا
تشرفت بك عمن كان يسكنها * فالبس بها العز ولتلبس بك الشرفا
كانوا بها صدفا والدار لؤلؤة * وأنت لؤلؤة صارت لها صدفا

فقال الفقيه عمارة يرد عليه

أثمت يا من هجا السادات والخلفا * وقلت ما قلته في ثلبهم سخفا
جعلتهم صدفا حلوا بلؤلؤة * والعرف مازال سكنى اللؤلؤ الصدفا
وانما هي دار حل جوهرهم * فيها وشف فاسناها الذى وصفا
فقال لؤلؤة عجبا ببهجتها * وكونها حوت الأشراف والشرفا
فهم بسكناهم الآيات اذ سكنوا * فيها ومن قبلها قد أسكنوا الصحفا
والجوهر الفرد نور ليس يعرفه * من البرية لا كل من عرفا
لولا تجسمهم فيه لكان على * ضعف البصائر للابصار مختطفا
فالكلب يا كلب اسنى منك مكرمة * لان فيه حفاظا دائما ووفا

فلله در عمارة لقد قام بحق الوفاء ووفى بحسن الحفاظ كما هى عادته لا جرم أنه قتل في واجب من يهوى كما هى سنة المحبين فالله يرحمه ويتجاوز عنه

* (منظرة الغزالة) * وكان بجوار منظرة اللؤلؤة منظرة تعرف بالغزالة على شاطئ الخليج تقابل حمام ابن قرقة وقد خربت هذه المنظرة أيضاً وموضعها الآن تجاه باب جامع ابن المغربي الذي من ناحية الخليج وقد خربت أيضاً حمام ابن قرقة وصار موضعها فندقا بجوار حمام السلطان التي هناك يعرف بفندق عماد وموضع منظرة الغزالة اليوم ربع يعرف بربع غزالة الى جانب قنطرة الموسكي في الحد الشرقي وكان يسكن بهذه المنظرة الامير أبو القاسم ابن المستنصر والد الحافظ لدين الله ثم سكنها أبو الحسن بن أبي أسامة كاتب الدست وكان بعد ذلك ينزلها من يتولى الخدمة في الطراز أيام الخلفاء * قال ابن المأمون لما ذكر تحول الخليفة الآمر بأحكام الله الى اللؤلؤة وأسكن الشيخ أبا الحسن بن أبي أسامة كاتب الدست الغزالة التي على شاطئ الخليج ولم يسكن أحد فيها قبله ممن يجري مجراه ولا كانت الاسكن الامير أبي القاسم ولد المستنصر والد الامام الحافظ قال وأما ما يذكره الطراز فالحكم فيه مثل الاستيمار والشائع فيها أنها كانت تشتمل في الايام الافضلية على أحد وثلاثين ألف دينار فمن ذلك السلف خاصة خمسة عشر ألف دينار قيمة الذهب العراقي والمصري ستة عشر

ألف دينار ثم اشتملت في الايام المأمونيـة على ثلاثة وأربعين ألف دينار وتضاعفت في الايام الآمرية * وقال ابن الطوير الخدمة في الطراز وينعت بالطراز الشريف ولا يتولاه الا أعيان المستخدمين من أرباب العمائم والسيوف وله اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين ومقامه بدمياط وتنيس وغيرهما وجاريه أمير الجواري وبين يديه من المندوبين مائة رجل لتنفيذ الاستعمالات بالقرى وله عشارى دتماس مجرد معـه وثلاثة مراكب من الدكاسات ولها رؤساء ونواتيـة لا يبرحون ونفقاتهم جارية من مال الديوان فاذا وصل بالاستعمالات الخاصـة التي منها المظلة وبدلتها والبدنة واللباس الخاص الجمي وغيره هيئ بكرامـة عظيمة وندب له دابة من مراكيب الخليفة لا تزال تحته حتى يعود الى خـدمته وينزل في الغزالة على شاطئ الخليج وكانت من المناظر السلطانية وجددها شجاع بن شاور ولو كان لصاحب الطراز في القاهرة عشرة دور لا يمكن من نزوله الا بالغزالة وتجرى عليه الضيافة كالغرباء الواردين على الدولة فيتمثل بين يدى الخليفـة بعـد حمل الاسفاط المشدودة على تلك الكساوى العظيمة ويعرض جميع ما معه وهو ينبـه على شئ فشئ بيد فراشى الخاص في دار الخليفة مكان سكنه ولهذا حرمة عظيمة ولا سيما اذا وافق استعماله غرضهم فاذا انقضى عرض ذلك بالمدرج الذى يحضره سـلم لمستخدم الكسوات وخلع عليه بين يدى الخليفة باطنا ولا يخلع على أحد كذلك سواه ثم ينكفئ الى مكانه وله في بعض الاوقات التي لا يتسع له الانفصال نائب يصل عنـه بذلك غير غريب منه ولا يمكن أن يكون الا ولداً أو أخا فان الرتبة عظيمة والمطلق له من الجامكية فى الشهر سبعون ديناراً ولهذا النائب عشرون ديناراً لانه يتولى عنه اذا وصل بنفسه ويقوم اذا غاب في الاستعمال مقامه ومن أدواته أنه اذا عبى ذلك في الاسفاط استدعى والى ذلك المكان ليشاهده عند ذلك ويكون الناس كلهم قياما لحلول نفس المظلة وما يليها من خاص الخليفة في مجلس دار الطراز وهو جالس في مرتبته والوالى واقف على رأسه خدمة لذلك وهذا من رسوم خدمته ومميزتها

* (دار الذهب) * وكان بجوار الغزالة دار الذهب وموضعها الآن على يسرة الخارج من باب الخوخة فيما بينه وبين باب سعادة وكانت مطلة على الخليج وفي مكانها اليوم دار تعرف ببهادر الاعسر وبقى منها عقـد بجوار دار الاعسر يعرف الآن بقبو الذهب من خطـة بين السورين * قال ابن المأمون لمـا ذكر تحول الخليفة الآمر بأحكام الله الى اللؤلؤة ثم أحضر الوزير المأمون وكيله أبا البركات محمد بن عثمان وأمره أن يمضى الى دارى الفلك والذهب اللتين على شاطئ الخليج فالدار الاولى التى من حيز باب الخوخة بناها فلك الملك وذكر أنه من الاستاذين الحاكمية ولم تكن تعرف الابدار الفلك ولما بنى الافضل ابن أمير الجيوش الدار الملاصقة لهـا التى من حيز باب سعادة وسماها دار الذهب غلب الاسم

على الدارين ويصلح ما فسد منهما ويضيف اليهما دار الشابورة وذكر أن هذه الدار لم تسم بهذا الاسم الالأن جزأ منها بيع في أيام الشدة في زمن المستنصر بشابورة قال وعند ماقارب النيل الوفاء تحول الخليفة في الليل من قصوره بجميع جهاته واخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعماته الى اللؤلؤة وتحول الاجل المأمون بالاجلاء أولاده الى دار الذهب وما أضيف اليها * وقال ابن عبد الظاهر دار الذهب بناها الافضل بن أمير الجيوش وكانت عادة الافضل أن يستريح بها اذا كان الخليفة باللؤلؤة يكون هو بدار الذهب وكذلك كان المأمون من بعده وكان حرس دار الذهب يسلم للوزيرية من باب سعادة يسلم لهم ومن باب الخوخة للمصامدة أرباب الشعور وصبيان الخاص وكان المقرر لهم فى كل يوم سماطين أحدهما بقاعة الفلك للمماليك الخاص والحاشية وأرباب الرسوم والآخر على باب الدار برسم المصامدة حتى انه من اجتاز ورأى أنه يجلس معهم على السماط لا يمنع والضعفاء والصعاليك يقصدون بعدهم وفي أول الليل بمثل ذلك والكل منهم رسم لجميع من يبيت من أرباب الضوء الى الاعلى

* (منظرة السكرة) * وكان من جملة مناظر الخلفاء منظرة تعرف بمنظرة السكرة فى بر الخليج الغربي يجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج وكان لها بستان عظيم بناها العزيز بالله ابن المعز وقد دثرت هذه المنظرة ويشبه أن يكون موضعها فى المكان الذي يقال له اليوم المريس قريبا من قنطرة السد وكانت السكرة من جنات الدنيا المزخرفة وفيها عدة أماكن معدة لنزول الوزير وغيره من الاستاذين

* (ذكر ما كان يعمل يوم فتح الخليج) *

قال ابن زولاق في كتاب سيرة المعز لدين الله وفي ذى القعدة يعني من سنة اثنتين وستين وثلثمائة وهى السنة التي قدم فيها الخليفة المعز لدين الله الى القاهرة من بلاد المغرب ركب المعز لدين الله عليه السلام لكسر خليج القنطرة فكسر بين يديه ثم سار على شاطئ النيل حتى بلغ الى بنى وائل ومر على سطح الجرف فى موكب عظيم وخلفه وجوه أهل الدولة ومعه أبو جعفر أحمد بن نصر يسير معه ويعرفه بالمواضع التي يجتاز عليها وضجت له الرعية بالدعاء ثم عطف على بركة الحبش ثم على الصحراء على الخندق الذى حفره القائد جوهر ومر على قبر كافور وعلى قبر عبد الله بن أحمد بن طبا طبا الحسنى وعرفه به ثم عاد الى قصره * وذكر الامير المسيحي في تاريخه الكبير ركوب العزيز بالله بن المعز وركوب الحاكم بأمر الله بن العزيز وركوب الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم في كل سنة لفتح الخليج * وقال ابن المأمون في سنة ست عشرة وخمسمائة وعند ما بلغ النيل ستة عشر ذراعا أمر باخراج الخيم وأن يضرب الثوب الكبير الافضلي المعروف بالقاتول وهو أعظم ما في الحاصل بأربعة دهاليز

وأربع قاعات خارجا عن القاعة الكبيرة ومساحته على ماذكر ألف ألف ذراع وأربعمائة
ذراع بالذراع الكبير خارجا عن سرادقه وعمود القاعة الكبيرة منه ارتفاعه خمسون ذراعا
ولما كمل استعماله فى أيام الافضل ونصب تأذى منه جماعة ومات رجلان فسمى بالقاتول
لاجل ذلك وما زال لايضرب الا بحضور المهندسين وتنصب له أساقيل عدة بأخشاب كثيرة
والمستخدمون يكرهون ضربه ويرغبون فى ضرب أحد الثوبين الجيوشيين وان كانا عظيمين
الا أنهما لايصلان بجملتهما الى مقايسته ولا مؤنته ولا صنعته وأقام هذا الثوب في الاستعمال
عدة سنين مع جمع الصناع عليه وما يضرب منه سوى القاعة الكبيرة لاغير وأربعة الدهاليز
وبعض السرادق الذى هو سور عليه لضيق المكان الذى يضرب فيه وكونه لايسعه بجملته
قال ووصلت كسوة موسم فتح الخليج وهى مايختص بالخليفة وأخيه وبعض جهاته والوزير
* فأما مايختص بالخليفة خاصة فبدلة شرحها بدنة طميم منديل سلفه مائة وعشرون دينارا
وأحد طرفيه ثلاثة عشر ذراعا ذهبا عراقيا دمجا لوحا واحدا والثاني ثلاثة أذرع سلفه
أربعة وعشرون دينارا ثوب طميم سلفه خمسون دينارا والذهب الذى في الثوب والمنديل
والحنك ألف دينار وخمسة دنانير فتكون جملتها بالسلف ألف دينار ومائة وخمسة وسبعين
دينارا شاشية طميم للسلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا فتكون جملة سلفها وقيمة
ذهبها ثمانية دنانير منديل سلام سلفه ديناران وسبعون قصبة قيمته كذلك وسط برسم
المنديل بخوص ذهب سلفه اثنا عشر دينارا وسبعون قصبة قيمة ذلك عشرون دينارا شقة
ديبقى وسطانى حريرى السلف اثناعشر دينارا غلالة ديبقى حريرى السلف عشرة دنانير
منديل كم مذهب السلف خمسة دنانير ومائتا قصبة وأربع قصبات ذهباً عراقياً قيمة ذلك
خمسة وعشرون دينارا منديل كم ثان حريرى خمسة دنانير حجره أربعة دنانير عرضي لفافة
خاص خمسة دنانير وستة عشر مثقالا ذهبا مصريا فتكون سلفه وذهبه خمسة وعشرين دينارا
عرضى ثان برسم تغطية التخت دينار واحد ونصف تخت ثان ضمنه بدلة خاص حريرى
برسم العود من السكرة شرحها منديل حريرى سلفه ستون دينارا وسط شرب رسمه اثنا
عشر دينارا شقة ديبقى وكم عشرون دينارا شقة وسطانى اثناعشر دينارا غلالة خمسة عشر
دينارا غلالة عشرة دنانير منديل سلام ديناران منديل كم خمسة دنانير منديل كم ثان أيضاً
خمسة دنانير شاشية حريرى ديناران حجره أربعة دنانير عرضى لفافة خمسة دنانير عرضى
ثان برسم لفافة التخت دينار واحد ونصف * قال ورأيت شاهدا أن قيمة كل حلة من
هذه الحلل وسلفها اذا كانت حريرى ثلثمائة وستة دنانير واذا كانت مذهبة ألف دينار
واختصر ماباسم أبى الفضل جعفر أخي الخليفة وأربع جهات * وأما مايختص بالوزير فبدلة
مذهبة شرحها منديل سلفه سبعون دينارا وخمسمائة وسبعون قصبة عراقي جملة سلفه وذهبه

مائه وأربعة عشر دينارا شقة ديبقى وكم السالف ستة عشر دينارا وثمانية وعشرون مثقالا
ذهباً عالياً تكون جملة ذلك خمسين دينارا نصف شقة ديبقى وسطانى اثنا عشر دينارا ونصف
شقة وسطانى برسم العود ثلاثة دنانير غلالة ديبقى سبعة دنانير ونصف شقة برسم الغلالة
ديناران ونصف منديل كم سبعة دنانير واثنا عشر مثقالا ذهباً تكون قيمته تسعة عشر دينارا
حجره ثلاثة دنانير عرضى أربعة دنانير وأحد عشر مثقالا تكون سلفه وذهبه سبعة عشر
دينارا ثم ذكر بعد ذلك مايكون لجهة الوزير ومايكون برسم صبيان الحمام وما يفصل
برسم المماليك الخاص صبيان الرايات والرماح خمسمائة شقة سقلاطون دارى تكون قيمتها
سبعمائة وخمسين قباء يحمل منها برسم غلمان الوزير مائة قباء ويفرق جميع ذلك قال ولم
يكن لاحد من الاصحاب والحواشى وغيرهم في هذا الموسم شيء فيذكر بل لهم من الهبات
العين والرسوم الخارجة عن ذلك ما يأتي ذكره فى موضعه وفي صبيحة هذا الموسم خلع
على ابن أبي الرداد وعلى رؤساء المراكب وغيرهم وحمل الى المقياس برسم المبيت وركوب
الخليفة تجمله ومواكبه الى السكرة مافصله وبينه مما يطول ذكره * وقال في سنة سبع
عشرة وخمسمائة ولما جرى النيل وبلغ خمسة عشر ذراعا أمر باخراج الخيام والمضارب
الديبقى والديباج وتحول الخليفة الى اللؤلؤة بحاشيته وتحول المأمون الى دار الذهب ووصلت
كسوة الموسم المذكور من الطراز وان كانت يسيرة المدة فهى كثيرة القيمة ولم تكن للعموم
من الحاشية والمستخدمين بل للخليفة خاصة واخوته وأربع من خواص جهاته والوزير
وأولاده وابن أبي الرداد فلما وفى النيل ستة عشر ذراعا ركب الخليفة والوزير الى الصناعة
بمصر ورميت العشاريات بين أيديهما ثم عديا في احداها الى المقياس وصليا ونزل الثقة صدقة
ابن أبي الرداد منزلته وخلق العامود وعاد الخليفة على فوره وركب البحر في العشارى
الفضى والوزير صحبته والرهجية تخدم برا وبحرا والعساكر طول البر قبالته الى أن وصل الى
المقس ورتب الموكب وقدم العشارى بالخليفة الآمر بأحكام الله والوزير المأمون وسار
الموكب والرهجية تخدم والصدقات والرسوم تفرق ودخل من باب القنطرة وقصد باب العيد
واعتمد ماجرت به العادة من تقديم الوزير وترجله في ركابه الى أن دخل من باب العيد
الى قصره وتقدم بالخلع على ابن أبى الرداد بدلة مذهبة وثوب ديبقى حريرى وطيلسان
مقور وبياض مذهب وشقة سقلاطون وشقة تحتانى وشقة خز وشقة ديبقى وأربعة أكياس
دراهم ونشرت قدامه الاعلام الخاص الديبقى المحاومة بالالوان المختلفة التى لاترى الاقدامه
لانها من جملة تجمل الخليفة وأطلق له برسم المبيت من البخور والشموع والاغنام والحلاوات
كثير * قال وهيئت المقصورة فى منظرة السكرة برسم راحة الخليفة وتغيير ثيابه وقدوقعت
المبالغة في تعليقها وفرشها وتعبيتها وقدم بين يديه الصوانى الذهب التى وقع التناهي فيها من

همم الجهات من أشكال الصور الآدمية والوحشية من الفيلة والزرافات ونحوها المعمولة من الذهب والفضة والعنبر والمرسين المشدود والمظفور عليها المكلل باللؤلؤ والياقوت والزبرجد من الصور الوحشية مايشبه الفيلة جميعها عنبر معجون كخلقة الفيل وناباه فضة وعيناه جوهرتان كبيرتان في كل منهما مسمار ذهب مجرى سواده وعليه سرير منجور من عود بمتكآت فضة وذهب وعليه عدة من الرجال ركبان وعليهم اللبوس تشبه الزرديات وعلى رؤسهم الخود وبأيديهم السيوف المجردة والدرق وجميع ذلك فضة ثم صور السباع منجورة من عود وعيناه ياقوتتان حمراوان وهو على فريسته وبقية الوحوش وأصناف تشد من المرسين المكلل باللؤلؤ شبه الفاكهة * قال ومن جملة ماوقع الاهتمام به في هذا الموسم ماصار يستعمل في الطراز وان لم يتقدم نظيره للولائم التى تتخذ برسم تغطية الصوانى عدة من عراضى ديبقى ثم قوارات شرب تكون من تحت العراضى على الصوانى مفتح كل قوارة منهن دون أربعة أشبار سلف كل واحدة منهن خمسة عشر دينارا ورقم في كل منهن سجف ذهب عراقى ثمنه من أربعين الى ثلاثين دينارا تكون الواحدة بخمسين دينارا ويستعمل أيضا برسم الطرح من فوق القوارات الاسكندرانى التى تشد على الموائد التى تحمل من عند كل جهة قوارات ديبقى مقصور من كل لون محاومة بالرقم الحريرى مفتح كل قوارة أربعة أذرع يكون الثمن عن كل واحدة أربعين دينارا ولقد بيعت عدة من القوارات الشرب فسارع التجار العراقيون الى شرائها ونهاية مابلغ ثمن كل واحدة منهن ستة عشر دينارا وسافروا بها الى البلاد فلم يبع لهم منها سوى اثنتين وعادوا بالبقية الى الديار المصرية فى سنة ست وثمانين وخمسمائة وحفظوا منهن شيأ عن السوق فلم يحفظ لهم رأس مالهن قال وكان ماتقدم من الزبادى فى الطيافير من الصينى الى آخر أيام الافضل بن أمير الجيوش وأيام المأمون وانما استجدت الاوانى الذهب فى أواخر الايام الآمرية والذى يعبى بين يدى الخليفة قوائمية ضمنها عدة من الطيافير المحمولة بالمرافع الفضة برسم الاطباق الحارة وليس في المواسم مائدة بغير سماط للامراء ويجلس عليها الخليفة غير هذا الموسم وان كان يجرى مجرى الاعياد وله البخور مطلق مثلها وينفرد بالجلوس معه الجلساء المميزون والمستخدمون وعند كمال تعبيتها وبخورها جلس الخليفة عليها عن يمينه وزيره وعن يساره أخوه ومن شرف بحضوره وفي آخرها فرق منها ماجرت به العادة على سبيل البركة * وقال في سنة ثمان عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج وهى برسم الخليفة تختان ضمنهما بدلتان احداها منديلها وثوبها طميم برسم المضى والاخرى جميعها حريرى برسم العود وكذلك مايخص أخوته وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حلل مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكبة مذهبة في تخت وبرسم أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم جهته حلة مذهبة فى تخت وهؤلاء

المميزون لكل منهم تخت وبقية مايخص المستخدمين وابن أبي الرداد في تخوت كل تخت فيه عدة بدلات وحضر متولى الدفتر واستأذن على ما يحمل برسم الخليفة وما يفرق ومايفصل برسم الخلع وما يخرج من حاصل الخزائن غير الواصل وهو مايفصل برسم الغلمان الخاص عن سبعمائة قباء خمسمائة وشقتان سقلاطون داري وبرسم رؤساء العشارى من الشقق الدمياطي والمناديل السوسى والفوط الحرير الاحمر وبرسم النواتية التي برسم الخاص من العشارية من الشقق الاسكندرانى والكلوتات فوقع بانفاق جميع ذلك وتفصيل مايجب منه ثم ابتيع ذلك بمطالعة ثانية برسم ماهو مستمر العموم من النقد العين والورق للموسم المذكور وهو من العين أربعة آلاف وخمسمائة دينار ومن الورق خمسة عشر ألف درهم فوقع باطلاق ذلك وذكر تفصيل الكسوات والهبات بأسماء أربابها وحضر متولى المائدة الآمرية بمطالعة يستدعى ماجرت به العادة فى هذا الموسم من الحيوان والضأن والبقر وغير ذلك من الاصناف برسم التفرقة والاسمطة وحضر متولى دار التعبية يستدعى مايبتاع به الثمرة والزهرة وهيئة المتعينين لتعبية السكرة لاجل حلول الركاب بها ومقامه فيها وتعبية جميع مقاصيرها التي برسم الاستاذين والاصحاب والحواشي وهو مائة دينار فوقع باطلاقها وفى العاشر من الشهر المذكور يعني شهر رجب وفي النيل ستة عشر ذراعا فتوجه المأمون الى صناعة العمائر بمصر ورميت العشاريات بين يديه وقد جددت وزينت جميعها بالستور الديبقى الملونة والكواخ والاهلة الذهب والفضة وشمل الانعام أرباب الرسوم على عادتهم وعدى في احدى العشاريات الى المقياس وخلق العمود بما جرت به عادتهم من الطيب وفرقت رسوم الاطلاق وانكفأ الى دار الذهب وأمر باطلاق ما يخص المبيت في المقياس بجميع الشهود والمتصدرين وهى العشرات من الخبز عشرة قناطير وعشرة خراف شوى وعشر جامات حلوى وعشر شمعات وأول من يحضر المبيت الشريف الخطيب سيد المقربين وامام المتصدرين وله وللجماعة من الدراهم التي تفرق أوفى نصيب قال وخرج الخليفة بزى الخلافة ووقارها وناموسها بالثياب الطميم التي تذهل الابصار والمنديل بالشدة العربية التي ينفرد بلباسها في الاعياد والمواسم خاصة لاعلى الدوام وكانت تسمى عندهم شدة الوقار مرصعة بغالي الياقوت والزمرذ والجوهر وعند لباسها تخفق لها الاعلام ويجتنب الكلام ويهاب ولا يكون سلام قريب منه وخليل غير الوزير الا بتقبيل الارض من بعيد من غير دنو ثم بين يديه من مقدمي خزائنه من يحمل سيفه ورمحه المرصعين بأخر ما يكون ثم المذاب التي كل منها عمودها ذهب وينفرد بحملها الصقالبة ويمشي بين الصفين المرتبين راجلا على بسط حرير فرشت له وكل من الصفين يتناهي في مواصلة تقبيل الارض الى أن وصل الى مجلس خلافته وصعد على الكرسى المغشى بالديباج المنصوب برسم ركوبه وقد صفت الروّاض وأزمة الاصطبلات خيل المظلة بعد أن أزالت

الاغشية الحرير والشقق الديبقي المذهبة عن السروج وبقيت كما وصفها الله تعالى في كتابه
فقـدّم اليه ما وقع اختياره عليه وأمر بأن يجنب البقية في الموكب بين يديه ولما علا ما قدّم
اليه استفتح مقرئو الحضرة وتسلم جميع مقدمي الركاب ركابه والرواض الشكيمة وزال حكم
الاستاذين المستخدمين في الركاب وعادت الموالي والاقارب الى محالهم واسـتدعى بالوزير
بجميع نعوته فواصل تقبيل الارض الى أن قبل ركابه وشرفه بتقبيل يديه بحكم خلوها من
قضيب الملك في هذه المواسم ولما أدى ما يجب من فرض السلام أخذ السيف من الامير
افتخار الدولة أحـد الامراء الاستاذين المميزين المحنكين متولى خزانة الـكسوة الخاص
وسلمه بعـد أن قبله لاخيه الذي يتولى حمله في الموكب بعد أن أرخيت عذبته تشريفاً له
مدة حمله خاصة وترفع بعـد ذلك وشد وسطه بالمنطقة الذهب تأدبا وتعظيما لما معه وسلم
الرمح والدرقة لمن يتولى حملهما بلواء الموكب ولم يكن للخدمة المذكورة عذبة مرخاة ولا
منطقة واستدعى ركوب الوزير وأولاده من عند باب قاعة الذهب وخرج الخليفة من القاعة
المذكورة الى أول دهليز فتلقته جماعة صبيان ركابه العشرة المقدمين أرباب الميمنة والميسرة
وصبيان وراء صبيان الرسائل وصبيان السلام كل منهم في الخدمة المعينة لا يخرج عنها لسواها
وجميعهم بالمناديل الشروب المعلمة وبأوساطهم العراض الديبقي المقصورة وليس الجميع عبيدا
بشراء ولا سودان بل مولدة وأولاد أعيان وأهل فهم ولسان ثم احتاط بركابه بعدهم من
هو على غير زيهم بل بالقنابيز المفرجة والمناديل السوسي وهم المتولون لحمل السلاح الخاص
الذي لا يكون الا في موكبه خاصـة على الاستمرار من الصوارى والفرنجيات والدبابيس
واللتوت والصماصم بالدرق الصيني والبمني بالكوامخ الفضة والذهب ويحصل الاسـتدعاء من
صبيان السلام في مسافة الدهاليز لكل من هو مستخدم في الموكب ركوبه من محل حجبته
الى أن خرج الخليفة من باب الذهب وقد ضربت الغربية وأبواق السلام واجتمع الرهج
من كل مكان ونشرت المظلة فاجتمع اليها الزويلية بالعدد الغريبة وظلل بها وسارت بسيره
والقرآن الكريم عن يمينـه ويساره والحجرية الصبيان المنشدون واجتمع الموكب بجملته
على ما ذكر أولا والترتيب أمامـه لمتولى الباب وحجابه وتلوه لمتولى الستر وكل منهم على
حكم المدارج التى وصلت اليه لا سبيل الى الخروج عما رسم فيها وسار بجملة موكبه على
ترتيب أوضاعه بين حصنين مانعين من طوارق عما كره فارسها وراجلها كل طائفة يقدمها
زمامها وقد ازدحموا في المصفات بالعدد المذهبة الحربية والآلات الماتمة المضيئة وليس بينهم
طريق لسالك وقد زين لهم جميع ما يكون أمامهم من الطرق جميعها حوانيتها وآدرها وجميع
مساكنها وأبواب حاراتها بأنواع من الستور والديباج والديبقي على اختـلاف أجناسها ثم
بأصناف السـلاح وملأت النظارة الفجاج والبطاح والوهاد والربا والصدقات والرسوم تعم

أهل الجانبين من أرباب الجوامع والمساجد وبوابى الابواب والسقائين والفقراء والمساكين في طول الطريق الى أن أطل على الخيام المنصوبة فوقف بموكبه واستدعى الوزير بعده من مقدمى ركابه فاجتاز راكباً بمفرده وجمع حاشيته بسلاحهم رجالة في ركابه بعد أن بالغ في الايماء بتقبيل الارض أمامه فرد عليه بكمه السلام وعاد الخليفة في سيره بالموكب بعد أن حصل الوزير أمامه وترجل جميع من شرف بحجبته في ركابه وآخرهم متولى حمل سيفه ورمحه وصبيان السلام يستدعون كل منهم الى تقبيل الارض بجميع نعوته اكباراله وتميزا واحتاطوا بركابه ووصل الى المضارب في الحرس الشديد على أبوابها وسرادقاتها من كل جانب وقد تبين وجاهة من حصل بها ومكن من الدخول اليها وترجل الوزير في الدهليز الثالث من دهاليزها وتقدم الى الخليفة وأخذ شكيمة الفرس من يد الرواض وشق به الخيام التي جمعت جميع الصور الآدمية والوحشية وقد فرشت جميعها بالبسط الجهرمية والاندلسية الى أن وصل الى القاعة الكبرى فيها وترجل على سرير خلافته وجلس فى محل عظمته وأجلس وزيره على الكرسى الذى أعد له واحتاط به المستخدمون حملة السلاح المنتصب جميعه وحجبوا العيون عن النظر اليه وصف بين يديه الامراء والضيوف والمشرفون بحجبته وختم المقرئون القرآن العظيم وقدم عدى الملك النائب شعراء المجلس على طبقاتهم وعند انقضاء خدمة آخرهم عادت المستخدمون والرواض مقدمة ما أمروا به من الدواب فعلاه الخليفة والوزير يمسك الشكيمة بيده وانتظم موكبا عظيما والقراء عوض الرهجية والجماعة فى ركابه رجالة على حكم ما كانوا عليه أولا وصعد من القاعة التي في دهاليز الباب القبلي منها نخرج منه وانفصلت خدمة جميع الامراء والضيوف من ركابه بأحسن وداع من تقبيل الارض وصعد الخليفة ووزيره وأولاده واخوته والاصحاب والحواشى الى السكرة وهى من جنات الدنيا المزخرفة وتلقاه أخوه بعظمة سلامه وتقبيل الارض بين يديه وجلس لوقته وفتحت الطاقات التى في المنظرة وعن يمينه وزيره وعن يساره أخوه جالسان واعتمد الناس جميعهم عند مشاهدته تقبيل الارض له وادامة النظر نحوه والمستخدمون جميعهم على السد مشدودى الاوساط واقفين عليه فلما أمرهم الوزير أن يكسروه قبلوا الارض جميعاً وانصرفوا عنه وتولته الفعلة في البساتين السلطانية بالفتح من الجانبين والقرآن والتكبير من الجانب الغربي حيث الخليفة والرهج واللعب من الجانب الشرقى ولما كمل فتحه انحدرت العشاريات عن آخرها اللاطيف منها يقدم الكبير والجميع مزينة بالذهب والفضة والستور المرقومة ورؤساؤهم وخدامهم بالكسوات الجميلة وبعد ذلك غلقت الطاقات وحل الخليفة بالمقصورة التي لراحته وكذلك الوزير وأولاده واخوته وجميع الامراء الاستاذين والاصحاب والحواشى واستدعى للوقت والى مصر من البر الشرقى وخلع عليه بدلة منديلها وثوبها مذهبان وثوبان

عتابي وسقلاطون وقبل الارض من تحت المنظرة وعدى في البحر الى حفظ مكانه ثم
استدعى بعده حامي البساتين ومشارفها فخلع عليهما بدلتين حريرى وثوبين سقلاطون
وعتابى ثم متولى ديوان العمائر كذلك ثم مقدمى الرؤساء كذلك واعتمد كل من سلم اليه
الاثباتات المشتملة على أصناف الانعام من العين والورق وصواني الفطرة والموائد التي يهتم
بها جميع الجهات والخراف المشوية والجامات الحلواء تفرقة ذلك على ما رسم وهو شامل
غير مخصص من أخي الخليفة والوزير الى الاصحاب والحواشي من أرباب السيوف والاقلام
ثم الامراء المستخدمين والضيوف المميزين من الاجناد وغيرهم من الادوان ممن يتعلق به خدمة
تختص بالموسم من البحارة وأرباب اللعب وغيرهم وعبيت الاسمطة في المسطحات المنصوبة
لها بالجانب من الباب الغربى من الخيام وأمر الوزير أخاه بالمضى اليها والجلوس عليها فتوجه
وبين يديه متولى حجبة الباب ونوابه والمعروفية والحجاب واستدعت الامراء والضيوف
بالسقاة من خيامهم وأجلس كل منهم على السماط في موضعه على عادتهم وتلاهم العساكر على
طبقاتهم ولم يمنع حضورهم مايسير لكل منهم من جميع ما ذكر على حكم ميزته ولما انقضى
حكم الاسمطة المختصة بالامراء الكبار عاد أخو الوزير الى حيث مقر الخلافة وبقى متولى
الباب جالسا لأسمطة العبيد وجميع المستخدمين من الراجل والسودان وعبيت المائدة الخاص
بالسكرة التي مايحضرها الا العوالى الخاص المستخدمون فى الخدم الكبار ويجمع له حالتان
حضوره في أشرف مقام وجلوسه في محل يحصل له به حرمة وذمام وجلس الخليفة
عليها وأخوه على شماله ووزيره على يمينه بعد أن أدى كل منهما ما يجب من سلامه وتعظيمه
وحضر أولاد الوزير واخوته والشيخ أبو الحسن كاتب الدست وابنه سالم ومن الاستاذين
المحنكين أرباب الخدم وجرى الحال فى المائدة الشريفة على ما هو مألوف وفرق من جملتها
لكل من أرباب الخدم الذين لم يحضروا عليها ما هو لكل منهم على سبيل الشرف وتميز
في ذلك اليوم خاصة ما يختص بالقاضى وشهوده والداعي وابن خاله الذين يخصصون عن
سواهم بمقامهم دون غيرهم في قاعة الخيمة الكبرى أمام سرير الخلافة المنصوب مدة النهار
مع ما يحمل اليهم من الموائد وغيرها مما هو بأسمائهم في الاثباتات مذكور ولما تكامل
وضع المائدة وانقضى حكمها قبل كل من الحاضرين الارض وانصرف بعد أن استصحب
منها ما تقتضيه نفسه على حكم الشرف والبركة ويقضى بعد ذلك الفرائض الواجبة في وقتها
ولا بد من راحة بعدها وحضر مقدما الركاب وحاسبا كاتب الدفتر على ما معهما برسم تفرقة
الرسوم والصدقات في مسافة الطريق فكمل لهما على ما بقى معهما مثل ما كان أولا ولما
استحق العود عاد كل من المستخدمين الى شغله من ترتيب الموكب ومصفات العساكر
وترتيب من يشرف بالحضرة من الامراء والضيوف وفرقت الصواني الخاص التي تكون

بين يدى الخليفة مدة النهار الجامعة للثروة من كل جهة والزينة من كل معنى والغرابة من كل صنف وقد جمعت ملاذ جميع الحواس والعدة منها يسيرة وليس ذلك لتقصير من همم الجهات التي تتنوع فيها بالغرائب بل للتعب الشديد عليها ثم لضيق الزمان لان كلا منها لا مندوحة أن يكون فيه زهرة وثمرة وطول المكث كذلك يتلف مافيها واذا شملت مع قلتها من له الوجاهة العالية من أخي الخليفة والوزير لم يكن له غير صينية واحدة وأخذ كل من الحاشية أهبة تجمله لموضع ميزته وغير الخليفة ثيابه بما يقتضيه الموكب وهو بدلة حريرى بشدة الوقار وعلم الجوهر وسير الى الوزير صحبة مقدم خزانة الكسوة الخاص على يد المستخدمين عنده من الاستاذين من جملة بدلات الجمع التى يتوجه منها الى زيه ما يؤمر به من يسمى اليه بدلة مكملة حريرى ومنديلها بياض بالشدة الدانية غير العربية ولما لبس ماسيراليه وحضر بين يديه لشكر نعمته أمره بركوب أخيه في احدى العشاريات فامتثل أمره وتوجه صحبته من السكرة بجميع خواصه وحواشيه وفتح لهم الباب الذي هو منها بشاطئ الخليج وقدم له احدى العشاريات الموكبية وفيها مقدم رياسة البحرية فركب فيها بجمعه والوزير واقف راجل على شاطئ الخليج خدمة له الى أن انحدرت العشاريات جميعها قدامه ومراكب اللاعب بغير احد من أرباب الرهج والمستخدمون في البرين يمنعون من يقاربه والمتفرجون لايصدهم ويردهم ما يحل بهم بل يرمون أنفسهم من على الدواب ويسيرون بسيره وعاد الوزير الى السكرة فلما شاهد الخليفة الدواب الخاص التى برسم ركوبه أمره بما وقع عليه اختياره منها وعلاه فاحتاط بركابه مقدمو الركاب واستفتح القراء وخرج من باب السكرة ودخل من باب الخليفة القبلى وشق قاعتها على سرير مملكته وخص بالسلام فيها شيوخ الكتاب العوالى والقاضى والداعي ومن معهما ولهم بذلك ميزة عظيمة يختصون بها دون غيرهم وخرج منها الى البستان المعروف بنزار وسار فى ميدانه وجميعه من الجانبين سور معقود من شجر نارنج اصولها مفترقة وفروعها مجتمعة وظللت الطريق وعليها من الثمرة التي أخرجها من وقته الى هذا اليوم وقد خرجت بهجتها عن المعتاد وحصل عليها ثمرة سنتين احداهما انتهت والاخرى في الابتداء وهو بهيئته وزيه وترتيب عساكره وأمرائه وخرج من الباب بعد أن عمّ من له رسم بانعامه وعاد الرهج والموكب على ماكان عليه فلما وصل الى السد الذى على بركة الحبش كسر بين يديه *(وقال فى كتاب الذخائر)* ان مما أخرج من القصر في سنة احدى وستين وأربعمائة في خلافة المستنصر قبة العشارى وقاربه وكسوة رحله وهو مما استعمله الوزير أحمد بن علىّ الجرجراى في سنة ست وثلاثين وأربعمائة وكان فيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم فضة نقرة وان المطلق لصناع الصاغة عن اجرة ذلك وفي ثمن ذهب لطلائه خاصة ألفان وسبعمائة دينار وعمل ابو سهل التسترى

لوالدة المستنصر عشاريا يعرف بالفضي وحلي رواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم ولزم ذلك اجرة الصناعة ولطلاء بعضه ألفان وأربعمائة دينار واستعمل كسوة برسمه بمال جليل وأنفق على العشاريات التي برسم النزه البحرية التي عدتها ستة وثلاثون عشاريا بالتقدير بجميع آلاتها وكساها وحلاها من مناطق ورؤس منجوقات واهلة وصفريات وغير ذلك أربعمائة ألف دينار * وقال ابن الطوير اذا اذن الله سبحانه وتعالى بزيادة النيل المبارك طالع ابن أبي الرداد بما استقر عليه أذرع القاع في اليوم الخامس والعشرين من بؤونة وأرخه بما يوافقه من أيام الشهور العربي فعلم ذلك من مطالعته وأخرجت الى ديوان المكاتبات فنزلت في السير المرتب بأصل القاع والزيادة بعد ذلك في كل يوم تؤرخ بيومه من الشهر العربي وماوافقه من ايام الشهر القبطي لا يزال كذلك وهو محافظ على كتمان ذلك لا يعلم به أحد قبل الخليفة وبعده الوزير فاذا انتهى في ذراع الوفاء وهو السادس عشر الى أن يبقى منه أصبع أو اصبعان وعلم ذلك من مطالعته أمر أن يحمل الى المقياس في تلك الليلة من المطابخ عشرة قناطير من الخبز السميذ وعشرة من الخراف المشوية وعشرة من الجامات الحلواء وعشر شمعات ويؤمر بالمبيت في تلك الليلة بالمقياس فيحضر اليه قراء الحضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجرى مجراهم فيستعملون ذلك ويقدون الشمع عليهم من العشاء الآخرة وهم يتلون القرآن برفق ويطربون بمكان التطريب فيختمون الختمة الشريفة ويكون هذا الاجتماع في جامع المقياس فيوفى الماء ستة عشر ذراعا في تلك الليلة ولوفاء النيل عندهم قدر عظيم ويبتهجون به ابتهاجا زائدا وذلك لانه عمارة الديار وبه التئام الخلق على فضل الله فيحسن عند الخليفة موقعه ويهتم بأمره اهتماما عظيما أكثر من كل المواسم فاذا أصبح الصبح من هذا اليوم وحضرت مطالعة ابن أبي الرداد اليه بالوفاء ركب الى المقياس لتخليقه فيستدعى الوزير على العادة فيحضر الى القصر فيركب الخليفة بزى أيام الركوب من غير مظلة ولا ما يجرى مجراها بل في هيئة عظيمة من الثياب والوزير تابعه في الجمع الهائل على ترتيب الموكب ويخرج شاقا من باب زويلة وسالكا الشارع الى آخر الركن من بستان عباس المعروف اليوم بسيف الاسلام فيعطف سالكا على جامع ابن طولون والجسر الاعظم بين الركنين الى الساحل بمصر الي الطريق المسلوكة على طرف الخشابين الشرقي على دار الفاضل الى باب الصاغة بجوارها وله دهليز مادّ بمصاطب مفروشة بالحصر العبدانيّ بسطا وتأزيرا فيشقها والوزير تابعه فيخرج منها منعطفا على الصناعة الاخرى وكانت برسم المكس الي السيوفين ثم على منازل العز التي هي اليوم مدرسة ثم الى دار الملك فيدخل من الباب المقابل لسلوكه فيترجل الوزير عنده للدخول بين يديه ماشيا الي المكان المعدله ويكون قد حمل أمس ذلك اليوم من القصر البيت المتخذ للعشاري

الخاص وهو بيت مثمن من عاج وآبنوس عرض كل جزء ثلاثة أذرع وطوله قامة رجل
تام فيجمع بين الاجزاء الثمانية فيصير بيتا دوره أربعة وعشرون ذراعا وعليه قبة من خشب
محكم الصناعة وهو بقبته ملبس بصفائح الفضة والذهب فيتسلمه رئيس المشاريات الخاص
ويركبه على العشارى المختص بالخليفة ويجعل باكر ذلك اليوم الذى يركب فيه الخليفة
على الباب الذى يخرج منه للركوب الى المقياس فاذا استقر الخليفة بالمنظرة بدار الملك التي
يخرج من بابها الى العشارى وأسند اليه استدعي الوزير من مكانه فيحضر اليه ويخرج بين
يديه الى أن يركب في العشارى فيدخل البيت المذهب وحده ومعه من الاستاذين المحنكين
من يأمره من ثلاثة الى أربعة ثم يطلع في العشارى خواص الخليفة خاصة ورسم الوزير
اثنان أو ثلاثة من خواصه وليس في العشارى من هو جالس سوى الخليفة باطنا والوزير
ظاهرا في رواق من باب البيت الذى هو بعرانيس من الجانبين قائمة مخروطة من أخف
الخشب وهى مدهونة مذهبة وعليها من جانبيها ستور معمولة برسمها على قدرها فاذا اجتمع
في العشارى من جرت عادته بالاجتماع اندفع من باب القنطرة طالبا باب المقياس العالي على
الدرج التي يعلوها النيل فيدخل الوزير ومعه الاستاذون بين يدى الخليفة الى الفسقية فيصلى
هو والوزير ركعات كل واحد بمفرده فاذا فرغ من صلاته أحضرت الآلة التى فيها الزعفران
والمسك فيديفها بيده بآلة ويتناولها صاحب بيت المال فيناولها لابن أبي الرداد فيلقى نفسه
في الفسقية وعليه غلالته وعمامته والعمود قريب من درج الفسقية فيتعلق فيه برجليه ويده
اليسرى ويخلقه بيده اليمنى وقراء الحضرة من الجانب الآخر يقرؤن القرآن نوبة بنوبة ثم
يخرج على فوره راكبا في العشارى المذكور وهو بالخيار اما أن يعود الى دار الملك ويركب
منها عائدا الى القاهرة أو يحدر في العشارى الى المقس فيتبعه الموكب الى القاهرة ويكون
في البحر في ذلك اليوم ألف قرقورة مشحونة بالعالم فرحا بوفاء النيل وبنظر الخليفة فاذا
استقر بالقصر اهتم بركوب فتح الخليج وفيه همة عظيمة ظاهرة للابتهاج بذلك ثم يصير ابن
أبي الرداد باكر ثاني ذلك اليوم الى القصر بالايوان الكبير الذى في الشباك الى باب الملك
بجواره فيجد خلعة معباة هناك فيؤمر بلبسها ويخرج من باب العيد شاقا بها بين القصرين من
أوله قصد الاشاعة ذلك فان ذلك من علامة وفاء النيل ولاهل البلاد الى ذلك تطلع وتكون
خلعة مذهبة وكان من العدول المحنكين فيشرف في الخلعة بالطيلسان المقور ويندب له من
التغييرات ولمن يريده خمس تغييرات مركبات بالحلى ويحمل أمامه على أربع بغال مع أربعة
من مستخدمى بيت المال اربعة أكياس في كل كيس خمسمائة درهم ظاهرة في اكفهم
وبصحبته أقاربه وبنو عمه وأصدقاؤه ويندب له الطبل والبوق ويكتنف به عدة كثيرة من
المتصرفين الرجالة فيخرج من باب العيد ويركب احدى التغييرات وهى أميزها وشرف أمامه

بجملين من النقارات التي قدمنا ذكرها يعني فى ركوب أول العام من زى الموكب فيسير شاقا القاهرة والابواق تضرب أمامه كبارا وصغارا والطبل وراءه مثل الامراء وينزل على كل باب يدخل منه الخليفة ويخرج من باب القصر فيقبله ويركب وهكذا يعمل كل من يخلع عليه من كبير وصغير من الامراء المطوقين الى من دونهم سيفا وقلما ويخرج من باب زويلة طالبا مصر من الشارع الاعظم الى مسجد عبد الله الى دار الانماط جائزا على الجامع الى شاطئ البحر فيعدى الى المقياس بخلعه وأكياسه وهذه الاكياس معدة لارباب الرسوم عليه في خلعه ولنفسه ولبنى عمه بتقرير من أول الزمان فاذا انقضى هذا الشأن شرع في الركوب الى فتح الخليج ثاني يوم وقد كان وقع الاهتمام به منذ دخلت زيادة النيل ذراع الوفاء اهتماما عظيما فيعمل في بيت المال من التماثيل شكل الوحوش من الغزلان والسباع والفيلة والزرافات عدة وافرة منها ماهو ملبس بالعنبر ومنها ما هو ملبس بالصندل ثم شكل التفاح والاترج اللطيف والوحوش مفسرة الاعين والاعضاء بالذهب الى غير ذلك ثم تخرج الخيمة التى يقال لها القاتول لان فراشا سقط من أعلى عمودها فمات فسميت بذلك وطوله سبعون ذراعا واعلاه صفرية فضة تسع راوية ماء وعليه الفلكة التى كانت في الايوان الى قريب الوقت ثم يعمل في أول العمود شقة دائرة ثم أوسع منها ويتوالى ذلك الى احدى عشرة شقة فتصير سعة الخيمة ما يزيد على فدانين مستديرة وتنصب في بر الخليج الغربي على حافته مكان بستان الحلى اليوم وكانت ثم منظرة يقال لها السكرة برسم جلوس الخليفة لفتح الخليج في مثل هذا اليوم وينصب أرباب الرتب من الامراء من بحرى تلك الخيمة الكبرى خياما كثيرة ويتمايزون فيها على قدر هممهم وضربهم اياها في الاماكن الاقرب فالاقرب على قدر رتبهم فاذا تم ذلك وعزم الخليفة على الركوب ثالث يوم التخليق أو رابعه أخرج كل من المستخدمين في المواضع المقدم ذكرها في ركوب أول العام آلات الموكب على عادته ويزاد فيه اخراج أربعين بوقا عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة ويكون بوّاقوها ركبانا وأرباب الابواق النحاس مشاة ومن الطبول الكبار التي مكان خشبها فضة عشرة فاذا حضر الوزير الى باب القصر خرج الخليفة في هيئة عظيمة وهمة عالية وقد تضاعفت همم الاجناد في ذلك اليوم فارسها وراجلها ويخرج زى الخليفة من المظلة والسيف والرمح والالوية والدواة وغير ذلك من الاستاذين المحنكين ويركب فى ذلك اليوم من الاقارب المقيمين بالقصر عشرون أو ثلاثون وهم بالنوبة في كل سنة فيتقدمون الى المنظرة في مكان لهم صحبة أستاذين لخدمتهم وحفظهم ويكون قد لف عمودا لخيمة الكبرى المشار اليها اما بديباج أبيض أو أحمر أو أصفر من أعلاه الى أسفله وينصب مسنداً اليه سرير الملك ويغشى بقرقوبي وعرانيسه ذهب ظاهرة فيخرج الخليفة للركوب ويركب فيخرج من باب القصر وعليه ثوب يقال له

البدنة وهو كله ذهب وحرير مرقوم والمظلة من شكله ولا يلبس هذا الثوب في غير هذا اليوم ويسير بالموكب الهائل شاقا القاهرة من الطريق التي ركب منها لتخليق المقياس الا انه لا يدخل طرق مصر من الخشابين بل خارجها من طريق الساحل فاذا جاز على جامع ابن طولون وجد قد ربط من رأس المنارة من مكان المشاري النحاس حبل طويل قوي موضوع آخره في الطريق وفيه قوم يقال لهم النحتبارية واحد في زيّ فارس على شكل فرس وفي يده رمح ويكتفه درقة فينحدر على بكرة وفي رجليه آخر ممسكها وهو يتقلب في الهواء بطنا وظهرا حتى يصل الى الارض ويكون قاضي القضاة وأعيان الشهود جلوسافي باب الجامع من هذه الجهة فاذا وازاهم الخليفة وكانوا قد ركبوا وقف لهم وقفة فيسلم على القاضى ثم يدخل فيقبل الرجل التى من جانبه لا غير ويدخل بالشهود في الفرجة أمام وجه الدابة بمقدار قصبة المساحة فيسلم عليهم ويرجعون الى دوابهم فيركبون ويكون قد نصب لهم بالقرب من الخيمة الكبرى خيمتان احداهما ديباج أحمر والاخرى ديبقى أبيض بصفارى فضة لكل واحدة فيتم الخليفة بهيئته الى أن يدخل من باب الخيمة ويكون الوزير قدتقدمه على العادة ليخدمه فيجده راجلا على باب الخيمة فيمشى بين يديه الى سرير الملك فينزل ويجلس على المرتبة المنصوبة فيه ويحيط به الاستاذون المحنكون والامراء المطوقون بعدهم ويوضع للوزير الكرسى الجارى به عادته فيجلس عليه ورجلاه تحت الارض ويقف أرباب الرتب صافين من ناحية سرير الملك الى ناحية الخيمة والقراء يقرؤن القرآن ساعة زمانية فاذا ختموا قراءتهم استأذن صاحب الباب على حضور الشعراء للخدمة بما يطلق هذا اليوم فيؤمر بتقديمهم واحدا بعد واحد ولهم منازل على مقدار أقدارهم فالواحد يتقدم الواحد بخطوة في الانشاد وهو أمر معروف عند مستخدم يقال له النائب وتقدم شاعر يقال له ابن جبر وأنشأ قصيدة منها

فتح الخليج فسال منه الماء * وعلت عليه الراية البيضاء

فصفت موارده لنا فكأنه * كف الامام فعرفها الاعطاء

فانتقد الناس عليه في قوله فسال منه الماء وقالوا أى شئ يخرج من البحر غير الماء فضيع ماقاله بعد هذا المطلع وتقدم شاعر يقال له مسعود الدولة بن جرير وأنشد

مازال هذا السد ينظر فتحه * أذن الخليفة بالنوال المرسل

حتى اذا برز الامام بوجهه * وسطا عليه كل حامل معول

فجرى كأن قد ديف فيه عنبر * يعلوه كافور بطيب المندل

فانتقدوا عليه أيضاً قوله فى البيت الثانى وقالوا أهلك وجه الامام بسطوات المعاول عليه وان كان قصد فتح السد بالمعاول لكنه مانظمه الا قلقا ثم تقدم له شاعر شاهد يقال له كافى

الدولة أبو العباس أحمد وأنشد قصيدة شهد له جماعة منهم القاضي الاثير بن سنان فانه عملها بحضوره بديها

لمن اجتماع الخلق في ذا المشهد * للنيل أم لك يابن بنت محمد
أم لاجتماعكما معافي موطن * وافيتما فيه لأصدق موعد
ليس اجتماع الخلق الا للذي * حاز الفضيلة منكما فى المولد
شكروا لكل منكما لوفائه * بالسعي لكن ميلهم للاجود
ولمن اذا اعتمد الوفاء ففعله * بالقصد ليس له كمن لم يقصد
هذا يفى ويعود ينقص تارة * وتسد أنت النقص ان لم يردد
وقواه ان بلغ النهاية قصرت * واذا بلغت الى النهاية تبتدى
فالآن قد ضاقت مسالك سعيه * بالسد فهو به مجال مقيد
فاذا أردت صلاحه فافتح له * ليرى جنابا مخصبا وترى ندي
وأمر بفصد العرق منه فما شكا * جسم فصح الجسم ان لم يفصد
واسلم الى امثال يومك هكذا * في عيش مغبوط وعز مخلد

فأمر له على الفور بخمسين دينارا وخلع عليه وزيد في جاريه ثم يقوم الخليفة عن السرير راكبا والوزير بين يديه حتى يطلع على المنظرة المعروفة بالسكرة وقد فرشت بالفرش المعدة لها فيجلس فيها ويتهيأ أيضاً للوزير مكان يجلس فيه ويحيط بالسد حامى البساتين ومشارفها لانه من حقوق خدمتهما فتفتح احدى طاقات المنظرة ويطل منها الخليفة على الخليج وطاقة تقاربها يتطلع منها استاذ من الخواص ويشير بالفتح فيفتح بأيدى عمال البساتين بالمعاول ويخدم بالطبل والبوق من البرين فاذا اعتدل الماء في الخليج دخلت العشاريات اللطاف ويقال لها السماويات وكأنها خدم بين يدى العشارى الذهبى المقدم ذكره ثم العشاريات الخاص الكبار وهى ستة الذهبي المذكور والفضى والاحمر والاصفر واللازوردى والصقلى وكان أنشأه نجار من رؤساء الصناعة صقلي وزاد فيه على الانشاء المعتاد فنسب اليه وهذه العشاريات لا تخرج عن خاص الخليفة في أيام النيل وتحوله الى اللؤلؤة للفرجة وسارت في الخليج وعلى بيت كل منهما الستور الديبقى الملونة وبرؤسها وفى أعناقها الاهلة وقلائد من الخرز فتسند الى البر الذى فيه المنظرة الجالس فيها الخليفة فاذا استقر جلوس الخليفة والوزير بالمنظرة ودخل قاضى القضاة والشهود الخيمة الديبقى البيضاء وصلت المائدة من القصر في الجانب الغربي من الخليج على رؤس الفراشين صحبة صاحب المائدة وعدتها مائة شدة في الطيافير الواسعة وعليها القوارات الحرير وفوقها الطراحات ولها رواء عظيم ومسك فائح فتوضع فى خيمة واسعة منصوبة لذلك ويحمل للوزير ماهو مستقر له بعادة جارية ومن

صواني التماثيل المذكورة ثلاث صوان ويخصص منها أيضا لاولاده واخوته خارجا عن ذلك اكراما وافتقادا ويحمل الى قاضي القضاة والشهود شدة من الطعام الخاص من غير تماثيل توقيرا للشرع ويحمل الى كل أمير في خيمته شدة طعام وصينية تماثيل ويصل من ذلك الى الناس شيء كثير ولا يزالون كذلك الى أن يؤذن بالظهر فيصلون ويقيمون الى العصر فاذا أذن به صلى وركب الموكب كله لانتظار ركوب الخليفة فيركب لابسا غير البدنة بل بهيئته والمظلة مناسبة لثيابه التى عليه واليتيمة والترتيب بأجمعه على حاله ويسير فى البر الغربي من الخليج شاقا البساتين هناك حتى يدخل من باب القنطرة الى القصر والوزير تابعه على الرسم المعتاد ويمر فيه للقوم أحسن الايام ويمضى الوزير الى داره مخدوما على العادة * وقال فى كتاب الذخائر والتحف ان المستعمل من الفضة قبة العشارى المعروف بالمقدم وقاربه وكسوة رحله في سنة ست وثلاثين وأربعمائة فى وزارة على بن أحمد الجرجراى مائة ألف وسبعة وستون ألفاً وسبعمائة درهم نقرة وان المطاق للصناع عن أجرة الصناعة وفى ثمن ذهب لطلائه خاصة ألفان وتسعمائة دينار وسبعون وكانت الفضة في ذلك الوقت كل مائة درهم بستة دنانير وربع سعر ستة عشر درهما بدينار ولما تولى أبو سعيد سهل التسترى الوساطة سنة ست وثلاثين وأربعمائة استعمل لأم المستنصر عشاريا يعرف بالفضى وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم ولزم ذلك أجرة الصناعة ولطلاء بعضه ألفان وأربعمائة دينار سوى كسوة له بمال جليل والمنفق على ستة وثلاثين عشاريا برسم النزه البحرية لآلاتها وحلاها من مناطق ورؤس منجوقات وأهلة وصفريات وغير ذلك أربعمائة ألف دينار وكانت العادة عندهم اذا حصل وفاء النيل أن يكتب الى العمال فمما كتب من انشاء تاج الرياسة أبي القاسم على بن منجب بن سليمان الصيرفى * أما بعد فان أحق ماوجبت به التهنئة والبشرى • وغدت المسار منتشرة تتوالى وتترى • وكان من اللطائف التى غمرت بالمنة العظمى والنعمة الجسيمة الكبرى • ما استدعى الشكر لموجد العالم وخالقه • وظلت النعمة به عامة لصامت الحيوان وناطقه • وتلك الموهبة بوفاء النيل المبارك الذى يسره الله تعالى وله الحمد يوم كذا فان هذه العطية تؤدى الى خصب البلاد وعمارتها • وشمول المصالح وغزارتها • وتقضى بتضاعف المنافع والخيرات • وتكاثر الارزاق والاقوات • ويتساهم الفائدة فيها جميع العباد • وتنتهى البركة بها الى كل دان وناء وكل حاضر وباد • فأذع هذه النعمة قبلك • وانشرها فى كل من يتدبر عملك • وحثهم على مواصلة الشكر لهذه الالطاف الشاملة لهم ولك • فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى • وكتب أيضاً ان أولى ماتضاعف به الابتهاج والجذل • وانفتح فيه الرجاء واتسع الأمل • ماعم نفعه صامت الحيوان وناطقه • وأحدث لكل أحد اغتباطاً لزمه وآلى أن لايفارقه • وذلك مامن الله به من وفاء النيل المبارك الذى

تحيا به كل أرض موات • وتكتسى بعدا قشعرارها حلة النبات • ويكون سبباً لتوافر الاقوات • فانه وفي المقدار الذى يحتاج اليه فلتذع هذه المنة فى القاصى والداني • لتستعمل الكافة بينهم ضروب البشائر والتهاني • ان شاء الله تعالى • وكتب أيضاً من لطف الله الواجب حمده اللازم شكره • وفضله الذى لا يمل بشره ولا يسأم ذكره • ومنه الذى استبشر به الانام • وتضاعف فيه الانعام • ومثل الله الحياة به في قوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام • أمر النيل المبارك الذى يعم النجود والتهائم • وتتنعم به الخلائق وترتع فيما يظهره البهائم • وقد توجه اليك بهذا الكتاب بهذه البشرى فلان فأجره على رسمه فى اظهاره مجملا • وايصاله الى رسمه مكملا • واذاعة هذه النعمة على الكافة ليتساهموا الاغتباط بها • ويبالغوا في الشكر لله سبحانه وتعالى بمقتضاها وعلى حسبها • فاعلم ذلك واعمل به ان شاء الله تعالى

(منظرة الدكة) وكان من جملة مناظر الخلفاء الفاطميين منظرة تعرف بالدكة لها بستان عظيم بجوار المقس فيما بينه وبين أراضى اللوق وما زالت باقية حتى زالت الدولة وحكر مكان البستان وصار خطة تعرف الى اليوم بخط الدكة فخربت المنظرة وزال أثرها قال ابن عبد الظاهر الدكة بالمقس كانت بستانا وكان الخليفة اذا ركب من كسر الخليج من السكرة بعظلته يسير في البر الغربي ومضارب الناس والامراء وخيمهم عن يمينه وشماله الى أن يصل الى هذا البستان المعروف بالدكة وقد غلقت أبوابه ودهاليزه فيدخل اليه بمفرده ويسقى منه الفرس الذى تحته وهى قضية ذكر المؤرخ لسيرة المأمونية أنهم كانوا يعتمدونها الى آخر وقت ولم يعلم سببها ثم يخرج ويسير الى أن يقف على الترعة الآتى ذكرها ويدخل من باب القنطرة وينزل الى القصر والدكة الآن آدر وحارات شهرتها تغنى عن وصفها فسبحان من لا يتغير * وقال ابن الطوير عن الظاهر لاعزاز دين الله أبى هاشم على بن الحاكم بأمر الله كان بمنظرة يقال لها الدكة بساحل المقس يعنى أنه مات بها

(منظرة المقس) وكان من جملة مناظرهم أيضاً منظرة بجوار جامع المقس الذى تسميه العامة اليوم جامع المقسى وكانت هذه المنظرة بجرى الجامع المذكور وهى مطلة على النيل الاعظم وكان حينئذ ساحل النيل بالمقس وكانت هذه المنظرة معدة لنزول الخليفة بها عند تجهيز الاسطول الى غزو الفرنج فتحضر رؤساء المراكب بالشواني وهى مزينة بأنواع العدد والسلاح ويلعبون بها فى النيل حيث الآن الخليج الناصري تجاه الجامع وما وراء الخليج من غربيه قال ابن المأمون وذكر تجهيز العساكر في البر عند ورود كتب صاحبي دمشق وحلب فى سنة سبع عشرة وخمسمائة مايحث على غزو الفرنج ومسيرها مع حسام الملك وركب الخليفة الآمر بأحكام الله وتوجه الى الجامع بالمقس وجلس بالمنظرة في أعلاه

واستدعى مقدم الاسطول الثاني وخلع عليه وانحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والعدد والآلات والاسلحة واعتمد ماجرت العادة به من الانعام عليهم وعاد الخليفة الى البستان المعروف بالبعل الى آخر النهار وتوجه الى قصره بعد تفرقة جميع الرسوم والصدقات والهبات الجارى بها العادة في الركوبات * وقال ابن الطوير فاذا تكملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل المقس وكان هناك على شاطئ البحر بالجامع منظرة يجلس فيها الخليفة برسم وداعه يعنى الاسطول ولقائه اذاعاد فاذا جلس هو والوزير للوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر الى هناك للحركات في البحر بين يديه وهي مزينة بأسلحتها ولبوسها وفيها المنجنيقات تلعب فتنحدر وتقلع بالمجاذيف كما يفعل في لقاء العدو بالبحر الملح ويحضر بين يدى الخليفة المقدم والرئيس فيوصيهما ويدعو للجماعة بالنصرة والسلامة و يعطى المقدم مائة دينار والرئيس عشرين ديناراً وتحدر الى دمياط وتخرج الى البحر الملح فيكون لها ببلاد العدوّ صيت وهيبة فاذا وقع لهم مركب لايسألون عما فيه سوى الصغار والرجال والنساء والسلاح وماعدا ذلك فللاسطول واتفق مرة أن قدم على الاسطول سيف الملك الجمل فكسب بطشة عظيمة فيها ألف وخمسمائة شخص بعد أن بعث عليهم بالقتال وقتل منهم نحوا من مائة وعشرين رجلا وحضر الى القاهرة ففرح الخليفة وركب الى المقس وجلس بالمنظرة للقائهم وأطلقوا الاسرى بين يديه تحت المنظرة من جانب البر فاستدعيت الجمال لركوبهم وشق بهم القاهرة ومصر وهم كل اثنين على جمل ظهر الظهر وعاد الخليفة الى القصر فجلس في احدى مناظره لنظرهم في جوازهم فلما عادوا بهم من مصر صاروا بهم الى المناخات فصح منهم ألف رجل فانضافوا الى من فى المناخ وأما النساء والصبيان فانهم دخلوا بهم الى القصر بعد أن حمل منهم للوزير نصيب وافر وأخذ الجهات والاقارب بقيتهن فيستخدمونهن ويعلمونهن الصنائع ويتولى الاستاذون تربية الصبيان وتعليمهم الخط والرماية ويقال لهم الترابي ومن استريب به من الاسرى ونبه عليه بقوة أوقع به والشيخ الذى لاينتفع به يمضى فيه حكم السيف بمكان يقال له بئر المنامة في الخراب قريب مصر ولم يسمع على الدولة قط أنها فادت أسيرا بمال ولا بأسير مثله وهذه الحال في كل سنة آخذة فى الزيادة لا النقص وقدم على الاسطول مرة أمير يقال له حرب بن فور صاحب الحاجب لؤلؤ فكسب بطشة حصل فيها خمسمائة رجل انتهى وقدخربت هذه المنظرة وكان موضعها برج كبير صار يعرف في الدولة الايوبية بقلعة المقس مشرف على النيل فلما جدد الصاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسى جامع المقس على ماهو عليه الآن في سنة سبعين وسبعمائة هدم هذا البرج وجعل مكانه جنينة شرقي الجامع وتحدث الناس أنه وجد فيه مالا والله أعلم

(منظرة البعل) وكان من مناظرهم بظاهر القاهرة منظرة في بستان أنيق يعرف بالبعل أنشأه الافضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى وموضع هذا البستان الى اليوم يعرف بالبعل وصارت أرضه مزرعة في جانب الخليج الغربي بحرى أرض الطبالة في كوم الريش مقابل قناطر الاوز وقد خربت المنظرة وبقى منها آثار أدركتها يعطن بها السكتان تدل على عظمها وجلالتها في حال عمارتها وكانت منظرة البعل من أجل متنزهاتهم وكان لهم بها أوقات عميمة المبرات جليلة الخيرات *قال ابن المأمون فأما يوم السبت والثلاثاء فيكون ركوب الوزير من داره بالرهجية ويتوجه الى القصر فيركب الخليفة الى ضواحى القاهرة للنزهة في مثل الروضة والمشتهى ودار الملك والتاج والبعل وقبة الهواء والخمسة وجوه والبستان الكبير وكان لكل منظرة منهن فرش معلوم مستقر فيها من الايام الافضلية للصيف والشتاء وتفرق الرسوم ويسلم لمقدمي الركاب اليمين والشمال لكل واحد عشرون دينارا وخمسون رباعيا ولتالى مقدم الركاب اليمين مائة كاغدة في كل كاغدة ثلاثة دراهم ومائة كاغدة فى كل كاغدة درهمان ولتالى مقدم الشمال مثل ذلك فأما الدنانير فلكل باب يخرج منه من البلد دينار ولكل باب يدخل منه دينار ولكل جامع يجتاز عليه دينار ما خلا جامع مصر فان رسمه خمسة دنانير ولكل مسجد يجتاز عليه رباعى ولكل من يقف ويتلو القرآن كاغدة والفقراء والمساكين من الرجال والنساء لكل من يقف كاغدة ولكل من يركب الخليفة دينار ان ويكون مع هذا متولى صناديق الانفاق يحجب الخليفة وبيده خريطة ديباج فيها خمسمائة دينار لما عساه يؤمر به فاذا حصل فى احدى المناظر المذكورة فرق من العين ما مبلغه سبعة وخمسون دينارا ومن الرباعية مائة وستة وثمانون دينارا للحواشي والاستاذين وأصحاب الدواوين والشعراء والمؤذنين والمقرئين والمنجمين وغيرهم ومن الخراف الشواء خمسون رأسا منها طبقان حارة مكملة مشورة برسم المائدة الخاص مضافا لما يحضر من القصور من الموائد الخاص والحلاوات وطبق واحد برسم مائدة الوزير وبقية ذلك باسماء أربابه ورأسا بقر برسم الهرائس فاذا جلس الخليفة على المائدة استدعى الوزير وخواصه ومن جرت العادة بجلوسه معه ومن تأخر عن المائدة ممن جرت عادته بحضورها حمل اليه من بين يدى الخليفة على سبيل التشريف وعند عود الخليفة الى القصر يحاسب متولى الدفتر مقدمي الركاب على ما أنفق عليه في مسافة الطريق من جامع ومسجد وباب ودابة وأما تفرقة الصدقات فهم فيها على حكم الامانة قال واذا وقع الركوب الى الميادين جرى الحال فيها على الرسم المستقر من الانعام ويؤمر متولى خزائن الخاص وصناديق الانفاق أن يكون معه خريطة في السرج ديباج تسمى خريطة الموكب فيها ألف دينار معدة لمن يؤمر بالانعام عليه فى حال الركوب

(منظرة التاج) هى من جملة المناظر التى كانت الخلفاء تنزلها للنزهة بناها الافضل ابن أمير الجيوش وكان لها فرش معد لها للشتاء والصيف وقد خربت ولم يبق لها سوى أثر كوم توجد تحته الحجارة الكبار وما حول هذا الكوم صار مزارع من جملة أراضى منية الشيرج قال ابن عبد الظاهر وأما التاج فكان حوله البساتين عدة وأعظم ما كان حوله قبة الهواء وبعدها الخمس وجوه التي هي باقية

(منظرة الخمس وجوه) كانت أيضا من مناظرهم التى يتنزهون فيها وهى من انشاء الافضل بن أمير الجيوش وكان لها فرش معد لها وبقى منها آثار بناء جليل على بئر متسعة كان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التى تنقل الماء لسقى البستان العظيم الوصف البديع الزى البهيج الهيئة والعامة تقول التاج والسبع وجوه الى الآن وموضعها الى وقتنا هذا من أعظم متفرجات القاهرة ويثبت هناك في أيام النيل عند ما يعم تلك الاراضى البشنين فتفتن رؤيته وتبهج النفوس نضارته وزينته فاذا نضب ماء النيل زرعت تلك البسطة قرطا وكتانا يقصر الوصف عن تعداد حسنه وأدركت حول الخمس وجوه غروسا من نخل وغيره تشبه أن تكون من بقايا البستان القديم وقد تلاشت الآن ثم ان السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودى الظاهرى جدد عمارة منظرة فوق الخمس وجوه ابتدأ بناءها في يوم الاثنين أول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة

(منظرة باب الفتوح) وكان للخلفاء الفاطميين منظرة خارج باب الفتوح وكان يومئذ ما خرج عن باب الفتوح براحا فيما بين الباب وبين البساتين الجيوشية وكانت هذه المنظرة معدة لجلوس الخليفة فيها عند عرض العساكر ووداعها اذا سارت في البر الى البلاد الشامية قال ابن المأمون وفي هذا الشهر يعنى المحرم سنة سبع عشرة وخمسمائة وصلت رسل ظهير الدين طغدكين صاحب دمشق وآق سنقر صاحب حلب بكتب الى الخليفة الآمر باحكام الله والى الوزير المأمون الى القصر فاستدعوا لتقبيل الارض كما جرت العادة من اظهار التجمل وكان مضمون الكتب بعد التصدير والتعظيم والسؤال والضراعة أن الاخبار تظافرت بقلة الفرنج بالاعمال الفلسطينية والثغور الساحلية وأن الفرصة قد أمكنت فيهم والله قد أذن بهلاكهم وأنهم ينتظرون انعام الدولة العلوية وعوايد افضالها ويستنصرون بقوتها ويحثون على نصرة الاسلام وقطع دابر الكفر وتجهيز العساكر المنصورة والاساطيل المظفرة والمساعدة على التوجه نحوهم لئلا يتواصل مددهم وتعود الى القوة شوكتهم فقوى العزم على النفقة في العساكر فارسها وراجلها وتجريدها وتقدم الى الازمة باحضار الرجال الاقوياء وابتدئ بالنفقة فى الفرسان بين يدى الخليفة في قاعة الذهب وأحضر الوزانون وصناديق المال وأفرغت الاكياس على البساط واستمر الحال بعد ذلك في الدار المأمونية وتردد

الرأى فيمن يتقدم فوقع الاتفاق على حسام الملك البرني وأحضر مقدم الاساطيل الثانيـة
لان الاساطيل توجهت فى الغزو وخلع عليه وأمر بأن ينزل الى الصناعتين بمصر والجزيرة
وينفق في أربعين شينيا ويكمل نفقاتها وعددها ويكون التوجه بها صحبة العسكر وأنفق في
عشرين من الامراء للتوجه صحبته فكملت النفقة في الفارس والراجل وفي الامراء السائرين
وفي الاطباء والمؤذنين والقراء وندب من الحجاب عدة وجعل لكل منهم خدمة فمنهم من
يتولى خزانة الخيام وسير معه من حاصل الخزائن برسم ضعفاء العسكر ومن لا يقدر على
خيمة خيم ومنهم حاجب على خزائن السلاح وأنفق في عدة من كتاب ديوان الجيش لعرض
العساكر وفى كتاب العربان وأحضر مقدمو الحراسين بالخفار وتقدم اليها بأنه من تأخر
عن العرض بعسـقلان وقبض النفقة فـلا واجب له ولا اقطـاع وكتبت الـكتب الى
المستخدمين بالثغور الثلاثة الاسكندرية ودمياط وعسقلان باطلاق وابتياع ما يستدعي برسم
الاسمطة على ثغر عسقلان للعساكر والعربان من الاصناف والغلال ووقع الاهتمام بنجاز
أمر الرسل الواصلين وكتبت الاجوبة عن كتبهم وجهز المال والخلع المذهبات والاطواق
والسيوف والمناطق الذهب والخيل بالمراكب الحلى الثقال وغير ذلك من التجملات وخلع
على الرسل وأطلق لهم التغيير وسلمت اليهم الكتب والتذاكر وتوجهوا صحبة العسكر وركب
الخليفة الآمر بأحكام الله الى باب الفتوح ونظر بالمنظرة واستدعى حسام الملك وخلع
عليه بدلة جليلة مذهبة وطوقه بطوق ذهب وقلده ومنطقه بمثل ذلك ثم قال الوزير المأمون
للامراء بحيث يسمع الخليفة هذا الأمير مقدمكم ومقدم العساكر كلها وما وعـد به
أنجزته وما قرره أمضيته فقبلوا الارض وخرجوا من بين يديه وسـلم متولى بيت المـال
وخزائن الـكسوة لحسام الملك الـكتب بما ضمنته الصناديق من المـال وأعدال الـكسوات
وحملت قدامه وفتحت طاقات المنظرة فلما شاهد العساكر الخليفة قبلوا الارض فأشـار
اليهم بالتوجه فساروا باجمعهم وركب الخليفة وتوجه الى الجامع بالمقس وجلس بالمنظرة
واستدعى مقدم الاسطول وخلع عليه وانحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والعدة

(منظرة الصناعة) وكان من جملة مناظر الخلفاء منظرة بالصناعة فى الساحل
القديم من مصر يجلس بها الخليفة تارة حتى تقدم له العشاريات فيركبها ويسير للمقياس حتى
يخلق بين يديه عند الوفاء وكان بهذه الصناعة ديوان العمائر وأنشأ هذه المنظرة والصناعـة
التي هى فيها الوزير المأمون ولم تزل الى آخر الدولة ودهليزها مادّ بمصاطب مفروشة بالحصر
العبداني بسطا وتأزيرا وقد خربت هذه الصناعة والمنظرة وصار موضعهما الآن بستانا
كان يعرف ببستان ابن كيسان ويعرف فى زمننا هذا الذى نحن فيه الآن ببستان الطواشى
وهو بأول مراغة مصر تجاه غيط الجرف على يسرة من يسلك من المراغة يريد الكبارة

وباب مصر قال ابن المأمون وكانت جميع مراكب الاساطيل ماتنشأ الا بالصناعة التى بالجزيرة فأنكر الوزير المأمون ذلك وأمر بان يكون انشاء الشواني وغيرها من المراكب النيلية الديوانية بالصناعة بمصر وأضاف اليها دار الزبيب وانشأ المنظرة بها واسمه باق الى الآن عليها وقصد بذلك أن يكون حلول الخليفة يوم تقدمة الاساطيل ورميها بالمنظرة المذكورة وأن يكون ما ينشأ من الجرانى والشلنديات فى الصناعة بالجزيرة قال ولما وفي النيل ستة عشر ذراعا ركب الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر ورميت العشاريات بين أيديهما ثم عديا في احداها الى المقياس وقال ابن الطوير الخدمة في ديوان الجهاد ويقال له ديوان العمائر وكان محله بصناعة الانشاء بمصر للاسطول والمراكب الحاملة للغلات السلطانية والاحطاب وغيرها وكانت تزيد على خمسين عشاريا ويليها عشرون ديماسا منها عشرة برسم خاص الخليفة أيام الخليج وغيرها ولكل منها رئيس ونواتي لا يبرحون ينفق فيهم من مال هذا الديوان وبقية العشاريات الدواميس برسم ولاة الاعمال المميزة فهى تجر لهم وينفق في رؤسائها ورجالها أينما كانوا من مال هذا الديوان وتقيم مع أحدهم مدة مقامه فاذا صرف عاد فيه وخرج المتولى الجديد في العشارى المرسى بالصناعة ولا يخرج الا بتوقيع باطلاقه والانفاق فيه وللمشارفين بالاعمال عشاريات دون هذه وفى هذا الديوان برسم خدمة ما يجرى فى الاساطيل نائبان من قبل مقدم الاسطول وفيه من الحواصل لعمارة المراكب شئ كثير واذا لم يف ارتفاعه بما يحتاج اليه استدعى له من بيت المال مايسد خلله قال وكان من أهم أمورهم احتفالهم بالاساطيل والاجناد ومواصلة انشاء المراكب بمصر والاسكندرية ودمياط من الشواني الحربية والشلنديات والمسطحات الى بلاد الساحل حين كانت بأيديهم مثل صور وعكا وعسقلان وكانت جريدة قواده أكثر من خمسة آلاف مدوّنة منهم عشرة أعيان تصل جامكية كل منهم الى عشرين ديناراً ثم الى خمسة عشر ثم الى عشرة دنانير ثم الى ثمانية ثم الى دينارين وهي أقلها ولهم اقطاعات تعرف بأبواب الغزاة بما فيه من النطرون فيصل دينارهم بالمناسبة الى نصف دينار وحواليه ويعين من هؤلاء القواد العشرة من يقع الاجماع عليه لرياسة الاسطول المتوجه للغزو فيكون معه الفانوس وكلهم يهتدون به ويقلعون باقلاعه ويرسون بارسائه ويقدم على الاسطول أمير كبير من أعيان الامراء وأقواهم جنانا ويتولى النفقة فيهم للغزو والخليفة بنفسه بحضور الوزير فاذا أراد النفقة فيما تعين من عدة المراكب السائرة وكانت آخر وقت تزيد على خمسة وسبعين شينيا وعشر مسطحات وعشر حمالة فيتقدم الى النقباء باحضار الرجال ويسمع بذلك من هو خارج مصر والقاهرة فيدخل اليها ولهم المشاهرة والجرايات المتقررة مدة أيام السفر وهم معروفون عند عشرين نقيبا ولا يعترض أحد أحدا الا من رغب فى ذلك من نفسه فاذا اجتمعت العدة المغلقة للمراكب المطلوبة أعلم المقدم بذلك الوزير فطالع الخليفة

بالحال وفرز يوم للنفقة فحضر الوزير بالاستدعاء على العادة فيجلس الخليفة على هيئته فى المجلس ويجلس الوزير فى مكانه ويحضر صاحبا ديوان الجيش وهما المستوفى وهو أميرهما ويجلس داخل عتبة المجلس وهذه رتبة له مميزة وكاتب الجيش الاصل ويجلس بجانبه تحت العتبة على حصر مفروشة بالقاعة ولا يخلو المستوفي أن يكون عدلا أو من أعيان الكتاب المسلمين وأما كاتب الجيش فيهودى" في الاغاب ويفرش أمام المجلس أنطاع تصب عليها لدراهم ويحضر الوزانون بيت المال لذلك فاذا تهيأ الانفاق أدخل القابضون مائة مائة ويقفون في آخر الوقوف بين يدى الخليفة من جانب واحد نقابة نقابة وتكون أسماؤهم قد رتبت في أوراق لاستدعائهم بين يدى الخليفة ويستدعى مستوفى الجيش من تلك الاوراق واحدا واحدا فاذا خرج اسمه عبر من الجانب الذى هو فيه الى الجانب الخالى فاذا تكمل عشرة رجال وزن الوزانون لهم النفقة وكانت لكل واحد خمسة دنانير صرف كل دينار ستة وثلاثون درهما فيتسلمها النقيب وتكتب بيده وباسمه وتمضي النفقة كذلك الى آخرها فاذا تم ذلك اليوم ركب الوزير من بين يدى الخليفة وانفض ذلك الجمع فيحمل من عند الخليفة مائدة يقال لها غداء الوزير وهى سبع مجيفات أوساط احداها بلحم دجاج وفستق والبقية من شواء وهى مكمورة بالازهار فتكون هذه عدة أيام تارة متوالية وتارة متفرقة فاذا تكملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل المقس وذكر ابن أبى طي أن المعز لدين الله انشأ ستمائة مركب لم ير مثلها في البحر على مدينة وعمل دار صناعة بالمقس

(دار الملك) وكان من جملة مناظرهم دار الملك بمصر وهى من انشاء الافضل ابن أمير الجيوش ابتدأ فى بنائها وانشائها في سنة احدى وخمسمائة فلما كملت تحول اليها من دار القباب بالقاهرة وسكنها وحول اليها الدواوين من القصر فصارت بها وجعل فيها الاسمطة واتخذ بها مجلسا سماه مجلس العطايا كان يجلس فيه فلما قتل الافضل صارت دار الملك هذه من جملة متنزهات الخلفاء وكان بها بستان عظيم وما زالت عظيمة الى أن انقرضت الدولة فجعلها الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب دار متجر ثم عملت فى أيام الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى دار وكالة وموضع دار الملك ما وراء حبة الخروب بجوار المدرسة المعزية وبقى منها جدار يجلس تحته بياعوا الحناء * قال ابن المأمون ومن جملة ماقرره القائد أبو عبد الله من تعظيم المملكة وتفخيم أمر السلطنة أن المجلس الذى يجلس فيه الافضل بدار الملك يسمى مجلس العطايا فقال القائد مجلس يدعى بهذا الاسم ما يشاهد فيه دينار يدفع لمن يسأل وأمر بتفصيل ثمان ظروف ديباج أطلس من كل لون اثنين وجعل فى سبعة منها خمسة وثلاثين ألف دينار في كل ظرف خمسة آلاف دينار سكب وبطاقة بوزنه وعدده

وشرابة حرير كبيرة من ذلك ستة ظروف دنانير بالسوية عن اليمين والشمال فى مجلس
العطايا الذى برسم الجلوس وعند مرتبة الافضل بقاعة اللؤلؤة ظرفان أحدهما دنانير
والآخر دراهم جدد فالذى في اللؤلؤة برسم ما يستدعيه الافضل اذا كان عند الحرم وأما
الذي في مجلس العطايا فان جميع الشعراء لم يكن لهم في الايام الافضلية ولا فيما قبلها على
الشعر جار وانما كان لهم اذا اتفق طرب السلطان واستحسانه لشعر من أنشد منهم ما
يسهله الله على حكم الجائزة فرأى القائد أن يكون ذلك من بين يديه من الظروف
وكذلك من يتضرع ويسأل في طلب صدقة أو ينعم عليه ابتداء بغير سؤال يخرج ذلك من الظروف
واذا انصرف الحاضرون نزل القائد المبلغ بخطه فى البطاقة ويكتب عليه الافضل بخطه صح
ويعاد الى الظرف ويختم عليه فلما استهل رجب من سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وجلس
الافضل فى مجلس العطايا على عادته وحضر الاجل المظفر أخوه للهناء وجلس بين يديه
وشاهد الظروف والقائد وولده وأخوه قيام على رأسه وتقدمت الشعراء على طبقاتهم أمر
لكل منهم بجائزة وشاع خبر الظروف وكثر القول فيها واستعظم أمرها وضوعف مبلغها
واتسع هذا الانعام بالصدقات الجارى بها العادة في مثل هذا الشهر لفقهاء مصر والرباطات
بالقرافة وفقرائها * وقال ابن الطوير وقد ذكر ركوب الخليفة في أول العام وحضور الغرة
وينقطع الركوب بعد هذا اليوم الذى هو أول العام فيركبون في آحاد الايام الى أن يكمل شهر
ولا يتعدى ذلك يومى السبت والثلاثاء فاذا عزم الخليفة على الركوب فى احد هذه الايام أعلم
بذلك وعلامته انفاق الاسلحة في صبيان الركاب من خزانة السلاح خاصة دون ما سواها
وأكثر ذلك الى مصر ويركب الوزير صحبته من ورائه على أخصر من النظام المتقدم يعنى فى
ركوب أول العام وأقل جمع فيخرج شاقا القاهرة وشوارعها على الجامع الطولوني على
المشاهد الى درب الصفاء ويقال له الشارع الاعظم الى دار الانماط الى الجامع العتيق فاذا
وصل الى بابه وجد الشريف الخطيب قد وقف على مصطبة بجانبه فيها محراب مفروشة
بحصر معلق عليها سجادة وفي يده المصحف المنسوب خطه الى على بن أبي طالب رضى الله عنه
وهو من حاصله فاذا وازاه وقف فى موضعه وناوله المصحف من يده فيتسلمه منه ويقبله
ويتبرك به مرارا ويعطيه صاحب الخريطة المرسومة للصلات ثلاثين دينارا وهى رسمه متى
اجتاز به فيوصلها الشريف الى مشارف الجامع فيكون نصيبهما منها خمسة عشر دينارا
والباقى للقومة والمؤذنين دون غيرهم ويسير الى أن يصل دار الملك فينزلها والوزير معه
ومنذ يخرج من باب القصر الى أن يصل الى دار الملك لا يمر بمسجد الا أعطى قيمه من
الخريطة دينارا فلا يزال بدار الملك نهاره فتأتيه المائدة من القصر وعدتها خمسون شدة
على رؤس الفراشين مع صاحب المائدة وهو أستاذ جليل غير محنك وكل شدة فيها طيفور

فيها الأواني الخاص وفيها من الاطعمة الخاص من كل نوع شهي وكل صنف من المطاعم العالية ولها رواء ورائحة المسك فائحة منها وعلى كل شدة طرحة حرير تعلو القوارة التي هي الشدة فيحمل الى الوزير منها جزء وافر ولمن صحبه وللامراء ولكافة الحاضرين في الخدمة ويصل منها الى الناس بمصر من بعضهم بعضاً شيء كثير ولايزال الى أن يؤذن عليه بالعصر فيصلي ويتحرك الى العود الى القاهرة والناس في طريقه لنظره فيركب وزيه في هذه الايام انه يلبس الثياب المذهبة البياض والملونة والمنديل من النسبة وهو مشدود شدة مفردة عن شدات الناس وذؤابته مرخاة من جانبه الأيسر ويتقلد بالسيف العربي المجوهر بغير حنك ولا مظلة ولا يتيمة فان ذلك في أوقات مخصوصة ولا يمر أيضا بمسجد في سلوكه في هذه الطريق بالساحل الاويعطي قيمه ديناراً أيضا كما جرى في الرواح وينعطف من باب الخرق ويدخل من باب زويلة شاقا القاهرة حتى يدخل القصر فيكون ذلك من المحرم الى شهر رمضان اما أربع مرات أو خمس مرات ومن شعر الاسعد اسعد بن مهذب بن زكريا بن أبي مليح مما في دار الملك هذه

حللت بدار الملك والنيل آخذ * بأطرافها والموج يوسعها ضربا
نخيلته قد غار لما وطئتها * عليها فأضحى عند ذاك لها حربا

(منازل العز)

بنتها السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز ولم يكن بمصر أحسن منها وكانت مطلة على النيل لايحجبها شيء عن نظره وما زال الخلفاء من بعد المعز يتداولونها وكانت معدة لنزههم وكان بجوارها حمام ولها منها باب وموضعها الآن مدرسة تعرف بالمدرسة التقوية منسوبة للملك المظفر تقي الدين عمرو بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادي

(الهودج) وكان من منتزهاتهم العظيمة البناء العجيبة البديعة الزى بناء في جزيرة الفسطاط التي تعرف اليوم بالروضة يقال له الهودج بناه الخليفة الآمر بأحكام الله لمحبوبته البدوية التي غلب عليه حبها بجوار البستان المختار وكان يتردد اليه كثيرا وقتل وهو متوجه اليه وما زال منتزهاً للخلفاء من بعده قال ابن سعيد في كتاب المحلى بالاشعار قال القرطبي في تاريخه تذاكر الناس في حديث البدوية وابن مياح من بني عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الآمر حتى صارت رواياتهم في هذا الشأن كأحاديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك والاختصار منه أن يقال ان الآمر كان قد بلي بعشق الجواري العربيات وصارت له عيون بالبوادي فبلغه أن جارية بالصعيد من أكمل العرب وأظرفهم شاعرة جميلة فيقال انه تزيا بزي بداة الاعراب وكان يجول في الاحياء الى أن انتهى الى حيها وبات هناك في ضائفة وتحيل حتى عاينها هنالك فما ملك صبره ورجع الى مقر ملكه وأرسل الى أهلها يخطبها

وتزوجها فلما وصلت صعب عليها مفارقة ما اعتادته وأحبت أن تسرح طرفها في الفضاء ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور في جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج وكان غريب الشكل على شط النيل وبقيت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت اليه من قصر الآمر

يابن مياح اليك المشتكي * مالك من بعدكم قد ملكا
كنت في حي مطاعا آمرا * نائلا ماشئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر مرصد * لاأرى الا خبيثاً ممسكا
كم تثنينا كأغصان اللوا * حيث لانخشى علينا دركا

فأجابها

بنت عمي والتي غذيتها * بالهوى حتى علا واحتبكا
بحت بالشكوى وعندي ضعفها * لو غدا ينفع منا المشتكى
مالك الامر اليه أشتكي * مالك وهو الذي قد ملكا

قال وللناس في طلب ابن مياح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طي في قصر الآمر طراد بن مهلهل السنبسي فبلغته هذه القضية فقال

ألا بلغوا الآمر المصطفى * مقال طراد ونعم المقال
قطعت الاليفين عن ألفة * بها سمر الحي بين الرجال
كذا كان آباؤك الاكرمون * سألت فقل لى جواب السؤال

فقال الخليفة الآمر لما بلغته الابيات جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله وطلب في أحياء العرب فلم يوجد فقالت العرب ما أخسر صفقة طراد باع أبيات الحي بثلاثة أبيات وكان بالاسكندرية مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد له مروأة عظيمة ويحتذى أفعال البرامكة وللشعراء فيه أمداح كثيرة مدحه ظافر الحداد وأمية بن أبي الصلت وغيرهما وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام وهو قطعة واحدة وينحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من كبره وكان يجد في نفسه برؤيته زيادة على أهل التنعم والمباهاة في عصره فوشى به للبدوية محبوبة الآمر فسألت الخليفة الآمر في حمل الجرن اليها فأرسل الى ابن حديد باحضار الجرن فلم يجد بدا من حمله من البستان فلما صار الى الآمر أمر بعمله في الهودج فقلق ابن حديد وصارت في قلبه حرارة من أخذ الجرن فأخذ يخدم البدوية ومن يلوذ بها بأنواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد في الكثرة حتى قالت البدوية هذا الرجل أخجلنا بكثرة تحفه ولم يكلفنا قط أمرا نقدر عليه عند الخليفة مولانا فلما قيل له هذا القول عنها قال مالى حاجة بعد الدعاء لله بحفظ مكانها وطول حياتها

في عز غير رد الفسقية التي قلعت من داري التي بنيتها في أيامهم من نعمتهم ترد الى مكانها فتعجبت من ذلك وردتها عليه فقيل له حصلت في حد أن خيرتك البدوية في جميع المطالب فنزلت همتك الى قطعة حجر فقال أنا أعرف بنفسي ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب فى أخذ ذلك الحجر من مكانه وقد بلغها الله أملها وكان هذا المكين متولى قضاء الاسكندرية ونظرها في أيام الآمر وبلغ من علو همته وعظم مروأته أن سلطان الملوك حيدرة أخا الوزير المأمون بن البطائحي لما قلده الآمر ولاية ثغر الاسكندرية في سنة سبع عشرة وخمسمائة وأضاف اليه الاعمال البحرية ووصل الى الثغر ووصف له الطبيب دهن شمع بحضور القاضى المذكور فأمر في الحال بعض غلمانه بالمضى الى داره لاحضار دهن شمع فما كان أكثر من مسافة الطريق الا أن أحضر حقا مختوما فك عنه فوجد فيه منديل لطيف مذهب على مداف بلور فيه ثلاثة بيوت كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر بيت دهن بمسك وبيت دهن بكافور وبيت دهن بعنبر طيب ولم يكن فيه شئ مصنوع لوقته فعند ما احضره الرسول تعجب المؤتمن والحاضرون من علو همته فعند ماشاهد القاضى ذلك بالغ في شكر انعامه وحلف بالحرام ان عاد الى ملكه فكان جواب المؤتمن قد قبلته منك لا لحاجة اليه ولا لنظر في قيمته بل لاظهار هذه الهمة واذاعتها وذكر أن قيمة هذا المداف وما عليه خمسمائة دينار فانظر رحمك الله الى من يكون دهن الشمع عنده فى اناء قيمته خمسمائة دينار ودهن الشمع لايكاد أكثر الناس يحتاج اليه البتة فماذا تكون ثيابه وحلى نسائه وفرش داره وغير ذلك من التجملات وهذا انما هو حال قاضى الاسكندرية ومن قاضى الاسكندرية بالنسبة الى أعيان الدولة بالحضرة وما نسبة أعيان الدولة وان عظمت أحوالهم الى أمر الخلافة وأبهتها الا يسير حقير وما زال الخليفة الآمر يتردد الى الهودج المذكور الى أن ركب يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة يريد الهودج وقد كمن له عدة من النزارية في فرن عند رأس الجسر من ناحية الروضة فوثبوا عليه وأثخنوه بالجراحة حتى هلك وحمل في العشارى الى اللؤلؤة فمات بها وقيل قبل أن يصل اليها وقد خرب هذا الهودج وجهل مكانه من الروضة ولله عاقبة الامور

(قصر القرافة) وكان لهم بالقرافة قصر بنته السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز في سنة ست وستين وثلثمائة على يد الحسين بن عبد العزيز الفارسى المحتسب هو والحمام الذى فى غربيه وبنت البئر والبستان وجامع القرافة وكان هذا القصر نزهة من النزه من أحسن الآثار فى اتقان بنيانه وصحة أركانه وله منظرة مليحة كبيرة محمولة على قبو ماد تجوز المارة من تحته ويقيل المسافرون في أيام القيظ هناك ويركب الراكب اليه على زلاقة وكان كاحسن مايكون من البناء وتحته حوض لسقى الدواب يوم الحلول فيه وكان مكانه بالقرب من مسجد

الفتح ولما كان في سنة عشرين وأربعمائة جدده الخليفة الآمر وعمل تحته مصطبة للصوفية وكان يجلس فى الطاق بأعلى القصر ويرقص أهـل الطريقة من الصوفية والمجامر بالالوية موضوعة بين أيديهم والشموع الكثيرة تزهر وقد بسط تحتهم حصر من فوقها بسط ومدت لهم الاسمطة التي عليها كل نوع لذيذ ولون شهى من الاطعمة والحلوى أصنافا مصنفة فاتفق أن تواجد الشيخ أبو عبد الله بن الجوهرى الواعظ ومزق مرقعته وفرقت على العادة خرقا وسأل الشيخ أبو اسحاق ابراهيم المعروف بالقارح المقرى خرقة منها ووضعها في رأسه فلما فرغ التمزيق قال الخليفة الآمر بأحكام الله من طاق بالمنظرة ياشيخ أبا اسحق قال لبيك يامولانا قال أين خرقتي فقال مجيباً له في الحال هاهى على رأسى ياأمير المؤمنين فاستحسن الآمر ذلك وأعجبه موقعه فأمر في الساعة والوقت فأحضر من خزائن الكسوات ألف نصفية ففرقت على الحاضرين وعلى فقراء القرافة ونثر عليهم متولى بيت المال من الطاق ألف دينار فتخاطفها الحاضرون وتعاهد المغربلون الارض التى هناك أياماً لاخذ مايواريه التراب وما برح قصر الاندلس بالقرافة حتى زالت الدولة فهدم في شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين وخمسمائة

(المنظرة ببركة الحبش) وكانت لهم منظرة تشرف على بركة الحبش قال الشريف أبو عبد الله محمد الجوانى في كتاب النقط على الخطط ان الخليفة الآمر بأحكام الله بنى على المنظرة التى يقال لهـا بئر دكة الخركة منظرة من خشب مدهونة فيها طاقات تشرف على خضرة بركة الحبش وصور فيها الشعراء كل شاعر وبلده واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر في المدح وذكر الخركاة وكتب ذلك عند رأس كل شاعر وبجانب صورة كل منهم رف لطيف مذهب فلما دخل الآمر وقرأ الاشعار أمر أن يحط على كل رف صرّة مختومة فيها خمسون دينارا وأن يدخل كل شاعر ويأخذ صرته بيده ففعلوا ذلك وأخذوا صررهم وكانوا عدة شعراء

(البساتين) وكان للخلفاء عدة بساتين يتنزهون بها منها البساتين الجيوشية وهما بستانان كبيران أحدهما من عند زقاق الكحل خارج باب الفتوح الى المطرية والآخر يمتد من خارج باب القنطرة الى الخندق وكان لهما شأن عظيم ومن شدة غرام الافضل بالبستان الذى كان يجاور بستان البعل عمل له سورا مثل سور القاهرة وعمل فيه بحرا كبيرا وقبة عشارى تحمل ثمانية أرادب وبنى في وسط البحر منظرة محمولة على اربع عواميد من احسن الرخام وحفها بشجر النارنج فكان نارنجها لا يقطع حتى يتساقط وسلط على هذا البحر أربع سواق وجعل له معبرا من نحاس مخروط زنته قنطار وكان يملأ فى عدة أيام وجلب اليه من الطيور المسموعة شيأ كثيرا واستخدم للحمام الذى كان به عدة مطيرين وعمر به أبراجا عدة للحمام والطيور المسموعة وسرح فيه كثيرا من الطاوس وكان البستانان اللذان

على يسار الخارج من باب الفتوح بينهما بستان الخندق لكل منهما أربعة ابواب من الاربع جهات على كل منها عدة من الارمن وجميع الدهاليز مؤزرة بالحصر العبدانى وعلى أبوابها سلاسل كثيرة من حديد ولا يدخل منهما الا السلطان وأولاده وأقاربه * قال ابن عبد الظاهر واتفقت جماعة على أن الذى يشتمل عليه مبيعهما في السنة من زهر وثمر نيف وثلاثون الف دينار وانها لا تقوم بمؤنهما على حكم اليقين لا الشك وكان الحاصل بالبستان الكبير والمحصن الى آخر الايام الآمرية وهى سنة اربع وعشرين وخمسمائة ثمانمائة وأحد عشر رأسا من البقر ومن الجمال مائة وثلاثة رؤس ومن العمال وغيرهم ألف رجل وذكر أن لذى دار سور البستانين من سنط وجميز وأثل من أول حدها الشرقي وهو ركن بركة الارمن مع حدهما البحرى والغربي جميعا الى آخر زقاق الكحل في هذه المسافة الطويلة سبعة عشر ألف ألف ومائتا شجرة وبقى قبليهما جميعا لم يحصن وان السنط تغصن حتى الحق بالجميز في العظم وان معظم قرظه يسقط الى الطريق فيأخذه الناس وبعد ذلك يباع بأر بعمائة دينار وكان به كل ثمرة لها دويرة مفردة وعليها سياج وفيها نخل منقوش فى ألواح عليها برسم الخاص لا تجنى الا بحضور المشارف وكان فيهما ليمون تفاحي يؤكل بقشره بغير سكر وأقام هذان البستانان بيد الورثة الجيوشية مع البلاد التى لهم مدة أيام الوزير المأمون لم تخرج عنهم وكشف ذلك فى أيام الخليفة الحافظ فكان فيهما ستمائة رأس من البقر وثمانون جملا وقوم ما عليهما من الاثل والجميز فكانت قيمته مائتي ألف دينار وطلب الأمير شرف الدين وكانت له حرمة عظيمة من الخليفة الحافظ قطع شجرة واحدة من سنط فأبي عليه فتشفع اليه وقومت بسبعين دينارا فرسم الخليفة ان كانت وسط البستان تقطع والا فلا ولما جرى في آخر أيام الحافظ ما جرى من الخلف ذبحت أبقاره وجماله ونهب مافيه من الآلات والانقاض ولم يبق الا الجميز والسنط والاثل لعدم من يشتريه انتهى وكان هذان البستانان من جملة ا بس الجيوشي وهو أن أمير الجيوش بدرا الجمالى حبس عدة بلاد وغيرها منها في البر الشرقى بناحية بهتيت والأميرية والمنية وفي البر الغربى ناحية سفط ونهيا ووسيم مع هذين البستانين المذكورين على عقبه فاستأجر هذا الحبس الوزراء مدة سنين باجرة يسيرة وصار يزرع فى الشرقى منه الكتان ومنه ما تبلغ قطيعته ثلاثة دنانير ونصفا وربعا عن كل فدان فيتناولون فيه ربحا جزيلا لانفسهم فلما بعد العهد انقرضت أعقابه ولم يبق من ذريته سوى امرأة كبيرة فأفتى الفقهاء بان هذا الحبس باطل فصار للديوان السلطاني يتصرف فيه ويحمل متحصله مع أموال بيت المال وتلاشت البساتين وبني في أماكنها ما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى وبني العزيز بالله بستانا بناحية سردوس

(قبة الهواء) وكان من أحسن منتزهات الخلفاء الفاطميين قبة الهواء وهي مستشرف

بهج بديع فيما بين التاج والخمس وجوه يحيط به عدة بساتين لكل بستان منها اسم ولهذه القبة فرش معدة في الشتاء والصيف ويركب اليها الخليفة في أيام الركوبات التى هى يوم السبت والثلاثاء

(بحر أبى المنجا) وكان من متنزهات الخلفاء يوم فتح بحر أبى المنجا قال ابن المأمون وكان الماء لا يصل الى الشرقية الا من السردوسى ومن الصماصم ومن المواضع البعيدة فكان أكثرها يشرق في أكثر السنين وكان أبو المنجا اليهودى مشارف الاعمال المذكورة فتضرر المزارعون اليه وسألوا فى فتح ترعة يصل الماء منها في ابتدائه اليهم فابتدأ بحفر خليج أبى المنجا في يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وخمسمائة وركب الافضل ابن أمير الجيوش ضحى وصحبته القائد أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي وجميع اخوته والعساكر تحاذيه في البر وجمت شيوخ البلاد وأولادها وركبوا في المراكب ومعهم حزم البوص فى البحر وصار العشارى والمراكب تتبعها الى أن رماها الموج الى الموضع الذى حفروا فيه البحر وأقام الحفر فيه سنتين وفى كل سنة تتبين الفائدة فيه ويتضاعف من ارتفاع البلاد ما يهون الغرامة عليه * ولما عرض على الافضل جملة ما أنفق فيه استعظمه وقال غرمنا هذا المال جميعه والاسم لابى المنجا فغير اسمه ودعي بالبحر الافضلى فلم يتم ذلك ولم يعرف الا بأبى المنجا ثم جرى بين أبى المنجا وبين ابن أبى الليث صاحب الديوان بسبب الذي أنفق خطوب أدت الى اعتقال أبى المنجا عدة سنين ثم نفى الى الاسكندرية بعد أن كادت نفسه تتلف ولم يزل القائد أبو عبد الله بن فاتك يتلطف بحاله الى تضاعف من عبرة البلاد ما سهل أمر النفقة فيه ورأيت بخط ابن عبد الظاهر وهذا ابو المنجا هو جد بنى صنير الحكماء اليهود والذين أسلموا منهم ولما طال اعتقال أبي المنجا في الاسكندرية في مكان بمفرده مضيقاً عليه تحيل في تحصيل مصحف وكتب ختمة وكتب في آخرها كتبها أبو المنجا اليهودى وبعثها الى السوق ليبيعها فقامت قيامة أهل الثغر وطولع بأمره الى الخليفة فأخرج وقيل له ماحملك على هذا فقال طلب الخلاص بالقتل فأدب وأطلق سبيله وقيل انه كان فى محبسه حية عظيمة فأحضر اليه في بعض الايام لبن فرأى الحية وقد شربت منه ودخلت جحرها فصار في كل يوم يحضر لها لبنا فتخرج وتشرب منه وتدخل مكانها ولم تؤذه ولما ولى المأمون البطائحي وزارة الآمر بأحكام الله بعد الافضل بن أمير الجيوش تحدث الآمر معه في رؤية فتح هذا الخليج وأن يكون له يوم كخليج القاهرة فندب الآمر معه عدي الملك أبا البركات بن عثمان وكيله وأمره بأن يبنى على مكان السد منظرة متسعة تكون من بحرى السد وشرع فى عمارتها بعد كمال النيل وما زال يوم فتح سد هذا البحر يوما مشهودا الى أن زالت الدولة الفاطمية فلما استولى بنو أيوب من بعدهم على مملكة مصر أجروا

الحال فيه على ما كان قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وسبعين وخمسمائة وركب السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لفتح بحر أبي المنجا وعاد قال وفي سنة تسعين وخمسمائة كسر بحر أبى المنجا بعد أن تأخر كسره عن عيد الصليب بسبعة ايام وكان ذلك لقصور النيل فى هذه السنة ولم يباشر السلطان الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين بنفسه وركب أخوه شرف الدين يعقوب الطواشى لكسره وبدت في هذا اليوم من مخايل القبوط ما يوجبه سوء الافعال من المجاهرة بالمنكرات والاعلان بالفواحش وقدافرط هذا الامر واشترك فيه الآمر والمأمور ولم ينسلخ شهر رمضان الا وقد شهد مالم يشهده رمضان قبله فى الاسلام وبدا عقاب الله فى الماء الذى كانت المعاصى على ظهره فان المراكب كان يركب فيها في رمضان الرجال والنساء مختلطين مكشفات الوجوه وأيدى الرجال تنال منها ماتنال في الخلوات والطبول والعيدان مرتفعات الاصوات والصنجات واستنابوا في الليل عن الخمر بالماء والجلاب ظاهرا وقيل انهم شربوا الخمر مستورا وقربت المراكب بعضها من بعض وعجز المنكر عن الانكار الا بقلبه ورفع الامر الى السلطان فندب حاجبه فى بعض الليالي ففرق منهم من وجده في الحالة الحاضرة ثم عادوا بعد عوده وذكر أنه وجد في بعض المعادى خمرا فأراقه ولما استهل شوال وهو مطموع فيه تضاعف هذا المنكر وفشت هذه الفاحشة ونسأل الله العفو والعافية عن الكبائر والتجاوز عما تسقط فيه المعاذر * وقال فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة كسر بحر أبى المنجا وباشر العزيز كسره وزاد النيل فيه أصبعاً وهى الاصبع الثامنة عشرة من ثمانى عشر ذراعا وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة الكبرى وقد تلاشى في زمننا أمر الاجتماع في يوم فتح سد بحر أبى المنجا وقل الاحتفال به لشغل الناس بهم المعيشة

(قصر الورد بالخاقانية) وكان من أيام متنزهات الخلفاء يوم قصر الورد بناحية الخاقانية وهى قرية من قرى قليوب كانت من خاص الخليفة وبها جنان كثيرة للخليفة وكانت من أحسن المتنزهات المصرية وكان بها عدة دويرات يزرع فيها الورد فيسير اليها الخليفة يوماً ويصنع له فيها قصر عظيم من الورد ويخدم بضيافة عظيمة *قال ابن الطوير عن الخليفة الآمر بأحكام الله وعمل له بالخاقانية وكانت من خاص الخليفة قصر من ورد فسار اليها يوما وخدم بضيافة عظيمة فلما استقر هناك خرج اليه أمير يقال له حسام الملك من الامراء الذين كانوا مع المؤتمن أخي المأمون البطائحي وتخاذلوا عنه فوصل الى الخاقانيـة وهو لابس لامة حربه والتمس المثول بين يديه يعنى الخليفة فاستقل ماجاء به فى ذلك الوقت مما ينافي مافيه الخليفة من الراحة والنزهة وحيل بينه وبين مقصوده فقال لجماعة من حواشى الخليفة أنتم منافقون على الخليفة ان لم أصل اليه فانه يعاقبكم بذلك فأطلعوا الخليفة على أمره وحليته بالسلاح وقوله فأمر باحضاره فلما وقعت عينه عليه قال يامولانا لمن تركت أعداءك يعني

الوزير المأمون البطائحي" وأخاه وكان الآمر قد قبض عليهما واعتقلهما هـذا والعهد قريب غير بعيد أأمنت الغدر فما أجابه الاوهو على الرهاويج من الخيل فلم تمض ساعة الا وهو بالقصر فمضى الى مكان اعتقال المأمون وأخيه فزادهما وثاقا وحراسة وفى أثناء ذلك وصل ابن نجيب الدولة الذى كان سيره المأمون فى وزارته الى اليمن لتحقيق نسـبه أنه ولد من جارية نزار بن المستنصر لما خرجت من القصر وهى به حامل ويدعو اليـه بقيـة الناس وأحضر الى القاهرة على جمل مشوه فأدخـل خزانة البنود وقتل هو والمأمون وجمـاعة فى تلك الليلة وصلبوا ظاهر القاهرة

(بركة الجب) هى بظاهر القاهرة من بحريها وتسميها العامة فى زمننا هذا الذى نحن فيه بركة الحاج لنزول الحجاج بها عندمسيرهم من القاهرة الى الحج فى كل سنة ونزولهم عند العود بها ومنها يدخـلون الى القاهرة ومن الناس من يقول جب يوسف وهو خطأ وانما هى أرض جب عميرة وعميرة هذا هو ابن تميم بن جزء التجيبي من بني القرناء نسبت هذه الارض اليـه فقيل لهـا أرض جب عمـيرة ذكره ابن يونس وكان من عادة الخليفة المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر بن الحاكم في كل سنة أن يركب على النجب مع النساء والحشم الي جب عمـيرة هذا وهو موضع نزهة بهيئة أنه خارج الى الحج على سبيل اللعب والمجانة وربمـا حمل معه الخمر فى الروايا عوضاً عن المـاء ويسقيه من معه وأنشـده مرة الشريف أبو الحسن على بن الحسين بن حيدرة العقيلى فى يوم عرفة

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء * ولاتضح ضحى الا بصهباء
وادرك حجيج الندامى قبل نفرهم * الى منى قصفهم مع كل هيفاء
وعج على مكة الروحاء مبتكراً * فطف بهاحول ركن العودوالنائي

قال ابن دحية فخرج فى ساعته بروايا الخمر تزجي بنغمات حداة الملاهى وتساق • حتي أناخ بعين شمس في كبكبة من الفساق • فاقام بها سوق الفسوق على ساق • وفى ذلك العام أخذه الله تعالى وأهل مصر بالسنين • حتى بيع فى أيامه الرغيف بالثمن الثمين • وعاد ماء النيل بعد عذوبته كالغسلين • ولم يبق بشاطئيه أحد بعد ان كانا محفوفين بحور عين • وقال ابن ميسر فلما كان في جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وأربعمائة خرج المستنصر على عادته الى بركة الجب فاتفق أن بعض الاتراك جرد سيفاً في سكر منه على بعض عبيد الشراء فاجتمع عليه طائفة من العبيد وقتلوه فاجتمع الاتراك بالمستنصر وقالوا ان كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وان كان عن غير رضاك فلا نرضى بذلك فأنكر المستنصر ماوقع وتبرأ ممافعله العبيد فتجمع الاتراك لحرب العبيد وبرز بعضهم الى بعض وكان بين الفريقين قتال شديد على كوم شريك انهزم فيه العبيد وقتل منهم عدد كثير وكانت أم المستنصر تعين العبيد وتمدهم

بالاموال والاسلحة فاتفق في بعض الايام أن بعض الاتراك ظفر بشئ مما تبعث به أم المستنصر الى العبيد فأعلم بذلك أصحابه وقد قويت شوكتهم بانهزام العبيد فاجتمعوا بأسرهم ودخلوا على المستنصر وخاطبوه في ذلك وأغلظوا في القول وجهروا بما لا ينبغي وصار السيف قائماً والحروب متتابعة الى أن كان من خراب مصر بالغلاء والفتن ما كان وكان من قبل المستنصر يترددون الى بركة الجب قال المسيحى ولاثنتي عشرة خلت من ذى القعدة سنة أربع وثمانين وثلثمائة عرض العزيز بالله عساكره بظاهر القاهرة عند سطح الجب فنصب له مضرب ديباج رومى فيه الف ثوب بصفرية فضة ونصبت له فازة مثقل وقبة مثقل بالجوهر وضرب لابنه الامير أبي على منصور مضرب آخر وعرضت العساكر وكان عدتها مائة عسكرى وأقبلت أسارى الروم وعدتهم مائتان وخمسون فطيف بهم وكان يوماً عظيماً حسناً لم تزل العساكر تسير بين يديه من ضحوة النهار الى صلاة المغرب ومازالت بركة الجب متنزهاً للخلفاء والملوك من بني أيوب وكان السلطان صلاح الدين يبرز اليها للصيد ويقيم فيها الايام وفعل ذلك الملوك من بعده واعتنى بها الملك الناصر محمد بن قلاوون وبنى بها أحواشا وميدانا كما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وبركة الجب وما يليها فى درك بنى صبرة وهم ينسبون الى صبرة بن بطيح بن مغالة بن دعجان بن عنب بن السكليب بن أبي عمرو بن دمية ابن جدس بن اريش بن اراش بن جزيلة بن لخم فهم أحد بطون لخم وفيهم بنو جذام ابن صبرة بن بصرة بن غنم بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام أخى لخم

(المشتهى) وكان من مواضعهم التى أعدت للنزهة المشتهى

ذكر الايام التى كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادا ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم

وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهى موسم رأس السنة وموسم اول العام ويوم عاشوراء ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد على بن أبى طالب رضي الله عنه ومولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام ومولد الخليفة الحاضر وليلة اول رجب وليلة نصفه وليلة اول شعبان وليلة نصفه وموسم ليلة رمضان وغرة رمضان وسماط رمضان وليلة الختم وموسم عيد الفطر وموسم عيد النحر وعيد الغدير وكسوة الشتاء وكسوة الصيف وموسم فتح الخليج ويوم النوروز ويوم الغطاس ويوم الميلاد وخميس العدس وأيام الركوبات

(موسم رأس السنة) وكان للخلفاء الفاطميين اعتناء بليلة اول المحرم فى كل عام لانها اول ليالى السنة وابتداء أوقاتها وكان من رسومهم في ليلة رأس السنة أن يعمل بمطبخ القصر عدة كثيرة من الخراف المقموم والكثير من الرؤس المقموم وتفرق على جميع أرباب

الرتب واصحاب الدواوين من العوالى والادوان أرباب السيوف والاقلام مع جفان اللبن والخبز وأنواع الحلواء فيعم ذلك سائر الناس من خاص الخليفة وجهاته والاستاذين المحنكين الى أرباب الضوء وهم المشاعلية ويتنقل ذلك فى ايدى اهل القاهرة ومصر

(موسم أول العام) وكان لهم بأول العام عناية كبيرة فيه يركب الخليفة بزيه المفخم وهيئته العظيمة كما تقدم ويفرق فيه دنانير الغرة التى مر ذكرها عند ذكر دار الضرب ويفرق من السماط الذى يعمل بالقصر لاعيان أرباب الخدم من أرباب السيوف والاقلام بتقرير مرتب خرفان شواء وزبادى طعام وجامات حلواء وخبز وقطع منفوخة من سكر وأرز بلبن وسكر فيتناول الناس من ذلك ما يجل وصفه ويتبسطون بما يصل اليهم من دنانير الغرة من رسوم الركوب كما شرح فيما تقدم

(يوم عاشوراء) كانوا يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الاسواق ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسينى فانظره وكان يصل الى الناس منه شئ كثير فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بنى أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم ويتبسطون فى المطاعم ويصنعون الحلاوات ويتخذون الاواني الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشأم التى سنها لهم الحجاج في أيام عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة على بن أبى طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن على لانه قتل فيه وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط وكلا الفعلين غير جيد والصواب ترك ذلك والاقتداء بفعل السلف فقط * وما أحسن قول أبي الحسين الجزار الشاعر يخاطب الشريف شهاب الدين ناظر الاهراء وكتب بها اليه ليلة عاشوراء عند ما أخر عنه ما كان من جاريه في الاهراء

قل لشهاب الدين ذى الفضل الندى * والسيد بن السيد بن السيد
أقسم بالفرد العلى الصمد * ان لم يبادر لنجاز موعدى
لأحضرن للهناء فى غد * مكحل العينين مخضوب اليد

يعرض للشريف بما يرمى به الاشراف من التشيع وانه اذا جاءه بهيئة السرور في يوم عاشوراء غاظه ذلك لانه من أفعال الغضب وهو من أحسن ماسمعته في التعريض فلله دره

(عيد النصر) وهو السادس عشر من المحرم عمله الخليفة الحافظ لدين الله لانه اليوم الذي ظهر فيه من محبسه ويفعل فيه مايفعل فى الاعياد من الخطبة والصلاة والزينة والتوسعة فى النفقة وكتب فيه أبو القاسم على بن الصيرفى الى بعض الخطباء عيد النصر وهو أفضل الاعياد وأسناها وأعلاها وأدلها على تقصير الواصف اذا بلغ وتناهى ونحن

نأمرك أن تبرز في يوم الاحد السادس عشر من المحرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة على الهيئة التي جرت العادة بمثلها في الاعياد وتوعد بأن تقرأ على الناس الخطبة التي سيرناها اليك قرين هذا الامر بشرح هذا اليوم وتفصيله وذكر ماخصه الله به من تشريفه وتفضيله وتعتمد في ذلك ماجرى الرسم فيه فى كل عيد وتنتهي فيه الى الغاية التى ليس عليها مزيد فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

(المواليد الستة) كانت مواسم جليلة يعمل الناس فيها ميزات من ذهب وفضة وخشكنانج وحلواء كما مر ذلك

(ليالى الوقود الاربع) كانت من أبهج الليالى وأحسنها يحشر الناس لمشاهدتها من كل أوب وتصل الى الناس فيها أنواع من البر وتعظم فيها ميزة أهل الجوامع والمشاهد فانظره في موضعه تجده

(موسم شهر رمضان) وكان لهم في شهر رمضان عدة أنواع من البر منها كشف المساجد قال الشريف الجواني في كتاب النقط كان القضاة بمصر اذا بقى لشهر رمضان ثلاثة أيام طافوا يوما على المشاهد والمساجد بالقاهرة ومصر فيبدءون بجامع المقس ثم بجوامع القاهرة ثم بالمشاهد ثم بالقرافة ثم بجامع مصر ثم بمشهد الرأس لنظر حصر ذلك وقناديله وعمارته وازالة شعثه وكان أكثر الناس ممن يلوذ بباب الحكم والشهود والطفيليون يتعينون لذلك اليوم والطواف مع القاضى لحضور السماط

(ابطال المسكرات) قال ابن المأمون وكانت العادة جارية من الايام الافضلية في آخر جمادى الآخرة من كل سنة أن تغلق جميع قاعات الخمارين بالقاهرة ومصر وتختم ويحذر من بيع الخمر فرأى الوزير المأمون لما ولى الوزارة بعد الافضل بن أمير الجيوش أن يكون ذلك فى سائر أعمال الدولة فكتب به الى جميع ولاة الاعمال وأن ينادى بأنه من تعرض لبيع شئ من المسكرات أو لشرائها سرا أو جهرا فقد عرض نفسه لتلافها وبرئت الذمة من هلاكها

(ومنها غرة رمضان) وكان فى أول يوم من شهر رمضان يرسل لجميع الامراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم لكل واحد طبق ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق فيه حلواء وبوسطه صرة من ذهب فيعم ذلك سائر أهل الدولة ويقال لذلك غرة رمضان

(ومنها ركوب الخليفة في أول شهر رمضان) قال ابن الطوير فاذا انقضى شعبان اهتم بركوب أول شهر رمضان وهو يقوم مقام الرؤية عند المتشيعين فيجرى أمره فى اللباس والآلات والاسلحة والعرض والركوب والترتيب والموكب والطريق المسلوكة كما وصفناه في أول العام لايختل بوجه ويكتب الى الولاة والنواب والاعمال بمساطير مخلقة يذكر فيها ركوب الخليفة

(ومنها سماط شهر رمضان) وقد تقدم ذكر السماط فى قاعة الذهب من القصر

(سحور الخليفة) قال ابن المأمون وقد ذكر أسمطة رمضان وجلوس الخليفة بعد ذلك في الروشن الى وقت السحور والمقرئون تحته يتلون عشرا ويطربون بحيث يشاهدهم الخليفة ثم حضر بعدهم المؤذنون وأخذوا في التكبير وذكر فضائل السحور وختموا بالدعاء وقدمت المخاد للوعاظ فذكروا فضائل الشهر ومدح الخليفة والصوفيات وقام كل من الجماعة للرقص ولم يزالوا الى أن انقضى من الليل أكثر من نصفه فحضر بين يدى الخليفة أستاذ بما أنعم به عليهم وعلى الفراشين وأحضرت جفان القطائف وجرار الجلاب برسمهم فأكلوا وملؤا أكمامهم وفضل عنهم ماتخطفه الفراشون ثم جلس الخليفة في السدلا التى كان بها عند الفطور وبين يديه المائدة معباة جميعها من جميع الحيوان وغيره والقعبة الكبيرة الخاص مملوءة أوساطه بالهمة المعروفة وحضر الجلساء واستعمل كل منهم ماافتدر عليه وأومأ الخليفة بأن يستعمل من القعبة فيفرق الفراشون عليهم أجمعين وكل من تناول شيأ قام وقبل الارض وأخذ منه على سبيل البركة لاولاده وأهله لان ذلك كان مستفاضاً عندهم غير معيب على فاعله ثم قدمت الصحون الصيني مملوءة قطائف فأخذ منها الجماعة الكفاية وقام الخليفة وجلس بالباذهنج وبين يديه السحورات المطيبات من لبنين رطب ومخض وعدة أنواع عصارات وافطلوات وسويق ناعم وجريش جميع ذلك بقلوبات وموز ثم يكون بين يديه صينية ذهب مملوءة سفوفا وحضر الجلساء وأخذ كل منهم في تقبيل الارض والسؤال بما ينعم عليه منه فتناوله المستخدمون والاستاذون وفرقوه فأخذه القوم في أكمامهم ثم سلم الجميع وانصرفوا

(ومنها الختم في آخر رمضان) وكان يعمل في التاسع والعشرين منه * قال ابن المأمون ولما كان التاسع والعشرون من شهر رمضان خرج الأمر باضعاف ماهو مستقر للمقرئين والمؤذنين في كل ليلة برسم السحور بحكم انها ليلة ختم الشهر وحضر الاجل الوزير المأمون في آخر النهار الى القصر للفطور مع الخليفة والحضور على الاسمطة على العادة وحضر اخوته وعمومته وجميع الجلساء وحضر المقرئون والمؤذنون وسلموا على عادتهم وجلسوا تحت الروشن وحمل من عند معظم الجهات والسيدات والمميزات من أهل القصور ثلاجي وموكبيات مملوءة ماء ملفوفة فى عراضى ديبقى وجعلها أمام المذكورين لتشملها بركة ختم القرآن الكريم واستفتح المقرئون من الحمد الى خاتمة القرآن تلاوة وتطريباً ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع ودعا فأبلغ ورفع الفراشون ماأعدوه برسم الجهات ثم كبر المؤذنون وهللوا وأخذوا في الصوفيات الى أن نثر عليهم من الروشن دنانير ودراهم ورباعيات وقدمت جفان القطائف على الرسم مع البسندود والحلواء فجروا على عادتهم وملاؤا أكمامهم ثم خرج أستاذ من باب الدار الجديدة بخلع خلعها على الخطيب وغيره ودراهم تفرق على

الطائفتين من المقرئين والمؤذنين

(ذكر مذاهبهم في أوّل الشهور)

اعلم أن القوم كانوا شيعة ثم غلوا حتى عدّوا من غلاة أهل الرفض وللشيعة في أثناء الشهور عمل أحسن مارأيت فيه ماحكاه أبو الريحان محمد بن أحمد البيروتيّ فى كتاب الآثار العافية عن القرون الخالية قال (٣) وفي سنين من الهجرة نجمت ناجة لاجل أخذهم بالتأويل الى اليهود والنصارى فاذا لهم جداول وحسبانات يستخرجون بها شهورهم ويعرفون منها صيامهم والمسلمون مضطرون الي رؤية الهلال وتفقد ما اكتساه القمر من النور وجدوهم شاكين في ذلك مختلفين فيه مقلدين بعضهم بعضاً فى عمل رؤية الهلال بطريق الزيجات فرجعوا الى أصحاب علم الهيئة فالفوا زيجاتهم مفتتحة بمعرفة أوائل مايراد من شهور العرب بصنوف الحسبانات فظنوا أنها معمولة لرؤية الاهلة فأخذوا بعضها ونسبوه الى جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وزعموا أنه سرّ من أسرار النبوة وتلك الحسبانات مبنية على حركات التدبير الوسطى دون المعدلة أو معمولة على سنة القمر التى هي ثلثمائة وأربعة وخمسون يوماً وخمس يوم وسدس يوم وأن ستة أشهر من السنة تامة وستة أشهر ناقصة وان كل ناقص منها فهو تال لتام فلما قصدوا استخراج الصوم والفطر بها خرجت قبل الواجب بيوم في أغلب الاحوال فأولوا قوله عليه السلام صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته وقالوا معني صوموا لرؤيته أى صوموا اليوم الذى يرى فى عشيته كما يقال تهيؤا لاستقباله فيقدم التهيؤ على الاستقبال قال ورمضان لاينقص عن ثلاثين يوماً أبداً

(قافلة الحاج) قال في كتاب الذخائر والتحف أن المنفق على الموسم كان فى كل سنة تسافر فيها القافلة مائة ألف وعشرين ألف دينار منها ثمن الطيب والحلواء والشمع راتباً في كل سنة عشرة آلاف دينار ومنها نفقة الوفد الواصلين الى الحضرة أربعون ألف دينار ومنها في ثمن الحمايات والصدقات وأجرة الجمال ومعونة من يسير من العسكرية وكبير الموسم وخدم القافلة وحفر الآبار وغير ذلك ستون ألف دينار وأن النفقة كانت فى أيام الوزير البازورى قد زادت في كل سنة وبلغت الى مائتى ألف دينار ولم تبلغ النفقة على الموسم مثل ذلك في دولة من الدول

(موسم عيد الفطر) وكان لهم في موسم عيد الفطر عدة وجوه من الخيرات منها تفرقة الفطرة وتفرقة الكسوة وعمل السماط وركوب الخليفة لصلاة العيد وقد تقدم ذكر ذلك كله فيما سبق

(قوله وفي سنين الخ) هكذا هذه العبارة موجودة فى الاصل ولا يخفى مافيها من الركاكة والسقامة فلتحرر ولتراجع اه مصححه

(عيد النحر) فيه تفرقة الرسوم من الذهب والفضة وتفرقة الكسوة لارباب الخدم من أهل السيف والقلم وفيه ركوب الخليفة لصلاة العيد وفيه تفرقة الاضاحي كما مرّ ذلك مبيناً في موضعه من هذا الكتاب

(عيد الغدير) فيه تزويج الايامي وفيه الكسوة وتفرقة الهبات لكبراء الدولة ورؤسائها وشيوخها وأمرائها وضيوفها والاستاذين المحنكين والمميزين وفيه النحر أيضاً وتفرقة النحائر على أرباب الرسوم وعتق الرقاب وغير ذلك كما سبق بيانه فيما تقدم

(كسوة الشتاء والصيف) وكان لهم في كل من فصلي الشتاء والصيف كسوة تفرق على أهل الدولة وعلى أولادهم ونسائهم وقد مر ذكر ذلك

(موسم فتح الخليج) وكانت لهم في موسم فتح الخليج وجوه من البر منها الركوب لتخليق المقياس ومبيت القراء بجامع المقياس وتشريف ابن أبي الردّاد بالخلع وغيرها وركوب الخليفة الى فتح الخليج وتفرقة الرسوم على أرباب الدولة من الكسوة والعين والمآكل والتحف وقد تقدم تفصيل ذلك

(ذكر النوروز)

وكان النوروز القبطي في أيامهم من جملة المواسم فتتعطل فيه الاسواق ويقل فيه سعي الناس فى الطرقات وتفرق فيه الكسوة لرجال أهل الدولة وأولادهم ونسائهم والرسوم من المال وحوائج النوروز * قال ابن زولاق وفى هذه السنة يعني سنة ثلاث وستين وثلثمائة منع المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز فى السكك ومن صب الماء يوم النوروز وقال في سنة أربع وستين وثلثمائة وفى يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف أهل الاسواق وعملوا فيلة وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة أيام وأظهروا السماجات والحلي في الاسواق ثم أمر المعز بالنداء بالكف وأن لاتوقد نار ولا يصب ماء وأخذ قوم فحبسوا وأخذ قوم فطيف بهم على الجمال وقال ابن ميسر فى حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة وفيها أراد الآمر بأحكام الله أن يحضر الى دار الملك في النوروز الكائن في جمادى الآخرة في المراكب على ماكان عليه الافضل بن أمير الجيوش فاعاد المأمون عليه أنه لايمكن فان الافضل لايجري مجراه مجرى الخليفة وحمل اليه من الثياب الفاخرة برسم النوروز للجهات ماله قيمة جليلة وقال ابن المأمون وحل موسم النوروز في التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة به من الطراز وثغر الاسكندرية مع مايبتاع من المذاب المذهبة والحريرى والسوادج وأطلق جميع ماهو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها وأسماء أربابها وأصناف النوروز البطيخ والرمان وعراجين الموز وأفراد البسر وأقفاص التمر القوصى وأقفاص

السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ولحم الضأن ولحم البقر من كل لون بكلة مع خبز بر مارق قال وأحضر كاتب الدفتر الأثباتات بما جرت العادة به من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها في يوم النوروز وغير ذلك من جميع الاصناف وهو أربعة آلاف دينار وخمسة عشر ألف درهم فضة والكسوات عدة كثيرة من شقق ديبقى مذهبات وحريريات ومعاجر وعصائب مشاومات ملونات وشقق لاذ مذهب وحريرى ومشفع وفوط ديبقى حريرى فأما العين والورق والكسوات فذلك لايخرج عمن تحوزه القصور ودار الوزارة والشيوخ والاصحاب والحواشى والمستخدمون ورؤساء العشاريات وبحارتها ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب وأما الاصناف من البطيخ والرمان والبسر والتمر والسفرجل والعناب والهرائس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشركهم فى ذلك جميع الامراء أرباب الاطواق والاقصاب وسائر الاماثل وقد تقدم شرح ذلك فوقع الوزير المأمون على جميع ذلك بالانفاق وقال القاضى الفاضل فى تعليق المتجددات لسنة أربع وثمانين وخمسمائة يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطي وهو مستهل توت وتوت أول سنتهم وقد كان بمصر في الايام الماضية والدولة الخالية يعني دولة الخلفاء الفاطميين من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالاتهم فكانت المنكرات ظاهرة فيه والفواحش صريحة فى يومه ويركب فيه أمير موسوم بأمير النوروز ومعه جمع كثير ويتسلط على الناس في طلب رسم رتبه على دور الاكابر بالجمل الكبار ويكتب مناشير ويندب مترسمين كل ذلك يخرج مخرج الطير ويقنع بالميسور من الهبات ويجمع المؤنثون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة وبأيديهم الملاهي وترتفع الاصوات وتشرب الخمر والمز رشربا ظاهرا بينهم وفي الطرقات ويتراش الناس بالماء وبالماء والخمر وبالماء ممزوجا بالاقذار فان غلط مستور وخرج من داره لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بحرمته فاما فدى نفسه وأما فضح ولم يجر الحال في هذا النوروز على هذا ولكن قد رش الماء في الحارات وأحيا المنكر في الدور أرباب الخسارات وقال في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وجرى الامر فى النوروز على العادة من رش الماء واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفر به فى الطريق رش بمياه نجسة وخرق به * قال مؤلفه رحمه الله تعالى أن أول من اتخذ النوروز جمشيد ويقال في اسمه أيضاً جمشاد أحد ملوك الفرس الاول ومعناه اليوم الجديد وللفرس فيه آراء وأعمال على مصطلحهم غير أنه في غير هذا اليوم وقد صنف على بن حميرة الاصفهاني كتاباً مفيداً في أعياد الفرس وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال كان اليوم الذى رد الله فيه الى سليمان بن داود خاتمه

يوم النوروز فجاءت اليه الشياطين بالتحف وكانت تحفة الخطاطيف أن جاءت بالماء فى مناقيرها فرشته بين يدى سليمان فاتخذ الناس رش الماء من ذلك اليوم وعن مقاتل بن سليمان قال سمي ذلك اليوم نيروزاً وذلك أنه وافق هذا اليوم الذي يسمونه النيروز فكانت الملوك تتيمن بذلك اليوم واتخذوه عيداً وكانوا يرشون الماء فى ذلك اليوم ويهدون كفعل الخطاف ويتيمنون بذلك ولله در القائل

كيف ابتهاجك بالنوروز ياسكني * وكل مافيه يحكيني وأحكيه
فناره كلهيب النار فى كبدى * وماؤه كتو الى دمعتي فيه

(وقال آخر)

نورز الناس ونورز * ت ولكن بدموعى
وذكت نارهم والنـ * ـار مابين ضلوعى

(وقال غيره)

ولما أتي النوروز ياغاية المني * وأنت على الاعراض والهجر والصد
بعثت بنار الشوق ليلا الى الحشى * فنورزت صبحاً بالدموع على الخد

(الميلاد) وهو اليوم الذى ولد فيه عبد الله ورسوله المسيح عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم والنصارى تتخذ ليلة يوم الميلاد عيداً وتعمله قبط مصر في التاسع والعشرين من كيهك وما برح لاهل مصر به اعتناء وكان من رسوم الدولة الفاطمية فيه تفرقة الجامات المملوءة من الحلاوات القاهرية والمتارد التي فيها السمك وقرابات الجلاب وطيافير الزلابية والبوري فيشمل ذلك أرباب الدولة أصحاب السيوف والاقلام بتقرير معلوم على ما ذكره ابن المأمون فى تاريخه

(الغطاس) ومن مواسم النصارى بمصر عمل الغطاس فى اليوم الحادى عشر من طوبة * قال المسعودي في مروج الذهب ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لاينام الناس فيها وهى ليلة احدى عشرة من طوبة ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طفج في داره المعروفة بالمختار في الجزيرة الراكبة على النيل والنيل مطيف بها وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر النيـل في تلك الليـلة مئو ألوف من الناس من المسلمين والنصارى منهم في الزواريق ومنهم في الدور الدانية من النيل ومنهم على الشطوط لا يتناكرون كل ما يمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف والقصف وهى أحسن ليـلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس أكثرهم في النيل ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ونشرة للداء وقال المسيحي

في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة كان غطاس النصارى فضربت الخيام والمضارب والاشرعة في عدة مواضع على شاطئ النيل فنصبت أسرة للرئيس فهد بن ابراهيم النصراني كاتب الاستاذ برجوان وأوقدت له الشموع والمشاعل وحضر المغنون والملهون وجلس مع أهله يشرب الى أن كان وقت الغطاس فغطس وانصرف * وقال في سنة خمس عشرة وأربعمائة وفي ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة كان غطاس النصارى فجرى الرسم من الناس فى شراء الفواكه والضأن وغيره ونزل أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله ابن الحاكم لقصر جده العزيز بالله بمصر لنظر الغطاس ومعه الحرم ونودى أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم الى البحر في الليل وضرب بدر الدولة الخادم الاسود متولى الشرطتين خيمة عند الجسر وجلس فيها وأمر الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله بأن توقد المشاعل والنار في الليل فكان وقيداً كثيراً وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران فقسسوا هناك طويلا الى أن غطسوا وقال ابن المأمون انه كان من رسوم الدولة أنه يفرق على سائر أهل الدولة الترنج والنارنج والليمون المراكبي وأطنان القصب والسمك والبورى برسوم مقررة لكل واحد من أرباب السيوف والاقلام

(خميس العهد) ويسميه أهل مصر من العامة خميس العدس ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام ويتهادون فيه وكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية فى خميس العدس ضرب خمسمائة دينار ذهباً عشرة آلاف خروبة وتفرقتها على جميع أرباب الرسوم كما تقدم

(أيام الركوبات) وكان الخليفة يركب فى كل يوم سبت وثلاثاء الى متنزهاته بالبساتين والتاج وقبة الهواء والخمس وجوه وبستان البعل ودار الملك ومنازل العز والروضة فيعم الناس فى هذه الايام من الصدقات أنواع ما بين ذهب ومآكل وأشربة وحلاوات وغير ذلك كما تقدم بيانه فى موضعه من هذا الكتاب

(صلاة الجمعة) وكان الخليفة يركب في كل سنة ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس في جامع القاهرة الذى يعرف بالجامع الازهر مرة وفى جامع الخطبة المعروف بالجامع الحاكمي مرة وفى جامع عمرو بن العاص بمصر أخرى فينال الناس منه في هذه الجمع الثلاث رسوم وهبات وصدقات كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى عند ذكر الجامع الازهر ولله در الفقيه عمارة اليمنى فقد ضمن مرثيته أهل القصر جملا مما ذكر وهى القصيدة التي قال ابن سعد فيها ولم يسمع فيما يكتب في دولة بعد انقراضها أحسن منها

رميت يادهر كف المجد بالشلل * وجيده بعد حسن الحلي بالعطل

سعيت في منهج الرأى العثور فان * قدرت من عثرات الدهر فاستقل

جدعت مارنك الاقنى فأنفك لا * ينفك ما بين قرع السن والخجل

هدمت قاعدة المعروف عن عجل * سعيت مهلا أما تمشى على مهل
لهفي و لهف بني الآمال قاطبة * على فجيعتها في أكرم الدول *
قدمت مصر فاولتني خلائفها * من المكارم ما أربى على الامل
قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن * كمالها أنها جاءت ولم أسل
وكنت من وزراء الدست حين سما * رأس الحصان يهاديه على الكفل
ونلت من عظماء الجيش مكرمة * وخلة حرست من عارض الخلل
ياعاذلي في هوى أبناء فاطمة * لك الملامة ان قصرت فى عذلى
بالله در ساحة القصرين وابك معي * عليهما لاعلى صفين والجمل
وقل لاهليهما والله ما التحمت * فيكم جراحي ولا قرحي بمندمل
ماذا عسى كانت الافرنج فاعلة * في نسل آل أمير المؤمنين على
هل كان فى الامر شيءٌ غير قسمة ما * ملكتم بين حكم السبي والنفل
وقد حصلتم عليها واسم جدكم * محمد وأبوكم غير منتقل *
مررت بالقصر والاركان خالية * من الوفود وكانت قبلة القبل
فملت عنها بوجهى خوف منتقد * من الاعادى ووجه الود لم يمل
أسلت من أسفى دمعي غداة خلت * رحابكم وغدت مهجورة السبل
أبكي على ماتراءت من مكارمكم * حال الزمان عليها وهي لم تحل
دار الضيافة كانت أنس وافدكم * واليوم أوحش من رسم ومن طلل
وفطرة الصوم اذ أضحت مكارمكم * تشكو من الدهر حيفاً غير محتمل
وكسوة الناس فى الفصلين قد درست * ورث منها جديد عندهم وبلى
وموسم كان فى يوم الخليج لكم * يأتي تجملكم فيه على الجمل *
وأول العام والعيدين كم لكم * فيهن من وبل جود ليس بالوشل
والارض تهتز فى يوم الغدير كما * يهتز مابين قصريكم من الاسل
والخيل تعرض فى وشى وفي شية * مثل العرائس في حلى وفي حلل
ولاحملتم قرى الاضياف من سعة الأ * طباق الا على الاكتاف والعجل
وما خصصتم ببر أهل ملتكم * حتي عممتم به الاقصى من الملل
كانت رواتبكم للذمتين وللـ * ضيف المقيم وللطاري من الرسل
ثم الطراز بتنيس الذ عظمت * منه الصلات لاهل الارض والدول
وللجوامع من احسانكم نعم * لمن تصدر فى علم وفى عمل
* وربما عادت الدنيا فمعقلها * منكم وأضحت بكم محلولة العقل

والله لافاز يوم الحشر مبغضكم * ولا نجا من عذاب الله غير ولى
ولا سقى الماء من حر ومن ظمأ * من كف خير البرايا خاتم الرسل
ولا رأى جنة الله التي خلقت * من خان عهد الامام العاضد بن على
أئمتي وهداتي والذخيرة لى * اذا ارتهنت بما قدمت من عملى
تالله لم أوفهم فى المدح حقهم * لان فضلهم كالوابل الهطل
ولو تضاعفت الاقوال واتسعت * ماكنت فيهم بحمد الله بالخجل
باب النجاة هم دنيا وآخرة * وحبهم فهو أصل الدين والعمل
نور الهدى ومصابيح الدجي ومحـ * ـل الغيث ان ربت الانواء فى المحل
أئمة خلقوا نوراً فنورهم * من محض خالص نور الله لم يفل
والله مازلت عن حبي لهم أبداً * ما أخر الله لى فى مدة الاجل

وبسبب هذه القصيدة قتل عمارة رحمه الله وتمحلت له الذنوب انتهى ماذكره رحمه الله تعالى

ذكر ماكان من أمر القصرين والمناظر بعد زوال الدولة الفاطمية

ولما مات العاضد لدين الله فى يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة احتاط الطواشى قراقوش على أهل العاضد وأولاده فكانت عدة الاشراف فى القصور مائة وثلاثين والاطفال خمسة وسبعين وجعلهم فى مكان أفرد لهم خارج القصر وجمع عمومته وعشيرته فى ايوان بالقصر واحترز عليهم وفرق بين الرجال والنساء لئلا يتناسلوا وليكون ذلك أسرع لانقراضهم وتسلم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القصر بما فيه من الخزائن والدواوين وغيرها من الاموال والنفائس وكانت عظيمة الوصف واستعرض من فيه من الجوارى والعبيد فأطلق من كان حرا ووهب واستخدم باقيهم وأطلق البيع فى كل جديد وعتيق فاستمر البيع فيما وجد بالقصر عشر سنين وأخلى القصور من سكانها وأغلق أبوابها ثم ملكها أمراءه وضرب الالواح على ماكان للخلفاء وأتباعهم من الدور والرباع وأقطع خواصه منها وباع بعضها ثم قسم القصور فأعطي القصر الكبير للامراء فسكنوا فيه وأسكن أباه نجم الدين أيوب ابن شادى فى قصر اللؤلؤة على الخليج وأخذ أصحابه دور من كان ينسب الى الدولة الفاطمية فكان الرجل اذا استحسن دارا أخرج منها سكانها ونزل بها قال القاضى الفاضل وفى ثالث عشريه يعنى ربيعاً الآخر سنة سبع وستين كشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر فقيل ان الموجود فيه مائة صندوق كسوة فاخرة من موشح ومرصع وعقود ثمينة وذخائر فخمة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر جمة الخطر وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش وبيان وأخليت أمكنة من القصر الغربى سكن بها الامير موسك والامير ابو الهيجاء السمنى وغيره من الغز

أو مدفن لآبائهم وورخ ذلك الاشهاد بثالث عشر ربيع الاول سنة ستين وستمائة وأثبت على قاضى القضاة الصاحب تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الاعز الشافعي رحمه الله تعالى وتقرر مع المذكورين أن مهما كان قبضوه من أثمان بعض الاماكن المذكورة التي عاقد عليها وكلاؤهم واتصلوا اليه يحاسبوا به من جملة ما يحرز ثمنه عند وكيل بيت المال وقبضت ايدى المذكورين عن التصرف في الاماكن المذكورة وغيرها ورسم ببيعها فباعها وكيل بيت المال كمال الدين ظافر أولا فأولا ونقضت شيأ فشيأ وبقى في أماكنها ما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى واشترى قاعة السدرة بجوار المدرسة والتربة الصالحية قاضى القضاة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عبد الواحد بن على بن مسرور المقدسى الحنبلي مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحية بألف وخمسة وسبعين دينارا في رابع جمادى الآخرة سنة ستين وستمائة من كمال الدين ظافر بن الفقيه نصر وكيل بيت المال ثم باعها المذكور للملك الظاهر بيبرس فى حادى عشرى جمادى الآخرة المذكور وقاعة السدرة هذه قدصارت هي وقاعة الخيم أصل المدرسة الظاهرية الركنية البيبرسية البندقدارية قال القاضى الفاضل وفى يوم الاثنين سادس شهر رجب يعني من سنة أربع وثمانين وخمسمائة ظهر تسحب رجلين من المعتقلين فى القصر أحدهما من أقارب المستنصر والآخر من أقارب الحافظ وأكبرهما سنا كان معتقلا بالايوان حدث به مرض وأثخن فيه ففك حديده ونقل الى القصر الغربي في أوائل سنة ثلاث وثمانين واستمر لمابه ولم يستقل من المرض وطلب ففقد واسمه موسى بن عبدالرحمن أبى حمزة بن حيدرة بن أبي الحسن أخي الحافظ واسم الآخر موسى بن عبد الرحمن بن أبى محمد بن أبي اليسر بن محسن بن المستنصر وكان طفلا في وقت الكائنة بأهله وأقام بالقصر الغربى مع من أسر به الى أن كبر وشب قال وذكر أن القصر الغربى قد استولى عليه الخراب وعلا على جدر انه التشعث والهدم وانه يجاور اصطبلات فيها جماعة من المفسدين وربما تسلق اليه للتطرق للنساء المعتقلات والمتساق منه اذا قويت نفسه على التسحب لم تكن عقلته فى القصر المذكور مانعة من التسحب قال وعدد من بقى من هذه الذرية بدار المظفر والقصر الغربي والايوان مائتان واثنان وخمسون شخصاً ذكور ثمانية وتسعون واناث مائة وأربعة وخمسون تفصيله المقيمون بدار المظفر أحد وثلاثون ذكورأحد عشر كلهم أولاد العاضد لصلبه اناث عشرون بنات العاضد خمسة أخوته أربع جهات العاضد أربع بنات الحافظ ثلاث جهات يوسف ابنه وجبريل ابن عمه أربع المعتقلون بالايوان خمسة وخمسون رجلا منهم الامير أبو الظاهر بن جبريل بن الحافظ المقيمون بالقصر الغربى مائة وستة وستون شخصاً ذكور اثنان وثلاثون أكبرهم عمره عشرون سنة وأصغرهم عمره سبع عشرة سنة اناث مائة وأربع وثلاثون بنات أربع وستون اخوات وعمات وزوجات

وملئت المناظر المصونة عن الناظر والمنتزهات التي لم يخطر ابتذالها في الخاطر فسبحان مظهر العجائب ومحدثها ووارث الارض وموزثها قال ومقدار ما يحدس أنه خرج من القصر مابين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وملبوس وأثاث وقماش وسلاح ما لايفى به ملك الاكاسرة ولا تتصوره الخواطر الحاضرة ولا يشتمل على مثله الممالك العامرة ولا يقدر على حسابه الا من يقدر على حساب الخلق في الآخرة * وقال الحافظ جمال الدين يوسف اليغموري وجدت بخط المهذب أبي طالب محمد بن على بن الخيمي حدثني الامير عضد الدين مرهف بن مجد الدين سويدا لدولة بن منقذ أن القصر أغلق على ثمانية عشر ألف نسمة عشرة آلاف شريف وشريفة وثمانية آلاف عبد وخادم وأمة ومولدة وتربية * وقال ابن عبد الظاهر عن القصر لما أخذه صلاح الدين وأخرج من به كان فيه أثنا عشر ألف نسمة ليس فيهم فحل الا الخليفة وأهله وأولاده ولما أخرجوا منه أسكنوا في دار المظفر وقبض أيضاً صلاح الدين على الامير داود بن العاضد وكان ولى العهد وينعت بالحامد لله واعتقل معه جميع اخوته الامير أبو الامانة جبريل وأبو الفتوح وابنه أبو القاسم وسليمان بن داود وعبد الظاهر حيدرة بن العاضد وعبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد واسماعيل بن العاضد وجعفر بن أبي الظاهر بن جبريل وعبد الظاهر بن أبي الفتوح بن جبريل بن الحافظ وجماعة من بني أعمامه فلم يزالوا في الاعتقال بدار الافضل من حارة برجوان الى أن انتقل الملك الكامل محمد بن العادل بن أبي بكر بن أيوب من دار الوزارة بالقاهرة الى قلعة الجبل فنقل معه ولد العاضد واخوته وأولاد عمه واعتقلهم بالقلعة وبها مات العاضد واستمر البقية حتى انقرضت الدولة الايوبية وملك الاتراك الى أن تسلطن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري فلما كان في سنة ستين وستمائة أشهد على من بقى منهم وهم كمال الدين اسماعيل بن العاضد وعماد الدين أبو القاسم ابن الامير أبي الفتوح بن العاضد وبدر الدين عبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد أن جميع المواضع التي قبلي المدارس الصالحية من القصر الكبير والموضع المعروف بالتربة ظاهرا وباطنا بخط الخوخ السبع وجميع الموضع المعروف بالقصر اليافعي بالخط المذكور وجميع الموضع المعروف بسكن أولاد شيخ الشيوخ وغيرهم من القصر الشارع بابه قبالة دار الحديث النبوي الكاملية وجميع الموضع المعروف بالقصر الغربي وجميع الموضع المعروف بدار الفطرة بخط المشهد الحسيني وجميع الموضع المعروف بدار الضيافة بحارة برجوان وجميع الموضع المعروف باللؤلؤة وجميع قصر الزمرذ وجميع البستان الكافوري ملك لبيت المال المولوي السلطاني الملكي الظاهري من وجه صحيح شرعي لا رجعة لهم فيه ولا لواحد منهم في ذلك ولا في شئ منه ولا مثوبة بسبب يد ولا ملك ولا وجه من الوجوه كلها خلا مافي ذلك من مسجد لله تبارك وتعالى

سبعون * قال وفي جمادي الآخرة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة كانت عدة من في
دار المظفر بحارة برجوان والقصر الغربي والايوان من أولاد العاضد
وأقاربه ومن معهم مضافا اليهم ثلثمائة واثنين وسبعين نفسا دار المظفر
أحرار ومماليك مائة وست وستون نفساً القصر الغربي احرار مائة
وأربعون نفساً الايوان تسعة وسبعون رجلا بالغون وأما
منازل العز فاشتراها الملك المظفر تقي الدين عمر بن
شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادي في نصف
شعبان سنة ست وستين وخمسمائة وجعلها
مدرسة للفقهاء الشافعية واشترى الروضة
وجعلها وقفاً على المدرسة
المذكورة والله تعالى أعلم
بالصواب واليه المرجع
والمآب وصلى الله
على سيدنا محمد
وآله وسلم

تم الجزء الثاني ويتلوه الجزء الثالث وأوله الحارات

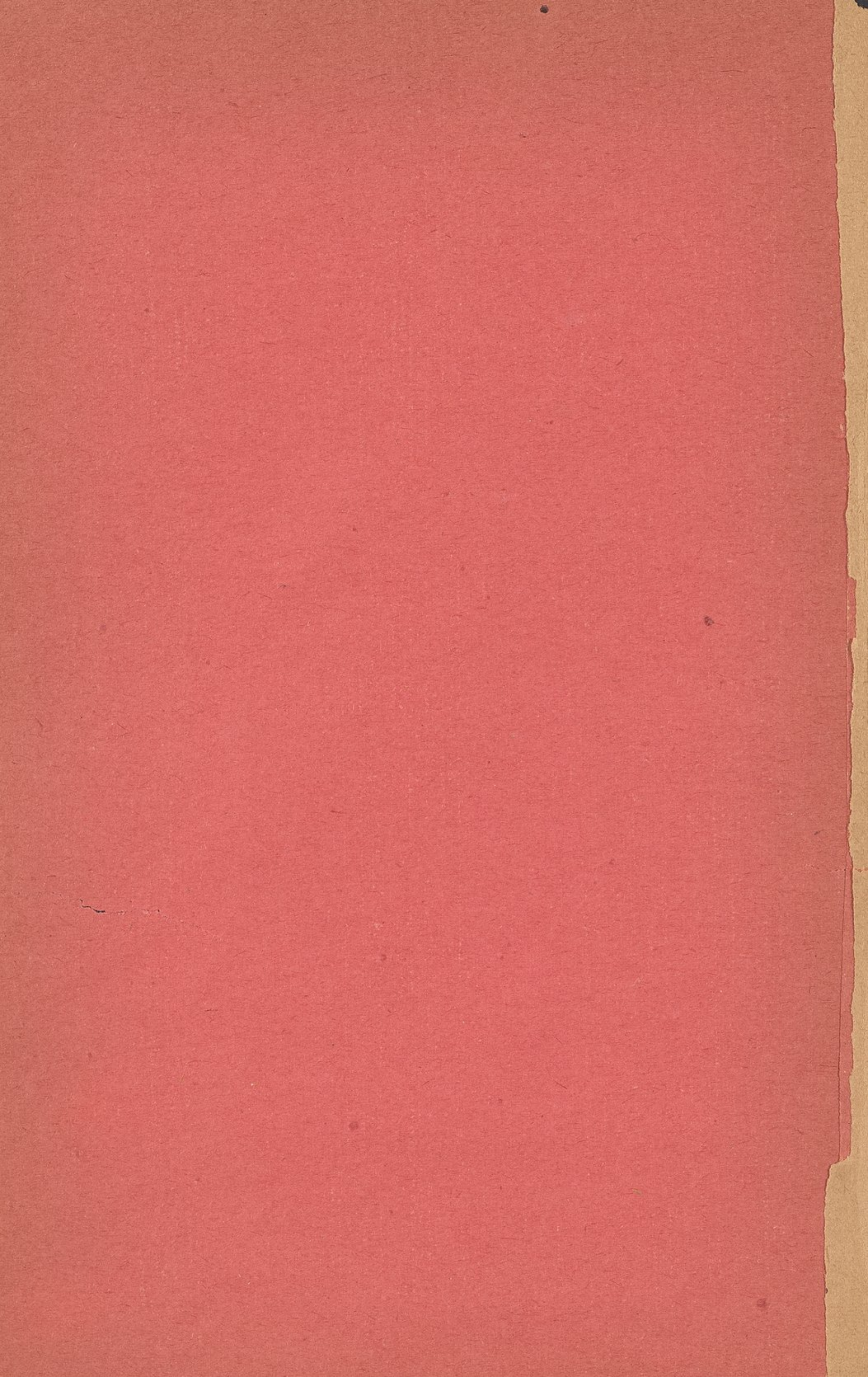


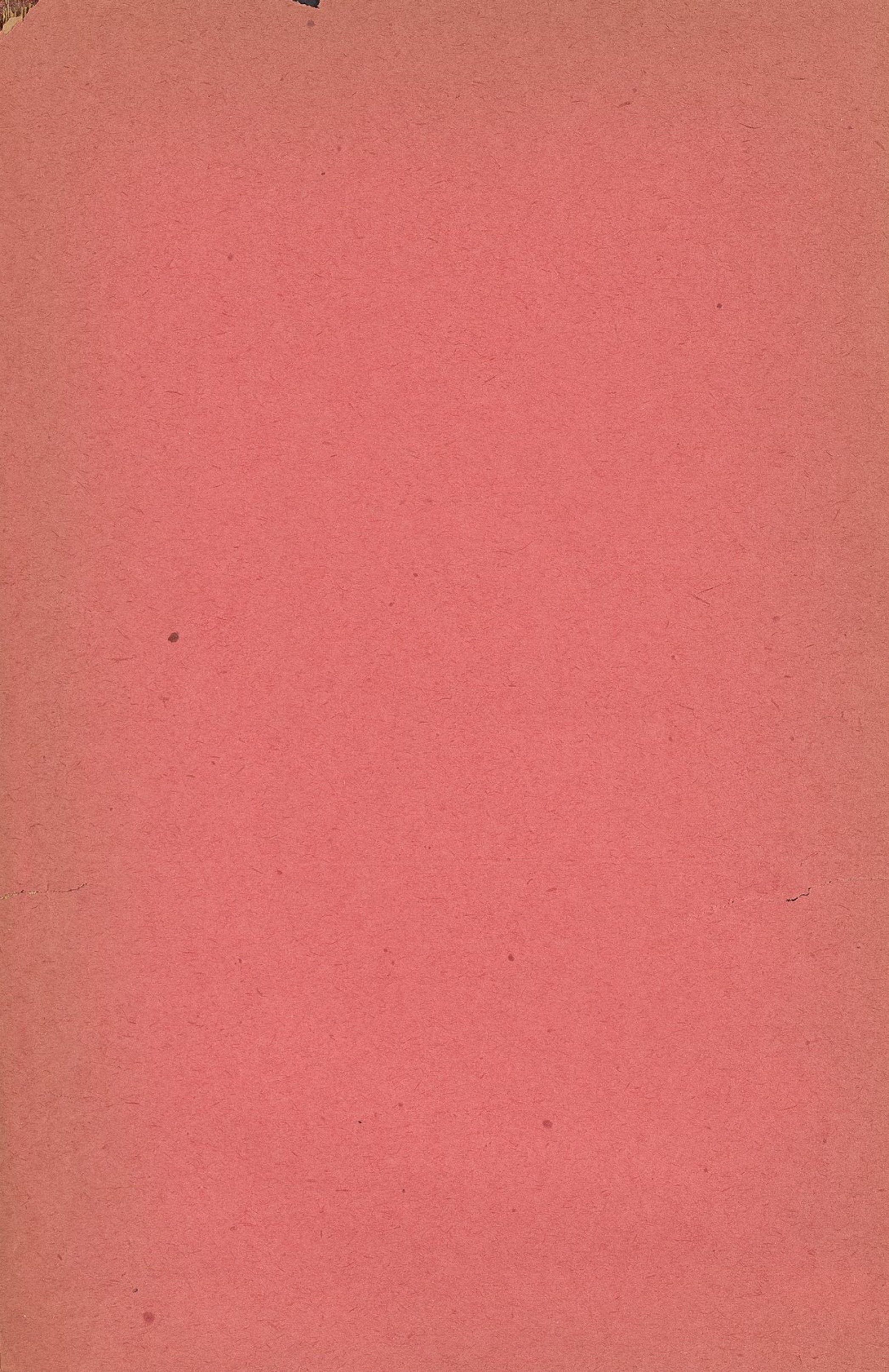
﴿ فهرست ﴾

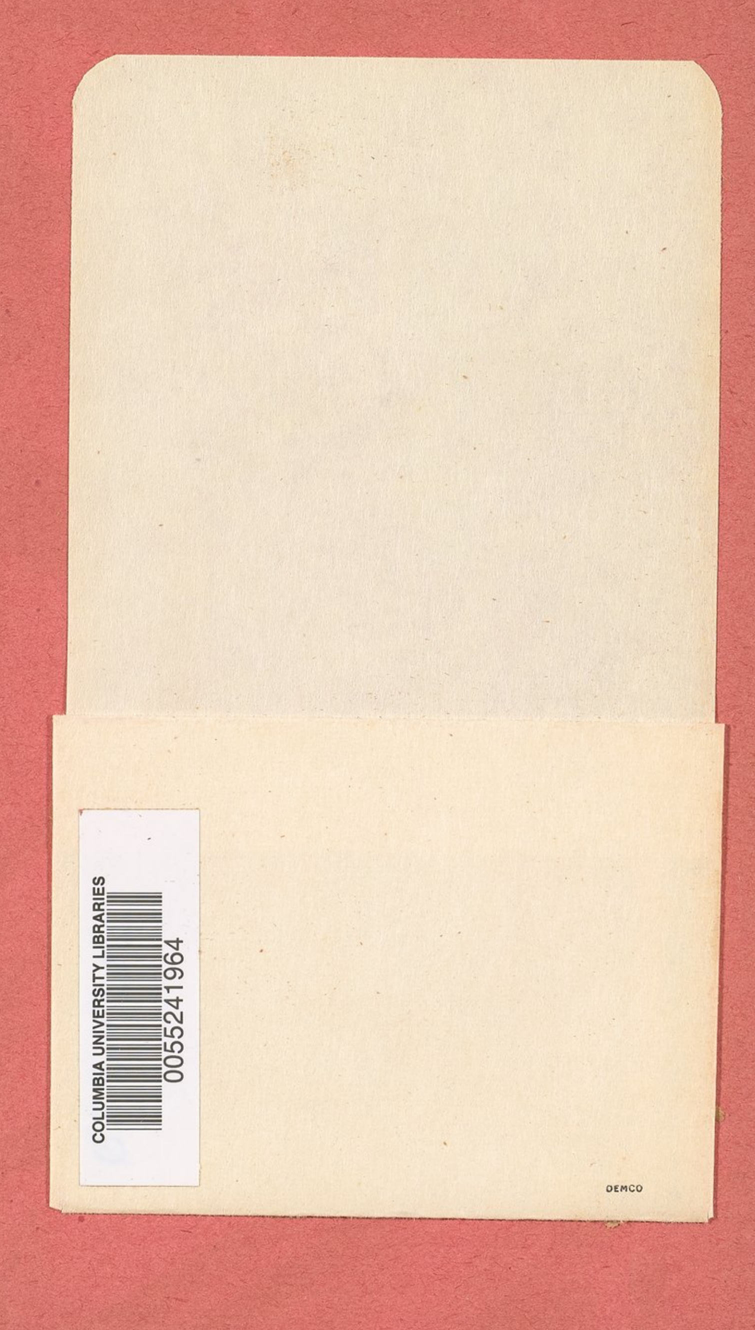
الجزء الثاني من كتاب الخطط للعلامة المقريزي

(تمت الفهرست)








COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0055241964
DEMCO

